

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمات في بيان

أركان الإيمان

ومسائله المشككة

وفق معتقد أهل السنة والجماعة

أ.د خالد بن مفلح آل حامد

(النسخة الثالثة مزيده ومنقحة)

١٤٤٨هـ

فهرس الموضوعات في أول الكتاب. 

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٢٣-٣	فهرس الموضوعات
٢٤	المقدمة
٢٥	منهج التأليف في هذا الكتاب
٢٨	المقدمة الأولى في بيان المصطلحات ذات الصلة . وفيها مسألتان:
	المسألة الأولى : بيان مصطلح : "عقيدة أهل السنة والجماعة"
٢٨	معنى الجماعة
٣٢	المسألة الثانية : الفرقة "الناجية المنصورة"
	مسألة : الفرقة الناجية والطائفة المنصورة فرقة واحدة.
٣٥	المقدمة الثانية في بيان الإيمان وفيها ثمان مسائل :
	المسألة الأولى: تفسير الإيمان في الكتاب والسنة .
٣٦	المسألة الثانية : حقيقة الإيمان إذا انفرد عن الإسلام ، وحقيقته إذا اجتمع معه.
٣٧	الخلاصة:
٣٩	المسألة الثالثة : مفهوم أهل السنة والجماعة عند اجتماع الإيمان مع الإسلام .
٤٠-٣٩	ويدخل في هذه المسألة : المسألة التالية: إتيان الكبائر دون الكفر والشرك لا تخرج المرء من دائرة الإسلام. وإن أخرجته من دائرة الإيمان .
٤٣	المسألة الرابعة : مذهب أهل السنة والجماعة في تعريف الإيمان إذا أفرد عن الإسلام. ويدخل ضمن هذه المسألة أربعة فروع :

٤٤	الفرع الأول: هل العمل بالجوارح شرط لصحة الإيمان ؟ أم شرط لكماله؟
٤٥	الفرع الثاني: المخالفون في معنى الإيمان ، ومنشأ الخلاف.
٤٦	منشأ الخلاف : خمسة أصول
	الأصل الأول : أن الإيمان أصل ، له شعب متعددة .
	الأصل الثاني: أن الكفر أصل ، له شعب متعددة كالإيمان .
٤٧	الأصل الثالث : أن الإيمان مركب من قول وعمل .
	الأصل الرابع: أن الكفر نوعان : كفر عمل ، وكفر جحود وعناد .
٥١	الأصل الخامس : أنه لا يلزم من قيام شعبة من شعب الإيمان بالعبد ، أن يسمى مؤمناً ، ولا يلزم من قيام شعبة من شعب الكفر ، أن يسمى كافراً
٥٢	الفرع الثالث " الإيمان يزيد وينقص "
٥٦	الفرع الرابع : درجات الإيمان عند أهل السنة والجماعة .
٥٨	المسألة الخامسة : الوعد والوعيد في القرآن والسنة
	أمثلة على الوعد والوعيد
٦٠	المخالفون في المسألة : خالف في نصوص الوعد والوعيد طائفتان:
	الطائفة الأولى : المعتزلة والخوارج
	الطائفة الثانية: المرجئة
	وأصل الخلاف بينهم في هذا يعود للمسألة السابقة (الإيمان يزيد وينقص) .
٦٣	مسألة: الجمع بين أحاديث الوعد والوعيد
٧٤	مسألة : استشكل حديث الشفاعة الذي جاء في أحد ألفاظه " فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قومًا لم يعملوا خيراً قط ... هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه "

٧٦	الخلاصة.
٧٧	المسألة السادسة : الحكم لمعين أو عليه؟
٧٨	(تنبيه مهم) في تطبيق أحكام الكفر على المعين .
٨٠	المسألة السابعة: حكم الاستثناء في الإيمان
٨١	المسألة الثامنة : هل الإيمان مخلوق ؟ ويدخل في ذلك "هل لفظي بالقرآن مخلوق؟"
٨٣	المقدمة الثالثة في بيان أركان الإيمان وفيها سبع مسائل
	المسألة الأولى : موضوع البحث في أركان الإيمان : متعلق بأركان الإيمان باعتباره مجتمعا مع الإسلام ، لا باعتباره منفردا عنه
	المسألة الثانية : عدد أركان الإيمان ستة: الإيمان بالله ، وَمَلَائِكَتِهِ ، وَكِتَابِهِ ، وَلِقَائِهِ ، وَرُسُلِهِ ، واليوم الآخر، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ كُلِّهِ .
	المسألة الثالثة: أدلة أركان الإيمان
٨٥	المسألة الرابعة: الجمع بين قوله ﷺ أن الإيمان بضع وسبعون شعبة ، وبين قولهم أن الإيمان أركانه ستة.
	المسألة الخامسة: مناسبة ترتيب هذه الأركان.
٨٦	المسألة السادسة: أركان الإيمان غيبية.
٨٧	المسألة السابعة: أركان الإيمان اعتقادية ، وهي عمل القلب ، ولها ارتباط بعمل الجوارح.

	المقدمة الرابعة في بيان الركن الأول من أركان الإيمان وهو "الإيمان بالله"
٨٩	الإيمان بالله يتضمن ثلاثة أمور اعتقادية متعلقة بالقلب: أولاً: إفراد الله في ربوبيته وهو المقصود بتوحيد الربوبية: باعتقاد أنه وحده: الرب الخالق، الملك، المدبر لجميع الأمور .
٩١	ثانياً: إفراد الله في ألوهيته وهو المقصود بتوحيد الألوهية: فنؤمن بأنه الإله الحق، وكل معبود سواه باطل وهذا يقتضي اعتقاد ثلاثة أمور: الأمر الأول: نفي الألوهية – وهي استحقاق العبادة- عن غير الله ، باعتقاد وجوب البراءة من كل معبود سوى الله واعتقاد بطلانها ، ويلزم منه في جانب الإثبات: وجوب اعتقاد أن المستحق للعبادة كلها هو الله وحده .
٩٤	الأمر الثاني: البراءة من كل عبادة تصرف لغير الله ، باعتقاد بطلانها ، فيلزم منه في جانب الإثبات: إفراد الله وحده في القصد والطلب بجميع العبادات الظاهرة والباطنة .
٩٧	الأمر الثالث: البراءة من من أهل الشرك باعتقاد كفرهم وبطلان ملتهم ، ووجوب بغضهم وعداوتهم ، فيلزم منه في جانب الإثبات: اعتقاد وجوب تولي ملة التوحيد وأهلها ، بنصرتهم ومحبتهم .
٩٩	ثالثاً: إفراد الله في أسمائه وصفاته وهو المقصود بتوحيد الأسماء والصفات . وذلك يتضمن: وجوب اعتقاد تنزيه الله عن كل صفة نقص ، وعن التمثيل أو التشبيه ، وإثبات صفات الكمال المطلق له وحده .

١٠٢	المقدمة الخامسة في بيان ركن الإيمان بالملائكة . وفيها ثلاث مسائل
	المسألة الأولى : الإيمان بما جاء في وصفهم .
	المسألة الثانية : الإيمان بما وكل إليهم من الأعمال .
١٠٥	المسألة الثالثة : أيهم أفضل الملائكة أم البشر؟
١٠٧	المقدمة السادسة في بيان ركن الإيمان بالكتب
١٠٩	المقدمة السابعة في بيان ركن الإيمان بالرسل: وفيها أربع مسائل.
	المسألة الأولى : وجوب الإيمان بجميع الرسل إجمالاً وتفصيلاً.
١١٠	المسألة الثانية : أن الرسل من البشر وأنهم عبيد لله.
١١١	المسألة الثالثة : هل أرسل من الجن رسول ؟
١١١	مسألة : وينبغي على ذلك هل ما يؤمر به الجن هو ما يؤمر به الإنس ؟
١١٣	المسألة الرابعة : بيان الفرق بين النبي والرسول .
١١٥	مسألة: رد قول من قال أن النبي: من أوحى إليه ولم يؤمر بالتبليغ .

	المقدمة الثامنة في بيان ركن الإيمان باليوم الآخر . وفيها ثلاثة فروع :
١١٦	الفرع الأول : القيامة الصغرى وهي : الموت ، وفتنة القبر ، وحياة البرزخ ، وبيان حقيقة الروح ، وفيه تمهيد وثلاث مسائل :
	تمهيد: الموت من مقدمات اليوم الآخر ، وهو القيامة الصغرى . :
	المسألة الأولى: فتنة القبر وحياة البرزخ.
١٢١	مسألة : من الذي يقبض الروح؟
١٢٢	مسألة : هل فتنة القبر لجميع الأموات ؟
١٢٤	مسألة : واختلفوا: هل السؤال في القبر عام في حق المسلمين والمنافقين والكفار أو يختص بالمسلم والمنافق؟
	مسألة : واختلفوا: هل السؤال في القبر مختص بهذه الأمة ، أو يكون لها ولغيرها على ثلاثة أقوال:
١٢٤	القول الأول: أنه خاص بهذه الأمة
	القول الثاني: أن السؤال في القبر لهذه الأمة ولغيرها
١٢٥	القول الثالث: التوقف في هذه المسألة
١٢٦	مسألة : صفة سؤال الملكين على ما وردت به الأحاديث
١٢٩	المسألة الثانية: عذاب القبر ونعيمه.
١٣١	مسألة : وهل يكون النعيم والعذاب على البدن بدون الروح؟
١٣٣	مسألة: أسباب عذاب القبر.
١٣٤	مسألة: عذاب القبر وسؤال الملكين ينالان كل من مات ، ولو لم يدفن.
١٣٥	مسألة : المنكرون لعذاب القبر ونعيمه وشبهتهم والرد عليهم .
١٣٦	مسألة: التوفي بالنوم والتوفي بالموت.
١٣٨	المسألة الثالثة: حقيقة الروح.

	مسألة : الروح مخلوقة .
١٣٩	مسألة: كيفية قبض روح المتوفى ومآلها بعد وفاته .
١٤١	مسألة : هل الروح والنفس شيء واحد ، أو شيئان متغايران؟
١٤٢	مسألة : تعلق الروح بالبدن.
١٤٣	الفرع الثاني : علامات الساعة و أقسامها . وفيه تمهيد
	ومسألتان:
	تمهيد :
١٤٦	المسألة الأولى : أقسام أشرار الساعة.
	القسم الأول : العلامات التي ظهرت ومضت وانقضت .
	القسم الثاني : الأمارات المتوسطة: وهي التي ظهرت ولم تنقض بل تتزايد وتكثر.
١٤٩	مسألة : المقصود بقوله في الحديث (ويتقارب الزمان) اختلف أهل العلم في معنى هذا الحديث على أقوال:
	القول الأول: حمل الحديث، على ظاهره ، فيكون المراد: أن الزمان نفسه يتقارب حقيقة، وذلك بنقص أيامه ولياليه.
	القول الثاني: أن المراد بتقارب الزمان: قربه من الساعة ويوم القيامة.
	القول الثالث: أن المراد بتقارب الزمان: نزع البركة منه .
١٥٠	القول الرابع: أن المراد بذلك استقصار مدته لما يحصل من استلذاذ العيش.
	القول الخامس: أن المراد: تقارب أحوال أهله في قلة الدين.
	القول السادس: ما هو حاصل في هذا العصر من تقارب ما بين المدن والأقاليم ، وقصر زمن المسافة بينها ؛ بسبب اختراع وسائل المواصلات الحديثة
١٥١	الترجيح .

١٥٤	القسم الثالث من أقسام أشراف الساعة العلامات العظام والأشراط الجسم التي تعقها الساعة وهي : ١- خروج المهدي ٢- والمسيح الدجال ٣- ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام ٤- وخروج يأجوج ومأجوج ٥- الدخان ٦- وهدم الكعبة ٧- رفع القرآن ٨- وخروج الدابة ٩- وطلوع الشمس من مغربها ١٠- وخروج النار من قعر عدن ١٠- رفع القرآن ، ثم النفخ في الصور نفخة الفزع، ثم نفخة الصعق وهلاك الخلق، ثم نفخة البعث والنشور.
١٥٥	مسألة : هل الخسوف الثلاثة الواردة في حديث حذيفة بن أسيد رضي الله عنه من العلامات الكبرى ؟
١٥٦	المسألة الثانية : العلامات الكبرى
	العلامة الأولى : ظهور المهدي : الأحاديث التي جاءت في ذكره كثيرة من أهمها :
١٥٧	وقد انقسم الناس في أمر المهدي إلى طرفين ووسط :
	وأما الوسط في أمر المهدي : فهم أهل السنة والجماعة ،
١٦١	مسألة : وقت خروج الرجل القحطاني والجهجاه.
١٦٥	العلامة الثانية : خروج المسيح الدجال.
١٧٠	مسألة : ما جاء في طواف الدجال بالببيت ، مع ما ورد من أنه لا يدخل مكة ولا المدينة
	سياق الحديث المتوهم إشكاله وبيان وجه الإشكال :
١٧١	أقوال أهل العلم في هذا الإشكال : اختلف أهل العلم في هذه المسألة على ثلاثة أقوال

١٧٢	العلامة الثالثة : نزول عيسى ابن مريم عليه السلام .
١٧٣	مسألة : هل عيسى عليه السلام توفي بمعنى أنه قد مات ؟
١٧٤	مسألة: مدة بقاء عيسى عليه السلام ووفاته .
١٧٦	العلامة الرابعة : خروج يأجوج ومأجوج .
١٨٠	العلامة الخامسة : رفع القرآن .
١٨٣	العلامة السادسة : الدخان .
	هذه العلامة وقع الخلاف فيها هل وقعت أم أنها ستأتي في آخر الزمان ؟
١٩٠	العلامة السابعة : هدم البيت .
١٩٢	العلامة الثامنة : طلوع الشمس من مغربها.
١٩٥	العلامة التاسعة : خروج الدابة .
٢٠٠	العلامة العاشرة : النار التي تحشر الناس إلى أرض الشام .
	مسألة : هل هي بعد نفخة البعث؟
٢٠٤	مسألة : الفرق بين النار التي تحشر الناس ، والنار التي تضيء أعناق الإبل بصرى.
٢٠٦	مسألة: تقوم الساعة على شرار الخلق.
٢٠٨	مسألة : وجه الجمع بين قوله ﷺ (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين ...) ، مع قوله: (لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق)

٢١١	الفرع الثالث : القيامة الكبرى: يوم البعث وهو إحياء الله تعالى الموتى . وفيه تمهيد وأحد عشرة مسألة تمهيد .
٢١٣	المسألة الأولى: النفخ في الصور والصعق .
٢١٦	مسألة: قوله في الحديث (فأصعق معهم فأكون أول من يفيق)
٢١٨	مسألة : كم بين النفختين؟
٢٢٠	المسألة الثانية : أرض المحشر.
٢٢٢	مسألة: موضع حشر الناس في الأرض المبدلة ، والحساب قبل الصراط.
٢٢٤	مسألة : صفة قيام الناس لرب العالمين.
٢٢٧	مسألة: معنى قوله سبحانه : "اليوم أظلمهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي".
٢٢٩	المسألة الثالثة: الحوض.
٢٣٣	مسألة: هل الحوض متفرع عن الكوثر؟
٢٦٥	مسألة: هل الحوض قبل الصراط أم بعده ؟
٢٣٧	المسألة الرابعة الحساب : المقصود به وكيفيته . وهل يحاسب الكفار؟ .
	صفة الحساب للمؤمن .
٢٤١	مسألة: المقاصة بين المؤمنين.
٢٤٣	مسألة : هل يدخل اليهودي والنصراني النار بدلا عن المسلم؟ وهل يحملون أوزار المسلمين؟
٢٤٧	مسألة : من يستثنى من الحساب يوم القيامة ، وما ورد في عددهم.

٢٥١	مسألة : أول من يحاسب من الأمم : أمة محمد ﷺ .
٢٥٢	مسألة: أول ما يحاسب عليه العبد الصلاة ، وأول ما يقضى فيه الدماء .
٢٥٤	مسألة : هل يحاسب الكفار؟
	تحرير محل النزاع
٢٥٥	المسألة الخامسة: نشر الدواوين.
٢٦٢	المسألة السادسة : الميزان .
٢٦٤	مسألة : واختلف العلماء هل هو ميزان واحد أو متعدد؟
	مسألة : واختلفوا هل هذا الميزان حسيٌّ أم معنوي ؟
	مسألة : ما الذي يُوزن أهو العمل أو صاحب العمل أو كتاب العمل ؟ في هذا للعلماء ثلاثة أقوال :
	القول الأول : إن الذي يُوزن العمل .
٢٦٥	القول الثاني : أن الذي يُوزن صحائف العمل.
	القول الثالث : أن الذي يُوزن صاحب العمل.
٢٦٦	المسألة السابعة: الصراط.
٢٦٩	مسألة: صفة الصراط .
	مسألة: كيفية العبور على الصراط ، ومن هو أول عابر؟

٢٧٠	المسألة الثامنة: الشفاعة .
٢٧٦	مسألة : الخلاف في الشفاعة . اختلف الناس في الشفاعة على ثلاثة أقسام : طرفان ووسط .
	١ - قوم غلوا في إثباتها حتى طلبوها من الأموات ومن القبور ومن الأصنام والأشجار والأحجار .
	٢ - وطائفة غلت في نفي الشفاعة كالمعتزلة والخوارج ، فإنهم نفوا الشفاعة في أهل الكبائر ، وخالفوا ما تواترت به الأدلة من الكتاب والسنة في إثبات الشفاعة .
	٣ - وأهل السنة والجماعة توسطوا فأثبتوا الشفاعة على الوجه الذي ذكره الله ورسوله ، وآمنوا بها من غير إفراط ولا تفريط .
	مسألة : أنواع الشفاعة .
	أولا : الشفاعة الخاصة بالنبي ﷺ وهو يختص منها بثلاث شفاعات .
٢٧٧	ثانيا : الشفاعة المشتركة بين النبي ﷺ وبين غيره من الأنبياء ، والملائكة والصالحين والأفراط الذين ماتوا قبل البلوغ وهذه الشفاعة في أهل الكبائر من المؤمنين فيمن استحق دخول النار أن لا يدخلها ، وفي من دخلها أن يخرج منها ، وهذه هي محط الخلاف بين أهل السنة وبين الجهمية والخوارج وأضرابهم .
٢٧٩	مسألة : شروط الشفاعة .
	الشفاعة عند الله يشترط لها شرطان :
	الشرط الأول: أن تكون بإذن الله .
	الشرط الثاني: أن يكون المشفوع فيه من أهل التوحيد وأهل الإيمان .
٢٨١	المسألة التاسعة: ترتيب أحداث يوم القيامة بحسب ما جاء من النصوص .

٢٨٤	المسألة العاشرة : الجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان.
	مسألة : وهما موجودتان الآن،
٢٨٨	مسألة : وهما لا تفنيان أبدا.
٢٩٠	المخالفون لهذه العقيدة .
٢٩٢	مسألة : تحقيق ما نسب لبعض السلف بأن النار تفنى ومنهم ابن القيم.
٢٩٤	مسألة: في وصف الجنة والنار.
	صفة الجنة:
٣٠٠	مسألة : أقل أهلها منزلة.
٣٠١	مسألة : آخر من يدخل الجنة اثنان : أحدهما الذي كان تاجرا يتجاوز عن الناس. والثاني: الذي قال لأبنائه عند موته أحرقوني ثم ذروني في اليم .
٣٠٤	صفة النار
	مسألة: تفسير البرد في النار.
٣٠٦	مسألة: حجم النار وحجم أهلها ، ومنازلهم فيها . أعاذنا الله منها بمره وكرمه .
٣٠٩	مسألة : أهون أهلها عذابا.
	مسألة : المقصود بالاستثناء في قوله تعالى: {وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْذُوذٍ}
٣١١	مسألة : هل يدخل الإنس والجن الجنة والنار ، أو هذا خاص بالأنس؟

٣١٣	المسألة الحادية عشرة: رؤية الله يوم القيامة ثابتة بالكتاب والسنة وإجماع السلف.
٣٢١	مسألة: المخالفون في الرؤية .
	الطائفة الأولى : طائفة(غلوا في إثبات الرؤية) فتزعم أن الرؤية ممكنة في الدنيا وفي الآخرة.
	الطائفة الثانية(غالوا في النفي) وقالوا : لا يرى حتى في الآخرة. كالجهمية والمعتزلة وكل من ينهج نهجهم كالروافض ، والخوارج .
	الطائفة الثالثة الأشاعرة قالوا: يُرى في الآخرة ولكن ليس في جهة ؟!
٣٢٥	مسألة : أفضل ما وقفت عليه في مناقشة هؤلاء المبتدعة النافين للرؤية ، مما لم يرد سابقا ، وذكر بعض أدلتهم التي لم تذكر فيما تقدم :
	المناقشة الأولى للإمام الدارمي رحمه الله تعالى في كتابه الموسوم بـ«الرد على الجهمية للدارمي - ت الشوامي»
٣٢٩	المناقشة الثانية: للإمام أحمد نقلا عن «الجامع لعلوم الإمام أحمد - العقيدة» (٣/ ٣٦٨):فما بعدها
٣٣٠	المناقشة الثالثة
	المناقشة الرابعة : للشيخ ابن باز في «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» لابن باز(٢٨ / ٤١٠):فما بعدها
٢٣٣	مسألة : رؤية الله في المنام .
٢٣٤	مسألة: رؤية الكفار لربهم يوم القيامة.

٣٣٩	المقدمة التاسعة: في بيان ركن الإيمان بالقدر خيره وشره . وفيه ثمان عشرة مسألة: المسألة الأولى: تعريف القدر. مسألة: الفرق، بين القضاء والقدر.
٣٤٠	مسألة : حكم قولهم اقتضت حكمة الله ، أو شاءت قدرة الله ، أو شاءت الأقدار، أو شاءت الظروف . مسألة: مشيئة الله مرتبطة بالحكمة .
٣٤١	المسألة الثانية : مراتب القدر . للقدر أربع مراتب وهي إجمالاً: المرتبة الأولى: العلم . المرتبة الثانية: الكتابة . المرتبة الثالثة: المشيئة . المرتبة الرابعة: الخلق .
٣٤٢	المسألة الثالثة: درجات الإيمان بالقدر. الدرجة الأولى: تتضمن الإيمان بالعلم والكتابة . والكتابة أنواع : النوع الأول : الكتابة في اللوح المحفوظ بمقادير كل شيء قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة .
٣٤٤	النوع الثاني : الكتابة العمرية .
٣٤٥	وأما الدرجة الثانية من الإيمان بالقدر فتتضمن الإيمان بالمشيئة والخلق .
٣٤٦	مسألة : الفرق بين الإرادة والمشيئة.

٣٤٨	المسألة الرابعة: صفة الإرادة وأقسامها .
٣٤٩	مسألة : ما الفرق بين القضاء والمقضي ؟
	المقضي شرعاً يجب الرضا به ، أما إذا كان المقضي كونياً فإما أن يكون ملائماً للنفس أو مؤلماً للنفس ، فإن كان ملائماً فالرضا به طبيعي فطري ، وإن كان مؤلماً ، فالناس فيه على أربعة مراتب : ساخط ، وصابر ، وراضي ، وشاكر .
٣٥٠	الخلاصة
٣٥٢	المسألة الخامسة : لا ينسب الشر لله وإن كان هو الذي خلقه وأراد وقوعه كونا .
٣٥٤	مذاهب العلماء تجاه هذا التعارض "ظاهراً" .
	المسلك الأول.
	المسلك الثاني .
	المسلك الثالث.
	المسلك الرابع.
٣٥٥	الترجيح.
٣٥٦	مسألة: هل يقال إن الله مريد للشر؟
	الفرق بين الإرادتين
	وقد ضل في هذه المسألة فريقان من الناس:
	أحدهما: القدرية النفاة.
	وثانيهما: المجبرة (الجبرية).

٣٥٨	المسألة السادسة : للعبد مشيئة (إرادة) وقدرة ، وهما تتبع لمشيئة الله وإرادته .
٣٥٩	مسألة : ضلَّ في درجة الإيمان بالمشيئة والخلق طائفتان: الطائفة الأولى : القدرية النفاة: والنفاة ينقسمون إلى فرقتين.
٣٦٠	الطائفة الثانية: الجبرية حيث زعموا ان العبد مجبوراً على فعله ، ليس له فيه مشيئة - (إرادة) - ولا قدرة . والرد على الطائفة الأولى : القدرية.
٣٦٣	. والرد على الطائفة الثانية وهي: الجبرية . تنبيه : اصطلاح "القدرية" يشمل (الجبرية والقدرية).
٣٦٥	المسألة السابعة: القدر ليس بحجة في ارتكاب المعاصي .
٣٧٢	المسألة الثامنة : الرد على من احتج بحديث المحاجة بين آدم وموسى عليهما الصلاة والسلام في أن القدر حجة في المعصية .
٣٧٤	بيان وجه الإشكال في الحديث الوارد في ذلك. لأهل العلم في هذا الإشكال للناس مع هذا الحديث موقفان : الموقف الأول: من فهم منه جواز الاحتجاج بالقدر على فعل المعاصي، وهؤلاء هم القدرية من المعتزلة ومن نحا نحوهم، وكذا الجبرية من الجهمية ومن وافقهم، وقد نتج عن هذا الفهم رأيان فاسدان: أحدهما: ردُّه وإنكاره وتكذيبه. والثاني: قبوله والاحتجاج به على فعل المعاصي. وأما الموقف الثاني: فهو القطع بعدم جواز الاحتجاج به على فعل المعاصي ، ولكنهم اختلفوا في تفسير هذا الحديث -بعد قبوله والإيمان به- على ستة أقوال
٣٧٧	الترجيح

	مسألة : قال ابن تيمية: «وَالْعَبْدُ لَهُ فِي الْمَقْدُورِ "حَالَانِ": "حَالٌ قَبْلَ الْقَدَرِ. وَ "حَالٌ" بَعْدَهُ.
٣٨١	وَلَهُ فِي الْمَأْمُورِ "حَالَانِ": حَالٌ قَبْلَ الْفِعْلِ ، وَحَالٌ بَعْدَ الْفِعْلِ
٣٨٣	مناقشة الأقوال المرجوحة:
٣٨٥	مسألة : اختلف أهل العلم في وقت هذه الحاجة وهذا الالتقاء بين آدم وموسى -عليه السلام-، فذكروا فيها عدة أقوال .
٣٨٦	مسألة : قوله في الحديث : "أتلومني على أمر قدره الله علي قبل أن يخلقني بأربعين سنة" اختلف أهل العلم في وقت هذه الكتابة للمعصية التي وقع فيها آدم عليه السلام .
٣٨٨-٣٩٢	المسألة التاسعة : مسائل القدر كما جاءت في الطحاوية.
	المسألة العاشرة: ما جاء في (اللو).
٣٩٣	أولاً: ما جاء من النهي عن استعمال (لو):
	ثانياً: النصوص الدالة على جواز استعمال (لو):
٣٩٤	بيان وجه التعارض:
	مذاهب العلماء تجاه هذا التعارض.
	الترجيح.
٣٩٥	الضابط في حكم استعمال (لو) هو: أنها بحسب الحال الباعث والحامل عليها .
	الحالة الأولى : حالة عجز .
	الحالة الثانية : فوات المطلوب بعد بذل الوسع والاستعانة بالله.

٣٩٦	المسألة الحادية عشرة : مسألة الميثاق الذي أخذه الله تعالى من آدم وذريته .
٤٠١	المسألة الثانية عشرة : كيفية الجمع مع ما جاء في أن الشقي من شقي في بطن أمه ، وورود ما يدل على أن كل مولود يولد على الفطرة ؟
	أولاً : المقصود بالفطرة. وفيها ستة أقوال.
٤٠٣	ثانياً: ذكر الأحاديث التي قد يوهم ظاهرها التعارض.
	الأحاديث التي جاءت بما يُفيد أن الإنسان قد كتبت عليه الشقاوة أو السعادة قبل أن يولد .
٤٠٥	بيان وجه التعارض:
	مذاهب العلماء تجاه هذا التعارض:
٤٠٩	المسألة الثالثة عشرة : حكم أولاد المشركين في الآخرة .
٤١٠	ذكر الأحاديث المتعارضة في ذلك وبيان وجه التعارض.
٤١١	سلك أهل العلم في هذه المسألة ثلاثة مذاهب: أحدها: مذهب الجمع، والثاني: مذهب الترجيح، والثالث: التوقف.
	أولاً: مذهب الجمع
٤١٥	ثانياً: مذهب الترجيح: وقد افترق القائلون به على ستة أقوال
٤٢٠	ثالثاً: مذهب التوقف: وهو الإمساك عن الخوض في هذه المسألة لعدم العلم بحكمهم.
٤٢١	الترجيح:
	وقد أورد ابن عبد البر على القول بالامتحان وأحاديثه اعتراضاً.
	والجواب عن هذا الاعتراض من وجوه .
٤٢٣	مناقشة الأقوال الأخرى .

٤٢٦	المسألة الرابعة عشرة : إثبات الحكمة في أفعال الله ، وعلاقة ذلك بمسألة التحسين والتقبيح العقليين.
	علاقة المسألة بمسألة الحكمة والتعليل .
٤٢٨	تحرير محل النزاع .
٤٢٩	الفرق المخالفة :
	أولاً: ذهب المعتزلة إلى القول بالتحسين والتقبيح العقلي.
٤٣١	ثانياً : مذهب الأشاعرة في التحسين والتقبيح .
	:مناقشة قول الأشاعرة في التحسين والتقبيح .
٤٣٢	ثالثاً: مذهب أهل السنة والجماعة في التحسين والتقبيح.
	ومن فروع : (إثبات الحكمة في أفعال الله): مسألة كبرى لها تعلق مباشر بهذا الأصل وهي: أن فعل الأسباب من قدر الله ، وتتضمن أربع مسائل وهي:
٤٣٥	(المسألة الأولى) وهي المسألة الخامسة عشرة : هل صلة الرحم تزيد في العمر حقيقة ؟ فقد جاءت أحاديث تدل على أن العمر محدد لا يزيد ولا ينقص ، وجاءت أحاديث تدل أن العمر يزيد بصلة الرحم.
	بيان وجه التعارض
٤٣٦	لم يتجاوز أهل العلم في هذه المسألة مذهب الجمع، ولكنهم اختلفوا في طريقة الجمع على عدة أقوال يمكن حصرها في مسلكين:
	المسلك الأول: أن العمر يزيد وينقص .
٤٤٢	المسلك الثاني: أن العمر لا يزيد ولا ينقص.
٤٤٣	الترجيح
٤٤٦	إشكال وجوابه

٤٤٨	(المسألة الثانية) وهي المسألة السادسة عشرة : قولهم : لا فائدة من الدعاء ؛ لأن ما تطلبه إن كان مقدرا فلا حاجة للدعاء ، وإن لم يكن مقدرا فإن الدعاء لن يجديك شيئا. وقول قائلهم "علمه بحالي كفاه عن سؤالي".
٤٥٣	(المسألة الثالثة) وهي المسألة السابعة عشرة : هل الجنة مقابل العمل ؟
	سياق الحديث المتوهم إشكاله وبيان وجه الإشكال.
	بيان وجه الإشكال:
٤٥٤	للناس مع هذه الأحاديث ثلاثة مواقف:
	الموقف الأول: الجمع بينها وبين الآيات التي تنص على أن دخول الجنة يكون بالأعمال ، وذلك بالعمل بها جميعاً، ولكنهم اختلفوا في كيفية الجمع على أقوال، أشهرها أربعة أقوال .
٤٥٥	الموقف الثاني: ما ذهبت إليه القدريّة، وهو: أن الجنة عوض عن العمل وثمن له.
٤٥٦	الموقف الثالث: ما ذهبت إليه الجبرية من أن الأعمال ليس لها ارتباط بالجزاء البتة ، وأنها ليست سبباً في دخول الجنة ، فدخولها راجع إلى محض المشيئة .
	الترجيح:
٤٦٢	(المسألة الرابعة) وهي المسألة الثامنة عشرة : إنما الأعمال بالخواتيم.
٤٦٤	مسألة : تفسير قوله تعالى: ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾ [الأعراف: ٣٠]
٤٦٦	مسألة : قطاع الطرق إلى الله .

بسم الله الرحمن الرحيم المقدمة

الحمد لله رب العالمين القائل في كتابه الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ ءَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ءَالْيَوْمِ ءَالْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦] ، وقوله تعالى : ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ ءَالْيَوْمِ ءَالْآخِرِ ءَالْمَلَائِكَةِ ءَالْكِتَابِ ءَالنَّبِيِّينَ﴾ [البقرة: ١٧٧] ، وقوله تعالى: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ ءَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ءَالَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ءَوَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥] ، وقوله تعالى : ﴿مَا أَصَابَ مِّن مُّصِيبَةٍ فِي ءَالْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ ءَالَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلُ أَن تَبَرَّأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ ٢٢ ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا ءَاتَاكُمْ ءَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد: ٢٢-٢٣]

، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، القائل كما في الصحيحين **عن عُمَرَ بْنِ ءَالْخَطَّابِ** ؓ قَالَ فذكر الحديث وفيه : قَالَ : فَأَخْبَرَنِي عَنِ ءَالْإِيمَانِ ، قَالَ : أَن تُوْمِنَ بِاللَّهِ ، وَمَلَائِكَتِهِ ، وَكُتُبِهِ ، وَرُسُلِهِ ، ءَالْيَوْمِ ءَالْآخِرِ ، وَتُوْمِنَ بِٱلْقَدَرِ ، خَيْرِهِ وَشَرِّهِ ، قَالَ : صَدَقْتَ ، قَالَ : فَأَخْبَرَنِي عَنِ ءَالْإِحْسَانِ ، قَالَ : أَن تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، فَإِن لَّمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ. (١)

أما بعد ، فهذه مقدمات مختصرة في بيان أركان الإيمان ، وما يتعلق بها من المسائل على وجه العموم ، مع التعرض للمسائل المشككة في كل ركن بتفصيل موجز ، رجوت أن يغني عن غيره من المطولات . جمعت فيه كلام أهل العلم في كل مسألة ، باختصار غير مخل ، وبأوضح عبارة ممكنة ، وقد قمت بتوثيق مواضع النقل في أكثر المواضع ، وحرصت على تخريج نصوص السنة تخريجا وافيا ، مبينا فيه الصحيح من السقيم نقلا عن أهله . أردت بها إفادة نفسي أولا ، وارتأيت أنها قد تكون مفيدة لغيري من المسلمين .

(١) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (١ / ٢٨) برقم: (٨) (كتاب الإيمان ،) (بهذا اللفظ)

- منهج التأليف في هذا الكتاب : لقد ألفت هذا الكتاب وفق المنهج التالي :
- تم وضع فهرس مفصل لمسائل هذا الكتاب في أوله موضحا عنوان المسألة وموضع بحثها.
- سترى في بعض مسائل الكتاب نقولات عن عدد من العلماء المتقدمين أو المتأخرين ، يتكلمون عن مسألة البحث ذاتها . فلا تظن أن هذا تكرارا يمكن الاستغناء عنه ؛ لأن بعض المسائل الشائكة ، إذا سمعتها أو قرأتها عن عالم واحد ، لن تكون واضحة بما فيه الكفاية -غالبا-؛ فقل من يتناول مثل هذه المسائل باستقصاء يزيل إشكالاتها ، فتجد بعض التوضيح عند عالم في جزئية منها ، ولكن بعض جوانب المسألة لا يزال مشكلا. وبناء عليه فإن هذا الذي يبدو لك تكرارا ، هو تكرار مفيد من جوانب عدة منها:
- بعض النقولات فيها توضيح لجوانب مشكلة في المسألة ، غير موجود في النقولات الأخرى، فكأن كلامهم يوضح بعضه بعضا.
- أن عبارات بعض العلماء أوضح في بيان المقصود من علماء آخرين.
- فيها تكميل للنقص في بعض الأدلة والمناقشة لها.
- قمت بالتعليق على بعض المسائل ببعض التوضيحات والتنبيهات المهمة ، نقلتها من كتب أهل العلم ، وفي أحيان قليلة يكون التعليق من عندي ، وغالبا ما يكون بين قوسين () وقد أصدره بقلت ، وأختم بقولي "والله تعالى أعلم" .
- التزمت ذكر المصادر المنقول منها- في أغلب الأحوال- لاسيما في المسائل المبحوثة ، إلا في مواضع قليلة جدا خفي علي المصدر الذي نقلته منه ؛ لأن جمع معلومات هذا الكتاب بدئ به منذ فترة طويلة جدا .
- استقصيت في ذكر الأحاديث والآثار المتعلقة بأركان الإيمان ، والألفاظ التي انبنى عليها الخلاف ، أو الحكم . مع توضيح العبارات المشككة ، أو الغامضة في تلك الأحاديث والآثار من كلام أهل العلم.

● التزمت ذكر الحكم على الأحاديث تصحيحا وتضعيفا ، بالنقل عن أهل التحقيق في هذا العلم قديما وحديثا بشكل مختصر، وهذه الأحكام نقلتها بنفسني من كتب مؤلفيها ، ولم أعتمد على مصدر فرعي .

● اجتهدت في معرفة رأي أهم علماء هذا العصر في علم الحديث تحقيقا ومعرفة وبحثا ، وهو الشيخ الألباني رحمه الله في الأحاديث قدر الجهد والطاقة ، ولكنني لم أقتصر عليه. جعلت الكتاب في تسع مقدمات على النحو التالي :

- المقدمة الأولى : في بيان المصطلحات ذات الصلة . وفيها مسألتان.
- المقدمة الثانية : في بيان الإيمان . وفيها ثمان مسائل
- المقدمة الثالثة : في بيان أركان الإيمان وفيها سبع مسائل.
- المقدمة الرابعة : في بيان الركن الأول من أركان الإيمان وهو "الإيمان بالله" .
- المقدمة الخامسة : في بيان ركن الإيمان بالملائكة . وفيها ثلاث مسائل.
- المقدمة السادسة : في بيان ركن الإيمان بالكتب .
- المقدمة السابعة : في بيان ركن الإيمان بالرسول : وفيها أربع مسائل.
- المقدمة الثامنة : في بيان ركن الإيمان باليوم الآخر . وفيها ثلاثة فروع :
- الفرع الأول : القيامة الصغرى وهي : الموت ، وفتنة القبر ، وحياة البرزخ ، وبيان حقيقة الروح ، وفيه تمهيد وثلاث مسائل .
- الفرع الثاني : علامات الساعة وأقسامها ، وفيه تمهيد ومسألتان.
- الفرع الثالث : القيامة الكبرى : يوم البعث وهو إحياء الله تعالى الموتى وفيه تمهيد وأحد عشرة مسألة.

- المقدمة التاسعة في بيان ركن الإيمان بالقدر خيره وشره . وفيه ثمان عشرة مسألة.
- هذه هي النسخة الثالثة من الكتاب ، والنسخة الأولى كانت مجرد مسودة لم يتم تنقيحها . والثانية جاءت مرتبة منقحة ، وهذا النسخة الثالثة وفيها بعض الزيادات ، وتصحيح بعض الأخطاء .
- فهذه النسخة حاكمة على السختين السابقتين ملغية لما جاء فيها.

وفي الختام : لقد كتبت هذا الكتاب ، وبذلت وسعي في إخراجه على أفضل وجه ممكن . فما في هذا الكتاب من الصواب فهو بفضل الله وحده . وما فيه من الخطأ أو الخلل فهو مني ومن الشيطان ، والله ورسوله منه بريئان .

أسأل الله العظيم ، رب العرش العظيم ، أن ينفع به ، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم ، إنه سميع قريب مجيب الدعوات .

تم الانتهاء من هذه النسخة عصر يوم الأربعاء الموافق للتاسع من شهر محرم من عام ثمان وأربعين وأربعمائة وألف للهجرة النبوية . وأخردعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

للملاحظات والمقترحات البريد الالكتروني K.٥.٣٢٩١٩@hotmail.com

جوال : ٥٠٣٢٩١٩١٠ خالد بن مفلح الحامد

المقدمة الأولى

في بيان المصطلحات ذات الصلة . وفيها مسألتان:

○ **المسألة الأولى:** بيان مصطلح: "عقيدة أهل السنة والجماعة"

■ **عقيدة:** فعيلة بمعنى مفعولة أي شيء معتقد ، والعقيدة في الأصل : من العقد وهو : إحكام الشد ، وضده الحل .

وفي الاصطلاح: هو (حكم الذهن الجازم) فإن طابق الواقع فهي عقيدة صحيحة ، وإن خالف الواقع فهي عقيدة فاسدة ، فاعتقاد النصارى أن الله ثالث ثلاثة ، هذا عقيدة فاسدة ، لأنها غير مطابقة للواقع ، واعتقاد أهل التحريف أن الاستواء بمعنى الاستيلاء عقيدة ، لكنها فاسدة ، لأنها خلاف الواقع ، لكن هم يجزمون بذلك ويعتقدون هذا ، كما في قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴾ ﴿ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ [الكهف: ١٠٣-١٠٤] فهم يعتقدون أنهم على صواب وهم ليسوا كذلك ، ونحوها من الآيات .

فالأعمال والأقوال إنما تصح وتقبل إذا صدرت عن عقيدة صحيحة ، فإن كانت العقيدة غير صحيحة بطل ما يتفرع عنها من أعمال وأقوال كما قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [المائدة: ٥] . وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَنْ أَشْرَكَتَ لِیَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ ﴾ [الزمر: ٦٥] ، والآيات في هذا المعنى كثيرة .

قوله: (حكم الذهن الجازم): فلا عقيدة مع الشك ، ولا عقيدة باعتبار نطق اللسان ، فالمنافق يقول: لا إله إلا الله ، ولكن ليس عنده عقيدة .

■ **السنة:**

السنة لغة: الطريقة ، وسنة النبي ﷺ شريعته من قوله أو فعله أو إقراره خبرا كانت أو طلبا . أوهي: "ما أضيف إلى النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو وصف" .

والمراد : ما كان عليه النبي ﷺ من الأقوال والأعمال والتقارير فهذا يطلق عليه السنة .

والسنة هنا : هي الطريقة التي كان عليها رسول الله ﷺ . والإيمان بما جاء فيها واجب كالإيمان بما جاء في القرآن ، سواء في أسماء الله أو صفاته أو في غيرها ؛ لقوله تعالى: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ﴾ الحشر: من الآية ٧ . وقوله تعالى: ﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ (النساء: من الآية ٨٠).

■ قوله: (أهل السنة) : وهم: أصحاب السنة الذين لزموها باعتقادهم ولزموها في أقوالهم وأعمالهم . -يعني في الجملة- . وتركوا غير ما دلت عليه السنة . فيقال : هم أهل السنة ، يعني هم أهل إتباع أقوال ﷺ وأهل إتباع أفعاله ﷺ وأهل إتباع تقريراته .

فمصطلح أهل السنة يطلق ويراد به معنيان:

■ (أ) المعنى الأعم: وهو ما يقابل الشيعة فيقال: المنتسبون للإسلام قسمان: أهل السنة والشيعة، مثلما عنون شيخ الإسلام كتابه في الرد على الرافضي "منهاج السنة" وفيه بين هذين المعنيين .

■ (ب) المعنى الأخص: وهو ما يقابل المبتدعة وأهل الأهواء وهو الأكثر استعمالاً في كتب الجرح والتعديل ، فإذا قالوا عن الرجل أنه صاحب سنة ، أو كان سنياً ، أو من أهل السنة ونحوها ، فالمراد أنه ليس من إحدى الطوائف البدعية: كالخوارج والمعتزلة والشيعة وليس صاحب كلام وهوى . وبناء عليه فإن مصطلح "أهل السنة" لا يدخل فيه أهل الكلام من الأشاعرة وغيرهم . وقد نص الإمام أحمد وابن المديني: على أن من خاض في شيء من علم الكلام لا يعتبر من أهل السنة ، وإن أصاب بكلامه السنة حتى يدع الجدل ويسلم للنصوص .

قال فقيه المالكية بالمشرق ابن خويزمنداد شرحاً لقول مالك: " لا تجوز شهادة أهل البدع والأهواء " ، وقال: "أهل الأهواء عند مالك وسائر أصحابنا هم أهل الكلام ، فكل متكلم فهو من أهل الأهواء والبدع ، أشعرياً كان أو غير أشعري ، ولا تقبل له شهادة في الإسلام أبداً ، ويهجر ويؤدب على بدعته فإن تمادي عليها استتيب منها" .

وروي ابن عبد البر نفسه في "الانتقاء" عن الأئمة الثلاثة "مالك وأبي حنيفة والشافعي نهيم عن الكلام وزجر أصحابه وتبديعهم وتعزيزهم ومثله ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية .

■ ف (أهل السنة) دون لفظ (الجماعة) يطلق بأحد هذين الاعتبارين : ١- ما عدا الرافضة . ٢- وقد يطلق وهو الأصل ويراد به : من لازم السنة في مقابل أهل الأهواء .

قوله: "والجماعة"

جاء معنى الجماعة في الاصطلاح على خمس معانٍ : قال الشاطبي-رحمه الله في الاعتصام: "اختلف الناس في معنى الجماعة على خمسة أقوال:"

- أحدها: "إنها السواد الأعظم من أهل الإسلام . وهو الذي يدل عليه كلام أبي غالب : إن السواد الأعظم هم الناجون من الفرق ، فما كانوا عليه من أمر دينهم فهو الحق ، ومن خالفهم مات ميتة جاهلية سواء خالفهم في شيء من الشريعة ، أو في إمامهم وسلطانهم فهو مخالف للحق"
- والثاني: "إنها جماعة أئمة العلماء المجتهدين فمن خرج مما عليه علماء الأمة مات ميتة جاهلية .
- والثالث: "إن الجماعة هي الصحابة على الخصوص فإنهم الذين أقاموا عماد الدين وأرسوا أوتاده وهم الذين لا يجتمعون على ضلالة أصلا وقد يمكن فيمن سواهم.
- والرابع: "إن الجماعة هي جماعة أهل الإسلام إذا أجمعوا على أمر ، فواجب على غيرهم من أهل الملل اتباعهم ، وهم الذين ضمن الله لنبيه عليه الصلاة والسلام أن لا يجمعهم على ضلالة ، فإن وقع بينهم اختلاف ، فوجب أن تعرف الصواب فيما اختلفوا فيه.

وكأن هذا القول يرجع إلى الثاني ، وهو يقتضى أيضا ما يقتضيه ، أو يرجع إلى القول الأول ، وهو الأظهر ، وفيه من المعنى ما في الأول من أنه لا بد من كون المجتهدين فيهم ، وعند ذلك لا يكون من اجتماعهم على هذا القول بدعة أصلا فهم - إذا - الفرقة الناجية.

- والخامس: ما اختاره الطبري الإمام من أن الجماعة: جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على أمير ، فأمر عليه الصلاة والسلام بلزومه ، ونهى عن فراق الأمة فيما اجتمعوا عليه من تقديمه عليهم.

وتحقيق الخلاف في هذه المسألة أنها تؤول إلى قولين :

- القول الأول : الجماعة هم : المستمسكون بسنة رسول الله ﷺ الذين اجتمعوا على ذلك ، وهم الصحابة والتابعون ، وأئمة الهدى المتبعون لهم ، ومن سلك سبيلهم في الاعتقاد والقول والعمل إلى يوم الدين، فمن تمسك بالسنة وفق ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه ، فهو مع الجماعة ، ومن فارق سنتهم فارق الجماعة .
- القول الثاني: أن المقصود بالجماعة : جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على أمير انعقدت له البيعة الشرعية ، فمن نكث بيعته خرج عن الجماعة .

• وقد بين هذين المعنيين ال خطابي-رحمه الله- في كتاب العزلة حيث قال: "الفرقة فرقتان: فرقة الآراء والأديان ، وفرقة الأشخاص والأبدان ، والجماعة جماعتان : جماعة هي الأئمة والأمراء ، وجماعة هي العامة والدهماء . فأما الافتراق في الآراء والأديان فإنه محذور في العقول محرم في قضايا الأصول لأنه داعية الضلال وسبب التعطيل والإهمال . ولو ترك الناس متفرقين لتفرقت الآراء والنحل ، ولكثرت الأديان والملل ، ولم تكن فائدة في بعثة الرسل ، وهذا هو الذي عابه الله عز وجل من التفرق في كتابه ، وذمه في الآي التي تقدم ذكرها . وعلى هذه الوتيرة تجري الأمر أيضا في الافتراق على الأئمة والأمراء ؛ فإن في مفارقتهم مفارقة الألفة ، وزوال العصمة ، والخروج من كنف الطاعة وظل الأمانة ، وهو الذي نهى النبي صلى الله عليه وسلم عنه وأراد به بقوله :

■ **كما في الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما : « من فارق الجماعة شيئا فمات إلا مات ميتة جاهلية »** ^(١)

وذلك أن أهل الجاهلية لم يكن لهم إمام يجمعهم على دين ، ويتألفهم على رأي واحد ، بل كانوا طوائف شتى ، وفرقا مختلفين آراءهم متناقضة ، وأديانهم متباينة " . وهو ملخص ما ذكره الشاطبي -رحمه الله- في الاعتصام حيث قال " **وحاصله أن الجماعة راجعة إلى الاجتماع على الإمام الموافق للكتاب والسنة ، وذلك ظاهر في أن الاجتماع على غير سنة خارج عن معنى الجماعة المذكورة في الأحاديث المذكورة** " . وقد نقل عن أبي بكر بن العربي -رحمه الله- نحوه ، حيث قال: "قوله: عليكم بالجماعة يحتمل معنيين، يعني: أن الأمة إذا أجمعت على قول فلا يجوز لمن بعدهم أن يحدث قولاً آخر. الثاني: إذا اجتمعوا على إمام فلا تحل منازعته ولا خلعه"

وكلا القولين صحيح من جهة المعنى؛ لأن كلا المعنيين-(التمسك بالسنة واتباع الصحابة، ولزوم جماعة المسلمين وإمامهم - قد جاء الأمر بهما من خلال نصوص قطعية كما سيأتي ذكر بعض منها.

■ **وبناء على ما تقدم يكون معنى (أهل السنة والجماعة باعتباره لقباً) هم : "من تمسك بالسنة وسلك منهج الصحابة واتباعهم في الفهم ، ولزم جماعة المسلمين وإمامهم". والله تعالى أعلم.**

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٩ / ٤٧) برقم: (٧٠٥٤) (كتاب الفتن ، باب قول النبي سترن بعدي أمورا تنكرونها) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (٦ / ٢١) برقم: (١٨٤٩) (كتاب الإمارة ، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن) (بمثله).

○ المسألة الثانية : الفرقة "الناجية المنصورة"

سميت بهذا الاسم مقابلة بالفرق الأخرى . والعلماء أخذوا تلك التسمية مما جاء في حديث معاوية رضي الله عنه وغيره في حديث الافتراق المشهور :

■ (حسن صحيح). أن النبي ﷺ قال : (ألا إن اليهود افترقت على إحدى وسبعين ، وإن النصارى افترقت على ثنتين وسبعين فرقة ، وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة " (١) .

فيفهم من هذا الحديث أن هذه الفرقة وهي الجماعة هي الفرقة الناجية وغيرها من الفرق فرقٌ هالكة . ولهذا قال أهل العلم في وصف من اعتقد الاعتقاد الحق وكان مع الجماعة أنه **من الفرقة الناجية باعتبار الآخرة ، والفرقة المنصورة باعتبار الدنيا .**

○ مسألة : الفرقة الناجية والطائفة المنصورة فرقة واحدة.

فتسميتها بالفرقة الناجية ؛ لأنها ناجية في الآخرة من النار . لقوله ﷺ : " كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة " . فكل الفرق متوعدة بالهلاك وأما هذه الفرقة فهي الناجية .. يعني ناجية في الآخرة . وأما صفتها في الدنيا : فهي أنها منصورة . كما قال شيخ الإسلام هاهنا ناعياً هذه الفرقة بنعتين : ١ - أنها ناجية . ٢ - ومنصورة . فهذا النعت الذي عبر به شيخ الإسلام رحمه الله ينبئ عما كان كالإجماع عند أهل السنة والجماعة وعند أهل الحديث وعند أئمة الإسلام : أن الفرقة الناجية ، والطائفة المنصورة ، كلها تدل على طائفة واحدة وعلى فرقة واحدة : وهم الذين اعتقدوا الاعتقاد الحق وساروا على نهج السلف الصالح رضوان الله عليهم . فمن اعتقد الاعتقاد الحق ، فهو ناجٍ بوعده الله جل وعلا له ووعد النبي صلى الله عليه وسلم له في الآخرة . وهو منصوّر في الدنيا .

فالفرقة الناجية والطائفة المنصورة بمعنى واحد . ولكن وصفها بأنها ناجية باعتبار الآخرة ، وفي ذلك أيضاً نجاة في الدنيا . ووصفها بأنها منصورة باعتبار الدنيا . ومنه في الكتاب قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ [الصافات: ١٧١-١٧٣] ، وكما

(١) - قال الأرئووط في «سنن أبي داود - ت الأرئووط» (٥ / ٧) : «حديث صحيح، وهذا إسناد حسن من أجل محمد بن عمرو - وهو ابن علقمة الليثي - خالد: هو ابن عبد الله الواسطي. وأخرجه ابن ماجه (٣٩٩١)، والترمذي (٢٨٣١) من طريقين عن محمد بن عمرو، به. وقال الترمذي: حديث حسن صحيح. وهو في: "مسند أحمد" (٨٣٩٦) و"صحيح ابن حبان" (٢٦٤٧)، و (٦٧٣١).» وقال الألباني في «صحيح موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان» (٢ / ٢١٥) : «حسن صحيح - "الصحيحة" (٢٠٣)، "ظلال الجنة"

قال تعالى ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ ﴾ [غافر: ٥١] . ولأجل ما جاء في الأحاديث الكثيرة : عن النبي ﷺ ومنها:

- **ما جاء في البخاري عن معاوية** رضي الله عنه يَقُولُ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ "وَلَنْ تَزَالَ هَذِهِ الْأُمَّةُ قَائِمَةً عَلَى أَمْرِ اللَّهِ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ" ^(١)
- **وفي لفظ له عنه** " وَلَا تَزَالَ هَذِهِ الْأُمَّةُ ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ "
- **وفي لفظ له عنه** " ^(٢) وَلَنْ يَزَالَ أَمْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ مُسْتَقِيمًا حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ أَوْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ " ^(٣)
- **وفي لفظ لمسلم** " لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللَّهِ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ " ^(٤)
- **وفي لفظ له عنه** " وَلَا تَزَالُ عِصَابَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ نَاوَاهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ " ^(٥)
- **وفيهما عن المغيرة بن شعبة** رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: " لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون " ^(٦)
- **وفي مسلم عن ثوبان** رضي الله عنه عن النبي ﷺ " لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك " ^(٧)

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ٢٥) برقم: (٧١) (كتاب العلم ، باب من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين) (بهذا اللفظ).

(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٤ / ٨٥) برقم: (٣١١٦) (كتاب فرض الخمس ، باب قول الله تعالى فَأَنْ لَّهُ خَمْسَهُ) (بهذا اللفظ) ،

(٣) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٩ / ١٠١) برقم: (٧٣١٢) (كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب قول النبي لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق) (بهذا اللفظ)

(٤) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٦ / ٥٣) برقم: (١٠٣٧) (كتاب الإمارة ، باب قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ) (بنحوه).

(٥) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٦ / ٥٣) برقم: (١٠٣٧) (كتاب الإمارة ، باب قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ) (بهذا اللفظ)

(٦) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٤ / ٢٠٧) برقم: (٣٦٤٠) (كتاب المناقب ، باب حدثني محمد بن المثنى) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (٦ / ٥٣) برقم: (١٩٢١) (كتاب الإمارة ، باب قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ) (بمثله).

(٧) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٦ / ٥٢) برقم: (١٩٢٠) (كتاب الإمارة ، باب قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ) (بهذا اللفظ)

■ **وفي مسلم عن جابر بن سمرة** رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال (لن يبرح هذا الدين قائما يقاتل عليه عصابة من المسلمين حتى تقوم الساعة) " (١)

■ **وفي مسلم عن جابر** رضي الله عنه سمعت النبي ﷺ يقول " لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة فينزل عيسى بن مريم فيقول أميرهم تعال صل لنا فيقول لا إن بعضكم على بعض أمراء تكرمه الله هذه الأمة " (٢)

فهي طائفة منصوره . فهم ظاهرون ومنصورون . ينصرهم الله جل وعلا على من عداهم ، **إما بالحجة** ، **وإما بالسنان** . فالنصر باللسان نصر حجة وبيان ، والنصر بالسنان إذا كان ثمَّ جهاد قائم . وهذا لا يخلو منه أهل السنة والجماعة في كل زمان، والحمد لله.

(١) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٦ / ٥٣) برقم: (١٩٢٢) (كتاب الإمارة ، باب قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق) (بهذا اللفظ)

(٢) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (١ / ٩٥) برقم: (١٥٦) (كتاب الإيمان ، باب نزول عيسى بن مريم حاكما بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم) (بهذا اللفظ)

المقدمة الثانية في بيان الإيمان

وفيه ثمان مسائل :

○ **المسألة الأولى:** تفسير الإيمان في الكتاب والسنة .

فمن الكتاب :

■ قوله تعالى : ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٤-١٥]

■ وقوله تعالى : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ۝ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٢-٤]

ومن السنة : فسر النبي صلى الله عليه وسلم الإيمان في أحاديث منها:

■ **ما جاء في الصحيحين في حديث وفد عبد قيس وفيه أنه :** "أَمَرَهُمْ: بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَحْدَهُ ، قَالَ: أَتَدْرُونَ مَا الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَحْدَهُ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ ، وَصِيَامُ رَمَضَانَ ، وَأَنْ تُعْطُوا مِنَ الْمَغْنَمِ الْخُمْسَ". (١)

■ **وفي الصحيحين عن عمر بن الخطاب ؓ :** قَالَ : بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخْذَيْهِ ، وَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ، قَالَ : صَدَقْتَ ، قَالَ : فَعَجَبْنَا لَهُ ، يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ ، قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ ، قَالَ : أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ ، وَمَلَائِكَتِهِ ، وَكُتُبِهِ ، وَرُسُلِهِ ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ ، خَيْرِهِ وَشَرِّهِ ، قَالَ : صَدَقْتَ ، قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ ، قَالَ : أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ ، قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ ، قَالَ : مَا الْمَسْئُولُ

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ٢٠) برقم: (٥٣) (كتاب الإيمان ، باب أداء الخمس من الإيمان) (بهذا اللفظ) ، ومسلم

في "صحيحه" (١ / ٣٥) برقم: (١٧) (كتاب الإيمان ، باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله وشرائع الدين والدعاء إليه) (بنحوه).

عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ ، قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا ، قَالَ : أَنْ تَلِدَ الْأُمَّةُ رَبَّتَهَا ، وَأَنْ تَرَى الْحُقَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوُلُونَ فِي الْبُنْيَانِ ، قَالَ : ثُمَّ انْطَلَقَ ، فَلَبِثْتُ مَلِيًّا ثُمَّ قَالَ لِي : يَا عُمَرُ ، أَتَدْرِي مِنَ السَّائِلِ ؟ قُلْتُ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : فَإِنَّهُ جَبْرِيلُ ، أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ . " (١)

■ وفيهما عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : **الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً** ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ . ، **وفي لفظ لمسلم " الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً ، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ . " (٢)**

○ **المسألة الثانية : حقيقة الإيمان إذا انفرد عن الإسلام ، وحقيقته إذا اجتمع معه .**

● **إذا أفرد الإسلام عن الإيمان** وقلنا : إن الإسلام هو التعبد لله سبحانه وتعالى بما شرع ، فيدخل في معناه الإيمان ، فيشمل ذلك : الاستسلام لله ظاهراً وباطناً ، فيشمل الدين كله عقيدة ، وعملاً ، وقولاً .

● **أما إذا قرن الإسلام بالإيمان** فإن الإسلام يقتصر معناه على الأعمال الظاهرة من نطق اللسان وعمل الجوارح ، **ويكون معنى الإيمان : الأعمال الباطنة من العقيدة وأعمال القلوب .**
ويدل على هذا التفريق :

■ **قوله تعالى :** ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٤]

■ **وقوله تعالى : في قصة قوم لوط :** ﴿ فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿ ٣٥ ﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الذاريات: ٣٥-٣٦] . فإنه فرق هنا بين المؤمنين والمسلمين ؛ لأن البيت الذي كان في القرية بيت إسلامي في ظاهره إذ إنه يشمل امرأة لوط التي خانتها بالكفر وهي كافرة ، أما من أخرج منها ونجا فإنهم المؤمنون حقاً الذين دخل الإيمان في قلوبهم ويدل لذلك - أي للفرق بين الإسلام والإيمان عند اجتماعهما -

■ **وفي حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه المتقدم** وفيه أن جبريل سأل النبي ﷺ عن الإسلام والإيمان ؟ فقال له النبي ﷺ : " الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي

(١) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (١ / ٢٨) برقم: (٨) (كتاب الإيمان ،) (بهذا اللفظ)

(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ١١) برقم: (٩) (كتاب الإيمان ، باب أمور الإيمان) (بهذا اللفظ) ومسلم في "صحيحه" (١ / ٤٦) برقم: (٣٥) (كتاب الإيمان ، باب شعب الإيمان) (بمثله) .

الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت " . وقال في الإيمان : " أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره " .

■ الخلاصة:

فالحاصل أن الإسلام عند الإطلاق-(يعني إذا أفرد)- يشمل الدين كله ويدخل فيه الإيمان ، وإذا قرن الإسلام مع الإيمان فسر الإسلام بالأعمال الظاهرة من أقوال اللسان وعمل الجوارح، وفسر الإيمان بالأعمال الباطنة من اعتقادات القلوب وأعمالها . وهذا هو المتقرر عند أهل العلم .

وفيما يلي أذكر بعض ما جاء عنهم:

● **أولاً : قال حافظ حكيم - رحمه الله - في معارج القبول :** "وَالْإِيمَانُ لُغَةً: التَّصَدِيقُ، قَالَ إِخْوَةُ يُوسُفَ

لِأَيِّهِمْ: {وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا} [يُوسُفَ: ١٧] يَقُولُ: بِمُصَدِّقٍ، وَأَمَّا فِي الشَّرِيعَةِ فَلِإِطْلَاقِهِ حَالَتَانِ:

■ **"الْحَالَةُ الْأُولَى" أَنْ يُطْلَقَ عَلَى الْإِفْرَادِ غَيْرِ مُقْتَرِنٍ بِذِكْرِ الْإِسْلَامِ، فَحِينَئِذٍ يُرَادُ بِهِ الدِّينُ كُلُّهُ.**

وَهَذَا الْمَعْنَى هُوَ الَّذِي قَصَدَهُ السَّلَفُ الصَّالِحُ بِقَوْلِهِمْ رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى: إِنَّ الْإِيمَانَ اعْتِقَادٌ وَقَوْلٌ وَعَمَلٌ، وَإِنَّ الْأَعْمَالَ كُلَّهَا دَاخِلَةٌ فِي مُسَمًّى الْإِيمَانِ. وَحَكَى الشَّافِعِيُّ عَلَى ذَلِكَ إِجْمَاعَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِمَّنْ أَدْرَكَهُمْ. وَأَنْكَرَ السَّلَفُ عَلَى مَنْ أَخْرَجَ الْأَعْمَالَ عَنِ الْإِيمَانِ انْكَارًا شَدِيدًا،

. **وَهَذَا الْمَعْنَى هُوَ الَّذِي أَرَادَ الْبُخَارِيُّ اثْبَاتَهُ فِي كِتَابِ الْإِيمَانِ وَعَلَيْهِ بَوَّبَ أَبُو آدَةَ كُلُّهَا، فَقَالَ:** "بَابُ أُمُورِ

الْإِيمَانِ" وَ"بَابُ الصَّلَاةِ مِنَ الْإِيمَانِ" وَ"بَابُ الرِّكَاتِ مِنَ الْإِيمَانِ" وَ"بَابُ الْجِهَادِ مِنَ الْإِيمَانِ" وَ"بَابُ حُبِّ الرُّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْإِيمَانِ" وَ"بَابُ الْحَيَاءِ مِنَ الْإِيمَانِ" وَ"بَابُ صَوْمِ رَمَضَانَ احْتِسَابًا مِنَ الْإِيمَانِ" وَ"بَابُ اتِّبَاعِ الْجَنَائِزِ مِنَ الْإِيمَانِ" وَ"بَابُ آدَاءِ الْخُمْسِ مِنَ الْإِيمَانِ" وَسَائِرُ أَبْوَابِهِ. وَكَذَلِكَ صَنَعَ النَّسَائِيُّ فِي الْمُجْتَبَى، وَبَوَّبَ التِّرْمِذِيُّ عَلَى حَدِيثِ وَفْدِ عَبْدِ الْقَيْسِ "بَابُ مَا جَاءَ فِي إِضَافَةِ الْفَرَائِضِ إِلَى الْإِيمَانِ" وَكَلَامُ أَئِمَّةِ الْحَدِيثِ وَتَرَاجُمُهُمْ فِي كُتُبِهِمْ يَطُولُ ذِكْرُهُ وَهُوَ مَعْلُومٌ مَشْهُورٌ،

■ **"وَالْحَالَةُ الثَّانِيَةُ" أَنْ يُطْلَقَ الْإِيمَانُ مَقْرُونًا بِالْإِسْلَامِ، وَحِينَئِذٍ يُفَسَّرُ بِالْإِعْتِقَادَاتِ الْبَاطِنَةِ كَمَا فِي**

حَدِيثِ جَبْرِيلَ وَمَا فِي مَعْنَاهُ، وَكَمَا فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} [النساء: ٥٧] في غير ما مَوْضِعٍ مِنْ كِتَابِهِ .

● **وَالْحَاصِلُ أَنَّهُ إِذَا أُفْرِدَ كُلُّ مَنْ الْإِسْلَامَ وَالْإِيمَانَ بِالذِّكْرِ فَلَا فَرْقَ بَيْنَهُمَا حِينَئِذٍ، بَلْ كُلُّ مَنْهُمَا عَلَى انْفِرَادِهِ يَشْمَلُ الدِّينَ كُلَّهُ، وَإِنْ فُرِّقَ بَيْنَ الْأَسْمَيْنِ كَانَ الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا بِمَا فِي هَذَا الْحَدِيثِ الْجَلِيلِ-** (حديث جبريل)- . **وَالْمَجْمُوعُ مَعَ الْإِحْسَانِ هُوَ الدِّينُ كَمَا سَمَّى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَلِكَ كُلَّهُ**

دينًا،: (فَإِنَّهُ ﷺ قَالَ: فَإِنَّهُ جَبْرِيلُ ، أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ ،) وَبِهَذَا يَحْصُلُ الْجَمْعُ بَيْنَ هَذَا الْحَدِيثِ وَبَيْنَ الْأَحَادِيثِ الَّتِي فِيهَا تَفْسِيرُ الْإِيمَانِ بِالْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ، وَبِذَلِكَ جَمَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا أَهْلُ الْعِلْمِ. أَهْ مِنْ كَلَامِ الْعَلَامَةِ حَافِظِ حَكَمِي رَحِمَهُ اللَّهُ.

■ **ثانيا : قال ابن باديس في «العقائد الإسلامية لابن باديس»** (ص ٥٢ فما بعدها): «قَدْ تَوَارَدَ لَفْظُ الْإِسْلَامِ وَلَفْظُ الْإِيمَانِ عَلَى اعْتِقَادِ الْقَلْبِ الْجَازِمِ، وَالْأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ مِنْ قَوْلٍ وَغَيْرِهِ الْمَبْنِيَّةِ عَلَى ذَلِكَ الْإِعْتِقَادِ، - لِحَدِيثِ جَبْرِيلَ الْمُتَقَدِّمِ فِي تَفْسِيرِ الْإِسْلَامِ وَحَدِيثِ وَفِدِ عَبْدِ الْقَيْسِ الْمُتَقَدِّمِ فِي تَفْسِيرِ الْإِيمَانِ ...

تَحْصِيلُ مِمَّا تَقَدَّمَ. تَوَارَدَ الْإِسْلَامُ وَالْإِيمَانُ عَلَى الْإِعْتِقَادِ وَالنُّطْقِ وَالْعَمَلِ: حَقِيقَةُ الدِّينِ: الدِّينُ كُلُّهُ عَقْدٌ بِالْقَلْبِ ، وَنُطْقٌ بِاللِّسَانِ، وَعَمَلٌ بِالْجَوَارِحِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ . وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الثَّلَاثَةِ يُسَمَّى إِيْمَانًا بِاعْتِبَارٍ، وَيُسَمَّى إِسْلَامًا بِاعْتِبَارٍ آخَرَ.

■ ١ - فَعَقْدُ الْقَلْبِ يُسَمَّى إِيْمَانًا لِأَنَّهُ تَصْدِيقٌ، وَيُسَمَّى إِسْلَامًا لِأَنَّ عَقْدَ الْقَلْبِ عَلَى الشَّيْءِ إِذْعَانٌ وَخُضُوعٌ لَهُ.

■ ٢ - وَنُطْقُ اللِّسَانِ بِالشَّهَادَتَيْنِ يُسَمَّى إِيْمَانًا لِأَنَّهُ دَلِيلٌ عَلَى التَّصْدِيقِ وَيُسَمَّى إِسْلَامًا لِأَنَّهُ دَلِيلٌ عَلَى الْخُضُوعِ وَالْإِنْقِيَادِ.

■ ٣ - وَالزَّكَاةُ مَثَلًا تُسَمَّى إِيْمَانًا لِأَنَّهَا مَبْنِيَّةٌ عَلَى التَّصْدِيقِ، وَثَمَرَةٌ مِنْ ثَمَرَاتِهِ، وَتُسَمَّى إِسْلَامًا لِأَنَّهَا انْقِيَادٌ وَإِذْعَانٌ.

■ ٤ - وَالْحُبُّ فِي اللَّهِ مَثَلًا يُسَمَّى إِيْمَانًا لِأَنَّهُ مَبْنِيٌّ عَلَى التَّصْدِيقِ وَثَمَرَةٌ مِنْ ثَمَرَاتِهِ، وَيُسَمَّى إِسْلَامًا لِأَنَّهُ انْقِيَادٌ وَإِذْعَانٌ «

● وقال : الْإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ: وَالْإِيمَانُ فِي الْوَضْعِ الشَّرْعِيِّ هُوَ قَوْلٌ بِاللِّسَانِ وَعَمَلٌ بِالْقَلْبِ وَعَمَلٌ بِالْجَوَارِحِ، فَمَنْ اسْتَكْمَلَ ذَلِكَ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَكْمِلْهُ لَمْ يَسْتَكْمِلِ الْإِيمَانَ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ}، - {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ}،

■ **وَلِقَوْلِهِ ﷺ: فِيهِمَا عَنْ أَنَسٍ** ﷺ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ" (١)

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ١٢) برقم: (١٥) (كتاب الإيمان ، باب حب الرسول صلى الله عليه وسلم من الإيمان) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (١ / ٤٩) برقم: (٤٤) (كتاب الإيمان ، باب وجوب محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من الأهل والولد والوالد والناس أجمعين) (بمثله).

- **وَلَقَوْلُهُ ﷺ فِيهِمَا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ** قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْإِيمَانُ بَضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بَضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ ، **ولفظ البخاري " بضع وستون" (١)**

○ **المسألة الثالثة : مفهوم أهل السنة والجماعة عند اجتماع الإيمان مع الإسلام .**

- **قال السلف : الدين على ثلاث مراتب :**

- **المرتبة الأولى :** مرتبة الإسلام ، وهي المرتبة الأولى ، التي يدخل فيها الكافر أول ما يتكلم بالإسلام ، ويدعن ، وينقاد له .

- **المرتبة الثانية :** مرتبة الإيمان ، وهي أعلى من المرتبة الأولى ، لأن الله تعالى نفى عمن ادعى الإيمان أول وهلة ، وأثبت لهم الإسلام ، فقال تعالى : ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ١٤ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمْ الصَّادِقُونَ ﴾ [الحجرات: ١٤-١٥] . فأنكر سبحانه عليهم ادعاءهم الإيمان ، وأخبر أنهم لم يبلغوا هذه المرتبة إذ ذاك .

- **وفي صحيح مسلم ، حديث سعد بن أبي وقاص** **رضي الله عنه** لما قال للنبي **ﷺ** مالك عن فلان ؟ فوالله لأراه مؤمناً ، فقال : أو مسلماً (٢)

- **المرتبة الثالثة :** الإحسان ، وهي أعلى المراتب كلها . وقد تضمن حديث جبريل ، هذه المراتب كلها ، لما سألته عن الإسلام ، والإيمان ، والإحسان ، فأخبره **ﷺ** بذلك ، ثم قال : " هَذَا جِبْرِيلُ ، جَاءَ يُعَلِّمُ النَّاسَ دِينَهُمْ " (٣)

ويدخل في هذه المسألة : المسألة التالية:

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ١١) برقم: (٩) (كتاب الإيمان ، باب أمور الإيمان) (بنحوه) ، ومسلم في "صحيحه" (١ / ٤٦) برقم: (٣٥) (كتاب الإيمان ، باب شعب الإيمان) (بهذا اللفظ).
(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٢ / ١٢٤) برقم: (١٤٧٨) (كتاب الزكاة ، باب قول الله تعالى لا يسألون الناس إلحافاً) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (١ / ٩١) برقم: (١٥٠) (كتاب الإيمان ، باب تألف قلب من يخاف على إيمانه لضعفه والنهي عن القطع بالإيمان من غير دليل قاطع) (بمثله) .
(٣) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ١٩) برقم: (٥٠) (كتاب الإيمان ، باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان والإسلام) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (١ / ٣٠) برقم: (٩) (كتاب الإيمان ، باب الإيمان ما هو وبيان خصاله) (بمثله مطولاً) ،

○ **مسألة:** إتيان الكبائر دون الكفر والشرك لا تخرج المرء من دائرة الإسلام. وإن أخرجته من دائرة الإيمان . ولا يخرجه عن مرتبة الإسلام إلا الكفر بالله، والشرك المخرج من الملة . وأما المعاصي، والكبائر، كالزنى، والسرقه، وشرب الخمر، وأشباه ذلك، فلا يخرجه عن دائرة الإسلام عند أهل السنة والجماعة، خلافاً للخوارج، والمعتزلة، الذين يكفرون بالذنوب، ويحكمون بتخليده في النار.

■ واحتج أهل السنة والجماعة على ذلك بحجج كثيرة، من الكتاب والسنة، وأقوال الصحابة، والتابعين ؛ فمن ذلك :

■ أنه قد ينفي عن الرجل الإحسان، ويثبت في الإيمان ؛ وقد ينفي عنه الإيمان، ويثبت في الإسلام. كما في قوله تعالى : ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [فاطر: ٣٢]

■ **ومن السنة:**

■ **كما في قوله ﷺ فيما عن أبي هريرة رضي الله عنه:** " لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن " ^(١)

■ قال محمد بن نصر المروزي، الإمام المشهور، حدثنا إسحاق بن إبراهيم، حدثنا وهب بن جرير بن حازم، حدثنا أبي، عن الفضيل، عن أبي جعفر محمد بن علي، أنه سئل عن قول النبي ﷺ: " لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن " فقال أبو جعفر: هذا الإسلام، ودور دائرة واسعة، وهذا الإيمان، ودور دائرة صغيرة، في وسط الكبيرة ؛ فإذا زنى أو سرق : خرج من الإيمان إلى الإسلام، ولا يخرج من الإسلام إلا الكفر بالله، انتهى.

■ قال : وإن الله جعل اسم الإيمان، اسم ثناء، وتزكية، ومدحة ؛ وأوجب عليه الجنة، فقال : (وكان بالمؤمنين رحيماً، تحيتهم يوم يلقونه سلام) [الأحزاب : ٤٣-٤٤] وقال : (وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم) [يونس : ٢] وقال : (يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم) [الحديد : ١٢]، وقال : (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار) الآية [التوبة : ٧٢]

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٣ / ١٣٦) برقم: (٢٤٧٥) (كتاب المظالم ، باب النهي بغير إذن صاحبه) (بهذا اللفظ) ،

(٨ / ١٥٧) برقم: (٦٧٧٢) (كتاب الحدود وما يحذر من الحدود ، باب لا يشرب الخمر) (بمثله).

وجه الاستدلال: قالوا : وقد تواعد الله بالنار أهل الكبائر ، فدل ذلك : على أن اسم الإيمان زال عمن أَلَم بكبيرة ؛ قالوا : ولم نجده تعالى أوجب الجنة باسم الإسلام ، فثبت : أن اسم الإسلام ثابت له على حاله ؛ واسم الإيمان زائل عنه .

- **فإن قيل :** أليس ضد الإيمان الكفر؟ فالجواب : إن الكفر ضد أصل الإيمان ، لأن للإيمان أصلاً ، وفروعاً ، فلا يثبت الكفر ، حتى يزول أصل الإيمان ، الذي هو ضد الكفر .
- **فإن قيل :** الذي زعمتم أن النبي ﷺ أزال عنه اسم الإيمان ، هل بقى معه من الإيمان شيء ؟ قيل نعم ، أصله ثابت ، ولولا ذلك لكفر .

- **فإن قيل :** كيف أمسكتكم عن اسم الإيمان أن تسموا به الفاسق ، وأنتم تزعمون أن أصل الإيمان معه ، وهو التصديق ، بالله ورسوله ؟ **قلنا :** لأن الله ورسوله ، وجماهير المسلمين ، يسمون الأشياء بما علمت عليها من الأسماء ؛ فيسمون الزاني : فاسقاً ؛ والقاذف : فاسقاً ؛ وشارب الخمر : فاسقاً .

- وقد أجمع المسلمون من الموافقين والمخالفين : أنه لا يسمى تقياً ، ولا ورعاً إذا كان يأتي بالفجور ، **مع أن أصل التقوى والورع ، باق ، انتهى** . يعني : أنه باق من ادعائه الأصل ، كتورعه عن إتيان المحارم ونحو ذلك ؛ لأن اسم التقى ، اسم ثناء وتزكية ، وأن الله قد أوجب المغفرة والجنة للمتقي ؛ قالوا : فلذلك لا نسميه مؤمناً ونسميه فاسقاً ، وزانياً ، وإن كان في قلبه أصل اسم الإيمان ؛ لأن الإيمان أصل أثى الله به على المؤمنين ، وزكاهم به ، وأوجب لهم الجنة

- وهذا التفصيل الذي أخبر به النبي ﷺ في حديث جبريل : جاء به القرآن ، فجعل الأمة على هذه الأوصاف الثلاثة ؛ فقال تعالى : (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله) الآية [فاطر : ٣٢] فالمسلم الذي لم يقم بواجب الإيمان : هو الظالم لنفسه ، والمقتصد : هو المؤمن المطلق ، الذي أدى الواجب ، وترك المحرم ؛ والسابق بالخيرات : هو المحسن الذي عبد الله كأنه يراه .

- قال أبو سليمان الخطابي - رحمه الله - فأكثر ما يغلط الناس في هذه المسألة ؛ فأما الزهري فقال : الإسلام الكلمة ، والإيمان العمل ، واحتج بالآية : وذهب غيره : إلى أن الإسلام ، والإيمان ، شيء واحد ؛ واحتج بقوله : (فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين ، فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين) [الذاريات : ٣٥-٣٦] .

- قال : والصحيح من ذلك : أن يقيد الكلام في هذا ولا يطلق ؛ وذلك : أن المسلم قد يكون مؤمناً في بعض الأحوال، ولا يكون مؤمناً في بعض الأحوال ؛ **فكل مؤمن مسلم، وليس كل مسلم مؤمن في جميع الأحوال.**
- قال الشيخ تقي الدين : والذي اختاره الخطابي، هو قول من فرق بينهما، .. أن المختار عند أهل السنة، وأنه لا يطلق على السارق، والزاني، اسم مؤمن، كما دل عليه النص .
- فالناس يتفاضلون في التوحيد، تفاضلاً عظيماً، ويكونون فيه على درجات بعضها أعلى من بعض، فمنهم: من يدخل الجنة بغير حساب ولا عذاب، كما دلت عليه النصوص الصريحة ؛ ومنهم: من يدخل النار، وهم العصاة ويمكثون على قدر ذنوبهم ، ثم يخرجون منها لأجل ما في قلوبهم من التوحيد والإيمان وهم في ذلك متفاوتون كما في الحديث الصحيح:
- **فيهما عن أنس** رضي الله عنه في حديث الشفاعة العظمى، قول ﷺ " يخرج من النار من قال لا إله إلا الله، وفي قلبه من الخير ما يزن برة " **وفي لفظ** : " شعيرة " **وفي لفظ** : " ذرة " **وفي لفظ** : " حبة خردل من إيمان " ^(١)
- ومن تأمل النصوص : تبين له أن الناس يتفاضلون في التوحيد والإيمان، تفاضلاً عظيماً، وذلك بحسب ما في قلوبهم من الإيمان بالله، والمعرفة الصادقة، والإخلاص، واليقين، والله تعالى أعلم.

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٩ / ١٢١) برقم: (٧٤١٠) (كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى لما خلقت بيدي) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (١ / ١٢٣) برقم: (١٩٣) (كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها) (بنحوه).

- **المسألة الرابعة:** مذهب أهل السنة والجماعة في تعريف الإيمان إذا أفرد عن الإسلام.
- حقيقة الإيمان عند أهل السنة والجماعة : أنه اعتقاد بالقلب , وقول اللسان , وعمل الجوارح (ويستدلون لقولهم هذا **بالحديث المتقدم قريباً**) (إن الإيمان بضْعٌ وسبعون شعبةً , فأفضلها قول – لا إله إلا الله – وأدناها – إمطة الأذى عن الطريق . والحياء شعبة من الإيمان) **متفق عليه من حديث أبي هريرة** رضي الله عنه . فالقول : قول (لا إله إلا الله) , والحياء من عمل القلب (وإمطة الأذى عن الطريق) من عمل الجوارح . أما عقيدة القلب فقوله ﷺ في حديث عمر رضي الله عنه المتقدم (الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله , واليوم الآخر , والقدر خيره وشره) متفق عليه
- قال الأجرى رحمه الله في كتابه الشريعة : اعلّموا أنه لا تجزئ المعرفة بالقلب والتصديق إلا أن يكون معه الإيمان باللسان نطقاً ، ولا يجزئ معرفة بالقلب ونطق باللسان حتى يكون عمل بالجوارح ، فإذا كملت فيه هذه الخصال الثلاث كان مؤمناً . دل على ذلك القرآن والسنة وقول علماء المسلمين .
 - وقال رحمه الله : فالأعمال بالجوارح تصديق عن الإيمان بالقلب واللسان ، فمن لم يصدق الإيمان بعمله بجوارحه مثل: الطهارة والصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد ، وأشباه لهذه ، ورضي من نفسه بالمعرفة والقول ، لم يكن مؤمناً ، ولم تنفعه المعرفة والقول ، وكان تركه للعمل تكذيباً لإيمانه ، وكان العمل بما ذكرناه تصديقاً منه لإيمانه ..
 - وهذا قول كل أهل السنة والجماعة فهم متفقون على ما جاء في الكتاب والسنة : أن تارك أعمال الجوارح مطلقاً كافراً بالله خارج عن الإسلام .
 - قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في آخر رسالته كشف الشبهات : ولا خلاف أن التوحيد لا بد أن يكون بالقلب واللسان والعمل فإن اختل شيء من هذا لم يكن الرجل مسلماً ..) .
- ويدخل ضمن هذه المسألة أربعة فروع:**

○ الفرع الأول: هل العمل بالجوارح شرط لصحة الإيمان ؟ أم شرط لكماله؟

((قال الشيخ عبد العزيز الراجحي في جريدة الجزيرة عدد ١٢٥٠٦ في ١٣/٧/١٤٢٣هـ: "وقد سألت شيخنا الإمام ابن باز رحمه الله عام (١٤١٥هـ). وكنا في أحد دروسه رحمه الله . عن الأعمال : أهى شرط صحة للإيمان ، أم شرط كمال ؟ فقال رحمه الله : من الأعمال شرط صحة للإيمان لا يصح الإيمان إلا بها كالصلاة ، فمن تركها فقد كفر. ومنها ما هو شرط كمال يصح الإيمان بدونها ، مع عصيان تاركها وإثمه . فقلت له رحمه الله : من لم يكفرتارك الصلاة من السلف ، أ يكون العمل عنده شرط كمال ؟ أم شرط صحة ؟ فقال : لا ، بل العمل عند الجميع شرط صحة ، إلا أنهم اختلفوا فيما يصح الإيمان به منه ؛ فقالت جماعة : إنه الصلاة ، وعليه إجماع الصحابة رضي الله عنهم ، كما حكاه عبد الله بن شقيق. وقال آخرون بغيرها. إلا أن جنس العمل لابد منه لصحة الإيمان عند السلف جميعاً. لهذا الإيمان عندهم قول وعمل واعتقاد ، لا يصح إلا بها مجتمعة)أهـ.

● قال شيخ الإسلام في كتاب الإيمان الكبير - (١ / ١٧٣) "مما ينبغي أن يعرف أن أكثر التنازع بين أهل السنة في هذه المسألة هو نزاع لفظي وإلا فالقائلون بأن الإيمان قول من الفقهاء - كحماد بن أبي سليمان وهو أول من قال ذلك ومن اتبعه من أهل الكوفة وغيرهم - متفقون مع جميع علماء السنة على:

● ١- أن أصحاب الذنوب داخلون تحت الذم والوعيد وإن قالوا: إن إيمانهم كامل كإيمان جبريل فهم يقولون: إن الإيمان بدون العمل المفروض ومع فعل المحرمات يكون صاحبه مستحقاً للذم والعقاب كما تقوله الجماعة.

● ٢- ويقولون أيضاً بأن من أهل الكبائر من يدخل النار كما تقوله الجماعة.

● ٣- والذين ينفون عن الفاسق اسم الإيمان من أهل السنة ، متفقون على أنه لا يخلد في النار.

● فليس بين فقهاء الملة نزاع في أصحاب الذنوب إذا كانوا مقرين باطننا وظاهراً بما جاء به الرسول وما تواتر عنه أنهم من أهل الوعيد ، وأنه يدخل النار منهم من أخبر الله ورسوله بدخوله إليها ، ولا يخلد منهم فيها أحد ، ولا يكونون مرتدين مباحي الدماء .

● ولكن " الأقوال المنحرفة " قول من يقول بتخليدهم في النار كالخوارج والمعتزلة. وقول

غلاة المرجئة الذين يقولون: ما نعلم أن أحدا منهم يدخل النار، بل نقف في هذا كله.

وحكي عن بعض غلاة المرجئة الجزم بالنفي العام."

○ الفرع الثاني: المخالفون في معنى الإيمان ، ومنشأ الخلاف.

- خالف السلف في معنى الإيمان : (المرجئة ، الخوارج ، المعتزلة)
- **الطائفة الأولى : المرجئة .** قالوا : الإيمان : هو اعتقاد القلب فقط ، والأعمال لا تدخل في الإيمان ، وهؤلاء هم المرجئة ، وعلى رأسهم الجهمية الذين يقولون : إن الناس في الإيمان سواء ، وأن الإيمان هو اعتقاد القلب ، وأما الأعمال فإنها لا تدخل في الإيمان ، لا حقيقة ولا مجازاً .

■ ويدخل في المرجئة من قال:

- هُوَ مُجَرَّدُ التَّصَدِيقِ فَقَطْ؛ كَابْنِ الرَّائِدِيِّ وَمَنْ وَافَقَهُ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ وَغَيْرِهِمْ، إِذْ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ يَكُونُ الْيَهُودُ الَّذِينَ أَقْرَأُوا بِرِسَالَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَاسْتَيْقَنُوهَا وَلَمْ يَتَّبِعُوهُ مُؤْمِنِينَ بِذَلِكَ، وَقَدْ نَفَى اللَّهُ الْإِيمَانَ عَنْهُمْ.
- وَقَالَ جَهْمُ بْنُ صَفْوَانَ وَاتَّبَاعُهُ: هُوَ الْمَعْرِفَةُ بِاللَّهِ فَقَطْ. وَعَلَى هَذَا الْقَوْلِ لَيْسَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ كَافِرٌ بِالْكُلِّيَّةِ، إِذْ لَا يَجْهَلُ الْخَالِقَ سُبْحَانَهُ أَحَدٌ، وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَهُ الْعَلَّامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي نُوَيْتِيهِ الْكَافِيَةِ الشَّافِيَّةِ:

قَالُوا: وَإِفْرَارُ الْعِبَادِ بِأَنَّهُ ... خَلَأْفُهُمْ هُوَ مُنْتَهَى الْإِيمَانِ
وَالنَّاسُ مِنَ الْإِيمَانِ شَيْءٌ وَاحِدٌ ... كَالْمَشْطِ عِنْدَ تَمَازُلِ الْأَسْنَانِ
فَاسْأَلْ أَبَا جَهْلٍ وَشِيعَتَهُ وَمَنْ ... وَالْأَهْمُو مِنْ عَابِدِي الْأَوْثَانِ
وَسَلِ الْيَهُودَ وَكُلَّ أَقْلَفَ مُشْرِكٍ ... عَبْدَ الْمَسِيحِ مُقْبِلَ الصُّلْبَانِ
وَاسْأَلْ ثُمُودَ وَعَادَ بَلْ سَلْ قَبْلَهُمْ ... أَعْدَاءَ نُوحٍ أُمَّةَ الطُّوفَانِ
وَاسْأَلْ أَبَا الْجِنِّ اللَّعِينِ أَتَعْرِفُ الْ... خَلَاقَ أَمْ أَصْبَحْتَ ذَا نُكْرَانِ
وَاسْأَلْ شِرَارَ الْخَلْقِ وَأَقْبَحَ أُمَّةٍ ... لُوطِيَّةٍ هُمْ نَاكِحُو الذُّكْرَانِ
وَاسْأَلْ كَذَلِكَ إِمَامَ كُلِّ مُعْطِلٍ ... فِرْعَوْنَ مَعَ قَارُونَ مَعَ هَامَانَ
«هَلْ كَانَ فِيهِمْ مُنْكَرٌ لِلْخَالِقِ الْ... رَبِّ الْعَظِيمِ مُكْوَنِ الْأَكْوَانِ
فَلْيَبْشِرُوا مَا فِيهِمْ مِنْ كَافِرٍ ... هُمْ عِنْدَ جَهْمٍ كَامِلُو الْإِيمَانِ

- ومنهم من قال: الإيمان هو الإقرار باللسان دون عقد القلب، فيكون المنافقون على هذا مؤمنين، وقد قال تعالى فيهم: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ ۚ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَآثُورًا ۖ وَهُمْ فَاسِقُونَ ٨٤﴾ وَلَا تُعْجِبَكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ

أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٨٤﴾ [التوبة: ٨٤-٨٥] وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ، وَهُمْ قَدْ نَطَقُوا بِالشَّهَادَتَيْنِ بِالْإِسْلَامِ فَكَيْفَ كَفَرُوا؟ عَزَّوَجَلَّ- فِي دَعْوَاهُمْ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنَ الْقُرْآنِ.

- وَقَالَ آخَرُونَ: الْإِيمَانُ : التَّصَدِيقُ بِالْجَنَانِ وَالْإِقْرَارُ بِاللِّسَانِ. وَهَذَا الْقَوْلُ مُخْرِجٌ لِزَكَانِ الْإِسْلَامِ الظَّاهِرَةِ الْمَذْكُورَةِ فِي حَدِيثِ جَبْرِيلَ، وَهُوَ ظَاهِرُ الْبُطْلَانِ.
- **والطائفة الثانية الخوارج** : قالوا : إن الأقوال والأعمال من الإيمان ، ولكنها شرط في وجوده بمعنى أنه إذا فُقدَ منها شيء فُقدَ الإيمان كله ، فقالوا : من لم يزك فهو كافر ، ومن لم يصلي فهو كافر ، ومن لم يصم فهو كافر ، ومن لم يحج فهو كافر ، ومن عاق والديه فهو كافر ، وهكذا في كل كبيرة .

- **الطائفة الثالثة المعتزلة** : قالوا: لا نسميه كافراً ولا نسميه مؤمناً ، ولكن نقول : هو في منزلة بين منزلتين ، وهذا الأخير مذهب من يرون أنفسهم أذكىء العالم وهم المعتزلة ، فأحدثوا مرتبة لم ينزل الله بها سلطاناً وهي المنزلة بين منزلتين .
- **منشأ الخلاف** : خمسة أصول^(١) :

- **الأصل الأول** : أن الإيمان أصل ، له شعب متعددة كل شعبة منها تسمى إيماناً فأعلاها : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأدناها إمارة الأذى عن الطريق ، فمنها : ما يزول الإيمان بزواله إجماعاً ، كشعبة الشهادتين ومنها : ما لا يزول بزواله إجماعاً ، كترك إمارة الأذى عن الطريق ، وبين هاتين الشعبين ، شعب متفاوتة ، منها : ما يلحق بشعبة الشهادة ، ويكون إليها أقرب ومنها ما يلحق بشعبة إمارة الأذى عن الطريق ويكون إليها أقرب والتسوية بين هذه الشعب في اجتماعها (كما هو عند الخوارج) مخالف للنصوص وما كان عليه سلف الأمة وأئمتها .

- **الأصل الثاني** : أن الكفر أصل ، له شعب متعددة كالإيمان . فكما أن شعب الإيمان : إيمان فشعب الكفر : كفر . والمعاصي كلها من شعب الكفر ، كما أن الطاعات كلها من شعب الإيمان ، ولا يسوى بينهما في الأسماء والأحكام ، وفرق بين من ترك الصلاة ، أو الزكاة أو الصيام أو أشرك بالله ، أو استهان بالمصحف ؛ وبين من يسرق ويزني أو يشرب أو يتهب ، أو صدر منه نوع موالاتة كما جرى لحاطب ؓ . فمن سوى بين شعب الكفر في الأسماء والأحكام ، أو سوى بين شعب الإيمان في ذلك ، فهو مخالف للكتاب والسنة ، خارج عن سبيل سلف الأمة داخل في عموم أهل البدع والأهواء .

(١) - نقلتها بتصرف يسير من «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (الجزء الثالث)» (ص ١٢ فما بعدها)

- قال ابن القيم: ولما كان الإيمان أصلاً له شعب متعددة ، وكل شعبة منها تسمى إيماناً ، فالصلاة من الإيمان ، كذلك الزكاة والحج والصيام - ثم قال - وكذلك الكفر ذو أصل وشعب ، فكما أن شعب الإيمان إيمان ، فشعب الكفر كفر ، والحياء شعبة من الإيمان ، وقلة الحياء شعبة من شعب الكفر ، والصدق شعبة من شعب الإيمان ، والكذب شعبة من شعب الكفر ، والصلاة والزكاة والصيام من شعب الإيمان ، وتركها من شعب الكفر ، والحكم بما أنزل الله من شعب الإيمان ، والحكم بغير ما أنزل الله من شعب الكفر ، والمعاصي كلها من شعب الكفر ، كما أن الطاعات كلها من شعب الإيمان " اهـ .
- **الأصل الثالث :** أن الإيمان مركب من قول وعمل .
- والقول : قسمان قول القلب ، وهو اعتقاده . وقول اللسان وهو المتكلم بكلمة الإسلام .
- والعمل قسمان : عمل القلب ، وهو : قصده ، واختياره ، ومحبته ، ورضاه وتصديقه ،
- وعمل الجوارح ، كالصلاة ، والزكاة ، والحج والجهاد ونحو ذلك من الأعمال الظاهرة .
- فإذا زال تصديق القلب ، ورضاه ، ومحبته لله ، وصدقه ، زال الإيمان بالكلية .
- وإذا زال شيء من الأعمال كالصلاة ، والحج والجهاد مع بقاء تصديق القلب وقبوله فهذا : محل خلاف - كما تقدم - هل يزول الإيمان بالكلية ، إذا ترك أحد الأركان الإسلامية كالصلاة والحج والزكاة والصيام أو لا يزول ؟ وهل يكفرتاركة أو لا يكفر ؟ وهل يفرق بين الصلاة ، وغيرها أو لا يفرق . كما تقدم .
- فأهل السنة : مجمعون على أنه لا بد من عمل القلب الذي هو : محبته ، ورضاه وانقياده . والمرجئة تقول يكفي التصديق ، فقط ويكون به مؤمناً .
- **الأصل الرابع :** أن الكفر نوعان : كفر عمل ، وكفر جحود وعناد . فكفر الجحود هو : أن يكفر بما علم ، أن النبي ﷺ جاء به من عند الله جحوداً وعناداً ، من أسماء الرب وصفاته و أفعاله وأحكامه التي أصلها توحيده وعبادته وحده لا شريك له ، وهذا مضاد للإيمان من كل وجه ،
- وأما كفر العمل فمنه ما يضاد الإيمان كالاستهانة بالمصحف وقتل النبي ﷺ وسبه . ومنه ما لا يضاد الإيمان من كل وجه مثل : الحكم بغير ما أنزل الله ، وترك الصلاة - على قول - فهذا كفر عمل لا كفر اعتقاد ، وكذلك قوله ﷺ :

- **في البخاري عن ابن عباس** رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال " لا ترجعوا بعدى كفاراً ، يضرب بعضكم رقاب بعض " (١)
 - **(صحيح) وقوله** ﷺ " من أتى كاهناً فصدقه ، أو امرأة في دبرها فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ " (٢) **من حديث أبي هريرة** ﷺ فهذا : من الكفر العملي وليس كالسجود للصنم والاستهانة بالمصحف وقتل النبي ﷺ وسبه ، وإن كان الكل يطلق عليه : كفراً .
 - وقد سمي الله سبحانه : من عمل ببعض كتابه وترك العمل ببعضه ، مؤمناً بما عمل به وكافراً بما ترك العمل به قال تعالى : ﴿ وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ﴾ إلى قوله : ﴿ أفئذ يؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ﴾ الآية [البقرة ٨٤-٨٥] فالإيمان العملي : يضاده الكفر العملي والإيمان الاعتقادي : يضاده الكفر الاعتقادي .
 - ومن الكفر العملي الذي لا يخرج من الملة :
 - **ما جاء الصحيحين عن ابن مسعود** ﷺ أن النبي ﷺ قال : " سباب المسلم فسوق ، وقتاله كفر " (٣) ففرق بين سبابه ، وقتاله وجعل أحدهما فسوق ، لا يكفر به ، والآخر كفراً ومعلوم : أنه إنما أراد الكفر العملي لا الاعتقادي وهذا الكفر لا يخرج من الدائرة الإسلامية ، والملة بالكلية كما لم يخرج الزاني والسارق والشارب ، من الملة وإن زال عنه اسم الإيمان .
 - وهذا : التفصيل هو قول الصحابة ، الذين هم أعلم الأمة بكتاب الله ، وبالإسلام والكفر ولوازمهما ، فلا تتلقى هذه المسائل إلا عنهم .
 - والمتأخرون : لم يفهموا مرادهم فانقسموا فريقين : **فريق أخرجوا من الملة** من عمل شيئاً من الكبائر وقضوا عليهم بالخلود في النار **وهم الخوارج** . **وفريق : جعلوهم مؤمنين كاملي الإيمان** ، وهم المرجئة ، **فأولئك غلوا وهؤلاء جفوا** ، وهدى الله أهل السنة للطريقة المثلى ، والقول الوسط الذي
-
- (١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (١٧٦ / ٢) برقم: (١٧٣٩) (كتاب الحج ، باب الخطبة أيام منى) (بهذا اللفظ) .
- (٢) - أخرجه أبو داود في "سننه" (٤ / ٢١) برقم: (٣٩٠٤) (كتاب الكهانة والتطير ، باب في الكهان) (بهذا اللفظ) . قال الأرئوط في «سنن أبي داود ت الأرئوط» (٤٨ / ٦): "حديث صحيح دون قوله: "حائضاً" وهذا إسناد رجاله ثقات لكن قال البخاري في "تاريخه" في ترجمة حكيم الأثرم: لا يتابع في حديثه -يعني هذا الحديث- ولا نعرف = لأبي تميمه [قلنا: هو طريف بن مجالد الهُجيمي] سماعاً من أبي هريرة. " . وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢ / ٦٢٦): برقم ٢٤٣٣ ، وقال في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢ / ٦٢٧): "أبو تميمه تابعي ثقة عاصر أبا هريرة، وحكيم الأثرم، ثقة أيضاً، فالإعلال المذكور غير جار على مذهب الجمهور الذي يكفي في الاتصال على المعاصرة بشرطه المعروف، ولذلك صحح الحديث غير ما واحد، لا سيما وله طرق أخرى خرجتها في "الإرواء" (٢٠٠٦) .
- (٣) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (١٨ / ١) برقم: (٤٨) (كتاب الإيمان ، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (١ / ٥٧) برقم: (٦٤) (كتاب الإيمان ، باب بيان قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سباب المسلم فسوق وقتاله كفر) (بلفظه مختصراً) .

هو في المذاهب كالإسلام في الملل ، فيها هنا كفر دون كفر ، ونفاق دون نفاق ، وشرك دون شرك ، وظلم دون ظلم .

• قال شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» (٣١٢ / ٧): «وَإِذَا كَانَ مِنْ قَوْلِ السَّلَفِ: إِنَّ الْإِنْسَانَ يَكُونُ فِيهِ إِيْمَانٌ وَنِفَاقٌ فَكَذَلِكَ فِي قَوْلِهِمْ: إِنَّهُ يَكُونُ فِيهِ إِيْمَانٌ وَكُفْرٌ لَيْسَ هُوَ الْكُفْرُ الَّذِي يَنْقُلُ عَنِ الْمِلَّةِ؛ كَمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَأَصْحَابُهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ قَالُوا: كَفَرُوا كُفْرًا لَا يَنْقُلُ عَنِ الْمِلَّةِ وَقَدْ اتَّبَعَهُمْ عَلَى ذَلِكَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَغَيْرُهُ مِنْ أَئِمَّةِ السُّنَّةِ» وعن عطاء كفر دون كفر وظلم دون ظلم وفسق دون فسق .

• وهذا : بين في القرآن، لمن تأمله . فإن الله سبحانه سمي الحاكم بغير ما أنزل الله كافراً وسمى الجاحد لما أنزل الله على رسول كافراً، وليس الكفران على حد سواء وسمى الكافر ظالماً، وفي قوله : ﴿ والكافرون هم الظالمون ﴾ [البقرة : ٢٥٤] وسمى من يتعد حدوده في النكاح، والطلاق والرجعة والخلع، ظالماً وقال : ﴿ ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه ﴾ [الطلاق : ١] وقال يونس عليه السلام : ﴿ إني كنت من الظالمين ﴾ [الأنبياء : ٨٧] وقال آدم عليه السلام ﴿ ربنا ظلمنا أنفسنا ﴾ [الأعراف : ٢٣] وقال موسى : ﴿ رب إني ظلمت نفسي ﴾ [القصص : ١٦] **وليس هذا الظلم / مثل ذلك الظلم .**

وسمى الكافر فاسق، في قوله : ﴿ وما يضل به إلا الفاسقين ﴾ [البقرة : ٢٦] وقوله : ﴿ ولقد أنزلنا إليك آيات بينات وما يكفر بها إلا الفاسقون ﴾ [البقرة : ٩٩] وسمى العاصي فاسقاً، في قوله : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ﴾ [الحجرات : ٦] وقال في الذين يرمون المحصنات : ﴿ وأولئك هم الفاسقون ﴾ [النور : ٤] وقال : ﴿ فلا رفت ولا فسوق ولا جدال في الحج ﴾ [البقرة : ١٩٧] **وليس الفسوق، كالفسوق .**

وكذلك : الشرك، شركان ؛ شرك : ينقل عن الملة، وهو الشرك الأكبر؛ وشرك : لا ينقل عن الملة، وهو الشرك الأصغر ، كشرك الرياء ؛

قال تعالى، في الشرك الأكبر : ﴿ إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار ﴾ [المائدة : ٧٢] وقال تعالى : ﴿ ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه

الطير ﴿ الآية [الحج: ٣١] وقال تعالى، في شرك الرياء : ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً ﴾ [الكهف : ١١٠] . **ومن السنة:**

- **(حسن) وفي الحديث:** قوله ﷺ " أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر " ^(١)
- **(صحيح) وفي الحديث :** " **عن ابن عمر** رضي الله عنهما سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ لَا وَالْكَعْبَةِ فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ لَا يُخْلَفُ بِغَيْرِ اللَّهِ فَإِنِّي سَمِعْتُ ﷺ يَقُولُ مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ " ^(٢) ومعلوم : أن حلفه بغير الله لا يخرج عن الملة، ولا يوجب له حكم الكفار؛ **فانظر: كيف انقسم الشرك، والكفر، والفسوق، والظلم، إلى ما هو كفر ينقل عن الملة، وإلى ما لا ينقل عن الملة.**
- وكذلك : النفاق ، نفاقان ؛ نفاق اعتقادي ؛ ونفاق عملي ؛ والنفاق الاعتقادي : مذكور في القرآن، في غير موضع، أوجب لهم تعالى به : الدرك الأسفل من النار؛ والنفاق العملي، جاء في قوله ﷺ :
- **فيهما عن ابن عمرو** رضي الله عنهما " أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها إذا أؤتمن خان وإذا حدث كذب وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر " ^(٣)
- **وكقوله ﷺ : فيهما عن أبي هريرة** رضي الله عنه " آية المنافق ثلاث ذكر منها إذا وعد أخلف وإذا عاهد غدر " ^(٤)
- **وفي لفظ لمسلم** " وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم " إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان " ^(٥)

(١) - أخرجه أحمد في "مسنده" (١٠ / ٥٦٢٦) برقم: (٢٤١٢٠) (مسند الأنصار رضي الله عنهم ، حديث محمود بن لبيد رضي الله عنه) (بهذا اللفظ) قال ابن حجر في «بلوغ المرام من أدلة الأحكام ت الزهيري» (ص ٤٥٠): «أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ بِسَنَدٍ حَسَنٍ». قال الأرئوط في «مسند أحمد» (٣٩ / ٣٩ ط الرسالة): «حديث حسن، رجاله رجال الصحيح إلا أنه منقطع، عمرو - وهو ابن أبي عمرو مولى المطلب - لم يسمعه من محمود بن لبيد». وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير وزيادته» (١ / ٣٢٣): برقم ١٥٥٥

(٢) - أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (١٠ / ١٩٩) برقم: (٤٣٥٨) (بنحوه) ، والضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" (١ / ٣١٤) برقم: (٢٠٦) (بنحوه) ، والحاكم في "مستدركه" (٤ / ٢٩٧) برقم: (٧٩٠٩) (بمثله). وصححه ووافقه الذهبي ، وأبو داود في "سننه" (٣ / ٢١٧) برقم: (٣٢٥١) (بمثله) ، والترمذي في "جامعه" (٣ / ١٩٤) برقم: (١٥٣٥) (بهذا اللفظ) وقال : "حديث حسن". قال الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها» (٥ / ٧٠): "...بل هو صحيح، فقد تابعه جرير عن الحسن بن عبيد الله به باللفظ الثاني ، إلا أنه قال: " كفر " ولم يشك. أخرجه الحاكم، وقال: " صحيح على شرط الشيخين " ، ووافقه الذهبي. قلت: وإنما هو على شرط مسلم". ، وصححه في «إرواء الغليل» (٨ / ١٨٩): برقم ٢٥٦١.

(٣) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ١٦) برقم: (٣٤) (كتاب الإيمان ، باب علامة المنافق) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (١ / ٥٦) برقم: (٥٨) (كتاب الإيمان ، باب بيان خصال المنافق) (بنحوه).

(٤) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ١٦) برقم: (٣٣) (كتاب الإيمان ، باب علامة المنافق) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (١ / ٥٦) برقم: (٥٩) (كتاب الإيمان ، باب بيان خصال المنافق) (بنحوه).

(٥) - أخرجه مسلم في صحيحه (١ / ٥٦) برقم: (٥٩) (كتاب الإيمان ، باب بيان خصال المنافق) (بهذا اللفظ).

- **الأصل الخامس:** أنه لا يلزم من قيام شعبة من شعب الإيمان بالعبد، أن يسمى مؤمناً، ولا يلزم من قيام شعبة من شعب الكفر، أن يسمى كافراً، وإن كان ما قام به كفر، كما أنه لا يلزم من قيام جزء من أجزاء العلم، أو من أجزاء الطب، أو من أجزاء الفقه، أن يسمى عالماً، أو طبيباً، أو فقيهاً؛ وأما الشعبة نفسها، فيطلق عليها اسم الكفر كما في الحديث:
 - **مسلم عن أبي هريرة** رضي الله عنه قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "اِثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا يَهُمُّ كُفْرُ الطَّعْنِ فِي النَّسَبِ وَالنِّيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ" ^(١)
 - **وفيهما عن ابن عمر** رضي الله عنهما قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "أَيُّمَا امْرِئٍ قَالَ لِأَخِيهِ يَا كَافِرٌ فَقَدْ بَاءَ بِهِمَا أَحَدُهُمَا" وزاد مسلم "إِنْ كَانَ كَمَا قَالَ وَإِلَّا رَجَعَتْ عَلَيْهِ" ^(٢)
 - **وفي لفظ لمسلم:** "إذا كفر الرجل أخاه" ^(٣)
 - **وفي مسلم عن أبي ذر** رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: "لَيْسَ مِنْ رَجُلٍ ادَّعَى لغير أبيه وهو يعلمه إلا كفر ومن ادَّعى ما ليس له فليس منا وليتَّبوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ وَمَنْ دَعَا رَجُلًا بِالْكَفْرِ أَوْ قَالَ عَدُوَّ اللَّهِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ إِلَّا حَارَ عَلَيْهِ" ^(٤)
 - **وفي البخاري عن أبي ذر** رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "لَا يَرْمِي رَجُلٌ رَجُلًا بِالْفُسُوقِ وَلَا يَرْمِيهِ بِالْكَفْرِ إِلَّا ارْتَدَّتْ عَلَيْهِ إِنْ لَمْ يَكُنْ صَاحِبُهُ كَذَلِكَ" ^(٥) ولكنه لا يستحق اسم الكفر على الإطلاق.
- فمن عرف هذا، عرف فقه السلف، وعمق علومهم، وقلة تكلفهم؛ قال ابن مسعود رضي الله عنه: من كان متأسياً، فليتأس بأصحاب رسول الله ﷺ فإنهم أبر هذه الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً؛ قوم: اختارهم الله لصحبة نبيه، فاعرفوا لهم حقهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم؛ وقد كاد الشيطان بنى آدم، بمكيدتين عظيمتين، لا يبالي بأبيهما ظفر أحدهما: الغلو ومجاوزة الحد والإفراط. والثاني هو الإعراض، والترك والتفريط.

(١) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (١ / ٥٨) برقم: (٦٧) (كتاب الإيمان، باب إطلاق اسم الكفر على الطعن في النسب والنيابة على الميت) (بهذا اللفظ).

(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٨ / ٢٦) برقم: (٦١٠٤) (كتاب الأدب، باب من كفر أخاه بغير تأويل فهو كما قال) (بهذا اللفظ) ومسلم في "صحيحه" (١ / ٥٦) برقم: (٦٠) (كتاب الإيمان، باب بيان حال إيمان من قال لأخيه المسلم يا كافر) (بمثله مطولاً).

(٣) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (١ / ٥٦) برقم: (٦٠) (كتاب الإيمان، باب بيان حال إيمان من قال لأخيه المسلم يا كافر) (بهذا اللفظ).

(٤) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (١ / ٥٧) برقم: (٦١) (كتاب الإيمان، باب بيان حال إيمان من رغب عن أبيه وهو يعلم) (بهذا اللفظ).

(٥) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٨ / ١٥) برقم: (٦٠٤٥) (كتاب الأدب، باب ما ينهى من السباب واللعن) (بهذا اللفظ).

○ الفرع الثالث "الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية"

- تعريف الإيمان عند السلف أنه قوله واعتقاد وعمل يقتضي: أن الإيمان يزيد وينقص ، وقال بعض العلماء من السلف : "قل : يزيد ، ولا تقل : ينقص".
 - وقالت المرجئة : لا يزيد ولا ينقص .
 - وقالت الخوارج والمعتزلة : أنه كل لا يتجزأ إذا ذهب بعضه ذهب كله) ، ومقتضى قولهم أن الإيمان إما أن يوجد كله وإما أن يعدم كله ، والزيادة والنقص تشمل كلا من العقيدة ، والقول والعمل بدليل العقل والشرع. ومذهب المعتزلة كالخوارج في تخليد صاحب الكبيرة في النار، ولكنهم يقولون أنه في الدنيا في منزلة بين المنزلتين (ليس بمؤمن وليس بكافر) والخوارج قالوا يكونه كافرا كفرا أكبر. وسيأتي بيان مذهبهم بتفصيل في المسألة الخامسة (الوعد والوعيد)
 - خلاصة مذهب أهل السنة والجماعة في الزيادة والنقص.
 - أنهم يقولون : إن الإيمان يزيد وينقص وقد دل على ذلك الشرع والعقل :
- أما الشرع : فالكتاب والسنة وإجماع السلف :

- أما من الكتاب قوله ﴿ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ (آل عمران ١٧٣)، وقوله ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴾ (الأنفال ٢) وقوله ﴿ وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ (التوبة ١٢٤)، وقوله ﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ﴾ (مريم ٧٦)، وقوله ﴿ وَيَزِدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا ﴾ (المدثر ٣١)، وقوله ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ﴾ (الفتح ٤) وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ (التوبة ١٢٤) ، فيزدادون بجميع أنواع الزيادة في الأقوال والأفعال والاعتقاد بحسب نوع الأمر الذي أمروا بها
- وأما من السنة : فالأحاديث في ذلك كثيرة منها:

- ١- **ما جاء في قوله ﷺ: في صحيح مسلم عن أبي سعيد** رضي الله عنه "من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان" ^(١) فدل على أن الإيمان ينقص.
- ٢- **وفي رواية لمسلم عن ابن مسعود** رضي الله عنه : " أن ﷺ قال : ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدكم بیده فهو مؤمن ومن جاهدكم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدكم بقلبه فهو مؤمن ، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل" ^(٢)
- ٣- **وكما في البخاري عن أبي سعيد** رضي الله عنه : فذكر الحديث وفيه "أخرجوا من النار من كان في قلبه أدنى أدنى مثقال حبة من خردل من إيمان" ^(٣).
- ٤- **ما جاء فيهما عن أبي هريرة** رضي الله عنه "الايمن بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا اله الا الله وادناها إماطة الاذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان" ^(٤)
- ٥- **ولحديث حنظلة الأسدي** رضي الله عنه **في مسلم** - وَكَانَ مِنْ كُتَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : لَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ : كَيْفَ أَنْتَ يَا حَنْظَلَةُ؟ قَالَ : قُلْتُ : نَافَقَ حَنْظَلَةُ قَالَ : سُبْحَانَ اللَّهِ مَا تَقُولُ؟ قَالَ : قُلْتُ : نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ ، حَتَّى كَأَنَّا رَأَيْ عَيْنٍ ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ ، فَنَسِينَا كَثِيرًا . قَالَ أَبُو بَكْرٍ : فَوَاللَّهِ إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا ، فَأَنْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قُلْتُ : نَافَقَ حَنْظَلَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : وَمَا ذَاكَ؟ قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ نَكُونُ عِنْدَكَ تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ ، حَتَّى كَأَنَّا رَأَيْ عَيْنٍ ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ نَسِينَا كَثِيرًا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي ، وَفِي الذِّكْرِ لَصَافَحْتُكُمْ الْمَلَائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ ، وَفِي طَرَفِكُمْ ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً ثَلَاثَ مَرَّاتٍ . " **وفي لفظ لمسلم** : " يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً

(١) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (١ / ٥٠) برقم: (٤٩) (كتاب الإيمان ، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص) (بهذا اللفظ).

(٢) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (١ / ٥٠) برقم: (٥٠) (كتاب الإيمان ، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص) (بهذا اللفظ).

(٣) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٩ / ١٤٦) برقم: (٧٥١٠) (كتاب التوحيد ، باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (١ / ١٢٥) برقم: (١٩٣) (كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها) (بمثله).

(٤) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ١١) برقم: (٩) (كتاب الإيمان ، باب أمور الإيمان) (بنحوه) ، ومسلم في "صحيحه" (١ / ٤٦) برقم: (٣٥) (كتاب الإيمان ، باب شعب الإيمان) (بهذا اللفظ).

، وَلَوْ كَانَتْ تَكُونُ قُلُوبُكُمْ كَمَا تَكُونُ عِنْدَ الذِّكْرِ لَصَافَحْتَكُمْ الْمَلَائِكَةُ ، حَتَّى تُسَلِّمَ عَلَيْكُمْ فِي الطَّرِيقِ " .
(١)

■ **وفي لفظ لمسلم** (ولو كانت تكون قلوبكم كما تكون عند الذكر لصافحتكم الملائكة حتى تسلم عليكم في الطرق) (٢)

■ ٦- **ومثله حديث أبي سعيد الخدري** رضي الله عنه **فيهما** " : (بينا أنا نائم رأيت الناس يعرضون علي وعليهم قمص منها ما يبلغ الثدي ومنها ما دون ذلك وعرض علي عمر بن الخطاب وعليه قميص يجره) . قالوا فما أولت ذلك يا رسول الله ؟ قال : الدين " (٣)

■ **ولذلك قال النبي** ﷺ **للنساء : كما فيهما عن أبي سعيد** رضي الله عنه : (ما رأيت من ناقصات عقلٍ ودينٍ أذهب للبَّ الرجل الحازم من إحداكن) قالوا : يا رسول ما نقصان دينها ؟ قال : (أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم ؟) (٤) ، والصيام والصلاة عمل فجعل ﷺ نقصه من الحائض نقصاً في الدين .

○ **وأما الآثار السلفية , فكثيرة – أيضاً - :**

- قال شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» (٧ / ٢٢٤): «تَبَتَ لَفْظُ الزِّيَادَةِ وَالنُّقْصَانِ مِنْهُ عَنِ الصَّحَابَةِ وَلَمْ يُعْرَفْ فِيهِ مُخَالَفٌ مِنَ الصَّحَابَةِ؛ فَرَوَى النَّاسُ مِنْ وُجُوهِ كَثِيرَةٍ مَشْهُورَةٍ:
- عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَنْ جَدِّهِ عُمَيْرِ بْنِ حَبِيبٍ الْخَطَمِيِّ؛ وَهُوَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: الْإِيمَانُ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ؛ قِيلَ لَهُ: وَمَا زِيَادَتُهُ وَمَا نُقْصَانُهُ؟ قَالَ: إِذَا ذَكَّرْنَا اللَّهَ وَحَمِدْنَاهُ وَسَبَّحْنَاهُ فَتِلْكَ زِيَادَتُهُ؛ وَإِذَا غَفَلْنَا وَنَسِينَا فَتِلْكَ نُقْصَانُهُ.
- وَرَوَى إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَيَّاشٍ عَنْ حَرِيزِ بْنِ عُثْمَانَ عَنْ الْحَارِثِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ: الْإِيمَانُ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ.
- وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ حَدَّثَنَا حَرِيزُ بْنُ عُثْمَانَ قَالَ: سَمِعْتُ أَشْيَاخَنَا أَوْ بَعْضَ أَشْيَاخِنَا أَنَّ أَبَا الدَّرْدَاءِ قَالَ: إِنَّ مِنْ فِقْهِ الْعَبْدِ أَنْ يَتَعَاهَدَ إِيْمَانَهُ وَمَا نَقَصَ مَعَهُ وَمِنْ فِقْهِ الْعَبْدِ أَنْ يَعْلَمَ أَيْزَادُ الْإِيمَانُ أَمْ يَنْقُصُ؟ وَإِنْ مِنْ فِقْهِ الرَّجُلِ أَنْ يَعْلَمَ نَزَعَاتِ الشَّيْطَانِ أَلَّى تَأْتِيهِ.

(١) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ٩٤) برقم: (٢٧٥٠) (كتاب التوبة ، باب فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة) (بهذا اللفظ).

(٢) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ٩٥) برقم: (٢٧٥٠) (كتاب التوبة ، باب فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة) (بهذا اللفظ).

(٣) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ١٣) برقم: (٢٣) (كتاب الإيمان ، باب تفاضل أهل الإيمان في الأعمال) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (٧ / ١١٢) برقم: (٢٣٩٠) (كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل عمر رضي الله عنه) (بمثله).

(٤) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ٦٨) برقم: (٣٠٤) (كتاب الحيض ، باب ترك الحائض الصوم) (بهذا اللفظ).

- وَرَوَى إِسْمَاعِيلُ بْنُ عِيَّاشٍ عَنْ صَفْوَانَ بْنِ عَمْرٍو عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَبِيعَةَ الْحَضْرَمِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: الْإِيمَانُ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ.
- وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ طَلْحَةَ عَنْ زُبَيْدٍ عَنْ ذَرٍّ قَالَ كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَقُولُ لِأَصْحَابِهِ: هَلُمُّوا نَزِدْ إِيْمَانًا فَيَذْكُرُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ
- وَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ فِي " الْغَرِيبِ " فِي حَدِيثِ عَلِيٍّ: إِنَّ الْإِيمَانَ يَبْدُو لُمُظَةً فِي الْقَلْبِ وَكُلَّمَا أَزْدَادَ الْإِيمَانُ أَزْدَادَتْ اللَّمُظَةُ يُرَوَى ذَلِكَ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ عَمْرِو بْنِ هِنْدٍ الْجُمَلِيِّ عَنْ عَلِيٍّ قَالَ الْأَصْمَعِيُّ اللَّمُظَةُ: مِثْلُ التُّكْتَةِ أَوْ نَحْوُهَا»
- **وأما الإجماع:** قال في معارج القبول: وعلى هذا إجماع الأئمة المعتد بإجماعهم ، وأن الإيمان قول وعمل ، ويزيد وينقص ، وإذا كان ينقص بالفترة عن الذكر ، فلأن ينقص بفعل المعاصي من باب أولى .
- قال بعض السلف: "والله لا تكون مؤمنا حقا مستكمل الإيمان حتى تؤدي ما افترض الله عليك ، وتجتنب ما حرم الله عليك ، وترضى بما قسم الله لك ، ثم تخاف مع هذا أن لا يقبل الله منك".
- **وأما دليل العقل: فمن ذلك:**
 - أن العلم يتفاوت ، فلو جاءني رجل وقال قدم فلان وهو عندي ثقة صار عندي علما بقدمه ، فإذا جاء آخر وقال قدم فلان ازداد علمي ، وإذا جاء ثالث ازداد علمي ، فإذا رأيته ازدادا العلم ، والعلم في هذا كله يتفاوت من حيث القوة.
 - ولأن الأقوال تتفاوت ، فالذي يسبح عشرا ليس كمن يسبح واحدة.
 - ولأن الأفعال تتفاوت: فالذي يصلي عشر ركعات ليس كمن يصلي ركعتين .
 - ولأن إمكان الزيادة تدل على إمكان النقص.

○ **الفرع الرابع :** درجات الإيمان عند أهل السنة والجماعة . فمنه: أصل الإيمان الواجب

- ، وكمال الإيمان الواجب ، وكمال الإيمان المستحب.
- فكمال الإيمان الواجب هو: فعل الواجبات وترك المحرمات.
- وكماله المستحب هو: فعل المستحبات وترك المكروهات.
- فما نفي الإيمان عن فاعله فهو من المحرمات، وما نفي الإيمان عن تاركه فهو من الواجبات،
- ولم يرد نفي الإيمان لترك مستحب أو فعل مكروه -فيما أعلم-.**

- فمن أمثلة نفي كمال الإيمان الواجب من السنة :
- **ففيهما عن أنس** رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُحِبَّ لِجَارِهِ أَوْ قَالَ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ" ^(١) (وهذا قد يكون مثالا على نفي كمال الإيمان المستحب لأن محبة الإنسان لأخيه كمحبته لنفسه أمر متعذر جبلة ، إلا إذا حمل على وجوب الصدق والنصح له وعدم غشه والتغريبه فلا شك في وجوبه)

- **(مثال النفي لترك واجب وقد يكون مثالا على نفي كمال الإيمان المستحب)**
- **وفي مسلم عن أبي هريرة** رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا أَوْلَا أَدْلُكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ" ^(٢) (وهو هنا لم يقل أنه لا يؤمن أحدكم حتى يسلم على أخيه ، وإنما فيه حث على ذلك وإنما ورد نفي الإيمان إذا لم توجد المحبة وليس المقصود المحبة الجبلية لأنها متعذرة فإن الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف ، ولكن المقصود أن تقوم بواجباتك تجاه أخيك المسلم ولو كنت تكرهه جبلة ، ولكن لا يجوز أن تكون هذه الكراهية التي هي بسبب الجبلة ، أو بسبب أمر دنيوي أن تظلمه أو تعين على ظلمه ، أو تمنعه حقا من الحقوق الواجبة له . والله تعالى أعلم.

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ١٢) برقم: (١٣) (كتاب الإيمان ، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه) (بمثله مختصرا) ، ومسلم في "صحيحه" (١ / ٤٩) برقم: (٤٥) (كتاب الإيمان ، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير) (بهذا اللفظ) .

(٢) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (١ / ٥٣) برقم: (٥٤) (كتاب الإيمان ، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون) (بهذا اللفظ) .

■ (مثال نفي الإيمان لفعل محرم)

■ **فيهما عن أبي هريرة** رضي الله عنه : "قال رسول الله ﷺ (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن ولا ينتهب نهبة يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن)" ^(١)

■ **وفي البخاري ، عَنْ عِكْرِمَةَ ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ:** قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا يَزْنِي الْعَبْدُ حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلَا يَشْرَبُ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلَا يَقْتُلُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ . قَالَ عِكْرِمَةُ : قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ : كَيْفَ يُنْزَعُ الْإِيمَانُ مِنْهُ؟ قَالَ: هَكَذَا ، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ ، ثُمَّ أَخْرَجَهَا فَإِنْ تَابَ عَادَ إِلَيْهِ هَكَذَا ، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ . ^(٢)

■ **وفي البخاري عن أبي شريح** رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ قِيلَ وَمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ" ^(٣)

■ تنبيه :جميع ما تقدم من تلك الفروع الأربعة مبني على كون الإيمان منفردا عن الإسلام كما جاء في المسألة الرابعة من هذه المقدمة.

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٣ / ١٣٦) برقم: (٢٤٧٥) (كتاب المظالم ، باب النهي بغير إذن صاحبه) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في صحيحه (١ / ٥٥) برقم: (٥٧) (كتاب الإيمان ، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون) (بنحوه) .
 (٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٨ / ١٦٤) برقم: (٦٨٠٩) (كتاب الحدود وما يحذر من الحدود ، باب إثم الزناة) (بهذا اللفظ)
 (٣) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٨ / ١٠) برقم: (٦٠١٦) (كتاب الأدب ، باب إثم من لا يأمن جاره بوائقه يوبقهن يهلكهن موبقا مهلكا) (بهذا اللفظ) .

○ **المسألة الخامسة :** الوعد والوعيد في القرآن والسنة. (الخلاف مع المعتزلة والخوارج من جهة ، والمرجئة من جهة أخرى)

• أمثلة على الوعد والوعيد:

• من أمثلة الوعد :

- **قوله ﷺ في مسلم عن عثمان بن عفان** رضي الله عنه " مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ . " ^(١)
- **وقوله ﷺ فيهما عن عبادة ابن الصامت** رضي الله عنه : " مَنْ قَالَ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَابْنُ أُمِّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ، وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ ، وَأَنَّ النَّارَ حَقٌّ أَدْخَلَهُ اللَّهُ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ شَاءَ . " **وفي لفظ للبخاري** " أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ " ^(٢)

▪ **وقوله ﷺ فيهما عن أبي موسى الأشعري** رضي الله عنه " من صلى البردين دخل الجنة " ^(٣)

▪ **وقوله ﷺ فيهما عن أنس بن مالك** رضي الله عنه " مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ " ^(٤)

▪ **وقوله ﷺ فيهما عن أبي هريرة** رضي الله عنه " لَا يَمُوتُ لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْوَلَدِ تَمَسُّهُ النَّارُ إِلَّا تَحَلَّهَ الْقَسَمِ . " ^(٥)

• من أمثلة الوعيد:

▪ **فيهما عن أبي هريرة** رضي الله عنه عن النبي ﷺ قَالَ مَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ فِي نَارٍ جَهَنَّمَ يَتَرَدَّى فِيهِ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا وَمَنْ تَحَسَّى سُمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَسُمُّهُ فِي يَدِهِ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارٍ جَهَنَّمَ خَالِدًا

(١) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (١ / ٤١) برقم: (٢٦) (كتاب الإيمان ، باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرّم على النار) (بهذا اللفظ)

(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٤ / ١٦٥) برقم: (٣٤٣٥) (كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قوله يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم) (بنحوه) ، ومسلم في "صحيحه" (١ / ٤٢) برقم: (٢٨) (كتاب الإيمان ، باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرّم على النار) (بهذا اللفظ)

(٣) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ١١٩) برقم: (٥٧٤) (كتاب موافيت الصلاة ، باب فضل صلاة الفجر) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (٢ / ١١٤) برقم: (٦٣٥) (كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما) (بلفظه).

(٤) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ٣٧) برقم: (١٢٨) (كتاب العلم ، باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية أن لا يفهموا) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (١ / ٤٥) برقم: (٣٢) (كتاب الإيمان ، باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرّم على النار) (بمثله).

(٥) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٨ / ١٣٤) برقم: (٦٦٥٦) (كتاب الأيمان والنذور ، باب قول الله تعالى وأقسموا بالله جهد أيمانهم) (بهذا اللفظ) ومسلم في "صحيحه" (٨ / ٣٩) برقم: (٢٦٣٢) (كتاب البر والصلة والآداب ، باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه) (بمثله).

مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَجَأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا" (١)

- وفيهما عن جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رضي الله عنه قال: "سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ" (٢)
- وفيهما عن حذيفة رضي الله عنه "سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَاتٌ" وفي لفظ مسلم "نمام" (٣)
- وفيهما عن الحسن: "عَادَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ مَعْقِلَ بْنَ يَسَارٍ الْمُزَنِّيَّ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ قَالَ مَعْقِلٌ إِنِّي مُحَدِّثُكَ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَوْ عَلِمْتُ أَنَّ لِي حَيَاةً مَا حَدَّثْتُكَ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ مَا مِنْ عَبْدٍ اسْتَرْعَاهُ اللَّهُ رَعِيَّةً فَلَمْ يَحْطَهَا بِنَصِيحَةٍ إِلَّا لَمْ يَجِدْ رَاحَةَ حَرَمِ اللَّهِ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ" (٤)
- وفي لفظ للبخاري عنه "مَا مِنْ عَبْدٍ اسْتَرْعَاهُ اللَّهُ رَعِيَّةً فَلَمْ يَحْطَهَا بِنَصِيحَةٍ إِلَّا لَمْ يَجِدْ رَاحَةَ الْجَنَّةَ" (٥)
- وفي لفظ له عنه "مَا مِنْ وَالٍ يَلِي رَعِيَّةً مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَيَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لَهُمْ إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ" (٦)
- وفي مسلم عن أَبِي أَمَامَةَ رضي الله عنه: "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ مَنْ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ فَقَدْ أَوْجَبَ اللَّهُ لَهُ النَّارَ وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ وَإِنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ وَإِنْ قَضِيئًا مِنْ أَرَاكَ" (٧)

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٧ / ١٣٩) برقم: (٥٧٧٨) (كتاب الطب ، باب شرب السم والدواء به وبما يخاف منه والخبث (بهذا اللفظ) ومسلم في "صحيحه" (١ / ٧٢) برقم: (١٠٩) (كتاب الإيمان ، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه وأن من قتل نفسه بشيء عذب به في النار) (بمثله) .

(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٨ / ٥) برقم: (٥٩٨٤) (كتاب الأدب ، باب إثم القاطع) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (٨ / ٧) برقم: (٢٥٥٦) (كتاب البر والصلة والآداب ، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها) (بلفظه) .

(٣) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٨ / ١٧) برقم: (٦٠٥٦) (كتاب الأدب ، باب ما يكره من النميمة) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (١ / ٧٠) برقم: (١٠٥) (كتاب الإيمان ، باب بيان غلظ تحريم النميمة) (بنحوه) .

(٤) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٩ / ٦٤) برقم: (٧١٥٠) (كتاب الأحكام ، باب من استرعى رعية فلم ينصح) (بنحوه) ، ومسلم في "صحيحه" (١ / ٨٧) برقم: (١٤٢) (كتاب الإيمان ، باب استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار) (بهذا اللفظ) .

(٥) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٩ / ٦٤) برقم: (٧١٥٠) (كتاب الأحكام ، باب من استرعى رعية فلم ينصح) (بهذا اللفظ) .

(٦) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٩ / ٦٤) برقم: (٧١٥١) (كتاب الأحكام ، باب من استرعى رعية فلم ينصح) (بهذا اللفظ) .

(٧) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (١ / ٨٥) برقم: (١٣٧) (كتاب الإيمان ، باب وعيد من اقتطع حق مسلم بيمين فاجرة بالنار) (بهذا اللفظ) .

○ **المخالفون في المسألة :** وخالف في نصوص الوعد والوعيد طائفتان:

- **الطائفة الأولى : المعتزلة والخوارج** فهم يأخذون بنصوص الوعيد ، فيرون الخروج من الإيمان لكل من ارتكب كبيرة من كبائر الذنوب التي دون الكفر الأكبر ، لكن الخوارج يقولون هو كافر ، والمعتزلة يقولون هو في منزلة بين المنزلتين لا مؤمن ولا كافر وأول من أشتهر عنه ذلك : عمرو بن عبيد ، وتتفق الطائفتان على أنهم مخلصون في النار ، فيجرون نصوص الوعيد على ظاهرها ، ولا ينظرون إلى نصوص الوعد الدالة على أن من في قلبه إيمان وإن قل فإنه لا بد أن يدخل الجنة .
- **الطائفة الثانية : المرجئة** فهم يأخذون بنصوص الوعد ، فيرون أن استحقاق الجنة لكل من فعل أو قال شيئاً مما جاء في هذه النصوص ، ولو عمل ما عمل من المعاصي والذنوب ، ولا ينظرون إلى نصوص الوعيد . **وأصل الخلاف بينهم في هذا يعود للمسألة السابقة (الإيمان يزيد وينقص)** . فأهل السنة والجماعة قالوا: بأن الإيمان يزيد وينقص في الكمية والكيفية ، وفي إقرار القلب وفي أقوال اللسان وفي أعمال الجوارح فيزيد بالطاعة وينقص بالمعصية. وأما المعتزلة والخوارج فإن الإيمان عندهم كل لا يتجزأ كما تقدم.
- **من أدلة المخالفين :**

استدل الخوارج والمعتزلة بالتكفير بالذنوب بعمومات نصوص الوعيد التي منها :

- قوله سبحانه : ﴿ ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبداً ﴾ [الجن : ٢٣]
- وقوله تعالى : ﴿ ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها ﴾ [النساء : ١٤]
- وقوله تعالى : ﴿ ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها ﴾ الآية [النساء : ٩٣] وغير ذلك من الآيات .

- **قال ابن باز: " وكثير منهم قد يكون فهم الأمر على غير ما هو عليه لعجمته ، كما قال بعض السلف لعمر بن عبيد عندما قال : " إن العصاة مخلصون في النار لأن الله أوعدهم بذلك " فقالوا له إن الله يخلف إيعاده ولا يخلف مواعده ، لأن إخالف الإيعاد كرم وجود ، وأما إخالف الموعد فلؤم ، ولهذا ينزه الله عنه. وقالوا له: من عجمتك أوتيت. أي ظننت إخالف الإيعاد أمر مستقبح ، وليس كذلك كما قال الشاعر (وإني وإن أوعدته أو واعدته لمخلف إيعادي ومنجز مواعيدي) ، فهذا مدح .**

○ أما المرجئة فيقولون : إن أهل الكبائر لا يدخلون النار ، لأنهم يقولون : لا يضر مع الإيمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة ، ويقولون أيضاً : الأعمال لا تدخل في الإيمان إذا آمن الإنسان في قلبه

فهو مؤمن ولا يستحق العقاب ، ف قيل لهم : ما تقولون في آيات الوعيد وأحاديث الوعيد ؟ قالوا : هذه في الكفار أما المؤمن فلا يمكن أن يدخل النار ، وهو مذهب باطل .

○ وأجمع أهل السنة والجماعة : أن أصحاب الكبائر ، وإن دخلوا النار ، فإنهم لا يخلدون فيها إذا ماتوا على التوحيد ؛ وأن من دخل النار منهم بذنبه يخرج منها ، كما تواترت بذلك الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم .

○ **فها هنا تطرفان** (تطرف من جهة الأخذ بنصوص الوعيد ، وتطرف من جهة الأخذ بنصوص الوعد) ، وأهل السنة كان منهجهم وسطا بين نظريتين : فجمعوا بين نصوص الوعد والوعيد .

○ **فمذهب أهل السنة والجماعة في المسألة** : أنهم يؤمنون بآيات الوعيد ، والأحاديث الثابتة عن النبي ﷺ ، ولا يقولون بتخليد أحد من المسلمين من أهل الكبائر في النار كما تقول الخوارج والمعتزلة ؛ لما ثبت عن النبي ﷺ في الأحاديث الصحيحة أنه يخرج من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان ، وإخراجهم من النار ، بشفاعته نبينا محمد ﷺ ممن يشفع له من أهل الكبائر من أمته ، ويخرجون من النار أيضا بشفاعته غيره من الملائكة والأنبياء . **ويدل على ذلك أحاديث منها :**

○ **ففي الصحيحين حديث أنس** رضي الله عنه في الشفاعة وفيه قول النبي ﷺ : " فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فَيُؤْذَنُ لِي ، وَيُلْهِمُنِي مَحَامِدَ أَحْمَدُهُ بِهَا لَا تَخْضُرُنِي الْآنَ ، فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ ، وَأَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا ، فَيُقَالُ : يَا مُحَمَّدُ ارْزُقْ رَأْسَكَ ، وَقُلْ يُسْمَعُ لَكَ ، وَسَلْ تُعْطَ ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعَ ، فَأَقُولُ : يَا رَبِّ ، أُمِّي أُمِّي ، فَيُقَالُ : انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ شَعِيرَةٍ مِنْ إِيْمَانٍ ، فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ ، ثُمَّ أَعُودُ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا ، فَيُقَالُ : يَا مُحَمَّدُ ارْزُقْ رَأْسَكَ ، وَقُلْ يُسْمَعُ لَكَ ، وَسَلْ تُعْطَ ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعَ ، فَأَقُولُ : يَا رَبِّ أُمِّي أُمِّي ، فَيُقَالُ : انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ أَوْ خَرْدَلَةٍ مِنْ إِيْمَانٍ ، فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ ، ثُمَّ أَعُودُ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا ، فَيُقَالُ : يَا مُحَمَّدُ ارْزُقْ رَأْسَكَ ، وَقُلْ يُسْمَعُ لَكَ ، وَسَلْ تُعْطَ ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعَ ، فَأَقُولُ : يَا رَبِّ أُمِّي أُمِّي ، فَيُقَالُ : انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَذْنَى أَذْنَى أَذْنَى مِثْقَالِ حَبَّةٍ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ فَأَخْرِجْهُ مِنَ النَّارِ " (١)

■ **وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود** رضي الله عنه قَالَ : لَمَّا أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ انْتَهَى بِهِ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ، وَهِيَ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ إِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يُعْرَجُ بِهِ مِنَ الْأَرْضِ فَيُقْبَضُ مِنْهَا ، وَإِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يُهْبَطُ بِهِ مِنَ فَوْقِهَا فَيُقْبَضُ مِنْهَا ، قَالَ : { إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى } قَالَ : فَرَأَسْتُ مِنْ ذَهَبٍ . قَالَ : فَأُعْطِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٩ / ١٤٦) برقم: (٧٥١٠) (كتاب التوحيد ، باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (١ / ١٢٥) برقم: (١٩٣) (كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها) (بمثله) .

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثًا : أُعْطِيَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ ، وَأُعْطِيَ خَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ ، وَغُفِرَ لِمَنْ لَمْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ مِنْ أُمَّتِهِ شَيْئًا الْمُقْحِمَاتُ .^(١)

- قال النووي في «شرح النووي على مسلم» (٣/٣): «الْمُقْحِمَاتُ» هُوَ بِضَمِّ الْمِيمِ وَإِسْكَانِ الْقَافِ وَكَسْرِ الْحَاءِ وَمَعْنَاهُ الذُّنُوبُ الْعِظَامُ الْكَبَائِرُ الَّتِي تُهْلِكُ أَصْحَابَهَا وَتُورِدُهُمُ النَّارَ وَتُقْحِمُهُمْ إِيَّاهَا وَالتَّقْحُمُ الْوُقُوعُ فِي الْمَهَالِكِ وَمَعْنَى الْكَلَامِ: مَنْ مَاتَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ غَيْرَ مُشْرِكٍ بِاللَّهِ ، غُفِرَ لَهُ الْمُقْحِمَاتُ . وَالْمُرَادُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِغُفْرَانِهَا : أَنَّهُ لَا يَخْلُدُ فِي النَّارِ ، بِخِلَافِ الْمُشْرِكِينَ ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ أَنَّهُ لَا يُعَذَّبُ أَصْلًا ؛ فَقَدْ تَقَرَّرَتْ نُصُوصُ الشَّرْعِ ، وَاجْتِمَاعُ أَهْلِ السُّنَّةِ عَلَى إِثْبَاتِ عَذَابِ بَعْضِ الْعِصَاةِ مِنَ الْمُوَحِّدِينَ»
- وفي صحيح مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ ، فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا . .^(٢)

(١) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (١ / ١٠٩) برقم: (١٧٣) (كتاب الإيمان ، باب في ذكر سدرة المنتهى) (بهذا اللفظ)

(٢) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (١ / ١٣١) برقم: (١٩٩) (كتاب الإيمان ، باب اختباء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دعوة الشفاعة لأُمَّتِهِ) (بهذا اللفظ)

○ مسألة: الجمع بين أحاديث الوعد والوعيد^(١)

اعلم أن الأحاديث الدالة على أن الشهادتين سبب لدخول الجنة والنجاة من النار، لا تناقض بينهما وبين أحاديث الوعيد التي فيها من فعل ذنب كذا فالجنة عليه حرام ، أولا يدخل الجنة من فعل كذا ؛ لإمكان الجمع بين النصوص. **ومن أوجه الجمع:**

■ **الأول:** على معنى أنهم لا يدخلون الجنة إلا بعد العذاب إن لم يتوبوا ، فيكون هذا نفي مطلق ، والنفي المطلق يحمل على المقيد فيقال: لا يدخلون الجنة دخولا مطلقا لا يسبقه عذاب ، ولكنهم يدخلون الجنة دخولا يسبقه عذاب بقدر ذنوبهم ، ثم مرجعهم إلى الجنة ، وذلك لأن نصوص الشرع يصدق بعضها بعضها. **قال الشيخ ابن عثيمين:** وهذا أقرب إلى القواعد وأبين ؛ حتى لا تبقى دلالة النصوص غير معلومة فتقيد النصوص بعضها ببعض ، فيحمل المجمع على المفسر، والمطلق على المقيد ، والعموم على الخصوص.

■ **الثاني:** وهناك احتمال أن من كانت هذه حاله حري أن يختم له بسوء الخاتمة فيموت كافرا ، فيكون هذا الوعيد باعتبار ما يؤول حاله إليه ، **وحينئذ لا يبقى في المسألة إشكال** ، وقد يؤيده ما جاء في قوله تعالى : ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ من الآية [النور: ٦٣] ، وقوله تعالى : ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ عٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ فَلَمَّآ ءَاتٰهُمْ مِّنْ فَضْلِهِ بَخِلُواْ بِهِ وَتَوَلَّوْاْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ٧٧﴾ [التوبة: ٧٥-٧٧] . وقوله تعالى : ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي ءَٰذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَنْ يَهْتَدُواْ إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف: ٥٧]

■ **الثالث:** إن كل عمل دون الشرك والكفر المخرج عن ملة الإسلام ، فإنه يرجع إلى مشيئة الله ، فإن عذبه فقد استوجب العذاب ثم يدخله الجنة ، وإن غفر له فبفضله وعفوه ورحمته ، **وهو ما رجحه الشيخ ابن باز** ، ومعنى هذا القول بأن كل وعيد في الكتاب والسنة لأهل التوحيد ، فإنما هو على شريطة ألا أن يشاء الله تعالى أن يغفرو ويصفح ويتكرم ويتفضل فلا يعذب على ارتكاب تلك الخطيئة . فقد أخبر الله عز وجل في محكم كتابه ، أنه قد يشاء أن يغفردون الشرك من الذنوب

(١) - معظم ماجاء في هذه المسألة نقلته بتصرف يسير ، وتقديم وتأخير من كتاب «أحاديث العقيدة التي يوهم ظاهرها التعارض في الصحيحين دراسة وترجيح» (ص ٣٦١): للدكتور محمد بن سليمان الديبكي.

كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ - وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨] .

■ وكذلك لا تناقض بين الأحاديث التي فيها تحريم أهل هاتين الشهادتين على النار، وبين الأحاديث التي فيها إخراجهم منها بعد أن صاروا حمما لإمكان الجمع:

■ ١- بأن تحريم من يدخل بذنبه من أهل التوحيد ، بأن تحريمه عليها يكون بعد خروجه منها برحمة الله ، ثم بشفاعة الشافعين ، ثم يغتسلون في نهر الحياة ويدخلون الجنة فحينئذ قد حرموا عليها فلا تمسهم بعد ذلك.

■ ٢- أويكون المراد أنهم يحرمون مطلقا على النار التي أعدت للكافرين التي لا يخرج منها ، وهي ما عدا الطبقة العليا من النار التي يدخلها بعض عصاة أهل التوحيد ممن شاء الله تعالى عقابهم وتطهيرهم بها ، على قدر ذنبهم ، ثم يخرجون فلا يبقى فيها أحد . وهذه إشارة كافية في هذا الموضع.

■ ومن أوجه الجمع التي لا تخلو من ضعف :

■ ١- بأنها جنان كثيرة كما أخبرنا النبي ﷺ . فمعنى هذه الأخبار التي ذكرها من فعل كذا لبعض المعاصي حرم الله عليه الجنة ، أو لم يدخل الجنة معناه: لا يدخل بعض الجنان التي هي أعلى وأشرف وأنبل وأكثر نعيما وسرورا وبهجة وأوسع.

■ ٢- أو بأن أهل الجنة أيضا متفاوتون في دخول الجنة في السبق وارتفاع المنازل ، فيكون فاعل هذا الذنب لا يدخل الجنة التي يدخل فيه من لم يرتكب ذلك الذنب، وهذا واضح مفهوم للعارف بلغة العرب .

■ ٣- وحمله أكثر الشراح على من فعل ذلك مستحلا ، أي أن هذا الوعيد فيمن استحل هذا الفعل بدليل النصوص الكثيرة الدالة على أن من في قلبه إيمان وإن قل فلا بد أن يدخل الجنة ، قال الشيخ ابن عثيمين : وهذا القول ليس بصواب لأن من استحل كافر ولو لم يفعله ، فمن استحل قطيعة الرحم أو شرب الخمر مثلا فهو كافر ، وإن لم يقطع رحمه وإن لم يشرب الخمر.

● قال ابن رجب: وأحاديث هذا الباب نوعان:

■ أحدهما: ما فيه أن من أتى بالشهادتين دخل الجنة ، ولم يحجب عنها وهذا ظاهر ، فإن النار لا يخلد فيها أحد من أهل التوحيد الخالص ، بل يدخل الجنة ولا يحجب عنها إذا طهر من ذنوبه بالنار ، وقد يعفو الله عنه فيدخله الجنة بلا عقاب قبل .

- (١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (١٤٩ / ٧) برقم: (٥٨٢٧) (كتاب اللباس ، باب الثياب البيض) (بهذا اللفظ)، ومسلم في "صحيحه" (١ / ٦٦) برقم: (٩٤) (كتاب الإيمان ، باب من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة ومن مات مشركا دخل النار) (بمثله).
- (٢) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (١ / ١١٨) برقم: (١٨٥) (كتاب الإيمان ، باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار (بهذا اللفظ)
- (٣) - أخرجه البزار في "مسنده" (١٥ / ٦٦) برقم: (٨٢٩٢) (تتمة مرويات أبي هريرة ، أبو عبد الله الأغر عن أبي هريرة) (بهذا اللفظ) وعبد الرزاق في "مصنفه" (٣ / ٣٨٧) برقم: (٦٠٤٥) (كتاب الجنائز ، باب تلقئة المريض) (بنحوه). والطبراني في "الأوسط" (٦ / ٢٧٣) برقم: (٦٣٩٦) (باب الميم ، محمد بن عمرو بن خالد الحراني) (بمثله). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد حسين أسد» (١ / ١٨٣): «رَوَاهُ البزار، والطبراني (١) في الأوسط، والصغير، ورجاله رجال الصحيح». وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير وزيادته» (٢ / ١٠٩٨): برقم «٦٤٣٤»

■ **وفي الصحيحين من حديث أنس** رضي الله عنه إن الله تعالى يقول : وَعِزَّتِي وَجَلَالِي وَكِبْرِيَايَ وَعَظَمَتِي لأُخْرِجَنَّ مِنْهَا مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ .^(١)

■ **وفيهما عن عبادة** رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: " مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْفَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ وَالْجَنَّةُ حَقٌّ وَالنَّارُ حَقٌّ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ " ^(٢).

● رأي الشيخ محمد بن عبد الوهاب في أحاديث الوعد والوعيد.

● سئل الشيخ محمد بن عبد الوهاب : عن أحاديث الوعد، والوعيد، ... فأجاب : ما قال النبي صلى الله عليه وسلم حق يجب الإيمان به، ولو لم يعرف الإنسان معناه ؛ وفي القرآن آيات في الوعد والوعيد كذلك ؛ وأشكل الكل على كثير من الناس من السلف ومن بعدهم ؛ **ومن أحسن ما قيل في ذلك : أمروها كما جاءت ؛ معناه : لا تتعرضوا لها بتفسير، وبعض الناس تكلم فيها رداً لكلام الخوارج والمعتزلة ، الذين يكفرون بالذنوب ، أو يخلّدون أصحابها في النار، أنه ينفي الإيمان عن بعض الناس، لكونه لا يتمه ؛ كقوله للأعرابي " صل فانك لم تصل " والجواب الأول أصوب، وأهون، وأسمع، وهو الموافق لقوله تعالى : (والراسخين في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا [آل عمران ٧])**

● وسئل الشيخ محمد بن عبد الوهاب عن معنى : قول النبي ﷺ في حديث معاذ رضي الله عنه : **ففيهما** " حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً) إلى قوله : " أفلا أبشركم ؟ قال لا تبشركم فبتكلموا " ^(٣) ومعنى : **حديث أبي هريرة** رضي الله عنه **فيهما** أن النبي ﷺ " لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الْجَنَّةَ . قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: لَا ، وَلَا أَنَا ، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا " ^(٤) كيف الصواب ؟ فأجاب :

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (١٤٦ / ٩) برقم: (٧٥١٠) (كتاب التوحيد ، باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (١٢٥ / ١) برقم: (١٩٣) (كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها) (بمثله).
(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (١٦٥ / ٤) برقم: (٣٤٣٥) (كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قوله يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم) (بهذا اللفظ) ومسلم في "صحيحه" (٤٢ / ١) برقم: (٢٨) (كتاب الإيمان ، باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرّم على النار) (بنحوه)
(٣) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٢٩ / ٤) برقم: (٢٨٥٦) (كتاب الجهاد والسير ، باب اسم الفرس والحصان) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (٤٣ / ١) برقم: (٣٠) (كتاب الإيمان ، باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرّم على النار) (بمثله).
(٤) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (١٢١ / ٧) برقم: (٥٦٧٣) (كتاب المرضى ، باب تمنى المريض الموت) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (١٣٩ / ٨) برقم: (٢٨١٦) (كتاب صفة القيامة والجنة والنار ، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله) (بنحوه مختصراً).

أما مسألة معاذ : فالمعنى عند السلف على ظاهره ، وهو من الأمور التي يقولون : أمروها كما جاءت ؛ أعنى نصوص الوعد، والوعيد، لا يتعرضون للمشكل منه وأما قوله: " لا يدخل أحد منكم الجنة بعمله " فتلك مسألة أخرى على ظاهرها، أن الله لو يستوفي حقه من عبده ، لم يدخل أحد الجنة ، ولكن كما قال تعالى : ﴿ ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا ﴾ [الزمر ٣٥] . إذا فهمت ذلك فالمسألة الأولى واضحة ، مراده الرد على من ظن دخول الجنة بالتوحيد وحده ، بدون الأعمال ، وأما إذا أتى به وبالأعمال ، وأتى بسيئات ترجح على حسناته ، أو تحبط عمله ، فلم يتعرض وهب لذلك بنفي ولا إثبات، لأن السائل لم يرده .

• وقالت طائفه من العلماء المراد من هذه الأحاديث أن لا إله إلا الله سبب لدخول الجنة والنجاة من النار، ولكن لا بد من استجماع الشروط وانتفاء الموانع ، فقد يتخلف المقتضى لفوات شرط من شروطه ، أو لوجود مانع ، وهذا ما ذكره شيخ الإسلام بأنه لا بد من شروط ، وانتفاء الموانع ، وهو مناسب لكل ما هو دون الكفر البواح ، أما الكفر البواح فلا يشترط فيه ما يشترط في غيره بالنسبة لأحكام الدنيا . وهذا قول الحسن ووهب بن منبه وهو أظهر .

• **فالذي يترجح في هذه المسألة -والله أعلم- هو القول بإطلاق هذه الأحاديث كما جاءت -سواءً أحاديث الوعد أو أحاديث الوعيد المتعلقة بأحكام الآخرة- وحملها على ظاهرها ، واعتقاد أن هذه الأعمال سبب وموجب لتحقيق الوعد أو الوعيد المرتب عليها ، لكن لا يُحكم على معين بتحقيق الوعد أو الوعيد فيه حتى تتوفر فيه الشروط، وتنفي عنه الموانع ، وقد نصر هذا القول شيخ الإسلام ابن تيمية وقرره في مواضع كثيرة من كتبه .**
ويدل على صحة هذا القول في أحاديث الوعد:

- ١ - أنه ﷺ رتب دخول الجنة على الأعمال الصالحة -مع الإيمان وعدم الشرك- في كثير من الأحاديث، ولم يقتصر فيها على مجرد الإتيان بالشهادتين، ومن هذه الأحاديث:
- أ - **فيهما حديث أبي أيوب** رضي الله عنه أن رجلاً قال للنبي ﷺ : أخبرني بعمل يدخلني الجنة، فقال النبي ﷺ : "تعبد الله ولا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصل الرحم"^(١).

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٢ / ١٠٤) برقم: (١٣٩٦) (كتاب الزكاة ، باب وجوب الزكاة) (بهذا اللفظ) ، (ومسلم في "صحيحه" (١ / ٣٢) برقم: (١٣) (كتاب الإيمان ، باب بيان الإيمان الذي يدخل به الجنة وأن من تمسك بما أمر به دخل الجنة) (بنحوه مطولاً) .

■ ب - **فيهما حديث أبي هريرة** رضي الله عنه أن أعرابياً أتى النبي ﷺ فقال: دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة، قال: "تعبد الله لا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة المكتوبة وتؤدي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان"^(١)

■ ٢ - أن الروايات المطلقة -والتي فيها أن من جاء بالشهادة أو الشهادتين دخل الجنة أو حرمه الله على النار- جاءت مقيدة في روايات أخرى، فوجب حمل المطلق على المقيد. فالروايات المطلقة ليس فيها إلا أن لا إله إلا الله سبب لدخول الجنة والنجاة من النار، ومقتضى لذلك، ولكن لا بد لحصول المسبب والمقتضى من توفر الشروط وانتفاء الموانع، أما إذا تخلف شرط أو وجد مانع فلا ريب أنه قد يتخلف المسبب أو المقتضى. ولذلك لما قيل للحسن: إن ناساً يقولون: من قال: لا إله إلا الله دخل الجنة، قال: "من قال لا إله إلا الله فأدّ حقها وفرضها دخل الجنة".

- وقال وهب بن منبه لمن سألته: أليس لا إله إلا الله مفتاح الجنة؟ قال: "بلى، ولكن ما من مفتاح إلا وله أسنان، فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح لك، وإلا لم يفتح لك".
- قال ابن القيم معلقاً على حديث: "إن الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله"^(٢)، قال رحمه الله: "والشارع صلوات الله وسلامه عليه لم يجعل ذلك حاصلاً بمجرد قول اللسان فقط، **فإن هذا خلاف المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام**، فإن المنافقين يقولونها بألسنتهم وهم مع ذلك في الدرك الأسفل من النار، فلا بد من قول القلب وقول اللسان. وقول القلب يتضمن من معرفتها والتصديق بها ومعرفة حقيقة ما تضمنته -من النفي والإثبات- ومعرفة حقيقة الإلهية المنفية عن غير الله المختصة به التي يستحيل ثبوتها لغيره، وقيام هذا المعنى بالقلب علماً ومعرفة ويقيناً وحالاً: ما يوجب تحريم قائلها على النار، وكل قول رتب الشارع ما رتب عليه من الثواب فإنما هو القول التام".
- وقال الشيخ سليمان بن عبد الله: "أما النطق بها من غير معرفة لمعناها، ولا عمل بمقتضاها، فإن ذلك غير نافع بالإجماع".

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (١٠٥ / ٢) برقم: (١٣٩٧) (كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة) (بهذا اللفظ)، (١٠٥ / ٢) برقم: (١٣٩٧) (م) (كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة)، ومسلم في "صحيحه" (٣٣ / ١) برقم: (١٤) (كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان الذي يدخل به الجنة وأن من تمسك بما أمر به دخل الجنة) (بمثله).

(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٩٢ / ١) برقم: (٤٢٥) (كتاب الصلاة، باب المساجد في البيوت) (بهذا اللفظ)، ومسلم في "صحيحه" (١٢٦ / ٢) برقم: (٣٣) (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب الرخصة في التخلف عن الجماعة بعذر) (بمثله).

- ٣ - **فيهما أن أبا بكر** لما أراد قتال مانعي الزكاة احتج عليه عمر ابن الخطاب رضي الله عنه بقوله ﷺ: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله" ^(١) حيث فهم منه عمر رضي الله عنه وجماعة من الصحابة: أن من أتى بالشهادتين امتنع من عقوبة الدنيا بمجرد ذلك فتوقفوا في قتال مانعي الزكاة. وفهم الصديق أنه لا يمتنع قتاله إلا بأداء حقوقها لقوله ﷺ: "فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه" قال: والزكاة حق المال.
- ولما قرر أبو بكر رضي الله عنه هذا للصحابة رجعوا إلى قوله ورأوه صواباً، مع أن هذا الفهم الذي فهمه الصديق رضي الله عنه جاء ما يؤيده مرفوعاً إلى النبي ﷺ كما في حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله" ^(٢) فإذا علم أن عقوبة الدنيا لا ترتفع عن أدنى الشهادتين مطلقاً، بل قد يعاقب بإخلاله بحق من حقوق الإسلام فكذلك عقوبة الآخرة.
- وبهذا القول يُعلم الجمع -أيضاً- بين الأحاديث التي فيها تحريم النار على من قال لا إله إلا الله، والأحاديث التي فيها خروجه من النار بالشفاعة، وذلك بأن يكون المراد بتحريم النار على من قال لا إله إلا الله: **من قالها مستوفياً لشروطها منتفية عنه موانعها.**
- وأما الدلالة على صحة هذا القول في أحاديث الوعيد المتعلقة بأحكام الآخرة فظاهرة، وذلك أنه ﷺ **فرّق بين إطلاق هذه الأحاديث، وبين الحكم بها على المعين**، وذلك كما في حديث أنس رضي الله عنه قال:

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٢ / ١٠٥) برقم: (١٣٩٩) (كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة) (بهذا اللفظ)، (ومسلم في "صحيحه" (١ / ٣٨) برقم: (٢٠) (كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله) (بمثله).

(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ١٤) برقم: (٢٥) (كتاب الإيمان، باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم) (بهذا اللفظ). ومسلم في "صحيحه" (١ / ٣٩) برقم: (٢٢) (كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله) (بمثله).

- **(حسن)** "لعن رسول الله ﷺ في الخمر عشرة: عاصرها ومعتصرها وشاربها وحاملها .." ^(١) . ففي هذا الحديث أطلق رسول الله ﷺ اللعن على شارب الخمر على وجه العموم.
- **وقد ثبت في صحيح البخاري من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه:** أن رجلاً على عهد النبي ﷺ كان اسمه عبد الله، وكان يلقب حماراً، وكان يضحك رسول الله ﷺ، وكان النبي ﷺ قد جلدته في الشراب، فأُتي به يوماً فأمر به فجُلد، فقال رجل من القوم: اللهم العنه، ما أكثر ما يُؤتى به، فقال النبي ﷺ: "لا تلعنوه فوالله ما علمت إلا أنه يحب الله ورسوله" ^(٢) **ففي هذا الحديث نهي رسول الله ﷺ عن لعن هذا الرجل الذي يشرب الخمر مع إصراره على شربه وفي الحديث الأول لعن شارب الخمر، وذلك لأن لعن المطلق لا يستلزم لعن المعين الذي قام به ما يمنع لحوق اللعنة له.**

وهذا التفريق بين إطلاق نصوص الوعيد ، وبين الحكم بها على معين يجب تطبيقه في جميع نصوص الوعيد المتعلقة بأحكام الآخرة ، فمثلاً قوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:

- **فيهما** "إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار" ^(٣) يجب العمل به في تحريم اقتتال المؤمنين بغير حق، واعتقاد أن فاعل ذلك متوعد بهذا الوعيد، ومع ذلك فإننا لا نحكم على من فعل ذلك بالنار.

• قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "ثبت أن الأحاديث المتضمنة للوعيد يجب العمل بها في مقتضاها ، باعتقاد أن فاعل ذلك الفعل متوعد بذلك الوعيد، لكن لحوق الوعيد به متوقف على شروط وله موانع".

• وقال أيضاً: "وهذا كما في نصوص الوعيد، فإن الله سبحانه وتعالى يقول: {إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا} فهذا ونحوه من نصوص

(١) - أخرجه والضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" (٦ / ١٨١) برقم: (٢١٨٧) (بنحوه). وقال: "إسناده حسن"، والترمذي في "جامعه" (٢ / ٥٦٧) برقم: (١٢٩٥) (بهذا اللفظ) وقال "حديث غريب". قال ابن الملقن في «البدع المنيرة» (٨ / ٦٩٩): "...قال الترمذي: هذا حديث غريب. قال ابن القطان: وإنما لم يصححه؛ لأن في إسناده شبيب بن بشر ولم تثبت عدالته، وقال فيه أبو حاتم: لين الحديث. قلت: لكن وثقه ابن معين فينبغي إذن تصحيحه. قال: وقد روي نحو هذا من حديث ابن عباس، وابن عمر". قال الأرناؤوط في «سنن ابن ماجه» (٤ / ٤٦٩ ت الأرناؤوط): «صحيح لغيره، وهذا إسناد حسن في المتابعات والشواهد». وقال الألباني: "حسن صحيح" انظر «صحيح الجامع الصغير وزيادته» (٤٩٦٧).

(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٨ / ١٥٨) برقم: (٦٧٨٠) (كتاب الحدود وما يحذر من الحدود ، باب ما يكره من لعن شارب الخمر وإنه ليس بخارج من الملة) (بهذا اللفظ).

(٣) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ١٥) برقم: (٣١) (كتاب الإيمان ، باب وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (٨ / ١٧٠) برقم: (٢٨٨٨) (كتاب الفتن وأشرار الساعة ، باب إذا تواجه المسلمان بسيفيهما (بلفظه مختصراً).)

الوعيد حق ، لكن الشخص المعين لا يشهد عليه بالوعيد ، فلا يشهد لمعين من أهل القبلة بالنار ؛ لجواز أن لا يلحقه الوعيد لفوات شرط أو ثبوت مانع".
وقد ذكر أهل العلم أحد عشر سبباً تُسقط العقوبة على الذنب، وتمنع من إنفاذ الوعيد وهي كالتالي:

- ١ - التوحيد.
- ٢ - التوبة: وهي مانعة من إنفاذ الوعيد بالاتفاق.
- ٣ - الاستغفار.
- ٤ - الحسنات الماحية.
- ٥ - دعاء المؤمنين للمؤمن مثل صلاتهم على جنازته.
- ٦ - ما يُعمل للميت من أعمال البر كالصدقة ونحوها.
- ٧ - شفاععة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وغيره في أهل الذنوب يوم القيامة.
- ٨ - المصائب الدنيوية التي يُكفر الله بها الخطايا.
- ٩ - ما يحصل في القبر من الفتنة والضغط والروعة فإن هذا مما يكفر به الخطايا.
- ١٠ - أهوال يوم القيامة وكرهها وشدائدها.
- ١١ - رحمة الله وعفوه ومغفرته من غير شفاععة.

● وأما أحاديث الوعيد المتعلقة بأحكام الدنيا ، كالتى فيها إطلاق الكفر على من ارتكب بعض الكبائر أو نفى الإيمان عنه أو البراءة منه، فإنه لا يصح حملها على الكفر المخرج من الملة، لأن الإجماع منعقد -كما تقدم- على عدم كفر مرتكب الكبيرة ما لم تكن شركاً أو كفر أكبر، أو يكون مستحلّاً لها.

وعلى هذا فإن الصحيح في الأحاديث التي ورد فيها إطلاق الكفر على من ارتكب بعض الكبائر: أن المراد بها الكفر الأصغر والذي عبر عنه بعض السلف بقولهم كفردون كفر، **وضابط هذا الكفر:** أنه كل ما ثبت بنص أنه كفر، لكن دلت الدلائل على أنه ليس كفراً مخرجاً من الملة، مثال ذلك:

■ **قوله ﷺ: في الصحيحين** "لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض" ^(١) مع قوله تعالى: {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَفَاتِلُوا آلِي تَبَغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ} [الحجرات: ٩] فالكفر المراد في الحديث ليس الكفر المخرج من الملة، وإلا لما أثبت الله لمن تقاتلوا وصف الإيمان الذي هو في الآية الإسلام الظاهر.

● وأما الأحاديث التي ورد فيها نفى الإيمان عمّن ارتكب بعض الكبائر، فإن المراد بالمنفى فيها كمال الإيمان الواجب، وليس المراد نفى مطلق الإيمان، ولا نفى كمال الإيمان المستحب، وهذا هو الذي ذهب إليه جمع من أهل العلم، كما تقدم.

● كذلك أحاديث البراءة من أصحاب الكبائر فإنّها محمولة على هذا فيكون المعنى فيها: ليس من المؤمنين الإيمان الواجب الذي به يستحقون الثواب بلا عقاب.

وهذا القول والذي قبله في نصوص الكفر مبني على أصل عظيم عند أهل السنة والجماعة – **وقد تقدم بحثه في المسألة الرابعة** - وهو أن الشخص الواحد يمكن أن يجتمع فيه كفرو إيمان ونفاق وإيمان، وليس مرادهم بالكفر، أصل الكفر المخرج من الملة، فإنه لا يجتمع مع الإيمان، وإنما مرادهم شعبة من شعب الكفر إذ المعاصي كلها من شعب الكفر، كما أن الطاعات من شعب الإيمان، وكذلك ليس مرادهم بالنفاق: النفاق الاعتقادي المخرج من الملة، وإنما مرادهم النفاق العملي، **قال ابن القيم رحمه الله**: "الرجل قد يجتمع فيه كفرو إيمان وشرك وتوحيد، وتقوى وفجور، ونفاق وإيمان، وهذا من أعظم أصول أهل السنة، وخالفهم فيه غيرهم من أهل البدع، كالخوارج والمعتزلة والقدرية، ومسألة خروج أهل الكبائر من النار وتخليدهم فيها مبنية على هذا الأصل، وقد دل عليه القرآن والسنة، والفطرة وإجماع الصحابة" ثم ساق الأدلة على هذا الأصل.

فإذا قام بالشخص شيء من شعب الكفر فإنه ينتفى عنه الإيمان المطلق فلا يوصف به، وإنما يوصف بالإسلام - لأن كل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمنًا - ولذلك قال بعض السلف في قوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن .." قال: هذا الإسلام ودور

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ٣٥) برقم: (١٢١) (كتاب العلم، باب الإنصاف للعلماء) (بهذا اللفظ)، (ومسلم في "صحيحه" (١ / ٥٨) برقم: (٦٥) (كتاب الإيمان، باب لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض) (بمثله).

دائرة واسعة، وهذا الإيمان ودور دائرة صغيرة في وسط الكبيرة، فإذا زني أو سرق خرج من الإيمان إلى الإسلام، ولا يخرج من الإسلام إلا الكفر بالله.

- قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "الإنسان قد يكون فيه شعبة من شعب الإيمان ، وشعبة من شعب النفاق ، وقد يكون مسلمًا ، وفيه كفردون الكفر الذي ينقل عن الإسلام بالكلية ، كما قال الصحابة، ابن عباس رضي الله عنهما وغيره: كفردون كفر، وهذا قول عامة السلف وهو الذي نص عليه أحمد وغيره ممن قال في السارق والشارب ونحوهم ممن قال فيه النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "إنه ليس بمؤمن" إنه يُقال لهم: مسلمون لا مؤمنون، واستدلوا بالقرآن والسنة على نفي الإيمان مع إثبات اسم الإسلام، وبأن الرجل قد يكون مسلمًا ومعه كفر لا ينقل عن الملة بل كفردون كفر". وبناءً على هذا فإنه لا يلزم من إطلاق وصف الكفر أن يكون المراد به الكفر المخرج من الملة، بل قد يراد به الكفر الأصغر، كما أنه لا يلزم من نفي الإيمان نفيه بالكلية، بل قد يكون المراد نفي الإيمان الواجب مع بقاء وصف الإسلام.

○ **مسألة : قد يشكل على هذا القول الذي تقدم ترجيحه ما جاء في حديث الشفاعة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه كما في الصحيحين أنه ﷺ قال: " .. فيقول الله عز وجل شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قومًا لم يعملوا خيرًا قط** قد عادوا حممًا فيلقهم في نهر في أفواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل .. " قال: " فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتم يعرفهم أهل الجنة هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه " ^(١).

❖ **ووجه الإشكال أن هذا الحديث فيه التصريح بخروج قوم من النار وإدخالهم الجنة مع أنهم لم يعملوا خيرًا قط.**

والجواب عن هذا الإشكال في هذا الحديث وما في معناه: هو أنه محمول على أحد أمرين:

■ **أحدهما:** ما ذكره ابن خزيمة رحمه الله تعالى من أن "هذه اللفظة" لم يعملوا خيرًا قط " من الجنس الذي يقول العرب بنفي الاسم عن الشيء لنقصه عن الكمال والتمام ، فمعني هذه اللفظة على هذا الأصل: لم يعملوا خيرًا قط على التمام والكمال ، لا على ما أوجب عليه وأمر به . ويشهد لهذا التوجيه حديث المسيء صلاته حيث قال له النبي ﷺ: "ارجع فصل فإنك لم تصل" ، فإن النبي ﷺ لم يُرد في هذا الحديث نفى مطلق الصلاة لأنه قد رآه يصلي ، وإنما أراد نفى حقيقة الصلاة وكمالها الواجب.

■ **وثانيهما:** أن يقال أنه محمول على حالات خاصة يكون فيها تارك جنس العمل غير مخلص في النار ، وقد لا يدخلها أصلاً. ومن هذه الحالات التي يمكن تطبيق هذا الحديث عليها ما يلي:

■ ١ - سكان الأطراف البعيدة والجزر النائية ممن لم يصلهم من الإسلام إلا اسمه وينتشرفهم الشرك والجهل في الدين فهم غافلون عنه ، أو معرضون عمن تعلمه ، ولا يعرفون من أحكامه شيئاً ، فهؤلاء لا شك أن فيهم المعذور وفيهم المؤاخذ. والمؤاخذون درجات، فقد

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٦ / ٤٤) برقم: (٤٥٨١) (كتاب تفسير القرآن ، باب قوله إن الله لا يظلم مثقال ذرة يعني زنة ذرة) (بمثله مختصراً) ، ومسلم في "صحيحه" (١ / ١١٤) برقم: (١٨٣) (كتاب الإيمان ، باب معرفة طريق الرؤية) (بهذا اللفظ) .

يخرج بعضهم عن حكم الإسلام بمرة ، وقد يكون لا يخلد في النار.. وهكذا مما لا يعلم حقيقته إلا علام الغيوب.

■ ٢ - بعض شرار الناس آخر الزمان حين يفسحوا الجبل ويندرس الدين ، وعلى هذا جاء حديث حذيفة رضى الله عنه مرفوعاً:

■ (صحيح) "يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب حتى لا يُدرى ما صيام ولا صدقة ولا نسك، ويُسرَى على كتاب الله في ليلة فلا يبقى في الأرض منه آية ويبقى طوائف من الناس: الشيخ الكبير والعجوز يقولون: أدركنا آباءنا على هذه الكلمة: لا إله إلا الله فنحن نقولها" **قال صلة بن زفر لحذيفة: فما تغنى عنهم لا إله إلا الله وهم لا يدرون ما صيام ولا صدقة ولا نسك؟ فأعرض عنه حذيفة، فرددها عليه ثلاثاً كل ذلك يعرض عنه حذيفة، ثم أقبل عليه في الثالثة فقال: يا صلة تنجيمهم من النار.** فهؤلاء الذين يكونون في هذا الزمن -نسأل الله العافية- نقول فيهم كما قال حذيفة رضى الله عنه: إن لا إله إلا الله تنجيمهم من النار"^(١) ، إذ لا يعلمون غيرها في ذلك الزمان الذي هو أسوأ زمان.

● قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وكثير من الناس قد ينشأ في الأمكنة والأزمان التي يندرس فيها كثير من علوم النبوات ، حتى لا يبقى من يُبلغ ما بعث الله به رسوله ، ولا يكون هناك من يبلغه ذلك ، ومثل هذا لا يكفر، ولهذا اتفق الأئمة على أن من نشأ ببادية بعيدة عن أهل العلم والإيمان ، وكان حديث العهد بالإسلام ، فأنكر شيئاً من هذه الأحكام الظاهرة

(١) - أخرجه الحاكم في "مستدرکه" (٤ / ٤٧٣) برقم: (٨٥٥٤) (كتاب الفتن والملاحم ، يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب) (بهذا اللفظ) وصححه ووافقه الذهبي ، وابن ماجه في "سننه" (٥ / ١٧٣) برقم: (٤٠٤٩) (أبواب الفتن ، باب ذهاب القرآن والعلم) (بمثله) ، والبزار في "مسنده" (٧ / ٢٥٩) برقم: (٢٨٣٨) (مسند حذيفة بن اليمان رضى الله عنهما ، أبو مالك عن ربيعي عن حذيفة) (بلفظه مختصراً) . قال الأرئوط في «سنن ابن ماجه» (٥ / ١٧٣ ت الأرئوط): «إسناده صحيح. أبو مالك الأشجعي: هو سعد بن طارق بن أشيم، وأبو معاوية: هو محمد بن خازم الضرير، وعلي بن محمد: هو الطنّافسي. وقد صحح إسناده البوصيري في "مصباح الزجاجة" ورقة ٢٥٤، وكذلك الحاكم، ووافقه الذهبي، وقوى إسناده الحافظ في "الفتح" ١٣ / ١٦ . وقال الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها» (١ / ١٧٢): «وقال الحاكم: "صحيح على شرط مسلم". ووافقه الذهبي. قلت: وهو كما قال. وقال البوصيري في "الزوائد" (ق ٢٤٧ / ١) : "إسناده صحيح، رجاله ثقات" ثم قال: "وفي هذا الحديث نبأ خطير، وهو أنه سوف يأتي يوم على الإسلام يمحي أثره، وعلى القرآن فيرفع فلا يبقى منه ولا آية واحدة، وذلك لا يكون قطعا إلا بعد أن يسيطر الإسلام على الكرة الأرضية جميعها، وتكون كلمته فيها هي العليا. كما هو نص قول الله تبارك وتعالى (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله) ، وكما شرح رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك في أحاديث كثيرة سبق ذكر بعضها في المقال الأول من هذه المقالات (الأحاديث الصحيحة). وما رفع القرآن الكريم في آخر الزمان إلا تمهيدا لإقامة الساعة على شرار الخلق الذين لا يعرفون شيئا من الإسلام البتة، حتى ولا توحيده! وفي الحديث إشارة إلى عظمة القرآن، وأن وجوده بين المسلمين هو السبب لبقاء دينهم ورسوخ بنيانه وما ذلك إلا بتدارسه وتدبره وتفهمه ولذلك تعهد الله تبارك وتعالى بحفظه، إلى أن يأذن الله برفعه»

المتواترة ، فإنه لا يحكم بكفره حتى يعرف ما جاء به الرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، ثم ذكر حديث حذيفة السابق.

● الخلاصة.

"أن القول الصحيح في أحاديث الوعد وكذلك أحاديث الوعيد المتعلقة بأحكام الآخرة، هو إطلاق القول بها كما جاءت ، واعتقاد أن هذا العمل سبب لاستحقاق الوعد أو الوعيد المرتب عليه، لكن لا يحكم على معين بدخوله في هذا الوعد أو ذاك الوعيد حتي تتوفر فيه الشروط، وتنتفى عنه الموانع:

- قال في شرح الطحاوية: "لكننا نقف في الشخص المعين فلا نشهد له بجنة ولا نار إلا من علم، لأن حقيقة باطنه وما مات عليه لا نحيط به، لكن نرجو للمحسن ونخاف على المسيء".
 - وقال ابن عبد البر معلقاً على أحاديث الوعيد: "والآثار في هذا الباب كثيرة جداً لا يمكن أن يحيط بها كتاب، فالأحاديث اللينة ترجى والشديدة تخشى، والمؤمن بين الخوف والرجاء، والمذنب -إن لم يتب- في مشيئة الله".
 - "وأما الفاسق المَلِيّ والذي تدور حوله هذه الأحاديث فحكمه في الدنيا: أنه لا يُنفى عنه مطلق الإيمان ولا يوصف بالإيمان التام ، ولكن يُقال: مؤمن ناقص الإيمان ، أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته ، فلا يُعطى الاسم المطلق، ولا يسلب مطلق الاسم. وأما حكمه في الآخرة: فإنه تحت المشيئة، إن شاء الله تعالى عذبه ثم أدخله الجنة، وإن شاء أدخله الجنة ابتداءً مع اعتقاد أنه إن عُذِب فإنه لا يخلد في النار.
- وبهذا القول تتبين وسطية أهل السنة والجماعة بين الفرق، حيث أخذوا بمجموع النصوص ونظروا إليها كلها ولم يكونوا كالخوارج والمعتزلة ولا المرجئة الذين نظروا بعين واحدة، وإلى جانب واحد من النصوص وذلك أن الخوارج والمعتزلة أخذوا بنصوص الوعيد ومن ثمَّ حكموا على مرتكب الكبيرة في الآخرة بالخلود في النار. وأخرجته الخوارج في الدنيا من الإسلام، وجعلته المعتزلة في منزلة بين المنزلتين. وعلى النقيض من ذلك ذهب المرجئة الخالصة إلى أن مرتكب الكبيرة مؤمن كامل الإيمان، فأخذت بنصوص الوعد وأغفلت بنصوص الوعيد.^(١)

(١) - نقلاً عن «أحاديث العقيدة التي يوهم ظاهرها التعارض في الصحيحين دراسة وترجيح» (ص ٣٧٨-٣٨٠) للدكتور محمد بن سليمان الديخي.

○ المسألة السادسة : الحكم لمعين أو عليه، بالجنة أو بالنار؟

- أهل السنة والجماعة لا يحكمون لمعين بجنة ولا نار، لأن ذلك من أحكام الآخرة ، ولأنه حقيقة باطنه، وما مات عليه الإنسان، لا يمكن الإحاطة به . لكنهم يرجون للمحسن ، ويخافون على المسيء إلا من شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا يكفرون أحداً من أهل الإسلام بشيء من المعاصي التي دون الشرك والكفر، كالزنا ، والسرقه ، وأكل الربا ، وشرب المسكرات ، وعقوق الوالدين ، وغير ذلك من الكبائر ما لم يستحل ذلك .

فقد أجمعوا على أنه لا يكفر صاحب الكبيرة ما لم يستحلها ، فلا يكفر المسلم بفعل الزنا وشرب الخمر وأكل الربا ؛ لأن هذه المحرمات لا تنافي أصل الإيمان .

○ مسألة : قول صاحب الطحاوية : (ولا نُكْفِرُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ بِذَنْبٍ، مَا لَمْ يَسْتَحِلَّهُ).

فيه مسائل

- **الأولى :** هذه العبارة فيها تكفير بالنوع ، وهذا وعيد لأجل إطلاق النصوص وحمايةً للشريعة . فإذا جاء المعين لابد في حقه من وجود الشروط وانتفاء الموانع ، وإقامة الحجة ورد الشبهة والجواب عن شبهته .

- **الثانية :** قوله (وَلَا نُكْفِرُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ بِذَنْبٍ، مَا لَمْ يَسْتَحِلَّهُ) يعني أَنَّ أي ذنب لا يُكْفَرُ به حتى يستحله. وهذا ليس هو مُعْتَقَدُ أهل السنة والجماعة على هذا الإطلاق وإنما يُعَبَّرُونَ بتعبير آخر وهو مراد الطحاوي يقولون (ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بمجرد ذنب) كما يقوله طائفة من أئمة الدعوة ، أو (لا نكفر أحداً من أهل القبلة بكل ذنب) كما يقوله أيضاً طائفة من العلماء المتقدمين ومنهم شارح الطحاوية تبعاً لغيره.

فإذا قول الطحاوي (وَلَا نُكْفِرُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ بِذَنْبٍ) المقصود به الذنوب العملية من الكبائر كالخمر والزنا والسرقه وقذف المحصنات والتولي يوم الزحف ونحو ذلك من كبائر الذنوب العملية التي كَفَّرَ الخوارج بها.

- قال الشيخ صالح الفوزان : "(ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله) هذا كما سبق أن الذنب إذا لم يكن كفراً أو شركاً مخرجاً من الملة ، فإننا لا نُكْفِرُ به المسلم ، بل نعتقد أنه مؤمن ناقص الإيمان ، معرض للوعيد وتحت المشيئة. هذه عقيدة المسلم، ما لم يستحله ، فإذا استحل ما حرم الله فإنه يكفر، كما لو استحل الربا أو الخمر أو الميتة أو لحم الخنزير أو الزنا، إذا استحل ما حرم الله

كفر بالله ، وكذلك العكس: لو حرم ما أحل الله كفر: ﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم ﴾ [التوبة: ٣١] وجاء تفسير الآية بأنهم أحلوا لهم الحرام وحرّموا عليهم الحلال فأطاعوهم . أما لو فعل الذنب وهو لم يستحله ، بل يعترف أنه حرام فهذا لا يكفر ، ولو كان الذنب كبيرة دون الشرك والكفر ، لكنه يكون مؤمناً ناقص الإيمان أو فاسقاً بكبيرته مؤمن بإيمانه.

● وقوله: (لا تكفر بذنوب) ليس على إطلاقه، فتارك الصلاة متعمداً يكفر ، كما دل على ذلك الكتاب والسنة. ولا نقول: لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله: كما تقوله المرجئة ، يقولون: ما دام مصداقاً بقلبه فهو مؤمن كامل الإيمان، أما الأعمال فأمرها هيّ ، فالذي لا يصلي ولا يصوم ولا يحج ولا يزكي ولا يعمل شيئاً من أعمال الطاعة ، يقولون: هو مؤمن بمجرد ما في قلبه! وهذا من أعظم الضلال. فالرد عليهم أن الذنوب تضر على كل حال ، منها ما يزيل الإيمان بالكلية ، ومنها ما لا يزيله بالكلية بل ينقصه وصاحيها معرض للوعيد المرتب عليها.

● ونشهد بالجنة لكل من شهد له الكتاب والسنة بالعين، أو بالوصف. فمن الشهادة بالعين: الشهادة لأبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، ونحوهم ممن عينهم النبي ﷺ. ومن الشهادة بالوصف: الشهادة لكل مؤمن، أو تقي.

● ونشهد بالنار لكل من شهد له الكتاب والسنة بالعين ، أو بالوصف. فمن الشهادة بالعين: الشهادة لأبي لهب ، وعمرو بن لحي الخزاعي، ونحوهما. ومن الشهادة بالوصف: الشهادة بالنار لكل كافر، أو مشرك شركاً أكبر، أو منافق نفاقاً أكبر.

● ويعامل كل واحد من هؤلاء في أحكام الدنيا بحسب ظاهره ، وتفويض مآلهم في الآخرة إلى الله .

○ **مسألة:** فمن أظهر الكفر البواح حكمنا بكفره عينا ، كما نحكم بالإسلام لمن أظهره عينا .

فمن أظهر الكفر البواح الذي لا خلاف فيه كالشرك الأكبر ، وسب الدين ونحو ذلك ، حكمنا بكفره عينا في جميع أحكام الدنيا ، ومن أظهر الإسلام ، حكمنا بإسلامه عينا في جميع أحكام الدنيا ، لأن العبرة في أحكام الدنيا بالظواهر كما تقدم . وأما مآل الأعيان في الآخرة فأمره إلى الله تعالى ، مع الإيمان بأن أهل الكفر مآلهم النار ، ومآل أهل الإيمان الجنة إجمالاً.

● -(تنبيه مهم) :- لابد من التنويه بأن تطبيق أحكام الكفر على المعين ليس لأفراد الناس ، وإنما هو لولي الأمر ، وليس للمكلف سوى اعتقاد كفر من كفر ، إذا ثبت يقيناً أن الفعل الذي فعله ، أو القول الذي قاله ، من المكفرات المقطوع بها ، فهو بمثابة من يرى منكراً

فينكره بلسانه ، أو بقلبه ، وإن لم يتضح له الأمر فيكفي إنكاره بالقلب. أما تغير المنكر باليد في هذه المسألة من خلال تطبيق أحكام الكفر على المعين ، فهو من خصائص الحاكم الشرعي بالإجماع ؛ لأن التحقق من وجود الشروط وانتفاء الموانع في حق المعين ، والاستتابة ، لا تكون إلا من قاض شرعي تحت ولاية شرعية . والله تعالى أعلم.

○ المسألة السابعة: حكم الاستثناء في الإيمان :

- قال الشيخ ابن عثيمين في «شرح العقيدة السفارينية» (١/ ٤١٢): ذهب بعض العلماء : إلى أن الاستثناء في الإيمان حرام ، قالوا : لأنه ينبئ عن شك فإذا قلت أنا مؤمن ان شاء الله ، كأنك شك في الموضوع ، فيكون الاستثناء حراماً ؛ لأنك شككت هل أنت مؤمن أو غير مؤمن . وقال بعض العلماء : بل الاستثناء واجب يجب ، لأنك إذا قلت : أنا مؤمن ولم تقل إن شاء الله ، فإنك تكون قد زكيت نفسك وشهدت لها بأنك قمت بكل الواجبات ، وتزكية النفس حرام ، وعلى هذا فيجب أن تقول : أنا مؤمن إن شاء الله ؛ لئلا تزكي نفسك ، ولأنك لا تدري ، فلعلك الآن مؤمن ثم تكفر ، والإيمان النافع هو الذي يوافي به الإنسان ربه ، ويكون في آخر الحياة ، هذان قولان : الأول : تحريم الاستثناء ، والثاني : وجوب الاستثناء .

والصحيح : أن الاستثناء ينقسم إلى : واجب ، ومحرم ، وجائز :

- **الواجب :** فإذا كان الإنسان مستثنياً في إيمانه خوفاً من التزكية فالاستثناء واجب ، لأنه إذا جزم بأنه مؤمن فقد شهد لنفسه بأنه مؤمن ، والمؤمن له الجنة ، فيكون قد شهد لنفسه بأن له الجنة ، ولا يجوز للإنسان أن يشهد لأحد أن له الجنة إلا من شهد له الرسول ﷺ فإذا كان يخشى من التزكية فالاستثناء واجب .
- **المحرم :** وإذا كان الحامل للاستثناء التردد وعدم الجزم كان الاستثناء حراماً ، بل منافياً للإيمان ، بل هوردة يعني: إن شاء الله أني مؤمن ، متردد هل هو جازم أو غير جازم .
- **الجائز :** إذا كان الاستثناء للتعليل أي أنا مؤمن بمشيئة الله فهذا جائز؛ لأن هذه الحقيقة ، والدليل لذلك : قوله تعالى : ﴿ لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين ﴾ الآية (الفتح ٢٧) ، فالتعليل هنا ليس للتردد لأن الله غير متردد ، وإنما هو لبيان العلة ، وهو أن دخولكم بمشيئة الله ، ومن ذلك قول زائر القبور : وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ، فإن الإنسان لا يشك بأنه سيلحق بالأموات ، لكنه أتى بالمشيئة بياناً للتعليل ، أي أن لحوقنا بكم يكون بمشيئة الله تعالى .

○ المسألة الثامنة : هل الإيمان مخلوق ؟ ويدخل في ذلك " هل لفظي بالقرآن مخلوق؟ "

- قال شيخ الإسلام بن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٧ / ٦٥٥): «فصل» الإيمان هل هو مخلوق أو غير مخلوق؟

الجواب: إن هذه المسألة فشا النزاع فيها لما ظهرت محنة الجهمية في القرآن هل هو مخلوق أو غير مخلوق؟ وهي محنة الإمام أحمد وغيره من علماء المسلمين، فقد جرت فيها أمور يطول وصفها هنا. لكن لما ظهر القول بأن القرآن كلام الله غير مخلوق - وأطفا الله نار الجهمية المعطلة - صارت طائفة يقولون: إن كلام الله الذي أنزله مخلوق. ويعبرون عن ذلك باللفظ، فصاروا يقولون: ألفاظنا بالقرآن مخلوقة، أو تلاوتنا أو قراءتنا له مخلوقة. وليس مقصودهم مجرد أصواتهم وحركاتهم بل يدرجون في كلامهم نفس كلام الله الذي نقرأه بأصواتنا وحركاتنا، وعارضهم طائفة أخرى قالوا: ألفاظنا بالقرآن غير مخلوقة. ورد الإمام أحمد على الطائفتين، وقال: من قال: لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي، ومن قال: غير مخلوق فهو مبتدع.

وتكلم الناس حينئذ في الإيمان فقالت طائفة: الإيمان مخلوق، وأدخلوا في ذلك ما تكلم الله به من الإيمان، مثل قوله: «لا إله إلا الله» فصار مقتضى قولهم أن نفس هذه الكلمة مخلوقة لم يتكلم الله بها؛ فبدع الإمام أحمد هؤلاء، وقال: قال النبي ﷺ: «الإيمان بضغ وسئون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله» أفيكون قول «لا إله إلا الله» مخلوقاً. ومراذه أن من قال: هي مخلوقة مطلقاً كان مقتضى قوله: إن الله لم يتكلم بهذه الكلمة، كما أن من قال: ألفاظنا وتلاوتنا وقراءتنا القرآن مخلوقة كان مقتضى كلامه أن الله لم يتكلم بالقرآن الذي أنزله، وأن القرآن المنزل ليس هو كلام الله، وأن يكون جبريل نزل بمخلوق ليس هو كلام الله، والمسلمون يقرءون قرآننا ليس هو كلام الله. وقد علم بالاضطرار من دين الإسلام أن القرآن الذي يقرؤه المسلمون كلام الله - تعالى - وإن كان مسموعاً عن المبلغ عنه، فإن الكلام قد يسمع من المتكلم به، كما سمعه موسى بلاً واسطة وهذا سماع مطلق - كما يرى الشيء رؤية مطلقاً - وقد يسمعه من المبلغ عنه فيكون قد سمعه سماعاً مقيداً - كما يرى الشيء [في] الماء والمرأة رؤية مقيدة لا مطلقاً - ولما قال تعالى: {وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله} كان مغلوماً عند جميع من خوطب بالقرآن أنه يسمع سماعاً مقيداً من المبلغ، ليس المراد به أنه يسمع من الله.

- قيل لأحمد في طبقات الحنابلة: الإيمان مخلوق أم لا؟ فقال: أما ما كان من مسموع فهو غير مخلوق، وأما أفعال العباد فمخلوقة" اهـ.، ويقصد بالإيمان يعني: "الذي جاء في كتاب الله

وتكلم الله عز وجل بالأمر به فهو غير مخلوق" وأما أفعال العباد "ركوعهم سجودهم طوافهم ..."
 "...مخلوقة. ومن قال من السلف الإيمان مخلوق يجب حمله على أنهم يقصدون أفعال العباد.
 والواجب الإعراض عن الإثبات أو النفي كما تقدم .

- وقال الشيخ حافظ حكيم -رحمه الله= في «أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة = ٢٠٠ سؤال وجواب في العقيدة الإسلامية» (ص٤٧): «ما حكم من قال لفظي بالقرآن مخلوق؟ ج: **هذه العبارة لا يجوز إطلاقها نفياً ولا إثباتاً؛** لأن اللفظ معنى مشترك بين التلطف الذي هو فعل العبد، وبين الملفوظ به الذي هو القرآن، فإذا أطلق القول بخلقه شمل المعنى الثاني، ورجع إلى قول الجهمية، وإذا قيل: غير مخلوق شمل المعنى الأول الذي هو فعل العبد ، وهذا من بدع الاتحادية ، ولهذا قال السلف الصالح رحمهم الله تعالى: من قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي، ومن قال غير مخلوق فهو مبتدع .» أهـ.

المقدمة الثالثة

في بيان أركان الإيمان وفيها سبع مسائل

- **المسألة الأولى:** محل البحث في أركان الإيمان : متعلق باسم الإيمان باعتباره مجتمعاً مع الإسلام ، لا باعتباره منفرداً عنه ؛ لأنه إذا انفرد تضمن الإسلام ، أما إذا اجتمع مع الإسلام فهو منصب على الاعتقاد كما تقدم وهذا هو محل البحث هنا .
- **المسألة الثانية:** عدد أركان الإيمان ستة: الإيمان بالله ، وَمَلَائِكَتِهِ ، وَكِتَابِهِ ، وَلِقَائِهِ ، وَرُسُلِهِ ، واليوم الآخر ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ كُلِّهِ .

وهذه الأصول الستة: يتفرع عنها جميع ما يجب على المسلم اعتقاده في حق الله سبحانه ، وفي أمر المعاد وغير ذلك من أمور الغيب أما لفظة "ولقائه" كما جاءت في بعض ألفاظ الحديث - فهي داخلة في ركن الإيمان باليوم الآخر. وتم ذكره تأكيداً على أن هذا اللقاء هو أعظم أحداث يوم القيامة . والله تعالى أعلم.

فهذه الأمور الستة هي أصول العقيدة الصحيحة التي نزل بها كتاب الله العزيز ، وبعث الله بها رسوله محمداً ﷺ ، وجميع ما أخبر الله به ورسوله ﷺ .

○ **المسألة الثالثة:** أدلة أركان الإيمان.

أدلة هذه الأصول الستة في الكتاب والسنة كثيرة جداً ، فمن ذلك:

- قول الله سبحانه : (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبیین) [البقرة : ١٧٧] . وقوله سبحانه : (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله) [البقرة : ٢٨٥] . وقوله سبحانه : (يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضلّ ضلالاً بعيداً) [النساء : ١٣٦] .

أما الأحاديث الصحيحة الدالة على هذه الأصول فكثيرة جداً . منها :

■ **في الصحيحين عن أبي هريرة** رضي الله عنه قال: "كان ﷺ بارزا يوما للناس فأتاه جبريل فقال ما الإيمان قال أن تؤمن بالله وملائكته وبلقائه ورسوله وتؤمن بالبعث قال ما الإسلام قال الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به وتقيم الصلاة وتؤدي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان" ^(١)

■ **وفي لفظ لمسلم عنه:** "قال رسول الله ﷺ: سلوني، فهأبوه أن يسألوه، فجاء رجل، فجلس عند ركبتيه، فقال: يا رسول الله، ما الإسلام؟ قال: لا تشرك بالله شيئا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، قال: صدقت، قال: يا رسول الله، ما الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ولفائه، ورسوله، وتؤمن بالبعث، وتؤمن بالقدر كله، قال: صدقت، قال: يا رسول الله، ما الإحسان؟ قال: أن تخشى الله كأنك تراه، فإنك إن لا تكن تراه فإنه يراك، قال: صدقت، قال: يا رسول الله، متى تقوم الساعة؟ قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، وسأحدثك عن أشراطها، إذا رأيت المرأة تلد ربها، فذلك من أشراطها، وإذا رأيت الحفاة العراة الصم البكم ملوك الأرض فذلك من أشراطها، وإذا رأيت رعاء لهم يتطاولون في البنيان، فذلك من أشراطها، في خمس من الغيب لا يعلمهن إلا الله، ثم قرأ: {إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت} قال: ثم قام الرجل، فقال رسول الله ﷺ: رُدُّوه عليَّ، فالتمس، فلم يجدوه، فقال رسول الله ﷺ: هذا جبريل، أراد أن تعلموا إذ لم تسألوا. " ^(٢)

■ **وفي لفظ لمسلم عن ابن عمر** رضي الله عنهما وفيه "أخبرني عن الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا، قال: صدقت، قال: فعجبنا له، يسأله ويصدق، قال: فأخبرني عن الإيمان، قال: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره، قال: صدقت، قال: فأخبرني عن الإحسان، قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، قال: فأخبرني عن الساعة، قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، قال: فأخبرني عن أمارتها، قال: أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ١٩) برقم: (٥٠) (كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان والإسلام) (بهذا اللفظ)، ومسلم في "صحيحه" (١ / ٣٠) برقم: (٩) (كتاب الإيمان، باب الإيمان ما هو وبيان خصاله) (بمثله مطولا).

(٢) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (١ / ٣٠) برقم: (٩) (كتاب الإيمان، باب الإيمان ما هو وبيان خصاله) (بمثله مطولا).

البُنيان ، قَالَ : ثُمَّ انْطَلَقَ ، فَلَبِثْتُ مَلِيًّا ثُمَّ قَالَ لِي : يَا عُمَرُ ، أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ ؟ قُلْتُ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ ، أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ . " (١)

■ وَلَقَوْلُهُ ﷺ فِيهِمَا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ " ، **ولفظ البخاري** " بضع وستون" (٢)

○ **المسألة الرابعة:** الجمع بين قوله ﷺ أن الإيمان بضع وسبعون شعبة ، وبين قولهم أن الإيمان أركانه ستة.

الإيمان الذي هو العقيدة أصوله ستة ، وهي المذكورة في حديث جبريل عليه السلام حينما سأل النبي ﷺ عن الإيمان فقال: "الإيمان أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ورسله ، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره"

وأما قوله (الإيمان بضع وسبعون شعبة) (فهو تعريف له باعتباره منفردا عن الإسلام ، وهو بهذا المعنى (الإسلام والإيمان) فيشمل أعمال القلوب والجوارح فهو بضع وسبعون شعبة ولهذا اسى الله تعالى الصلاة إيمانا في قوله { وما كان الله ليضيع إيمانكم } {سورة البقرة، الآية: ١٤٣} قال المفسرون: يعني صلاتكم إلى بيت المقدس ؛ لأن الصحابة كانوا قبل أن يؤمروا بالتوجه إلى الكعبة يصلون إلى بيت المقدس.

○ **المسألة الخامسة:** مسألة مناسبة ترتيب هذه الأركان الأربعة.

، فالترتيب بين هذه الأربعة : الإيمان بالله ، قدم الإيمان بالله لأن منه المبتدأ وإليه المعاد والإيمان به هو المقصود ، وكل أمور الإيمان هي كالتفريع للإيمان بالله ، ثم الملائكة ؛ لأنهم هم الواسطة ، ثم الكتب لأن الملائكة تنزل بها ثم الرسل ينقلونها إلى الناس لأنهم هم ختام هذه السلسلة. "نص منقول من كلام الشيخ صالح آل الشيخ حفظه الله".

(١) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (١ / ٢٨) برقم: (٨) (كتاب الإيمان ،) (بهذا اللفظ)

(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ١١) برقم: (٩) (كتاب الإيمان ، باب أمور الإيمان) (بنحوه) ، ومسلم في "صحيحه"

(١ / ٤٦) برقم: (٣٥) (كتاب الإيمان ، باب شعب الإيمان) (بهذا اللفظ).

○ المسألة السادسة: أركان الإيمان غيبية.

الغيب لغة: "كل ما غاب عن الحواس".

واصطلاحاً: ما أخبر به الله تعالى ورسوله ﷺ مما غاب عن حواس الإنسان.

وأصول هذه الغيبيات هي تلك الأركان الستة ، فجميعها من علم الغيب ، وهو واضح في أربعة أركان وهي: الله ، والملائكة ، والقدر، واليوم الآخر. ولكن قد يشكل على البعض كيف تكون الرسل ، والكتب من علم الغيب ، وهي أمور موجودة ، ومحسوسة ؟ فيقال : إن وجود الرسل من حيث التأريخ ، ثابت كونهم بشرا وجدوا فعلا في وقت من أوقات التأريخ ، وكذلك الكتب ، من التوراة والإنجيل والقرآن وغيرها من الكتب ، قد وجدت ، فمن حيث التأريخ لا ينكر هذا أحد . ولكن الإيمان بهذين الركنين ينبني على أن هؤلاء البشر رسل من عند الله يوحى إليهم ، وأن هذه الكتب هي من عند الله ، وهذه أمور غيبية لا يصدق بها الكفار :

- قال تعالى ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ ۖ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۚ أَن لَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ۚ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ۚ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ ۖ مَا نَرْنَكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرْنَكَ أَتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِآدِي الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ۚ﴾ [هود: ٢٥-٢٧] .
- وقال قوم فرعون ﴿فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عِبَدُونَ ۚ﴾ [المؤمنون: ٤٧]
- ﴿وَإِذَا تَتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا ۖ إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ۚ﴾ [الأنفال:

○ **المسألة السابعة:** أركان الإيمان اعتقادية ، وهي عمل القلب ، ولها ارتباط بعمل الجوارح. أركان الإيمان أركان اعتقادية باطنة مكانها القلب ، فقد يكون الإنسان مسلماً لكنه غير مؤمن في الحقيقة كما تقدم في المقدمة السابقة. فحديث جبريل فسر الإسلام بالأعمال الظاهرة ، والإيمان بالتصديق القلبي لهذه الأركان الستة .

● قال الشيخ صالح آل الشيخ : "فالإيمان إقرارٌ وتصديقٌ وعملٌ، وهذه الأركان أركان الإيمان الستة لا يظهر تعلُّقها بنفسها بالعمل، فهي كلها أمور اعتقادية بحتة، فأين العمل في هذه الأركان الستة؟
الجواب عن هذا من جهتين:

أ - الجهة الأولى: أنَّ العمل مُتَضَمِّنٌ في هذه الأركان الستة:

- فالإيمان بالله إيمانٌ بربوبيته وألوهيته وبالأسماء والصفات. والإيمان بتوحيده في العبادة يعني بأنه هو المستحق للعبادة وحده - عز وجل - فيه التوجه إليه بالعبادة. وكذلك الإيمان بالربوبية فيه الاعتراف له بالربوبية. وهذا يلزم منه أن يُعْبَدَ أو أن يُشْكَرَ أو نحو ذلك وهذا مدخلٌ للعمل في الإيمان.
- والإيمان بالملائكة يتصل به العمل من جهة المراقبة، باعتقاده أنَّ الملائكة موجودون وأنَّ منهم من يُراقب العبد ويكتب ويحسب عليه {مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ} [ق:١٨].
- والإيمان بالكتب فيها الإيمان بأعظم الكتب وهو القرآن، والإيمان بالقرآن فيه العمل بما في القرآن من أوامر ونواهٍ والحكم به، وهذا عمل. الإيمان بالرسول فيه الإيمان بمحمد ﷺ؛ بل هو أعظم أركان الإيمان بعد الإيمان بالله جل جلاله، والإيمان بالنبي ﷺ أنه رسول لأبد فيه من العمل باتباع أوامره واجتناب نواهيه.
- والإيمان باليوم الآخر وأن الله يحاسب العباد فيجزى المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته، هذا يَبْعَثُ على العمل في أن يَتَّقِيَ السوء ويعمل بالخير.
- والإيمان بالقدر كذلك من جهة أنه متضمَّن إلى أنَّ العبد لا يعمل عملاً يسخط الله - عز وجل - فيما قدر، ويعمل عملاً يشكر الله - عز وجل - به فيما قدر. لأنَّ القدر إما خير يستوجب الشكر، أو شر بالنسبة للعبد يستوجب الصبر، وهذه أعمال. هذه هي الجهة الأولى من التعلق.

ب - الجهة الثانية:

أنه لا يُتَصَوَّرُ في الشرع أنَّ ثَمَّ إيمان بلا إسلام، كما أنَّه لا يُتَصَوَّرُ أن ثمة إسلاماً بلا إيمان. فكل إسلام لابد فيه من قدرٍ من الإيمان يصح معه الإسلام الظاهر. كذلك كل إيمان بهذه الأركان الستة الباطنة

الاعتقادية لابد معه من عملٍ، من إسلامٍ، يُصَحِّحُ هذا الإيمان. ولهذا كان من الشرط في صحة الإسلام أن يكون ثَمَّ إيمان، وفي صحة الإيمان أن يكون ثَمَّ إسلام.

فلا يُتَصَوَّرُ مسلمٌ ليس معه من الإيمان شيء، ولا يُتَصَوَّرُ مؤمنٌ ليس معه من الإسلام شيء." فإذا دَخَلَ العمل بدخول الإسلام -وهو أركان الإسلام- في صحة هذا الإيمان، فالإيمان المنجِّي إيمانٌ لابد معه من إسلام، وهذا ظاهرٌ بَيِّنٌ في أَنَّ الله لا يقبل عمل أحدٍ حتى يكون مؤمناً. "أهـ. فالإيمان مركب من قول وعمل .

والقول قسمان: قول القلب، وهو اعتقاده، وقوله اللسان وهو المتكلم بكلمة الإسلام. والعمل قسمان: عمل القلب، وهو: قصده، واختياره، ومحبته، ورضاه وتصديقه، وعمل الجوارح، كالصلاة، والزكاة، والحج والجهاد ونحو ذلك من الأعمال الظاهرة، فإذا زال تصديق القلب، ورضاه، ومحبته لله، وصدقه، زال الإيمان بالكلية.

المقدمة الرابعة في

بيان الركن الأول من أركان الإيمان وهو "الإيمان بالله"

والإيمان بالله يتضمن ثلاثة أمور اعتقادية متعلقة بالقلب:

○ **أولاً:** إفراد الله في ربوبيته وهو المقصود بتوحيد الربوبية: باعتقاد أنه وحده: الرب الخالق، الملك، المدبر لجميع الأمور . فتوحيد الربوبية يتضمن: وجوب اعتقاد نفي الخلق والملك والتدبير عن غير الله ، وإثبات ذلك كله لله وحده . وقد دل عليه الكتاب والسنة :

أما إفراده بالخلق فيكون: باعتقاد أنه لا خالق إلا الله كقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام: ١٠٢]

، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ [فاطر: ٣]

وقوله تعالى ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ﴾ [الرعد: ١٦]

أما إفراده بالملك فبأن نعتقد بأنه لا يملك الخلق إلا الله كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [المؤمنون: ٨٨-٨٩]

وأما إفراده بالتدبير: فبأن نعتقد بأنه لا مدبر إلا الله وحده كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنَّجْمُ مَسْحَرَتٌ بِأَمْرِهِ ۚ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤]

، وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣١]

وجه الاستدلال من الآيات: فجميع هذه الآيات وما جاء في معناها ، تتضمن: نفي الخلق والملك والتدبير عن غير الله وإثباتها لله وحده ، وصيغة الاستفهام أوضح في دلالاتي النفي والإثبات ، كما في قوله تعالى (هل من خالق غير الله ؟) فالجواب : لا خالق إلا الله فكأنك قلت لا إله إلا الله وهكذا ما جاء في معناها من الآيات.

ومن السنة:

- **ما جاء في صحيح البخاري عن عمران بن حصين** رضي الله عنه قال دخلت على النبي ﷺ وعقلت ناقتي بالبواب فأتاه ناس من بني تميم ، فذكر الحديث وفيه " قالوا قد قبلنا يا رسول الله قالوا جئناك نسألك عن هذا الأمر قال كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء وخلق السماوات والأرض " ^(١)
- **وفي لفظ للبخاري عنه** "كان الله ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء ثم خلق السماوات والأرض وكتب في الذكر كل شيء" ^(٢) .
- **وفي صحيح البخاري عن أبي سعيد الخدري** رضي الله عنه في غزوة بني المصطلق أنهم أصابوا سبايا فأرادوا أن يستمتعوا بهن ولا يحملن فسألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن العزل فقال: " ما عليكم أن لا تفعلوا فإن الله قد كتب من هو خالق إلى يوم القيامة **وفي لفظ** " ليست نفس مخلوقة إلا الله خالقها " ^(٣) .
- **وفي الصحيحين عن أبي هريرة** رضي الله عنه قال سمعت ﷺ يقول: " قال الله عز وجل ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا ذرة أو ليخلقوا حبة أو شعيرة " ^(٤) .

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٤ / ١٠٥) برقم: (٣١٩١) (كتاب بدء الخلق ، باب ما جاء في قول الله تعالى وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده) .

(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٩ / ١٢٤) برقم: (٧٤١٨) (كتاب التوحيد ، باب وكان عرشه على الماء)

(٣) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٩ / ١٢١) برقم: (٧٤٠٩) (كتاب التوحيد ، باب قول الله هو الله الخالق البارئ المصور) بهذا اللفظ ومسلم في "صحيحه" (٤ / ١٥٧) برقم: (١٤٣٨) (كتاب النكاح ، باب حكم العزل) بنحوه مطولا

(٤) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٩ / ١٦١) برقم: (٧٥٥٩) (كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى والله خلقكم وما تعملون) (بهذا اللفظ) ومسلم في "صحيحه" (٦ / ١٦٢) برقم: (٢١١١) (كتاب اللباس والزينة ، باب لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة) (بمثله مطولا.)

- **وفي البخاري عن أنس** رضي الله عنه : قال رسول الله ﷺ : " لن يبرح الناس يتساءلون حتى يقولوا هذا الله خالق كل شيء فمن خلق الله " (١) .
- **وفي مسلم عن أبي هريرة** رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال " اللهم رب السماوات ورب الأرض ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء " (٢) .
- **وفي صحيح البخاري عن بن عمر** رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: "مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله لا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله ولا يعلم ما في غد إلا الله ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله ولا تدري نفس بأي أرض تموت إلا الله ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله " (٣) .

وجه الاستدلال : فجميع هذه الأحاديث وما جاء في معناها تتضمن نفي الخلق والملك والتدبير عن غير الله وإثباتها لله وحده ، ومعنى لا إله إلا الله جلي ، من حيث النفي والإثبات **في مثله قوله** صلى الله عليه وسلم : **"ليست نفس مخلوقة إلا الله خالقها"** وقوله ﷺ **" كان الله ولم يكن شيء غيره "** وقوله صلى الله عليه وسلم " مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله " ، ففي كل منها نفي لخصيصة من خصائص الربوبية عن غير الله وإثباتها لله وحده وهو داخل في قولك : " لا إله إلا الله " والله تعالى أعلم.

○ **ثانياً :** إفراد الله في ألوهيته وهو المقصود بتوحيد الألوهية : فنؤمن بأنه الإله الحق ، وكل معبود سواه باطل

وهذا يقتضي اعتقاد ثلاثة أمور:

- **الأمر الأول:** نفي الألوهية — وهي استحقاق العبادة — عن غير الله ، باعتقاد وجوب البراءة من كل معبود سوى الله واعتقاد بطلانها ، ويلزم منه في جانب الإثبات: وجوب اعتقاد أن المستحق للعبادة كلها هو الله وحده .

وقد دل على ذلك الكتاب والسنة ، فمن الكتاب:

(١) — أخرجه البخاري في "صحيحه" (٩٦ / ٩) برقم: (٧٢٩٦) (كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب ما يكره من كثرة السؤال (بهذا اللفظ) ومسلم في "صحيحه" (٨٥ / ١) برقم: (١٣٦) (كتاب الإيمان ، باب بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها (بمعناه مطولاً.)

(٢) — أخرجه مسلم في "صحيحه" (٧٨ / ٨) برقم: (٢٧١٣) (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع) (بهذا اللفظ)

(٣) — أخرجه البخاري في "صحيحه" (٧٨ / ٦) برقم: (٤٦٩٧) (كتاب تفسير القرآن ، باب قوله الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام غيض نقص) (بهذا اللفظ)

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٦٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٦٧﴾﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٧]

وقوله تعالى: ﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنْتُمْ وَعِبَادُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الشعراء: ٧٥-٧٧]

وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ﴾ من الآية [البقرة: ٢٥٦]

■ وقوله تعالى: ﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ من الآية ١٦ سورة الكهف

■ وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾ [الحج: ٦٢]

وجه الاستدلال: أن معنى لا إله إلا الله ظاهر من حيث النفي والإثبات في تلك الآيات ، ففي جانب إثبات الألوهية لله وحده في قوله (ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ) وجانب نفيها عن غيره في قوله (وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ) ، وفي الثانية ، جانب النفي في قوله ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ﴾ وجانب الإثبات قوله ﴿وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ وهكذا في قوله ﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ ، وكذا في بقية الآيات ، وهذا كله داخل في معنى قولك: (لا إله إلا الله) والله تعالى أعلم.

ومن السنة:

■ **ما جاء في صحيح البخاري عن سعيد بن المسيب عن أبيه** قصة أبي طالب وفيه : "يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أشهد لك بها عند الله . فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ فلم يزل النبي ﷺ يعرضها عليه ، ويعودان بتلك المقالة ، حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم : هو على ملة عبد المطلب وأبى أن يقول لا إله إلا الله " (١)

وجه الاستدلال: فقد علم هذا الكافر وأبو جهل أنه لو قالها للزم منه اعتقاد بطلان ملة عبد المطلب والبراءة منها ، ولكنه أبى.

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٢ / ٩٥) برقم: (١٣٦٠) (كتاب الجنائز ، باب إذا قال المشرك عند الموت لا إله إلا الله) (بهذا اللفظ)

■ **قوله ﷺ كما في صحيح مسلم عن أبي مالك الأشجعي** **ﷺ** أن النبي **ﷺ** قال « من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله »^(١)

وجه الاستدلال : قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: "ومنها قوله **ﷺ** : "من قال : لا إله إلا الله وكفر بما يُعبد من دون الله ، حرم ماله ودمه ، وحسابه على الله " وهذا من أعظم ما يبين معنى "لا إله إلا الله" فإنه لم يجعل التلفُّظَ بها عاصماً للدم والمال ، بل ولا معرفة معناها مع لفظها ، بل ولا الإقرار بذلك ، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له ، بل لا يحُرِّم ماله ودمه حتى يُضَيَّفَ إلى ذلك الكفر بما يُعبد من دون الله . فإن شكَّ أو توقَّفَ لم يحُرِّم ماله ودمه . فيالها من مسألة ما أعظمها وأجلها ، وبإله من بيان ما أوضحه ، وحجة ما أقطعها للمنازع"^(٢) .

■ **وفيهما عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ** أنه قال "بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان" **وفي لفظ لمسلم** " أن يعبد الله ويكفر بما دونه"^(٣) **وفي لفظ لمسلم** " على أن يوحد الله"^(٤)

وجه الاستدلال : واضح مما تقدم فلا يكفي جانب الإثبات في إثبات الألوهية لله وحده ، بل لابد من البراءة من جميع الآلهة التي تعبد من دون الله وهو جانب النفي . والله تعالى أعلم.

(١) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (١ / ٣٩) برقم: (٢٣) (كتاب الإيمان ، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله) (بهذا اللفظ)

(٢) - انظر مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب ١٧/٦ / من كتاب التوحيد / باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله.

(٣) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (١ / ٣٤) برقم: (١٦) (كتاب الإيمان ، باب قول النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بني الإسلام على خمس) (بهذا اللفظ)

(٤) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (١ / ٣٤) برقم: (١٦) (كتاب الإيمان ، باب قول النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بني الإسلام على خمس) (بهذا اللفظ)

● **الأمر الثاني:** البراءة من كل عبادة تصرف لغير الله ، باعتقاد بطلانها ، فيلزم منه في جانب الإثبات : إفراد الله وحده في القصد والطلب بجميع العبادات الظاهرة والباطنة . وقد دل على ذلك الكتاب والسنة .

● فمن الكتاب:

- "قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥] فيبين في هذه الآية، وأمثالها، كقوله: ﴿أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [المؤمنون: ٣٢] أن الإلهية، هي العبادة؛ فإن: الإله، هو المألوه، الذي تأله القلوب، محبة، وتعظيماً، وتذلاً، وخضوعاً، وتوكلاً، ورغبة إليه، ورهبة، وخوفاً، ورجاءً، وغير ذلك من أنواع العبادة .
- وقوله تعالى: ﴿أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ [هود: ١-٢] فقوله: (ألا تعبدوا) فيه معنى: لا إله، وقوله: (إلا الله) هو المستثنى في هذه الكلمة العظيمة؛ وفي هذه الآيات: نفي الإلهية عما سوى الله، نفيّاً عاماً، بلا النافية للجنس، وأثبت الإلهية له وحده، دون كل ما سواه . والآيات في معنى هذه الكلمة: كثيرة في القرآن؛ قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣] فقوله: (ألا تعبدوا) نفي استحقاق العبادة لغيره، وأثبتها لنفسه بقوله: (إلا إياه) ٤-وقال تعالى: ﴿أَمْرٌ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [يوسف: ٤٠] ٥-وأمر نبيه ﷺ أن يدعو أهل الكتاب، إلى معنى هذه الكلمة، وما تضمنته: من النفي، والإثبات، في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ﴾ [آل عمران: ٦٤] والكلمة، هي: لا إله إلا الله؛ بالإجماع، ففسرها بقوله: (سواء بيننا وبينكم) أي نكون فيها سواء، علماً، وعملاً، وقبولاً، وانقياداً، فقال: (ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً) فنفي ما نفته: لا إله إلا الله، بقوله: (ألا نعبد) وأثبت ما أثبتته: لا إله إلا الله، بقوله: (إلا الله) ^(١)
- ومثل ذلك ما جاء في قوله تعالى: : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥] ، وقوله تعالى: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ وقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ ، وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وقوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ أَغْبَدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ﴾ من الآيتين ، ١٤ ، ١٥ الزمر

وجه الاستدلال : فجميع هذه الآيات تقتضي إفراد الله وحده بجميع أنواع العبادة دون غيره ، وهو داخل في داخل في معنى قولك (لا إله إلا الله) والله تعالى أعلم.

(١) - نقلته عن ابن القيم-رحمه الله- فيما أظن ، ولكنني نسيت المرجع .

ومن السنة:

- **ما جاء في الصحيحين عن معاذ بن جبل** رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "هل تدري ما حق الله على عباده؟". قلت الله ورسوله أعلم. قال "حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً". ثم سار ساعة ثم قال (يا معاذ بن جبل). قلت لبيك رسول الله وسعديك قال: "هل تدري ما حق العباد على الله إذا فعلوه". قلت الله ورسوله أعلم قال "حق العباد على الله أن لا يعذبهم" ^(١)
- **وفي الصحيحين عن بن عباس** رضي الله عنهما أن النبي ﷺ لما بعث معاذًا رضي الله عنه على اليمن قال: "إنك تقدم على قوم أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله فإذا عرفوا الله فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم فإذا فعلوا فأخبرهم أن الله فرض عليهم زكاة من أموالهم وتردد على فقرائهم فإذا أطاعوا بها فخذ منهم وتوق كرائم أموال الناس" ^(٢)
- **وفي لفظ آخر للبخاري** "فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى فإذا عرفوا ذلك" ^(٣)
- **وفي لفظ في الصحيحين** "فقال ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم" ^(٤)
- **وفي صحيح البخاري عن بن عباس** رضي الله عنهما في قصة هرقل وفيه "قال ماذا يأمركم قلت يقول اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً ... وسألتك بماذا يأمركم فزعمت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وينهاكم عما كان يعبد آبائكم" ^(٥)
- **وفي صحيح البخاري عن سعيد بن المسيب** عن أبيه قصة أبي طالب وفيه: "يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أشهد لك بها عند الله. فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد الله (بهذا اللفظ) ، وأخرجه البخاري في "صحيحه" (٢٩ / ٤) برقم: (٢٨٥٦) (كتاب الجهاد والسير ، باب اسم الفرس والحمار) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (٤٣ / ١) برقم: (٣٠) (كتاب الإيمان ، باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرم على النار) (بمثله).
- ^(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (١١٩ / ٢) برقم: (١٤٥٨) (كتاب الزكاة ، باب لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (٣٨ / ١) برقم: (١٩) (كتاب الإيمان ، باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله وشرائع الدين والدعاء إليه) (بمثله).
- ^(٣) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (١١٤ / ٩) برقم: (٧٣٧٢) (كتاب التوحيد ، باب ما جاء في دعاء النبي أمته إلى توحيد الله) (بهذا اللفظ)
- ^(٤) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (١٠٤ / ٢) برقم: (١٣٩٥) (كتاب الزكاة ، باب وجوب الزكاة) ، ومسلم في "صحيحه" (٣٧ / ١) برقم: (١٩) (كتاب الإيمان ، باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله وشرائع الدين والدعاء إليه)
- ^(٥) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٨ / ١) برقم: (٧) (بدء الوحي ، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (١٦٣ / ٥) برقم: (١٧٧٣) (كتاب الجهاد والسير ، باب كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام) (بنحوه).

المطلب ؟ فلم يزل صلى الله عليه وسلم يعرضها عليه ، ويعودان بتلك المقالة ، حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: هو على ملة عبد المطلب ، وأبى أن يقول لا إله إلا الله ^(١)

■ **وفي الصحيحين عن أبي هريرة** رضي الله عنه قال: "كان ﷺ بارزا يوما للناس فأتاه جبريل فقال ما الإيمان قال أن تؤمن بالله وملائكته وبلغائه ورسله وتؤمن بالبعث قال ما الإسلام قال أن تعبد الله ولا تشرك به وتقيم الصلاة وتؤدي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان" ^(٢)

■ **وفي صحيح البخاري عن أبي أيوب** رضي الله عنه "أن رجلا قال لرسول الله ﷺ أخبرني بعمل يدخلني الجنة قال ماله ماله وقال ﷺ أرب ماله ، تعبد الله ولا تشرك به شيئا ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصل الرحم" ^(٣)

■ **وفي صحيح مسلم عن عمرو بن عبسة السلمي** رضي الله عنه وفيه " فقلت وبأي شيء أرسلك قال أرسلني بصلة الأرحام وكسر الأوثان وأن يوحد الله لا يشرك به شيء" ^(٤)

وجه الاستدلال : جميع هذه الأحاديث اقتضت إفراد الله وحده بجميع أنواع العبادة دون غيره كما قوله صلى الله عليه وسلم (أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا) وقوله (وأن يوحد الله لا يشرك به شيء) وعم الرسول صلى الله عليه وسلم قد وجد عند الإثبات دون النفي فلم ينفعه ذلك ، وكل ذلك داخل في معنى قولك (لا إله إلا الله) والله تعالى أعلم.

(١) - سبق تخريجه

(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ١٩) برقم: (٥٠) (كتاب الإيمان ، باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان والإسلام) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (١ / ٣٠) برقم: (٩) (كتاب الإيمان ، باب الإيمان ما هو وبين خصاله) (بمثله مطولا).

(٣) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٢ / ١٠٤) برقم: (١٣٩٦) (كتاب الزكاة ، باب وجوب الزكاة) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (١ / ٣٢) برقم: (١٣) (كتاب الإيمان ، باب بيان الإيمان الذي يدخل به الجنة وأن من تمسك بما أمر به دخل الجنة) (بنحوه مطولا).

(٤) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٢ / ٢٠٨) برقم: (٨٣٢) (كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب إسلام عمرو بن عبسة) (بهذا اللفظ)

- **الأمر الثالث:** البراءة من من أهل الشرك باعتقاد كفرهم وبطلان ملتهم ، ووجوب بغضهم وعداوتهم ، فيلزم منه في جانب الإثبات: اعتقاد وجوب تولي ملة التوحيد وأهلها ، بنصرتهم ومحبتهم (١) .

وقد دل على ذلك الكتاب والسنة: . فمن الكتاب :

- جميع الآيات المتقدمة في الأمر الأول ، فإن البراءة من المعبود تتضمن البراءة من العابد لغير الله.
- وقوله تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ ﴾ من الآية ٤ سورة الممتحنة .
- وقوله تعالى: ﴿ وَأَعْتَزِلْكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴾ الآية ٤٨ سورة مريم .
- وقول فتية الكهف كما في قوله تعالى : ﴿ وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ﴾ من الآية ١٦ سورة الكهف.

وجه الاستدلال : فجميع هذه الآيات تضمنت وجوب البراءة من كل عابد لغير الله وهو جانب النفي ، وأثبتت التولي الكامل لله وحده : ففي الآية الأولى: جانب النفي يتمثل في قوله تعالى: (إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا) وجانب الإثبات (حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ) . والآية الثانية جانب النفي في قوله (وَأَعْتَزِلْكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ) وجانب الإثبات في قوله (وَأَدْعُوا رَبِّي) . وفي الثالثة جانب النفي في قوله (وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ) وجانب الإثبات في قوله (إِلَّا اللَّهَ) ، ففي تلك الآيات الثلاث براءة من العابد والمعبود معا ، وإثباتها لله وحده ولمن والاه . ، وكل ذلك داخل في معنى قولك: (لا إله إلا الله) والله تعالى أعلم .

أما أدلة السنة فمن ذلك :

- حديث أبي طالب المتقدم وفيه دليل على وجوب البراءة من ملة عبد المطلب.

(١) - قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله -: "أصل دين الإسلام، وقاعدته أمران:

- الأول: ١- الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، ٢- والتحريض على ذلك، ٣- والموالاتة فيه، ٤- وتكفير من تركه .
- الثاني: ١- الإنذار عن الشرك في عبادة الله ٢- والتغليظ في ذلك ٣- والمعاداة فيه ٤- وتكفير من فعله .

■ **حديث أبي مالك الأشجعي** رضي الله عنه المتقدم "من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله « فعمومه يشمل الكفر بالعاابد والمعبود .

ويدخل في ذلك البراءة من كل دين سوى الإسلام وقد دل على ذلك آيات كثيرة منها

■ قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ الآية ٨٥ سورة آل عمران.

■ وقوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾

■ وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ الآياتان ٦٧، ٦٨ من سورة آل عمران.

■ وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ الآية ١٢٣ من سورة النحل .

■ **وفي معنى تلك الآيات قوله** رضي الله عنه **كما جاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة** رضي الله عنه « وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٍّ وَلَا نَصْرَانِيٍّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ »^(١).

وفي جانب الإثبات وجوب تولي الله ورسوله والمؤمنين ، ويدل على ذلك آيات منها :

■ قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ [المائدة: ٥٥-٥٦]

■ وقوله تعالى : ﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاتَ وَيُحَذِّرْكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾ [آل عمران: ٢٨]

■ وقوله سبحانه: ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [المجادلة: ٢٢]

(١) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (١ / ٩٣) برقم: (١٥٣) (كتاب الإيمان ، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته)

○ **ثالثا :** إفراد الله في أسمائه وصفاته وهو المقصود بتوحيد الأسماء والصفات . فنؤمن بأن له الأسماء الحسنى، والصفات الكاملة العليا . وإفراد الله في أسمائه وصفاته يتضمن : وجوب اعتقاد تنزيه الله عن كل صفة نقص ، وعن التمثيل أو التشبيه ، وإثبات صفات الكمال المطلق له وحده ، وقد دل على ذلك الكتاب والسنة:

- فمن الكتاب : قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ الآية ١٨٠ سورة الأعراف.
- وقوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ من الآية ١١ سورة الشورى .
- وقوله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ سورة الإخلاص .

وجه الاستدلال:

ففي جميع تلك الآيات جاني النفي والإثبات كما في قولك : لا إله إلا الله ، ففي الآية الأولى فجانِب الإثبات قوله ﴿ فادعوه بها ﴾ وجانب النفي ﴿ وذروا الذين يلحدون في أسمائه ﴾ ، وفي الثانية فقوله (ليس كمثل شئ) هذا في جانب النفي ، ﴿ وهو السميع البصير ﴾ في جانب الإثبات ، وفي الثالثة السورة نصفان ، النصف الأول ﴿ قل هو الله أحد الله الصمد ﴾ في الإثبات ، والنصف الثاني ﴿ لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ﴾ في النفي .

ومن السنة:

- **في مسلم عن معاوية بن الحكم السلمي** رضي الله عنه قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي حَدِيثٌ عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ وَقَدْ جَاءَ اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ وَإِنَّ مِنَّا رَجَالًا يَأْتُونَ الْكُفَّانَ قَالَ فَلَا تَأْتِهِمْ قَالَ وَمِنَّا رَجَالٌ يَتَطَيَّرُونَ قَالَ ذَاكَ شَيْءٌ يَجِدُونَهُ فِي صُدُورِهِمْ فَلَا يَصُدُّهُمْ قَالَ ابْنُ الصَّبَّاحِ فَلَا يَصُدُّكُمْ قَالَ قُلْتُ وَمِنَّا رَجَالٌ يَخْطُونَ قَالَ كَانَ نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ يَخْطُ فَمَنْ وَافَقَ خَطَّهُ فَذَاكَ قَالَ وَكَانَتْ لِي جَارِيَةٌ تَرْعَى غَنَمًا لِي قَبْلَ أَحَدٍ وَالْجَوَانِيَّةُ فَاطْلَعَتْ ذَاتَ يَوْمٍ فَإِذَا الدِّيبُ قَدْ ذَهَبَ بِشَاةٍ مِنْ غَنَمِهَا وَأَنَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي آدَمَ آسَفُ كَمَا يَأْسَفُونَ لِكَيْفِي صَكَّكُمَا صَكَّكَ فَاتَيْتُ ﷺ فَعَظَّمْ ذَلِكَ عَلَيَّ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا أُعْتِقَهَا قَالَ ائْتِنِي بِهَا فَاتَيْتُهُ بِهَا فَقَالَ لَهَا أَيْنَ اللَّهُ قَالَتْ فِي السَّمَاءِ قَالَ مَنْ أَنَا قَالَتْ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ قَالَ أُعْتِقَهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ ^(١)

(١) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٢ / ٧٠) برقم: (٥٣٧) (كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحته) (بهذا اللفظ)

- **وفي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري** رضي الله عنه قال كنا مع النبي ﷺ في سفر فكنا إذا علونا كبرنا فقال أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبا تدعون سميعة بصيرا قريبا" ^(١)
 - **وفي البخاري عن أبي موسى الأشعري** رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: "ما أحد أصبر على أذى سمعه من الله يدعون له الولد ثم يعافهم ويرزقهم" ^(٢)
 - **وفي الصحيحين عن بن عباس** رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان يقول أعوذ بعزتك الذي لا إله إلا أنت أن تضلني أنت الحي الذي لا يموت والجن والإنس يموتون" ^(٣) وهذا لفظ مسلم.
 - **وفي الصحيحين عن عبد الله بن عمر** رضي الله عنهما قال: "ذكر الدجال عند النبي ﷺ فقال: "إن الله لا يخفى عليكم ، إن الله ليس بأعور وأشار بيده إلى عينه وإن المسيح الدجال أعور العين اليمنى كأن عينه عنبه طافية" ^(٤)
 - **وفي الصحيحين عن أنس** رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "ما بعث الله من نبي إلا أنذر قومه الأعور الكذاب إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور مكتوب بين عينيه كافر" ^(٥)
 - **وفي مسلم عن عبد الله بن مسعود** رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : "إن الله جميل يحب الجمال" ^(٦)
- وجه الاستدلال :** جميع هذه الأحاديث ، وما جاء في معناها ، تضمنت نفي صفات النقص عن الله ، وهي متضمنة لإثبات ضدها من صفات الكمال لله وحده ، وهو معنى داخل في قولك لا إله إلا الله . والله تعالى أعلم.

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٥٧ / ٤) برقم: (٢٩٩٢) (كتاب الجهاد والسير ، باب ما يكره من رفع الصوت في التكبير (بنحوه مختصرا) ومسلم في "صحيحه" (٧٣ / ٨) برقم: (٢٧٠٤) (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب استحباب خفض الصوت بالذكر) (بهذا اللفظ)

(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٢٥ / ٨) برقم: (٦٠٩٩) (كتاب الأدب ، باب الصبر على الأذى) (بهذا اللفظ)

(٣) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (١١٦ / ٩) برقم: (٧٣٨٣) (كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى وهو العزيز الحكيم) (بمثله مختصرا) ومسلم في "صحيحه" (٨٠ / ٨) برقم: (٢٧١٧) (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل) (بهذا اللفظ)

(٤) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (١٦٦ / ٤) برقم: (٣٤٣٩) (كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قول الله واذكر في الكتاب مريم) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (١٠٧ / ١) برقم: (١٦٩) (كتاب الإيمان ، باب في ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال) (بنحوه)

(٥) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (١٢١ / ٩) برقم: (٧٤٠٨) (كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى ولتصنع على عيني) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (١٩٥ / ٨) برقم: (٢٩٣٣) (كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب ذكر الدجال وصفته وما معه) (بنحوه)

(٦) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٦٥ / ١) برقم: (٩١) (كتاب الإيمان ، باب تحريم الكبر وبيانه) (بهذا اللفظ)

فأهل السنة والجماعة يرون وجوب إجراء نصوص الكتاب والسنة في ذلك على ظاهرها وحملها على حقيقتها اللاتقة بالله عزوجل ، ويتبرؤون من طريق المحرفين لأسماء الله وصفاته ، الذين صرفوها إلى غير ما أراد الله بها ورسوله ، ومن طريق المعطلين لها، الذين عطلوها من مدلولها الذي أراده الله ورسوله ، ومن طريق الغالين فيها الذين حملوها على التمثيل، أو تكلفوا مدلولها التكييف . فيثبتون أسماء وصفاته على ما يليق بجلاله، وعظمته، إثباتاً: بلا تكييف ، ولا تمثيل ، وينزهون الله عما لا يليق بجلاله تنزيهاً: بلا تحريف ، ولا تأويل ، ولا تعطيل. فسبحان من لا سمي له، ولا كفو له، وهو أعلم بنفسه، وبغيره ، وأصدق قيلاً وأحسن حديثاً من خلقه.

والقول الشامل في ذلك: أنهم يصفون الله بما وصف نفسه، ووصفه به رسوله ﷺ ، لا يتجاوزون القرآن، والحديث : فيؤمنون بثبوت كل ما أثبتته الله لنفسه، أو أثبتته له رسوله ﷺ ، من الأسماء والصفات. ويؤمنون بانتفاء كل ما نفاه الله عن نفسه، أو نفاه عنه رسوله ﷺ ، والإثبات يكون على وجه التفصيل ، والنفي على وجه الإجمال إلا ما ستثني ، ويؤمنون بأن أسماء الله وصفاته توقيفية ، ويسكتون عما سكت الله عنه، ورسوله .

فيؤمنون بوحدايته في ذلك كله، أي: بأنه لا شريك له في ربوبيته، ولا في ألوهيته، ولا في أسمائه وصفاته، قال الله تعالى: ﴿رب السموات والأرض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سمياً﴾^(١).

ويرون أن السير على هذا الطريق فرض لابد منه ، وذلك لأن ما أثبتته الله لنفسه، أو نفاه عنها سبحانه فهو خبر أخبر الله به عن نفسه، وهو سبحانه أعلم بنفسه، وأصدق قيلاً، وأحسن حديثاً، والعباد لا يحيطون به علماً. وما أثبتته له رسوله ، أو نفاه فهو خبر أخبر به عنه ، وهو أعلم الناس بربه ، وأنصح الخلق ، وأصدقهم و أفصحهم . ففي كلام الله تعالى ورسوله ﷺ ، كمال العلم، والصدق، والبيان، فلا عذر في رده، أو التردد في قبوله.

(١) سورة مريم، الآية: ٦٥.

المقدمة الخامسة

في بيان ركن الإيمان بالملائكة . وفيها ثلاث مسائل:

○ **المسألة الأولى:** الإيمان بما جاء في وصفهم .

وصف الله ملائكته بأنهم: ﴿ عباد مكرمون . لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ﴾ سورة الأنبياء، الآيتان: ٢٦-٢٧.. خلقهم الله تعالى فقاموا بعبادته، وانقادوا لطاعته ﴿ لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون . يسبحون الليل والنهار لا يفترون ﴾ سورة الأنبياء، الآيتان: ٢٠-٢١.. حجهم الله عنا، فلا نراهم، وربما كشفهم لبعض عباده، فقد رأى النبي ﷺ جبريل على صورته له ستمائة جناح :

■ **فيهما عن بن مسعود** رضي الله عنه : " أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَى جِبْرِيلَ لَهُ سِتْمِائَةِ جَنَاحٍ . **ولفظ مسلم:** " حَدَّثَنَا الشَّيْبَانِيُّ قَالَ : سَأَلْتُ زَرَّ بْنَ حُبَيْشٍ ، عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴾ قَالَ : أَخْبَرَنِي ابْنُ مَسْعُودٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى جِبْرِيلَ لَهُ سِتْمِائَةِ جَنَاحٍ . " (١).

■ وأنه أتى إلى النبي ﷺ، وعنده الصحابة، بصورة رجل لا يعرف ولا يرى عليه أثر السفر، شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، فجلس إلى النبي ﷺ، فأسند ركبتيه إلى ركبتَي النبي ﷺ، ووضع كفيه على فخذيه وخاطب النبي ﷺ، وخاطبه النبي ﷺ، وأخبر النبي ﷺ، أصحابه أنه جبريل. وقال: " هَذَا جِبْرِيلُ ، جَاءَ يُعَلِّمُ النَّاسَ دِينَهُمْ " (١).

○ **المسألة الثانية:** الإيمان بما وكل إليهم من الأعمال .

- ونؤمن بأن للملائكة أعمالاً كلفوا بها.
- فمنهم جبريل الموكل بالوحي ، ينزل به من عند الله على من يشاء من أنبيائه ورسله.
- ومنهم ميكائيل، الموكل بالمطر والنبات.
- ومنهم إسرافيل الموكل بالنفخ في الصور حين الصعق والنشور.
- ومنهم ملك الموت، الموكل بقبض الأرواح عند الموت.
- ومنهم ملك الجبال، الموكل بها.
- ومنهم مالك خازن النار.

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٦ / ١٤١) برقم: (٤٨٥٧) (كتاب تفسير القرآن ، باب قوله فأوحى إلى عبده ما أوحى) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (١ / ١٠٩) برقم: (١٧٤) (كتاب الإيمان ، باب في ذكر سدرة المنتهى) (بنحوه).

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ١٩) برقم: (٥٠) (كتاب الإيمان ، باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان والإسلام) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (١ / ٣٠) برقم: (٩) (كتاب الإيمان ، باب الإيمان ما هو وبيان خصاله) (بمثله مطولاً) ،

- ومنهم ملائكة موكلون بالأجنة في الأرحام، وآخرون موكلون بحفظ بني آدم، وآخرون موكلون بكتابة أعمالهم، لكل شخص ملكان: ﴿عن اليمين وعن الشمال قعيد. ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾ سورة ق، الآيتان: ١٨-١٩. وآخرون موكلون بسؤال الميت بعد الانتهاء من تسليمه إلى مثواه، يأتيه ملكان يسألانه عن ربه، ودينه، ونبيه ف ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضلل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء﴾ سورة إبراهيم، الآية: ٢٧.
- ومنهم الملائكة، الموكلون بأهل الجنة: ﴿والملائكة يدخلون عليهم من كل باب. سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار﴾ سورة الرعد، الآيتان: ٢٣-٢٤

- **وفي البخاري في حديث الرؤيا الطويل** وفيه: " قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتَيَانِي قَالَا: الَّذِي يُوقِدُ النَّارَ مَالِكٌ خَازِنُ النَّارِ وَأَنَا جِبْرِيلُ وَهَذَا مِيكَائِيلُ. "(١)
- **وفيهما أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ حَدَّثَتْهُ: أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ: هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمٍ أُحَدِّثُ؟ قَالَ: لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكَ مَا لَقِيتُ وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كَلَالٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي فَلَمْ أَتَفَقَّ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي فَتَنَظَّرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ فَقَالَ: ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ إِنَّ شِئْتَ أَنْ أُطِيقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبَيْنِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا. "(١)"**

- **وقد أخبر النبي ﷺ، فيهما عن مالك بن صعصعة** ؓ " أن البيت المعمور في السماء يدخله. وفي رواية يصلي فيه. كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه آخر ما عليهم. فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ السَّابِعَةَ قِيلَ مَنْ هَذَا قِيلَ: جِبْرِيلُ قِيلَ: مَنْ مَعَكَ قِيلَ: مُحَمَّدٌ قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ مَرْحَبًا بِهِ وَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَأَتَيْتُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ: مَرْحَبًا بِكَ مِنْ ابْنِ وَنِيِّ فَرَفَعَ لِي الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ فَقَالَ: هَذَا الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ يُصَلِّي فِيهِ كُلُّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ إِذَا خَرَجُوا لَمْ يَعُودُوا إِلَيْهِ آخِرَ مَا

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٤ / ١١٦) برقم: (٣٢٣٦) (كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء (بهذا اللفظ))

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٤ / ١١٥) برقم: (٣٢٣١) (كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء (بهذا اللفظ)، ومسلم في "صحيحه" (٥ / ١٨١) برقم: (١٧٩٥) (كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين) (بمثله).

عَلَيْهِمْ" ، **ولفظ مسلم** : "ثُمَّ عَرَجَ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ ، فَقِيلَ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : جِبْرِيلُ ، قِيلَ : وَمَنْ مَعَكَ ؟ قَالَ : مُحَمَّدٌ ﷺ ، قِيلَ : وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ ، فَفُتِحَ لَنَا ، فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُسْنِدًا ظَهَرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمُعْمُورِ ، وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ" ^(١)

■ **وفي لفظ لمسلم** " هَذَا الْبَيْتُ الْمُعْمُورُ ، يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ إِذَا خَرَجُوا مِنْهُ لَمْ يَعُودُوا فِيهِ ، آخِرُ مَا عَلَيْهِمْ" ^(٢)

■ **وقد ثبت في مسلم عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال :** " خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ ، وَخُلِقَ الْجَانُ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وَصَفَ لَكُمْ" ^(٣)

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (١٠٩ / ٤) برقم: (٣٢٠٧) (كتاب بدء الخلق ، باب ذكر الملائكة) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (٩٩ / ١) برقم: (١٦٢) (كتاب الإيمان ، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات) (بنحوه).
(٢) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (١٠٢ / ١) برقم: (١٦٤) (كتاب الإيمان ، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات) (بنحوه).
(٣) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٢٢٦ / ٨) برقم: (٢٩٩٦) (كتاب الزهد والرقائق ، باب في أحاديث متفرقة) (بهذا اللفظ)

○ المسألة الثالثة : أيهم أفضل الملائكة أم البشر ؟

• جمع شيخ الإسلام رحمه الله بين النصوص في هذا الأمر وقال : إن الملائكة أفضل باعتبار البداية ؛ لأنهم خُلِقوا من نور والبشر من طين ، والبشر أفضل باعتبار النهاية ؛ لأنهم يُخلدون في الجنة ويرون من النعيم ما لا يحصل للملائكة ، بل الملائكة يدخلون عليهم من كل باب ويهنئونهم ، ﴿والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم﴾ (الرعد ٢٤) .

• قال ابن الجوزي في «صيد الخاطر» (ص ٨٨): فصل: شرف الإنسان:

ما أزال أتعجب ممن يرى تفضيل الملائكة على الأنبياء والأولياء! فإن كان التفضيل بالصور، فصورة الآدمي أعجب من ذوي أجنحة، وإن تركت صورة الآدمي لأجل أوساخها المنوطة بها، فالصورة ليست الآدمي، إنما هي قالب! ثم قد استحسن منها ما يستقبح في العادة، مثل: خلوف فم الصائم، ودم الشهداء ، والنوم في الصلاة ، فبقيت صورة معمورة ، وصار الحكم للمعنى. ألهم مرتبة يحبهم أو فضيلة يباهي بهم؟! وكيف دار الأمر، فقد سجدوا لنا، وهو صريح في تفضيلنا عليهم.

فإن كانت الفضيلة بالعلم، فقد علمت القصة يوم: ﴿لَا عِلْمَ لَنَا﴾ [البقرة: ٣٢] ﴿يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ﴾ [البقرة: ٣٣]. وإن فضلت الملائكة بجوهرية ذواتهم، فجوهرية أرواحنا من ذلك الجنس ، وعلينا أثقال أعباء الجسم. بالله، لولا احتياج الراكب إلى الناقة، فهو يتوقف لطلب علفها، ويرفق في السير بها، لطرق أرض منى قبل العشر .

واعجباً! أفضّل الملائكة بكثرة التعبد؟! فما ثم صاد . أو يتعجب من الماء إذا جرى ، أو من منحدر يسرع؟! إنما العجب من مصاعد يشق الطريق، ويغالب العقبات!

بلى، قد يتصور منهم الخلاف، ودعوى الإلهية؛ لقدرتهم على دك الصخور وشق الأرض، لذلك تواعدوا: ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٢٩] ، لكنهم يعلمون عقوبة الحق فيحذرونه.

فأما بعدنا عن المعرفة الحقيقية، وضعف يقيننا بالناهي، وغلبة شهوتنا مع الغفلة ، فيحتاج إلى جهاد أعظم من جهادهم.

تالله ، لو ابتلي أحد المقربين بما ابتلينا به ، لم يقدر على التماسك ، يصبح أحدنا ، وخطاب الشرع يقول له: اكسب لعائلتك، واحذر في كسبك! وقد تمكن منه ما ليس من فعله ، كحب الأهل ، وعلوق الولد بنياط القلب ، واحتياج بدنه إلى ما لا بد منه. فتارة يقال للخليل عليه السلام: اذبح ولدك بيدك! واقطع ثمرة فؤادك بكفك! ثم قم إلى المنجنيق لترمى في النار! وتارة يقال لموسى عليه السلام: صم شهراً؛ ليلاً ونهاراً. ثم

يقال للغضبان: اكظم! وللبصير: اغضض! ولذي المقول: اصمت! ولمستلذ النوم: تهجد! ولمن مات حبيبه: اصبر! ولمن أصيب في بدنه: اشكر! وللواقف في الجهاد بين اثنين: لا يحل أن تفر! ثم اعلم أن الموت يأتي بأصعب المرات، فينزح الروح عن البدن، فإذا نزل، فاثبت! واعلم أنك ممزق في القبر، فلا تتسخط؛ لأنه مما يجري به القدر! وإن وقع بك مرض، فلا تشك إلى الخلق! فهل للملائكة من هذه الأشياء شيء؟! وهل ثم إلا عبادة ساذجة: ليس فيها مقاومة طبع، ولا ردُّ هوى؟! وهل هي إلا عبادة صورية بين ركوع وسجود وتسبيح؟! فأين عبادتهم المعنوية من عبادتنا؟! ثم أكثرهم في خدمتنا، بين كتبة علينا، ودافعين عنا، ومسخرين لإرسال الريح والمطر، وأكثر وظائفهم الاستغفار لنا. فكيف يفضلون علينا بلا علة ظاهرة؟! وأما إذا ما حكت على محك التجارب طائفة منهم -مثل ماروي عن هاروت وماروت -، خرجوا أقبح من بهرج (١).

ولا تظن أني أعتقد في تعبد الملائكة نوع تقصير؛ لأنهم شديداً الإشفاق والخوف، لعلمهم بعظمة الخالق، لكن طمأنينة من لم يخطئ تقوي نفسه، وانزعاج الغائص في الزلل يرقى روحه إلى التراقي. فاعرفوا -إخواني- شرف أقداركم، وصونوا جواهركم عن تدنيسها بلؤم الذنوب، فأنتم معرض الفضل على الملائكة، فاحذروا أن تحكم الذنوب إلى حضيض البهائم، فأنتم معرض الفضل على الملائكة، فاحذروا أن تحطكم الذنوب إلى حضيض البهائم! ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

(١) - قصة هارون وماروت والزهرة قال عنها العلامة محدث الديار المصرية الشيخ أحمد شاكر في شرح المسند "٦١٧٨"، ما خلاصته: طرقها واهية معلولة، مع مخالفتها الواضحة للعقل.

المقدمة السادسة

في بيان ركن الإيمان بالكتب

هذا الركن يقتضي وجوب الإيمان بجميع الكتب إجمالاً وتفصيلاً:

فيجب الإيمان إجمالاً بأن الله سبحانه قد أنزل كتباً على أنبيائه ورسله ؛ لبيان حقه والدعوة إليه ، كما قال تعالى : ﴿ لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط ﴾ الآية [الحديد : ٢٥] . وقال تعالى : ﴿ كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ﴾ الآية [البقرة : ٢١٣] . ويجب الإيمان على سبيل التفصيل بما سمي الله منها وهي :

- ١. التوراة: التي أنزلها الله تعالى على موسى ، ﷺ ، وهي أعظم كتب بني إسرائيل: ﴿ فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء ﴾ سورة المائدة، الآية: ٤٤.
 - ٢. الإنجيل: الذي أنزله الله تعالى على عيسى ، ﷺ ، وهو مصدق للتوراة، ومتمم لها: ﴿ وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقاً لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين ﴾ سورة المائدة، الآية: ٤٦. ﴿ ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم ﴾ سورة آل عمران، الآية: ٥٠.
 - ٣. الزبور: الذي آتاه الله تعالى داود، ﴿ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴾ من الآية [النساء: ١٦٣]
 - ٤. صحف إبراهيم وموسى ، عليهما الصلاة والسلام. ﴿ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴾ [الأعلى: ١٨-١٩]
 - ٥. القرآن العظيم: الذي أنزله الله على نبيه، محمد ﷺ خاتم النبيين [هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان] سورة البقرة، الآية: ١٨٥ فكان ﴿ مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه ﴾ سورة المائدة، الآية: ٤٨. فنسخ الله به جميع الكتب السابقة، وتكفل بحفظه عن عبث العابثين لأنه سيبقى حجة على الخلق أجمعين، إلى يوم القيامة.
- أما الكتب السابقة، فإنها مؤقتة بآمد ينتهي بنزول ما ينسخها، ويبين ما حصل فيها من تحريف وتغيير. ولهذا لم تكن معصومة منه، فقد وقع فيها التحريف والزيادة والنقص ، لأن حفظها قد وكل إلى أهلها فلم يحفظوها ، بل بدلوا وحرفوا كما ذكر تعالى عنهم في غير ما آية:

﴿من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه﴾ سورة النساء، الآية: ٤٦. ﴿فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون﴾ سورة البقرة، الآية: ٧٩. ﴿قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً﴾ سورة الأنعام، الآية: ٩١. ﴿وإن منهم لفريقاً يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون. ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله﴾ سورة آل عمران، الآية: ٧٨-٧٩.

﴿يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب﴾ إلى قوله : ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم﴾ سورة المائدة، الآيات: ١٥-١٧.

بخلاف القرآن الكريم فقد تكفل الله بحفظه المحرفين ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ سورة الحجر، الآية: ٩...، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالدِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤١-٤٢]

○ والقرآن الكريم هو أفضل هذه الكتب وخاتمها ، وهو المهيمن عليها والمصدق لها كما قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ من الآية [المائدة: ٤٨] وهو الذي يجب على جميع الأمة اتباعه وتحكيمه مع ما صحت به السنة عن رسول الله ﷺ ؛ لأن الله سبحانه بعث رسوله محمد ﷺ رسولاً إلى جميع الثقليين ، وقال تعالى : ﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَتِهِ - وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨] وقال سبحانه : ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ من الآية [النحل: ٨٩]

■ وفيهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٍّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ أَمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيَتْ وَحِيًّا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ .^(١)

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (١٨٢ / ٦) برقم: (٤٩٨١) (كتاب فضائل القرآن ، باب : كيف نزل الوحي وأول ما نزل) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (٩٢ / ١) برقم: (١٥٢) (كتاب الإيمان ، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته) (بمثله).

المقدمة السابعة

في بيان ركن الإيمان بالرسول: وفيها أربع مسائل

○ **المسألة الأولى:** وجوب الإيمان بجميع الرسل إجمالاً وتفصيلاً.

وهذا الركن يقتضي وجوب الإيمان بأن الله تعالى بعث إلى خلقه رسلاً : ﴿مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً﴾ سورة النساء، الآية: ١٦٥ . فنؤمن أن الله سبحانه أرسل إلى عباده رسلاً منهم مبشرين ومنذرين ودعاة إلى الحق ، فمن أجابهم فاز بالسعادة ، ومن خالفهم باء بالخيبة والندامة . فيجب الإيمان بالرسول إجمالاً وتفصيلاً :

■ **فإجمالاً كما في قوله سبحانه :** ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ [النحل : ٣٦] .

وقال تعالى : ﴿ رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴾ [النساء : ١٦٥] .

■ **وتفصيلاً :** فمن سعى الله منهم أو ثبت عن رسول الله تسميته آمناً به على سبيل التفصيل والتعيين كنوح وهود وصالح وإبراهيم وغيرهم ، عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى التسليم .

ونؤمن بأن أولهم نوح ، وآخرهم محمد ﷺ أجمعين وهو خاتم النبيين ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده﴾ سورة النساء، الآية: ١٦٣ . ﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين﴾ سورة الأحزاب، الآية: ٤٠ .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ إِلَّا مَوْضِعَ لَبْنَةٍ مِنْ زَاوِيَةِ فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبْنَةُ قَالَ فَأَنَا اللَّبْنَةُ وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ ^(١) .

وينبني على تلك العقيدة أن من كفر برسالة محمد ﷺ ، وأنه رسول إلى الناس جميعاً كما قال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سبأ: ٢٨] فقد كفر بجميع الرسل ، حتى برسوله الذي يزعم أنه مؤمن به ، متبع له ، لقوله تعالى: ﴿كذبت قوم نوح المرسلين﴾ سورة الشعراء، الآية: ١٠٥ . فجعلهم مكذبين لجميع الرسل مع أنه لم يسبق نوحاً رسول . وقال تعالى: ﴿إن الذين يكفرون بالله ورسوله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسوله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٤ / ١٨٦) برقم: (٣٥٣٥) (كتاب المناقب ، باب خاتم النبيين ﷺ) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (٧ / ٦٤) برقم: (٢٢٨٦) (كتاب الفضائل ، باب ذكر كونه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خاتم النبيين) (بمثله).

يتخذوا بين ذلك سبيلاً. أولئك هم الكافرون حقاً وأعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً ﴿سورة النساء، الآيتان: ١٥٠-١٥١.﴾

○ المسألة الثانية: أن الرسل من البشر وأنهم عبيد لله.

فيجب الإيمان بأنهم بشر ليس لهم من خصائص الربوبية شيء. قال الله تعالى عن نوح، وهو أولهم: ﴿ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول إني ملك﴾ سورة هود، الآية: ٣١. وأمر الله تعالى محمداً، وهو آخرهم **أن يقول**: ﴿قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك﴾ سورة الأنعام، الآية: ٥٠.

وأن يقول: ﴿لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله﴾ سورة الأعراف، الآية: ١٨٨. **وأن يقول**: ﴿قل إني لا أملك لكم ضرا ولا رشداً. قل إني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا﴾ سورة الجن، الآيتان: ٢٢-٢١.

وبأنهم عبيد من عباد الله، أكرمهم الله تعالى بالرسالة، ووصفهم بالعبودية في أعلى مقاماتهم، وفي سياق الثناء عليهم، فقال في أولهم نوح: ﴿ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبداً شكوراً﴾ سورة الإسراء، الآية: ٣. وقال في آخرهم محمد، ﷺ: ﴿تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً﴾ سورة الفرقان، الآية: ١. وقال في رسل آخرين: ﴿واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار﴾ سورة الفرقان، الآية: ١. ﴿واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب﴾ سورة ص، الآية: ١٧. ﴿ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب﴾ سورة ص، الآية: ٣٠. وقال في عيسى ابن مريم: ﴿إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلاً لبيي إسرائيل﴾ سورة الزخرف، الآية: ٥٩.

○ المسألة الثالثة : هل أرسل من الجن رسول ؟

- ١ - **القول الأول : النفي** ، لقوله تعالى : ﴿ وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحى إليهم من أهل القرى أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ﴾ (يوسف ١٠٩) .
- ٢ - **والقول الثاني بالإثبات** : قالوا : بل منهم رسول ، لقول الله تعالى : ﴿ يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم ﴾ (الأنعام ١٣٠) ، فهو يخاطب الجن والإنس ويقول : ﴿ ألم يأتكم رسل منكم ﴾ ، إنساً من الإنس وجناً من الجن ، وأما قوله : ﴿ وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحى إليهم من أهل القرى ﴾ ، فإن الذكور من الجن يُسمون رجالاً قال الله تعالى : ﴿ وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن ﴾ (الجن ٦) ، الجن فيهم رجال كما في هذه الآية الكريمة ، وعلى هذا فلا يتم الاستدلال بقوله : ﴿ وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحى إليهم من أهل القرى ﴾ ، ويكون ظاهر قوله : ﴿ يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم ﴾ ، أن من الجن رسل ، وهذا موضع الخلاف بين العلماء .
- والذين قالوا : إنه ليس من الجن رسل ، أجابوا عن قوله : ﴿ يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم ﴾ : قال : إن الخطاب باعتبار المجموع لا باعتبار الجميع ، فهو كقوله تعالى في البحرين : ﴿ يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان ﴾ (الرحمن ٢٢) ، واللؤلؤ والمرجان لا يخرجان إلا من المالح على ما هو المشهور^(١) وقالوا : أن حكمة الله تأبى ذلك ، لأن الرسالة تشريف وتكريم وتعظيم ، والجن أصلهم من النار ، وأبوههم إبليس سيد المتكبرين وقائد الكافرين فليس من الحكمة أن يُكرم هؤلاء بالرسالة وإنما يتلقون التعاليم مما جاء من البشر كما قال تعالى : ﴿ وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يسمعون القرآن فلما حضروه قالوا انصتوا فلما قضي ولوا إلى قومهم منذرين ، قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم ، يا قومنا أجيئوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم ﴾ (الأحقاف ٢٩ - ٣١) . فقالوا عن الجن : ليس منهم رسل لكن منهم نُذُر ، كما قال تعالى : ﴿ ولوا قومهم منذرين ﴾ (الرحمن ٢٢) ، فيتلقى هؤلاء النُّذُر مما جاءت به الرسل وينذرون به قومهم .

(١) - وقد أخطأ من فسره بذلك لأنه مخالف للنص (يخرج منهما) (يخرج منهما) وللواقع .

○ **مسألة:** وينبني على ذلك هل ما يُؤمر به الجن هو ما يُؤمر به الإنسان ؟

فهل صلاتهم كصلاتنا وزكاتهم كزكاتنا وصيامهم كصيامنا وحجهم كحجنا ؟ في هذا أيضاً خلاف بين العلماء :

- ١ - فمنهم من قال : إذا كان تلقيهم لما يقومون به من الشرائع مما جاءت به الإنسان ، وجب أن يكون مثل ما جاء إلى الإنسان ؛ لأننا لا نرى فيما جاء به الإنسان فصلاً خاصاً بالجن بل نجد أن الأحكام واحدة ، وعلى هذا فيكون ما أمر به الإنسان هو ما أمر به الجن ولا فرق .
- ٢ - وقال بعض العلماء : بل إنهما يفترقان فليس ما أمر به الجن مساوياً لما أمر به الإنسان في الحد والحقيقة ، لأن جنس الجن ليس كجنس الإنسان ، وإذا كان الإنسان تختلف أحكامهم باختلاف أحوالهم ، فالمريض يصلي قاعداً مثلاً والفقير لا زكاة عليه ومن لا يستطيع الحج لا حج عليه فكذلك الجني لا يكلف إلا بما يناسب حاله . وتكون العمومات الدالة على ذلك مثل : ﴿ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ﴾ (البقرة ٢٨٦) ، وما أشبهها تقيد عموم تكليفهم في شرائع الإنسان ، وهذا ما ذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله قال : "إن اختلافهم عن الإنسان في الحد والحقيقة يقتضي ألا يتساووا في التكليف ؛ لأن حكمة الله تعطي كل مكلف ما يناسبه حتى في البشر ، وعلى كل حال نحن نقرباً أن الجن مكلفون في الجملة ، وأن كافرهم يدخل النار ، وأن مؤمنهم يدخل الجنة أيضاً ، أما مسألة الرسالة وعدم الرسالة فقد تكون الأدلة متكافئة ، وإن كان الراجح : أن الرسل من البشر ، وليس هناك دليل واضح على أن ما كُلفوا به متساوٍ لما كُلف به الإنسان أو مخالف " اهـ من كلام الشيخ محمد بن عثيمين في شرح العقيدة السفارينية.

○ المسألة الرابعة : بيان الفرق بين النبي والرسول .

● قال الألباني رحمه الله «اعلم أن كل رسول نبي وليس كل نبي رسولاً، وقد ذكروا فروقاً بين الرسول والنبي تراها في " تفسير الألوسي " (٥ / ٤٤٩ - ٤٥٠) وغيرها، ولعل الأقرب أن الرسول من بُعث بشرع جديد والنبي من بعث لتقرير شرع من قبله وهو بالطبع مأمور بتبليغه؛ إذ من المعلوم أن العلماء مأمورون بذلك فهم بذلك أولى كما لا يخفى» وقال :

■ (صحيح) . عن أبي أمامة رضي الله عنه [قال رسول الله ﷺ]: «كان آدم نبياً مكلماً، كان بينه وبين نوح عشرة قرون، وكانت الرسل ثلاثمائة وخمسة عشر» ^(١)

■ (صحيح لغيره) عن أبي ذر رضي الله عنه فذكر الحديث وفيه: " قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَمْ الْأَنْبِيَاءُ؟ قَالَ: " مِائَةٌ أَلْفٍ وَعِشْرُونَ أَلْفًا "، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَمْ الرُّسُلُ مِنْ ذَلِكَ؟ قَالَ: " ثَلَاثُمِائَةٍ وَثَلَاثَةٌ عَشَرَ جَمًّا غَيْرًا "، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ كَانَ أَوَّلُهُمْ؟ قَالَ: " آدَمُ "، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَبِيُّ مُرْسَلٍ؟ قَالَ: " نَعَمْ، خَلَقَهُ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ، وَكَلَّمَهُ قُبُلًا " ^(٢)

«اعلم أن الحديث وما ذكرنا من الأحاديث الأخرى، مما يدل على المغايرة بين الرسول والنبي، وذلك مما دل عليه القرآن أيضاً في قوله عز وجل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ [الحج: ٥٢] الآية. وعلى ذلك جرى عامة المفسرين، من ابن جرير الطبري الإمام، إلى خاتمة المحققين الألوسي، وهو ما جزم به شيخ الإسلام ابن تيمية في غير ما موضع من فتاويه (المجموع ١٠ / ٢٩٠ و ١٨ / ٧) أن كل رسول نبي، وليس كل نبي رسولاً. وقال القرطبي في " تفسيره " (١٢ / ٨٠): " قال المهدوي: وهذا هو الصحيح أن كل رسول نبي وليس كل نبي رسولاً. وكذا ذكر القاضي عياض في كتاب " الشفا "، قال: والصحيح الذي عليه الجم الغفير أن كل رسول نبي وليس كل نبي رسولاً واحتج

(١) - قال الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها» (٦ / ٣٥٨): «أخرجه أبو جعفر الرزاز في " مجلس من الأمالي " (ق ١٧٨ / ١) ... قلت: وهذا إسناد صحيح، رجاله كلهم ثقات رجال مسلم غير الدبر عاقولي، وهو ثقة ثبت كما قال الخطيب في " تاريخه " (١١ / ٧٨) وكذلك قال ابن حبان في " الثقات " (٨ / ٤٢٣) واعتمده السمعاني في " الأنساب "، والذهبي في " السير " (١٣ / ٣٣٥ - ٣٣٦) . والحديث أخرجه ابن حبان أيضاً في " صحيحه " (٢٠٨٥ - موارد) وابن منده في " التوحيد " (ق ١٠٤ / ٢) ومن طريقه ابن عساكر في " تاريخ دمشق " (٢ / ٣٢٥) والطبراني في " الأوسط " (١ / ٢٤ / ٢ / ٣٩٨ - بترقيمي) وكذا في " الكبير " (٨ / ١٣٩ - ١٤٠) والحاكم (٢ / ٢٦٢) وقال: " صحيح على شرط مسلم " . ووافقه الذهبي. وكذا قال ابن عروة الحنبلي في " الكواكب الدراري " (٦ / ٢١٢ / ١) وقد عزاه لابن حبان فقط، وقال ابن منده عقبه: " هذا إسناد صحيح على رسم مسلم والجماعة إلا البخاري ".

(٢) - أخرجه ابن حبان في " صحيحه " (٢ / ٧٦) برقم: (٣٦١) (كتاب البر والإحسان، ذكر الاستحباب للمرء أن يكون له من كل خير حظ رجاء التخلص في العقبى بشيء منها) (بهذا اللفظ) . قال الأرئوط في «الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان» (٢ / ٧٩): «إسناده ضعيف جداً» . وقال الألباني في «صحيح موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان» (٢ / ٢٩٨): «صحيح لغيره - إلا جملة التحية؛ فحسن لغيره على تفصيل سبق بيانه في (٥ - الصلاة / ٢٣ - باب)، "الصحيحة" (٢٦٦٨) (١)».

بحديث أبي ذر رضي الله عنه المتقدم ... وكان الدافع على تحرير هذا أنني رأيت مجموعة رسائل لأحد فضلاء العصر الحاضر، فيها رسالة بعنوان: "إتحاف الأحفياء برسالة الأنبياء" ذهب فيها إلى عدم التفريق بين الرسول والنبي.

وبحثه فيها يدل المحقق المطلع على بحوث العلماء وأقوالهم، على أن المؤلف لها حفظه الله ارتجلها ارتجالاً دون أن يتعب نفسه بالبحث عن أقوال العلماء في المسألة، وإلا فكيف جاز له أن يقول (ج ١ / ٤٢٩):

■ ١ - "وأسبق من رأينا تكلم بهذا التفريق هو العلامة ابن كثير ...!" وقد سبقه إلى ذلك مجاهد، التابعي الجليل (ت ١٠٤) وشيخ المفسرين ابن جرير (ت ٣١٠) والبيهقي (ت ٥١٦) والقرطبي (ت ٦٧١) والزمخشري (ت ٥٣٨)، وغيرهم ممن أشرت إليهم آنفاً.

■ ٢ - كيف يقول (ص ٤٣١): "إن ابن تيمية لم يذكر التفريق المشار إليه في كتابه (النبوات)!" وليس من اللازم أن يذكر المؤلف كل ما يعلمه في الموضوع في كتاب واحد، فقد ذكر ذلك ابن تيمية في غير ما موضع من فتاواه، فلو أنه راجع "مجموع الفتاوى" له لوجد ذلك في (١٠ / ٢٩٠ و ١٨ / ٧). ومن ذلك تعلم بطلان قوله عقب ذلك: "فهذه الغلطة في التفريق بين الرسول والنبي يظهر أنها إنما دخلت على الناس من طريق حديث موضوع رواه" «ابن مردويه عن أبي ذر، وهو حديث طويل جداً لا يحتمل أبو ذر حفظه مع طوله ..!"

أقول: ليس العمدية في التفريق المذكور على هذا الحديث الطويل الذي زعم أن أبا ذر لا يتحمل حفظه كما شرحت ذلك في هذا التخريج الفريد في بابه فيما أظن، وتالله إن هذا الزعم لبدعة في علم الجرح والتعديل ما سبق - والحمد لله - من أحد إلى مثلها! وإلا لزمه رد أحاديث كثيرة طويلة صحيحة ثابتة في الصحيحين وغيرهما، كحديث صلح الحديبية، وحديث الدجال والجساسة، وحديث عائشة: "كنت لك كأبي زرع لأم زرع"، وغيرها. ولعله لا يلتزم ذلك إن شاء الله تعالى وتقليده لابن الجوزي في حكمه على الحديث بالوضع مردود، لأن التقليد ليس بعلم، كما لا يخفى على مثله، ثم لماذا أثر تقليده على تقليد الذين ردوا عليه حكمه عليه بالوضع؟ كالحافظ العسقلاني، والمحقق الألوسي وغيرهما ممن سبقوا الإشارة إلى كلامهم، لاسيما وهو يعلم تشدد ابن الجوزي في نقده للأحاديث، كما يعلم إن شاء الله أن نقده لو سلم به، خاص في بعض طرق الحديث التي خرجتها هنا.

○ **مسألة:** رد قول من قال أن النبي: من أوحى إليه ولم يؤمر بالتبليغ .

- [قال رسول الله ﷺ - في صحيح مسلم- : «إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شر ما يعلمه لهم، وإن أمتكم هذه جعل عافيتها في أولها، وسيصيب آخرها بلاء وأمور تنكرونها، وتجيء فتنة، فيرقق بعضها بعضاً، وتجيء الفتنة فيقول المؤمن: هذه مهلكتي، ثم تنكشف، وتجيء الفتنة فيقول المؤمن: هذه هذه، فمن أحب أن يرحل عن النار ويدخل الجنة، فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه، ومن بايع إماماً فأعطاه صفقة يده، وثمرة قلبه، فليطعه إن استطاع، فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنقه الآخر" (١).
- قال الألباني رحمه الله: "في الحديث فوائد كثيرة ، من أهمها أن النبي يجب عليه أن يدعو أمته إلى الخير ويدلهم عليه، وينذرهم شر ما يعلمه لهم، ففيه رد صريح على ما ذكر في بعض كتب الكلام أن النبي من أوحى إليه، ولم يؤمر بالتبليغ!

(١) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٦ / ١٨) برقم: (١٨٤٤) (كتاب الإمارة ، باب الأمر بالوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول) (بهذا اللفظ)

المقدمة الثامنة

في بيان ركن الإيمان باليوم الآخر.
وفيه ثلاث فروع :

❖ **الفرع الأول : القيامة الصغرى وهي: الموت ، وفتنة القبر، وحياة البرزخ ، وبيان حقيقة الروح ، وفيه تمهيد وثلاث مسائل:**

○ **تمهيد:** الموت من مقدمات اليوم الآخر، وهو القيامة الصغرى.

● قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "... وهو سبحانه وتعالى في السورة الواحدة يذكر القيامة الكبرى والصغرى ؛ كما في سورة الواقعة ؛ فإنه ذكر في أولها القيامة الكبرى، وأن الناس يكونون أزواجاً ثلاثة؛ كما قال تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ لَئِيسَ لَوْعَتُهَا كَازِبَةٌ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾ [الواقعة: ١-٧]، ثم إنه في آخرها ذكر القيامة الصغرى بالموت، وأنهم يكونون ثلاثة أصناف بعد الموت، فقال: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ وَتَصْلِيَةٌ جَعِيمٌ﴾ [الواقعة: ٨٣-٩٤]

○ **المسألة الأولى: فتنة القبر وحياة البرزخ.**

الإيمان باليوم الآخر يعني الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ مما يكون بعد الموت، ومن ذلك الإيمان بفتنة القبر وبعذاب القبر ونعيمه. وذلك أن بين الموت الذي تنتهي به الحياة الأولى ، وبين البعث الذي تبتدئ به الحياة الثانية -وبعبارة أخرى: بين القيامة الصغرى والقيامة الكبرى- فترة جاءت تسميتها في القرآن الكريم برزخا ؛ كما في قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٩-١٠٠].

والبرزخ لغة: الحاجز بين الشيئين. وفي هذا البرزخ نموذج من الجزاء الأخروي ؛ فهو أول منزل من منازل الآخرة ؛ ففيه سؤال الملكين ثم العذاب أو النعيم. فسؤال الملكين يسمى بفتنة القبر، وهي الامتحان

والاختبار للميت حين يسأله الملك. وقد تواترت الأحاديث عن النبي ﷺ في هذه الفتنة من حديث البراء بن عازب وأنس بن مالك وأبي هريرة وغيرهم رضي الله عنهم:

■ **فيهما عن البراء بن عازب** رضي الله عنه "أن النبي ﷺ قال إذا أُنْفِذَ الْمُؤْمِنُ فِي قَبْرِهِ أَتَى ثُمَّ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ فَذَلِكَ قَوْلُهُ ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ **وفي لفظ** "﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ نَزَلَتْ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ" **ولفظ مسلم**: "أن النبي ﷺ قال: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ قَالَ: نَزَلَتْ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ فَيَقَالُ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ فَيَقُولُ رَبِّي اللَّهُ وَنَبِيِّي مُحَمَّدٌ ﷺ فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾".^(١)

■ **وفي مسلم عن أبي سعيد الخدري** رضي الله عنه "أن النبي ﷺ قال يَا أَبَا سَعِيدٍ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ"^(٢) (فيه دليل على أسئلة القبر الثلاثة). **وحديث البراء رضي الله عنه** **الآتي نص في أسئلة القبر الثلاثة:**

■ **(صحيح). وعن البراء بن عازب** رضي الله عنه قَالَ خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي جِنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ وَلَمَّا يُلْحَدُ فَجَلَسَ النَّبِيُّ ﷺ وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ وَكَأَنَّ عَلَى رُؤُوسِنَا الطَّيْرَ وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ فِي الْأَرْضِ فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ اسْتَعِيدُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا ثُمَّ قَالَ إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ بِيضُ الْوُجُوهِ كَأَنَّ وُجُوهُهُمْ الشَّمْسُ مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ اخْرُجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ قَالَ فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السِّقَاءِ فَيَأْخُذُهَا فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدْعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةً عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُوهَا فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ وَفِي ذَلِكَ الْحَنُوطِ وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطْيَبِ نَفْحَةٍ مِسْكٍ وَجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ قَالَ فَيَصْعَدُونَ بِهَا فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا مَا هَذَا الرُّوحُ الطَّيِّبُ فَيَقُولُونَ فَلَانُ بْنُ فَلَانٍ بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا حَتَّى يَنْتَهَوْا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ فَيُفْتَحُ لَهُمْ فَيُشَيِّعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ وَأَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ وَفِيهَا

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٩٧ / ٢) برقم: (١٣٦٩) (كتاب الجنائز ، باب ما جاء في عذاب القبر) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (١٦٢ / ٨) برقم: (٢٨٧١) (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه) (بنحوه مطولاً) .

(٢) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٣٧ / ٦) برقم: (١٨٨٤) (كتاب الإمارة ، باب بيان ما أَعَدَّ اللَّهُ تَعَالَى للمجاهد فِي الجنة) (بهذا اللفظ) .

أُعِيدُهُمْ وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى قَالَ فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ مَنْ رَبُّكَ فَيَقُولُ رَبِّيَ اللَّهُ فَيَقُولَانِ لَهُ مَا دِينُكَ فَيَقُولُ دِينِي الْإِسْلَامُ فَيَقُولَانِ لَهُ مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ فَيَقُولُ هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَيَقُولَانِ لَهُ وَمَا عَلِمُكَ فَيَقُولُ قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ فَأَمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ أَنْ صَدَقَ عَبْدِي فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ وَالْبُسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ قَالَ فَيَأْتِيهِ مِنْ رُوحِهَا وَطَيِّبِهَا وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ قَالَ وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنَ الْوَجْهِ حَسَنَ الثِّيَابِ طَيِّبُ الرَّيْحِ فَيَقُولُ أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ فَيَقُولُ لَهُ مَنْ أَنْتَ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ فَيَقُولُ أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحِ فَيَقُولُ رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي قَالَ وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَاقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ مَعَهُمُ الْمُسُوحُ فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ اخْرُجِي إِلَى سَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَغَضَبٍ قَالَ فَتُفَرَّقُ فِي جَسَدِهِ فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يُنْتَزَعُ السَّفْقُودُ مِنَ الصُّوفِ الْمُبْلُولِ فَيَأْخُذُهَا فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدْعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ الْمُسُوحِ وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنَّ رِيحَ جَيْفَةٍ وَجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ فَيَصْعَدُونَ بِهَا فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا مَا هَذَا الرُّوحُ الْخَبِيثُ فَيَقُولُونَ فَلَانُ بْنُ فَلَانٍ بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمِّي بِهَا فِي الدُّنْيَا حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيُسْتَفْتَحُ لَهُ فَلَا يُفْتَحُ لَهُ ثُمَّ قَرَأَ النَّبِيُّ ﷺ ﴿لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلْجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سَجِّينَ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى فَتَطْرَحُ رُوحُهُ طَرَحًا ثُمَّ قَرَأَ ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ مَنْ رَبُّكَ فَيَقُولُ هَاهُ هَاهُ لَا أَدْرِي فَيَقُولَانِ لَهُ مَا دِينُكَ فَيَقُولُ هَاهُ هَاهُ لَا أَدْرِي فَيَقُولَانِ لَهُ مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ فَيَقُولُ هَاهُ هَاهُ لَا أَدْرِي فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ فَأَفْرِشُوا لَهُ مِنَ النَّارِ وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسُمُومِهَا وَيُضَيِّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ قَبِيحُ الثِّيَابِ مُنْتِنُ الرِّيحِ فَيَقُولُ أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُوءُكَ هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ فَيَقُولُ مَنْ أَنْتَ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالشَّرِّ فَيَقُولُ أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثِ فَيَقُولُ رَبِّ لَا تُقِمِ السَّاعَةَ" (١)

■ **وفي مسلم عن أبي هريرة** رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "إِذَا خَرَجَتْ رُوحُ الْمُؤْمِنِ تَلَقَّاهَا مَلَكَانِ يُصْعِدَانِهَا فَذَكَرَ مِنْ طَيِّبِ رِيحِهَا وَذَكَرَ الْمِسْكَ قَالَ وَيَقُولُ أَهْلُ السَّمَاءِ رُوحٌ طَيِّبَةٌ جَاءَتْ مِنْ قِبَلِ الْأَرْضِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ

(١) - أخرجه أحمد في "مسنده" (٨ / ٤٢٢٢) برقم: (١٨٨٣٢) (بهذا اللفظ) ، والحاكم في "مستدرکه" (١ / ٣٧) برقم: (١٠٨) (بنحوه). وصححه ووافقه الذهبي. قال الأرنؤوط في «مسند أحمد» (٣٠ / ٥٠٣ ط الرسالة): «إسناده صحيح، رجاله رجال الصحيح». وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير وزيادته» (١ / ٣٤٤): برقم ١٦٧٦ .

وَعَلَى جَسَدٍ كُنْتَ تَعْمُرِيْنَهُ فَيَنْطَلِقُ بِهِ إِلَى رَبِّهِ عَزَّوَجَلَّ ثُمَّ يَقُولُ انْطَلِقُوا بِهِ إِلَى آخِرِ الْأَجَلِ قَالَ وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا خَرَجَتْ رُوحُهُ وَذَكَرَ مِنْ نَتْنِهَا وَذَكَرَ لَعْنَا وَيَقُولُ أَهْلُ السَّمَاءِ رُوحَ خَبِيثَةٍ جَاءَتْ مِنْ قِبَلِ الْأَرْضِ قَالَ فَيُقَالُ انْطَلِقُوا بِهِ إِلَى آخِرِ الْأَجَلِ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ فَرَدَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رِيْطَةً كَانَتْ عَلَيْهِ عَلَى أَنْفِهِ هَكَذَا^(١)

- **وفي مسلم عن أبي سعيد** رضي الله عنه قال بينما النبي ﷺ في حَائِطٍ لِبَنِي النَّجَّارِ عَلَى بَغْلَةٍ لَهُ وَنَحْنُ مَعَهُ إِذْ حَدَّثَ بِهِ فَكَادَتْ تُلْقِيهِ وَإِذَا أَقْبُرُسْتُهُ أَوْ خَمْسَةُ أَوْ أَرْبَعَةُ قَالَ كَذَا كَانَ يَقُولُ الْجُرَيْرِيُّ فَقَالَ مَنْ يَعْرِفُ أَصْحَابَ هَذِهِ الْأَقْبُرِ فَقَالَ رَجُلٌ أَنَا قَالَ فَمَتَى مَاتَ هَؤُلَاءِ قَالَ مَاتُوا فِي الْإِشْرَاقِ فَقَالَ إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا **فَلَوْلَا أَنْ لَا تَدَافِنُوا** لَدَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ فَقَالَ تَعَوِّذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ قَالُوا نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ فَقَالَ تَعَوِّذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ قَالُوا نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ قَالِ تَعَوِّذُوا بِاللَّهِ مِنْ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ قَالُوا نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ قَالَ تَعَوِّذُوا بِاللَّهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ قَالُوا نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ^(٢)
- **وفيهما عن أنس** رضي الله عنه أَنَّهُ حَدَّثَهُمْ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ أَتَاهُ مَلَكَانِ فَيَقْعِدَانِهِ فَيَقُولَانِ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ لِمُحَمَّدٍ ﷺ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَقُولُ أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ فَيُقَالُ لَهُ انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا قَالَ قَتَادَةُ وَذَكَرَ لَنَا أَنَّهُ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى حَدِيثِ أَنْسَ قَالَ وَأَمَّا الْمُنَافِقُ وَالْكَافِرُ فَيُقَالُ لَهُ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ فَيَقُولُ لَا أَدْرِي كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ فَيُقَالُ لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ وَيُضْرَبُ بِمِطَارِقٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ غَيْرَ الثَّقَلَيْنِ " **وفي لفظ مسلم** " قَالَ قَتَادَةُ وَذَكَرَ لَنَا أَنَّهُ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا وَيُمْلَأُ عَلَيْهِ خَضِرًا إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ"^(٣)

(١) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ١٦٢) برقم: (٢٨٧٢) (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه) (بهذا اللفظ) .

(٢) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ١٦٠) برقم: (٢٨٦٧) (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه) (بهذا اللفظ) .

(٣) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٢ / ٩٨) برقم: (١٣٧٤) (كتاب الجنائز ، باب ما جاء في عذاب القبر) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (٨ / ١٦١) برقم: (٢٨٧٠) (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه) (بمثله مختصرا) .

- وفيهما عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ ، عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ، فَيُقَالُ: هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .^(١)
- (صحيح) وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: "هذا الذي تحرك له العرش وفتحت له أبواب السماء وشهده سبعون ألفاً من الملائكة لقد ضم ضمة ثم فرج عنه"^(٢)
- (صحيح) . عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "لِلْقَبْرِ ضَغْطَةٌ لَوْ نَجَا مِنْهَا أَحَدٌ لَنَجَا مِنْهَا سَعْدُ بْنُ مَعَاذٍ"^(٣)

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٢ / ٩٩) برقم: (١٣٧٩) (كتاب الجنائز ، باب الميت يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (٨ / ١٦٠) برقم: (٢٨٦٦) (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه) (بمثله).

(٢) - أخرجه النسائي في "المجتبى" (١ / ٤٢٢) برقم: (٢٠٥٤ / ١) (كتاب الجنائز ، باب ضمة القبر وضغطته) (بهذا اللفظ) . قال النووي في «خلاصة الأحكام» (٢ / ١٠٤٣): "رواه النسائي بإسناد صحيح". قال الأرئوط في «صحيح ابن حبان» (١٥ / ٥٠٧): "...قد صح الحديث من طريق آخر عن ابن عمر بغير هذا اللفظ: فقد أخرجه النسائي... وهذا الإسناد صحيح". وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير وزيادته» (٢ / ١١٧٢): برقم ٦٩٨٧ .

(٣) - أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (٧ / ٣٧٩) برقم: (٣١١٢) (كتاب الجنائز وما يتعلق بها مقدماً أو مؤخراً ، ذكر البيان بأن ضغطة القبر لا ينجو منها أحد من هذه الأمة نسأل الله حسن السلامة منها) (بهذا اللفظ) وأحمد في "مسنده" (١١ / ٥٨٦٩) برقم: (٢٤٩٢١) (بمثله). قال الأرئوط في «صحيح ابن حبان» (٧ / ٣٧٩): «إسناده صحيح على شرط مسلم. صفیه: هي بنت أبي عبيد مسعود الثقفي، لم يرو لها البخاري، وباقي السند على شرطهما. » ، وصححه الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها» (٤ / ٢٦٨): برقم «١٦٩٥» .

○ مسألة: من الذي يقبض الروح؟

- قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "...وقد أسند الله قبض الأنفس إليه سبحانه في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: ٤٢] ، وأسنده إلى الملائكة في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام: ٦١] وفي قوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ﴾ [الأنفال: ٥٠] وأسنده إلى ملك الموت في قوله: ﴿قُلْ يَتَوَفَّكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السجدة: ١١]

ولا تعارض بين الآيات، والإضافة في هذه الآيات إلى كل بحسبه ؛ فالله هو الذي قضى بالموت وقدره، فهو بقضائه وقدره وأمره ، فأضيف إليه التوفي لأجل ذلك ، وملك الموت يتولى قبضها واستخراجها من البدن ، ثم تأخذها منه ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب ، ويتولونها بعده ، فصحت إضافة التوفي إلى كل بحسبه. " اهـ

○ مسألة: هل فتنة القبر لجميع الأموات ؟

فتنة القبر عامة للمكلفين إلا النبيين فقد اختلف فيهم، وكذلك اختلف في غير المكلفين كالصبيان والمجانين: فقول: لا يفتنون لأن المحنة إنما تكون للمكلفين. وقول: يفتنون.

- **وحجة من قال: إنهم يسألون:** أنه يشرع الصلاة عليهم والدعاء لهم وسؤال الله أن يقيمهم عذاب القبر وفتنة القبر:

■ **في صحيح مسلم عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت:** دُعِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى جَنَازَةِ صَبِيٍّ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ طُوبَى لِهَذَا عُصْفُورٍ مِنْ عَصَافِيرِ الْجَنَّةِ لَمْ يَعْمَلِ السُّوءَ ، وَلَمْ يُدْرِكْهُ قَالَ: أَوْغَيْرُ ذَلِكَ يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ لِلْجَنَّةِ أَهْلًا خَلَقَهُمْ لَهَا ، وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ ، وَخَلَقَ لِلنَّارِ أَهْلًا خَلَقَهُمْ لَهَا وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ .." (١)

■ **وفي مسلم عن البراء بن عازب رضي الله عنه،** عَنْ أَبِي أَيُّوبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ صَبِيًّا دُفِنَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَوْ أَقْلَيْتَ أَحَدًا مِنْ ضَمَّةِ الْقَبْرِ لَأُقْلَيْتَ هَذَا الصَّبِيَّ". (٢).

- قالوا: والله سبحانه يكمل لهم عقولهم؛ ليعرفوا بذلك منزلتهم، ويلهمون الجواب عما يسألون عنه. قالوا: وقد دل على ذلك الأحاديث الكثيرة التي فيها أنهم يمتحنون في الآخرة، وحكاة الأشعري عن أهل السنة والحديث؛ فإذا امتحنوا في الآخرة؛ لم يمتنع امتحانهم في القبور.

- **واحتج من قال: إنهم لا يسألون:** بأن السؤال إنما يكون لمن عقل الرسول والمرسل ، فيسأل: هل آمن بالرسول وأطاعه أم لا؟ فأما الطفل الذي لا تمييز له بوجه ما ؛ فكيف يقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ ولو رد إليه عقله في القبر ؛ فإنه لا يسأل عما لم يتمكن من معرفته والعلم به، ولا فائدة في هذا السؤال. وهذا بخلاف امتحانهم في الآخرة ؛ فإن الله سبحانه يرسل إليهم رسولا ويأمرهم بطاعته وعقولهم معهم ؛ فمن أطاعه منهم ؛ نجا، ومن عصاه ؛ أدخله النار. فذلك امتحان بأمر يأمرهم به يفعلونه ذلك الوقت ، لا أنه سؤال عن أمر مضى لهم في الدنيا من طاعة أو عصيان كسؤال الملكين في القبر.

- **وأجابوا عن أدلة الأولين:** أما حديث البراء ؛ فليس المراد بضمة القبر فيه عقوبة الطفل على ترك

(١) - قال في «جامع المسانيد والسنن» (٤٧ / ٩): أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» ١٢١ / ٤ رقم ٣٨٥٨ ، قال الهيثمي ورجاله رجال الصحيح، مجمع الزوائد: ٤٧ / ٣ وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير وزيادته» (٩٢٩ / ٢): برقم «٥٢٣٨» ، وفي «سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها» (١٩٥ / ٥): برقم «٢١٦٤»

(٢) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٥٤ / ٨) برقم: (٢٦٦٢) (كتاب القدر ، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين) (بهذا اللفظ)

طاعة أو فعل معصية قطعاً ؛ فإن الله لا يعذب أحداً بلا ذنب عمله ، ولكنه أمر آخر يحصل بأمور كثيرة . ومن هذا الباب: قوله ﷺ:

■ **ففيهما عن ابن أبي مليكة** قَالَ تُوَفِّيْتُ ابْنَةَ عُثْمَانَ بِمَكَّةَ وَجِئْنَا لِنَشْهَدَهَا وَحَضَرَهَا ابْنُ عُمَرَ وَابْنُ عَبَّاسٍ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ لِعُمَرَ بْنِ عُثْمَانَ أَلَا تَنْهَى عَنِ الْبُكَاءِ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ إِنَّ الْمَيِّتَ لَيُعَذَّبُ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ قَدْ كَانَ عُمَرُ يَقُولُ بَعْضُ ذَلِكَ ثُمَّ حَدَّثَ فَلَمَّا أُصِيبَ عُمَرُ دَخَلَ صُحَيْبٌ يَبْكِي يَقُولُ وَأَخَاهُ وَاصْاحِبَاهُ فَقَالَ عُمَرُ يَا صُحَيْبُ أَتَبْكِي عَلَيَّ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِنَّ الْمَيِّتَ يُعَذَّبُ بِبَعْضِ بُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ ^(١) ؛ أي: يتألم بذلك ويتوجع منه لا أنه يعاقب بذنب الحي، وقد قال تعالى: {وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى} ، وهذا كقول النبي ﷺ:

■ **وفيهما عن أبي هريرة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "السَّفَرُ قِطْعَةٌ مِنَ الْعَذَابِ" ^(٢) فالعذاب أعم من العقوبة، ولا ريب أن في القبر من الآلام والهموم والحسرات ما قد يسري أثره إلى الطفل فيتألم ، فيشرع للمصلي عليه أن يسأل الله تعالى له أن يقيه ذلك العذاب. والله أعلم.

○ **وممن يستثنى من فتنة القبر: الشهيد** ، فالشهيد الذي قُتل في سبيل الله لا يُسأل.

■ **ففي مسلم عن سلمان** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ ، وَإِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ ، وَأُجِرِيَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ وَأَمِنَ الْفِتَانَ ^(٣).

■ **(صحيح)** . وجاء عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ رَجُلًا قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا بَالُ الْمُؤْمِنِينَ يُفْتَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ إِلَّا الشَّهِيدَ ؟ قَالَ : كَفَى بِبَارِقَةِ السُّيُوفِ عَلَى رَأْسِهِ فِتْنَةً ^(٤) ، فإن هذا الرجل الذي وقف أمام السيوف وسلّم رقبتة للعدو يدل فعله هذا أكبر دلالة على صحة إيمانه، وحينئذٍ لا يحتاج إلى سؤال .

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٢ / ٧٩) برقم: (١٢٨٦) (كتاب الجنائز ، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم يعذب الميت ببعض بكاء أهله (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (٣ / ٤٣) برقم: (٩٢٩) (كتاب الجنائز ، باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه (بمثله) .

(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٣ / ٨) برقم: (١٨٠٤) (أبواب العمرة ، باب السفر قطعة من العذاب) (بمثله مختصراً) ، ومسلم في "صحيحه" (٦ / ٥٥) برقم: (١٩٢٧) (كتاب الإمارة ، باب السفر قطعة من العذاب واستحباب تعجيل المسافر إلى أهله بعد قضاء شغله (بهذا اللفظ) .

(٣) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٦ / ٥٠) برقم: (١٩١٣) (كتاب الإمارة ، باب فضل الرباط في سبيل الله عز وجل) (بهذا اللفظ)

(٤) - أخرجه النسائي في "المجتبى" (١ / ٤٢٢) برقم: (١ / ٢٠٥٢) (كتاب الجنائز ، باب الشهيد) (بهذا اللفظ) . قال الألباني في «أحكام الجنائز» (١ / ٣٦): «رواه النسائي (١ / ٢٨٩) وعنه القاسم السرقسطي في " الحديث " (٢ / ١٦٥ / ١) وسنده صحيح»

○ **مسألة:** واختلفوا: هل السؤال في القبر عام في حق المسلمين والمنافقين والكفار أو يختص بالمسلم والمنافق؟ فقيل: يختص ذلك بالمسلم والمنافق دون الكافر الجاحد المبطل. وقيل: السؤال في القبر عام للكافر والمسلم، وهذا هو الذي يدل عليه الكتاب والسنة، واستثناء الكافر من هذا لا وجه له.

○ **مسألة:** واختلفوا: هل السؤال في القبر مختص بهذه الأمة، أو يكون لها ولغيرها على ثلاثة أقوال:

● **القول الأول:** أنه خاص بهذه الأمة؛ لأن الأمم قبلنا كانت الرسل تأتيهم بالرسالة؛ فإذا أبوا؛ كفت الرسل، واعتزلوهم، وعوجلوا بالعذاب، فلما بعث محمد ﷺ بالرحمة إماما للخلق؛ كما قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ}؛ أمسك عنهم العذاب، وأعطى السيف حتى يدخل في دين الإسلام من دخل لمهابة السيف، ثم يرسخ الإيمان في قلبه، فأمهلوا فمن ثم ظهر أمر النفاق، وكانوا يسرون الكفر ويعلنون الإيمان، فكانوا بين المسلمين في ستر، فلما ماتوا؛ قيض الله لهم فتاني القبر ليستخرجوا سرهم بالسؤال. واحتج أهل هذا القول بقوله ﷺ:

■ **كما في مسلم عن أبي سعيد** رضي الله عنه قال: "بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ فِي حَائِطٍ لِّبَنِي النَّجَّارِ عَلَى بَغْلَةٍ لَهُ وَنَحْنُ مَعَهُ إِذْ حَدَّثَ بِهِ فَكَادَتْ تُلْقِيهِ وَإِذَا أَقْبُرُ سِتَّةٌ أَوْ خَمْسَةٌ أَوْ أَرْبَعَةٌ قَالَ كَذَا كَانَ يَقُولُ الْجَرِيرِيُّ فَقَالَ مَنْ يَعْرِفُ أَصْحَابَ هَذِهِ الْأَقْبُرِ فَقَالَ رَجُلٌ أَنَا قَالَ فَمَتَى مَاتَ هَؤُلَاءِ قَالَ مَاتُوا فِي الْإِشْرَاقِ فَقَالَ إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا فَلَوْلَا أَنْ لَا تَدَافِنُوا لَدَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ" (١)

■ **وبقوله** ﷺ **فيهما عن أسماء** رضي الله عنها "فانصرف النبي ﷺ وقد تجلت الشمس فخطب رسول الله ﷺ الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد ما من شيء لم أكن رأيته إلا في مقامي هذا حتى الجنة والنار وإنه قد أوحى إلي أنكم تفتنون في القبور قريبا أو مثل فتنة المسيح الدجال" (٢) وهذا ظاهر في الاختصاص بهذه الأمة، ويدل عليه قول الملكين: "ما كنت تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم؟".

● **القول الثاني:** أن السؤال في القبر لهذه الأمة ولغيرها، **وأجاب أصحاب هذا القول عن أدلة القول الأول** بأنها لا تدل على الاختصاص بالسؤال لهذه الأمة دون سائر الأمم. وقوله: "هذه الأمة": إما أن يراد به أمة الناس؛ أي: بني آدم؛ كما في قوله تعالى: {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ}

(١) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ١٦٠) برقم: (٢٨٦٧) (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه) (بهذا اللفظ).

(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ٤٨) برقم: (١٨٤) (كتاب الوضوء، باب من لم يتوضأ إلا من الغشي المثلث) (بهذا اللفظ)، ومسلم في "صحيحه" (٣ / ٣٢) برقم: (٩٠٥) (كتاب صلاة الاستسقاء، باب ما عرض على النبي صلى الله عليه وسلم في صلاة الكسوف من أمر الجنة والنار) (بنحوه).

إِلَّا أُمَّمٌ أَمْثَالُكُمْ} ، وكل جنس من أجناس الحيوان يسمى أمة. وإن كان المراد أمته ﷺ ؛ لم يكن فيه ما ينفي سؤال غيرهم من الأمم ؛ لأنه إخبار لهم بأنهم يسألون في قبورهم. وكذلك حديث: (أوحى إلي أنكم تفتنون في قبوركم) ؛ مجرد إخبار لا ينفي سؤال غيرهم.

■ وبدليل **قصة اليهودية مع عائشة رضي الله عنها في مسلم** : " عن عُرْوَةَ بِنِ الزُّبَيْرِ أَنَّ عَائِشَةَ قَالَتْ : دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَعِنْدِي امْرَأَةٌ مِنَ الْيَهُودِ وَهِيَ تَقُولُ : هَلْ شَعَرْتَ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ ؟ قَالَتْ : فَارْتَاعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ! وَقَالَ : إِنَّمَا تُفْتَنُ يَهُودُ قَالَتْ عَائِشَةُ : فَلَيْتَنَا لِيَالِي ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : هَلْ شَعَرْتَ أَنَّهُ أَوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ ؟ قَالَتْ عَائِشَةُ : فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعْدُ يَسْتَعِيدُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ . «^(١) وهذا يدل على أن عذاب القبر أمر مستقر في عقيدتهم " .

■ **وفي لفظ فيهما عن عائشة رضي الله عنها**؛ قالت: "دخلت عليَّ عجوز من عجائز يهود المدينة، فقالت إن أهل القبور يعذبون في قبورهم قالت فكذبها، ولم أنعم أن أصدقها قالت فخرجت، ودخل علي رسول الله ﷺ ، فقلت يا رسول الله! إن عجوزا من عجائز يهود أهل المدينة دخلت فزعمت أن أهل القبور يعذبون في قبورهم؟ قال صدقت؛ إنهم يعذبون عذابا تسمعه البهائم كلها قالت فما رأيته بعد في صلاة إلا يتعوذ من عذاب القبر" ^(٢)

● **القول الثالث:** التوقف في هذه المسألة؛ لأن الأدلة في ذلك محتملة وليست قاطعة في الاختصاص. والله أعلم...

(١) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٢ / ٩٢) برقم: (٥٨٤) (كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب استحباب التعوذ من عذاب القبر (بهذا اللفظ)

(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٢ / ٩٩) برقم: (١٣٧٧) (كتاب الجنائز ، باب التعوذ من عذاب القبر) (بنحوه.) ومسلم في "صحيحه" (٢ / ٩٣) برقم: (٥٨٨) (كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب ما يستعاذ منه في الصلاة) (بهذا اللفظ)

○ مسألة : صفة سؤال الملكين على ما وردت به الأحاديث:

■ (صحيح) . جاء في حديث البراء بن عازب رضي الله عنه : قوله ﷺ : "فتعاد روحه -يعني الميت- في جسده، ويأتيه ملكان" (١) .

■ وفي "الصحيحين" من حديث قتادة عن أنس رضي الله عنه : أن النبي ﷺ قال: " عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه ، أَنَّهُ حَدَّثَهُمْ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ ، وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ ، أَنَّهُ مَلَكَانِ ، فَيَقْعِدَانِهِ فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ لِمَحَمَّدٍ ﷺ . فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ . فَيَقَالَ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ ، قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ ، فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا" . قَالَ قَتَادَةُ: وَذَكَرَ لَنَا: أَنَّهُ يُفْسَخُ لَهُ فِي قَبْرِهِ ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى حَدِيثِ أَنَسٍ ، قَالَ: وَأَمَّا الْمُنَافِقُ وَالْكَافِرُ فَيَقَالَ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي ، كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ ، فَيَقَالَ: لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ . وَيُضْرَبُ بِمِطَارِقٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً ، يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ غَيْرَ الثَّقَلَيْنِ . " (٢) .

■ (حسن صحيح) وفي حديث آخر في "صحيح ابن حبان عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ وفيه: " (أتاه ملكان أسودان أزرقان؛ يقال لأحدهما المنكر، وللآخر النكير) (٣) .

■ (حسن) وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : (إِنَّ الْمَيِّتَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ إِنَّهُ يَسْمَعُ خَفَقَ نِعَالِهِمْ حِينَ يُوَلُّونَ عَنْهُ ، فَإِنْ كَانَ مُؤْمِنًا ، كَانَتْ الصَّلَاةُ عِنْدَ رَأْسِهِ ، وَكَانَ الصِّيَامُ عَنْ يَمِينِهِ ، وَكَانَتْ الزَّكَاةُ عَنْ شِمَالِهِ ، وَكَانَ فِعْلُ الْخَيْرَاتِ مِنَ الصَّدَقَةِ وَالصِّلَةِ وَالْمَعْرُوفِ وَالْإِحْسَانِ إِلَى النَّاسِ عِنْدَ رِجْلَيْهِ . فَيُؤْتَى مِنْ قَبْلِ رَأْسِهِ ، فَتَقُولُ الصَّلَاةُ : مَا قَبْلِي مَدْخُلٌ ، ثُمَّ يُؤْتَى عَنْ يَمِينِهِ ، فَيَقُولُ الصِّيَامُ : مَا قَبْلِي مَدْخُلٌ ، ثُمَّ يُؤْتَى عَنْ يَسَارِهِ ، فَتَقُولُ الزَّكَاةُ : مَا قَبْلِي مَدْخُلٌ ، ثُمَّ يُؤْتَى مِنْ قَبْلِ رِجْلَيْهِ ، فَتَقُولُ الْخَيْرَاتُ مِنَ الصَّدَقَةِ وَالصِّلَةِ وَالْمَعْرُوفِ وَالْإِحْسَانِ إِلَى النَّاسِ : مَا قَبْلِي مَدْخُلٌ ، فَيَقَالَ لَهُ : اجْلِسْ ، فَيَجْلِسُ وَقَدْ مُثِّلَتْ لَهُ الشَّمْسُ وَقَدْ أُذْنِيتَ لِلْغُرُوبِ ، فَيَقَالَ لَهُ : أَرَأَيْتَكَ هَذَا الرَّجُلَ الَّذِي كَانَ فِيكُمْ مَا تَقُولُ فِيهِ ، وَمَاذَا تَشْهَدُ بِهِ عَلَيْهِ ؟ فَيَقُولُ : دَعُونِي حَتَّى أَصَلِّيَ ، فَيَقُولُونَ : إِنَّكَ سَتَفْعَلُ ، أَخْبِرْنِي عَمَّا نَسَأَلُكَ عَنْهُ ،

(١) - أخرجه أحمد في "مسنده" (٨ / ٤٢٢٢) برقم: (١٨٨٣٢) (بهذا اللفظ) ، والحاكم في "مستدركه" (١ / ٣٧) برقم: (١٠٨) (بنحوه) . وصححه ووافقه الذهبي . قال الأرئوط في «مسند أحمد» (٣٠ / ٥٠٣ ط الرسالة): "إسناده صحيح، رجاله رجال الصحيح".
 . وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير وزيادته» (١ / ٣٤٤) برقم ١٦٧٦ .

(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٢ / ٩٨) برقم: (١٣٧٤) (كتاب الجنائز ، باب ما جاء في عذاب القبر) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (٨ / ١٦١) برقم: (٢٨٧٠) (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه) (بمثله مختصرا) .

(٣) - أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (٧ / ٣٨٦) برقم: (٣١١٧) (بهذا اللفظ) ، والترمذي في "جامعه" (٢ / ٣٧٠) برقم: (١٠٧١) (بمثله) . وقال : "حسن غريب" . قال الأرئوط في «صحيح ابن حبان» (٧ / ٣٨٦): "إسناده قوي" . وقال الألباني في «صحيح موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان» (١ / ٣٤١) برقم ٦٤٩ : "حسن صحيح" .

أَرَأَيْتَكَ هَذَا الرَّجُلَ الَّذِي كَانَ فِيكُمْ مَا تَقُولُ فِيهِ ، وَمَاذَا تَشْهَدُ عَلَيْهِ ؟ قَالَ : فَيَقُولُ : مُحَمَّدٌ ؟ أَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ، وَأَنَّهُ جَاءَ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، فَيُقَالُ لَهُ : عَلَى ذَلِكَ حَيِّتْ وَعَلَى ذَلِكَ مِتَّ ، وَعَلَى ذَلِكَ تُبْعَثُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ ، فَيُقَالُ لَهُ : هَذَا مَقْعَدُكَ مِنْهَا ، وَمَا أَعَدَّ اللَّهُ لَكَ فِيهَا ، فَيَزِدَادُ غِبْطَةً وَسُرُورًا ، ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ النَّارِ ، فَيُقَالُ لَهُ : هَذَا مَقْعَدُكَ مِنْهَا وَمَا أَعَدَّ اللَّهُ لَكَ فِيهَا لَوْ عَصَيْتَهُ ، فَيَزِدَادُ غِبْطَةً وَسُرُورًا ، ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا ، وَيُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ ، وَيُعَادُ الْجَسَدُ لِمَا بَدَأَ مِنْهُ ، فَتُجْعَلُ نَسَمَتُهُ فِي النَّسَمِ الطَّيِّبِ وَهِيَ طَيْرٌ يَعْلُقُ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ ، قَالَ : فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ يَثْبُتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾ ، إِلَى آخِرِ الْآيَةِ ، قَالَ : وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا أَتَى مِنْ قَبْلِ رَأْسِهِ ، لَمْ يَوْجَدْ شَيْءً ، ثُمَّ أَتَى عَنْ يَمِينِهِ ، فَلَا يَوْجَدْ شَيْءً ، ثُمَّ أَتَى عَنْ شِمَالِهِ ، فَلَا يَوْجَدْ شَيْءً ، ثُمَّ أَتَى مِنْ قَبْلِ رِجْلَيْهِ ، فَلَا يَوْجَدْ شَيْءً ، فَيُقَالُ لَهُ : اجْلِسْ ، فَيَجْلِسُ خَائِفًا مَرْعُوبًا ، فَيُقَالُ لَهُ : أَرَأَيْتَكَ هَذَا الرَّجُلَ الَّذِي كَانَ فِيكُمْ مَاذَا تَقُولُ فِيهِ ؟ وَمَاذَا تَشْهَدُ بِهِ عَلَيْهِ ؟ فَيَقُولُ : أَيُّ رَجُلٍ ؟ فَيُقَالُ : الَّذِي كَانَ فِيكُمْ ، فَلَا يَهْتَدِي لِاسْمِهِ حَتَّى يُقَالَ لَهُ : مُحَمَّدٌ ، فَيَقُولُ : مَا أَذْرِي ، سَمِعْتُ النَّاسَ قَالُوا قَوْلًا ، فَقُلْتُ كَمَا قَالَ النَّاسُ ، فَيُقَالُ لَهُ : عَلَى ذَلِكَ حَيِّتْ ، وَعَلَى ذَلِكَ مِتَّ ، وَعَلَى ذَلِكَ تُبْعَثُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ النَّارِ ، فَيُقَالُ لَهُ : هَذَا مَقْعَدُكَ مِنَ النَّارِ ، وَمَا أَعَدَّ اللَّهُ لَكَ فِيهَا ، فَيَزِدَادُ حَسْرَةً وَثُبُورًا ، ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ ، فَيُقَالُ لَهُ : ذَلِكَ مَقْعَدُكَ مِنَ الْجَنَّةِ ، وَمَا أَعَدَّ اللَّهُ لَكَ فِيهِ لَوْ أَطَعْتَهُ فَيَزِدَادُ حَسْرَةً وَثُبُورًا ، ثُمَّ يُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ ، فَتِلْكَ الْمَعِيشَةُ الضَّنَكَةُ الَّتِي قَالَ اللَّهُ : { فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى } .

(١)

○ فهذه الأحاديث وما جاء بمعناها تدل على مسائل:

- ١. أن السؤال يحصل حين يوضع الميت في قبره، وفي هذا رد على أهل البدع -كأبي الهذيل والمريسي- القائلين: إن السؤال يقع بين النفختين.
- ٢. تسمية الملكين منكرونيكير، وفي هذا رد على من زعم من المعتزلة أنه لا يجوز تسميتهما بذلك ، وأولوا ما ورد في الحديث بأن المراد بالمنكر تلجلجه إذا سئل ، والنكير تقريع الملائكة له.

(١) - أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (٣٨٣ / ٧) برقم: (٣١١٤) (كتاب الجنائز وما يتعلق بها مقدما أو مؤخرا ، ذكر الإخبار بأن المرء يفتن في قبره مسلما كان أو كافرا) (بهذا اللفظ) قال الأرئووط في «الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان» (٣٨٢ / ٧): «إسناده حسن من أجل محمد بن عمرو، وهو ابن علقمة بن وقاص الليثي» ، قال الألباني في «التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان» (٥/ ٩٧): «حسن - (التعليق الرغيب) ((٤ / ١٨٨ - ١٨٩) ، ((أحكام الجنائز)) (١٩٨ - ٢٠٢)»

٣. أنها ترد روح الميت إليه في قبره حين السؤال، ويجلس ويستنطق، وفي هذا رد على أبي محمد بن حزم حيث نفى ذلك ؛ إلا إن كان يريد نفى الحياة المعهودة في الدنيا ؛ فهذا صحيح ؛ فإن عود الروح إلى بدن الميت ليس مثل عودها إليه في هذه الحياة الدنيا ، وإن كان ذاك قد يكون أكمل من بعض الوجوه ؛ كما أن النشأة الأخرى ليست مثل هذه النشأة ، وإن كانت أكمل منها ، بل كل موطن في هذه الدار وفي البرزخ والقيامة له حكم يخصه ، ولهذا أخبر النبي ﷺ أن الميت يوسع له في قبره ويسأل ونحو ذلك ، وإن كان التراب قد لا يتغير ؛ فالأرواح تعاد إلى بدن الميت وتفارقه. ويشهد لذلك قوله تعالى : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [البقرة: ٢٨] فالحياة بعد الموت هي حياة البرزخ ، قبل الحياة الكاملة التي يكون فيها الرجوع إلى الله يوم القيامة . والله تعالى أعلم.

○ المسألة الثانية: عذاب القبر ونعيمه.

مذهب سلف الأمة وأئمتها: أن الميت إذا مات يكون في نعيم أو عذاب ، وأن ذلك يحصل لروحه وبدنه ، وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة ، وأنها تتصل بالبدن ويحصل له معها النعيم أو العذاب. وأدلة عذاب القبر ونعيمه كثيرة في القرآن والسنة وإجماع السلف.

● فمن القرآن:

- قوله تعالى: ﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ وَتَصْلِيَةٌ جَهِيمٍ ﴾ [الواقعة: ٨٣-٩٦] فذكرها هنا أحكام الأرواح عند الموت ، وذكر في أول السورة أحكامها يوم المعاد الأكبر ، وقدم ذلك على هذا تقديم الغاية للعناية ؛ إذ هي أهم وأولى بالذكر ، وجعلهم عند الموت ثلاثة أقسام ؛ كما جعلهم في الآخرة ثلاثة أقسام.
- وقال الله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [الأنعام: ٩٣] وهذا خطاب لهم عند الموت ، وقد أخبرت الملائكة وهم الصادقون أنهم حينئذ يجزون عذاب الهون ، ولو تأخر عنهم ذلك إلى انقضاء الدنيا ؛ لما صح أن يقال لهم: ﴿ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ ﴾ ، فدل على أن المراد به عذاب القبر.
- وقال الله تعالى: ﴿ فَذَرَهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الطور: ٤٥-٤٦] ، وهذا يحتمل عذابهم بالقتل وغيره في الدنيا ، وأن يراد به عذابهم في البرزخ ؛ لأن كثيرا منهم مات ولم يعذب في الدنيا ، وقد يقال -وهو أظهر-: إن من مات منهم ؛ عذب في البرزخ ، ومن بقي منهم ؛ عذب في الدنيا بالقتل وغيره ؛ فهو وعيد بعذابهم في الدنيا وفي البرزخ.
- وقال تعالى: ﴿ فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ [غافر: ٤٥-٤٦] . فذكر عذاب الدارين ذكرا صريحا لا يحتمل غيره ، فدل على ثبوت عذاب القبر.

■ وقوله تعالى: ﴿مِمَّا خَطِيئَتُهُمْ أُغْرِقُوا فَأَذْخَلُوا نَارًا﴾ من الآية [نوح: ٢٥] . فدخل النار أعقب الإغراق مباشرة فدل على ثبوت عذاب القبر .

● أما أدلة عذاب القبر من السنة النبوية فهي أحاديث كثيرة متواترة عن النبي ﷺ ، ومنها:

■ ما في "الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "مرَّ النبي ﷺ بِقَبْرَيْنِ فَقَالَ إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنَ الْبَوْلِ وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ" وفي لفظ للبخاري " : يُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرَةٍ ، وَإِنَّهُ لَكَبِيرٌ " (١)

■ وفي "صحيح مسلم" عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: "بينما رسول الله ﷺ في حائط لبني النجار على بغلته، ونحن معه؛ إذ حادت به، فكادت تلقيه، فإذا أقبر ستة أو خمسة أو أربعة، فقال من يعرف أصحاب هذه القبور؟ فقال رجل أنا قال فمتى مات هؤلاء؟ قال في الإشراف فقال إن هذه الأمة تبتلى في قبورها، فلولا أن لا تدافنوا؛ لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه" الحديث. (٢)

■ وفي مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال ﷺ : إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ أَرْبَعٍ يَقُولُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ" وفي لفظ عنه « إذا فرغ أحدكم من التشهد الآخر فليتعوذ بالله من أربع من عذاب جهنم ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات ومن شر المسيح الدجال » (٣).

■ وفي "الصحيحين" عن البراء بن عازب ، عَنْ أَبِي أَيُّوبَ رضي الله عنهم قال: خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَقَدْ وَجَبَتِ الشَّمْسُ ، فَسَمِعَ صَوْتًا ، فَقَالَ: يَهُودُ تُعَذَّبُ فِي قُبُورِهَا" (٤) .

■ وفي "الصحيحين" عن عائشة رضي الله عنها؛ قالت: "دخلت عليَّ عجوز من عجائز يهود المدينة، فقالت إن أهل القبور يعذبون في قبورهم قالت فكذبتها، ولم أنعم أن أصدقها قالت فخرجت، ودخل علي رسول الله ﷺ ، فقلت يا رسول الله! إن عجوزا من عجائز يهود أهل المدينة دخلت فزعمت أن أهل

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ٥٣) برقم: (٢١٦) (كتاب الوضوء ، باب من الكبائر أن لا يستتر من بوله) (بهذا اللفظ) ، واللفظ الآخر (٨ / ١٧) برقم: (٦٠٥٥) (كتاب الأدب ، باب النميمة من الكبائر) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (١ / ١٦٦) برقم: (٢٩٢) (كتاب الطهارة ، باب الدليل على نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه) (بنحوه مختصرا).

(٢) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ١٦٠) برقم: (٢٨٦٧) (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه) (بهذا اللفظ) .

(٣) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٢ / ٩٣) برقم: (٥٨٨) (كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب ما يستعاذ منه في الصلاة) (بهذا اللفظ) .

(٤) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٢ / ٩٩) برقم: (١٣٧٥) (كتاب الجنائز ، باب التعوذ من عذاب القبر) (بهذا اللفظ) ومسلم في "صحيحه" (٨ / ١٦١) برقم: (٢٨٦٩) (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه) (بنحوه).

القبور يعذبون في قبورهم؟ قال صدقت؛ إنهم يعذبون عذاباً تسمعه البهائم كلها قالت فما رأيته بعد في صلاة إلا يتعوذ من عذاب القبر" (١)

● وقد أجمع السلف على ذلك؟

وأهل السنة والجماعة يتفقون على أن النفس تنعم وتعذب منفردة عن البدن ، وتنعم وتعذب متصلة بالبدن والبدن متصل بها ، فيكون النعيم والعذاب عليهما في هذه الحال مجتمعين ؛ كما يكون ذلك على الروح منفردة عن البدن ، وينبغي على ذلك المسألة التالية:

○ **مسألة :** وهل يكون النعيم والعذاب على البدن بدون الروح؟ هذا فيه قولان مشهوران لأهل الحديث والسنة وأهل الكلام:

● قال ابن القيم في «الروح - ابن القيم» (ص ٥١ ط العلمية): «قَوْلُ السَّائِلِ هَلْ عَذَابُ الْقَبْرِ عَلَى النَّفْسِ وَالْبَدَنِ؟ أَوْ عَلَى النَّفْسِ دُونَ الْبَدَنِ؟ أَوْ عَلَى الْبَدَنِ دُونَ النَّفْسِ؟ وَهَلْ يُشَارِكُ الْبَدَنُ النَّفْسَ فِي النَّعِيمِ وَالْعَذَابِ أَمْ لَا؟ وَقَدْ سُئِلَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ عَنْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ وَنَحْنُ نَذْكُرُ لَفْظَ جَوَابِهِ فَقَالَ: بَلِ الْعَذَابُ وَالنَّعِيمُ عَلَى النَّفْسِ وَالْبَدَنِ جَمِيعًا بِاتِّفَاقِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ ، تَنَعَّمَ النَّفْسُ وَتُعَذَّبُ مُنْفَرِدَةً عَنِ الْبَدَنِ ، وَتَنَعَّمَ وَتُعَذَّبُ مُتَّصِلَةً بِالْبَدَنِ وَالْبَدَنُ مُتَّصِلٌ بِهَا ، فَيَكُونُ النَّعِيمُ وَالْعَذَابُ عَلَيْهِمَا فِي هَذِهِ الْحَالِ مُجْتَمِعَيْنِ ، كَمَا تَكُونُ عَلَى الرُّوحِ مُنْفَرِدَةً عَنِ الْبَدَنِ . وَهَلْ يَكُونُ الْعَذَابُ وَالنَّعِيمُ لِلْبَدَنِ بِدُونِ الرُّوحِ؟ هَذَا فِيهِ قَوْلَانِ مَشْهُورَانِ لِأَهْلِ الْحَدِيثِ وَالسُّنَّةِ وَأَهْلِ الْكَلَامِ ، وَفِي الْمَسْأَلَةِ أَقْوَالٌ شَاذَةٌ لَيْسَتْ مِنْ أَقْوَالِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْحَدِيثِ مِنْهَا:

● قَوْلٌ مَنْ يَقُولُ إِنَّ النَّعِيمَ وَالْعَذَابَ لَا يَكُونُ إِلَّا عَلَى الرُّوحِ وَإِنَّ الْبَدَنَ لَا يَنَعَّمُ وَلَا يُعَذَّبُ ، وَهَذَا تَقُولُهُ الْفَلَسَفَةُ الْمُنْكَرُونَ لِمَعَادِ الْأَبْدَانِ ، وَهَؤُلَاءِ كُفَّارٌ بِجَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ .

● ويقولون كثير من أهل الكلام من المعتزلة وغيرهم الذين يقرون بمعاد الأبدان ، لكن يقولون لا يكون ذلك في البرزخ وإنما يكون عند القيام من القبور ، لكن هؤلاء ينكرون عذاب البدن في البرزخ فقط ، ويقولون إن الأرواح هي المنعمة أو المعذبة في البرزخ ، فإذا كان يوم القيامة عذبت الروح والبدن معاً ، وهذا القول قاله طوائف من المسلمين من أهل الكلام والحديث وغيرهم وهو اختيار ابن حزم وأبْنِ مَرَّةٍ فَهَذَا الْقَوْلُ لَيْسَ مِنَ الْأَقْوَالِ الثَّلَاثَةِ الشَّاذَّةِ بَلْ هُوَ مُضَافٌ إِلَى قَوْلٍ مَنْ يَقُولُ بِعَذَابِ

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٢ / ٩٩) برقم: (١٣٧٧) (كتاب الجنائز ، باب التعوذ من عذاب القبر) (بنحوه). ومسلم في "صحيحه" (٢ / ٩٣) برقم: (٥٨٨) (كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب ما يستعاذ منه في الصلاة) (بهذا اللفظ)

القَبْرِ وَيَقْرَبُ الْقِيَامَةَ وَيَثْبِتُ مَعَادَ الْأَبْدَانِ وَالْأَرْوَاحِ ...

- **فصل فإذا عرفت هذه الأقوال الباطلة فلتعلم أن مذهب سلف الأمة وأنتمها أن الميت إذا مات يكون في نعيم أو عذاب ، وأن ذلك يحصل لروحه وبدنه ، وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة ، وأنّها تتصل بالبدن أحياناً ، ويحصل له معها النعيم أو العذاب ، ثمّ إذا كان يوم القيامة الكُبرى أُعيدت الأرواح إلى الأجساد ، وقاموا من قبورهم لرب العالمين ، ومعاد الأبدان مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ بين المسلمين والمُهود والنصارى.**" اهـ.

- قال الشيخ صالح آل الشيخ حفظه الله في «شرح الطحاوية : إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل» (ص ٤٥٥ بترقيم الشاملة آليا): «...لكن ينبغي أن يُفهم أنّ العذاب في البرزخ يختلف عن العذاب في الآخرة: وهو أنّ العذاب في البرزخ يقع على الروح والبدن تبعاً، كما أنّ النعيم في البرزخ للروح والبدن تبعاً. وأما بعد قيام الساعة فإنّ النعيم والعذاب للإنسان بروحه وبدنه جميعاً في أكمل تعلّق بينهما.

ويوضح ذلك أنّ الأحاديث جاء فيها ذِكرُ نَسَمَةِ المؤمن وروح المؤمن أنها في الجنة، وأنّ روح الكافر يؤخذ بها في النار، فالعذاب والنعيم في البرزخ يقعان على الروح، ليس الروح فقط ولكن الروح والبدن تبع، بعكس الحياة الدنيا، الحياة الدنيا التنعم أو التعذب يكون على البدن والروح أيضاً تنعم وتعذب لكن بالتبع، وبعد الموت عكس حالة الحياة الدنيا هي على الروح والبدن تبع لها، وهذا هو ما قرّره أئمة أهل الإسلام.

وهذا خلاف قول من يقول أنّ النعيم يكون للروح والعذاب على الروح فقط وأنّ البدن في البرزخ لا يُعَذَّبُ، هذا غلط كبير، ولا ينبغي أن يُنسَبَ هذا إلى أحد من أئمة الإسلام ؛ بل هو على الروح والبدن جميعاً ؛ وذلك أنّ الأدلة جاء فيها أنّ الميت يُعَذَّبُ ، وأنّ الإنسان يُعَذَّبُ ، والميت والإنسان اسم لبدنه وروحه معاً ، فمن ادعى الانفصال فلا بد له من إقامة دليل على ذلك ".

○ مسألة: أسباب عذاب القبر.

- قال العلامة السفاريني: "الأسباب التي يعذب بها أصحاب القبور على قسمين: مجمل ومفصل:
 - أما المجمل: فإنهم يعذبون على جهلهم بالله ، وعدم إطاعتهم لأمره وارتكابهم معاصيه ؛ فلا يعذب الله روحا عرفته وأحبته وامثلت أمره واجتنبت نهيه ، ولا بدنا كانت فيه أبدا ؛ فإن عذاب القبر وعذاب الآخرة أثر غضب الله وسخطه على عبده ؛ فمن أغضب الله وأسخطه في هذه الدار بارتكاب مناهيه ، ولم يتب ، ومات على ذلك ؛ كان له من عذاب البرزخ بقدر غضب الله وسخطه عليه ؛ فمستقل ومستكثر، ومصداق ومكذب.

■ وأما المفصل:

- فقد أخبر رسول الله ﷺ عن الرجلين اللذين رأهما يعذبان في قبورهما: أن أحدهما كان يمشي بالنميمة بين الناس، والآخر كان لا يستتر من البول^(١)
- وحديث سمرة رضي الله عنه الطويل في الرؤيا كما في البخاري وفيه: "تعذيب من كذب الكذبة تبلغ الآفاق ، وتعذيب من يقرأ القرآن ثم ينام عنه بالليل ولا يعمل به في النهار، وتعذيب الزناة والزواني وأكلة الربا ففي البخاري عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: "كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا صَلَّى صَلَاةً أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ فَقَالَ مَنْ رَأَى مِنْكُمْ اللَّيْلَةَ رُؤْيَا قَالَ فَإِنْ رَأَى أَحَدٌ قَصَّهَا فَيَقُولُ مَا شَاءَ اللَّهُ فَسَأَلْنَا يَوْمًا فَقَالَ هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رُؤْيَا قُلْنَا لَا قَالَ لَكِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتْيَانِي فَأَخَذَا بِيَدِي فَأَخْرَجَانِي إِلَى الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ فَإِذَا رَجُلٌ جَالِسٌ وَرَجُلٌ قَائِمٌ بِيَدِهِ كَلْبٌ يُدْخِلُ ذَلِكَ الْكَلْبُ فِي شِدْقِهِ حَتَّى يَبْلُغَ قَفَاهُ ثُمَّ يَفْعَلُ بِشِدْقِهِ الْآخَرَ مِثْلَ ذَلِكَ وَيَلْتَنِمُ شِدْقَهُ هَذَا فَيَعُودُ فَيَصْنَعُ مِثْلَهُ قُلْتُ مَا هَذَا قَالَا انْطَلِقْ فَاَنْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ عَلَى قَفَاهُ وَرَجُلٌ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِهِ بِفِهْرٍ أَوْ صَخْرَةٍ فَيَشْدُخُ بِهِ رَأْسَهُ فَإِذَا ضَرَبَهُ تَدَهَدَهَ الْحَجَرُ فَاَنْطَلَقَ إِلَيْهِ لِيَأْخُذَهُ فَلَا يَرْجِعُ إِلَى هَذَا حَتَّى يَلْتَنِمَ رَأْسَهُ وَعَادَ رَأْسَهُ كَمَا هُوَ فَعَادَ إِلَيْهِ فَضَرَبَهُ قُلْتُ مَنْ هَذَا قَالَا انْطَلِقْ فَاَنْطَلَقْنَا إِلَى ثَقَبٍ مِثْلِ التَّنُورِ أَعْلَاهُ ضَيْقٌ وَأَسْفَلُهُ وَاسِعٌ يَتَوَقَّدُ تَحْتَهُ نَارًا فَإِذَا اقْتَرَبَ ارْتَفَعُوا حَتَّى كَادَ أَنْ يَخْرُجُوا فَإِذَا خَمَدَتْ رَجَعُوا فِيهَا وَفِيهَا رِجَالٌ وَنِسَاءٌ عُرَاءٌ فَقُلْتُ مَنْ هَذَا قَالَا انْطَلِقْ فَاَنْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى نَهْرٍ مِنْ دَمٍ فِيهِ رَجُلٌ قَائِمٌ عَلَى وَسْطِ النَّهْرِ وَعَلَى شَطِ النَّهْرِ رَجُلٌ بَيْنَ يَدَيْهِ حِجَارَةٌ فَأَقْبَلَ الرَّجُلُ الَّذِي فِي النَّهْرِ فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ رَمَى الرَّجُلُ بِحَجَرٍ فِيهِ فَرَدَّهُ حَيْثُ كَانَ فَجَعَلَ كُلَّمَا جَاءَ لِيَخْرُجَ رَمَى فِيهِ بِحَجَرٍ فَيَرْجِعُ كَمَا كَانَ فَقُلْتُ مَا هَذَا قَالَا انْطَلِقْ فَاَنْطَلَقْنَا حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى

(١) - سبق تخريجه قريبا

رَوْضَةٍ خَضْرَاءَ فِيهَا شَجَرَةٌ عَظِيمَةٌ وَفِي أَصْلِهَا شَيْخٌ وَصَبِيَانٌ وَإِذَا رَجُلٌ قَرِيبٌ مِنَ الشَّجَرَةِ يَنْ يَدِيهِ نَارٌ يُوقِدُهَا فَصَعِدَا بِي فِي الشَّجَرَةِ وَأَدْخَلَانِي دَارًا لَمْ أَرِ قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهَا فِيهَا رِجَالٌ شُيُوخٌ وَشَبَابٌ وَنِسَاءٌ وَصَبِيَانٌ ثُمَّ أَخْرَجَانِي مِنْهَا فَصَعِدَا بِي الشَّجَرَةَ فَأَدْخَلَانِي دَارًا هِيَ أَحْسَنُ وَأَفْضَلُ فِيهَا شُيُوخٌ وَشَبَابٌ قُلْتُ طَوَّفْتُمَانِي اللَّيْلَةَ فَأَخْبِرَانِي عَمَّا رَأَيْتُ قَالَا نَعَمْ أَمَّا الَّذِي رَأَيْتَهُ يُشَقُّ شِدْقُهُ فَكَذَّابٌ يُحَدِّثُ بِالْكَذِبَةِ فَتَحْمَلُ عَنْهُ حَتَّى تَبْلُغَ الْآفَاقَ فَيُصْنَعُ بِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَالَّذِي رَأَيْتَهُ يُشْدَخُ رَأْسُهُ فَرَجُلٌ عَلَّمَهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ فَنَامَ عَنْهُ بِاللَّيْلِ وَلَمْ يَعْمَلْ فِيهِ بِالنَّهَارِ يُفْعَلُ بِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَالَّذِي رَأَيْتَهُ فِي الثَّقَبِ فَهُمْ الزُّنَادُ وَالَّذِي رَأَيْتَهُ فِي النَّهْرِ أَكَلُوا الرِّبَا" (١)

○ **مسألة:** عذاب القبر وسؤال الملكين ينالان كل من مات ، ولو لم يدفن.

فهو اسم لعذاب البرزخ ونعيمه ، وهو ما بين الدنيا والآخرة ، قال تعالى: ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ ، وسمي عذاب القبر باعتبار الغالب ؛ فالمصلوب والمحرق والمغرق وأكيل السباع والطيور ، له من عذاب البرزخ ونعيمه قسطه الذي تقتضيه أعماله ، وإن تنوعت أسباب النعيم والعذاب وكيفياتهما.

- فقد ظن بعض الأوائل أنه إذا حرق جسده بالنار وصار رمادا وذري بعضه في البحر وبعضه في البر في يوم شديد الريح ؛ أنه ينجو من ذلك ، فأوصى بنبيه أن يفعلوا به ذلك:
- **ففيهما عن أبي هريرة** رضي الله عنه ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ: فَإِذَا مَاتَ فَحَرِّقُوهُ ، وَادْفِنُوا نِصْفَهُ فِي الْبَرِّ وَنِصْفَهُ فِي الْبَحْرِ ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ قَدَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ لَيُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا لَا يُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ، فَأَمَرَ اللَّهُ الْبَحْرَ فَجَمَعَ مَا فِيهِ ، وَأَمَرَ الْبَرَّ فَجَمَعَ مَا فِيهِ ، ثُمَّ قَالَ: لِمَ فَعَلْتُمْ؟ قَالَ: مِنْ خَشْيَتِكَ ، وَأَنْتَ أَعْلَمُ ، فَغَفَرَ لَهُ" (٢). فلم يفت عذاب البرزخ ونعيمه لهذه الأجزاء التي صارت في هذه الحال.

حتى لو علق الميت على رءوس الأشجار في مهاب الرياح ؛ لأصاب جسده من عذاب البرزخ حظه ونصيبه ، ولو دفن الرجل الصالح في أتون من النار؛ لأصاب جسده من نعيم البرزخ وروحه نصيبه وحظه ، فيجعل الله النار على هذا بردا وسلاما ، والهواء على ذلك نارا أو سموما. فعناصر العالم ومواده منقادة لربها وفاطرها وخالقها ؛ يصرفها كيف يشاء ، ولا يستعصي منها شيء أرادته ، بل هي

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٢ / ١٠٠) برقم: (١٣٨٦) (كتاب الجنائز ، باب حدثنا موسى بن إسماعيل) (بهذا اللفظ).

(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٩ / ١٤٥) برقم: (٧٥٠٦) (كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى يريدون أن يبدلوا كلام الله (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (٨ / ٩٧) برقم: (٢٧٥٦) (كتاب التوبة ، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه (بمثله .).

طوع أمره ومشيتته منقادة لقدرته ؛ فغير ممتنع أن ترد الروح إلى المصلوب والغريق والمحرق ونحن لا نشعر بها ؛ لأن ذلك الرد نوع آخر غير المعهود ؛ فهذا المغص عليه والمسكور والمهتوت أحياء وأرواحهم معهم ولا تشعر بحياتهم ، ومن تفرقت أجزاؤه لا يمتنع على من هو على كل شيءقدير أن يجعل للروح اتصالا بتلك الأجزاء على تباعد ما بينها وقربه ، ويكون في تلك الأجزاء شعور بنوع من الألم واللذة.

○ مسألة : المنكرون لعذاب القبر ونعيمه وشبهتهم والرد عليهم .

أنكرت الملاحدة والزنادقة عذاب القبر ونعيمه ، وقالوا: إنا نكشف القبر ، فلا نجد فيه ملائكة يضربون الموتى ، ولا حيات ، ولا ثعابين ، ولا نيران تأجج! وكيف يفسح له مد بصره أو يضيق عليه ، ونحن نجده بحاله ونجد مساحته على حد ما حفرناه له ولم يزد ولم ينقص ؟ وكيف يصير القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار ؟ **وجوابنا على ذلك من وجوه:**

■ **أولاً:** أن حال البرزخ من الغيوب التي أخبرت بها الأنبياء ، ولا يكون خبرهم محالاً في العقول أصلاً ؛ فلا بد من تصديق خبرهم.

■ **ثانياً:** أن النار في القبر والخضرة ليست من نار الدنيا ، ولا من زروع الدنيا فيشاهد ذلك من شاهد نار الدنيا وخضرتها ، وإنما هي من نار الآخرة وخضرتها ، وهي أشد من نار الدنيا ؛ فلا يحس بها أهل الدنيا ؛ فإن الله سبحانه يحمي عليه ذلك التراب والحجارة التي عليه وتحتة ، حتى يكون أعظم حرّاً من جمر الدنيا ، ولو مسها أهل الدنيا ؛ لم يحسوا بذلك ، وقدرة الرب أوسع من ذلك وأعجب. وإذا شاء الله أن يطلع بعض العباد على عذاب القبر ؛ أطلعه ، وغيبه عن غيره ؛ إذ لو أطلع العباد كلها ؛ لزالَت حكمة التكليف والإيمان بالغيب ، ولما تدافن الناس:

■ **كما في "الصحيحين" في الحديث الذي مر من قوله ﷺ: (لولا أن لا تدافنوا؛ لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر ما أسمع)^(١) ، ولما كانت هذه الحكمة منتفية في حق البهائم ؛ سمعت ذلك وأدركته ؛ كما حادت برسول الله ﷺ بغلته وكادت تلقيه لما مر بمن يعذب في قبره. فرؤية هذه النار في القبر كروية الملائكة والجن ؛ تقع أحياناً لمن شاء الله أن يريه ذلك. وكيف يستنكر من يعرف الله سبحانه ويقر بقدرته أن يحدث حوادث يصرف عنها أبصار بعض خلقه حكمة منه ورحمة بهم لأنهم لا يطيقون رؤيتها وسماعها ؛ والعبد أضعف بصراً وسمعاً أن يثبت لمشاهدة عذاب القبر؟!**

● قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "فأما أحاديث عذاب القبر ومسألة منكر ونكير ؛ فكثيرة متواترة عن

(١) - سبق تخريجه قريباً

النبي ﷺ : "فالحاصل أن الدور ثلاث: دار الدنيا، ودار البرزخ، ودار القرار، وقد جعل الله لكل دار أحكاما تخصها ، وركب هذا الإنسان من بدن ونفس ، وجعل أحكام الدنيا على الأبدان والأرواح تبع لها ، **وجعل أحكام البرزخ على الأرواح والأبدان تبع لها** ؛ فإذا جاء يوم حشر الأجساد وقيام الناس من قبورهم ؛ صار الحكم والنعيم والعذاب على الأرواح والأجساد جميعا. فإذا تأملت هذا المعنى حق التأمل ؛ ظهر لك أن كون القبر روضة من رياض الجنة ، أو حفرة من حفر النار مطابق للعقل، وأنه حق لا مرية فيه، وبذلك يتميز المؤمنون بالغيب من غيرهم. فعلى المؤمن أن يؤمن بكل ما جاء به الكتاب والسنة من هذه الأمور الغيبية، وأن لا يعارضها بما يشاهد في الدنيا ، فإن أمور الآخرة لا تقاس بأمور الدنيا لظهور الفرق الكبير بينهما. والله المستعان".

○ **مسألة: التوفي بالنوم والتوفي بالموت.**

الروح المدبرة للبدن التي تفارقه بالموت ، هي الروح المنفوخة فيه ، وهي النفس التي تفارقه بالنوم ومما يدل على ذلك:

- قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الزمر: ٤٢]. قال ابن عباس رضي الله عنهما وأكثر المفسرين: يقبضها قبضتين ؛ قبض الموت وقبض النوم ، ثم في النوم يقبض التي تموت ، ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى حتى يأتي أجلها وقت الموت.
- **وقد ثبت فيهما عن أبي هريرة** رضي الله عنه : "قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : "إِذَا أَوَى أَحَدُكُمْ إِلَىٰ فِرَاشِهِ فَلْيَنْفُضْ فِرَاشَهُ بِدَاخِلَةِ إِزَارِهِ فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي مَا خَلَفَهُ عَلَيْهِ ثُمَّ يَقُولُ بِاسْمِكَ رَبِّ وَضَعْتُ جَنِيَّ وَبِكَ أَرْفَعُهُ إِنَّ أُمْسَكَتْ نَفْسِي فَأَرْحَمَهَا وَإِنْ أُرْسَلَتْهَا فَأَحْفَظُهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ" ^(١)

- **وهذا أحد القولين في الآية** ، وهو أن الممسكة والمرسلة كلاهما متوفى وفاة النوم ؛ فمن استكملت أجلها ؛ أمسكها عنده فلا يردها إلى جسدها ، ومن لم تستكمل أجلها ؛ ردها إلى جسدها لتستكملها.
- **والقول الثاني:** أن الممسكة من توفيت وفاة الموت أولا ، والمرسلة من توفيت وفاة النوم ، والمعنى على هذا: أن الله يتوفى نفس الميت فيمسكها ولا يرسلها قبل يوم القيامة، ويتوفى نفس النائم ثم يرسلها إلى جسده إلى بقية أجلها فيتوفاها الوفاة الأخرى؛ قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ﴾ من [الأنعام: ٦٠].

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٨ / ٧٠) برقم: (٦٣٢٠) (كتاب الدعوات ، باب حدثنا أحمد بن يونس) (بنحوه) ، ومسلم في "صحيحه" (٨ / ٧٩) برقم: (٢٧١٤) (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع) (بهذا اللفظ).

■ ويدل على القول الأول أحاديث منها :

■ **فيهما عن علي بن أبي طالب** عليه السلام : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ طَرَفَهُ وَفَاطِمَةَ بِنْتَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَيْلَةً فَقَالَ: أَلَا تُصَلِّيَانِ؟". فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَنفُسَنَا بِيَدِ اللَّهِ ، فَإِذَا شَاءَ أَنْ يَبْعَثَنَا بَعَثَنَا ، فَأَنْصَرَفَ حِينَ قُلْنَا ذَلِكَ ، وَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيَّ شَيْئًا ، ثُمَّ سَمِعْتُهُ وَهُوَ مُوَلِّ يَضْرِبُ فَخِذَهُ وَهُوَ يَقُولُ: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ .^(١)

■ **وفي لفظ للبخاري عن أبي قتادة** رضي الله عنه " عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي قَتَادَةَ ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: سِرْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ لَيْلَةً ، فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ : لَوْ عَرَسْتَ بِنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: أَخَافُ أَنْ تَنَامُوا عَنِ الصَّلَاةِ . قَالَ بِلَالٌ : أَنَا أُوقِظُكُمْ ، فَاضْطَجَعُوا ، وَأَسْنَدَ بِلَالٌ ظَهْرَهُ إِلَى رَاحِلَتِهِ ، فَعَلَبَتْهُ عَيْنَاهُ فَنَامَ ، فَاسْتَيْقِظَ النَّبِيُّ ﷺ وَقَدْ طَلَعَ حَاجِبُ الشَّمْسِ ، فَقَالَ: يَا بِلَالُ ، أَيْنَ مَا قُلْتَ؟" قَالَ: مَا أُلْقَيْتَ عَلَيَّ نَوْمَةٌ مِثْلَهَا قَطُّ ، قَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَبِضَ أَرْوَاحَكُمْ حِينَ شَاءَ وَرَدَّهَا عَلَيْكُمْ حِينَ شَاءَ ، يَا بِلَالُ قُمْ فَأَذِّنْ بِالنَّاسِ بِالصَّلَاةِ ". فَتَوَضَّأَ ، فَلَمَّا ارْتَفَعَتِ الشَّمْسُ وَابْيَاضَتْ ، قَامَ فَصَلَّى .^(٢)

■ **وفي لفظ لمسلم** " فَلَمَّا تَقَارَبَ الْفَجْرُ اسْتَنَدَ بِلَالٌ إِلَى رَاحِلَتِهِ مُوَاجِهَ الْفَجْرِ ، فَعَلَبَتْ بِلَالًا عَيْنَاهُ وَهُوَ مُسْتَنِدٌ إِلَى رَاحِلَتِهِ فَلَمْ يَسْتَيْقِظْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَلَا بِلَالٌ وَلَا أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِهِ حَتَّى ضَرَبَتْهُمُ الشَّمْسُ . فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَوَّلَهُمْ اسْتَيْقَظًا فَفَزِعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: أَيُّ بِلَالٌ فَقَالَ بِلَالٌ : أَخَذَ بِنَفْسِي الَّذِي أَخَذَ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ بِنَفْسِكَ ، قَالَ : اقْتَادُوا . فَاقْتَادُوا رَوَاجِلَهُمْ شَيْئًا ، ثُمَّ تَوَضَّأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَأَمَرَ بِلَالًا فَأَقَامَ الصَّلَاةَ فَصَلَّى بِهِمُ الصُّبْحَ ، فَلَمَّا قَضَى الصَّلَاةَ قَالَ : مَنْ نَسِيَ الصَّلَاةَ فَلْيُصَلِّهَا إِذَا ذَكَرَهَا فَإِنَّ اللَّهَ قَالَ : ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ .^(٣)

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٢ / ٥٠) برقم: (١١٢٧) (أبواب التهجد ، باب تحريض النبي صلى الله عليه وسلم على صلاة الليل والنوافل) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (٢ / ١٨٧) برقم: (٧٧٥) (كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب ما روي فيمن نام الليل أجمع حتى أصبح) (بمثله).

(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ١٢٢) برقم: (٥٩٥) (كتاب مواقيت الصلاة ، باب الأذان بعد ذهاب الوقت) (بهذا اللفظ)

(٣) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٢ / ١٣٨) برقم: (٦٨٠) (كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب قضاء الصلاة الفائتة) (بهذا اللفظ) .

○ المسألة الثالثة: حقيقة الروح.

● قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في «مجموع الفتاوى» (٣٤١ / ١٧): "ومذهب الصحابة والتابعين لهم بإحسان وسائر سلف الأمة وأئمة السنة: أن الروح عين قائمة بنفسها ، تفارق البدن ، وتنعم ، وتعذب ، ليست هي البدن ، ولا جزء من أجزائه ، ولما كان الإمام أحمد رحمه الله ممن نص على ذلك ، كما نص عليه غيره من الأئمة ؛ لم يختلف أصحابه في ذلك".

● وقال في موضع آخر في «مجموع الفتاوى» (٣٠٢ / ٩): "والصواب أنها ليست مركبة من الجواهر الفردة ، ولا من المادة والصورة ، وليست من جنس الأجسام المتميزات المشهودة المعهودة ، وأما الإشارة إليها ؛ فإنه يشار إليها ، وتصعد ، وتنزل ، وتخرج من البدن ، وتسيل منه ؛ كما جاءت بذلك النصوص ودلت عليه الشواهد العقلية. وأما قول القائل: أين مسكنها من الجسد؟ فلا اختصاص للروح بشيء من الجسد، بل هي سارية في الجسد كما تسري الحياة التي هي عرض في جميع الجسد ؛ فإن الحياة مشروطة بالروح ؛ فإذا كانت الروح في الجسد ؛ كان فيه حياة ، وإذا فارقت الروح ؛ فارقت الحياة".

○ مسألة: الروح مخلوقة.

● قال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٢١٦ / ٤): "روح الأدمي مخلوقة مبدعة باتفاق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة ، وقد حكى إجماع العلماء على أنها مخلوقة غير واحد من أئمة المسلمين".

● وقال تلميذه العلامة ابن القيم في «الروح - ابن القيم» (ص ١٤٦ ط العلمية): وذكر اثني عشر وجها أنها مخلوقة منها:

■ قول الله تعالى: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢] ؛ فهذا اللفظ عام ، لا تخصيص فيه بوجه ما ، ولا يدخل في ذلك صفاته ؛ فإنها داخله في معنى اسمه ؛ فالله سبحانه هو الإله الموصوف بصفات الكمال ، وهو سبحانه بذاته وصفاته الخالق وما سواه مخلوق.

■ ومنها: قوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقْتَنِي مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئاً﴾ [مريم: ٩] ، وهذا الخطاب لروحه وبدنه ، وليس لبدنه فقط ؛ فإن البدن وحده لا يفهم ولا يخاطب ولا يعقل ، وإنما الذي يفهم ويعقل ويخاطب هو الروح.

■ ومنها: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ [الأعراف: ١١] ، وهذا الإخبار إما أن يتناول أرواحنا وأجسادنا كما يقوله الجمهور ، وإما أن يكون واقعا على الأرواح قبل خلق الأجساد كما يقوله من يزعم ذلك ، وعلى التقديرين ؛ فهو صريح في خلق الأرواح.

■ ومنها: النصوص الدالة على أن الإنسان عبد بجملته، وليست عبوديته واقعة على بدنه دون روحه ، بل عبودية الروح أصل، وعبودية البدن تبع ؛ كما أنه تبع لها في الأحكام ، وهي التي تحركه وتستعمله ، وهو تبع لها في العبودية.

■ ومنها: قوله تعالى: ﴿هَلْ أُنِى عَلَى الْإِنْسَنِ حِينَ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئاً مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان: ١] ؛ فلو كانت روحه قديمة ؛ لكان الإنسان لم يزل شيئاً مذكوراً ؛ فإنه إنما هو إنسان بروحه لا بدنه.

■ ومنها: حديث **أبي هريرة** رضي الله عنه **فيهما** " عن النبي ﷺ : أنه قال: "الأرواح جنود مجندة؛ فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف" ^(١)، والجنود المجندة لا تكون إلا مخلوقة. ومنها: أن الروح توصف بالوفاة والقبض والإمساك والإرسال، وهذا شأن المخلوق المحدث المربوب.

○ **مسألة: كيفية قبض روح المتوفى ومآلها بعد وفاته .**

■ لقد جاء بيان كيفية التوفي ومآل الروح بعد الوفاة في حديث البراء بن عازب رضي الله عنه الطويل- وقد تقدم بطوله-

■ (صحيح) . **وعن البراء بن عازب** رضي الله عنه **وقد جاء فيه أن الملائكة بعد قبض روح المؤمن :** " فَيَصْعَدُونَ بِهَا فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلَأٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا مَا هَذَا الرُّوحُ الطَّيِّبُ فَيَقُولُونَ فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا حَتَّى يَنْتَهَوْا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ فَيُفْتَحُ لَهُمْ فَيُشَيِّعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُّقَرَّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِمَهَا حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ " **وجاء في روح العبد الكافر بعد قبضها :** " فَيَصْعَدُونَ بِهَا فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلَأٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا مَا هَذَا الرُّوحُ الْخَبِيثُ فَيَقُولُونَ فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ بِأَفْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمِّي بِهَا فِي الدُّنْيَا حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَسْتَفْتَحُ لَهُ فَلَا يُفْتَحُ لَهُ ثُمَّ قَرَأَ النَّبِيُّ ﷺ (لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلْجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ)" ^(٢) الحديث.

● قال شارح الطحاوية: "وذهب إلى موجب هذا الحديث جميع أهل السنة والحديث، وله شواهد في الصحيح".

(١) - أخرجه البخاري في «صحيح البخاري» (١٣٣ / ٤) ط السلطانية: برقم «٣٣٣٦» ، مسلم في «صحيحه» (٨ / ٤١) برقم: (٢٦٣٨) (كتاب البر والصلة والآداب ، باب الأرواح جنود مجندة) (بهذا اللفظ)

(٢) - أخرجه أحمد في «مسنده» (٨ / ٤٢٢٢) برقم: (١٨٨٣٢) (بهذا اللفظ) ، والحاكم في «مستدركه» (١ / ٣٧) برقم: (١٠٨) (بنحوه) . وصححه ووافقه الذهبي. قال الأرناؤوط في «مسند أحمد» (٥٠٣ / ٣٠) ط الرسالة: «إسناده صحيح، رجاله رجال الصحيح». . وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير وزيادته» (١ / ٣٤٤): برقم ١٦٧٦ .

• وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "أما الحديث المذكور في قبض روح المؤمن ، وأنه يصعد بها إلى السماء التي فيها الله ؛ فهذا حديث معروف جيد الإسناد، وقوله: " السَّمَاءُ الَّتِي فِيهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ " بمنزلة قوله تعالى: ﴿أَمِنْتُمْ مَّن فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ أَمْ أَمِنْتُمْ مَّن فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرٌ﴾ [الملك: ١٦-١٧] انتهى.

■ قال العلامة ابن القيم في «الروح - ابن القيم» (ص ١١٥ ط العلمية) "الأرواح متفاوتة في مستقرها في البرزخ أعظم تفاوت: فمنها أرواح في أعلى عليين في الملاء الأعلى ، وهي أرواح الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ، وهم متفاوتون في منازلهم ؛ كما رآهم النبي ﷺ ليلة الإسراء . ومنها أرواح في حواصل طير خضرتسرح في الجنة حيث شاءت ، وهي أرواح بعض الشهداء ، لا جميعهم ، بل من الشهداء من تحبس روحه عن دخول الجنة لدين عليه أو غيره . ومنهم من يكون محبوسا على باب الجنة . ومنهم من يكون محبوسا في قبره **كحديث صاحب الشملة فيهما عن أبي هريرة** رضي الله عنه وفيه : "فَلَمَّا نَزَلْنَا الْوَادِيَّ قَامَ عَبْدُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَحُلُّ رَحْلَهُ فَرَمَى بِسَهْمٍ ، فَكَانَ فِيهِ حَتْفُهُ ، فَقُلْنَا : هَيْنَا لَهُ الشَّهَادَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : كَلَّا وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، إِنَّ الشَّمْلَةَ لَتَلْتَمِبُ عَلَيْهِ نَارًا ، أَخَذَهَا مِنَ الْغَنَائِمِ يَوْمَ خَيْبَرَ لَمْ تُصِبْهَا الْمَقَاسِمُ " (١) . ومنهم من يكون مقره باب الجنة ؛ **كما في حديث ابن عباس** رضي الله عنهما **(حسن)** : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : "الشُّهَدَاءُ عَلَى بَارِقٍ نَهْرٍ بَبَابِ الْجَنَّةِ فِي قُبَّةٍ خَضْرَاءَ يَخْرُجُ إِلَيْهِمْ رِزْقُهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ بُكْرَةً وَعَشِيًّا . " (٢) . ومنها ما يكون محبوسا في الأرض لم يعمل إلى الملاء الأعلى ؛ فإنها كانت روحا سفلية أرضية ؛ فإن الأنفس الأرضية لا تجامع الأنفس السماوية كما لا تجامعها في الدنيا . اهـ

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (١٣٨ / ٥) برقم: (٤٢٣٤) (كتاب المغازي ، باب غزوة خيبر) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (٧٥ / ١) برقم: (١١٥) (كتاب الإيمان ، باب غلظ تحريم الغلول وأنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون) (بنحوه) .

(٢) - أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (٥١٥ / ١٠) برقم: (٤٦٥٨) (كتاب السير ، ذكر خبر يوههم غير المتبحر في صناعة العلم أنه مضاد لخبر كعب بن مالك الذي ذكرناه) (بهذا اللفظ) ، والضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" (١٣ / ٦٦) برقم: (١٠٠) (من اسمه عبد الله ، محمود بن ليبيد الأنصاري عن ابن عباس) (بمثله) ، والحاكم في "مستدركه" (٢ / ٧٤) برقم: (٢٤١٦) (كتاب الجهاد ، مقام الشهداء) (بمثله) ، وأحمد في "مسنده" (٢ / ٥٩٠) برقم: (٢٤٢٧) (مسند بني هاشم رضي الله عنهم ، مسند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم) (بمثله) . قال الأرئوط في «مسند أحمد» (٢٢٠ / ٤) ط الرسالة: «إسناده حسن، ابن إسحاق حسن الحديث، وباقي رجاله ثقات رجال الصحيح» . وقال في «الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان» (١٠ / ٥١٥): «إسناده قوي. محمد بن إسحاق روى له البخاري تعليقاً ومسلم مقروناً، وهو صدوق وقد صرح بالتحديث، وانتفتت شبهة تدليس، وباقي السند رجاله ثقات رجال الصحيح». وحسنه الألباني في «صحيح موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان» (٩٧ / ٢): برقم «١٣٣٤» .

○ **مسألة: هل الروح والنفس شيء واحد ، أو شيئان متغايران؟**

اختلف الناس في ذلك: فمن قائل: إنهما شيء واحد، وهم الجمهور. ومن قائل: إنهما متغايران.

والتحقيق أن لفظ الروح والنفس يعبر بهما عن عدة معان ، فيتحد مدلولها تارة ويختلف تارة :

فالنفس تطلق على أمور:

- منها: الروح ؛ يقال: خرجت نفسه ؛ أي: روحه، ومنه قوله تعالى: ﴿أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [الأنعام: ٩٣] .
- ومنها: الذات ؛ يقال: رأيت زيدا نفسه وعينه ، ومنه قوله تعالى: ﴿فَسَلِّمُوا عَلَيَّ أَنْفُسَكُمْ﴾ [النور: ٦١] .
- ومنها: الدم ؛ يقال: سالت نفسه، ومنه قول الفقهاء: ما له نفس سائلة، وما ليس له نفس سائلة، ومنه يقال: نفست المرأة إذا حاضت ونفست إذا نفسها ولدها، ومنه النفساء.
- قال شيخ الإسلام ابن تيمية: في «مجموع الفتاوى» (٩/ ٢٩٤): «وَيُقَالُ النَّفْسُ ثَلَاثَةُ أَنْوَاعٍ» وهي:
- النفس الأمانة بالسوء: التي يغلب عليها اتباع هواها بفعل الذنوب والمعاصي.
- النفس اللوامة: وهي: التي تذنّب وتتوب ؛ ففيها خير وشر ، ولكن إذا فعلت الشر ؛ تابت وأنابت ، فتسمى لوامة ؛ لأنها تلوم صاحبها على الذنوب ، ولا تتلوم ؛ أي: تتردد بين الخير والشر.
- النفس مطمئنة: وهي: التي تحب الخير والحسنة، وتبغض الشر والسيئات ، وقد صار ذلك لها خلقا وعادة. فهذه صفات وأحوال لذات واحدة ؛ لأن النفس التي لكل إنسان هي نفس واحدة.

والروح أيضا تطلق على معان:

- منها: القرآن الذي أوحاه الله تعالى إلى رسوله ؛ قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢] . . وعلى الوحي الذي يوحىه إلى أنبيائه ورسله ؛ قال تعالى: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾ [غافر: ١٥] ، سمي روحا لما يحصل به من الحياة النافعة ؛ فإن الحياة بدونها لا تنفع صاحبها البتة . وعلى جبريل؛ قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ [الشعراء: ١٩٣]

■ وسميت الروح روحا لأن بها حياة البدن.

■ وتطلق الروح أيضا على الهواء الخارج من البدن والهواء الداخل فيه.

■ وتطلق الروح على ما سبق بيانه ، وهو ما يحصل بفراقه الموت ، **وهي بهذا الاعتبار ترادف النفس ويتحد مدلولهما ، ويفترقان في أن النفس تطلق على البدن وعلى الدم ، والروح لا تطلق عليهما.** والله أعلم."

○ **مسألة: تعلق الروح بالبدن.**

- قال ابن القيم في «الروح - ابن القيم» (ص ٤٣ ط العلمية): وللروح بالبدن تعلقات مختلفة إليك بيانها: للروح بالبدن خمسة أنواع من التعلق متغايرة الأحكام:
 - أحدهما: تعلقها به في بطن الأم جنينا.
 - الثاني: تعلقها به بعد خروجه إلى وجه الأرض.
 - الثالث: تعلقها به حال النوم ؛ فلها به تعلق من وجه، ومفارقة من وجه.
 - الرابع: تعلقها به في البرزخ ؛ فإنها وإن فارقت وتجردت عنه؛ فإنها لم تفارقه فراقا كلياً بحيث لا يبقى إليه التفات البتة ؛ فقد دلت الأحاديث على ردها إليه عند سؤال الملكين ، وعند سلام المسلم ، وهذا الرد إعادة خاصة لا توجب حياة البدن قبل يوم القيامة.
 - الخامس: تعلقها به يوم يبعث الأجساد ، وهو أكمل تعلقاتها بالبدن ، ولا نسبة لما قبله من أنواع التعلق إليه ؛ إذ هو تعلق لا يقبل البدن معه موتاً ولا نوماً ولا فساداً.

❖ الفرع الثاني : علامات الساعة و أقسامها . وفيه تمهيد ومسألتان:

○ تمهيد :

لما كان اليوم الآخر مسبوqa بعلامات تدل على قرب وقوعه تسمى أشراط الساعة ؛ ناسب أن نذكر أهمها ؛ لأن الإيمان بها واجب ، وهو من صلب العقيدة. قال تعالى: ﴿ أَقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ [القمر: ١] . وقال تعالى: ﴿ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا ﴾ [محمد: ١٨] ؛ أي علاماتها وأماراتها ، واحدها شرط بفتح الراء ، وهو العلامة.

● قال الإمام البغوي رحمه الله: "وكانت بعثة النبي ﷺ من أشراط الساعة". وقال تعالى: ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴾ [الشورى: ١٧] وقال تعالى: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [الزخرف: ٦٦] . ولقرب وقوع يوم القيامة وتحققه ، جعله سبحانه كغد: قال تعالى: ﴿ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ﴾ ، والغد هو ما بعد يومك. وقال تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا وَنَرَاهُ قَرِيبًا ﴾ [المعارج: ٦-٧].

- **وفي الصحيحين عن سهل بن سعد** رضي الله عنه ، قال: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، قَالَ بِإِصْبَعَيْهِ هَكَذَا ، بِالْوُسْطَى وَالَّتِي تَلِي الْإِبْهَامَ بُعِثْتُ وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ " ، **وفيهما عن أنس** رضي الله عنه بمثله ^(١)
- " **وفي البخاري عن ابن عمر** رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: "إِنَّمَا أَجَلُكُمْ فِي أَجَلٍ مِّنْ خَلَا مِّنَ الْأُمَمِ مَا بَيْنَ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى مَغْرِبِ الشَّمْسِ " ^(٢)
- **وفي لفظ للبخاري عنه** : "إِنَّمَا بَقَاؤُكُمْ فِيمَا سَلَفَ قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ ، كَمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ" ^(٣)

● ولما كان أمر الساعة شديدا ؛ كان الاهتمام بشأنها أكثر من غيرها ، ولهذا أكثر النبي ﷺ من بيان أشراطها وأماراتها ، وأخبر عما يأتي بين يديها من الفتن ، ونبه أمته وحذرهم ليتأهبوا لذلك.

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٦ / ١٦٦) برقم: (٤٩٣٦) (كتاب تفسير القرآن ، سورة والنازعات) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (٨ / ٢٠٨) برقم: (٢٩٥٠) (كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب قرب الساعة) (بمثله).

(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٤ / ١٧٠) برقم: (٣٤٥٩) (كتاب أحاديث الأنبياء ، باب ما ذكر عن بني إسرائيل) (بهذا اللفظ)

(٣) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ١١٦) برقم: (٥٥٧) (كتاب مواقيت الصلاة ، باب من أدرك ركعة من العصر قبل الغروب) (بهذا اللفظ)

أما وقت مجيئها تحديداً ؛ فهو مما انفرد الله تعالى بعلمه ، وأخفاه عن العباد لأجل مصلحتهم ؛ ليكونوا على استعداد دائماً ؛ كما أخفى سبحانه عن كل نفس وقت حلول أجلها ؛ لتكون دائماً على أهبة الاستعداد والانتظار ولا تتكاسل عن العمل.

وأما الأحاديث الواردة في بيان أشراف الساعة تفصيلاً فمنها:

■ **في صحيح البخاري عن أنس** رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "أما أول أشراف الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب" ^(١)

■ **وفي صحيح مسلم عن حذيفة بن أسيد** رضي الله عنه قال كان النبي ﷺ في غُرْفَةٍ وَنَحْنُ أَسْفَلَ مِنْهُ ، فَاطَّلَعَ إِلَيْنَا فَقَالَ: مَا تَذْكُرُونَ؟ قُلْنَا: السَّاعَةَ. قَالَ: قَالَ إِنَّ السَّاعَةَ لَا تَكُونُ حَتَّى تَكُونَ عَشْرُ آيَاتٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ ، وَخَسْفٌ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ ، وَالدُّخَانُ ، وَالدَّجَالُ ، وَدَابَّةُ الْأَرْضِ ، وَيَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ ، وَطُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا ، وَنَارٌ تَخْرُجُ مِنْ فُجْرَةٍ عَدَنِ تَرْحَلُ النَّاسَ قَالَ شُعْبَةُ وَحَدَّثَنِي عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ رُفَيْعٍ ، عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ ، عَنْ أَبِي سَرِيحَةَ مِثْلَ ذَلِكَ ، لَا يَذْكُرُ النَّبِيَّ ﷺ . وَقَالَ أَحَدُهُمَا فِي الْعَاشِرَةِ: نُزُولُ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﷺ . وَقَالَ الْآخَرُ: وَرِيحٌ تُلْقِي النَّاسَ فِي الْبَحْرِ. " ^(٢)

■ **وفي لفظ لمسلم عنه** قال: "والعاشرة نزول عيسى بن مريم" قال شعبة ولم يرفعه عبد العزيز ^(٣)

■ **وفي لفظ لمسلم عنه** قال: "اطَّلَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَاكُرُ فَقَالَ: مَا تَذَاكُرُونَ؟ قَالُوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ. قَالَ: إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ. فَذَكَرَ الدُّخَانَ ، وَالْجَالَ ، وَالدَّابَّةَ ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا ، وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﷺ ، وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ ، وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ ، وَآخِرُ ذَلِكَ: نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ " ^(٤)

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٤ / ١٣٢) برقم: (٣٣٢٩) (كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قول الله تعالى وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة) (بهذا اللفظ)

(٢) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ١٧٨) برقم: (٢٩٠١) (كتاب الفتن وأشراف الساعة ، باب في الآيات التي تكون قبل الساعة) ، (٨ / ١٧٩) برقم: (٢٩٠١) (كتاب الفتن وأشراف الساعة ، باب في الآيات التي تكون قبل الساعة) (بهذا اللفظ)

(٣) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ١٨٠) برقم: (٢٩٠١) (كتاب الفتن وأشراف الساعة ، باب في الآيات التي تكون قبل الساعة) (بهذا اللفظ)

(٤) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ١٧٨) برقم: (٢٩٠١) (كتاب الفتن وأشراف الساعة ، باب في الآيات التي تكون قبل الساعة) (بهذا اللفظ)

■ **مسألة:** قال القاري في «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٨ / ٣٤٥): «وفي رواية في العاشرة) أي: في بيانها وبدلاً عما ذكر فيها من النار (\" وريحٌ تُلقي الناسَ في البحرِ \") ، وَلَعَلَّ الْجَمْعَ بَيْنَهُمَا أَنَّ الْمُرَادَ بِالنَّاسِ الْكُفَّارُ، وَأَنَّ نَارَهُمْ تَكُونُ مُنْضَمَّةً إِلَى رِيحٍ شَدِيدَةٍ الْجَرِي، سَرِيعَةِ التَّأثيرِ فِي الْقَائِمَا إِيَّاهُمْ فِي الْبَحْرِ، وَهُوَ مَوْضِعُ حَشْرِ الْكُفَّارِ، أَوْ مُسْتَقَرُّ الْفُجَّارِ، كَمَا وَرَدَ: إِنَّ الْبَحْرَ يَصِيرُ نَارًا، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التكوير: ٦] ، بِخِلَافِ نَارِ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنَّهَا لِمُجَرَّدِ التَّخْوِيفِ بِمَنْزِلَةِ السَّوْطِ مَهَابَةً لِتَحْصِيلِ السَّوْقِ إِلَى الْمُحْشَرِ وَالْمَوْقِفِ الْأَعْظَمِ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ»

● قال الهري في «الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج» (٢٦ / ١٤٣): «...وقال الآخر) منهما فيها (وريح تُلقي الناس) وترميمهم (في البحر) يعني تهب ريح شديدة فتُلقي الناس في البحر ، فإما أن تكون علامة «مستقلة ، وإما أن تكون مصحوبة بالنار التي سبق ذكرها ، وإلى الثاني مال الشيخ علي القاري في المرقاة».

■ **وفي البخاري عن أبي هريرة** رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: " لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتَتِلَ فِئَتَانِ عَظِيمَتَانِ يَكُونُ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ ، دَعَوْتُهُمَا وَاحِدَةٌ ، وَحَتَّى يُبْعَثَ دَجَالُونَ كَذَّابُونَ ، قَرِيبٌ مِنْ ثَلَاثِينَ ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ، وَحَتَّى يُفْبِضَ الْعِلْمُ وَتَكْثُرَ الزَّلَازِلُ ، وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ ، وَتَظْهَرَ الْفِتَنُ ، وَيَكْثُرَ الْهَرَجُ ، وَهُوَ الْقَتْلُ. وَحَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمْ الْمَالُ ، فَيَفِيضَ حَتَّى يَهْمَ رَبُّ الْمَالِ مَنْ يَقْبَلُ صَدَقَتَهُ ، وَحَتَّى يَعْرِضَهُ ، فَيَقُولَ الَّذِي يَعْرِضُهُ عَلَيْهِ: لَا أَرَبَ لِي بِهِ ، وَحَتَّى يَتَطَاوَلَ النَّاسُ فِي الْبُنْيَانِ ، وَحَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ فَيَقُولُ: يَا لَيْتَنِي مَكَانَهُ ، وَحَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا ، فَإِذَا طَلَعَتْ وَرَأَاهَا النَّاسُ يَعْنِي آمَنُوا أَجْمَعُونَ ، فَذَلِكَ حِينَ: ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا﴾ وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ نَشَرَ الرَّجُلَانِ ثَوْبَهُمَا بَيْنَهُمَا ، فَلَا يَتَبَايَعَانِهِ وَلَا يَطْوِيَانِهِ ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ انْصَرَفَ الرَّجُلُ بِلَبَنِ لِفْحَتِهِ فَلَا يَطْعَمُهُ ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَهُوَ يُلِيْطُ حَوْضَهُ فَلَا يَسْقِي فِيهِ ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ رَفَعَ أَكْلَتَهُ إِلَى فِيهِ فَلَا يَطْعَمُهَا . " (١)

■ **وفيهما عن أبي هريرة** رضي الله عنه أنه قال: " قال رسول الله ﷺ : "وَاللَّهِ لَيَنْزِلَنَّ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَادِلًا ، فَلْيَكْسِرَنَّ الصَّلِيبَ وَلْيَقْتُلَنَّ الْخَنزِيرَ ، وَلْيَضَعَنَّ الْجِزْيَةَ ، وَلْيَتَرَكَنَّ الْقِلَاصُ ، فَلَا يُسْعَى عَلَيْهَا ، وَلَتَذْهَبَنَّ الشَّحْنَاءُ وَالتَّبَاغُضُ وَالتَّحَاسُدُ ، وَلَيَدْعُوَنَّ إِلَى الْمَالِ فَلَا يَقْبَلُهُ أَحَدٌ . " (٢)

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٩ / ٥٩) برقم: (٧١٢١) (كتاب الفتن ، باب حدثنا مسدد) (بهذا اللفظ)

(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٣ / ٨٢) برقم: (٢٢٢٢) (كتاب البيوع ، باب قتل الخنزير) (بنحوه) ، ومسلم في "صحيحه" (١ / ٩٤) برقم: (١٥٥) (كتاب الإيمان ، باب نزول عيسى بن مريم حاكما بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم) (بهذا اللفظ)

○ المسألة الأولى : أقسام أشرط الساعة.

- قال العلامة السفاريني: "ثم اعلم أن أشرط الساعة وأماراتها تنقسم إلى ثلاثة أقسام:
- **القسم الأول : العلامات التي ظهرت ومضت وانقضت:** منها: ١- بعثة نبينا محمد ﷺ ، وموته ، ٢- وفتح بيت المقدس. ٣- ومنها: قتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان ؓ ؛ قال حذيفة: أول الفتن قتل عثمان...". ٤- وذكر الحروب التي وقعت بين المسلمين بعد ذلك ، ٥- وظهور الفرق الضالة كالخوارج والرافضة... ٦- ثم قال: "ومنها: خروج كذابين دجالين كل منهم يدعي أنه نبي. ٧- ومنها: زوال ملك العرب. ٨- ومنها: كثرة المال. ٩- ومنها: كثرة الزلازل والخسف والمسح والقذف وغير ذلك مما أخبر عنه ﷺ أنه من أمارات الساعة **فظهر ومضى وانقضى.**
- **وفي الصحيحين عن ابن مسعود ؓ قال:** "خمس قد مضين: الدُّخانُ ، وَالْقَمَرُ ، وَالرُّومُ ، وَالْبَطْشَةُ ، وَاللِّزَامُ ، ﴿ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴾ ."^(١) فقد كذبت فسوف يكون لزاما يعني مقتضيا لهلاككم وعذابكم في الدنيا والآخرة ، ويدخل في ذلك يوم بدر.
- **القسم الثاني : الأمارات المتوسطة: وهي التي ظهرت ولم تنقض بل تزايد وتكثر ، وهي كثيرة جدا منها :**
- **ما جاء في "صحيح البخاري" ومن حديث أنس ؓ :** أنه قال: ألا أحدثكم بحديث سمعته من رسول الله ﷺ لا يحدثكم به أحد غيري: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " إن من أشرط الساعة أن يرفع العلم، ويكثر الجهل، ويكثر الزنى، ويكثر شرب الخمر، ويقل الرجال، ويكثر النساء؛ حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد"^(٢)
- **وفي البخاري من حديث أبي هريرة ؓ :** قال: "بينما النبي ﷺ في مجلس يحدث القوم؛ جاءه أعرابي؛ قال متى الساعة؟ فمضى رسول الله ﷺ يحدث، وقال بعض القوم سمع ما قال، وقال بعضهم بل لم يسمع، حتى إذا قضى حديثه؛ قال أين السائل عن الساعة؟ فقال ها أنا يا رسول الله! قال فإذا ضيعت الأمانة؛ فانتظر الساعة قال كيف إضاعتها؟ قال إذا وسد الأمر إلى غير أهله؛ فانتظر الساعة"^(٣).

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (١١٠ / ٦) برقم: (٤٧٦٧) (كتاب تفسير القرآن ، باب فسوف يكون لزاما أي هلكة) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (١٣٢ / ٨) برقم: (٢٧٩٨) (كتاب صفة القيامة والجنة والنار ، باب الدخان) (بمثله) .

(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٢٧ / ١) برقم: (٨١) (كتاب العلم ، باب رفع العلم وظهور الجهل) (بهذا اللفظ)

(٣) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٢١ / ١) برقم: (٥٩) (كتاب العلم ، باب من سئل علما وهو مشتغل في حديثه) (بهذا اللفظ)

■ **وفي البخاري من حديث أبي هريرة** رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتَتِلَ فِئَتَانِ عَظِيمَتَانِ يَكُونُ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ ، دَعَوُهُمَا وَاحِدَةٌ ، وَحَتَّى يُبْعَثَ دَجَالُونَ كَذَّابُونَ ، قَرِيبٌ مِنْ ثَلَاثِينَ ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ، وَحَتَّى يُقْبَضَ الْعِلْمُ وَتَكْثُرَ الزَّلَازِلُ ، وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ ، وَتَظْهَرَ الْفِتَنُ ، وَيَكْثُرَ الْهَرَجُ ، وَهُوَ الْقَتْلُ. وَحَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمْ الْمَالُ ، فَيَفِيضَ حَتَّى يُهِمَّ رَبُّ الْمَالِ مَنْ يَقْبَلُ صَدَقَتَهُ ، وَحَتَّى يَعْرِضَهُ ، فَيَقُولَ الَّذِي يَعْرِضُهُ عَلَيْهِ: لَا أَرَبَ لِي بِهِ ، وَحَتَّى يَتَطَاوَلَ النَّاسُ فِي الْبُنْيَانِ ، وَحَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ فَيَقُولُ: يَا لَيْتَنِي مَكَانَهُ" (١)

■ **وفي لفظ في صحيح مسلم** عنه: "قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَا تَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ عَلَى الْقَبْرِ فَيَتَمَرَّغَ عَلَيْهِ وَيَقُولُ: يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَكَانَ صَاحِبِ هَذَا الْقَبْرِ ، وَلَيْسَ بِهِ الدِّينُ إِلَّا الْبَلَاءُ." (٢)

● **مسألة:** قال ابن عبد البر في «التمهيد - ابن عبد البر» (١٨ / ١٤٦ ط المغربية): «قَالَ أَبُو عَمْرٍ قَدْ ظَنَّ بَعْضُ النَّاسِ أَنَّ هَذَا الْحَدِيثَ مُعَارِضٌ لِتَهْيِئَةِ ﷺ عَنْ تَمَيُّي الْمَوْتِ بِقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَا يَتَمَيَّنُ أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ لِضُرِّ نَزَلَ بِهِ قَالَ وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ إِبَاحَةُ تَمَيُّي الْمَوْتِ ، وَلَيْسَ كَمَا ظَنَّ . وَإِنَّمَا هَذَا خَبَرٌ أَنَّ ذَلِكَ سَيَكُونُ ؛ لِشِدَّةِ مَا يَنْزِلُ بِالنَّاسِ مِنْ فَسَادِ الْحَالِ فِي الدِّينِ وَضَعْفِهِ ، وَخَوْفِ ذَهَابِهِ ، لَا لِضُرِّ يَنْزِلُ بِالْمُؤْمِنِ فِي جِسْمِهِ ، وَأَمَّا قَوْلُهُ ﷺ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي مَكَانَكَ ، فَإِنَّمَا هُوَ خَبَرٌ عَنْ تَغْيِيرِ الزَّمَانِ ، وَمَا يَحْدُثُ فِيهِ مِنَ الْمِحَنِ وَالْبَلَاءِ وَالْفِتَنِ ، وَقَدْ أَدْرَكْنَا ذَلِكَ الزَّمَانَ كَمَا شَاءَ الْوَاحِدُ الْمَنَانُ لَا شَرِيكَ لَهُ عَصَمَنَا اللَّهُ وَوَفَّقَنَا وَغَفَرَ لَنَا آمِينَ» اهـ.

● **قلت** (هو يتحدث عن القرن الذي هو فيه وهو القرن الخامس) **فماذا نقول الآن؟؟؟!!!**

● وقال العراقي في «طرح التثريب في شرح التقریب» (٣ / ٢٦٠): «أَمَّا الْحُكْمُ، وَهُوَ تَمَيُّي الْمَوْتِ لِمَصْلَحَةِ الدِّينِ فَلَا نِزَاعَ فِيهِ ، وَقَدْ ذَكَرَهُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ عَنْ أَبِي عَبَّاسٍ الْغِفَارِيِّ صَحَابِيٍّ، وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، وَعُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، وَسُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ، وَقَالَ النَّوَوِيُّ لَا كَرَاهَةَ فِيهِ ، وَقَدْ فَعَلَهُ خَلَائِقُ مِنَ السَّلَفِ عِنْدَ خَوْفِ الْفِتْنَةِ فِي دِينِهِمْ» اهـ.

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٩ / ٥٩) برقم: (٧١٢١) (كتاب الفتن ، باب حدثنا مسدد) (بهذا اللفظ)

(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٩ / ٥٨) برقم: (٧١١٥) (كتاب الفتن ، باب لا تقوم الساعة حتى يغبط أهل القبور) (بنحوه مختصراً) ومسلم في "صحيحه" (٨ / ١٨٢) برقم: (١٥٧) (كتاب الفتن وأشرط الساعة ، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت) (بهذا اللفظ)

- قال ابن حجر في «فتح الباري لابن حجر» (١٣ / ٧٥): «قال بن بَطَّالٍ: تَغَبُّطُ أَهْلِ الْقُبُورِ وَتَمَيُّ الْمَوْتِ عِنْدَ ظُهُورِ الْفِتَنِ ، **إِنَّمَا هُوَ خَوْفٌ ذَهَابِ الدِّينِ بِغَلَبَةِ الْبَاطِلِ وَأَهْلِهِ** ، وَظُهُورِ الْمَعَاصِي وَالْمُنْكَرِ. انْتَهَى. وَلَيْسَ هَذَا عَامًّا فِي حَقِّ كُلِّ أَحَدٍ ، وَإِنَّمَا هُوَ خَاصٌّ بِأَهْلِ الْخَيْرِ»... «وَقَالَ غَيْرُهُ لَيْسَ بَيْنَ هَذَا الْخَبَرِ وَحَدِيثِ النَّبِيِّ عَنْ تَمَيُّ الْمَوْتِ مُعَارَضَةً ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ صَرِيحٌ ، وَهَذَا إِنَّمَا فِيهِ إِخْبَارٌ عَنْ شِدَّةٍ سَتَحْصُلُ يَنْشَأُ عَنْهَا هَذَا التَّمَيُّ ، وَلَيْسَ فِيهِ تَعَرُّضٌ لِحُكْمِهِ ، وَإِنَّمَا سِيقٌ لِلْإِخْبَارِ عَمَّا سَيَقَعُ. قُلْتُ: وَيُمْكِنُ اخْتِذُ الْحُكْمِ مِنَ الْإِشَارَةِ فِي قَوْلِهِ وَلَيْسَ بِهِ الدِّينُ إِنَّمَا هُوَ الْبَلَاءُ ، فَإِنَّهُ سِيقَ مَسَاقِ الدِّمِّ وَالْإِنْكَارِ وَفِيهِ إِيمَاءٌ إِلَى أَنَّهُ لَوْ فَعِلَ ذَلِكَ بِسَبَبِ الدِّينِ لَكَانَ مَحْمُودًا ، وَيُؤَيِّدُهُ ثُبُوتُ تَمَيُّ الْمَوْتِ عِنْدَ فَسَادِ أَمْرِ الدِّينِ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ السَّلَفِ» اهـ.

■ **مسألة: المقصود بقوله (ويتقارب الزمان)^(١) كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه المتقدم كما في البخاري وفيه** أن رسول الله ﷺ قال: "لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتُلَ فِئَتَانِ عَظِيمَتَانِ يَكُونُ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ ، دَعُوهُمَا وَاحِدَةً ، وَحَتَّى يُبْعَثَ دَجَالُونَ كَذَّابُونَ ، قَرِيبٌ مِنْ ثَلَاثِينَ ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ، وَحَتَّى يُقْبَضَ الْعِلْمُ وَتَكْثُرَ الزَّلَازِلُ ، وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ." ^(٢) الحديث.

○ **بيان وجه الإشكال:** استشكل تقارب الزمان الوارد في هذا الحديث ؛ لأن فيه إخباراً عما يخالف الواقع والسنة الجارية المعتادة، والتكوين الذي به قامت الخليفة ، فالزمان عبارة عن مجموعة من الأيام والأسابيع والشهور والسنين، وكلها أوقات محددة ، معلومة البداية والنهاية، وعلى هذا، **فكيف يمكن أن يتصور تقارب الزمان؟**

○ أقوال أهل العلم في هذا الإشكال اختلف أهل العلم في معنى هذا الحديث على أقوال:

- **القول الأول:** حمل الحديث، على ظاهره ، فيكون المراد: أن الزمان نفسه يتقارب حقيقة، وذلك بنقص أيامه ولياليه.

نقل هذا الشيخ مرعي بن يوسف عن أهل الحديث ، واحتمله الخطابي حيث قال: "ويحتمل أن يكون أراد به قصر مدة الأزمنة ونقصها عما جرت به العادة فيها ، وذلك من علامات الساعة إذا طلعت الشمس من مغربها ، وهو معنى الحديث الآخر عن أبي هريرة رضي الله عنه وهو صحيح أن النبي ﷺ قال: (يتقارب الزمان حتى تكون السنة كالشهر، والشهر كالجمعة، والجمعة كالיום، واليوم كالساعة، والساعة كاحتراق السَّعْفَةِ) " ^(٣).

- **القول الثاني:** أن المراد بتقارب الزمان: قربه من الساعة ويوم القيامة. وإلى هذا ذهب القاضي عياض والنووي.

- **القول الثالث:** أن المراد بتقارب الزمان: نزع البركة منه ، بحيث يصير الانتفاع من اليوم مثلاً بقدر الانتفاع من الساعة الواحدة. وإلى هذا ذهب الخطابي، وابن الأثير، والعراقي، وابن حجر، وهو ظاهر

(١) - نقلت هذه المسألة بتصرف يسير ، وتقديم وتأخير من كتاب «أحاديث العقيدة التي يوهم ظاهرها التعارض في الصحيحين دراسة وترجيح» للدكتور محمد بن سليمان الديخي.

(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٩ / ٥٩) برقم: (٧١٢١) (كتاب الفتن ، باب حدثنا مسدد) (بهذا اللفظ)

(٣) - أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (١٥ / ٢٥٦) برقم: (٦٨٤٢) (كتاب التاريخ ، ذكر الإخبار عن تقارب الزمان قبل قيام الساعة) (بهذا اللفظ) ، وأحمد في "مسنده" (٢ / ٢٢٥٥) برقم: (١١٠٩٩) (مسند أبي هريرة رضي الله عنه ،) (بمثله) . قال الأرئوط في «مسند أحمد» (١٦ / ٥٥٠ ط الرسالة): «إسناده صحيح على شرط مسلم، رجاله ثقات رجال الشيخين غير سهيل بن أبي صالح، فمن رجال مسلم. زهير: هو ابن معاوية» . وصححه الألباني في «صحيح موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان» (٢ / ٢٣١): برقم «١٥٨٢ - ١٨٨٧»

صنيع ابن كثير حيث عنون لهذا الحديث بقوله: "إشارة نبوية إلى نزع البركة من الوقت قبل قيام الساعة".

- **قال ابن حجر:** "والحق أن المراد نزع البركة من كل شيء، حتى من الزمان، وذلك من علامات قرب الساعة"، وقال: "الذي تضمنه الحديث قد وجد في زماننا هذا، فإننا نجد من سرعة مرّ الأيام ما لم نكن نجده في العصر الذي قبل عصرنا هذا".
- **القول الرابع:** أن المراد بذلك استقصار مدته لما يحصل من استلذاذ العيش. وهذا مروي عن أبي سنان حيث سئل عن معنى الحديث فقال ذلك من استلذاذ العيش، قال الخطابي معقباً على كلامه: "يريد -والله أعلم- زمان خروج المهدي ووقوع الأمانة في الأرض بما يبسطه من العدل فيها، فيُستلذ العيش عند ذلك، وتُستقصر مدته، ولا يزال الناس يستقصرون مدة أيام الرخاء وإن طالّت وامتدت، ويستطيلون أيام المكروه وإن قصرت وقلّت".
- **القول الخامس:** أن المراد: تقارب أحوال أهله في قلة الدين، حتى لا يكون فيهم من يأمر بمعروف ولا ينهى عن منكر، لغلبة الفسق وظهور أهله. وإلى هذا ذهب ابن بطال، والقرطبي، وغيرهما، وذكر ابن حجر أنه اختيار الطحاوي.
- **القول السادس:** ما ذهب إليه بعض العلماء المعاصرين ، من أن المراد بتقارب الزمان : ما هو حاصل في هذا العصر من تقارب ما بين المدن والأقاليم ، وقصر زمن المسافة بينها ؛ بسبب اختراع وسائل المواصلات المتنوعة -البرية والبحرية والجوية- حيث تُقطع المسافات البعيدة في الزمن القصير، ومثلها وسائل الاتصال الصوتية: كالهاتف والإذاعة وغيرهما فإنها قربت البعيد. وممن ذهب إلى هذا القول الشيخ ابن باز، والشيخ حمود التويجري، والشيخ محمد رشيد رضا، وغيرهم، عليهم رحمة الله.
- قال الشيخ ابن باز في تعليقه على الفتح: "الأقرب تفسير التقارب المذكور في الحديث بما وقع في هذا العصر من تقارب ما بين المدن والأقاليم، وقصر زمان المسافة بينها ، بسبب اختراع الطائرات والسيارات والإذاعة وما إلى ذلك، والله أعلم".
- وقال الشيخ حمود التويجري: "والظاهر -والله أعلم بمراد رسوله ﷺ أن ذلك إشارة إلى ما حدث في زماننا من المراكب الأرضية ، والجوية ، والآلات الكهربائية التي قربت كل بعيد ، والمعنى على هذا: يتقارب أهل الزمان"، إلى أن قال بعد حديثه عن وسائل المواصلات: "وأعظم من ذلك الآلات الكهربائية التي تنقل الأصوات ، كالإذاعات والتلفونات الهوائية ، فإنها قد بهرت العقول في تقريب الأبعاد ، بحيث كان الذي في أقصى المشرق يخاطب من في أقصى المغرب كما يخاطب الرجل جليسه ، وبحيث كان الجالس

عند الراديو يسمع كلام مَنْ في أقصى المشرق، وَمَنْ في أقصى المغرب، وَمَنْ في أقصى الجنوب، وَمَنْ في أقصى الشمال، وغير ذلك من أرجاء الأرض في دقيقة واحدة ، كأن الجميع حاضرون عنده في مجلسه ، فالمراكب الأرضية والجوية قربت الأبعاد من ناحية السير، والآلات الكهربائية قربت الأبعاد من ناحية التخاطب وسماع الأصوات، فسبحان من علّم الإنسان ما لم يعلم".

- وقال الشيخ محمد رشيد رضا: "ويرى بعض أهل هذا الزمان أن المراد قد يكون ما هو حاصل من تقارب المواصلات وقطع المسافات البعيدة في الزمن القصير برًا وبحرًا وجوًا، وهذا أظهر من كل ما قالوه، وأليق يكونه إخبارًا عن غيب لا مجال للرأي فيه، ولا يعرف إلا بوحى من الله تعالى"

• الترجيح .

- والذي يترجح -والله تعالى أعلم بالصواب- أن الزمان نفسه يتقارب حقيقة تقاربًا حسيًا، وذلك بنقصه وقصره عمّا هو معتاد -على ما جاء في القول الأول- وذلك في آخر الزمان، لكن لا يصح الجزم بأن ذلك إنما يكون إذا طلعت الشمس من مغربها. ومما يدل على هذا القول ما يلي:
- (صحيح). ١ - أن هذا هو ظاهر الحديث، وقد جاء ما يؤيده ويبين مراده، كما عند الإمام أحمد وغيره من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان، فتكون السنة كالشهر، ويكون الشهر كالجمعة ، وتكون الجمعة كالיום، ويكون اليوم كالساعة، وتكون الساعة كاحتراق السعفة).^(١)

فهذا الحديث صريح في بيان المراد، ولذا قال الكرمانى: "تقارب الزمان مجمل، وبيانه أنه ﷺ قال: "لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان، فتكون السنة كالشهر، ويكون الشهر كالجمعة ...".

- وقال ابن أبي جمرة: "يحتمل أن يكون المراد بتقارب الزمان: قصره على ما وقع في حديث: "لا تقوم الساعة حتى تكون السنة كالشهر"، وعلى هذا فالقصر يحتمل أن يكون حسيًا ويحتمل أن يكون معنويًا، فأما الحسي فلم يظهر بعد ، ولعله من الأمور التي تكون قرب قيام الساعة ، وأما المعنوي فله مدة منذ ظهر، يعرف ذلك أهل العلم الديني، ومن له فطنة من أهل السبب الدنيوي".

(١) - أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (٢٥٦ / ١٥) برقم: (٦٨٤٢) (كتاب التاريخ ، ذكر الإخبار عن تقارب الزمان قبل قيام الساعة (بهذا اللفظ) ، وأحمد في "مسنده" (٢ / ٢٢٥٥) برقم: (١١٠٩٩) (مسند أبي هريرة رضي الله عنه ، (بمثله.) . قال الأرنؤوط في «مسند أحمد» (١٦ / ٥٥٠ ط الرسالة): «إسناده صحيح على شرط مسلم، رجاله ثقات رجال الشيخين غير سهيل بن أبي صالح، فمن رجال مسلم. زهير: هو ابن معاوية» . وصححه الألباني في «صحيح موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان» (٢ / ٢٣١): برقم «١٥٨٢ - ١٨٨٧»

■ ٢ - ما أخرجه مسلم من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه: أن النبي ﷺ ذكر الدجال، قال النواس: قلنا: يا رسول الله وما لبثه في الأرض؟ قال: "أربعون يومًا: يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم"، قلنا: يا رسول الله: فذلك اليوم الذي كسنة أتكفيناه فيه صلاة يوم؟ قال: "لا، اقدروا له قدره".^(١)

ففي هذا الحديث أن الأيام تطول حقيقة ، وإذا كان ذلك كذلك فما المانع من كونها تقصر حقيقة كما في حديث تقارب الزمان ، وذلك لاختلال نظام العالم وقرب زوال الدنيا.

وكون الطول في أيام الدجال حقيقةً ظاهر، يدل عليه قوله ﷺ: (وسائر أيامه كأيامكم)، وكذا سؤال الصحابة للرسول ﷺ عن الصلاة في اليوم الذي كسنة يدل على أنهم فهموا كون الطول في الأيام حقيقةً، وجوابه لهم بقوله: "اقدروا له قدره" يدل على موافقته لهم على هذا الفهم.

● قال القاضي عياض: "قوله: (يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة): ما جاء بعدُ يفسر أنه على ظاهره غير متأول".

● وقال النووي: "قوله ﷺ:- (يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم)، قال العلماء: هذا الحديث على ظاهره، وهذه الأيام الثلاثة طويلة على هذا القدر المذكور في الحديث، يدل عليه قوله ﷺ: (وسائر أيامه كأيامكم)"

● وقال القرطبي: "ظاهر هذا: أن الله تعالى يخرق العادة في تلك الأيام، فيبطئ بالشمس عن حركتها المعتادة في أول يوم من تلك الأيام، حتى يكون أول يوم كمقدار سنة معتادة، ويبطئ بالشمس حتى يكون كمقدار شهر، والثالث حتى يكون كمقدار جمعة، وهذا ممكن، لا سيما وذلك الزمان تنخرق فيه العوائد كثيرًا".

■ ٣ - أن آخر الزمان يختل فيه نظام العالم، وتكثر فيه خوارق العادات: فالدابة تتكلم والشمس تطلع من مغربها ... وعلى هذا فما المانع من أن يكون من جملة ذلك أيضًا تقارب الزمان وقصره، والله تعالى مصرف الكون ومدبره ، وهو سبحانه على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، فكما أنشأ الأيام والليالي على هذا النظام الذي نعرفه فهو قادر على تغيير ذلك، والله تعالى أعلم.

(١) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ١٩٧) برقم: (٢٩٣٧) (كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب ذكر الدجال وصفته وما معه)
(بهذا اللفظ)

- قال ابن العربي: "فإن قيل: في هذا الحديث إبطال للهيئة، وإفساد للطبيعة، وتغيير للتكوين الذي به قامت الخليقة ... قلنا: اتندوا، فإنكم نظرتم إلى جريان اليوم في المخلوقات، وأغفلتم النظر في قدرة الخالق وما له من الحكم في المصنوعات، والإشكال الذي أشرتكم إليه ينحل عنكم بالنظر في معاني:
 - الأول: قد تقرر عقلاً وشرعاً، وثبت دليلاً أن الباري تعالى خالق كل شيء، لا يشذ ذرة عن خلقه، فما كان من سبب أو مسبب، أو علة ومعلول فإنه فطره وأنشأه، وكون ذلك كله على هذا النظام المشاهد ليس بواجب لا يمكن سواه، بل هو على مجرى الإرادة وبعض العادة.
 - الثاني: أن عاقبة الشمس والقمر التكوير، وآخر السموات والأرض الانفطار والتدمير، وكما يعدمها خالقها فلا تسير، يجوز أن يبطنها عن سرعتها وينقص من حركاتها، فما كانت تقطعه في يوم تقطعه في جمعة، ثم في شهر، ثم في سنة، أو بعكسه، وهذا قريب ممن وفقه الله لعلمه".
- وبهذا يتبين ضعف بقية الأقوال وبعدها عن ظاهر الحديث، لأنها: إما أن تجعل التقارب الوارد في الحديث تقارباً معنوياً لا حقيقياً، كالقول: بأن المراد من ذلك نزع البركة -وهو القول الثالث- وكذا القول: بأن المراد من ذلك ما يحصل من استقصار الزمان بسبب استلذاذ العيش، وهو القول الرابع. وإما أن تجعل التقارب المذكور ليس للزمان نفسه وإنما لأهل الزمان، كالقول بأن المراد: تقارب أحوال أهله في قلة الدين -وهو القول الخامس- وكذا القول السادس -وإن كان أظهر وجاهة من غيره- وهو أن المراد: ما حصل من تقارب أهل هذا الزمان بسبب ما استجد من مخترعات حديثة.
- وأما القول الثاني: وهو أن المراد بتقارب الزمان: قربه من الساعة، فقول غريب، لأنه وإن احتمله الحديث الذي أول لفظه: (يتقارب الزمان ...)، فإنه لا يحتمله اللفظ الآخر -كما عند البخاري-: (لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان)؛ لأن المعنى سيكون حينئذٍ: لا تقوم الساعة حتى تقرب الساعة؟! وهذا ليس فيه فائدة، بل هو تحصيل حاصل، ولهذا قال الكرمانى بعد أن ذكر هذا القول عن النووي: "حاصل تفسيره: أنه لا تكون القيامة حتى تقرب القيامة، وهذا كلام مهمل، لا طائل تحته".

- **القسم الثالث من أقسام أشراف الساعة :**
- **العلامات العظام والأشراط الجسم التي تعقبها الساعة، ومنها:** ١- خروج المهدي ٢- والمسيح الدجال ٣- ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام ٤- وخروج يأجوج ومأجوج ٥- الدخان ٦- وهدم الكعبة ٧- رفع القرآن ٨- وخروج الدابة ٩- وطلوع الشمس من مغربها ١٠- وخروج النار من قعر عدن ١٠- رفع القرآن ، ثم النفخ في الصور نفخة الفزع، ثم نفخة الصعق وهلاك الخلق، ثم نفخة البعث والنشور.
- وأشراف الساعة العظام عشر مرتبة كما جاءت في الأحاديث وهي : ظهور المهدي، ثم خروج الدجال، ثم نزول المسيح عليه السلام، ثم تتابع.
- قال الشيخ ابن باز في «فتاوى نور على الدرب لابن باز بعناية الشويعر» (٢٧٠-٢٧٢):
- «س: مستمع يسأل عن علامات الساعة، ويقول: إن الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام، حدد لنا بعضها منها، وقال في ذلك: أن تلد الأمة ربتها فما معنى هذه العبارة؟ ج: أشراف الساعة كثيرة، **ولكنها قسمان: قسم مطلق، وجد في عهد النبي ﷺ وبعده، وقسم خاص يقع عند قربها وعند دنوها،** أما المطلق العام فهذا نبينا محمد ﷺ هو نبي الساعة، ووجوده من أشرافها عليه الصلاة والسلام، وهكذا ما قال ﷺ: أن تلد الأمة ربتها... ومثل حديث: «أن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاة يتطاولون في النبيان» هذا أيضا من أشرافها العامة ... **أما أشرافها الخاصة القريبة منها، فقد بينتها الأحاديث، وهي عشر علامات، أولها: المهدي، رجل من أهل البيت في آخر الزمان، يملك الدنيا، يملك الأرض، ويملاها عدلا، بعدما ملئت جورا، وهو من أهل البيت، من بني هاشم، من ذرية فاطمة رضي الله عنها، جاءت فيه أحاديث كثيرة، الثاني: الدجال يخرج دجال في آخر الزمان، يدعي أنه نبي، ثم يدعي أنه رب العالمين، وصحت فيه الأحاديث، وتواترت عن النبي ﷺ، والثالث: نزول المسيح ابن مريم من السماء عليه الصلاة والسلام، ويقتل الدجال، ويحصل به الخير العظيم للأمة، ويملاها الله به البركات في الأرض عليه الصلاة والسلام، ويمهلك الله في زمانه الأديان، فلا يبقى إلا الإسلام، تذهب اليهودية والنصرانية، والشيعونية وغيرها، ولا يبقى إلا الإسلام في عهده عليه الصلاة والسلام، والرابع: خروج يأجوج ومأجوج من الشرق: {وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ} في عهد عيسى عليه الصلاة والسلام، ثم يميتهم الله بعد ذلك ثم بعد ذلك: آية الدخان، وهدم الكعبة، رفع القرآن من الأرض ومن الصدور، ومن الصحف، ثم خروج الدابة، دابة الأرض، وطلوع الشمس من مغربها**

، وإذا طلعت لا تقبل التوبة بعد ذلك من أحد، **وأخرها: نارتحشر الناس إلى محشرهم** ، هذه يقال لها الآيات الخاصة القريبة من الساعة جاءت بها الأحاديث وبينها أهل العلم»

○ **مسألة:** هل الخسوف الثلاثة الواردة في حديث حذيفة بن أسيد رضي الله عنه المتقدم من

العلامات الكبرى ؟ ونصه: **في مسلم عن أبي سريحة حذيفة بن أسيد رضي الله عنه قال: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ فِي غُرْفَةٍ وَنَحْنُ أَسْفَلَ مِنْهُ ، فَاطَّلَعَ إِلَيْنَا فَقَالَ: مَا تَذْكُرُونَ؟ قُلْنَا: السَّاعَةُ . قَالَ: إِنَّ السَّاعَةَ لَا تَكُونُ حَتَّى تَكُونَ عَشْرُ آيَاتٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ ، وَخَسْفٌ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ ، وَالْدُّخَانُ ، وَالْدَّجَالُ ، وَدَابَّةُ الْأَرْضِ ، وَيَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ ، وَطُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا ، وَنَارُ تَخْرُجُ مِنْ قُعْرَةِ عَدْنٍ تَرْحَلُ النَّاسَ** ، قَالَ شُعْبَةُ وَحَدَّثَنِي عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ رُفَيْعٍ ، عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ ، عَنْ أَبِي سَرِيحَةَ مِثْلَ ذَلِكَ ، لَا يَذْكُرُ النَّبِيُّ ﷺ . وَقَالَ أَحَدُهُمَا فِي الْعَاشِرَةِ: نَزُولُ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﷺ . وَقَالَ الْآخَرُ: وَرِيحٌ تُلْقِي النَّاسَ فِي الْبَحْرِ ."^(١)

● جاء في «أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة» (ص ٢١٤): ألفه نخبة من العلماء ، وقام بطباعته وزارة الشؤون الإسلامية: والذي عليه أكثر المحققين من أهل العلم أن العلامات العشر العظمى ، وما ذكر في حديث حذيفة بن أسيد سوى الخسوف ، فإنها وإن كانت من علامات الساعة بلا شك كما هو نص الحديث، إلا أنها **تقع قبل العشر العظمى ، وهي مقدمة لها** ، ويشهد لهذا ما جاء في رواية أخرى من حديث حذيفة بن أسيد وقد خرجها مسلم أيضا وفيها تقديم الخسوف في الذكر على غيرها من العلامات ، حيث قال ﷺ: «إن الساعة لا تكون حتى تكون عشر آيات خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف في جزيرة العرب والدخان والدجال»^(٢) . ثم ذكر بقية العلامات. قال القرطبي: (فأول الآيات على ما في هذه الرواية الخسوفات الثلاثة وقد وقع بعضها في زمن النبي ﷺ ذكره ابن وهب...)

(١) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ١٧٨) برقم: (٢٩٠١) (كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب في الآيات التي تكون قبل الساعة) ، (٨ / ١٧٩) برقم: (٢٩٠١) (كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب في الآيات التي تكون قبل الساعة) (بهذا اللفظ)

(٢) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ١٧٩) برقم: (٢٩٠١) (كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب في الآيات التي تكون قبل الساعة) (بهذا اللفظ)

○ المسألة الثانية : العلامات الكبرى :

○ العلامة الأولى : ظهور المهدي : الأحاديث التي جاءت في ذكره كثيرة من أهمها :

- (حسن) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ؛ قال: قال رسول الله ﷺ : "لا تنقضي الأيام ولا يذهب الدهر حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي ؛ يواطئ اسمه اسمي" ^(١)
- (صحيح) وعنه ، قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : يَخْرُجُ رَجُلٌ مِنْ أُمَّتِي يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي ، وَخُلُقُهُ خُلُقِي ، فَيَمْلُؤُهَا قِسْطًا وَعَدْلًا كَمَا مُلِئْتُ ظُلْمًا وَجَوْرًا. ^(٢)
- (صحيح) وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَمْتَلِئَ الْأَرْضُ ظُلْمًا وَعُدْوَانًا ، قَالَ : ثُمَّ يَخْرُجُ رَجُلٌ مِنْ عِثْرَتِي أَوْ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي مَنْ يَمْلُؤُهَا قِسْطًا وَعَدْلًا كَمَا مُلِئْتُ ظُلْمًا وَعُدْوَانًا. ^(٣)

(١) - أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (٢٨٤ / ١٣) برقم: (٥٩٥٤) ، (٢٣٦ / ١٥) برقم: (٦٨٢٤) ، وأبو داود في "سننه" (٤ / ١٧٣) برقم: (٤٢٨٢) (كتاب المهدي ، (بهذا اللفظ) والترمذي في "جامعه" (٨٤ / ٤) برقم: (٢٢٣٠) (أبواب الفتن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . ، باب ما جاء في المهدي) وقال : "حسن صحيح" ، وأحمد في "مسنده" (٨٣١ / ٢) برقم: (٣٦٤١) ، قال الأرنبوط في "مسند أحمد" (٤٤ / ٦) ط الرسالة: «إسناده حسن من أجل عاصم بن أبي النجود، وبقية رجاله ثقات رجال الشيخين، عمر بن عبيد: هو الطنافسي» ، وقال في «سنن أبي داود» (٣٣٧ / ٦) ت الأرنبوط: «صحيح لغيره، وهذا إسناده حسن من أجل عاصم -وهو ابن أبي النجود- فهو صدوق حسن الحديث، وباقي رجاله ثقات» ، وحسنه الألباني في «مشكاة المصابيح» (١٥٠١ / ٣): برقم «٥٤٥٢ - وقال : " (حسن)»

(٢) - أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (٢٣٧ / ١٥) برقم: (٦٨٢٥) (كتاب التاريخ ، ذكر البيان بأن المهدي يشبه خلقه خلق المصطفى صلى الله عليه وسلم) (بهذا اللفظ) ، وأبو داود في "سننه" (١٧٣ / ٤) برقم: (٤٢٨٢) (كتاب المهدي ، (بنحوه) ، والترمذي في "جامعه" (٨٤ / ٤) برقم: (٢٢٣٠) (أبواب الفتن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . ، باب ما جاء في المهدي) (بنحوه) . وقال : "حسن صحيح" . قال الأرنبوط في «سنن أبي داود» (٣٣٧ / ٦) ت الأرنبوط: «صحيح لغيره، وهذا إسناده حسن من أجل عاصم -وهو ابن أبي النجود- فهو صدوق حسن الحديث، وباقي رجاله ثقات» . وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير وزيادته» (٩٣٨ / ٢): برقم «٥٣٠٤» . وقال الألباني في «موسوعة الألباني في العقيدة» (٢٧٤ / ٩): «رواه أبو داود (٢٠٧ / ٢)، والترمذي، وأحمد، والطبراني في الكبير والصغير، وأبو نعيم في "الحلية"، والخطيب في "تاريخ بغداد" من طرق عن زر بن حبیش عن ابن مسعود. وقال الترمذي: "حسن صحيح" والذهبي: "صحيح" وهو كما قال. وله طريق آخر عند ابن ماجه (٥١٧ / ٢) عن علقمة عن ابن مسعود به نحوه، وسنده حسن. الحديث الثاني: عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - مرفوعاً نحوه. وله عنه طريقان: أخرج الأول أبو داود وأحمد، وإسناده صحيح، وأخرج الآخر ابن ماجه وأحمد، وإسناده حسن. الثالث: عن أبي سعيد الخدري، وله طريقان أيضاً الأول: أخرجه الترمذي، وابن ماجه، والحاكم، وأحمد، وحسنه الترمذي، وقال الحاكم: "صحيح على شرط مسلم" ووافقه الذهبي، وهو كما قال. وأخرج الطريق الثاني أبو داود، والحاكم وصححه، وسنده حسن»

(٣) - أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (٢٣٦ / ١٥) برقم: (٦٨٢٣) (كتاب التاريخ ، ذكر البيان بأن خروج المهدي إنما يكون بعد ظهور الظلم والجور في الدنيا وغلبهما على الحق والجد) (بمثله) ، والحاكم في "مستدرکه" (٥٥٧ / ٤) برقم: (٨٧٦٦) (كتاب الفتن والملاحم ، حلية المهدي عليه السلام) (بمثله) وصححه ووافقه الذهبي ، وأحمد في "مسنده" (٢٣٦٥ / ٥) برقم: (١١٤٨٨) (مسند أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، (بهذا اللفظ) . قال الأرنبوط في «مسند أحمد» (١٧ / ١٦٤) ط الرسالة: «إسناده صحيح على شرط الشيخين. عوف: هو ابن أبي جميلة، وأبو الصديق الناجي: هو بكر بن عمرو» . وقال الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها» (٣٩ / ٤): «... وقال الحاكم» «صحيح على شرط الشيخين» . ووافقه الذهبي وهو كما قال» .

- **(صحيح) «عن علي** عليه السلام عن النبي ﷺ قال: "لو لم يبق من الدهر إلا يومٌ، لبعث الله عزَّ وجلَّ رجلاً من أهل بيتي يملؤها عدلاً كما مُلئت جوراً" ^(١)
- قال العلامة السفاريني: "وقد تكاثرت الروايات والآثار بأمر المهدي"
- وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "الأحاديث التي يحتج بها على خروج المهدي أحاديث صحيحة رواها أبو داود والترمذي وأحمد وغيرهم". انتهى.
- واسم المهدي محمد بن عبد الله، من ولد الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام، يخرج في آخر الزمان وقد امتلأت الأرض جوراً وظلماً فيملؤها عدلاً وقسطاً.
- وقال العلامة السفاريني: "قد كثرت الأقوال في المهدي، حتى قيل: لا مهدي إلا عيسى! والصواب الذي عليه أهل الحق: أن المهدي غير عيسى، وأنه يخرج قبل نزول عيسى عليه السلام، وقد كثرت بخروجه الروايات حتى بلغت حد التواتر المعنوي، وشاع ذلك بين علماء السنة حتى عد من معتقداتهم..." انتهى. إلى أن قال: "وقد روي عن ذكر من الصحابة وغير من ذكر منهم رضي الله عنهم بروايات متعددة، وعن التابعين بعدهم ما يفيد مجموع العلم القطعي؛ فالإيمان بخروج المهدي واجب؛ كما هو مقرر عند أهل العلم ومدون في عقائد أهل السنة والجماعة".
- وقد انقسم الناس في أمر المهدي إلى **طرفين ووسط**:
- **فالطرف الأول: من ينكر خروج المهدي** مثل بعض الكتاب المعاصرين الذين ليس لهم خبرة بالنصوص، وأقوال أهل العلم، وإنما يعتمدون على مجرد آرائهم وعقولهم.
- **والطرف الثاني: من يغالي في أمر المهدي من الطوائف الضالة**، حتى ادعت كل طائفة لزعيمهم أنه المهدي المنتظر: فالرافضة تدعي أن المهدي هو إمامهم المنتظر الذي ينتظرون خروجه من السرداب، ويسمونه محمد بن الحسن العسكري، دخل سرداب سامراء طفلاً صغيراً منذ أكثر من خمس مائة سنة، وهم ينتظرون خروجه!

(١) - أخرجه الضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" (٢ / ١٧٢) برقم: (٥٥٢) (من حديث أمير المؤمنين أبي الحسن علي بن أبي طالب، عامر أبو وائلة الليثي أبو الطفيل عن علي عليه السلام) (بمثله) وأبو داود في "سننه" (٤ / ١٧٤) برقم: (٤٢٨٣) (كتاب المهدي، (بهذا اللفظ) وأحمد في "مسنده" (١ / ٢٢٥) برقم: (٧٨٤) (مسند العشرة المبشرين بالجنة وغيرهم، مسند علي بن أبي طالب رضي الله عنه) (بنحوه). قال الأرنبوط في «سنن أبي داود» (٦ / ٣٤١ ت الأرنبوط): «إسناده صحيح. أبو الطفيل: هو عامر بن وائلة، وفطر: هو ابن خليفة، وهذا الأخير -وان رمي بالتشيع- لم يأت بما ينكر، وقد وافقه رواية ابن مسعود وغيره كما في الحديث السالف قبله. وقال العلامة العظيم آبادي: سنده حسن قوي». وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير وزيادته» (٢ / ٩٣٨) برقم «٥٣٠٥»

والفاطمية: يزعمون أن زعيمهم هو المهدي... وهكذا ؛ كل من أراد التسلط والتغلب على الناس وخداعهم ادعى أنه المهدي المنتظر؛ كما أن من أراد الدجل والاحتيال من الصوفية ادعى أنه من أهل البيت وأنه سيد.

● **وأما الوسط في أمر المهدي** ؛ فهم أهل السنة والجماعة ، الذين يثبتون خروج المهدي على ما تقضي به النصوص الصحيحة ، في اسمه ، واسم أبيه ، ونسبه ، وصفاته ، ووقت خروجه ، لا يتجاوزون ما جاء في الأحاديث في ذلك ، ولخروجه أمارات وعلامات تسبقه ذكرها أهل العلم.

● وقال الألباني في «موسوعة الألباني في العقيدة» (٢٧٦ / ٩): «...ثم قال صديق خان: "وأحاديث المهدي بعضها صحيح، وبعضها ضعيف ، وأمره مشهور بين الكافة من أهل الإسلام على مر الأعصار ، وأنه لا بد في آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت النبوي ، يؤيد الدين ، ويظهر العدل ، ويتبعه المسلمون ، ويستولي على الممالك الإسلامية ، ويسمى بالمهدي ، ويكون خروج الدجال وما بعده من أشراط الساعة الثابتة في الصحيح على أثره ، وأن عيسى ينزل من بعده فيقتل» الدجال، ويأتى بالمهدي في صلاته إلى غير ذلك ، وأحاديث الدجال وعيسى أيضاً بلغت مبلغ التواتر ولا مساعٍ لإنكارها كما بين ذلك القاضي العلامة الشوكاني - رحمه الله - في "التوضيح في تواتر ما جاء في المنتظر والدجال والمسيح" ، قال (يعني الشوكاني): "والأحاديث الواردة في المهدي التي أمكن الوقوف عليها منها: خمسون حديثاً فيها الصحيح والحسن والضعيف المنجبر ، وهي متواترة بلا شك ولا شبهة ، بل يصدق وصف التواتر على ما هو دونها على جميع الاصطلاحات المحررة في الأصول، وأما الآثار عن الصحابة المصرحة بالمهدي فهي كثيرة أيضاً لها حكم الرفع ؛ إذ لا مجال للاجتهاد في مثل ذلك. انتهى. وقد جمع السيد العلامة محمد بن إسماعيل الأمير اليماني الأحاديث القاضية بخروج المهدي وأنه من آل محمد ﷺ وأنه يظهر في آخر الزمان ثم قال: ولم يأت تعيين زمنه إلا أنه يخرج قبل خروج الدجال. انتهى "

● وقال الألباني - رحمه الله - في «سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها» (٤ / ٤١): «...إن الأحاديث التي يحتج بها على خروج المهدي أحاديث صحيحة، رواها أبو داود والترمذي وأحمد وغيرهم من من حديث ابن مسعود وغيره". وكذا في "المنتقى من منهاج الاعتدال" للذهبي (ص ٥٣٤). قلت: فهؤلاء خمسة من كبار أئمة الحديث قد صححوا أحاديث خروج المهدي، ومعهم أضعافهم من المتقدمين والمتأخرين أذكر أسماء من تيسر لي منهم:

■ ١ - أبو داود في "السنن" بسكوته على أحاديث المهدي.

- ٢ - العقيلي.
- ٣ - ابن العربي في " عارضة الأحوزي ".
- ٤ - القرطبي كما في " أخبار المهدي " للسيوطي.
- ٥ - الطيبي كما في " مرقاة المفاتيح " للشيخ القاري؟
- ٦ - ابن قيم الجوزية في " المنار المنيف " ، خلافا لمن كذب عليه.
- ٧ - الحافظ ابن حجر في " فتح الباري ".
- ٨ - أبو الحسن الأبري في " مناقب الشافعي " كما في " فتح الباري ".
- ٩ - الشيخ علي القارئ في " المرقاة ".
- ١٠ - السيوطي في " العرف الوردي ".
- ١١ - العلامة المباركفوري في " تحفة الأحوزي ".

وغيرهم كثير وكثير جدا» «بعد هذا كله أليس من العجيب حقا قول الشيخ الغزالي في " مشكلاته " التي صدرت عنه حديثا (ص ١٣٩) : " من محفوظاتي وأنا طالب أنه لم يرد في المهدي حديث صريح ، وما ورد صريحا فليس بصحيح " ! فمن هم الذين لقنوك هذا النفي وحفظوك إياه وأنت طالب؟ أليسوا هم علماء الكلام الذين لا علم عندهم بالحديث ، ورجاله ، وإلا فكيف يتفق ذلك مع شهادة علماء الحديث بإثبات ما نفوه؟ ! أليس في ذلك ما يحملك على أن تعيد النظر فيما حفظته طالبا ، لاسيما فيما يتعلق بالسنة والحديث تصحيحا وتضعيفا ، وما بني على ذلك من الأحكام والآراء ، ذلك خير من أن تشكك المسلمين في الأحاديث التي صححها العلماء لمجرد كونك لقنته طالبا ، ومن غير أهل الاختصاص والعلم؟ ! **واعلم يا أخي المسلم أن كثير من المسلمين اليوم قد انحرفوا عن الصواب في هذا الموضوع :**

- **فمنهم من استقر في نفسه أن دولة الإسلام لن تقوم إلا بخروج المهدي ! وهذه خرافة وضلالة ألقاها** الشيطان في قلوب كثير من العامة ، وبخاصة الصوفية منهم ، وليس في شيء من أحاديث المهدي ما يشعر بذلك مطلقا ، بل هي كلها لا تخرج عن أن النبي ﷺ بشر المسلمين برجل من أهل بيته ، ووصفه بصفات بارزة أهمها أنه يحكم بالإسلام وينشر العدل بين الأنام ، فهو في الحقيقة من المجددين الذين يبعثهم الله في رأس كل مائة سنة كما صح عنه ﷺ ، فكما أن ذلك لا يستلزم ترك السعي وراء طلب العلم والعمل به لتجديد الدين ، فكذلك خروج المهدي لا يستلزم التواكل عليه ، وترك الاستعداد والعمل لإقامة حكم الله في الأرض ، بل على العكس هو الصواب ، فإن المهدي لن يكون أعظم سعيًا

من نبينا محمد ﷺ الذي ظل ثلاثة وعشرين عاما ، وهو يعمل لتوطيد دعائم الإسلام ، وإقامة دولته ، فماذا عسى أن يفعل المهدي لو خرج اليوم فوجد المسلمين شيعة وأحزابا ، وعلماءهم - إلا القليل منهم - اتخذهم الناس رؤوسا! لما استطاع أن يقيم دولة الإسلام إلا بعد أن يوحد كلمتهم ، ويجمعهم في صف واحد ، وتحت راية واحدة ، وهذا بلا شك يحتاج إلى زمن مديد الله أعلم به ، فالشرع والعقل معا يقتضيان أن يقوم بهذا الواجب المخلصون من المسلمين ، حتى إذا خرج المهدي ، لم يكن بحاجة إلا أن يقودهم إلى النصر ، وإن لم يخرج فقد قاموا هم بواجبهم ، والله يقول: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ الآية [التوبة: ١٠٥]

- ومنهم - وفيهم بعض الخاصة - من علم أن ما حكيناه عن العامة أنه خرافة ، ولكنه توهم أنها لازمة لعقيدة خروج المهدي ، فبادر إلى إنكارها ، على حد قول من قال: " وداوني بالتي كانت هي دواء " وما مثلهم إلا كمثّل المعتزلة الذين أنكروا القدر ؛ لما رأوا أن طائفة من المسلمين استلزموا منه الجبر!! فهم بذلك أبطلوا ما يجب اعتقاده ، وما استطاعوا أن يقضوا على الجبر!
- وطائفة منهم رأوا أن عقيدة المهدي قد استغلت عبر التاريخ الإسلامي استغلالا سيئا ، فادعاه كثير من المغرضين ، أو المبهولين ، وجرت من جراء ذلك فتن مظلمة ، كان من آخرها فتنة مهدي (جهيمان) السعودي في الحرم المكي ، فرأوا أن قطع دابر هذه الفتن ، إنما يكون بإنكار هذه العقيدة الصحيحة! وإلى ذلك يشير الشيخ الغزالي عقب كلامه السابق! وما مثل هؤلاء إلا كمثّل من ينكر عقيدة نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان التي تواتر ذكرها في الأحاديث الصحيحة ، لأن بعض الدجاجة ادعاه ، مثل ميرزا غلام أحمد القادياني ، وقد أنكرها بعضهم فعلا صراحة ، كالشيخ شلتوت ، وأكاد أقطع أن كل من أنكر عقيدة المهدي ينكرها أيضا ، وبعضهم يظهر ذلك من فلتات لسانه ، وإن كان لا يبين. وما مثل هؤلاء المنكرين جميعا عندي ، إلا كما لو أنكر رجل ألوهية الله عز وجل بدعوى أنه ادعاه بعض الفراعنة! (فهل من مدكر). أه

○ مسألة: وقت خروج الرجل القحطاني والجهجاه.

■ **في البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ** رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ رَجُلٌ مِنْ قَحْطَانَ يَسُوقُ النَّاسَ بِعَصَاهُ. ^(١)

■ **وفي البخاري عَنْ الزُّهْرِيِّ** قَالَ كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ يُحَدِّثُ أَنَّهُ بَلَغَ مُعَاوِيَةَ وَهُوَ عِنْدَهُ فِي وَقْدٍ مِنْ قُرَيْشٍ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو بْنَ الْعَاصِ يُحَدِّثُ أَنَّهُ سَيَكُونُ مَلِكٌ مِنْ قَحْطَانَ فَغَضِبَ مُعَاوِيَةُ فَقَامَ فَاتَّخَى عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمَّ قَالَ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّ رَجُلًا مِنْكُمْ يَتَحَدَّثُونَ أَحَادِيثَ لَيْسَتْ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَلَا تُؤْتَرَعَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأُولَئِكَ جُهَالُكُمْ فَأَيَّاكُمْ وَالْأَمَانِيَّ الَّتِي تُضِلُّ أَهْلَهَا فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ فِي قُرَيْشٍ لَا يُعَادِيهِمْ أَحَدٌ إِلَّا كَبَّهَ اللَّهُ عَلَى وَجْهِهِ مَا أَقَامُوا الدِّينَ. ^(٢)

● قال في «المفاتيح في شرح المصابيح» (٣٧٢ / ٥): «يسوق الناس بعصاه»: أي: يصير حاكمًا عليهم، ويصيرهم مطيعين منقادين لنفسه، ويأمرهم بما شاء، وكيف شاء، كما يسوق الراعي الغنم بعصاه»

● وقال ابن باز في «الحلل الإبريزية من التعليقات البازية على صحيح البخاري» (١١٠ / ٣): «خروج ملك من قحطان من أشراط الساعة وهل هو صالح أم لا؟ يحتاج إلى جمع الروايات، في بعض الروايات يسوق الناس بعصاه، فلعله ظالم». وقال في «الحلل الإبريزية من التعليقات البازية على صحيح البخاري» (١١٦ / ٣): «ظاهر قوله: (يسوق الناس بعصاه) أنه ليس بعالم، بل يسوقهم بقوة وصلف وعسف، فالله أعلم به وبزمانه والأمر سهل. المقصود أن المسلمين لا يتداعوا بالألقاب؛ لأن هذا معناه الفرقة، بل يتداعوا بالإسلام»

● وقال في «مصابيح الجامع» (١٨٥ / ٧): «واعلم أنه ليس في حديث معاوية ما يردُّ حديث عبد الله، وإنما أراد النبي ﷺ أن قريشًا أحقُّ بهذا الأمر، ولم يرد أنه لا يوجد في غيرهم أصلًا».

● وقال صاحب "المفهم": هذا الذي أنكره معاوية على عبد الله بن عمرو، وقد صح من حديث غيره على ما رواه البخاري، يريد: ما سيأتي له من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ، قال: "لَا تَقُومُ السَّاعَةُ

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (١٨٣ / ٤) برقم: (٣٥١٧) (كتاب المناقب، باب ذكر قحطان) (بهذا اللفظ)، ومسلم في "صحيحه" (١٨٣ / ٨) برقم: (٢٩١٠) (كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت) (بلفظه).

(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (١٧٩ / ٤) برقم: (٣٥٠٠) (كتاب المناقب، باب مناقب قريش) (بهذا اللفظ)

حَتَّى يَخْرُجَ رَجُلٌ مِنْ قَحْطَانَ يَسُوقُ النَّاسَ بِعَصَاهُ ، وَلَا تَنَاقُضُ بَيْنَ الْحَدِيثَيْنِ ؛ لِأَنَّ خُرُوجَ هَذَا الْقَحْطَانِيِّ إِنَّمَا يَكُونُ إِذَا لَمْ تُقَمْ قَرِيشُ الدِّينِ ، فَيُدَالُ عَلَيْهِمْ فِي آخِرِ الزَّمَانِ ، وَلَعَلَّهُ هُوَ الْمَلِكُ الَّذِي يَخْرُجُ عَلَيْهِ الدَّجَالُ »

• وقال ابن حجر في «فتح الباري لابن حجر» (٥٤٦/٦): «وَهَذَا الْحَدِيثُ يَدْخُلُ فِي عِلَالَةِ النَّبُوءَةِ مِنْ جُمْلَةِ مَا أَخْبَرَهُ ﷺ قَبْلَ وَقُوعِهِ ، وَلَمْ يَقَعْ بَعْدُ ، وَقَدْ رَوَى نَعِيمُ بْنُ حَمَّادٍ فِي الْفِتَنِ مِنْ طَرِيقِ أَرْطَاةَ بْنِ الْمُنْذِرِ أَحَدِ التَّابِعِينَ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ أَنَّ الْقَحْطَانِيَّ يَخْرُجُ بَعْدَ الْمَهْدِيِّ ، وَيَسِيرُ عَلَى سِيرَةِ الْمَهْدِيِّ . وَأَخْرَجَ أَيْضًا مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ قَيْسِ بْنِ جَابِرِ الصَّدْفِيِّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ مَرْفُوعًا: يَكُونُ بَعْدَ الْمَهْدِيِّ الْقَحْطَانِيُّ وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ مَا هُوَ دُونَهُ . وَهَذَا الثَّانِي مَعَ كَوْنِهِ مَرْفُوعًا ضَعِيفُ الْإِسْنَادِ ، وَالْأَوَّلُ مَعَ كَوْنِهِ مَوْقُوفًا أَصْلَحَ إِسْنَادًا مِنْهُ . فَإِنْ ثَبَتَ ذَلِكَ فَهُوَ فِي زَمَنِ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ ؛ لِمَا تَقَدَّمَ أَنَّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذَا نَزَلَ يَجِدُ الْمَهْدِيَّ إِمَامَ الْمُسْلِمِينَ .

وَفِي رِوَايَةِ أَرْطَاةَ بْنِ الْمُنْذِرِ أَنَّ الْقَحْطَانِيَّ يَعِيشُ فِي الْمَلِكِ عَشْرِينَ سَنَةً ، وَاسْتَشْكَلَ ذَلِكَ كَيْفَ يَكُونُ فِي زَمَنِ عِيسَى يَسُوقُ النَّاسَ بِعَصَاهُ ، وَالْأَمْرُ إِنَّمَا هُوَ لِعِيسَى ؟ وَيُجَابُ بِجَوَازِ أَنْ يُقِيمَهُ عِيسَى نَائِبًا عَنْهُ فِي أُمُورِهِمْ عَامَّةً ، وَسَيَأْتِي مَزِيدٌ لَذَلِكَ فِي كِتَابِ الْفِتَنِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى»

■ **وفي مسلم عن أبي هريرة** رضي الله عنه **عن النبي** ﷺ **قال** : لَا تَذْهَبُ الْأَيَّامُ وَاللَّيَالِي حَتَّى يَمْلِكَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: الْجَهْجَاهُ^(١)

■ **(صحيح) . وفي لفظ عند أحمد** : «لَا يَذْهَبُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ حَتَّى يَمْلِكَ رَجُلٌ مِنَ الْمَوَالِي يُقَالُ لَهُ: جَهْجَاهُ»^(٢)

• قال في «فتح الباري لابن حجر» (٧٨/١٣): قَوْلُهُ حَتَّى يَخْرُجَ رَجُلٌ مِنْ قَحْطَانَ تَقَدَّمَ شَرْحُهُ فِي أَوَائِلِ مَنَاقِبِ قَرِيشٍ . قَالَ الْقُرْطُبِيُّ فِي التَّذَكُّرَةِ قَوْلُهُ: يَسُوقُ النَّاسَ بِعَصَاهُ ، كِنَايَةٌ عَنْ غَلَبَتِهِ عَلَيْهِمْ وَانْقِيَادِهِمْ لَهُ ، وَلَمْ يَرِدْ نَفْسَ الْعَصَا لَكِنْ فِي ذِكْرِهَا إِشَارَةٌ إِلَى خُشُونَتِهِ عَلَيْهِمْ وَعَسْفِهِ بِهِمْ ، قَالَ: وَقَدْ قِيلَ إِنَّهُ يَسُوقُهُمْ بِعَصَاهُ حَقِيقَةً ، كَمَا تُسَاقُ الْإِبِلُ وَالْمَاشِيَةُ ؛ لِشِدَّةِ عُنْفِهِ وَعُدْوَانِهِ . قَالَ: وَلَعَلَّهُ «جَهْجَاهُ الْمَذْكُورُ فِي الْحَدِيثِ الْآخِرِ» . وَأَصْلُ الْجَهْجَاهِ الصِّيَاخُ . وَهِيَ صِفَةٌ تُنَاسِبُ ذِكْرَ الْعَصَا

(١) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ١٨٤) برقم: (٢٩١١) (كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت) (بهذا اللفظ)

(٢) - أخرجه أحمد في "مسنده" (٢ / ١٧٥٦) برقم: (٨٤٧٩) (مسند أبي هريرة رضي الله عنه ،) (بهذا اللفظ) . قال الأرناؤوط في «مسند أحمد» (١٤ / ١٠٠ ط الرسالة): «إسناده صحيح على شرط مسلم»

، قُلْتُ: وَيَرُدُّ هَذَا الْإِحْتِمَالَ ، إِطْلَاقُ كَوْنِهِ مِنْ قَحْطَانَ ، فَظَاهِرُهُ أَنَّهُ مِنَ الْأَحْرَارِ ، وَتَقْيِيدُهُ فِي جَهَّاهِ بِأَنَّهُ مِنَ الْمُوَالِي مَا تَقَدَّمَ أَنَّهُ يَكُونُ بَعْدَ الْمُهْدِيِّ وَعَلَى سِيرَتِهِ ، وَأَنَّهُ لَيْسَ دُونَهُ ، ثُمَّ وَجَدْتُ فِي كِتَابِ التَّيْجَانِ لِابْنِ هِشَامٍ مَا يُعْرِفُ مِنْهُ إِنْ ثَبَتَ ، اسْمُ الْقَحْطَانِيِّ وَسِيرَتُهُ وَزَمَانُهُ ، فَذَكَرَ أَنَّ عِمْرَانَ بْنَ عَامِرٍ كَانَ مَلِكًا مُتَوَجًّا ، وَكَانَ كَاهِنًا مُعَمَّرًا ، وَأَنَّهُ قَالَ لِأَخِيهِ عَمْرُو بْنُ عَامِرٍ الْمَعْرُوفِ بِمُرَيْقِيَا لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ: إِنَّ بِلَادَكُمْ سَتُخْرَبُ وَإِنَّ لِلَّهِ فِي أَهْلِ الْيَمَنِ سَخَطَتَيْنِ وَرَحْمَتَيْنِ ، فَالَسَّخَطَةُ الْأُولَى: هَدْمُ سِدِّ مَارِبٍ ، وَتَخْرَبُ الْبِلَادُ بِسَبَبِهِ . وَالثَّانِيَةُ: غَلَبَةُ الْحَبَشَةِ عَلَى أَرْضِ الْيَمَنِ . وَالرَّحْمَةُ الْأُولَى: بَعَثَةُ نَبِيِّ مِنْ تِهَامَةَ اسْمُهُ مُحَمَّدٌ يُرْسَلُ بِالرَّحْمَةِ وَيَغْلِبُ أَهْلَ الشِّرْكِ . وَالثَّانِيَةُ: إِذَا خَرِبَ بَيْتُ اللَّهِ يَبْعَثُ اللَّهُ رَجُلًا يُقَالُ لَهُ شُعَيْبُ بْنُ صَالِحٍ ، فَمِثْلُكَ مَنْ خَرِبَهُ ، وَيُخْرِجُهُمْ حَتَّى لَا يَكُونَ بِالدُّنْيَا إِيْمَانٌ إِلَّا بِأَرْضِ الْيَمَنِ. انْتَهَى ، وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي الْحَجِّ أَنَّ الْبَيْتَ يُحْجَّ بَعْدَ خُرُوجِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ ، وَتَقَدَّمَ الْجَمْعُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ حَدِيثٍ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُحْجَّ الْبَيْتَ ، وَأَنَّ الْكَعْبَةَ يُخْرِجُهَا ذُو السَّوَيْقَتَيْنِ مِنَ الْحَبَشَةِ ، فَيَنْتَظِمُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ الْحَبَشَةَ إِذَا خَرِبَتْ الْبَيْتَ ، خَرَجَ عَلَيْهِمُ الْقَحْطَانِيُّ فَأَهْلَكَهُمْ ، وَأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ قَبْلَ ذَلِكَ يَحْجُونَ فِي زَمَنِ عِيسَى بَعْدَ خُرُوجِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَهَلَاكِهِمْ ، وَأَنَّ الرِّيحَ الَّتِي تَقْبِضُ أَرْوَاحَ الْمُؤْمِنِينَ ، تَبْدَأُ بِمَنْ بَقِيَ بَعْدَ عِيسَى ، وَيَتَأَخَّرُ أَهْلُ الْيَمَنِ بَعْدَهَا ، وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ هَذَا مِمَّا يُفَسِّرُ بِهِ قَوْلُهُ الْإِيْمَانُ يَمَانٌ أَيْ: يَتَأَخَّرُ الْإِيْمَانُ بِهَا بَعْدَ فَقْدِهِ مِنْ جَمِيعِ الْأَرْضِ ، وَقَدْ أَخْرَجَ مُسْلِمٌ حَدِيثَ الْقَحْطَانِيِّ عَقِبَ حَدِيثِ تَخْرِيبِ الْكَعْبَةِ ذُو السَّوَيْقَتَيْنِ ، فَلَعَلَّهُ رَمَزَ إِلَى هَذَا . وَسَيَأْتِي فِي أَوَاخِرِ الْأَحْكَامِ فِي الْكَلَامِ عَلَى حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ فِي الْخُلَفَاءِ الْإِثْنَى عَشَرَ شَيْءٌ يَتَعَلَّقُ بِالْقَحْطَانِيِّ»

- وقال في «فتح الباري لابن حجر» (١٣/ ١١٥): «وَقَدْ مَضَى فِي الْفَتَنِ قَرِيبًا مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعًا: "لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ رَجُلٌ مِنْ قَحْطَانَ يَسُوقُ النَّاسَ بِعَصَاهُ" أَوْرَدَهُ فِي بَابِ تَغْيِيرِ الزَّمَانِ حَتَّى تُعْبَدَ الْأَوْثَانُ ، وَفِي ذَلِكَ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ مُلْكَ الْقَحْطَانِيِّ يَقَعُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ ، عِنْدَ قَبْضِ أَهْلِ الْإِيْمَانِ ، وَرُجُوعِ كَثِيرٍ مِمَّنْ يَبْقَى بَعْدَهُمْ إِلَى عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ ، وَهُمْ الْمُعْبَرُّ عَنْهُمْ بِشِرَارِ النَّاسِ الَّذِينَ تَقُومُ عَلَيْهِمُ السَّاعَةُ ، كَمَا تَقَدَّمَ تَقْرِيرُهُ هُنَاكَ. وَذَكَرْتُ لَهُ هُنَاكَ شَاهِدًا مِنْ حَدِيثِ بْنِ عُمَرَ، فَإِنْ كَانَ حَدِيثُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو مَرْفُوعًا مُوَافِقًا لِحَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ ، فَلَا مَعْنَى لِإِنْكَارِهِ أَصْلًا ، وَإِنْ كَانَ لَمْ يَرْفَعْهُ وَكَانَ فِيهِ قَدْرٌ زَائِدٌ يُشْعِرُ بِأَنَّ خُرُوجَ الْقَحْطَانِيِّ يَكُونُ فِي أَوَائِلِ الْإِسْلَامِ ، فَمَعَاوِيَةُ مَعْدُورٌ فِي إِنْكَارِ ذَلِكَ عَلَيْهِ»
- وقال في «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (١٦/ ٨٧): «قَوْلُهُ: (رَجُلٌ) لَمْ يَدْرَ اسْمُهُ عِنْدَ الْأَكْثَرِينَ، لَكِنَّ الْقُرْطُبِيَّ جَزَمَ أَنَّهُ: جَهَّاهُ، الَّذِي وَقَعَ ذِكْرُهُ فِي (صَحِيحِ مُسْلِمٍ) مِنْ طَرِيقِ آخِرِ عَنِ أَبِي

هُرَيْرَةُ بَلَفْظُ: (لَا تَذْهَبِ الْأَيَّامَ وَاللَّيَالِي حَتَّى يَمْلِكَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: الْجَهْجَاهُ، وَأَخْرَجَهُ عَقِيبُ حَدِيثِ الْقَحْطَانِيِّ. قَوْلُهُ: (يَسُوقُ النَّاسَ بَعْصَاهُ) كِنَايَةٌ عَنْ تَسْخِيرِ النَّاسِ وَاسْتِرْعَائِهِمْ كَسُوقِ الرَّاعِي الْغَنَمَ بَعْصَاهُ، وَفِي (التَّوْضِيحِ): حَدِيثُ الْقَحْطَانِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ خَلِيفَةٌ وَلَكِنَّهُ يَحْمَلُ عَلَى تَغْلِبِهِ، وَرَوَى نَعِيمُ بْنُ حَمَّادٍ فِي (الْفِتَنِ): عَنْ أَرْطَاةَ بْنِ الْمُنْذَرِ، أَحَدِ التَّابِعِينَ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ: أَنَّ الْقَحْطَانِيَّ يَخْرُجُ بَعْدَ الْمُهْدِيِّ وَيَسِيرُ عَلَى سِيرَةِ الْمُهْدِيِّ، وَأَخْرَجَ أَيْضًا مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ قَيْسٍ بْنِ جَابِرِ الصَّدْفِيِّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ مَرْفُوعًا: يَكُونُ بَعْدَ الْمُهْدِيِّ الْقَحْطَانِيُّ، وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ مَا هُوَ دُونَهُ. قِيلَ: هَذَا الثَّانِي، مَعَ كَوْنِهِ مَرْفُوعًا، ضَعِيفُ الْإِسْنَادِ، وَالْأَوَّلُ مَعَ كَوْنِهِ مَوْقُوفًا أَصْلَحَ إِسْنَادًا مِنْهُ، فَإِنْ ثَبَتَ ذَلِكَ فَهُوَ فِي زَمَنِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، لِأَنَّ عِيسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، إِذَا نَزَلَ يَجِدُ الْمُهْدِيَّ إِمَامَ الْمُسْلِمِينَ. انْتَهَى. قُلْتُ: إِذَا كَانَ الْقَحْطَانِيُّ فِي زَمَنِ عِيسَى، كَيْفَ يَسُوقُ النَّاسَ بَعْصَاهُ، وَكَيْفَ يَمْلِكُ مَعَ وَجُودِ عِيسَى، عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؟ عَلَى أَنَّ فِي رِوَايَةِ أَرْطَاةَ ابْنِ الْمُنْذَرِ: أَنَّ الْقَحْطَانِيَّ يَعْيشُ فِي الْمَلِكِ عَشْرِينَ سَنَةً»

- وَقَالَ فِي «فَيْضِ الْبَارِي عَلَى صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ» (٤/٤٢٥): قَوْلُهُ: (سَيَكُونُ مَلِكٌ مِنْ قَحْطَانَ) وَكُنْتُ أَرَاهُ رَجُلًا ظَالِمًا، لَمَّا وَرَدَ فِي حَقِّهِ لَفْظُ: «يَسُوقُ النَّاسَ بَعْصَاهُ»، ثُمَّ بَدَأَ أَنَّهُ رَجُلٌ صَالِحٌ يَكُونُ بَعْدَ عِيسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَمَّا وَجَدْتُهُ مَمْدُوحًا فِي الْأَحَادِيثِ. وَحِينَئِذٍ فَالْمُرَادُ مِنَ السُّوقِ ... إلخ: لِنَظْمِ الْأُمُورِ. وَفِي كِتَابِ «الْمُبْتَدَأِ» لِابْنِ مَنْبَهٍ: أَنَّهُ يَكُونُ آخِرَ مَلِكٍ فِي الْإِسْلَامِ بَعْدَ عِيسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَيَكُونُ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ دُونَ قُرَيْشٍ، وَإِذَا يَحْمِلُ الْحَبْشَةُ عَلَى بَيْتِ اللَّهِ الْمَكْرَمِ، يَدْفَعُهُمْ هَذَا الْمَلِكُ. ثُمَّ لَا يُعْلَمُ هَلْ يَبْنِيهِ ثَانِيًا، أَمْ لَا؟ وَلَيْسَ هَذَا جَهْجَاهُ الْغِفَارِيِّ، فَإِنَّهُ رَجُلٌ آخِرُ مَذْمُومٌ. «أَخْرَجَ الْحَافِظُ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو: أَنَّهُ ذَكَرَ الْخُلَفَاءَ، ثُمَّ قَالَ: وَرَجُلٌ مِنْ قَحْطَانَ. وَأَخْرَجَ فِيهِ زِيَادَةُ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ فِيهِ: وَرَجُلٌ مِنْ قَحْطَانَ، كُلُّهُمْ صَالِحٌ. اهـ»

○ العلامة الثانية :خروج المسيح الدجال.

وسمي المسيح؛ لأن عينه ممسوحة، وقيل: لأنه يمسح الأرض؛ أي: يقطعها، وسمي الدجال: من الدجل، وهو الخلط، يقال: دجل؛ إذا خلط وموّه، ودجال على وزن فعال من أبنية المبالغة؛ أي: يكثر منه الكذب والتلبيس، وهو يخرج في زمان المهدي.

- قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: "ثم يؤذن له (أي: الدجال) في الخروج في آخر الزمان، يظهر أولاً في صورة ملك من الملوك الجبابرة، ثم يدعي النبوة، ثم يدعي الربوبية، فيتبعه على ذلك الجهلة من بني آدم، والطغام من الرعاع والعوام، ويخالفه ويرد عليه من هداه الله من الصالحين وحزب الله المتقين، ويتدنى فيأخذ البلاد بلداً بلداً، وحصناً حصناً، وإقليماً إقليماً، وكورة كورة، ولا يبقى بلد من البلدان إلا وطنه بخيله ورجله؛ غير مكة والمدينة. ومدة مقامه في الأرض أربعون يوماً؛ يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيام الناس هذه، **ومعدل ذلك سنة وشهران ونصف**. وقد خلق الله على يديه خوارق كثيرة يضلل بها من يشاء من خلقه، ويثبت معها المؤمنون فيزدادون إيماناً مع إيمانهم وهدى إلى هداهم. ويكون نزول عيسى ابن مريم ﷺ مسيح الهدى في أيام مسيح الضلالة، فيجتمع عليه المؤمنون، ويلتف معه عباد الله المتقون، فيسير بهم المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام قاصداً نحو الدجال، وقد توجه نحو بيت المقدس، فينهزم منه الدجال، فيلحقه عند باب مدينة لد، فيقتله بحربته وهو داخل إليها، ويقول له: إن لي فيك ضربة لن تفوتني، وإذا واجهه الدجال؛ ينداع كما ينحل الملح في الماء، فيتداركه، فيقتله بالحربة الحربية بباب لد، فتكون وفاته هناك لعنه الله؛ كما دلت على ذلك الأحاديث الصحاح من غير وجه". انتهى كلام ابن كثير رحمه الله في تلخيص قصة الدجال حسبما ورد في النصوص الصحيحة، وهو تلخيص جيد مفيد.

- وقد تواترت الأحاديث من وجوه متعددة في إثبات خروج الدجال وبيان فتنته والاستعاذة منه، **وأجمع أهل السنة والجماعة على خروج الدجال في آخر الزمان**، وذكروا ذلك ضمن مباحث العقيدة؛ فمن أنكر خروجه؛ فقد خالف ما دلت عليه الأحاديث المتواترة، وخالف ما عليه أهل السنة والجماعة. ولم ينكر خروجه إلا بعض المبتدعة: كالخوارج والجهمية، وبعض المعتزلة، وبعض الكتاب العصريين والمنتسبين إلى العلم، ولم يعتمدوا على حجة يدفعون بها النصوص المتواترة، سوى عقولهم وأهوائهم، ومثل هؤلاء لا عبرة بهم ولا بقولهم. ولخطورة محنته وشدة فتنته حذرت منه الأنبياء أممها، وأشدهم تحذيراً لأمتهم محمد ﷺ. ومن ذلك:

- **فيهما عن ابن عمر رضي الله عنهما** قام رسول الله ﷺ في الناس فَأَثْنَى عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمَّ ذَكَرَ الدَّجَالَ فَقَالَ إِنِّي لَأُنذِرُكُمْوَهُ وَمَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَنْذَرَهُ قَوْمَهُ لَقَدْ أَنْذَرَ نُوحٌ قَوْمَهُ وَلَكِنِّي أَقُولُ لَكُمْ فِيهِ قَوْلًا لَمْ يَقُلْهُ نَبِيٌّ لِقَوْمِهِ : تَعْلَمُونَ أَنَّهُ أَعُورٌ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَعُورَ .^(١)
- **وقد أمر النبي ﷺ أمته بالاستعاذة من فتنته في آخر كل صلاة ؛ ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه** : قال: قال رسول الله ﷺ : "إذا فرغ أحدكم من التشهد الآخر؛ فليتعوذ بالله من أربع من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر المسيح الدجال"^(٢).
- **وفي صحيح مسلم عن عامر بن شراحيل الشَّعْبِيُّ ، شَعْبٌ هَمْدَانٌ أَنَّهُ سَأَلَ فَاطِمَةَ بِنْتَ قَيْسٍ أُخْتَ الصَّحَّاحِ بْنِ قَيْسٍ ، وَكَانَتْ مِنَ الْمُهَاجِرَاتِ الْأُولَى فَقَالَ : حَدَّثَنِي حَدِيثًا سَمِعْتِيهِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَا تُسْنِدِيهِ إِلَى أَحَدٍ غَيْرِهِ . فَقَالَتْ : لَئِنْ شِئْتَ لَأَفْعَلَنَّ . فَقَالَ لَهَا : أَجَلُ حَدِيثِي . فَقَالَتْ : نَكَحْتُ ابْنَ الْمُغِيرَةِ وَهُوَ مِنْ خِيَارِ شَبَابِ قُرَيْشٍ يَوْمَئِذٍ ، فَأُصِيبَ فِي أَوَّلِ الْجِهَادِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَلَمَّا تَأَيَّمْتُ خَطَبَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَخَطَبَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى مَوْلَاهُ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ ، وَكُنْتُ قَدْ حَدَّثْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : مَنْ أَحَبَّنِي فَلْيُحِبَّ أُسَامَةَ . فَلَمَّا كَلَّمَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قُلْتُ : أَمْرِي بِيَدِكَ فَأَنْكِحْنِي مَنْ شِئْتَ . فَقَالَ : انْتَقِلِي إِلَى أُمِّ شَرِيكِ . وَأُمُّ شَرِيكِ امْرَأَةٌ غَنِيَّةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ ، عَظِيمَةُ النَّفَقَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، يَنْزِلُ عَلَيْهَا الضَّيْفَانُ . فَقُلْتُ : سَأَفْعَلُ . فَقَالَ : لَا تَفْعَلِي ، إِنَّ أُمَّ شَرِيكِ امْرَأَةٌ كَثِيرَةُ الضَّيْفَانِ ، فَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ يَسْقُطَ عَنْكَ خِمَارُكَ أَوْ يَنْكَشِفَ الثَّوبُ عَنْ سَاقِيكِ ، فَيَرَى الْقَوْمُ مِنْكَ بَعْضَ مَا تَكْرَهُينَ ، وَلَكِنْ انْتَقِلِي إِلَى ابْنِ عَمِّكَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ (وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي فِهْرٍ ، فَهْرٌ قُرَيْشِي ، وَهُوَ مِنَ الْبَطْنِ الَّذِي هِيَ مِنْهُ) . فَاثْنَقُلْتُ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا انْقَضَتْ عِدَّتِي سَمِعْتُ نِدَاءَ الْمُتَنَادِي ، مُنَادِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُنَادِي : الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ ، فَخَرَجْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ فَصَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَكُنْتُ فِي صَفِّ النِّسَاءِ الَّتِي تَلِي ظُهُورَ الْقَوْمِ ، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَاتَهُ جَلَسَ عَلَى الْمُنْبَرِ وَهُوَ يَضْحَكُ ، فَقَالَ : لِيَلْزَمَ كُلُّ إِنْسَانٍ مُصَلَّاهُ . ثُمَّ قَالَ : أَتَدْرُونَ لِمَ جَمَعْتُكُمْ؟ قَالُوا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ : إِنِّي وَاللَّهِ مَا جَمَعْتُكُمْ لِرَغْبَةٍ وَلَا لِرَهْبَةٍ ، وَلَكِنْ جَمَعْتُكُمْ لِأَنَّ تَمِيمًا الدَّارِيَّ كَانَ رَجُلًا نَصْرَانِيًّا ، فَجَاءَ فَبَايَعَ وَأَسْلَمَ ، وَحَدَّثَنِي حَدِيثًا وَافِقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْ مَسِيحِ الدَّجَالِ . حَدَّثَنِي أَنَّهُ رَكِبَ فِي**

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٢ / ٩٣) برقم: (١٣٥٤) (كتاب الجنائز ، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه) (٤ / ١٣٤) برقم: (٣٣٣٧) (كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قول الله تعالى إنا أرسلنا نوحا إلى قومه) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (٨ / ١٩٢) برقم: (٢٩٣١) (كتاب الفتن وأشرار الساعة ، باب ذكر ابن صياد) (بمثله مطولا).

(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٢ / ٩٩) برقم: (١٣٧٧) (كتاب الجنائز ، باب التعوذ من عذاب القبر) (بنحوه) ومسلم في "صحيحه" (٢ / ٩٣) برقم: (٥٨٨) (كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب ما يستعاذ منه في الصلاة) (بهذا اللفظ)

سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ مَعَ ثَلَاثِينَ رَجُلًا مِنْ لَحْمٍ وَجُدَامٍ ، فَلَعِبَ بِهِمُ الْمَوْجُ شَهْرًا فِي الْبَحْرِ ، ثُمَّ أَرْفَعُوا إِلَى جَزِيرَةٍ فِي الْبَحْرِ حَتَّى مَغْرِبِ الشَّمْسِ ، فَجَلَسُوا فِي أَقْرَبِ السَّفِينَةِ ، فَدَخَلُوا الْجَزِيرَةَ فَلَقِيَهُمْ دَابَّةٌ أَهْلَبُ كَثِيرِ الشَّعْرِ ، لَا يَدْرُونَ مَا قُبْلُهُ مِنْ دُبُرِهِ مِنْ كَثَرَةِ الشَّعْرِ ، فَقَالُوا : وَيْلَكَ مَا أَنْتَ ؟ فَقَالَتْ : أَنَا الْجَسَّاسَةُ . قَالُوا : وَمَا الْجَسَّاسَةُ ؟ قَالَتْ : أَيُّهَا الْقَوْمُ ، انْطَلِقُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فِي الدَّيْرِ فَإِنَّهُ إِلَى خَبْرِكُمْ بِالْأَشْوَاقِ . قَالَ : لَمَّا سَمِعْتُ لَنَا رَجُلًا ، فَرِقْنَا مِنْهَا أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً ، قَالَ : فَانْطَلَقْنَا سِرَاعًا حَتَّى دَخَلْنَا الدَّيْرَ ، فَإِذَا فِيهِ أَعْظَمُ إِنْسَانٍ رَأَيْنَاهُ قَطُّ خَلْقًا وَأَشَدُّهُ وَثَاقًا مَجْمُوعَةً يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ ، مَا بَيْنَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى كَعْبَيْهِ بِالْحَدِيدِ ، قُلْنَا : وَيْلَكَ مَا أَنْتَ ؟ قَالَ : قَدْ قَدَرْتُمْ عَلَى خَبْرِي فَأَخْبِرُونِي مَا أَنْتُمْ ؟ قَالُوا : نَحْنُ أَنَاسٌ مِنَ الْعَرَبِ ، رَكِبْنَا فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ فَصَادَفْنَا الْبَحْرَ حِينَ اغْتَلَمَ ، فَلَعِبَ بِنَا الْمَوْجُ شَهْرًا ، ثُمَّ أَرْفَعَانَا إِلَى جَزِيرَتِكَ هَذِهِ ، فَجَلَسْنَا فِي أَقْرَبِهَا فَدَخَلْنَا الْجَزِيرَةَ ، فَلَقِينَا دَابَّةً أَهْلَبُ كَثِيرِ الشَّعْرِ ، لَا يَدْرَى مَا قُبْلُهُ مِنْ دُبُرِهِ مِنْ كَثَرَةِ الشَّعْرِ ، فَقُلْنَا : وَيْلَكَ مَا أَنْتَ ؟ فَقَالَتْ : أَنَا الْجَسَّاسَةُ ، قُلْنَا : وَمَا الْجَسَّاسَةُ ؟ قَالَتْ : ائْتُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فِي الدَّيْرِ فَإِنَّهُ إِلَى خَبْرِكُمْ بِالْأَشْوَاقِ ، فَأَقْبَلْنَا إِلَيْكَ سِرَاعًا ، وَفَزَعْنَا مِنْهَا وَلَمْ نَأْمَنْ أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً . فَقَالَ : أَخْبِرُونِي عَنْ نَخْلِ بَيْسَانَ . قُلْنَا : عَنْ أَيِّ شَأْنٍ تَسْتَخِيرُ ؟ قَالَ : أَسْأَلُكُمْ عَنْ نَخْلِهَا هَلْ يُثْمَرُ ؟ قُلْنَا لَهُ : نَعَمْ . قَالَ : أَمَّا إِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ لَا تُثْمَرَ . قَالَ : أَخْبِرُونِي عَنْ بُحَيْرَةِ الطَّبْرِيةِ . قُلْنَا : عَنْ أَيِّ شَأْنٍ تَسْتَخِيرُ ؟ قَالَ : هَلْ فِيهَا مَاءٌ ؟ قَالُوا : هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ . قَالَ : أَمَّا إِنَّ مَاءَهَا يُوشِكُ أَنْ يَذْهَبَ . قَالَ : أَخْبِرُونِي عَنْ عَيْنِ زُغَرٍ . قَالُوا : عَنْ أَيِّ شَأْنٍ تَسْتَخِيرُ ؟ قَالَ : هَلْ فِي الْعَيْنِ مَاءٌ ؟ وَهَلْ يَزْرَعُ أَهْلُهَا بِمَاءِ الْعَيْنِ ؟ قُلْنَا لَهُ : نَعَمْ ، هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ ، وَأَهْلُهَا يَزْرَعُونَ مِنْ مَائِهَا . قَالَ : أَخْبِرُونِي عَنْ نَبِيِّ الْأُمِّيِّينَ مَا فَعَلَ ؟ قَالُوا : قَدْ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ وَنَزَلَ يَثْرِبَ . قَالَ : أَقَاتَلَهُ الْعَرَبُ ؟ قُلْنَا : نَعَمْ . قَالَ : كَيْفَ صَنَعَ بِهِمْ ؟ فَأَخْبَرْنَاهُ أَنَّهُ قَدْ ظَهَرَ عَلَى مَنْ يَلِيهِ مِنَ الْعَرَبِ وَأَطَاعُوهُ . قَالَ لَهُمْ : قَدْ كَانَ ذَلِكَ ؟ قُلْنَا : نَعَمْ . قَالَ : أَمَّا إِنَّ ذَلِكَ خَيْرٌ لَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ ، وَإِنِّي مُخْبِرُكُمْ عَنِّي ، إِنِّي أَنَا الْمَسِيحُ ، وَإِنِّي أُوشِكُ أَنْ يُؤَذَّنَ لِي فِي الْخُرُوجِ فَأَخْرُجُ ، فَأَسِيرَ فِي الْأَرْضِ فَلَا أَدَعُ قَرْيَةً إِلَّا هَبَطْتُهَا فِي أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ، غَيْرَ مَكَّةَ وَطَبِيبَةَ ، فَهُمَا مُحَرَّمَتَانِ عَلَيَّ كِلْتَاهُمَا ، كُلَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَ وَاحِدَةً أَوْ وَاحِدًا مِنْهُمَا اسْتَقْبَلَنِي مَلَكٌ بِيَدِهِ السَّيْفُ صَلَاتًا يَصُدُّنِي عَنْهَا ، وَإِنْ عَلَى كُلِّ نَقْبٍ مِنْهَا مَلَائِكَةٌ يَحْرُسُونَهَا . قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : وَطَعَنَ بِمُخَصَّرَتِهِ فِي الْمُنْبَرِ : هَذِهِ طَبِيبَةُ ، هَذِهِ طَبِيبَةُ ، هَذِهِ طَبِيبَةُ . (يَعْنِي الْمَدِينَةَ) . أَلَا هَلْ كُنْتُ حَدَّثْتُكُمْ ذَلِكَ ؟ . فَقَالَ النَّاسُ : نَعَمْ . فَإِنَّهُ أَعْجَبَنِي حَدِيثُ تَمِيمٍ : أَنَّهُ وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْهُ ، وَعَنِ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ . أَلَا إِنَّهُ فِي بَحْرِ الشَّامِ أَوْ بَحْرِ

- (١) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ٢٠٣) برقم: (٢٩٤٢) (كتاب الفتن وأشرط الساعة ، باب في خروج الدجال ومكته في الأرض ونزول عيسى وقتله إياه) (بهذا اللفظ)

- (٢) - أخرجه الضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" (١ / ١١٦) برقم: (٣٣) (أحاديث خليفة رسول الله أبي بكر عبد الله بن عثمان الصديق ، رواية عمرو بن حريث عن أبي بكر رضي الله عنهما) (بمثله مطولا. وقال : "إسناده صحيح") ، (١ / ١١٧) برقم: (٣٤) (أحاديث خليفة رسول الله أبي بكر عبد الله بن عثمان الصديق ، رواية عمرو بن حريث عن أبي بكر رضي الله عنهما) (بمثله مطولا.) ، (١ / ١١٧) برقم: (٣٥) (أحاديث خليفة رسول الله أبي بكر عبد الله بن عثمان الصديق ، رواية عمرو بن حريث عن أبي بكر رضي الله عنهما) (بمثله مطولا.) ، (١ / ١١٧) برقم: (٣٦) (أحاديث خليفة رسول الله أبي بكر عبد الله بن عثمان الصديق ، رواية عمرو بن حريث عن أبي بكر رضي الله عنهما) (بمثله مطولا.) والحاكم في "مستدرکه" (٤ / ٥٢٧) برقم: (٨٧٠٣) (كتاب الفتن والملاحم ، يخرج الدجال من أرض خراسان) (بمثله مطولا.) والترمذي في "جامعه" (٤ / ٩٠) برقم: (٢٢٣٧) (أبواب الفتن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . ، باب ما جاء من أين يخرج الدجال) (بمثله مطولا.) وابن ماجه في "سننه" (٥ / ١٨٨) برقم: (٤٠٧٢) (أبواب الفتن ، باب فتنة الدجال وخروج عيسى ابن مريم وخروج يأجوج ومأجوج) (بمثله مطولا.) وأحمد في "مسنده" (٧ / ١) برقم: (١٣) (مسند العشرة المبشرين بالجنة وغيرهم ، مسند أبي بكر الصديق رضي الله عنه) (بمثله مطولا.) . قال الأرئوط في «مسند أحمد» (١ / ١٩٠ ط الرسالة): «إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين غير المغيرة بن سبيع، فقد روى له الترمذي والنسائي وابن ماجه، وهو ثقة. روح: هو ابن عبادة، وابن أبي عروبة: هو سعيد، وحديث روح عنه صالح فيما نقله الحافظ ابن رجب في "شرح علل الترمذي" ٢ / ٥٦٦ عن الإمام أحمد، وقد روى له الشيخان من طريق روح عنه في "صحيحيهما" وقد توبع، وأبو التياح: هو يزيد بن حميد الضبعي، وعمرو بن حريث: هو ابن عمرو القرشي المخزومي، صحابي صغير». صححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير وزيادته» (١ / ٦٤٠): برقم «٣٤٠٤» .

- (٣) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ١٨٧) برقم: (٢٩٢٠) (كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت) (بهذا اللفظ)

- (٤) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ٢٠٧) برقم: (٢٩٤٤) (كتاب الفتن وأشرط الساعة ، باب في بقية من أحاديث الدجال)
(بهذا اللفظ)

■ **وفي صحيح مسلم عن عَنِ النَّوَاسِ بْنِ سَمْعَانَ قَالَ :** ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الدَّجَالَ ذَاتَ غَدَاةٍ فَخَفَّضَ فِيهِ وَرَفَعَ حَتَّى ظَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ ، فَلَمَّا رُحْنَا إِلَيْهِ عَرَفَ ذَلِكَ فِينَا فَقَالَ : مَا شَأْنُكُمْ ؟ . قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، ذَكَرْتَ الدَّجَالَ غَدَاةً ، فَخَفَّضْتَ فِيهِ وَرَفَعْتَ حَتَّى ظَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ ! فَقَالَ : غَيْرُ الدَّجَالِ أَخَوْفُنِي عَلَيْكُمْ ، إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ فَأَنَا حَاجِبُهُ دُونَكُمْ ، وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ فَأَمْرُؤُ حَاجِبُ نَفْسِهِ ، وَاللَّهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ . إِنَّهُ شَابُّ قَطَطٌ ، عَيْنُهُ طَافِئَةٌ كَأَنِّي أَشَبُّهُ بِعَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قَطَنِ ، فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ **فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ** ، إِنَّهُ خَارِجُ خَلَّةٍ بَيْنَ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ ، فَعَاثَ يَمِينًا وَعَاثَ شِمَالًا . يَا عِبَادَ اللَّهِ فَاثْبُتُوا . قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَمَا لُبُّهُ فِي الْأَرْضِ ؟ قَالَ : ارْتَبَعُونَ يَوْمًا : يَوْمَ كَسَنَةِ ، وَيَوْمَ كَشْهَرٍ ، وَيَوْمَ كَجُمُعَةٍ ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ . قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَسَنَةِ أَتَكْفِينَا فِيهِ صَلَاةُ يَوْمٍ ؟ قَالَ : لَا ، اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ . قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَمَا إِسْرَاعُهُ فِي الْأَرْضِ ؟ قَالَ : كَالْغَيْثِ اسْتَدْبَرْتَهُ الرِّيحُ ، فَيَأْتِي عَلَى الْقَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ فَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ ، فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ ، وَالْأَرْضَ فَتَنْبِتُ ، فَتَرْوِحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتَهُمْ أَطْوَلَ مَا كَانَتْ دُرًّا ، وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعًا ، وَأَمَدَهُ خَوَاصِرَ ، ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمَ فَيَدْعُوهُمْ ، فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ ، فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ ، فَيُصْبِحُونَ مُمَجَّلِينَ لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ ، وَيَمُرُّ بِالْخَرِيبَةِ فَيَقُولُ لَهَا : أَخْرِجِي كُنُوزَكَ ، فَتَتْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيْعَاسِيبِ النَّخْلِ ، ثُمَّ يَدْعُو رَجُلًا مُمْتَلِنًا شَبَابًا ، فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ فَيَقْطَعُهُ جِزْلَتَيْنِ ، رَمِيَةَ الْغَرَضِ ، ثُمَّ يَدْعُوهُ فَيَقْبِلُ وَيَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ يَضْحَكُ ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ ، بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ ، وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَينِ ، إِذَا طَاطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ ، وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ ، فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفْسِهِ إِلَّا مَاتَ ، وَنَفْسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ ، فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يَدْرِكَهُ بَبَابٍ لَدَى فَيَقْتُلُهُ ، ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللَّهُ مِنْهُ ، فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَوْحَى اللَّهُ إِلَى عِيسَى : إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي ، لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ ، فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ . وَيَبْعَثُ اللَّهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ ، وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ، فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ طَبْرِيةَ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا ، وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ : لَقَدْ كَانَ بَيْنَهُمْ مَرَّةً مَاءً . وَيُخَصِّرُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ ، حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لِأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ لِأَحَدِكُمْ الْيَوْمَ ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ ، فَيُرْسِلُ اللَّهُ عَلَيْهِمُ النَّعْفَ فِي رِقَابِهِمْ ، فَيُصْبِحُونَ فَرَسَى كَمُوتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ، ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى الْأَرْضِ ، فَلَا يَجِدُونَ فِي الْأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلَّا مَلَأَهُ زَهْمُهُمْ وَنَتْنُهُمْ ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللَّهِ ، فَيُرْسِلُ اللَّهُ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ مَطَرًا لَا يَكُنْ مِنْهُ بَيْتٌ مَدْرٍ وَلَا وَبَرٍ ، فَيَغْسِلُ الْأَرْضَ حَتَّى يَتْرَكَهَا كَالزَّلْفَةِ ،

ثُمَّ يُقَالُ لِلْأَرْضِ : أَنْبِئِي ثَمَرَتِكَ ، وَرَدِّي بَرَكَتَكَ ، فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ مِنَ الرُّمَانَةِ وَيَسْتَظِلُّونَ بِقَحْفِهَا ، وَيُبَارِكُ فِي الرِّسْلِ ، حَتَّى أَنْ اللَّفْحَةَ مِنَ الْإِبِلِ لَتَكْفِيَ الْفِئَامَ مِنَ النَّاسِ ، وَاللَّفْحَةَ مِنَ الْبَقَرِ لَتَكْفِيَ الْقَبِيلَةَ مِنَ النَّاسِ ، وَاللَّفْحَةَ مِنَ الْغَنَمِ لَتَكْفِيَ الْفَخْدَ مِنَ النَّاسِ ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ رِيحًا طَيِّبَةً ، فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ أَبْطَاهِمُ فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ ، وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارَجَ الْحُمْرِ ، فَعَلِمَهُمْ تَقُومُ السَّاعَةُ".^(١)

○ **مسألة:** ما جاء في طواف الدجال بالبيت، مع ما ورد من أنه لا يدخل مكة ولا المدينة^(٢)

■ سياق الحديث المتوهم إشكاله وبيان وجه الإشكال:

■ **فيهما عن عبد الله بن عمر**- رضي الله عنهما- قال: ذكر النبي ﷺ يوماً بين ظَهْرِي الناس المسيح الدجال فقال: "إن الله ليس بأعور، ألا إن المسيح الدجال أعور العين اليمنى، كأن عينه عنبة طافية، **وأراني الليلة عند الكعبة في المنام**، فإذا رجل آدم كأحسن ما يرى من أدم الرجال، تضرب لفته بين منكبيه، رَجُلُ الشعر، يقطر رأسه ماء، واضعاً يديه على منكبي رجلين، وهو يطوف بالبيت، فقلت: من هذا؟ فقالوا: هذا المسيح ابن مريم، **ثم رأيت رجلاً وراءه جَعْدًا قَطَطًا، أعور العين اليمنى، كأشبهه من رأيت بابن قطن، واضعاً يديه على منكبي رجل يطوف بالبيت، فقلت: من هذا؟ قالوا: المسيح الدجال**"^(٣)

● بيان وجه الإشكال:

أن هذا الحديث ينص على طواف الدجال بالبيت ، وهذا يعني: دخوله مكة، وقد ثبت عن النبي ﷺ أن الدجال لا يدخل مكة ولا المدينة :

■ **كما في الصحيحين من حديث أنس** رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة، ليس لها من نقابها نَقَبٌ إلا عليه الملائكة صافين يحرسونها"^(٤).

(١) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ١٩٧) برقم: (٢٩٣٧) (كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب ذكر الدجال وصفته وما معه (بهذا اللفظ)

(٢) - معظم ما جاء في هذه المسألة نقلته بتصرف يسير ، وتقديم وتأخير من كتاب «أحاديث العقيدة التي يوهم ظاهرها التعارض في الصحيحين دراسة وترجيح» (ص ٣٦١): للدكتور محمد بن سليمان الديبكي.

(٣) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٤ / ١٦٦) برقم: (٣٤٣٩) (كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قول الله واذكر في الكتاب مريم (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (١ / ١٠٧) برقم: (١٦٩) (كتاب الإيمان ، باب في ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال (بمثله).

(٤) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٣ / ٢٢) برقم: (١٨٨١) (فضائل المدينة ، باب لا يدخل الدجال المدينة) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (٨ / ٢٠٦) برقم: (٢٩٤٣) (كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب في خروج الدجال ومكثه في الأرض ونزول عيسى وقتله إياه) (بمثله).

- قال ابن حجر: "رؤيته إياه بمكة مشكلة مع ثبوت أنه لا يدخل مكة ولا المدينة"
- **أقوال أهل العلم في هذا الإشكال:** اختلف أهل العلم في هذه المسألة على ثلاثة أقوال:
- **القول الأول:** أن طواف الدجال بالبيت إنما هو رؤيا منام، كما هو صريح الحديث، ورؤيا الأنبياء وإن كانت وحياً إلا أن فيها ما يقبل التعبير. ذكر هذا القول القاضي عياض بصيغة الاحتمال.
- **القول الثاني:** أن تحريم دخول مكة والمدينة عليه إنما هو في زمن فتنته وخروجه ، لا في الزمن السابق لذلك. جوّز هذا القاضي عياض، وإليه ذهب ابن حجر وغيره.
- قال ابن حجر: "**ويؤيده ما دارين أبي سعيد وابن صياد، فيما أخرجه مسلم،** وأن ابن صياد قال له: ألم يقل ﷺ: (إنه لا يدخل مكة ولا المدينة)، وقد خرجت من المدينة أريد مكة" ^(١) فتأوله من جزم بأن ابن صياد هو الدجال، على أن المنع إنما هو حيث يخرج".
- **القول الثالث:** ترجيح الرواية التي لم يذكر فيها طواف الدجال في البيت الحرام ، وهي رواية مالك عن نافع عن ابن عمر -رضي الله عنهما-، وعليه فلا تعارض بين هذا الحديث وما ثبت من تحريم دخول مكة والمدينة عليه، **ونص هذه الرواية كما في الصحيحين:** أن رسول الله ﷺ قال: "أراني الليلة عند الكعبة، فرأيت رجلاً آدم، كأحسن ما أنت راءٍ من آدم الرجال، له لمة كأحسن ما أنت راءٍ من اللمم، قد رجّلها فهي تقطر ماءً، متكئاً على رجلين، أو على عواتق رجلين، يطوف بالبيت، فسألت: من هذا؟ فقليل: المسيح ابن مريم، وإذا أنا برجل جعد ققطط، أعور العين اليمنى، كأنها عنبة طافية، فسألت: من هذا؟ فقليل: المسيح الدجال" ^(٢)
- أشار إلى هذا القول القاضي عياض، حيث قال: "في رواية مالك لم يذكر طواف الدجال، وهو أثبت ممن روى طوافه".

(١) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ١٩١) برقم: (٢٩٢٧) (كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب ذكر ابن صياد) (بهذا اللفظ)

(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٧ / ١٦١) برقم: (٥٩٠٢) (كتاب اللباس ، باب الجعد) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (١ / ١٠٧) برقم: (١٦٩) (كتاب الإيمان ، باب في ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال) (بمثله).

○ العلامة الثالثة: نزول عيسى ابن مريم عليه السلام .

نزول عيسى ابن مريم ﷺ دل عليه القرآن ، وأخبر به الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى نبينا محمد ﷺ ، وتواتر النقل عنه بذلك ، وأجمع عليه علماء الأمة سلفا وخلفا ، واعتبروه مما يجب اعتقاده والإيمان به.

● قال السفاريني: "ونزوله ﷺ ثابت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة: أما الكتاب؛ فقوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ - قَبْلَ مَوْتِهِ - وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٥٩] ؛ أي: ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى ، وذلك عند نزوله من السماء آخر الزمان ، حتى تكون الملة واحدة ؛ ملة إبراهيم حنيفا مسلما...". إلى أن قال: "وأما السنة:

■ **ففي "الصحيحين" عن أبي هريرة** رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لِيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزَلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا مُقْسِطًا ، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ ، وَيَقْتُلَ الْخَنزِيرَ ، وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ ، وَيَفِيضَ الْمَالَ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ". (١)

■ **وفي لفظ لمسلم عنه:** " أَنَّهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : وَاللَّهِ لَيَنْزِلَنَّ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَادِلًا ، فَلْيَكْسِرَنَّ الصَّلِيبَ وَلْيَقْتُلَنَّ الْخَنزِيرَ ، وَلْيَضَعَنَّ الْجِزْيَةَ ، وَلْيَتَرَكَنَّ الْقِلَاصَ ، فَلَا يُسْعَى عَلَيْهَا ، وَلَتَذْهَبَنَّ الشَّخَنَاءُ وَالتَّبَاغُضُ وَالتَّحَاسُدُ ، وَلَيَدْعُوَنَّ إِلَى الْمَالِ فَلَا يَقْبَلُهُ أَحَدٌ". (٢)

■ **وفي لفظ لمسلم عنه:** " كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ ، وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ ؟ ". (٣)

■ **وفي لفظ لمسلم عنه:** " كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ وَأَمَّكُمْ ". (٤)

■ **وفي لفظ لمسلم عنه:** " أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ ، فَأَمَّكُمْ مِنْكُمْ ، فَقُلْتُ لِابْنِ أَبِي ذُئْبٍ : إِنَّ الْأَوْزَاعِيَّ ، حَدَّثَنَا عَنِ الزُّهْرِيِّ ، عَنْ نَافِعٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ : وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ . قَالَ ابْنُ

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٣ / ٨٢) برقم: (٢٢٢٢) (كتاب البيوع ، باب قتل الخنزير) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (١ / ٩٣) برقم: (١٥٥) (كتاب الإيمان ، باب نزول عيسى بن مريم حاكما بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم) (بمثله).

(٢) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (١ / ٩٤) برقم: (١٥٥) (كتاب الإيمان ، باب نزول عيسى بن مريم حاكما بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم) (بهذا اللفظ)

(٣) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (١ / ٩٤) برقم: (١٥٥) (كتاب الإيمان ، باب نزول عيسى بن مريم حاكما بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم) (بهذا اللفظ)

(٤) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (١ / ٩٤) برقم: (١٥٥) (كتاب الإيمان ، باب نزول عيسى بن مريم حاكما بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم) (بهذا اللفظ)

أَيُّ ذَنْبٍ : تَدْرِي مَا أَمَّكُمْ مِنْكُمْ ؟ قُلْتُ : تُخْبِرُنِي ، قَالَ : فَأَمَّكُمْ بِكِتَابِ رَبِّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَسُنَّةِ نَبِيِّكُمْ ﷺ . " (١)

- وأخرج مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ؛ قال: قال رسول الله ﷺ: "لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة، فينزل عيسى ابن مريم، فيقول أميرهم تعال صل بنا! فيقول لا؛ إن بعضكم على بعض أمراء؛ تكرمة الله هذه الأمة" (٢).
- وتقدم قريبا حديث النواس بن سمعان ؓ وفيه أنه يقتل المسيح الدجال ، ثم خروج يأجوج ومأجوج في زمنه.

● وأما الإجماع؛ فقد أجمعت الأمة على نزوله ، ولم يخالف فيه أحد من أهل الشريعة ، وإنما أنكر ذلك الفلاسفة والملاحدة أو من لا يعتد بخلافه. وقد انعقد إجماع الأمة على أن ينزل ويحكم بهذه الشريعة المحمدية ، وليس بشريعة مستقلة عند نزوله من السماء ، وإن كانت النبوة قائمة به ، وهو متصف بها ، ويتسلم الأمر من المهدي ، ويكون المهدي من أصحابه وأتباعه كسائر أصحاب المهدي... " انتهى كلام السفاريني رحمه الله.

○ **مسألة:** هل عيسى عليه السلام توفي بمعنى أنه قد مات ؟

- الأصل أن من فارقت روحه جسده ؛ لم ينزل جسده من السماء ، وإذا أحيي ؛ فإنه يقوم من قبره. ولذا فالصحيح أنه لم يموت :

● قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " في «مجموع الفتاوى» (٤ / ٣١٦): «وَعِيسَى حَيٌّ فِي السَّمَاءِ لَمْ يَمُتْ بَعْدُ. وَإِذَا نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ لَمْ يَحْكُمْ إِلَّا بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ؛ لَا بِشَيْءٍ يُخَالِفُ ذَلِكَ» " ، عن النبي ﷺ أنه قال: "ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا وإماما مقسطا ؛ فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية" (٣).

(١) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (١ / ٩٤) برقم: (١٥٥) (كتاب الإيمان ، باب نزول عيسى بن مريم حاكما بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم) (بهذا اللفظ)

(٢) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (١ / ٩٥) برقم: (١٥٦) (كتاب الإيمان ، باب نزول عيسى بن مريم حاكما بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم) (بهذا اللفظ) ،

(٣) - سبق تخريجه قريبا

■ **وثبت في مسلم من حديث التواس بن سمعان** رضي الله عنه عن النبي ﷺ : "أنه ينزل على المنارة البيضاء شرق دمشق ويقتل الدجال".^(١)

وأما قوله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ؛ فهذا دليل على أنه لم يعن بذلك الموت؛ إذ لو أراد بذلك الموت لكان عيسى في ذلك كسائر المؤمنين؛ فإن الله يقبض أرواحهم ويعرج بها إلى السماء ، فعلم أن ليس في ذلك خاصية ، وكذلك قوله: ﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ، ولو كان قد فارقت روحه جسده ؛ لكان بدنه في الأرض كبدين سائر الأنبياء وقد قال تعالى في الآية الأخرى ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ [النساء: ١٥٧] فقولنا هنا: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ ؛ يبين أنه رفع بدنه وروحه ؛ كما ثبت في الصحيح أنه ينزل بدنه وروحه ؛ إذ لو أريد موته لقال: وما قتلوه وما صلبوه بل مات . ، وجاءت الأحاديث بأنه يموت موته التي كتبها عليه بعد أن يحكم أربعين سنة. " اهـ

○ **مسألة: مدة بقاء عيسى عليه السلام ووفاته .**

■ **في صحيح مسلم عن يعقوب بن عاصم بن عروبة بن مسعود الثقفي** يقول: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو وَجَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ : مَا هَذَا الْحَدِيثُ الَّذِي تُحَدِّثُ بِهِ ؟ تَقُولُ : إِنَّ السَّاعَةَ تَقُومُ إِلَى كَذَا وَكَذَا ؟ فَقَالَ : سُبْحَانَ اللَّهِ ، أَوْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهُمَا ، لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ لَا أُحَدِّثَ أَحَدًا شَيْئًا أَبَدًا ، إِنَّمَا قُلْتُ : إِنَّكُمْ سَتَرُونَ بَعْدَ قَلِيلٍ أَمْرًا عَظِيمًا يُحَرِّقُ الْبَيْتَ وَيَكُونُ وَيَكُونُ . ثُمَّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : يَخْرُجُ الدَّجَالُ فِي أُمَّتِي فَيَمَكُثُ أَرْبَعِينَ ، (لَا أَدْرِي أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، أَوْ أَرْبَعِينَ شَهْرًا ، أَوْ أَرْبَعِينَ عَامًا) . فَيَبْعَثُ اللَّهُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ كَأَنَّهُ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ فَيَطْلُبُهُ فَمِلْكُهُ ، ثُمَّ يَمَكُثُ النَّاسُ سَبْعَ سِنِينَ لَيْسَ بَيْنَ اثْنَيْنِ عِدَاوَةٌ ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ رِيحًا بَارِدَةً مِنْ قِبَلِ الشَّامِ ، فَلَا يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ أَوْ إِيْمَانٍ إِلَّا قَبَضَتْهُ ، حَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ دَخَلَ فِي كَبِدِ جَبَلٍ لَدَخَلَتْهُ عَلَيْهِ حَتَّى تَقْبِضَهُ . قَالَ : سَمِعْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . قَالَ : فَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ فِي خِفَّةِ الطَّيْرِ وَأَحْلَامِ السَّبَاعِ ، لَا يَعْرِفُونَ مَعْرُوفًا ، وَلَا يُنْكِرُونَ مُنْكَرًا ، فَيَتَمَثَّلُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ فَيَقُولُ : أَلَا تَسْتَجِيبُونَ ؟ فَيَقُولُونَ : فَمَا تَأْمُرُنَا ؟ فَيَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ ، وَهُمْ فِي ذَلِكَ دَارٌ رَزَقُهُمْ ، حَسَنٌ عَيْشُهُمْ ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَلَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا أَصْغَى لَيْتًا وَرَفَعَ لَيْتًا . قَالَ : وَأَوَّلُ مَنْ يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يُلُوطُ حَوْضَ إِبِلِهِ ، قَالَ : فَيَصْعَقُ وَيَصْعَقُ النَّاسُ ، ثُمَّ

(١) - سبق تخريجه قريبا

يُرْسِلُ اللَّهُ ، (أَوْ قَالَ : يُنْزِلُ اللَّهُ) مَطَرًا كَأَنَّهُ الطَّلُّ أَوْ الظَّلُّ - نُعْمَانُ الشَّائِكُ - فَتَنَبَّتْ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ، ثُمَّ يُقَالُ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، هَلُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ ﴿وَقِفُّهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ قَالَ : ثُمَّ يُقَالُ : أَخْرِجُوا بَعَثَ النَّارِ . فَيُقَالُ : مِنْ كَمْ ؟ فَيُقَالُ : مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعِمِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ . قَالَ : فَذَلِكَ ﴿يَوْمَ يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ وَذَلِكَ ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ .^(١)

■ (صحيح). وقد ورد في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند الطبراني وابن عساكر: أنه ﷺ قال: "ينزل عيسى ابن مريم، فيمكث في الناس أربعين سنة"^(٢).

■ (حسن). وعند الإمام أحمد وأبي داود: "أنه يمكث أربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون".^(٣)

(١) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ٢٠١) برقم: (٢٩٤٠) (كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب في خروج الدجال ومكثه في الأرض ونزول عيسى وقتله إياه) (بهذا اللفظ)

(٢) - أخرجه الطبراني في "الأوسط" (٥ / ٣٣١) برقم: (٥٤٦٤) (باب الميم ، محمد بن عثمان بن أبي شيبة) (بهذا اللفظ) ، قال المحقق عبد الحميد الجزائري في «مسائل أجاب عنها الحافظ ابن حجر العسقلاني» (ص ٣٩): «أخرجه الطبراني في الأوسط (٥/ ٣٣١ رقم: ٥٤٦٤) وابن عدي في الكامل (١٧٧ / ٧) من طريق يونس عنه بلفظ: "ينزل عيسى بن مريم فيمكث في الناس أربعين سنة"، وقال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد (٨ / ٢٠٥): رواه الطبراني في الأوسط، ورجاله ثقات»

(٣) - أخرجه أبو داود في "سننه" (٤ / ٢٠١) برقم: (٤٣٢٤) (كتاب الملاحم ، باب خروج الدجال) (بمثله) ، وأحمد في "مسنده" (٢ / ١٩٤٢) برقم: (٩٣٩٣) (مسند أبي هريرة رضي الله عنه ،) (بهذا اللفظ) . قال الأرنؤوط في «مسند أحمد» (١٥ / ١٥٤ ط الرسالة): «حديث صحيح، عبد الرحمن بن آدم -وهو مولى أم بُرْثَن- صدوق حسن الحديث، روى له مسلم حديثاً واحداً متابعاً وأبو داود، وباقي رجال الإسناد ثقات رجال الشيخين، إلا أن قتادة مدلس وقد عنعن، وذكر ابن أبي حاتم في "المراسيل" (٦٣٣) عن أبيه، عن إسحاق بن منصور، عن ابن معين أنه قال: لم يسمع قتادة من عبد الرحمن مولى أم بُرْثَن. فعلى هذا يكون الإسناد منقطعاً، ومع ذلك فقد صححه الحافظ ابن حجر في "الفتح" ٤٩٣/٦ ، وقال الحافظ ابن كثير في "نهاية البداية" ١٨٨/١ : هذا إسناد جيد قوي! وأخرجه الحاكم ٥٩٥/٢ عن عفان بن مسلم، بهذا الإسناد. وصححه، ووافقه الذهبي» ... وأخرجه أبو داود (٤٣٢٤) ، وابن حبان (٦٨٢١) من طريق هدية بن خالد، عن همام بن يحيى، به. ورواية أبي داود مختصرة ... ويشهد لما وقع في هذا الحديث من أن عيسى عليه السلام يمكث في الأرض أربعين سنة حديث عائشة الذي سيأتي في مسندها ٧٥/٦ ، وصححه ابن حبان (٦٨٢٢) ، وإسناده قوي، وأما ما وقع في "صحيح مسلم" (٢٩٤٠) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص أن مدة مكث عيسى عليه السلام تكون سبع سنين، ففي إسناده يعقوب بن عاصم بن عروة، لم يوثقه غير ابن حبان، وهو رجل غير مشهور، وقال ابن حجر في "التقريب": مقبول، أي: عند المتابعة والا فهو لين، ولم يتابعه على هذا أحد فيما نعلم، والله تعالى أعلم

○ العلامة الرابعة: خروج يأجوج ومأجوج .

«يأجوج ومأجوج اسمان أعجميان أو عربيان مشتقان من المأج ، وهو الاضطراب ، أو من أجيج النار وتلبيها.

● قال النووي: "هم من ولد آدم عند أكثر العلماء".

● وقال ابن عبد البر: "الإجماع على أنهم من ولد يافث بن نوح عليه السلام".

● وذكر العلامة السفاريني: "قال ابن كثير: يأجوج ومأجوج طائفتان من الترك من ذرية آدم. ثم قال: وهم من ذرية نوح من سلالة يافث أبي الترك". وأما صفاتهم وأجسامهم ؛ فقد قال الإمام ابن كثير رحمه الله: "وهم يشبهون الناس كأبناء جنسهم من الترك الغتم المغول ؛ المجرزمة عيونهم ، الدلف أنوفهم ، الصهب شعورهم ، على أشكالهم وألوانهم. ومن زعم أن منهم الطويل الذي كالنخلة السحوق أو أطول ، ومنهم القصير الذي هو كالشيء الحقيق ، ومنهم من له أذنان يتغطى بإحداهما ويتوطأ بالأخرى ؛ فقد تكلف ما لا علم له به ، وقال ما لا دليل عليه "

● وقد أنكر بعض الكتاب العصريين وجود يأجوج ومأجوج ووجود السد! وليس لهؤلاء شبهة يستندون إليها إلا قولهم: إن الأرض قد اكتشفت كلها فلم يوجد ليأجوج ومأجوج ولا للسد مكان فيها!!

● والجواب عن ذلك: أن كون المكتشفين لم يعثروا على يأجوج ومأجوج وسدهم لا يدل ذلك على عدم وجودهم ، بل يدل على عجز البشر عن الإحاطة بملكوت الله عز وجل ، وقد يكون الله عز وجل صرف أبصارهم عن رؤيتهم ، أو جعل أشياء تمنع من الوصول إليهم ، والله قادر على كل شيء ، وكل شيء له أجل ، هذا لو سلمنا أنهم جابوا جميع أقطار الأرض ، ولكن الواقع يشهد أنهم لم يتمكنوا من ذلك حتى الآن في مواقع متعددة منها :

- منطقة الأنديز.
- ومنطقة أنتاركتيكا في القطب الجنوبي.
- ومنطقة تسنقي دي بي مارها في دولة مدغشقر ، ومساحتها مساحة ضخمة أكبر من ٨٠٠ كلم مربع .
- جمهورية ياقوتيا في روسيا ومساحتها أكثر من ثلاثة ملايين كلم مربع. وأكثرها لم يستكشف لشدة برودتها.
- ودولة جرينلاند ٨٠٪ لم يتم اكتشافها بسبب شدة البرد.

كما قال تعالى: ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ لِّكُلِّ نَبِيٍّ مِّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٦٦-٦٧] ، وكما قال تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾ [يونس: ٣٩] **وما الذي أعمى أبصار الأوائل وأعجز قدراتهم عن كنوز الأرض التي اكتشفها المعاصرون كالبتروول وغيره إلا أن الله عزوجل ، قد جعل لذلك أجلا ووقتا؟! فالله المستعان.**

- فيأجوج ومأجوج أمتان من بني آدم موجودتان بدليل الكتاب والسنة والإجماع .
- أما الكتاب:

- ففي قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِّنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا يُؤْتِلُنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٦-٩٧]
- وقال تعالى في قصة ذي القرنين ﴿ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَبًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ۖ قَالُوا يَبْنَؤُا الْقَرْنَيْنِ إِنْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ۚ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ۚ ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ أَنْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ۖ فَمَا اسْطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُ نَقْبًا ۖ ﴿٩٧﴾ ۖ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ۖ ﴿٩٨﴾ * وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾ [الكهف: ٩٢-٩٩] وهذا سد من حديد بين جبلين بناه ذو القرنين فصار ردما واحدا يحجز هؤلاء القوم المفسدين في الأرض عن أذية الناس والإفساد في الأرض؛ فإذا جاء الوقت الذي قدر انهدام السد فيه؛ جعله الله مساويا للأرض؛ وعدا لا بد منه ؛ فإذا انهدم ؛ يخرجون على الناس ويموجون وينسلون- أي: يسرعون المشي- من كل حدب، ثم يكون النفخ في الصور قريبا من ذلك. فخرجهم الذي يكون من أشراط الساعة لم يأت بعد ، ولكن بواذره وجدت في عهد النبي ﷺ **فقد ثبت في الصحيحين** أن النبي ﷺ قال: "فُتِحَ اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وحلق بأصبعه الإبهام والتي تليها"^(١)

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٤ / ١٣٧) برقم: (٣٣٤٦) (كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قصة يأجوج ومأجوج) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (٨ / ١٦٦) برقم: (٢٨٨٠) (كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب اقتراب الفتن وفتح ردم يأجوج ومأجوج) (بنحوه).

● وأما الدليل من السنة:

■ **فيهما عن أبي سعيد الخدري** رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى يَا آدَمُ فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ فَيَقُولُ: أَخْرِجْ بَعَثَ النَّارِ قَالَ: وَمَا بَعَثَ النَّارِ قَالَ مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعِمِائَةٍ وَتِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ فَعِنْدَهُ يَشِيبُ الصَّغِيرُ ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنَّا ذَلِكَ الْوَاحِدُ قَالَ: أَبْشِرُوا فَإِنَّ مِنْكُمْ رَجُلٌ وَمِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَلْفٌ. ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا رُبْعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَكَبَّرْنَا فَقَالَ: أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَكَبَّرْنَا فَقَالَ: أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَكَبَّرْنَا فَقَالَ: مَا أَنْتُمْ فِي النَّاسِ إِلَّا كَالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جِلْدِ ثَوْرٍ أَبْيَضٍ أَوْ كَشَعْرَةِ بَيْضَاءٍ فِي جِلْدِ ثَوْرٍ أَسْوَدَ".^(١)

■ **وفي لفظ فيهما:** "إِنَّ مَثَلَكُمْ فِي الْأُمَمِ كَمَثَلِ الشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ أَوْ كَالرَّقْمَةِ فِي ذِرَاعِ الْحِمَارِ".^(٢)

■ **وفي لفظ للبخاري:** "يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا آدَمُ ، يَقُولُ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ ، فَيَنَادِي بِصَوْتٍ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعَثًا إِلَى النَّارِ ، قَالَ: يَا رَبِّ وَمَا بَعَثَ النَّارِ؟ قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ أَرَاهُ قَالَ: تِسْعِمِائَةٍ وَتِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ ، فَحِينَئِذٍ تَضَعُ الْحَامِلُ حَمْلَهَا ، وَيَشِيبُ الْوَلِيدُ ، ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى النَّاسِ حَتَّى تَغَيَّرَتْ وُجُوهُهُمْ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: مِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ تِسْعِمِائَةٍ وَتِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ ، وَمِنْكُمْ وَاحِدٌ ، ثُمَّ أَنْتُمْ فِي النَّاسِ كَالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جَنْبِ الثَّوْرِ الْأَبْيَضِ ، أَوْ كَالشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي جَنْبِ الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ".^(٣)

■ **وفي "صحيح مسلم" من حديث النواس بن سمعان** رضي الله عنه عن النبي ﷺ: أنه قال: "إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُوْحِي إِلَى عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ قَتْلِهِ الدَّجَالَ أَنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ فِي قِتَالِهِمْ ؛ فَحَرَزَ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ، وَيَبْعَثُ اللَّهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسَلُونَ، فَيَمْرُؤُهُمْ عَلَى بَحِيرَةٍ

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (١٣٨ / ٤) برقم: (٣٣٤٨) (كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قصة يأجوج ومأجوج) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (١٣٩ / ١) برقم: (٢٢٢) (كتاب الإيمان ، باب قوله يقول الله لأدم أخرج بعث النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين) (بمثله)

(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (١١٠ / ٨) برقم: (٦٥٣٠) (كتاب الرقاق ، باب قوله عز وجل إن زلزلة الساعة شيء عظيم) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (١٣٩ / ١) برقم: (٢٢٢) (كتاب الإيمان ، باب قوله يقول الله لأدم أخرج بعث النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين) (بمثله .)

(٣) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (١٣٨ / ٤) برقم: (٣٣٤٨) (كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قصة يأجوج ومأجوج) (بنحوه) ، (٩٧ / ٦) برقم: (٤٧٤١) (كتاب تفسير القرآن ، باب وترى الناس سكارى) (بهذا اللفظ)

طبرية فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم فيقولون لقد كان بهذا ماء، ويحصرون عيسى وأصحابه، حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيرا من مائة دينار" ^(١) الحديث.

■ (حسن) وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه : قال: (سمعت رسول الله ﷺ يقول يفتح يأجوج ومأجوج، فيخرجون على الناس؛ كما قال تعالى ﴿وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾، فيغشون الناس، وينحاز الناس عنهم إلى مدائنهم وحصونهم، ويضمون إليهم مواشيهم، فيشربون مياه الأرض، حتى إن بعضهم ليمر بالنهر، فيشربون ما فيه حتى يتركوه يبسا، حتى إن من بعدهم ليمر بذلك النهر، فيقول قد كان هاهنا ماء مرة، حتى إذا لم يبق من الناس أحد إلا أحد في حصن أو مدينة؛ قال قائلهم هؤلاء أهل الأرض قد فرغنا منهم، بقي أهل السماء قال ثم يهز أحدهم حربته، ثم يرمي بها إلى السماء، فترجع إليه مختضبة دما للبلاء والفتنة؛ فبينما هم على ذلك؛ بعث الله دودا في أعناقهم كنغف الجراد الذي يخرج في أعناقه، فيصبحون موتى لا يسمع لهم حس، فيقول المسلمون ألا رجل يشري لنا نفسه فينظر ما فعل هذا العدو، قال فيتجرد رجل منهم محتسبا، قد وطنها على أنه مقتول، فينزل، فيجدهم موتى بعضهم على بعض، فينادي يا معشر المسلمين! ألا أبشروا! إن الله تعالى قد كفاكم عدوكم، فيخرجون من مدائنهم وحصونهم، ويسرحون مواشيهم؛ فما يكون لها رعي إلا لحومهم، فتشكر عنه كأحسن ما تشكر عن شيء أصابته من النبات قط. ^(٢)

(١) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ١٩٦) برقم: (٢٩٣٦) (كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه)، (٨ / ١٩٧) برقم: (٢٩٣٧) (كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه) (بهذا اللفظ)

(٢) - أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (١٥ / ٢٤٤) برقم: (٦٨٣٠) (كتاب التاريخ، ذكر الإخبار عن وصف الفتنة التي يبطل الله عباده بها عند خروج يأجوج ومأجوج) (بهذا اللفظ) والحاكم في "مستدرکه" (٤ / ٨٩) برقم: (٨٥٩٩) (كتاب الفتن والملاحم، هلاك يأجوج ومأجوج من دود يخرج في أعناقهم) (بمثله)، وأحمد في "مسنده" (٥ / ٢٤٦٣) برقم: (١١٩١٠) (مسند أبي سعيد الخدري رضي الله عنه)، (بمثله). قال الإمام ابن كثير: "وهكذا أخرجه ابن ماجه من حديث يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق به، وهو إسناد جيد". قال الأرئوط في «مسند أحمد» (١٨ / ٢٥٨ ط الرسالة): «إسناده حسن من أجل محمد بن إسحاق، وقد صرح بالتحديث هنا، فانتفت شبهة تدليسه، وبقيت رجاله ثقات رجال الصحيح». وحسنه الألباني في «صحيح الجامع الصغير وزيادته» (١ / ٥٧١): برقم «٢٩٧٣»

○ العلامة الخامسة : رفع القرآن .

- قال السفاريني في «لوامع الأنوار الالهية» (١٣٢ / ٢): "يَبْتَئُونَ فَيُصْبِحُونَ وَلَيْسَ فِيهَا حَرْفٌ مَكْتُوبٌ ثُمَّ يُرْفَعُ مِنَ الصُّدُورِ عَقَبَ ذَلِكَ لِأَعْجَلِ زَمَنٍ حَتَّى لَا يَكُونَ شَيْءٌ مِنْهُ مَحْفُوظًا حَتَّى يَقُولَ الْحَافِظُ لِلْآخِرِ وَقَدْ سَأَلَهُ الْآخِرُ كُنْتُ أَحْفَظُ شَيْئًا فَنَسِيتُهُ لَا أَذْرِي مَا هُوَ... وَتَقَدَّمَ فِي مَسْأَلَةِ الْكَلَامِ ، عَلَى الْكَلَامِ ، مَا حَكَاهُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَهُ عَنِ السَّلَفِ مِنْ أَنَّ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ كَلَامُ اللَّهِ مُنَزَّلٌ غَيْرُ مَخْلُوقٍ مِنْهُ بَدَأَ وَإِلَيْهِ يَعُودُ ، وَأَنَّ مَعْنَى وَإِلَيْهِ يَعُودُ مَا جَاءَ فِي الْأَثَرِ أَنَّ الْقُرْآنَ يُسْرَى بِهِ حَتَّى لَا يَبْقَى فِي الْمَصَاحِفِ مِنْهُ حَرْفٌ وَلَا فِي الْقُلُوبِ مِنْهُ آيَةٌ " .
- قال القرطبي: بعد رفع القرآن من الصدور، والمصحف بعد موت عيسى، وهو الصحيح، ولا يعارضه: ﴿حَرَمًا آمِنًا﴾ [القصص: ٢٨] إذ معناه: أمنه إلى قرب القيامة»
- وقال في إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري» (١٦١ / ٣): «... وذكر الحلبي أن خراب الكعبة يكون في زمن عيسى عليه الصلاة والسلام، وقال القرطبي: بعد رفع القرآن من الصدور والمصاحف وذلك بعد موت عيسى وهو الصحيح»

• ومن الآثار الواردة في ذلك :

■ (صحيح) عَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " يَدْرُسُ الْإِسْلَامُ كَمَا يَدْرُسُ وَشْيُ النَّوْبِ ، حَتَّى لَا يُدْرَى مَا صِيَامٌ وَلَا صَدَقَةٌ وَلَا نُسْكٌ ، وَيُسْرَى عَلَى كِتَابِ اللَّهِ فِي لَيْلَةٍ فَلَا يَبْقَى فِي الْأَرْضِ مِنْهُ آيَةٌ ، وَيَبْقَى طَوَائِفُ مِنَ النَّاسِ الشَّيْخُ الْكَبِيرُ وَالْعَجُوزُ الْكَبِيرَةُ ، يَقُولُونَ : أَدْرَكْنَا آبَاءَنَا عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَتَحْنُ نَقُولُهَا . قَالَ صَلَّهْ بِنُ زُفَرٍ لِحُذَيْفَةَ : فَمَا تُغْنِي عَنْهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَهُمْ لَا يَدْرُونَ مَا صِيَامٌ وَلَا صَدَقَةٌ وَلَا نُسْكٌ ؟ فَأَعْرَضَ عَنْهُ حُذَيْفَةُ ، فَرَدَّدَهَا عَلَيْهِ ثَلَاثًا كُلُّ ذَلِكَ يُعْرِضُ عَنْهُ حُذَيْفَةُ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ فِي الثَّلَاثَةِ ، فَقَالَ : يَا صَلَّهْ تُنْجِيهِمْ مِنَ النَّارِ " (١)

■ (صحيح) وَعَنْ شَدَّادِ بْنِ مَعْقِلٍ قَالَ : سَمِعْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ يَقُولُ : إِنَّ أَوَّلَ مَا تَفْقِدُونَ مِنْ دِينِكُمُ الْأَمَانَةَ ، وَإِنَّ آخَرَ مَا يَبْقَى مِنْ دِينِكُمُ الصَّلَاةُ ، وَلْيَصِلَيَنَّ الْقَوْمُ الَّذِينَ لَا دِينَ لَهُمْ ، وَلْيَنْتَزِعَنَّ الْقُرْآنُ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِكُمْ " قَالُوا : يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، أَلَسْنَا نَقْرَأُ الْقُرْآنَ ، وَقَدْ أَثْبَتْنَاهُ فِي مَصَاحِفِنَا ؟ قَالَ : " يُسْرَى عَلَيْهِ لَيْلًا فَيَذْهَبُ بِهِ مِنْ أَجَوَافِ الرِّجَالِ فَلَا يَبْقَى مِنْهُ شَيْءٌ " . **وفي لفظ :** " إِنَّ أَوَّلَ مَا تَفْقِدُونَ مِنْ دِينِكُمُ الْأَمَانَةَ ، وَآخِرَ مَا يَبْقَى الصَّلَاةُ ، وَأَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ الَّذِي بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ يُوشِكُ أَنْ يُرْفَعَ ، قَالُوا : وَكَيْفَ يُرْفَعُ وَقَدْ أَثْبَتَهُ اللَّهُ فِي قُلُوبِنَا وَأَثْبَتْنَاهُ فِي مَصَاحِفِنَا ؟ قَالَ : يُسْرَى عَلَيْهِ لَيْلَةً فَيَذْهَبُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَمَا فِي مَصَاحِفِكُمْ ، ثُمَّ قَرَأَ : ﴿ وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾ (٢) . "

(١) - أخرجه الحاكم في "مستدرکه" (٤ / ٤٧٣) برقم: (٨٥٥٤) (كتاب الفتن والملاحم ، يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب) (بهذا اللفظ) وصححه ووافقه الذهبي ، وابن ماجه في "سننه" (٥ / ١٧٣) برقم: (٤٠٤٩) (أبواب الفتن ، باب ذهاب القرآن والعلم) (بمثله) ، والبخاري في "مسنده" (٧ / ٢٥٩) برقم: (٢٨٣٨) (مسند حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما ، أبو مالك عن ربيعي عن حذيفة) (بلفظه مختصراً) . قال الأرئوط في «سنن ابن ماجه» (٥ / ١٧٣ ت الأرئوط): «إسناده صحيح. أبو مالك الأشجعي: هو سعد بن طارق بن أشيم، وأبو معاوية: هو محمد بن خازم الضرير، وعلي بن محمد: هو الطنافسي. وقد صحح إسناده البوصيري في "مصباح الزجاجة" ورقة ٢٥٤، وكذلك الحاكم، ووافقه الذهبي، وقوى إسناده الحافظ في "الفتح" ١٣ / ١٦ . وقال الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فوائدها» (١ / ١٧٢): «...وقال الحاكم: "صحيح على شرط مسلم". ووافقه الذهبي. قلت: وهو كما قال. وقال البوصيري في "الزوائد" (ق ٢٤٧ / ١) : "إسناده صحيح، رجاله ثقات" » ثم قال : " «وفي هذا الحديث نبأ خطير، وهو أنه سوف يأتي يوم على الإسلام يمحي أثره، وعلى القرآن فيرفع فلا يبقى منه ولا آية واحدة، وذلك لا يكون قطعا إلا بعد أن يسيطر الإسلام على الكرة الأرضية جميعها، وتكون كلمته فيها هي العليا. كما هو نص قول الله تبارك وتعالى (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله) ، وكما شرح رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك في أحاديث كثيرة سبق ذكر بعضها في المقال الأول من هذه المقالات (الأحاديث الصحيحة) . وما رفع القرآن الكريم في آخر الزمان إلا تمهيدا لإقامة الساعة على شرار الخلق الذين لا يعرفون شيئا من الإسلام البتة، حتى ولا توحيده! وفي الحديث إشارة إلى عظمة القرآن، وأن وجوده بين المسلمين هو السبب لبقاء دينهم ورسوخ بنيانه وما ذلك إلا بتدارسه وتدبره وتفهمه ولذلك تعهد الله تبارك وتعالى بحفظه، إلى أن يأذن الله برفعه» " (٢)

(٢) - أخرجه الحاكم في "مستدرکه" (٤ / ٥٠٤) برقم: (٨٦٣٣) (كتاب الفتن والملاحم ، ذكر رفع القرآن عن قلوب المسلمين) (بهذا اللفظ) وصححه ووافقه الذهبي ، وسعيد بن منصور في "سننه" (٢ / ٣٣٥) برقم: (٩٧) (كتاب التفسير ، فضائل القرآن) (بنحوه مرفوعا) ، وعبد الرزاق في "مصنفه" (٣ / ٣٦٣) برقم: (٥٩٨١) (كتاب فضائل القرآن ، باب تعاهد القرآن ونسيانه) (بهذا اللفظ) «إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة» (٣ / ٢١٥):

- **وفي لفظ:** "لِيُنْزَعَنَّ هَذَا الْقُرْآنُ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِكُمْ ، قُلْتُ : يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، كَيْفَ يُنْزَعُ وَقَدْ أَثْبَتْنَاهُ فِي مَصَاحِفِنَا ؟ قَالَ : " يُسْرَى عَلَيْهِ فِي لَيْلَةٍ فَلَا يَبْقَى فِي قَلْبِ عَبْدٍ وَلَا مُصْحَفٍ مِنْهُ شَيْءٌ ، وَيُصْبِحُ النَّاسُ فُقَرَاءَ كَالْبَهَائِمِ " ، ثُمَّ قَرَأَ عَبْدُ اللَّهِ : ﴿ وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴾ . (١)
- **(صحيح) وعن أبي هريرة ؓ** ، قَالَ : يُسْرَى عَلَى كِتَابِ اللَّهِ فَيُرْفَعُ إِلَى السَّمَاءِ ، فَلَا يُصْبِحُ فِي الْأَرْضِ آيَةٌ مِنَ الْقُرْآنِ وَلَا مِنَ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَلَا الزَّبُورِ ، وَيُنْزَعُ مِنْ قُلُوبِ الرِّجَالِ فَيُصْبِحُونَ وَلَا يَذُرُونَ مَا هُوَ . (٢)
- **وفي لفظ عنه :** " لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَبْعَثَ اللَّهُ رِيحًا حَمْرَاءَ مِنَ الْيَمَنِ ، فَيَكْفِتُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا كُلَّ نَفْسٍ تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَمَا يُنْكِرُهَا النَّاسُ مِنْ قِلَّةٍ مَنْ يَمُوتُ فِيهَا ، مَاتَ شَيْخٌ فِي بَنِي فُلَانٍ ، مَاتَتْ عَجُوزٌ فِي بَنِي فُلَانٍ ، وَيُسْرَى عَلَى كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى ، فَيُرْفَعُ إِلَى السَّمَاءِ ، فَمَا يَبْقَى عَلَى الْأَرْضِ مِنْهُ آيَةٌ ، وَتُلْقَى الْأَرْضُ أَفْلَازَ كَبِدِهَا مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ، فَلَا يُنْتَفَعُ بِهَا بَعْدَ ذَلِكَ الْيَوْمِ ، فَيَمُرُّ بِهَا الرَّجُلُ ، فَيَضْرِبُهَا بِرِجْلَيْهِ ، فَيَقُولُ : فِي هَذِهِ كَانَ يُقْتَلُ مَنْ قَبْلَنَا ، وَأَصْبَحَتِ الْيَوْمَ لَا يُنْتَفَعُ بِهَا . " (٣)
- وهذه الآثار لها حكم الرفع؛ لأن مثلها لا يقال من قبل الرأي، وإنما يقال عن توقيف.

«وقد رواه الطبراني، ولفظه: "قال: لينزع القرآن من بين أظهركم. قالوا: يا أبا عبد الرحمن! ألسنا نقرأ القرآن وقد أثبتناه في مصاحفنا؟! قال: يسرى على القرآن ليلاً، فيذهب من أجواف الرجال، فلا يبقى في الأرض منه شيء". وفي رواية قال: "يسرى على القرآن ليلاً، فلا يبقى في قلب عبد ولا في مصحفه منه شيء، ويصبح الناس فقراء كالبهائم، ثم قرأ عبد الله: ﴿ وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴾".

قال الهيثمي: "رجاله رجال الصحيح؛ غير شداد بن معقل، وهو ثقة".

(١) - أخرجه الطبراني في "الكبير" (٩ / ١٤١) برقم: (٨٦٩٨) (باب العين ، باب) (بهذا اللفظ) . قال الهيثمي في «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» (٧ / ٥٢): «رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ، وَرَجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ غَيْرُ شَدَادِ بْنِ مَعْقِلٍ وَهُوَ ثِقَّةٌ»

(٢) - أخرجه الحاكم في "مستدرکه" (٤ / ٥٠٦) برقم: (٨٦٣٩) (كتاب الفتن والملاحم ، ذكر طبقات شتى لبني آدم) (بهذا اللفظ) وقال هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ " ووافقه الذهبي

(٣) - أورده ابن حجر في "المطالب العالية" (١٨ / ٤٦٨) برقم: (٤٥٣٠) (كتاب الفتوح ، باب يأجوج ومأجوج) (بهذا اللفظ)

○ العلامة السادسة: الدخان .

هذه العلامة وقع الخلاف فيها هل وقعت أم أنها ستأتي في آخر الزمان ؟ وظاهر النصوص التعارض فيما بينها ، وقد تم بحث هذه المسألة بحثاً مميزاً فضيلة الدكتور سليمان محمد الديخي في كتابه الموسوم بـ "أحاديث العقيدة التي يوهم ظاهرها التعارض في الصحيحين دراسة وترجيح" . وقد نقلتها منه بحروفها .

● «أولاً: الأحاديث التي تفيد أن الدخان لم يأت بعد:

■ **في صحيح مسلم عن حذيفة بن أسيد الغفاري** رضي الله عنه قال: **اطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر فقال: "ما تذاكرون؟" قالوا: نذكر الساعة، قال: "إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم عليه السلام ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم"** ^(١).

■ **وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة** رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "بادروا بالأعمال ستاً طلوع الشمس من مغربها أو الدخان أو الدجال أو الدابة أو خاصة أحدكم أو أمر العامة" ^(٢).

● **ثانياً: الأحاديث التي تفيد أن الدخان قد مضى:-**

■ **في الصحيحين عن ابن مسعود** رضي الله عنه **"خمس قد مضين: الدخان والقمر والروم والبطشة واللزام"** ^(٣).

■ **وفي صحيح مسلم عن مسروق** قال: "كنا عند عبد الله جلوساً وهو مضطجع بيننا فأتاه رجل فقال: يا أبا عبد الرحمن إن قاصباً عند أبواب كندة يقصّ ويزعم أن آية الدخان تجيء فتأخذ بأنفاس الكفار ويأخذ المؤمنون منه كهيئة الزكام، فقال عبد الله -وجلس وهو غضبان-: يا أيها الناس اتقوا الله، من علم منكم شيئاً فليقل بما يعلم، ومن لم يعلم فليقل: الله أعلم، فإنه أعلم لأحدكم أن يقول لما لا يعلم: الله أعلم فإن الله عز وجل قال لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ إن رسول الله -ﷺ- لما رأى من الناس إدباراً فقال: "اللهم سبع كسبعت يوسف" فأخذتهم سنة حصّت كل شيء حتى أكلوا الجلود والميتة من الجوع، وينظر إلى السماء أحدهم فيرى كهيئة الدخان، فأتاه أبو سفيان

(١) - سبق تخرجه.

(٢) - سبق تخرجه.

(٣) - سبق تخرجه.

فقال: يا محمد إنك جئت تأمر بطاعة الله وبصلة الرحم وإن قومك قد هلكوا فادع الله لهم، قال الله عز وجل: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾^(١)

«قال: أفيكشف عذاب الآخرة: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ﴾ فالبطشة يوم بدر، وقد مضت آية الدخان والبطشة والالزام وآية الروم»^(٢).

■ **وفي طريق آخر في الصحيحين عنه:** قال: "إنما كان هذا أن قريشاً لما استعصت على النبي ﷺ دعا عليهم بسنين كسني يوسف فأصابهم قحط وجهد حتى جعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد، وحتى أكلوا العظام، فأتى النبي ﷺ رجل فقال: يا رسول الله استغفر الله لمضر، فإنهم قد هلكوا فقال: "لمضر؟ إنك لجريء" قال: فدعا الله لهم فأنزل الله عز وجل: ﴿إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾ قال: فمطروا فلما أصابهم الرفاهية، قال: عادوا إلى ما كانوا عليه، قال: فأنزل الله عز وجل: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ﴾ قال يعني يوم بدر"^(٣).

● **بيان وجه التعارض:** بالنظر إلى النصوص السابقة نجد أن في حديث حذيفة وأبي هريرة رضي الله عنهما ما يفيد أن الدخان من علامات الساعة وأماراتها وأنه لم يأت بعد، وفي المقابل نجد أن ابن مسعود رضي الله عنه يصرح بأن الدخان قد مضى وانتهى وهو ما حصل لقريش من الجهد والجوع عندما دعا عليهم النبي ﷺ حتى أصبح أحدهم ينظر إلى السماء فيرى كهيئة الدخان، ولا يكتفي ابن مسعود رضي الله عنه بالتصريح بأن الدخان قد مضى بل يغضب ويشدد نكيره على من خالف ذلك.

● **مذاهب العلماء تجاه هذا التعارض:** سلك أهل العلم في هذه المسألة مذهبين: أحدهما مذهب الجمع والآخر مذهب الترجيح وإليك بيان ذلك:

(١) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ١٣٠) برقم: (٢٧٩٨) (كتاب صفة القيامة والجنة والنار ، باب الدخان) (بهذا اللفظ)

(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٦ / ١٣١) برقم: (٤٨٢١) (كتاب تفسير القرآن ، باب يغشى الناس هذا عذاب أليم) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (٨ / ١٣١) برقم: (٢٧٩٨) (كتاب صفة القيامة والجنة والنار ، باب الدخان) (بمثله مطولاً).

- **أولاً: مذهب الجمع:** وإليه ذهب الطحاوي وأبو الخطاب بن دحية وأشار إليه الطبري واحتمله النووي وهو حمل ما جاء في النصوص على **أنهما دخانان:**
- **أحدهما:** ما أصاب قريش عندما دعا عليهم النبي ﷺ كما جاء ذلك عن ابن مسعود رضي الله عنه وهذا قد مضى وانتهى.
- **والثاني:** يكون من علامات الساعة قبل قيامها كما جاء ذلك في حديث حذيفة وأبي هريرة رضي الله عنهما.
- قال الطحاوي: "الدخان المذكور في أحاديث ابن مسعود رضي الله عنه غير الدخان المذكور في حديثي حذيفة وأبي هريرة".
- وقال أبو الخطاب بن دحية: "والذي يقتضيه النظر الصحيح ، حمل ذلك على قضيتين: إحداهما وقعت ، وكانت الأخرى ستقع وستكون ، فأما التي كانت فالتى كانوا يرون فيها كهيئة دخان وهي الدخان غير الدخان الحقيقي الذي يكون عند ظهور الآيات التي هي من الأشرار والعلامات".
- وقال الطبري: "وبعد، فإنه غير منكر أن يكون أحل بالكفار.
- **ثانياً: مذهب الترجيح:** وقد سلكه فريقان من الناس وإليك بيان ذلك:
- **الفريق الأول:** ذهب إلى أن الدخان قد مضى وانتهى وهو ما أصاب مشركي مكة من الجهد والجوع حتى أصبح أحدهم إذا نظر إلى السماء يرى كهيئة الدخان. وعلى رأس القائلين بهذا ابن مسعود رضي الله عنه وتبعه على ذلك جماعة من السلف منهم أبو العالية وإبراهيم النخعي ومجاهد والضحاك وعطية العوفي وهو اختيار ابن جرير الطبري.
- أدلة هذا الفريق: ليس لهؤلاء ما يستدلون به سوى الآيات في سورة الدخان فقالوا: إن سياق الآيات يدل على أن المراد بها ما أصاب مشركي مكة عندما دعا عليهم الرسول ﷺ، وبهذا جزم ابن مسعود رضي الله عنه وغضب واشتد نكيره على من قال بخلاف هذا، وقال رضي الله عنه مستنكراً: أفيكشف عذاب الآخرة. أي إن كشف العذاب ثم عودهم لما هم عليه لا يكون في الآخرة وإنما يكون في الدنيا.
- قال ابن جرير الطبري: "قوله تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾ في سياق خطاب الله كفار قريش وتقريعه إياهم لشركهم بقوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُخَيِّ وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ (٨) بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ﴾ ثم أتبع ذلك بقوله لنبيه ﷺ: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ﴾ أمراً منه

له بالصبر إلى أن يأتيهم بأسه وتهديداً للمشركون، فهو بأن يكون إذ كان وعيداً لهم قد أحله بهم أشبه من أن يكون آخره عنهم لغيرهم".

● وقال الطحاوي مؤيداً كون هذه الآيات إنما هي في ما أصاب مشركي مكة من الجهد والجوع، قال رحمه الله: "إن الله تعالى قال في كتابه في سورة الدخان: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ﴾ وأتبع ذلك قوله تعالى ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾ أي عقوبة لما هم عليه من الشك واللعب، ومحال أن يكون هاتان العقوبتان لغيرهم أو يؤتى بهما بعد خروجهم من الدنيا وسلامتهم من ذلك الدخان".

■ **وعلى هذا القول يكون معني قوله تعالى** حكاية عن المشركين: ﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ أن الكافرين الذين أصابهم ذلك الجهد والجوع يدعون ربهم أن يكشفه عنهم ويقولون: إنك إن كشفته عنا آمنا بك وعبدناك، فيرد الله تعالى عليهم بقوله: ﴿إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾ أي إنكم أيها المشركون إذا كشفت عنكم ما بكم من ضرر عدتم إلى ضلالكم وغييكم.

■ **كما أنه على هذا القول يكون المراد بالبطشة الكبرى** في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾ بطشة الله تعالى بمشركي قريش يوم بدر كما ذهب إلى ذلك ابن مسعود رضي الله عنه، وهو قول جماعة من السلف كابن عباس وأبي بن كعب رضي الله عنهم ومسروق ومجاهد وأبي العالية والضحاك وغيرهم.

● **وقبل ذكر رأي الفريق الثاني يحسن ذكر آيات سورة الدخان -المتعلقة بهذه المسألة- مجمعة حتى يفهم القول السابق ويتضح الربط بينها على ما قالوه.**

■ قال الله تعالى في سورة الدخان: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (٨) بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ (٩) فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ (١٠) يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ (١١) رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ (١٢) أَتَى لَهُمُ الدِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ (١٣) ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ (١٤) إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ (١٥) يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾.

■ **والفريق الثاني:** ذهب إلى أن الدخان آية وأمرة من أمارات الساعة لم تأت بعد، وهذا مروى عن ابن عباس وابن عمر وعلي بن أبي طالب وأبي هريرة وحذيفة رضي الله عنهم والحسن وابن أبي مليكة ورجح هذا القول النووي (١٨ / ٢٤٠) التنبيهات المجملة على المواضع المشككة لصالح الدين العلائي (٦٣) لوامع الأنوار (٢ / ١٢٩) القرطبي وابن القيم وانتصر له ابن كثير، كما ذهب إليه صالح الدين العلائي وجمع من أهل العلم عليهم رحمة الله.

● أدلة هذا الفريق: استدل أصحاب هذا القول بما يلي:

■ ١ - حديث حذيفة بن أسيد رضي الله عنه في صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال: "إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال .." (١).

● قال النووي: "هذا الحديث يؤيد قول من قال إن الدخان: دخان يأخذ بأنفاس الكفار ويأخذ المؤمن منه كهيئة الزكام وأنه لم يأت بعد وإنما يكون قريباً من قيام الساعة".

● وقال العلاني: "هذا نص صريح في أن الدخان لم يأت بعد".

■ ٢ - حديث أبي هريرة رضي الله عنه في صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال: "بادروا بالأعمال ستاً: طلوع الشمس من مغربها أو الدخان أو الدجال .." (٢).

قالوا: فهذان الحديثان مرفوعان، والمرفوع مقدم على الموقوف.

● وقال ابن كثير بعدما ساق أثر ابن عباس والذي مفاده أن الدخان لم يأت بعد، قال: "هذا إسناد صحيح إلى ابن عباس رضي الله عنهما حبر الأمة وترجمان القرآن، وهكذا قول من وافقه من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين مع الأحاديث المرفوعة من الصحاح والحسان وغيرهما التي أوردوها مما فيه مقنع، ودلالة ظاهرة على أن الدخان من الآيات المنتظرة".

■ ٣ - استدل ابن كثير بقصة الرسول ﷺ مع ابن صياد وأنه خبا له قوله تعالى: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾ فقال ابن كثير: "هذا فيه إشعار بأنه من المنتظر المرتقب". ولفظه في الصحيحين: "عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ وَضِي اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ انْطَلَقَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي رَهْطٍ قَبْلَ ابْنِ صَيَّادٍ حَتَّى وَجَدَهُ يَلْعَبُ مَعَ الصَّبَّيَّانِ عِنْدَ أُطْمٍ بَنِي مَغَالَةَ ، وَقَدْ قَارَبَ ابْنُ صَيَّادٍ يَوْمَئِذٍ الْحُلُمَ ، فَلَمْ يَشْعُرْ حَتَّى ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ظَهْرَهُ بِيَدِهِ ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِابْنِ صَيَّادٍ : أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ ؟ فَنَظَرَ إِلَيْهِ ابْنُ صَيَّادٍ فَقَالَ : أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ الْأُمِّيِّينَ . فَقَالَ ابْنُ صَيَّادٍ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ : أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ ؟ فَرَفَضَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ : آمَنْتُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ . ثُمَّ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : مَاذَا تَرَى ؟ قَالَ ابْنُ صَيَّادٍ : يَأْتِينِي صَادِقٌ وَكَاذِبٌ . فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : خُلِطَ عَلَيْكَ الْأَمْرُ . ثُمَّ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : إِنِّي قَدْ خَبَأْتُ لَكَ خَبِيئًا . فَقَالَ ابْنُ صَيَّادٍ : هُوَ الدُّخَانُ . (٣)"

(١) - سبق تخرجه .

(٢) - سبق تخرجه .

(٣) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٢ / ٩٣) برقم: (١٣٥٤) (كتاب الجنائز ، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه) (بهذا اللفظ) ، (ومسلم في "صحيحه" (٨ / ١٩٢) برقم: (٢٩٣١) (كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب ذكر ابن صياد) (بنحوه) ،

• وقالوا: بأن ظاهر القرآن -وهو قوله تعالى: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾ - يدل على أنه لم يأت بعد وأنه دخان من السماء واضح جلي يراه كل أحد يغشى الناس، وهذا أمر محقق عام، وليس كما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه خيال في أعين قريش من شدة الجوع إذ لو كان كذلك لما قال: {يَغْشَى النَّاسَ}.

• قال السفاريني: "قال العلماء: آية الدخان ثابتة بالكتاب والسنة أما الكتاب فقوله سبحانه وتعالى: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾". وأما تفسير ابن مسعود هذه الآية بما حصل لقريش فقد قال عنه ابن كثير: "هذا التفسير غريب جداً، ولم يُنقل مثله عن أحد من الصحابة غيره". وعلى هذا القول تكون البطشة الكبرى -في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ﴾ - يوم القيامة كما هو مروي عن ابن عباس والحسن البصري وعكرمة واختاره الزجاج وابن كثير عليهم رحمة الله.

• **الترجيح : الذي يظهر-والله تعالى أعلم- هو القول بمذهب الجمع** إذ ليس فيما أثبتته ابن مسعود مما أصاب قريشاً من الجهد والجوع حتي أصبح أحدهم إذا نظر إلى السماء يرى كهيئة الدخان ، ليس فيه ما يخالف حديثي حذيفة وأبي هريرة رضي الله عنهما والذي فيهما أن الدخان من علامات الساعة وأنه لم يأت بعد، لا سيما وأن أبا هريرة أحد الرواة وهو لم يُسلم إلا في السنة السابعة بينما ما حدث لقريش كما في رواية ابن مسعود كان قبل وقعة بدر.

وعلى هذا نقول: إنَّهما دخانان:

- أحدهما: ما أصاب قريش من الجهد والجوع عندما دعا عليهم النبي ﷺ حتي أصبح الواحد منهم ينظر إلى السماء فيرى كهيئة الدخان، وهذا الدخان قد مضى وانتهى كما قال ابن مسعود رضي الله عنه.
- والثاني: دخان يكون قرب قيام الساعة وهو من علاماتها وأماراتها كما في حديث حذيفة وأبي هريرة رضي الله عنهما.

وقد ذكر القرطبي في التذكرة أنه روي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنَّهما دخانان فقال: "قال مجاهد: كان ابن مسعود يقول: هما دخانان قد مضى أحدهما، والذي بقي يملأ ما بين السماء والأرض ولا يجد المؤمن منه إلا كالزكمة، وأما الكافر فتثقب مسامعه" فإن ثبت هذا عن ابن مسعود فهو قاطع في المسألة.

«إذا تبين هذا فعلى أي الدخانين تُحمل الآيات التي في سورة الدخان؟ هل نحملها على ما أصاب قريشاً كما فعل ابن مسعود رضي الله عنه؟ أم نحملها على أنه الدخان الذي يكون من علامات الساعة قرب قيامها؟!

في ظني أن هذا هو موطن النزاع وسبب الخلاف، والحقيقة أن الآية وهي قوله تعالى: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾ تحتل كلا القولين فإننا إذا نظرنا إلى سياق الآية وما قبلها وما بعدها وجدنا أنها تؤيد ما ذهب إليه ابن مسعود رضي الله عنه، ولذلك فإنه حتي الذين خالفوه: منهم من فسّر بعض تلك الآيات بما حصل لقريش كالبطشة الكبرى، فإن منهم من فسرها بوقعة بدر، وإذا نظرنا إلى لفظ الآية، وأن الأصل أن يحمل الدخان على الحقيقة، والذي في حديث ابن مسعود ليس دخاناً حقيقة وإنما هو شيء تتوهمه قريش أنه دخان، إذا نظرنا إلى هذا وجدنا أن الآية تؤيد ما ذهب إليه غير ابن مسعود رضي الله عنه، وإن كان الطحاوي رحمه الله قد أجاب عن هذا بأن المذكور في حديث ابن مسعود سمي دخاناً على المجاز لتوهم قريش أنه دخان على الحقيقة، ولكن هذا الجواب غير مقنع.

وعلى كل حال فإنه حتي لو قلنا إن الآية تؤيد ما ذهب إليه ابن مسعود رضي الله عنه فإنه لا يُعارض كون الدخان من علامات الساعة وأنه لم يأت بعد، وذلك بحمل ما جاء في النصوص والآثار على أنهما دخانان كما تقدم، ويكون الدخان الذي هو من علامات الساعة ثابتاً في السنة فقط كما ذهب إلى هذا الشيخ مرعي فيما نقل عنه السفاريني والله تعالى أعلم." اهـ من كلام الدكتور الديخي.

○ العلامة السابعة : هدم البيت .

■ **في البخاري عن أبي سعيد الخدري** رضي الله عنه : عن النبي ﷺ قال : " ليحجن البيت وليعتمرن بعد خروج يأجوج ومأجوج " . وقال عبد الرحمن ، عن شعبة قال : **لا تقوم الساعة حتى لا يحج البيت والأول أكثر** .^(١)

■ **(صحيح) . وعن سعيد بن سمعان ، أنه سمع أبا هريرة يحدث أبا قتادة ، أن رسول الله ﷺ ، قال :** يبايع لرجل بين الركن والمقام ، **ولن يستحل هذا البيت إلا أهله ، فإذا استحلوه ، فلا تسل عن هلكة العرب ،** ثم تظهر الحبشة ، فيخربونه خرابا لا يعمر بعده أبدا ، وهم الذين يستخرجون كنزه .^(٢)

■ **وفيهما عن أبي هريرة** رضي الله عنه : عن النبي ﷺ قال : " يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة " ^(٣)

■ **وفي البخاري عن ابن عباس** رضي الله عنهما : عن النبي ﷺ قال : " كأني به أسود أفحج يقلعها حجرا حجرا " الفحج وهو تباعد ما بين الساقين ^(٤)

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٢ / ١٤٩) برقم: (١٥٩٣) (كتاب الحج ، باب قول الله تعالى جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس) (بهذا اللفظ) .

(٢) - أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (١٥ / ٢٣٩) برقم: (٦٨٢٧) (بهذا اللفظ) والحاكم في "مستدرکه" (٤ / ٤٥٢) برقم: (٨٤٨٩) (بمثله) ، وأحمد في "مسنده" (٢ / ١٦٥٨) برقم: (٨٠٢٥) (بمثله) . قال الأرئوط في «مسند أحمد» (١٣ / ٢٩٠ ط الرسالة): "إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين غير سعيد بن سمعان، فقد روى له البخاري في "القراءة خلف الإمام" وأصحاب السنن غير ابن ماجه، وهو ثقة" وقال الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها» (٦ / ٥٥٤): برقم ٢٧٤٣ : "قلت: وهذا إسناد صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين غير سعيد بن سمعان، وهو ثقة كما في "التقريب"...واقصر الحافظ في "الفتح" (٣ / ٤٦١) على عزوه لأحمد، وسكت عليه، فهو عنده حسن أو صحيح، وقال الحاكم: " صحيح على شرط الشيخين ! "ورده الذهبي بقوله: " قلت: ما خرجا لابن سمعان شيئا، ولا روى عنه [غير] ابن أبي ذئب، وقد تكلم فيه " . قلت: لم يتكلم فيه غير الأزدي، ولذلك رده الحافظ في "التقريب" : "ثقة، لم يصب الأزدي في تضعيفه " . قلت: والأزدي عنده تشدد في التضعيف، نبه على ذلك الذهبي نفسه في بعض التراجم، وابن سمعان وثقه النسائي والدارقطني وابن حبان.

(٣) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٢ / ١٤٨) برقم: (١٥٩١) (كتاب الحج ، باب قول الله تعالى جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (٨ / ١٨٣) برقم: (٢٩٠٩) (كتاب الفتن وأشرط الساعة ، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت) (بلفظه) .

(٤) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٢ / ١٤٩) برقم: (١٥٩٥) (كتاب الحج ، باب هدم الكعبة) (بهذا اللفظ) .

- (حسن. صحيح لغيره). وعن بن عمرو رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: "يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة ويسلمها حليتها ويجردها من كسوتها ولكأني أنظر إليه أصيلع أفيدع يضرب عليها بمسحاته ومعوته" (١)
- (صحيح). قال ابن خزيمة: باب الأمر بتعجيل الحج خوف فوته برفع الكعبة إذ النبي ﷺ أعلم أنها ترفع بعد هدم مرتين. عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ: استمتعوا من هذا البيت فإنه قد هدم مرتين ويرفع في الثالث قال أبو بكر قوله: ويرفع في الثالث يريد بعد الثالثة إذ رفع ما قد هدم محال؛ لأن البيت إذا هدم لا يقع عليه اسم بيت إذا لم يكن هناك بناء" (٢) ولفظ ابن حبان "ويرفع في الثالثة".

(١) - أخرجه أحمد في "مسنده" (٣ / ١٤٨٧) برقم: (٧١٧٣) (مسند عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، (بهذا اللفظ) . قال الهيثمي في «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» (٣ / ٢٩٨): "رواه أحمد، والطبراني في الكبير، وفيه ابن إسحاق، وهو ثقة، ولكنه مدلس." وقال الأرنبوط في «مسند أحمد» (١١ / ٦٢٩ ط الرسالة): "بعضه مرفوع صحيح، وبعضه يروى مرفوعاً وموقوفاً، والموقوف أصح، وهذا إسناد ضعيف. محمد بن إسحاق: مدلس، وقد عنعن، لكنه توبع، وباقي رجاله ثقات رجال الصحيح." قال أحمد شاكر في «مسند أحمد» (٦ / ٤٧٤ ت أحمد شاكر): "إسناده صحيح، محمد بن سلمة: هو الباهلي الحراني، وهو من شيوخ أحمد، روى عنه مباشرة مراراً، وروى عنه أيضاً مراراً بواسطة أحمد بن عبد الملك الحراني، كما هنا." وقال الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها» (٦ / ٥٥٥): "... أخرجه أحمد (٢ / ٢٢٠) عن محمد بن إسحاق عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عنه. وقال ابن كثير: " وهذا إسناد جيد قوي "، وسكت عنه الحافظ. قلت: فيه عننة ابن إسحاق كما ترى، فلعل تقويته إياه بالنظر لشواهد المتقدمة."

(٢) - أخرجه ابن خزيمة في "صحيحه" (٤ / ٢١٩) برقم: (٢٥٠٦) (بهذا اللفظ) ، وابن حبان في "صحيحه" (١٥ / ١٥٣) برقم: (٦٧٥٣) (بمثله) ، والضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" (١٣ / ١٤٠) برقم: (٢٢٤) (بمثله) ، والحاكم في "مستدركه" (١ / ٤٤١) برقم: (١٦١٦) (بمثله) وصححه ووافقه الذهبي. قال الأرنبوط في «صحيح ابن حبان» (١٥ / ١٥٣): "إسناده صحيح." وقال الألباني في «صحيح ابن خزيمة» (٤ / ١٢٨): "إسناده صحيح" ، وصححه في «صحيح موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان» (١ / ٤٠٩) برقم: ٨٠٣ .

○ العلامة الثامنة: طلوع الشمس من مغربها.

قال الله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٨]

● قال الحافظ ابن كثير في "النهاية":

■ **قال البخاري عند تفسير هذه الآية: عن أبي هريرة** رضي الله عنه ، قال: قال رسول الله ﷺ: "لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا ، فَإِذَا رَأَاهَا النَّاسُ آمَنَ مَنْ عَلِمَهَا ، فَذَلِكَ حِينَ: ﴿ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ ﴾" (١).

■ **وفي لفظ لمسلم عنه:** "لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا ، فَإِذَا طَلَعَتْ مِنْ مَغْرِبِهَا آمَنَ النَّاسُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ، فَيَوْمَئِذٍ ﴿ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا ﴾" (٢).

■ **وفي لفظ لمسلم:** "قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ثَلَاثٌ إِذَا خَرَجْنَ ﴿ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا ﴾ طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا ، وَالِدَّجَالُ ، وَدَابَّةُ الْأَرْضِ" (٣).

● وقال السفاريني: "قال العلماء رحمهم الله تعالى: طلوع الشمس من مغربها ثابت بالسنة الصحيحة والأخبار الصريحة، بل وبالكتاب المنزل على النبي المرسل. قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا﴾ الآية؛ أجمع المفسرون - أو جمهورهم - على أنها طلوع الشمس من مغربها، وحاصل ذلك والمقصود من الآية الكريمة: أن من لم يكن إيمانه متحققا إذا طلعت الشمس من مغربها؛ لم ينفعه تجديد الإيمان، ولم ينفعه فعل بر من جميع الأعمال؛ لأنه فقد الإيمان الذي هو الأساس لما عداه من تلك الأعمال؛ فلا ينفعه إيمانه الحادث حينئذ، ولا ما صدر منه قبل ذلك من الإحسان وعمل البر من صلة الأرحام وإعتاق الرقاب وقرى الأضياف وغير ذلك مما هو مكارم الأخلاق؛ لأنها على غير أساس؛ قال تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ﴾ ، والإيمان الحادث في ذلك الوقت ليس مقبولا.

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٦ / ٥٨) برقم: (٤٦٣٥) (كتاب تفسير القرآن ، باب لا ينفع نفسا إيمانها) (بهذا اللفظ)

(٢) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (١ / ٩٥) برقم: (١٥٧) (كتاب الإيمان ، باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان) (بهذا اللفظ)

(٣) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (١ / ٩٥) برقم: (١٥٨) (كتاب الإيمان ، باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان) (بهذا اللفظ)

- وقال الإمام ابن كثير رحمه الله: "وفي الحديث (الذي رواه الإمام أحمد والترمذي وصححه النسائي وابن ماجه من طريق عاصم بن أبي النجود، عن زرين حبش رضي الله عنه)
- (حسن) عن صفوان بن عسال، سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إِنَّ بِالْمَغْرِبِ بَابًا مَفْتُوحًا لِلتَّوْبَةِ مَسِيرَتُهُ سَبْعُونَ سَنَةً لَا يُغْلَقُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا نَحْوَهُ".^(١)
- قال ابن كثير: فهذه الأحاديث المتواترة مع الآية الكريمة دليل على أن من أحدث إيمانا وتوبة بعد طلوع الشمس من مغربها لا تقبل منه، وإنما كان كذلك - والله أعلم -؛ لأن ذلك من أشرط الساعات وعلاماتها الدالة على اقترابها ودنوها، فعومل ذلك الوقت معاملة يوم القيامة؛ كما قال تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨]، وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾ [غافر: ٨٤-٨٥]، وقال تعالى: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرُهُمْ﴾ [محمد: ١٨]. انتهى.
- وقال أيضا في "تفسيره": "﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: إذا أنشأ الكافر إيمانا يومئذ؛ لا يقبل منه، فأما من كان مؤمنا قبل ذلك؛ فإن كان مصلحا في عمله؛ فهو بخير عظيم، وإن لم يكن مصلحا، فأحدث توبة حينئذ؛ لم تقبل منه توبته؛ كما دلت عليه الأحاديث الكثيرة، وعليه يحمل قوله تعالى: ﴿أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾؛ أي: لا يقبل منه كسب عمل صالح إذا لم يكن عاملا به قبل ذلك". انتهى. وقال البغوي: "﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ﴾؛ أي: لا ينفعهم الإيمان عند ظهور الآية التي تضطرهم إلى الإيمان. ﴿أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾؛ يريد: لا يقبل إيمان كافر ولا توبة فاسق". انتهى.

(١) - أخرجه ابن خزيمة في "صحيحه" (٣٠٠ / ١) برقم: (١٩٣) (كتاب الوضوء، باب الدليل على أن لا يس أحد الخفين قبل غسل كلا الرجلين غير جائز له المسح على الخفين) (بهذا اللفظ)، وابن حبان في "صحيحه" (٢٨٥ / ١) برقم: (٨٥) (كتاب العلم، ذكر بسط الملائكة أجنحتها لطلبة العلم رضا بصنيعهم ذلك) (بمثله مختصرا)، والضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة"، (٣٢ / ٨) برقم: (٢٤) (من اسمه صفوان، صفوان بن عسال المرادي) (بمثله). وقال: "إسناده حسن"، والترمذي في «سنن الترمذي» (٥٤٦ / ٥ ت شاكر): برقم «٣٥٣٦» وقال: "حسن صحيح" وأحمد في "مسنده" (٤١٠٧ / ٨) برقم: (١٨٣٧٩) (أول مسند الكوفيين رضي الله عنهم، حديث صفوان بن عسال المرادي رضي الله عنه) (بنحوه). قال الأرئوط في «مسند أحمد» (١٧ / ٣٠) ط الرسالة: «حديث المسح على الخفين منه صحيح لغيره وهذا إسناده حسن من أجل عاصم، ومعمّر - وهو ابن راشد، وإن كان في حديثه عن عاصم اضطراب - قد توبع كما سلف، وهو ببقية رجال الإسناد ثقات» وحسنه الألباني في «صحيح الجامع الصغير وزيادته» (٧٧١ / ٢): برقم «٤١٩١».

● وقال القرطبي في "تفسيره": "قال العلماء: وإنما لا ينفع نفسا إيمانها عند طلوعها من مغربها ؛ لأنه خلص إلى قلوبهم من الفزع ما تخدم معه كل شهوة من شهوات النفس وتفتت كل قوة من قوى البدن ، فيصير الناس كلهم- لإيقانهم بدنو القيامة- في حال من حضره الموت ، في انقطاع الدواعي إلى أنواع المعاصي عنهم ، وبطلانها في أبدانهم ؛ فمن تاب في مثل هذه الحال ؛ لم تقبل توبته ؛ كما لا تقبل توبة من حضره الموت.

■ (حسن) وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : "إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُغْرَغِرْ".^(١) ؛ أي: تبلغ روحه رأس حلقه، وذلك وقت المعاينة الذي يُرى فيه مقعده من الجنة أو مقعده من النار؛ فالمشاهد لطلوع الشمس من مغربها مثله "أهـ.

(١) - أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (٢ / ٣٩٤) برقم: (٦٢٨) (كتاب الرقائق ، ذكر تفضل الله جل وعلا على التائب بقبول توبته كلما أناب ما لم يغرغر حالة المنية به) (بهذا اللفظ) والضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" (١٣ / ١٥٠) برقم: (٢٤٠) (مسند عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي ، جبير بن نفير الحضرمي أبو عبد الرحمن الحمصي عن ابن عمر) (بمثله.) ، والحاكم في "مستدركه" (٤ / ٢٥٧) برقم: (٧٧٥٤) (كتاب التوبة والإنابة ، إن الله يغفر لعبده ما لم يغرغر) (بمثله مطولاً.) ، والترمذي في "جامعه" (٥ / ٥٠٧) برقم: (٣٥٣٧) (أبواب الدعوات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . ، باب) (بمثله.) وقال : "حسن غريب" ، (وأحمد في "مسنده" (٣ / ١٣٠٦) برقم: (٦٢٦٩) (مسند عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، ، باب) (بمثله.) . قال الأرناؤوط في «مسند أحمد» (١٠ / ٣٠٠ ط الرسالة): «إسناده حسن من أجل ابن ثوبان، وهو عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان الغنسي الدمشقي، وبقيّة رجاله ثقات» . وحسنه الألباني في «صحيح الجامع الصغير وزيادته» (١ / ٣٨٦): برقم «١٩٠٣»

○ العلامة التاسعة : خروج الدابة .

- قال ابن حجر في فتح الباري (١١ / ٣٥٣): "قال الحاكم أبو عبد الله: الذي يظهر أن طلوع الشمس يسبق خروج الدابة، ثم تخرج الدابة في ذلك اليوم، أو الذي يقرب منه. قلت: والحكمة من ذلك أنه عند طلوع الشمس من المغرب يغلق باب التوبة ، فتخرج الدابة تميز المؤمن من الكافر، تكميلاً للمقصود من إغلاق باب التوبة"

■ «الدابة لغة: كل ما دب على الأرض. والمراد بها هنا الدابة التي يُخرجها الله قرب قيام الساعة، وخروجها ثابت بالقرآن والسنة.

■ أما الكتاب : فقد ذكر الله خروج الدابة في :

- قوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل: ٨٢] .

- قال الإمام ابن كثير في "النهاية": "قال ابن عباس والحسن وقتادة: (تكلمهم)؛ أي: تخاطبهم مخاطبة، ورجح ابن جرير تخاطبهم؛ تقول لهم: ﴿أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾، وحكاه عن علي وعطاء". قال ابن كثير: "في هذا نظر". ثم قال: "وعن ابن عباس: "تكلمهم": تجرحهم؛ بمعنى: تكتب على جبين الكافر كافر، وعلى جبين المؤمن مؤمن، وعنه: تخاطبهم وتجرحهم، وهذا القول ينتظم المذهبين، وهو قوي حسن جامع لهما. والله أعلم".

- وقال أيضا في "تفسيره": "هذه الدابة تخرج في آخر الزمان عند فساد الناس، وتركهم أوامر الله، وتبديلهم الدين الحق؛ يخرج الله لهم دابة من الأرض؛ قيل: من مكة، وقيل: من غيرها، فتكلم الناس". وقال القرطبي في "تفسيره": "قوله تعالى: ﴿وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ : اختلف في معنى (وقع القول) وفي الدابة؛ فقيل: معنى (وقع القول عليهم): وجب الغضب عليهم. قاله قتادة. وقال مجاهد: أي: حق القول عليهم بأنهم لا يؤمنون. وقال ابن عمر وأبو سعيد الخدري رضي الله عنهما: إذا لم يأمر بالمعروف وينهوا عن المنكر؛ وجب السخط عليهم. وقال عبد الله بن مسعود: **وقع القول يكون بموت العلماء وذهاب العلم ورفع القرآن**. قال عبد الله: أكثروا تلاوة القرآن قبل أن يرفع. قالوا: هذه المصاحف ترفع؛ فكيف بما في صدور الرجال؟! قال يسرى عليه ليلا فيصبحون منه قفرا ، وينسون لا إله إلا الله ، ويقعون في قول الجاهلية وأشعارهم ، وذلك حين يقع القول عليهم ، ثم ذكر أقوالا أخرى في معنى وقع القول عليهم، ثم قال: "قلت: وجميع الأقوال عند التأمل ترجع إلى معنى واحد ، والدليل عليه آخر الآية: ﴿أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ ، وقرئ: (أن الناس)؛ بفتح الهمزة.

● وأما السنة فقد جاءت أحاديث منها:

- **في صحيح مسلم عن أبي هريرة** رضي الله عنه : قال رسول الله ﷺ : "ثلاث إذا خرجن؛ لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا طلوع الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض" ^(١).
 - **وفي صحيح مسلم عن حذيفة بن أسيد الغفاري** رضي الله عنه : قال: "أطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر فقال: مَا تَذَكَّرُونَ؟ قَالُوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ. قَالَ: إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ. فَذَكَرَ الدُّخَانَ، وَالدَّجَالَ، وَالدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ: خَسْفٌ بِالشَّرْقِ، وَخَسْفٌ بِالمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَآخِرُ ذَلِكَ: نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ" ^(٢).
 - **ومسلم من حديث العلاء عن أبيه عن أبي هريرة** رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال: "بادروا بالأعمال ستا طلوع الشمس من مغربها، والدجال، والدابة" الحديث ^(٣).
 - **وفي مسلم عن أبي هريرة** رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال "بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا: الدَّجَالُ، وَالدُّخَانُ، وَدَابَّةُ الْأَرْضِ، وَطُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَأَمْرُ الْعَامَّةِ، وَخُوصِيصَةُ أَحَدِكُمْ، **وفي لفظ لمسلم** "خاصة أحدكم". ^(٤) (العامة الساعة ، والخاصة الموت)
 - **وفي مسلم: عن عبد الله بن عمرو** رضي الله عنهما : قال: حفظت من رسول الله ﷺ حديثا لم أنسه بعد، سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى؛ فأيهما كانت قبل صاحبتها؛ فالأخرى على أثرها قريبا" ^(٥).
 - **(ضعيف) عَنِ ابْنِ عُمَرَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، أَنَّهُ قَالَ : أَلَا أُرِيكُمْ الْمَكَانَ الَّذِي قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : إِنَّ دَابَّةَ الْأَرْضِ تَخْرُجُ مِنْهُ ، فَضَرْبَ بَعْصَاهُ الشَّقِّ الَّذِي فِي الصَّفَا ، فَقَالَ : وَإِنَّهَا ذَاتُ رِيشٍ وَرَعَبٍ ، وَإِنَّهُ يَخْرُجُ
-
- (١) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (١ / ٩٥) برقم: (١٥٨) (كتاب الإيمان ، باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان) (بهذا اللفظ)
- (٢) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ١٧٨) برقم: (٢٩٠١) (كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب في الآيات التي تكون قبل الساعة) (بهذا اللفظ)
- (٣) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ٢٠٧) برقم: (٢٩٤٧) (كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب في بقية من أحاديث الدجال) (بهذا اللفظ)
- (٤) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ٢٠٧) برقم: (٢٩٤٧) (كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب في بقية من أحاديث الدجال) (بهذا اللفظ)
- (٥) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ٢٠٢) برقم: (٢٩٤١) (كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب في خروج الدجال ومكثه في الأرض ونزول عيسى وقتله إياه) (بهذا اللفظ)

ثُمَّ حَضَرَ الْفَرَسِ الْجَوَادِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَثَلَاثَ لَيَالٍ ، وَإِنَّهَا لَتَمُرُّ عَلَيْهِمْ ، وَإِنَّهُمْ لَيَفِرُّونَ مِنْهَا إِلَى الْمَسَاجِدِ ، فَتَقُولُ لَهُمْ : أَتَرُونَ الْمَسَاجِدَ تُنَجِّيْكُمْ مِنِّي ؟ فَتَخْطُمُهُمْ ، فَيُسَاقُونَ فِي الْأَسْوَاقِ ، وَيَقُولُونَ : يَا مُؤْمِنُ ! يَا كَافِرُ ! (١)

■ (صحيح موقوف) . عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ ، قَالَ : كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ حُذَيْفَةَ فَذَكَرَتِ الدَّابَّةُ ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ عليه السلام : إِنَّهَا تَخْرُجُ ثَلَاثَ خَرَجَاتٍ فِي بَعْضِ الْبُوَادِي ، ثُمَّ تَكْمُنُ ، ثُمَّ تَخْرُجُ فِي بَعْضِ الْقُرَى حَتَّى يُدْعَرُوهُ حَتَّى تُهْرِيْقَ فِيهَا الْأُمَرَاءَ الدِّمَاءَ ، ثُمَّ تَكْمُنُ ، قَالَ : فَبَيْنَمَا النَّاسُ عِنْدَ أَكْثَرِ الْمَسَاجِدِ وَأَفْضَلِهَا وَأَشْرَفِهَا - حَتَّى قُلْنَا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ ، وَمَا سَمَاهُ - إِذِ ارْتَفَعَتِ الْأَرْضُ وَهَرَبَ النَّاسُ ، وَبَقِيَ عَامَّةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَقُولُونَ : إِنَّهُ لَنْ يُنَجِّينَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ شَيْءٌ ، فَتَخْرُجُ فَتَجْلُو وَجُوهَهُمْ حَتَّى تَجْعَلَهَا كَالْكَوَاكِبِ الدُّرِّيَّةِ ، وَتَتْبَعَ النَّاسَ ، حَيْرَانٌ فِي الرِّبَاعِ شُرَكَاءُ فِي الْأَمْوَالِ وَأَصْحَابٌ فِي الْإِسْلَامِ (٢)

■ (صحيح) عَنْ أَبِي أَمَامَةَ عليه السلام يَرْفَعُهُ إِلَى النَّبِيِّ عليه السلام قَالَ : تَخْرُجُ الدَّابَّةُ ، فَتَسِمُ النَّاسَ عَلَى خَرَاطِيمِهِمْ ، ثُمَّ يَعْمُرُونَ فِيكُمْ حَتَّى يَشْتَرِيَ الرَّجُلُ الْبَعِيرَ ، فَيَقُولُ مِمَّنِ اشْتَرَيْتُهُ ، فَيَقُولُ اشْتَرَيْتُهُ مِنْ أَحَدِ الْمُخْطَمِينَ وَقَالَ يُونُسُ : يَعْنِي ابْنَ مُحَمَّدٍ ثُمَّ يُعَمَّرُونَ فِيكُمْ وَلَمْ يَشْكُ قَالَ : فَرَفَعَهُ (٣)

(١) - أخرجه أبو يعلى في "مسنده" (٦٧ / ١٠) برقم: (٥٧٠٣) (مسند عبد الله بن عمر ، (بمثله.) ، وأورده ابن حجر في "المطالب العالية" (٣٥٩ / ١٨) برقم: (٤٤٨٨) (كتاب الفتوح ، باب الآيات التي قبل قيام الساعة كالدابة وطلوع الشمس من مغربها) (بهذا اللفظ) فروى هذا الحديث عبد الله بن عمر بن الخطاب ، وابن عمر . قال في «المطالب العالية محققا» (٣٥٩ / ١٨) : «ضعيف بهذا الإسناد، فيه ليث بن أبي سليم، وهو ضعيف كما تقدم في ترجمته. وذكره الهيثمي في المجمع (٦ / ٨) ، وقال: "رواه أبو يعلى وفيه ليث بن أبي سليم وهو مدلس، وبغية رجاله ثقات". وذكره البوصيري في الإتحاف (٣ / ١٣٠) ، وعزاه لأبي يعلى، وسكت عليه»

(٢) - قال في «المطالب العالية محققا» (٣٥٦ / ١٨) : «والحديث روى موقوفاً على حذيفة بن أسيد بإسناد صحيح: أخرجه الحاكم في المستدرک (٤ / ٤٨٤ - ٤٨٥) ... قلت: هذا الإسناد رواه ثقات، وصححه الحاكم على شرط الشيخين وأقره الذهبي، وعليه فإن هذا الطريق صحيح، وهو موقوف على حذيفة بن أسيد عليه السلام ، وله حكم الرفع إلى النبي ﷺ لأنه إخبار عن أمر غيبي، لا مجال للرأي فيه»

(٣) - أخرجه أحمد في «مسند أحمد» (٣٦ / ٦٤٦ ط الرسالة): برقم «٢٢٣٠٨» . قال الأرنؤوط في «مسند أحمد» (٣٦ / ٦٤٧ ط الرسالة): «إسناده صحيح، عمر بن عبد الرحمن بن عطية، روى عنه جمع ووثقه علي ابن المديني كما في "سؤالات" محمد بن أبي شبيب (١١٤) ، وابن حبان في "الثقات"، وباقي رجاله ثقات رجال الشيخين. عبد العزيز: هو ابن عبد الله ابن أبي سلمة الماجشون. وأخرجه البخاري في "التاريخ الكبير" ١٧٢/٦ ، وأبو نعيم في "أخبار أصبهان" ١٢٤/٢ من طريق عبد الله بن صالح، والبخاري في "الجدليات" (٣٠٢٧) عن بشر بن الوليد، كلاهما عن عبد العزيز الماجشون، بهذا الإسناد مرفوعاً دون شك. قال الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها» (١ / ٦٣٩): برقم ٣٢٢ : «قلت: وهذا إسناد صحيح رجاله كلهم ثقات معروفون غير عمر هذا، فقد ترجمه ابن أبي حاتم، فقال (٣ / ١ / ١٢١) : " روي عن أبي أمامة، وأبيه، روى عنه مالك وعبيد الله العمري وقريش ابن حيان وعبد العزيز بن أبي سلمة ". ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً. ولكن رواية مالك عنه تعديل له، فقد قال ابن معين: " كل من روى عنه مالك فهو ثقة إلا عبد الكريم ". وكذلك قال ابن حبان. » وصححه في «صحيح الجامع الصغير وزيدته» (١ / ٥٦٤): برقم «٢٩٢٧» .

■ **(ضعيف) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ :** " تَخْرُجُ الدَّابَّةُ وَمَعَهَا عَصَى مُوسَى ، وَخَاتَمُ سُلَيْمَانَ ، فَتَجْلُو وَجْهَ الْمُؤْمِنِ بِالْعَصَى ، وَتَخْطُمُ أَنْفَ الْكَافِرِ بِالْخَاتَمِ ، حَتَّى إِنَّ أَهْلَ الْخَوَانِ يَجْتَمِعُونَ فَيَقُولُونَ لِهَذَا : يَا مُؤْمِنُ ، وَيَقُولُونَ لِهَذَا : يَا كَافِرُ . "(١)

وعمل هذه الدابة كما جاءت به الأحاديث أنها تسم الناس المؤمن والكافر: فأما المؤمن؛ فيرى وجهه كأنه كوكب دري، ويكتب بين عينيه: مؤمن. وأما الكافر؛ فتنتكت بين عينيه نكتة سوداء، ويكتب بين عينيه: كافر. وفي رواية: فتلقى المؤمن فتسمه في وجهه نكتة فيبيض لها وجهه، وتسم الكافر نكتة سوداء يسود لها وجهه، ويشترك الناس في الأموال، ويصطحبون في الأمصار، يعرف المؤمن الكافر وبالعكس، حتى إن المؤمن يقول للكافر: يا كافر! اقضني حقي.

● وأما صفتها فقال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي في "تفسيره": "وهذه الدابة المشهورة التي تخرج في آخر الزمان وتكون من أشراط الساعة كما تكاثرت بذلك الأحاديث، ولم يذكر الله ولا رسوله كيفية هذه الدابة، وإنما ذكر أثرها المقصود منها، وأنها من آيات الله، تكلم الناس كلاما خارقا للعادة حين يقع القول على الناس وحين يمترون بآيات الله، فتكون حجة وبرهانا للمؤمنين وحجة على المعاندين..." انتهى.

● قال ابن كثير: "أي: أول الآيات التي ليست مألوفة، وإن كان الدجال ونزول عيسى عليه السلام من السماء قبل ذلك، وكذلك خروج يأجوج ومأجوج؛ فكل ذلك أمور مألوفة؛ لأنهم بشر، مشاهدتهم وأمثالهم مألوفة، فأما خروج الدابة على شكل غير مألوف ومخاطبتها الناس ووسمها إياهم بالإيمان والكفر؛ فأمر خارج عن مجاري العادات، وذلك أول الآيات الأرضية؛ كما أن طلوع الشمس من مغربها على خلاف عاداتها المألوفة أول الآيات السماوية". انتهى.

(١) - أخرجه الحاكم في "مستدركه" (٤ / ٤٨٥) برقم: (٨٥٨٨) (كتاب الفتن والملاحم، تخرج الدابة ومعها عصى موسى وخاتم سليمان) (بهذا اللفظ)، والترمذي في "جامعه" (٥ / ٢٤٩) برقم: (٣١٨٧) (أبواب تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم)، باب ومن سورة النمل (بمثله). وقال: "حسن"، وابن ماجه في "سننه" (٥ / ١٨٥) برقم: (٤٠٦٦) (أبواب الفتن، باب دابة الأرض) (بمثله). وأحمد في "مسنده" (٢ / ١٦٦٨) برقم: (٨٠٥٢) (مسند أبي هريرة رضي الله عنه)، (بمثله). قال الأرئوط في «سنن ابن ماجه» (٥ / ١٨٥) (ت الأرئوط): «إسناده ضعيف لضعف علي بن زيد - وهو ابن جُدعان - وجهالة شيخه أوس بن خالد. وأخرجه الترمذي (٣٤٦٤) من طريق حماد بن سلمة، بهذا الإسناد. وقال: حديث حسن! وهو في "مسند أحمد" (٧٩٣٧)». وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع الصغير وزيادته» (ص ٣٥٦): برقم «٢٤١٣»، وفي «سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة» (٣ / ٢٣٣): برقم «١١٠٨».

- **وقد أنكر بعض المعاصرين خروج هذه الدابة** ، واستبعدوا ذلك، وبعضهم يؤولونها بتأويلات فارغة، وليس لهم حجة في ذلك سوى أن عقولهم لا تتحمل ذلك. والواجب على المؤمن التصديق والتسليم لما جاء عن الله ورسوله ؛ لأن هذا من الإيمان بالغيب الذي مدح الله به المؤمنين. هذا ونسأل الله الهداية والتوفيق لمعرفة الحق والعمل به.

○ **العلامة العاشرة: النار التي تحشر الناس إلى أرض الشام .**

○ **مسألة: هل هي بعد نفخة البعث؟**

● قال الإمام ابن كثير في "النهاية ":

■ **"ثبت في "الصحيحين" عن أبي هريرة رضي الله عنه ؛ قال: قال رسول الله ﷺ: "يحشر الناس على ثلاث طرائق راغبين وراهيين، واثنان على بعير، وثلاثة على بعير، وعشرة على بعير، وتحشر بقيتهم النار؛ تقيل معهم حيث قالوا، وتبيت معهم حيث باتوا، وتصبح معهم حيث أصبحوا، وتمسي معهم حيث أمسوا"، ولفظ مسلم "يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى ثَلَاثِ طَرَائِقَ: رَاغِبِينَ رَاهِبِينَ، وَاثْنَانِ عَلَى بَعِيرٍ، وَثَلَاثَةٌ عَلَى بَعِيرٍ، وَأَرْبَعَةٌ عَلَى بَعِيرٍ، وَعَشْرَةٌ عَلَى بَعِيرٍ، وَتَحْشَرُ بَقِيَّتَهُمُ النَّارُ، تَبِيتُ مَعَهُمْ حَيْثُ بَاتُوا، وَتَقِيلُ مَعَهُمْ حَيْثُ قَالُوا، وَتُصْبِحُ مَعَهُمْ حَيْثُ أَصْبَحُوا، وَتُمْسِي مَعَهُمْ حَيْثُ أَمْسَوْا". (١) . ثم ساق الأحاديث في هذا المعنى ، ثم قال: "فهذه السياقات تدل على أن هذا الحشر هو حشر الموجودين في آخر الدنيا من أقطار الأرض إلى محلة ، وهي أرض الشام ، وأنهم يكونون على أصناف ثلاثة ؛ فصنف طاعمين كاسين وراكبين ، وقسم يمشون تارة ويركبون تارة أخرى ، وهم يعتقبون على البعير الواحد-كما تقدم في "الصحيحين"- اثنان على بعير وثلاثة على بعير...". إلى أن قال: "وعشرة على بعير يعتقبونه من قلة الظهر؛ كما تقدم في الحديث ، وكما جاء مفسرا في الآخر: "وتحشر بقيتهم النار"، وهي التي تخرج من قعر عدن ، فتحيط بالناس من ورائهم ؛ تسوقهم من كل جانب إلى أرض المحشر، ومن تخلف منهم أكلته النار. وهذا كله مما يدل على أن هذا في آخر الزمان ؛ حيث الأكل والشرب والركوب على الظهر المشتري وغيره ، وحيث تهلك المتخلفين منهم النار، ولو كان هذا بعد نفخة البعث ؛ لم يبق موت ولا ظهريشترى ولا أكل ولا شرب". انتهى.**

● وقد جاءت أحاديث تدل على أنه في آخر الزمان تخرج نار من قعر عدن تسوق الناس إلى المحشر. منها:

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٨ / ١٠٩) برقم: (٦٥٢٢) (كتاب الرقاق ، باب كيف الحشر) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (٨ / ١٥٧) برقم: (٢٨٦١) (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة) (بمثله).

■ **(صحيح) ومنها حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما؛ قال: "قال رسول الله ﷺ ستخرج نار من حضرموت (أو من نحو بحر حضرموت) قبل يوم القيامة تحشر الناس قالوا يا رسول الله! فما تأمرنا؟ قال عليكم بالشام" (١).**

● قال السفاريني: "اختلف العلماء في حشر الناس من المشرق إلى المغرب؛ هل هو يوم القيامة أو قبله، فقال القرطبي والخطابي وصوبه القاضي عياض: إن هذا الحشري يكون قبل يوم القيامة. وأما الحشر من القبور؛ فهو على ما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا:

■ **كما في "الصحيحين" وغيرهما: "عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَحْشَرُونَ حُفَاةَ عُرَاءَ غُرْلًا ثُمَّ قَرَأَ ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ فَأَوَّلُ مَنْ يُكْسَى إِبْرَاهِيمُ ثُمَّ يُؤْخَذُ بِرِجَالٍ مِنْ أَصْحَابِي ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ فَأَقُولُ أَصْحَابِي فَيَقَالُ إِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مُنْذُ فَارَقْتَهُمْ فَأَقُولُ كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﴿ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ ذَكَرَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَنْ قَبِيصَةَ قَالَ هُمُ الْمُرْتَدُّونَ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى عَهْدِ أَبِي بَكْرٍ فَقَاتَلَهُمْ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. " (٢).**

إلى أن قال: "وانتصر القاضي عياض لقول الخطابي والقرطبي بأن حديث أبي هريرة رضي الله عنه: "تقبل معهم... وتبيت... وتصبح... وتسمي": يؤيد أن الحشر في الدنيا إلى الشام؛ **لأن هذه الأوصاف مختصة بالدنيا**." وقال أيضا: "ذكر القرطبي في "تذكرته": أن الحشر أربع: حشران في الدنيا، وحشران في الآخرة". فاللذان في الدنيا: المذكور في سورة الحشر، وهو حشر اليهود إلى الشام، ثم الحشر في آخر الزمان.

(١) - أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (١٦ / ٢٩٤) برقم: (٧٣٠٥) (كتاب إخباره صلى الله عليه وسلم عن مناقب الصحابة رجالهم ونسائهم بذكر أسمائهم رضوان الله عليهم أجمعين، ذكر الأمر بسكون الشام في آخر الزمان إذ هي مركز الأنبياء) (بنحوه). والترمذي في "جامعه" (٤ / ٧٥) برقم: (٢٢١٧) (أبواب الفتن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من قبل الحجاز) (بهذا اللفظ)، وقال: "حسن صحيح غريب" وأحمد في "مسنده" (٣ / ١٠٤٢) برقم: (٤٦٢٤) (مسند عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، (بنحوه)، (٣ / ١١٤١) برقم: (٥٢٤١) (مسند عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، (بمثله). قال الأرئوط في «مسند أحمد» (٩ / ٢٧٦ ط الرسالة): «إسناده صحيح على شرط الشيخين». وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير وزيادته» (١ / ٦٧٥): برقم «٣٦٠٩»

(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٤ / ١٦٨) برقم: (٣٤٤٧) (كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله واذكر في الكتاب مريم) (بهذا اللفظ)، ومسلم في "صحيحه" (٨ / ١٥٧) برقم: (٢٨٦٠) (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة) (بنحوه مطولا).

- **(ضعيف) وفي حديث ابن عمر** رضي الله عنهم مرفوعا: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " تَبِعْتُ نَارًا عَلَى أَهْلِ الْمَشْرِقِ فَتَحْشَرُهُمْ إِلَى الْمَغْرِبِ تَبِيتُ مَعَهُمْ حَيْثُ بَاتُوا ، وَتَقِيلُ مَعَهُمْ حَيْثُ قَالُوا ، يَكُونُ لَهَا مَا سَقَطَ مِنْهُمْ وَتَخْلَفُ ، تَسُوقُهُمْ سَوْقَ الْجَمَلِ الْكَبِيرِ " (١).
- **(ضعيف) وعن ابن عباس** رضي الله عنهما قال: من شك أن المحشر هاهنا يعني الشام فليقرأ أول سورة الحشر، قال لهم رسول الله ﷺ "اخرجوا" قالوا: إلى أين؟ قال "إلى أرض المحشر" (٢). ثم أجلي آخرهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه من جزيرة العرب ، والحشر الثاني المذكور في أشرار الساعة؛ نار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب. كما في حديث أنس وعبد الله بن سلام.

- **وفي البخاري عن أنس** رضي الله عنه قَالَ بَلَغَ عَبْدَ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ مَقْدَمُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ فَأَتَاهُ فَقَالَ إِنِّي سَأَلْتُكَ عَنْ ثَلَاثٍ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا نَبِيٌّ أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ وَمَا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ وَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ يَنْزِعُ الْوَلَدُ إِلَى أَبِيهِ وَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ يَنْزِعُ إِلَى أَخَوَالِهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَبَرَنِي بِهِنَّ أَنْفَا جِبْرِيلُ قَالَ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ ذَاكَ عَدُوُّ الْيَهُودِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ فَنَارُ تَحْشَرُ النَّاسَ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ وَأَمَّا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَزِيَادَةُ كَبِدِ حُوتٍ وَأَمَّا الشَّيْبَةُ فِي الْوَلَدِ فَإِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَشِيَ الْمَرْأَةَ فَسَبَقَهَا مَاؤُهُ كَانَ الشَّيْبَةُ لَهُ وَإِذَا سَبَقَ مَاؤُهَا كَانَ الشَّيْبَةُ لَهَا قَالَ أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ ثُمَّ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ الْيَهُودَ قَوْمٌ هُبْتُ إِنْ عَلِمُوا بِإِسْلَامِي قَبْلَ أَنْ تَسْأَلَهُمْ يَهْتُونِي عِنْدَكَ فَجَاءَتِ الْيَهُودُ وَدَخَلَ عَبْدُ اللَّهِ الْيَتِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَيُّ رَجُلٍ فِيكُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ قَالُوا : أَعْلَمْنَا وَابْنُ أَعْلَمْنَا وَأَخِيرُنَا وَابْنُ أَخِيرِنَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ عَبْدُ اللَّهِ قَالُوا : أَعَادَهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ فَخَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ إِلَيْهِمْ فَقَالَ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ فَقَالُوا : شَرُّنَا وَابْنُ شَرِّنَا وَوَقَعُوا فِيهِ . (٣)

(١) - أخرجه الحاكم في "مستدرکه" (٤ / ٥٤٨) برقم: (٣٨٧٤) (كتاب الفتن والملاحم ، إذا وقعت الملاحم خرج بعث من الموالى هم أكرم العرب) (بهذا اللفظ) وصححه ووافقه الذهبي ، والطبراني في "الكبير" والطبراني في "الأوسط" (٨ / ٩٩) برقم: (٨٠٩٢) (باب الميم ، موسى بن هارون) (بمثله) . ضعفه الألباني في «سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة» (١٤ / ٩٧٤): برقم «٦٩١٥»

(٢) - قال في «أنيس الساري (تخريج أحاديث فتح الباري)» (١ / ٢٠٩): «عن ابن عباس قال: من شك أن المحشر هاهنا يعني الشام فليقرأ أول سورة الحشر، قال لهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - "اخرجوا" قالوا: إلى أين؟ قال "إلى أرض المحشر" . قال المحقق: "أخرجه البزار (كشف ٣٤٢٦) وابن أبي حاتم في "تفسيره" كما في "تفسير ابن كثير" (٤ / ٣٣٢) وابن عدي (٣ / ١٢٢١) من طريق سفيان بن عيينة عن أبي سعد البقالي عن عكرمة عن ابن عباس به. وإسناده ضعيف لضعف أبي سعد سعيد بن المزربان البقالي " .

(٣) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٤ / ١٣٢) برقم: (٣٣٢٩) (كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قول الله تعالى وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة) (بهذا اللفظ)

■ **وفي مسلم عَنْ أَبِي سَرِيحَةَ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ فِي غُرْفَةٍ وَنَحْنُ أَسْفَلَ مِنْهُ ، فَاطَّلَعَ إِلَيْنَا فَقَالَ : مَا تَذْكُرُونَ ؟ قُلْنَا : السَّاعَةَ . قَالَ : إِنَّ السَّاعَةَ لَا تَكُونُ حَتَّى تَكُونَ عَشْرُ آيَاتٍ : خَسْفٌ بِالشَّرْقِ ، وَخَسْفٌ بِالمَغْرِبِ ، وَخَسْفٌ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ ، وَالدُّخَانُ ، وَالدَّجَالُ ، وَدَابَّةُ الْأَرْضِ ، وَيَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ ، وَطُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا ، وَنَارٌ تَخْرُجُ مِنْ قُعْرَةِ عَدْنٍ تَرْحَلُ النَّاسَ قَالَ شُعْبَةُ وَحَدَّثَنِي عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ رُفَيْعٍ ، عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ ، عَنْ أَبِي سَرِيحَةَ مِثْلَ ذَلِكَ ، لَا يَذْكُرُ النَّبِيُّ ﷺ . وَقَالَ أَحَدُهُمَا فِي الْعَاشِرَةِ : نُزُولُ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﷺ . وَقَالَ الْآخَرُ : وَرِيحٌ تُلْقِي النَّاسَ فِي الْبَحْرِ ."^(١)**

● **قال ابن حجر في «فتح الباري لابن حجر» (١٣ / ٨٢): «قُلْتُ وَلَفْظُهُ عِنْدَ مُسْلِمٍ فِي بَعْضِ طُرُقِهِ: "اطَّلَعَ النَّبِيُّ ﷺ وَنَحْنُ نَتَذَكَّرُ فَقَالَ مَا تَذَاكُرُونَ قَالُوا نَذْكُرُ السَّاعَةَ قَالَ إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْا قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ فَذَكَرَ الدُّخَانَ وَالدَّجَالَ وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا وَنُزُولَ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ خَسْفٌ بِالشَّرْقِ وَخَسْفٌ بِالمَغْرِبِ وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ فَتَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ"^(٢) قُلْتُ وَهَذَا فِي الظَّاهِرِ يُعَارِضُ حَدِيثَ أَنَسٍ الْمُشَارِ إِلَيْهِ فِي أَوَّلِ الْبَابِ فَإِنَّ فِيهِ أَنَّ أَوَّلَ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ نَارٌ تَحْشُرُهُمْ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ وَفِي هَذَا أَنَّهَا آخِرُ الْأَشْرَاطِ وَيَجْمَعُ بَيْنَهُمَا بِأَنَّ آخِرِيَّتَهَا بِاعْتِبَارِ مَا ذُكِرَ مَعَهَا مِنَ الْآيَاتِ وَأَوَّلِيَّتَهَا بِاعْتِبَارِ أَنَّهَا أَوَّلُ الْآيَاتِ الَّتِي لَا شَيْءَ بَعْدَهَا مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا أَصْلًا بَلْ يَقَعُ بِانْتِهَائِهَا النَّفْخُ فِي الصُّورِ بِخِلَافِ مَا ذُكِرَ مَعَهَا فَإِنَّهُ يَبْقَى بَعْدَ كُلِّ آيَةٍ مِنْهَا أَشْيَاءٌ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا»**

● **وقال ابن حجر: "وقد أشكل الجمع بين هذه الاخبار وظهر لي في وجه الجمع أن كونها تخرج من قعر عدن ، لا ينافي حشرها الناس من المشرق إلى المغرب ؛ وذلك أن ابتداء خروجها من قعر عدن ، فإذا خرجت انتشرت في الأرض كلها . والمراد بقوله تحشر الناس من المشرق إلى المغرب : إرادة تعميم الحشر ، لا خصوص المشرق والمغرب ، أو انها بعد ، الانتشار أول ما تحشر أهل المشرق ، ويؤيد ذلك : أن ابتداء الفتن دائما من المشرق كما سيأتي تقريره في كتاب الفتن ، وأما جعل الغاية إلى المغرب ؛ فلأن الشام بالنسبة إلى المشرق مغرب ، ويحتمل أن تكون النار في حديث أنس كناية عن الفتن المنتشرة التي أثارت الشر العظيم والتهبت كما تلهب النار ، وكان ابتداؤها من قبل المشرق حتى خرب معظمه ، وانحشر**

(١) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ١٧٨) برقم: (٢٩٠١) (كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب في الآيات التي تكون قبل الساعة) ، (٨ / ١٧٩) برقم: (٢٩٠١) (كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب في الآيات التي تكون قبل الساعة) (بهذا اللفظ)

(٢) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ١٧٨) برقم: (٢٩٠١) (كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب في الآيات التي تكون قبل الساعة) (بهذا اللفظ)

الناس من جهة المشرق إلى الشام ومصر ، وهما من جهة المغرب كما شوهد ذلك مرارا من المغول من عهد جنكيزخان ومن بعده ، والنار التي في الحديث الآخر على حقيقتها والله اعلم"

○ **مسألة: الفرق بين النار التي تحشر الناس ، والنار التي تضيء أعناق الإبل بصرى.**

■ **أما حديث أبي هريرة** رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال: قال: لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَخْرُجَ نَارٌ مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ ، تُضِيءُ أَعْنَاقَ الْإِبِلِ بِبُصْرَى . ^(١) قال النووي: "جعلها القاضي عياض حاشرة قال: ولعلهما ناران يجتمعان لحشر الناس. قال: أو يكون ابتداء خروجها من اليمن ويكون ظهورها وكثرة قوتها بالحجاز هذا كلام القاضي. وليس في الحديث أن نار الحجاز متعلقة بالحشر ، بل هي آية من أشراط الساعة مستقلة ، **وقد خرجت في زماننا نار بالمدينة سنة أربع وخمسين وستمائة** وكانت نارا عظيمة جدا ، من جنب المدينة الشرقي ، وراء الحرة ، تواتر العلم بها عند جميع الشام ، وسائر البلدان. وأخبرني من حضرها من أهل المدينة .

● وقال ابن حجر في الفتح: "قوله عن الزهري قال سعيد بن المسيب في رواية أبي نعيم في المستخرج عن سعيد بن المسيب قوله: حتى تخرج نار من أرض الحجاز. قال القرطبي في التذكرة: قد خرجت نار بالحجاز بالمدينة ، وكان بدؤها زلزلة عظيمة في ليلة الأربعاء بعد العتمة ، الثالث من جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستمائة ، واستمرت إلى ضحى النهار يوم الجمعة فسكنت ، وظهرت النار بقريظة بطرف الحرة ، ترى في صورة البلد العظيم ، عليها سور محيط عليه شرايف وابراج ومآذن ، وترى رجال يقودونها لا تمر على جبل الا دكته وأذابته ، ويخرج من مجموع ذلك مثل النهر أحمر وأزرق له دوي كدوي الرعد ، يأخذ الصخور بين يديه ، وينتهى إلى محط الركب العراقي ، واجتمع من ذلك ردم صار كالجبل العظيم ، فانتهدت النار إلى قرب المدينة ، ومع ذلك فكان يأتي المدينة نسيم بارد ، وشوهد لهذه النار غليان كغليان البحر . وقال لي بعض أصحابنا: رأيتهما صاعدة في الهواء من نحو خمسة أيام ، وسمعت انها رثيت من مكة ، ومن جبال بصرى . وقال النووي: تواتر العلم بخروج هذه النار عند جميع أهل الشام ، وقال أبو شامة في ذيل الروضتين: وردت في أوائل شعبان سنة أربع وخمسين كتب من المدينة الشريفة ، فيها شرح أمر عظيم حدث بها ، فيه تصديق لما في الصحيحين فذكر هذا الحديث قال فأخبرني بعض من أثق به ممن شاهدها انه بلغه انه كتب بتيماء على ضوءها الكتب فمن الكتب ، فذكر نحو ما تقدم ، ومن ذلك: أن في بعض الكتب ظهر في أول جمعة من جمادى الآخرة في شرقي

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٩ / ٥٨) برقم: (٧١١٨) (كتاب الفتن ، باب خروج النار) (بهذا اللفظ) ومسلم في "صحيحه" (٨ / ١٨٠) برقم: (٢٩٠٢) (كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز) (بلفظه).

المدينة نار عظيمة ، بينها وبين المدينة نصف يوم ، انفجرت من الأرض ، وسال منها واد من نار حتى حاذى جبل أحد ، وفي كتاب آخر: انبجست الأرض من الحرة بنار عظيمة ، يكون قدرها مثل مسجد المدينة ، وهي برأي العين من المدينة ، وسال منها واد يكون مقداره أربع فراسخ ، وعرضه أربع أميال يجري على وجه الأرض ، ويخرج منه مهاد ، وجبال صغار. وفي كتاب آخر: ظهر ضوءها إلى ان رأوها من مكة. قال: ولا أقدر أصف عظمها ، ولها دوي. قال أبو شامة: ونظم الناس في هذا أشعارا ، ودام أمرها أشهراً ، ثم خمدت. والذي ظهر لي أن النار المذكورة في حديث الباب ، هي التي ظهرت بنواحي المدينة ، كما فهمه القرطبي وغيره وأما النار التي تحشر الناس فنار أخرى".

○ مسألة: تقوم الساعة على شرار الخلق.

- **حديث النواس بن سميان** رضي الله عنه في صحيح مسلم عن النبي ﷺ فذكر الحديث وفيه: "فَبَيَّنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ رِيحًا طَيِّبَةً ، فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ آبَائِهِمْ فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ ، وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الْحُمُرِ ، فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ ." (١)
- **وفي صحيح مسلم عن أَبِي هُرَيْرَةَ** رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ رِيحًا مِنَ الْيَمَنِ أَلَيْنَ مِنَ الْحَرِيرِ ، فَلَا تَدْعُ أَحَدًا فِي قَلْبِهِ - قَالَ أَبُو عَلْقَمَةَ : مِثْقَالُ حَبَّةٍ ، وَقَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ : مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيْمَانٍ - إِلَّا قَبَضَتْهُ ." (٢)
- **وفي لفظ لمسلم:** " : تَقِيءُ الْأَرْضُ أَفْلَازَ كَبِدِهَا أَمْثَالَ الْأُسْطُوَانِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ، فَيَجِيءُ الْقَاتِلُ ، فَيَقُولُ: فِي هَذَا قَتَلْتُ ، وَيَجِيءُ الْقَاطِعُ ، فَيَقُولُ: فِي هَذَا قَطَعْتُ رَجُلِي ، وَيَجِيءُ السَّارِقُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قُطِعَتْ يَدِي ، ثُمَّ يَدْعُوْنَهُ فَلَا يَأْخُذُونَ مِنْهُ شَيْئًا . ." (٣)
- **وفي صحيح مسلم عن عَائِشَةَ** رضي الله عنها قالت : " سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : لَا يَذْهَبُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ حَتَّى تُعْبَدَ اللَّاتُ وَالْعُزَّى . فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنْ كُنْتُ لِأُظَنُّ حِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ أَنْ ذَلِكَ تَأْمًا . قَالَ : إِنَّهُ سَيَكُونُ مِنْ ذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ رِيحًا طَيِّبَةً فَتَوَفِّي كُلَّ مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ خَرَدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ ، فَيَبْقَى مَنْ لَا خَيْرَ فِيهِ ، فَيَرْجِعُونَ إِلَى دِينِ آبَائِهِمْ . ." (٤)
- **وفي صحيح مسلم عن يَعْقُوبَ بْنِ عَاصِمٍ** بْنِ عُرْوَةَ بْنِ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيِّ يَقُولُ : " سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو وَجَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ : مَا هَذَا الْحَدِيثُ الَّذِي تُحَدِّثُ بِهِ ؟ تَقُولُ : إِنَّ السَّاعَةَ تَقُومُ إِلَى كَذَا وَكَذَا ؟ فَقَالَ : سُبْحَانَ اللَّهِ ، أَوْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهُمَا ، لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ لَا أُحَدِّثَ أَحَدًا شَيْئًا أَبَدًا ، إِنَّمَا قُلْتُ : إِنَّكُمْ سَتَرُونَ بَعْدَ قَلِيلٍ أَمْرًا عَظِيمًا يُحَرِّقُ الْبَيْتَ وَيَكُونُ وَيَكُونُ . ثُمَّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : يَخْرُجُ

(١) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ١٩٧) برقم: (٢٩٣٧) (كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب ذكر الدجال وصفته وما معه) (بهذا اللفظ)

(٢) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (١ / ٧٦) برقم: (١١٧) (كتاب الإيمان ، باب في الريح التي تكون قرب القيامة تقبض من في قلبه شيء من الإيمان) (بهذا اللفظ)

(٣) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٣ / ٨٤) برقم: (١٠١٣) (كتاب الزكاة ، باب الترغيب في الصدقة قبل أن لا يوجد من يقبلها) (بهذا اللفظ)

(٤) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ١٨٢) برقم: (٢٩٠٧) (كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب لا تقوم الساعة حتى تعبد دوس ذا الخلصة) (بهذا اللفظ)

الدَّجَالُ فِي أُمَّتِي فَيَمُكُّثُ أَرْبَعِينَ ، (لَا أَدْرِي أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، أَوْ أَرْبَعِينَ شَهْرًا ، أَوْ أَرْبَعِينَ عَامًا) . فَيَبْعَثُ اللَّهُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ كَأَنَّهُ عُرْوَةٌ بَنُ مَسْعُودٍ فَيَطْلُبُهُ فَمَهْلِكُهُ ، ثُمَّ يَمُكُّثُ النَّاسُ سَبْعَ سِنِينَ لَيْسَ بَيْنَ اثْنَيْنِ عَدَاوَةٌ ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ رِيحًا بَارِدَةً مِنْ قِبَلِ الشَّامِ ، فَلَا يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ أَوْ إِيْمَانٍ إِلَّا قَبَضَتْهُ ، حَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ دَخَلَ فِي كَبِدِ جَبَلٍ لَدَخَلَتْهُ عَلَيْهِ حَتَّى تَقْبِضَهُ . قَالَ : سَمِعْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . قَالَ : فَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ فِي خِفَّةِ الطَّيْرِ وَأَحْلَامِ السَّبَاعِ ، لَا يَعْرِفُونَ مَعْرُوفًا ، وَلَا يُنْكِرُونَ مُنْكَرًا ، فَيَتَمَثَّلُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ فَيَقُولُ : أَلَا تَسْتَجِيبُونَ ؟ فَيَقُولُونَ : فَمَا تَأْمُرُنَا ؟ فَيَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ ، وَهُمْ فِي ذَلِكَ دَارٌ رِزْقُهُمْ ، حَسَنٌ عَيْشُهُمْ ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَلَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا أَصْغَى لَيْتًا وَرَفَعَ لَيْتًا . قَالَ : وَأَوَّلُ مَنْ يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يَلُوطُ حَوْضَ إِبِلِهِ ، قَالَ : فَيَصْعَقُ وَيَصْعَقُ النَّاسُ ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ ، (أَوْ قَالَ : يُنْزِلُ اللَّهُ) مَطَرًا كَأَنَّهُ الطَّلُّ أَوْ الْحِلُّ - نُعْمَانُ الشَّالُ - فَتَنْبُتُ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ، ثُمَّ يُقَالُ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، هَلُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ﴾ قَالَ : ثُمَّ يُقَالُ : أَخْرِجُوا بَعَثَ النَّارِ . فَيُقَالُ : مِنْ كَمْ ؟ فَيُقَالُ : مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعِمِائَةٍ وَتِسْعَةٌ وَتِسْعِينَ . قَالَ : فَذَلِكَ يَوْمٌ ﴿ يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴾ وَذَلِكَ ﴿ يَوْمٌ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ ﴾ .^(١)

(١) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ٢٠١) برقم: (٢٩٤٠) (كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب في خروج الدجال ومكثه في الأرض ونزول عيسى وقتله إياه) (بهذا اللفظ)

○ **مسألة:** وجه الجمع بين قوله ﷺ (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين ...) ، مع قوله: (لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق)

■ **جاء في البخاري عن معاوية** رضي الله عنه يَقُولُ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ "وَلَنْ تَزَالَ هَذِهِ الْأُمَّةُ قَائِمَةً عَلَى أَمْرِ اللَّهِ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ" ^(١)

■ **وفي لفظ لمسلم** "لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةً بِأَمْرِ اللَّهِ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ" ^(٢)

■ **وفي لفظ له عنه** "وَلَا تَزَالُ عِصَابَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ نَاوَاهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ" ^(٣)

■ **وفي مسلم عبد الله بن عمرو بن العاص** فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: "لَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا عَلَى شِرَارِ الْخَلْقِ ، هُمْ شَرُّ مَنْ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ ، لَا يَدْعُونَ اللَّهَ بِشَيْءٍ إِلَّا رَدَّهُ عَلَيْهِمْ ، فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ ، أَقْبَلَ عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ ، فَقَالَ لَهُ مَسْلَمَةٌ: يَا عُقْبَةُ ، اسْمَعْ مَا يَقُولُ عَبْدُ اللَّهِ ، فَقَالَ عُقْبَةُ: هُوَ أَعْلَمُ ، وَأَمَّا أَنَا فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: لَا تَزَالُ عِصَابَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ قَاهِرِينَ لِعَدُوِّهِمْ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ ، حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ . فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : أَجَلٌ ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ رِيحًا كَرِيحِ الْمِسْكِ مَسْهَا مَسَّ الْحَرِيرِ ، فَلَا تَرُكُ نَفْسًا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَّا قَبَضَتْهُ ، ثُمَّ يَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ عَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ ." ^(٤)

■ **وفي مسلم عن أنس** رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُقَالَ فِي الْأَرْضِ: اللَّهُ اللَّهُ" ^(٥)

■ **وفي مسلم عن عبد الله بن مسعود** رضي الله عنه ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "لَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا عَلَى شِرَارِ الْخَلْقِ" ^(٦)

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ٢٥) برقم: (٧١) (كتاب العلم ، باب من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين) (بهذا اللفظ).

(٢) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٦ / ٥٣) برقم: (١٠٣٧) (كتاب الإمارة ، باب قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ) (بنحوه).

(٣) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٦ / ٥٣) برقم: (١٠٣٧) (كتاب الإمارة ، باب قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ) (بهذا اللفظ)

(٤) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٦ / ٥٤) برقم: (١٩٢٤) (كتاب الإمارة ، باب قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ) (بهذا اللفظ)

(٥) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (١ / ٩١) برقم: (١٤٨) (كتاب الإيمان ، باب ذهاب الإيمان آخر الزمان) (بهذا اللفظ)

(٦) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ٢٠٨) برقم: (٢٩٤٩) (كتاب الفتن وأشرار الساعة ، باب قرب الساعة) (بهذا اللفظ)

○ بيان وجه الإشكال: (١)

أن حديث: (لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أمر الله قاهرين لعدوهم لا يضرهم من خالفهم حتى تأتهم الساعة وهم على ذلك)، يدل على بقاء من يقوم بالحق إلى قيام الساعة، بينما نجد الظاهر من حديث ابن مسعود: (لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق) وما في معناه: أنه لا يبقى عند قيام الساعة أحد من المؤمنين، فضلاً عن القائم بالحق. **ولذا قال الطبري:** "إن أنت قلت: بتصحيح جميع ذلك، قلنا لك: ما وجه صحته وبعضه يبطل معنى بعض، وبعضه يحيل صحة بعض، لتدافع معانيه، وتناقض مخارجه؟". والحق أن جميع ما تقدم من الأحاديث صحيح ثابت، لا مطعن في صحته وثبوته، وليس في بعض هذه الأحاديث ما يبطل معنى بعض، وسبيل الجمع بينها واضح بَيِّن بحمد الله،

- وقد اختلف أهل العلم في طريقة الجمع بين هذه الأحاديث على أقوال منها:
- **القول الأول:** أن هذه الطائفة المذكورة في الحديث: (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين ...)، تستمر على هذه الصفة التي وصفت بها في الحديث إلى أن يقبض الله أرواحهم بالريح اللينة التي تكون قرب قيام الساعة -كما ثبت ذلك في حديث عبد الله بن عمرو وغيره- ثم بعد ذلك يبقى شرار الخلق، وعليهم تقوم الساعة. وعلى هذا يكون المراد بقوله -ﷺ: (حتى يأتهم أمر الله) أي: هبوب تلك الريح اللينة التي لا تدع مؤمناً إلا قبضته. **وأما رواية: (إلى يوم القيامة)، و(حتى تقوم الساعة)، فالمراد بها: قربها، وظهور أشراتها.** وإلى هذا ذهب القاضي عياض، وأبو العباس القرطبي، وأبو عبد الله القرطبي، والنووي، وابن حجر، والبرزنجي والسفاري، وسليمان بن عبد الله، وغيرهم، وذكره ابن الجوزي وجهاً من أوجه الجمع.

- قال النووي بعد ذكره لحديث أنس رضي الله عنه: (لا تقوم الساعة حتى لا يُقال في الأرض: الله الله)، وحديث ابن مسعود رضي الله عنه: (لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق) قال: "وأما الحديث الآخر: (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق إلى يوم القيامة) فليس مخالفاً لهذه الأحاديث، لأن معنى هذا: أنهم لا يزالون على الحق حتى تقبضهم هذه الريح اللينة قرب القيامة، وعند تظاهر أشراتها، فأطلق في هذا الحديث بقاءهم إلى قيام الساعة على أشراتها ودنوها المتناهي في القرب، والله أعلم".

(١) - نقلته بتصريف يسير من كتاب «أحاديث العقيدة التي يوهم ظاهرها التعارض في الصحيحين دراسة وترجيح» للدكتور محمد بن سليمان الديخي.

- وقال ابن حجر بعد ذكره لحديث أنس المتقدم: "والجمع بينه وبين حديث: (لا تزال طائفة): حمل الغاية في حديث: (لا تزال طائفة) على وقت هبوب الريح الطيبة التي تقبض روح كل مؤمن ومسلم، فلا يبقى إلا الشرار، فتهجم الساعة عليهم بغتة".
- **القول الثاني:** أن الساعة كما أنها تقوم على الأشرار فهي تقوم أيضًا على الأخيار، بدليل قوله ﷺ: (لا تزال طائفة من أمتي ...)،
- **الترجيح :** الحق أن الجمع بين هذه النصوص قد جاء صريحًا في المحاوراة التي جرت بين عبد الله بن عمرو وعقبة بن عامر -رضي الله عنهما- في الحديث المتقدم في أول المسألة -وهو ما قال به: أصحاب القول الأول- وفيه قول عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: (أجل، ثم يبعث الله ريحًا كريح المسك، مسها مس الحرير، فلا تترك نفسًا في قلبه مثقال حبة من الإيمان إلا قبضته، ثم يبقى شرار الناس عليهم تقوم الساعة)، فهذا الحديث قاطع للنزاع، مزيل للإشكال، وذلك أن الطائفة التي لا تزال على الحق ظاهرة، تستمر كذلك إلى حين قرب قيام الساعة، عندما يرسل الله تعالى تلك الريح الباردة الطيبة التي لا تدع مؤمنًا إلا قبضته، حتى إذا خلت الأرض من الأخيار ولم يبق فيها إلا الأشرار قامت عليهم الساعة. قال ابن حجر بعد سياقه هذه القصة: "هذا أولى ما يتمسك به في الجمع بين الحديثين المذكورين".
- **وفي معنى حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما حديث النواس بن سمعان** ﷺ المتقدم وفيه "فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحًا طيبة، فتأخذهم تحت آبائهم، فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم، ويبقى شرار الناس يتهارجون تهارج الحُمُر، فعليهم تقوم الساعة".
- وكذلك حديث عائشة -رضي الله عنها- المتقدم وفيه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى)، فقلت: يا رسول الله إن كنت لأظن حين أنزل الله: {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ} (٣٣) [التوبة: ٣٣] أن ذلك تائمًا، قال: "إنه سيكون من ذلك ما شاء الله، ثم يبعث الله ريحًا طيبة، فتوفِّي كل من في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان، فيبقى من لا خير فيه، فيرجعون إلى دين آبائهم"،
- قال القرطبي: "هذا غاية في البيان في كيفية انقراض هذا الخلق وهذه الأزمان، فلا تقوم الساعة وفي الأرض من يعرف الله، ولا من يقول: الله الله"
- وعلى هذا، يكون المراد بقوله: (ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة)، و(على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة) أي: قرب ذلك.

❖ الفرع الثالث : القيامة الكبرى: يوم البعث وهو إحياء الله تعالى الموتى.

وفيه تمهيد وأحد عشرة مسألة:

○ تمهيد .

أنكر المشركون والملاحدة البعث بناء على عقولهم ، والله عز وجل قد ذكر أدلة عقلية على البعث منها : أن الذي خلقهم أول مرة قادر على أن يعيدهم كما كانوا؟ ، وضرب لهم مثلاً في أنك ترى الأرض يابسة قاحلة ، ثم ينزل الله عليها المطر، ففي أيام قليلة تهتز بالنبات. أليس الذي يحيي الأرض بعد موتها بقادر على أن يعيد خلق الإنسان؟ فهذا شيء معقول وشيء محسوس.

■ ولأن الله عز وجل لو لم يبعث الناس ويجازيهم لكان خلقه عبثاً، والله سبحانه وتعالى منزّه عن العبث .

■ ولأن الفساد والمظالم تقع في الدنيا وأكثر الحقوق لا تستوفي ، فهل يليق بحكمة الله أن يذهب ذلك كله سدى ؟ وفي بيان هذا المعنى جاءت آيات كثيرة منها:

■ ماجاء في قوله تعالى : ﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ۝٧٧ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۝٧٨ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ۝٧٩ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِّنْهُ تُوقَدُونَ ۝٨٠ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ۝٨١ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٧٧-٨٢]

■ وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الروم: ٢٧]

■ وقوله تعالى : ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ۝٣٦ أَلَمْ يَكْ نُطْفَةٍ مِنْ مَّيِّ يَمْنَىٰ ۝٣٧ ثُمَّ كَانَ عِلْقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٣٨ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ۝٣٩ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَن يَحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾ [القيامة: ٣٦-٤٠]

■ وقوله تعالى : ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ۝١١٥ فَتَعَالَىٰ اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٥-١١٦]

- وقوله تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ (٢٧) أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿﴾ [ص: ٢٧-٢٨]
- وقوله تعالى : ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ (٣٥) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿﴾ (٣٦) أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿﴾ (٣٧) إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿﴾ (٣٨) أَمْ لَكُمْ أَيْمَنٌ عَلَيْنَا بَلِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿﴾ [القلم: ٣٥-٣٩]
- وقوله تعالى : ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ [إبراهيم: ٤٢]

○ المسألة الأولى: النفخ في الصور والصعق .

- قال الشيخ ابن عثيمين في «تعليق مختصر على لمعة الاعتقاد للعثيمين» (ص ١١٤): «النفخ معروف. والصور لغة: القرن. وشرعاً: قرن عظيم التقمه إسرافيل ينتظر متى يؤمر بنفخه ، وإسرافيل أحد الملائكة الكرام الذين يحملون العرش. وهما نفختان إحداهما: نفخة الفزع ينفخ فيه فيفزع الناس ويصعقون إلا من شاء الله ، والثانية نفخة البعث ينفخ فيه فيبعثون ويقومون من قبورهم. **وقد دل على النفخ في الصور الكتاب والسنة وإجماع الأمة:**

- فمن الكتاب : قوله تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴾ [الزمر: ٦٨]. وقوله تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴾ [يس: ٥١].

● ومن السنة:

- **في صحيح مسلم عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال:** قال رسول الله ﷺ: "ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحدٌ إلا أصغى ليتا ورفع ليتا ثم لا يبقى أحدٌ إلا صعق، ثم ينزل الله مطراً كأنه الطل أو الظل - شك الراوي- فتنبت منه أجساد الناس ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون" ^(١). **والمعنى:** (أن كل من يسمع نفخة الصور فإنه يصغي جانباً من عنقه للسقوط على الأرض ، ويرفع الجانب الآخر لاستماع النفخة ، وهو كناية عن سقوط رأسه على أحد الشقين بسبب الصعقة التي تأخذه عند ذلك فلا تمهله)

- **(صحيح) وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال:** قال رسول الله ﷺ: كَيْفَ أَنْعَمَ وَصَاحِبُ الصُّورِ قَدِ اتَّقَمَ الْقُرْنُ ، وَحَتَّى جَهَّتْهُ يَنْتَظِرُ مَتَى يُؤْمَرُ أَنْ يَنْفُخَ ؟ قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَمَا نَقُولُ يَوْمَئِذٍ ؟ قَالَ : قُولُوا : حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ" ^(٢).

(١) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ٢٠١) برقم: (٢٩٤٠) (كتاب الفتن وأشرط الساعة ، باب في خروج الدجال ومكثه في الأرض ونزول عيسى وقتله إياه) (بهذا اللفظ)

(٢) - أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (٣ / ١٠٥) برقم: (٨٢٣) (كتاب الرقائق ، ذكر الأمر لمن انتظر النفخ في الصور أن يقول حسبنا الله ونعم الوكيل) (بهذا اللفظ) ، والترمذي في "جامعه" (٤ / ٢٢٦) برقم: (٢٤٣١) (أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، باب ما جاء في شأن الصور) (بنحوه) . وقال : "حسن" قال الأرناؤوط في «الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان» (٣ / ١٠٥) :
«إسناده صحيح على شرط الشيخين» . وصححه الألباني في «صحيح موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان» (٢ / ٥٠٧) : برقم «٢١٨٠»

- **(صحيح) وعن عبد الله بن عمرو بن العاص** رضي الله عنهما قال: "جاء أعرابي إلى النبي ﷺ ، فقال ما الصور؟ قال قرن ينفخ فيه" (١)

● وقد اتفقت الأمة على ثبوت ذلك .

● وقال السفاريني: "واعلم أن النفخ في الصور ثلاث نفخات:

- **نفخة الفزع:** وهي التي يتغير بها هذا العالم ويفسد نظامه، وهي المشار إليها في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ﴾ [ص: ١٥] أي: من رجوع ومرد. وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوَّهٍ دَاخِرِينَ﴾ [النمل: ٨٧] فسر الزمخشري في "كشافه" المستثنى في هذه الآية بمن ثبت الله قلبه من الملائكة، وهم: جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت. وقيل غير ذلك. وإنما يحصل الفزع بشدة ما يقع من هول تلك النفخة... إلى أن قال: " **النفخة الثانية: نفخة الصعق**، وفيها هلاك كل شيء؛ قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨] ، وقد فسر الصعق بالموت...".

- **ثم قال: "النفخة الثالثة:** نفخة البعث والنشور، وقد جاء في الكتاب العزيز آيات تدل عليها وأخبار تشير إليها؛ كقوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾ [يس: ٥١] وقوله: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨] ، وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ [المدثر: ٨-١٠] ، وقوله تعالى: ﴿وَأَسْمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿١١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾ [ق: ٤١-٤٢]

- **قال المفسرون:** المنادي هو إسرافيل عليه السلام، ينفخ في الصور وينادي: أيتها العظام البالية والأوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة! إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء.

(١) - أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (١٦ / ٣٠٣) برقم: (٧٣١٢) (كتاب إخباره صلى الله عليه وسلم عن مناقب الصحابة رجالهم ونسائهم بذكر أسمائهم رضوان الله عليهم أجمعين ، ذكر الإخبار عن وصف الصور الذي ينفخ فيه يوم القيامة) (بمثله مطولا). والحاكم في "مستدركه" (٢ / ٤٣٦) برقم: (٣٦٥٢) (كتاب التفسير ، الصور قرن ينفخ فيه) (بمثله مطولا). وصححه ووافقه الذهبي ، (والنسائي في "الكبرى" (١٠ / ١٦٦) برقم: (١١٢٥٠) (كتاب التفسير ، قوله تعالى ونفخ في الصور) (بمثله) ، وأبو داود في "سننه" (٤ / ٣٧٨) برقم: (٤٧٤٢) (كتاب السنة ، باب ذكر البعث والصور) (بهذا اللفظ) والترمذي في "جامعه" (٤ / ٢٢٦) برقم: (٢٤٣٠) (أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. ، باب ما جاء في شأن الصور) (بمثله) وقال : "حسن" . قال الأرئوط في «مسند أحمد» (١١ / ٥٣ ط الرسالة): «إسناده صحيح، رجاله ثقات. إسماعيل: هو ابن غلبة، وسليمان التيمي: هو ابن طرخان» . وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير وزيادته» (٢ / ٧١٨): برقم «٣٨٦٣»

وقيل: ينفخ إسرافيل وينادي جبريل. والمكان القريب: صخرة بيت المقدس. قال جماعة من المفسرين: وبين النفختين أربعون عاما. قال بعض العلماء: اتفقت الروايات على ذلك.

- قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: في «مجموع الفتاوى» (٤ / ٢٦٠): «والقرآن قد أخبر بثلاث نفخات: ١- نفخة الفزع ذكرها في سورة النمل في قوله: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوٍّ دَاخِرِينَ﴾ [النمل: ٨٧] ٢- ونفخة الصعق - ونفخة-القيام ذكرهما في سورة الزمر في قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨] وأما الاستثناء؛ فهو متناول لمن في الجنة من الحور العين؛ فإن الجنة ليس فيها موت، ومتناول لغيرهم، ولا يمكن الجزم بكل من استثناءه الله؛ فإن الله أطلق في كتابه.

■ **وقد ثبت فيهما عن أبي هريرة** رضي الله عنه قال: «استتب رجلا من المسلمين، ورجل من اليهود، قال المسلم: والذي اصطفى محمدا على العالمين، فقال اليهودي: والذي اصطفى موسى على العالمين، فرفع المسلم يده عند ذلك فلطم وجه اليهودي، فذهب اليهودي إلى النبي ﷺ، فأخبره بما كان من أمره وأمر المسلم، فدعا النبي ﷺ، فسأله عن ذلك فأخبره، فقال النبي ﷺ: لا تخيروني على موسى، فإن الناس يصعقون يوم القيامة، فأصعق معهم، فأكون أول من يفيق، فإذا موسى باطش جانب العرش، فلا أدري: أكان فيمن صعق فأفاق قبلي، أو كان ممن استثنى الله». ^(١) «وهذه الصعقة قد قيل إنها رابعة وقيل إنها من المذكورات في القرآن. وبكل حال: النبي ﷺ قد توقف في موسى وهل هو داخل في الاستثناء فيمن استثناه الله أم لا؟ فإذا كان النبي ﷺ لم يخبر بكل من استثنى الله: لم يمكننا نحن أن نجزم بذلك وصار هذا مثل العلم بوقت الساعة وأعيان الأنبياء وأمثال ذلك مما لم يخبر به وهذا العلم لا ينال إلا بالخبر» اهـ، من كلام شيخ الإسلام.

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٣ / ١٢٠) برقم: (٢٤١١) (كتاب الأشخاص والخصومات، باب ما يذكر في الأشخاص والخصومة بين المسلم واليهود) (بهذا اللفظ)، ومسلم في "صحيحه" (٧ / ١٠١) برقم: (٢٣٧٣) (كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى صلى الله عليه وسلم) (بمثله).

● **مسألة:** قوله في الحديث (فأصعق معهم فأكون أول من يفيق)

● قال ابن حجر في «فتح الباري لابن حجر» (٦/ ٤٤٤): «قوله فَإِنَّ النَّاسَ يُصَعَّقُونَ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ فِي رِوَايَةِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ "فَإِنَّ النَّاسَ يُصَعَّقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَصْعَقُ مَعَهُمْ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ" لَمْ يُبَيَّنْ فِي رِوَايَةِ الزُّهْرِيِّ مِنَ الطَّرِيقَيْنِ مَحَلَّ الْإِفَاقَةِ مِنْ أَيِّ الصَّعَقَتَيْنِ ، وَوَقَعَ فِي رِوَايَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْفَضْلِ "فَإِنَّهُ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَيَصْعَقُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ بُعِثَ فَإِذَا مُوسَى أَخَذَ بِالْعَرْشِ فَلَا أَذْرِي أَحْوَسَبَ بِصَعَقَتِهِ يَوْمَ الطُّورِ أَمْ بُعِثَ قَبْلِي" ^(١) ، وَفِي رِوَايَةِ الْكُشَمِيرِيِّ "أَوَّلَ مَنْ يُبْعَثُ". وَالْمُرَادُ بِالصَّعَقِ غَشْيٌ يَلْحَقُ مَنْ سَمِعَ صَوْتًا أَوْ رَأَى شَيْئًا يُفَزِعُ مِنْهُ. وَهَذِهِ الرِّوَايَةُ ظَاهِرَةٌ فِي أَنَّ الْإِفَاقَةَ بَعْدَ النَّفْخَةِ الثَّانِيَةِ. وَأَصْرَحُ مِنْ ذَلِكَ رِوَايَةُ الشَّعْبِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي تَفْسِيرِ الزُّمَرِ بِلَفْظِ إِنِّي أَوَّلَ مَنْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ بَعْدَ النَّفْخَةِ الْأَخِيرَةِ.

وَأَمَّا مَا وَقَعَ فِي حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ "فَإِنَّ النَّاسَ يُصَعَّقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ تَنَشَّقُ عَنْهُ الْأَرْضُ" كَذَا وَقَعَ بِهَذَا اللَّفْظِ فِي كِتَابِ الْإِشْخَاصِ وَوَقَعَ فِي غَيْرِهَا "فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ" **وَقَدْ اسْتَشْكَلَ وَجَزَمَ الْمُرِّي** فِيمَا نَقَلَهُ عَنْهُ بَنُ الْقَيْمِ فِي كِتَابِ الرُّوحِ أَنَّ هَذَا اللَّفْظَ وَهُمْ مِنْ رَاوِيهِ وَأَنَّ الصَّوَابَ مَا وَقَعَ فِي رِوَايَةِ غَيْرِهِ "فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ" وَأَنَّ كَوْنَهُ ﷺ "أَوَّلَ مَنْ تَنَشَّقُ عَنْهُ الْأَرْضُ" صَحِيحٌ لَكِنَّهُ فِي حَدِيثِ آخَرَ لَيْسَ فِيهِ قِصَّةُ مُوسَى انْتَهَى. ^(٢)

وَيُمْكِنُ الْجَمْعُ بِأَنَّ النَّفْخَةَ الْأُولَى يَعْقِبُهَا الصَّعَقُ مِنْ جَمِيعِ الْخَلْقِ أَحْيَائِهِمْ وَأَمْوَاتِهِمْ وَهُوَ الْفَزَعُ كَمَا وَقَعَ فِي سُورَةِ النَّملِ فَفَزَعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ ، ثُمَّ يَعْقِبُ ذَلِكَ الْفَزَعُ لِلْمَوْتِ زِيَادَةً فِيمَا هُمْ فِيهِ ، وَلِلْأَحْيَاءِ مَوْتًا ، ثُمَّ يُنْفَخُ الثَّانِيَةِ لِلْبُعْثِ فَيُفِيقُونَ أَجْمَعِينَ ، فَمَنْ كَانَ مَقْبُورًا انْشَقَّتْ عَنْهُ الْأَرْضُ فَخَرَجَ مِنْ قَبْرِهِ ، وَمَنْ لَيْسَ بِمَقْبُورٍ لَا يَحْتَاجُ إِلَى ذَلِكَ .

وَقَدْ اسْتَشْكَلَ كَوْنُ جَمِيعِ الْخَلْقِ يُصَعَّقُونَ مَعَ أَنَّ الْمَوْتَى لَا إِحْسَاسَ لَهُمْ؟ فَقِيلَ: الْمُرَادُ أَنَّ الَّذِينَ يُصَعَّقُونَ هُمْ الْأَحْيَاءُ وَأَمَّا الْمَوْتَى فَهُمْ فِي الْإِسْتِئْنَاءِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ أَيْ إِلَّا مَنْ سَبَقَ لَهُ الْمَوْتُ قَبْلَ ذَلِكَ فَإِنَّهُ لَا يُصَعَّقُ وَإِلَى هَذَا جَنَحَ الْقُرْطُبِيُّ ، وَلَا يُعَارِضُهُ مَا وَرَدَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ "أَنَّ مُوسَى مِمَّنْ اسْتَنْثَى اللَّهُ" ؛ لِأَنَّ الْأَنْبِيَاءَ أَحْيَاءَ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنْ كَانُوا فِي صُورَةِ الْأَمْوَاتِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى أَهْلِ الدُّنْيَا ، وَقَدْ ثَبَتَ ذَلِكَ لِلشَّهْدَاءِ وَلَا شَكَّ

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٤ / ١٥٩) برقم: (٣٤١٤) (كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قول الله تعالى وإن يونس لمن المرسلين) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (٧ / ١٠٠) برقم: (٢٣٧٣) (كتاب الفضائل ، باب من فضائل موسى صلى الله عليه وسلم) (بنحوه مطولاً).

(٢) - قلت : جاء هذا اللفظ في قصة موسى ﷺ ونص ما جاء في البخاري : " لَا تَخَيَّرُوا بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ ، فَإِنَّ النَّاسَ يُصَعَّقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ تَنَشَّقُ عَنْهُ الْأَرْضُ ، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى أَخَذَ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ الْعَرْشِ ، فَلَا أَذْرِي أَكَانَ فِيمَنْ صَعَقَ ، أَمْ حَوْسَبَ بِصَعَقَةِ الْأُولَى " أخرجه البخاري في "صحيحه" (٣ / ١٢١) برقم: (٢٤١٢) (كتاب الإشخاص والخصومات ، باب ما يذكر في الإشخاص والخصومة بين المسلم واليهود) (بهذا اللفظ)

أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ أَرْفَعُ رُتَبَةً مِنَ الشُّهَدَاءِ ، وَوَرَدَ التَّصْرِيحُ بِأَنَّ الشُّهَدَاءَ مِمَّنِ اسْتَشْنَى اللَّهُ أَخْرَجَهُ إِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوِيَةَ وَأَبُو يَعْلَى مِنْ طَرِيقِ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ .

وَقَالَ عِيَّاضٌ يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ صَعْقَةً فَرَعَ بَعْدَ الْبُعْثِ حِينَ تَنْشَقُّ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ . وَتَعَقَّبَهُ الْقُرْطُبِيُّ : بِأَنَّهُ صَحَّ ﷺ بِأَنَّهُ حِينَ يَخْرُجُ مِنْ قَبْرِهِ يَلْقَى مُوسَى وَهُوَ مُتَعَلِّقٌ بِالْعَرْشِ ، وَهَذَا إِنَّمَا هُوَ عِنْدَ نَفْخَةِ الْبُعْثِ انْتَهَى . وَيَرُدُّهُ قَوْلُهُ صَرِيحًا كَمَا تَقَدَّمَ إِنَّ النَّاسَ يُصْعَقُونَ فَأُصْعَقُ مَعَهُمْ إِلَى آخِرِ مَا تَقَدَّمَ . قَالَ وَيُؤَيِّدُهُ أَنَّهُ عَبَّرَ بِقَوْلِهِ أَفَاقَ ؛ لِأَنَّهُ إِنَّمَا يُقَالُ أَفَاقَ مِنَ الْعُشِيِّ وَبُعِثَ مِنَ الْمَوْتِ وَكَذَا عَبَّرَ عَنْ صَعْقَةِ الطُّورِ بِالْإِفَاقَةِ ؛ لِأَنَّهَا لَمْ تَكُنْ مَوْتًا بِلَا شَكٍّ وَإِذَا تَقَرَّرَ ذَلِكَ كُلُّهُ ظَهَرَ صِحَّةُ الْحَمَلِ عَلَى أَنَّهَا غَشِيَةٌ تَحْصِلُ لِلنَّاسِ فِي الْمَوْقِفِ هَذَا حَاصِلُ كَلَامِهِ .

وَتَعَقَّبَهُ قَوْلُهُ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيْقُ لَمْ تَخْتَلِفِ الرِّوَايَاتُ فِي الصَّحِيحَيْنِ فِي إِطْلَاقِ الْأَوَّلِيَّةِ وَوَقَعَ فِي رِوَايَةِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ عِنْدَ أَحْمَدَ وَالنَّسَائِيِّ فَأَكُونُ فِي أَوَّلِ مَنْ يُفِيْقُ أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ عَنْ أَبِي كَامِلٍ وَالنَّسَائِيُّ مِنْ طَرِيقِ يُونُسَ بْنِ مُحَمَّدٍ كِلَاهُمَا عَنْ إِبْرَاهِيمَ فَعُرِفَ أَنَّ إِطْلَاقَ الْأَوَّلِيَّةِ فِي غَيْرِهَا مَحْمُولٌ عَلَيْهَا وَسَبَبُهُ التَّرَدُّدُ فِي مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ كَمَا سَيَأْتِي وَعَلَى هَذَا يُحْمَلُ سَائِرُ مَا وَرَدَ فِي هَذَا الْبَابِ كَحَدِيثِ أَنَسٍ عِنْدَ مُسْلِمٍ رَفَعَهُ أَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ^(١) وَحَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ عِنْدَ الطَّبْرَانِيِّ

وَزَعَمَ بَنُ الْقَيْمِ فِي كِتَابِ الرُّوحِ أَنَّ هَذِهِ الرِّوَايَةَ وَهُوَ قَوْلُهُ "أَكَانَ مِمَّنِ اسْتَشْنَى اللَّهُ" وَهُمْ مِنْ بَعْضِ الرُّوَاةِ وَالْمَحْفُوظُ أَوْ جُوزِي بِصَعْقَةِ الطُّورِ قَالَ ؛ لِأَنَّ الَّذِينَ اسْتَشْنَى اللَّهُ قَدْ مَاتُوا مِنْ صَعْقَةِ النَّفْخَةِ لَا مِنَ الصَّعْقَةِ الْأُخْرَى فَظَنَّ بَعْضُ الرُّوَاةِ أَنَّ هَذِهِ صَعْقَةُ النَّفْخَةِ وَأَنَّ مُوسَى دَاخِلٌ فِيْمَنْ اسْتَشْنَى اللَّهُ قَالَ وَهَذَا لَا يَلْتَمِزُ عَلَى سِيَاقِ الْحَدِيثِ ؛ فَإِنَّ الْإِقَامَةَ حِينَئِذٍ هِيَ إِفَاقَةُ الْبُعْثِ فَلَا يَحْسُنُ التَّرَدُّدُ فِيهَا وَأَمَّا الصَّعْقَةُ الْعَامَّةُ فَإِنَّهَا تَقَعُ إِذَا جَمَعَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى لِفَصْلِ الْقَضَاءِ فَيُصْعَقُ الْخَلْقُ حِينَئِذٍ جَمِيعًا إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَوَقَعَ التَّرَدُّدُ فِي مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ "وَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيْقُ" وَهَذَا ذَالٌّ عَلَى أَنَّهُ مِمَّنْ صُعِقَ ، وَتَرَدَّدَ فِي مُوسَى هَلْ صُعِقَ فَأَفَاقَ قَبْلَهُ أَمْ لَمْ يُصْعَقْ ؟ قَالَ : وَلَوْ كَانَ الْمُرَادُ الصَّعْقَةُ الْأُولَى لِلزِّمِّ أَنْ يَكُونَ النَّبِيُّ ﷺ جَزَمَ بِأَنَّهُ مَاتَ وَتَرَدَّدَ فِي مُوسَى هَلْ مَاتَ أَمْ لَا ، وَالْوَاقِعُ أَنَّ مُوسَى قَدْ كَانَ مَاتَ لِمَا تَقَدَّمَ مِنَ الْأَدِلَّةِ فَدَلَّ عَلَى أَنَّهَا صَعْقَةُ فَرَعَ لَا صَعْقَةُ مَوْتٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

تَكْمِيلُ " زَعَمَ بَنُ حَزْمٍ أَنَّ النَّفَخَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَرْبَعُ : الْأُولَى نَفْخَةُ إِمَاتَةِ يَمُوتُ فِيهَا مَنْ بَقِيَ حَيًّا فِي الْأَرْضِ ، وَالثَّانِيَةُ نَفْخَةُ إِحْيَاءِ يَقُومُ بِهَا كُلُّ مَيِّتٍ وَيُنْشَرُونَ مِنَ الْقُبُورِ وَيُجْمَعُونَ لِلْحِسَابِ ، وَالثَّالِثَةُ نَفْخَةُ فَرَعَ وَصُعْقِ

(١) - قلت : الذي جاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة ؓ "ينشق عنه القبر" ونص لفظه : "أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ، وأول من ينشق عنه القبر ، وأول شافع ، وأول مشفع". أخرجه مسلم في "صحيحه" (٧ / ٥٩) برقم : (٢٢٧٨) (كتاب الفضائل ، باب تفضيل نبينا صلى الله عليه وسلم على جميع الخلائق) (بهذا اللفظ) . وقد جاء عن أبي داود بلفظ "أنا سيد ولد آدم ، وأول من تنشق عنه الأرض ، وأول شافع وأول مشفع" . أخرجه أبو داود في "سننه" (٤ / ٣٥١) برقم : (٤٦٧٣) (كتاب السنة ، باب في التخيير بين الأنبياء عليهم السلام) . ولم أجده عن أنس ؓ

يُفِيْقُونَ مِنْهَا كَالْمُغْشَى عَلَيْهِ لَا يَمُوتُ مِنْهَا أَحَدٌ ، وَالرَّابِعَةُ نَفْخَةُ إِفَاقَةٍ مِنْ ذَلِكَ الْغُشَى . وَهَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ مِنْ كَوْنِ الثَّنَتَيْنِ أَرْبَعًا لَيْسَ بِوَاضِحٍ بَلْ هُمَا نَفْخَتَانِ فَقَطْ وَوَقَعَ التَّغَايُرُ فِي كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا بِاعْتِبَارٍ مِنْ يَسْتَمْعِيهَا فَالْأَوَّلُ يَمُوتُ بِهَا كُلُّ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيُغْشَى عَلَى مَنْ لَمْ يَمُتْ مِمَّنِ اسْتَثْنَى اللَّهُ وَالثَّانِيَةُ يَعِيشُ بِهَا مَنْ مَاتَ وَيُفِيْقُ بِهَا مَنْ غُشِيَ عَلَيْهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ . " اهـ من كلام ابن حجر رحمه الله .

○ مسألة : كم بين النفختين؟

■ **فيهما عن أبي هريرة** رضي الله عنه : " عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ ، قَالُوا: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ ، أَرْبَعُونَ يَوْمًا؟ قَالَ: أَيْتُ ، قَالَ: أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قَالَ: أَيْتُ ، قَالَ: أَرْبَعُونَ شَهْرًا؟ قَالَ: أَيْتُ . وَيَبْلَى كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الْإِنْسَانِ إِلَّا عَجَبَ ذَنْبِهِ ، فِيهِ يُرْكَبُ الْخَلْقُ " ، **ولفظ مسلم** " مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ . قَالُوا : يَا أَبَا هُرَيْرَةَ ، أَرْبَعُونَ يَوْمًا؟ قَالَ : أَيْتُ . قَالُوا : أَرْبَعُونَ شَهْرًا؟ قَالَ : أَيْتُ . قَالُوا : أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قَالَ : أَيْتُ . ثُمَّ يُنْزَلُ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الْبَقْلُ . قَالَ : وَلَيْسَ مِنَ الْإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يَبْلَى ، إِلَّا عَظْمًا وَاحِدًا وَهُوَ عَجَبُ الذَّنْبِ ، وَمِنْهُ يُرْكَبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . " ^(١) . قَالُوا: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ! أَرْبَعُونَ يَوْمًا؟ قَالَ: أَيْتُ . قَالُوا: أَرْبَعُونَ شَهْرًا؟ قَالَ: أَيْتُ . قَالُوا: أَرْبَعُونَ عَامًا؟ قَالَ: أَيْتُ... الحديث .

■ **وقول أبي هريرة** رضي الله عنه : " أَيْتُ " : فيه ثلاث تأويلات: أولها: امتنعت من بيان ذلك لكم . وقيل: أَيْتُ أسأل النبي ﷺ عن ذلك . وقيل: نسيت . وقيل: إن سر ذلك لا يعلمه إلا الله لأنه من أسرار الربوبية .

■ **(ضعيف) وفي حديث أبي هريرة** رضي الله عنه الطويل الذي رواه ابن جرير والطبراني وأبو يعلى في "مسنده" والبيهقي في "البعث" وأبي موسى المديني وغيرهم؛ قال: "حدثنا رسول الله ﷺ أن الله لما فرغ من خلق السماوات والأرض، خلق الصور، فأعطاه إسرافيل؛ فهو واضعه على فيه، شاخصا ببصره إلى العرش، ينتظر متى يؤمر قلت يا رسول الله وما الصور؟ قال القرن قلت أي شيء هو؟ قال عظيم، إن عظم دارة فيه كعرض السماء والأرض، فينفخ فيه ثلاث نفخات الأولى نفخة الفزع، والثانية نفخة الصعق، والثالثة نفخة القيام لرب العالمين، فيأمر الله إسرافيل بالنفخة الأولى، فيقول انفخ الفزع! فينفخ، فيفزع أهل السماء والأرض إلا من شاء الله، فيأمره فيمدها ويطيلها ولا يفتر، وهي التي يقول الله تعالى ﴿وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ﴾ فيسير الله الجبال، فتمر مر السحاب، فتكون سرابا، وترتج الأرض بأهلها رجا، فتكون كالسفينة الموقرة في البحر تضربها الأمواج، وكالقنديل

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٦ / ١٢٦) برقم: (٤٨١٤) (كتاب تفسير القرآن ، باب قوله ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (٨ / ٢١٠) برقم: (٢٩٥٥) (كتاب الفتن وأشرط الساعة ، باب ما بين النفختين) (بمثله مطولا).

المعلق بالعرش ترجحه الأرواح، وهي التي يقول الله ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ فتميل الأرض بالناس على ظهرها، فتذهل المراضع، وتضع الحوامل، وتشيب الولدان، وتطير الشياطين هاربة من الفرع حتى تأتي الأقطار، فتتلقاها الملائكة فتضرب وجوهها فترجع، ويولي الناس مدبرين ينادي بعضهم بعضا، وهو الذي يقول الله تعالى ﴿يَوْمَ التَّنَادِ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾ فبينما هم على ذلك؛ إذ تصدعت الأرض، فانصدعت من قطر إلى قطر، فأروا أمرا عظيما، ثم نظروا إلى السماء؛ فإذا هي كالملهل، ثم انشقت فانتثرت نجومها وانخسفت شمسها وقمرها قال رسول الله ﷺ الأموات يومئذ لا يعلمون بشيء من ذلك قلت يا رسول الله! من استثنى الله تعالى في قوله ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾؛ قال أولئك الشهداء وإنما يتصل الفرع إلى الأحياء وهم أحياء عند ربهم يرزقون، وقاهم الله فزع ذلك اليوم وأمنهم منه، وهو عذاب يبعثه الله على شرار خلقه، يقول الله ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُدْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾، فيمكثون في ذلك ما شاء الله ^(١) الحديث".

(١) - سبق تخريجه. قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء = المغني عن حمل الأسفار» (ص ١٨٩٨): قَالَ الْبُخَارِيُّ وَلَمْ يَصَحَّ وَفِي رِوَايَةِ أَبِي الشَّيْخِ «مَا طَرَفَ صَاحِبُ الصُّورِ مَذَّ وَكُلَّ بِهِ مُسْتَعِدٌّ يَنْظُرُ نَحْوَ الْعَرْشِ مَخَافَةً أَنْ يُؤْمَرَ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْهِ طَرَفُهُ كَأَنْ عَيْنَيْهِ كَوَكْبَانِ دِرْيَانٍ» وإسنادها جيد

○ المسألة الثانية : أرض المحشر.

- **فيهما:** "عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ ، كَقُرْصَةِ النَّقِيِّ ، لَيْسَ فِيهَا عِلْمٌ لِأَحَدٍ . " ، **ولفظ البخاري:** "يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ كَقُرْصَةِ نَقِيٍّ قَالَ سَهْلٌ أَوْ غَيْرُهُ : لَيْسَ فِيهَا مَعْلَمٌ لِأَحَدٍ . "(١)
- قال الشيخ ابن عثيمين في «تعليق مختصر على لمعة الاعتقاد للعثيمين» (ص ١١٦ فما بعدها): «وأجمع المسلمون على ثبوت الحشر يوم القيامة. ويحشر الناس حفاة لا نعال عليهم، عراة لا كسوة عليهم، غرلا لا ختان فيهم، لقوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] .
- **وفيما عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما** قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تُحْشَرُونَ حُفَاءَ عُرَاءَ غُرْلًا ثُمَّ قَرَأَ ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ فَأَوَّلُ مَنْ يُكْسَى إِبْرَاهِيمُ " الحديث. (٢)

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٨ / ١٠٩) برقم: (٦٥٢١) (كتاب الرقاق ، باب يقبض الله الأرض يوم القيامة) (بنحوه مختصرا). ومسلم في "صحيحه" (٨ / ١٢٧) برقم: (٢٧٩٠) (كتاب صفة القيامة والجنة والنار ، باب في البعث والنشور وصفة الأرض يوم القيامة) (بهذا اللفظ).

(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٤ / ١٦٨) برقم: (٣٤٤٧) (كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قول الله واذكر في الكتاب مريم) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (٨ / ١٥٧) برقم: (٢٨٦٠) (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة) (بنحوه مطولا).

■ (حسن) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَقِيلٍ ، أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ : بَلَغَنِي حَدِيثٌ عَنْ رَجُلٍ سَمِعَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَاشْتَرَيْتُ بَعِيرًا ، ثُمَّ شَدَدْتُ عَلَيْهِ رَحْلِي ، فَسَرْتُ إِلَيْهِ شَهْرًا حَتَّى قَدِمْتُ عَلَيْهِ الشَّامَ ، فَإِذَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَنَيْسٍ فَقُلْتُ لِلْبَوَّابِ : قُلْ لَهُ : جَابِرٌ عَلَى الْبَابِ . فَقَالَ : ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ ، فَخَرَجَ يَطَأُ ثَوْبَهُ فَاعْتَنَقَنِي وَاعْتَنَقْتُهُ . فَقُلْتُ : حَدِيثًا بَلَغَنِي عَنْكَ أَنَّكَ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْقِصَاصِ فَخَشِيتُ أَنْ تَمُوتَ أَوْ أَمُوتَ قَبْلَ أَنْ أَسْمَعَهُ ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَوْ قَالَ الْعِبَادُ عُرَاءَ غُرْلًا بَيْنَهُمَا . قَالَ : قُلْنَا : وَمَا بِهِمَا ؟ قَالَ : لَيْسَ مَعَهُمْ شَيْءٌ ، ثُمَّ يُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ [مَنْ قَرَّبَ] : أَنَا الْمَلِكُ أَنَا الدَّيَّانُ ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ أَنْ يَدْخُلَ النَّارَ وَلَهُ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَقٌّ حَتَّى أَقْصَهُ مِنْهُ ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ وَلِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ عِنْدَهُ حَقٌّ حَتَّى أَقْصَهُ مِنْهُ ، حَتَّى اللَّطْمَةِ . قَالَ : قُلْنَا : كَيْفَ وَإِنَّمَا نَأْتِي اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عُرَاءَ غُرْلًا بَيْنَهُمَا ؟ قَالَ : بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ .^(١)

(١) - أخرجه الضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" (٩ / ٢٢) برقم: (١٠) (مسند عبد الله بن أنيس الأنصاري ، (بنحوه .) ، والحاكم في "مستدركه" (٢ / ٣٧٠) برقم: (٣٦٥٩) (كتاب التفسير ، احتمال المشقة في طلب الحديث (بمثله .) وصححه ووافقه الذهبي ، وأحمد في "مسنده" (٦ / ٣٤٧٠) برقم: (١٦٢٨٨) (مسند المكيين رضي الله عنهم ، حديث عبد الله بن أنيس رضي الله عنه (بهذا اللفظ) . قال الأرناؤوط في «مسند أحمد» (٢٥ / ٤٣٢ ط الرسالة): «إسناده حسن، القاسم بن عبد الواحد المكي، سئل عنه أبو حاتم فقال: يكتب حديثه، ثم سئل: يحتج بحديثه؟ قال: يحتج بحديث سفيان، وشعبة. قلنا: وقد روى عنه جمع، وذكره ابن حبان في "الثقات". وقال الذهبي: وثق. قلنا: ولا نعلم فيه جرحاً. وعبد الله بن محمد بن عقيل قال الحافظ في "التلخيص": أما إذا انفرد فيحسن، وأما إذا خالف فلا يقبل، وقال الذهبي في "الميزان": حديثه في مرتبة الحسن، قلنا: وقد توبع، وباقي رجال الإسناد ثقات رجال الشيخين، غير أن صحابيه عبد الله بن أنيس قد أخرج له أبو داود والترمذي. همام بن يحيى: هو العوذى". وقال محققوا سر إعلام النبلاء «سير أعلام النبلاء - ط الرسالة» (٣ / ١٩٢): «...وحسنه الحافظ في "الفتح" ١ / ١٥٨ ، وصححه الحاكم ٢ / ٤٣٧ ، ٤٣٨ ، ووافقه الذهبي» وحسنه الألباني في «صحيح الأدب المفرد» (ص ٣٧١): برقم «٩٧٠/٥٧٠»

○ **مسألة:** موضع حشر الناس في الأرض المبدلة ، والحساب قبل الصراط.

- قال شيخ الإسلام في «المستدرک على مجموع الفتاوى» (١/ ١٠٣):
- **مسألة:** **خرج مسلم عن عائشة** رضي الله عنها قالت: «سألت رسول الله ﷺ عن قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [١٤/٤٨] فأين يكون الناس يومئذ يا رسول الله؟ قال «على الصراط».^(١)

فالأرض تبدل **كما ثبت في الصحيحين**: «أن الناس يحشرون على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي ليس فيها علم لأحد»^(٢) قال ابن مسعود رضي الله عنه: هي أرض بيضاء كهيئة الفضة لم يعمل عليها خطيئة ، ولا سفك فيها دم حرام ، ويجمع الناس في صعيد واحد ينفذهم البصر ، ويسمعهم الداعي ، حفاة عراة ، غرلا ، كما خلقوا فيأخذ الناس من كرب ذلك اليوم وشدته حتى يلجمهم العرق. وبعضهم يرفعه إلى النبي ﷺ وكذا عن مجاهد وغيره من السلف "فهذا الحديث وسائر الآثار تبين أن الناس يحشرون على الأرض المبدلة ، والقرآن يوافق على ذلك، كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ وحشرهم وحسابهم يكون قبل الصراط ؛ فإن الصراط عليه ينجون إلى الجنة ، ويسقط أهل النار فيها كما ثبت في الأحاديث. وحديث عائشة رضي الله عنها المتقدم يدل على أن التبدل وهم على الصراط ، لكن البخاري لم يورده فلعله تركه لهذه العلة وغيرها ؛ فإن سنده جيد.

أو يقال: تبدل الأرض قبل الصراط وعلى الصراط تبدل السموات. وأما قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجْلِ لِلْكِتَابِ﴾ فالطي غير التبدل، وقال تعالى: ﴿وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ ، **وفي الصحيحين**: «أنه يطوي السموات، ثم يأخذهن بيمينه، ثم يقول: أنا الملك، أنا الجبار، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟»، **وفي لفظ**: «يأخذ الجبار سمواته وأرضه بيده» وهو في أحاديث كثيرة.

■ **وفيهما عن أبي هريرة** رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: يَقْبِضُ اللَّهُ الْأَرْضَ ، وَيَطْوِي السَّمَاوَاتِ بِيَمِينِهِ ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ ، أَيْنَ مُلُوكُ الْأَرْضِ " **وفي لفظ فيهما**: "يَقْبِضُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْأَرْضَ يَوْمَ

(١) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ١٢٧) برقم: (٢٧٩١) (كتاب صفة القيامة والجنة والنار ، باب في البعث والنشور وصفة الأرض يوم القيامة) (بهذا اللفظ)

(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٨ / ١٠٩) برقم: (٦٥٢١) (كتاب الرقاق ، باب يقبض الله الأرض يوم القيامة) (بهذا اللفظ) ومسلم في "صحيحه" (٨ / ١٢٧) برقم: (٢٧٩٠) (كتاب صفة القيامة والجنة والنار ، باب في البعث والنشور وصفة الأرض يوم القيامة) (بمثله)

الْقِيَامَةِ ، وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ ، ثُمَّ يَقُولُ : أَنَا الْمَلِكُ ، أَيْنَ مُلُوكُ الْأَرْضِ . " وفي لفظ للبخاري " يَقْبِضُ اللَّهُ الْأَرْضَ وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ ، ثُمَّ يَقُولُ : أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ مُلُوكُ الْأَرْضِ . " (١)

■ **وفي مسلم عن ابن عمر** رضي الله عنهما " قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : يَطْوِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، ثُمَّ يَأْخُذُهَا بِيَدِهِ الْيُمْنَى ، ثُمَّ يَقُولُ : أَنَا الْمَلِكُ ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ ، أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ ، ثُمَّ يَطْوِي الْأَرْضِينَ بِشِمَالِهِ ، ثُمَّ يَقُولُ : أَنَا الْمَلِكُ ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ ، أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ . " وفي لفظ لمسلم عنه " عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مِقْسَمٍ أَنَّهُ نَظَرَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ كَيْفَ يَحْكِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، قَالَ : يَأْخُذُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ سَمَاوَاتِهِ وَأَرْضِيهِ بِيَدَيْهِ فَيَقُولُ : أَنَا اللَّهُ ، وَيَقْبِضُ أَصَابِعَهُ وَيَبْسُطُهَا ، أَنَا الْمَلِكُ ، حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى الْمُنْبَرِ يَتَحَرَّكُ مِنْ أَسْفَلِ شَيْءٍ مِنْهُ ، حَتَّى إِنِّي لَأَقُولُ : أَسَاقِطُ هُوَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ . ؟ " ، وفي لفظ لمسلم " رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْمُنْبَرِ وَهُوَ يَقُولُ : يَأْخُذُ الْجَبَّارُ عَزَّ وَجَلَّ سَمَاوَاتِهِ وَأَرْضِيهِ بِيَدَيْهِ " (٢)

● **فطي السموات لا ينافي أن يكون الخلق في موضعهم** ، وليس في شيء من الأحاديث أنهم يكونون عند الطي على الجسر كما روي ذلك ، وقد تبدل الأرض غير الأرض ، وإن كان في تلك الرواية ما فيها. والذي لا ريب فيه أنه لابد من تبديلها، وطبها. اهـ" من كلام شيخ الإسلام .

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (١٢٦ / ٦) برقم: (٤٨١٢) (كتاب تفسير القرآن ، باب قوله والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه) (بهذا اللفظ) ، (١٠٨ / ٨) برقم: (٦٥١٩) (كتاب الرقاق ، باب يقبض الله الأرض يوم القيامة) (بنحوه .) ، (١١٦ / ٩) برقم: (٧٣٨٢) (كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى ملك الناس) (بنحوه .) ومسلم في "صحيحه" (٨ / ١٢٦) برقم: (٢٧٨٧) (كتاب صفة القيامة والجنة والنار ،) (بنحوه .)

(٢) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ١٢٦) برقم: (٢٧٨٨) (كتاب صفة القيامة والجنة والنار ،) (بهذه الألفاظ)

○ مسألة : صفة قيام الناس لرب العالمين.

- **فيهما عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما** : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : ﴿ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ حَتَّى يَغِيبَ أَحَدُهُمْ فِي رَشْحِهِ إِلَى أَنْصَافِ أَذُنَيْهِ .^(١)
- **وفي مسلم عن أبي هريرة** : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : إِنَّ الْعَرْقَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَيَذْهَبُ فِي الْأَرْضِ سَبْعِينَ بَاعًا ، وَإِنَّهُ لَيَبْلُغُ إِلَى أَفْوَاهِ النَّاسِ أَوْ إِلَى أَذَانِهِمْ يَشْكُ ثَوْرًا يَهُمَا^(٢)
- **ولفظ البخاري عنه** : " يَعْرِقُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَذْهَبَ عَرَقُهُمْ فِي الْأَرْضِ سَبْعِينَ ذِرَاعًا ، وَيُلْجِمُهُمْ حَتَّى يَبْلُغَ أَذَانَهُمْ . " ^(٣)
- **وفي مسلم عن المقداد بن الأسود** : قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : تُدْنَى الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَلْقِ حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ . قَالَ سَلِيمُ بْنُ عَامِرٍ : فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا يَعْنِي بِالْمِيلِ ، أَمَسَافَةً الْأَرْضِ أَمْ الْمِيلَ الَّذِي تُكْتَحَلُ بِهِ الْعَيْنُ . قَالَ : فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدَرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرْقِ ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبَيْهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرْقُ الْجَمًّا . قَالَ : وَأَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ إِلَى فِيهِ .^(٤)

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٦ / ١٦٧) برقم: (٤٩٣٨) (كتاب تفسير القرآن ، سورة ويل للمطففين) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (٨ / ١٥٧) برقم: (٢٨٦٢) (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب في صفة يوم القيامة أعاننا الله على أهوالها) (بمثله)

(٢) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ١٥٨) برقم: (٢٨٦٣) (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب في صفة يوم القيامة أعاننا الله على أهوالها) (بهذا اللفظ)

(٣) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٨ / ١١١) برقم: (٦٥٣٢) (كتاب الرقاق ، باب قول الله تعالى ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم يوم) (بهذا اللفظ)

(٤) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ١٥٨) برقم: (٢٨٦٤) (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب في صفة يوم القيامة أعاننا الله على أهوالها) (بهذا اللفظ)

- (صحيح) **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ** رضي الله عنه ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ مِقْدَارَ نَصْفِ يَوْمٍ مِنْ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ يَهْوَنُ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كَتَدَلَّى الشَّمْسُ لِلْغُرُوبِ إِلَى أَنْ تَغْرُبَ . (١)
- (صحيح) **وعن عبد الله بن مسعود** رضي الله عنه حَدَّثَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه هَذَا الْحَدِيثَ فَقَالَ: " إِذَا حُشِرَ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، قَامُوا أَرْبَعِينَ ، عَلَى رُؤُوسِهِمُ الشَّمْسُ ، شَاخِصَةً أَبْصَارُهُمْ إِلَى السَّمَاءِ ، يَنْتَظِرُونَ الْفَصْلَ كُلِّ بَرٍّ مِنْهُمْ وَفَاجِرٍ ، لَا يَتَكَلَّمُ مِنْهُمْ بَشَرٌ ، ثُمَّ يَنَادِي مُنَادٍ: أَلَيْسَ عَدَلًا مِنْ رَبِّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَصَوَّرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ ثُمَّ عَبَدْتُمْ غَيْرَهُ ، أَنْ يُؤَلِّيَ كُلَّ قَوْمٍ مَا تَوَلَّوْا ، فَيَقُولُونَ: بَلَى . فَيُنَادِي بِذَلِكَ مَلَكٌ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، ثُمَّ يَمْتَلُئُ لِكُلِّ قَوْمٍ إِلَهُهُمْ الَّتِي كَانُوا يَعْبُدُونَهَا ، فَيَتَّبِعُونَهَا ، حَتَّى تُورِدَهُمُ النَّارَ ، فَيَبْقَى الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُنَافِقُونَ ، فَيَخْرُ الْمُؤْمِنُونَ سَجْدًا ، وَتُدْمَجُ أَصْلَابُ الْمُنَافِقِينَ ، فَتَكُونُ عَظْمًا وَاحِدًا ، كَانَتْهَا صِيَاصِي الْبَقَرِ ، وَيَخْرُونَ عَلَى أَقْفَيْتِهِمْ ، فيقول الله تعالى لَهُمْ: ارْزُقُوا رُؤُوسَكُمْ إِلَى نُورِكُمْ بِقَدْرِ أَعْمَالِكُمْ ، فَيَرْفَعُ الرَّجُلُ رَأْسَهُ ، وَنُورُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ مِثْلُ الْجَبَلِ ، وَيَرْفَعُ الرَّجُلُ رَأْسَهُ وَنُورُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ مِثْلُ الْقَصْرِ ، وَيَرْفَعُ الرَّجُلُ رَأْسَهُ وَنُورُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ مِثْلُ الْبَيْتِ ، حَتَّى ذَكَرَ مِثْلَ الشَّجَرَةِ ، فَيَمْضُونَ عَلَى الصِّرَاطِ كَالْبَرْقِ وَكَالرَّيْحِ ، وَكَحُضْرِ الْفَرَسِ ، وَكَاشْتِدَادِ الرَّجْلِ . حَتَّى يَبْقَى آخِرُ النَّاسِ نُورُهُ عَلَى إِبْهَامِ رِجْلِهِ مِثْلُ السِّرَاجِ ، فَأَحْيَانًا يُضِيءُ لَهُ وَأَحْيَانًا يَخْفَى عَلَيْهِ ، فَتَشْعَبُ مِنْهُ النَّارُ ، فَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يَخْرُجَ ، فَيَقُولُ: مَا يَدْرِي مَا نَجَا مِنْهُ غَيْرِي . وَلَا أَصَابَ أَحَدٌ مِثْلَ مَا أَصَبْتُ ، إِنَّمَا أَصَابَنِي حَرُّهَا وَنَجَوْتُ مِنْهَا ، قَالَ: فَيُفْتَحُ لَهُ بَابٌ فِي الْجَنَّةِ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ! أَدْخِلْنِي هَذَا ، فَيَقُولُ: عَبْدِي لَعَلِّي إِنْ أَدْخَلْتُكَ تَسْأَلُنِي غَيْرَهُ ، قَالَ: فَيَدْخُلُهُ ، فَبَيْنَمَا هُوَ يَعْجَبُ بِمَا هُوَ فِيهِ ، إِذْ فَتَحَ لَهُ بَابٌ آخَرُ ، فَيُسْتَحَقَرُّ فِي عَيْنِهِ الَّذِي هُوَ فِيهِ ، فَيَقُولُ يَا رَبِّ! أَدْخِلْنِي هَذَا ، فيقول: أَوْ لَمْ تَزْعُمْ أَنَّكَ لَا تَسْأَلُنِي غَيْرَهُ ، فَيَقُولُ: وَعِزَّتِكَ وَجَلَالِكَ لَيْتَنِي أَدْخَلْتَنِيهِ لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ ، قَالَ: فَيَدْخُلُهُ حَتَّى يَدْخُلَهُ أَرْبَعَةُ أَبْوَابٍ كُلُّهَا يَسْأَلُهَا ، ثُمَّ يَسْتَقْبِلُهُ رَجُلٌ مِثْلُ النُّورِ ، فَإِذَا رَأَاهُ هُوَ ، فَسَجَدَ لَهُ ، فَيَقُولُ: مَا سَأَلْتُكَ؟ فَيَقُولُ: أَلَسْتُ بِرَبِّي؟ فَيَقُولُ: إِنَّمَا أَنَا قَهْرْمَانٌ ، لَكَ فِي الْجَنَّةِ أَلْفُ قَهْرْمَانٍ

– (١) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (٣٢٨ / ١٦) برقم: (٧٣٣٣) (كتاب إخباره صلى الله عليه وسلم عن مناقب الصحابة رجالهم ونسائهم بذكر أسمائهم رضوان الله عليهم أجمعين ، ذكر البيان بأن الله جل وعلا بتفضله يهون طول يوم القيامة على المؤمنين حتى لا يحسوا منه إلا بشيء يسير) (بهذا اللفظ) ، وأبو يعلى في "مسنده" (٤١٥ / ١٠) برقم: (٦٠٢٥) (مسند أبي هريرة ، (بمثله). قال الأرئوط في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان» (٣٢٨ / ١٦): «إسناده صحيح على شرط البخاري، رجاله ثقات رجال الشيخين غير عبد الرحمن بن إبراهيم، فمن رجال البخاري. وأخرجه أبو يعلى ٦٠٢٥» عن إسماعيل بن عبد الله بن خالد، عن الوليد بن مسلم، بهذا الإسناد. وذكره الهيثمي في "المجمع" ٣٣٧/١٠ وقال: رواه أبو يعلى، ورجاله رجال الصحيح غير إسماعيل بن عبد الله بن خالد، وهو ثقة». وقال الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها» (٦ / ٧٦٨): أخرجه ابن حبان (٢٥٧٨) بسند صحيح عنه بسياق آخر ، وقال في «صحيح موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان» (٢ / ٥٠٩): برقم ٢١٨٦: «صحيح - التعليق الرغيب" (٤ / ١٩٦)، "الصحيحة" (٢٨١٧)»

عَلَى أَلْفِ قَصْرٍ، بَيْنَ كُلِّ قَصْرَيْنِ مَسِيرَةُ أَلْفِ سَنَةٍ، يُرَى أَقْصَاهَا كَمَا يَرَى أَدْنَاهَا، ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنْ زَبْرَجَدَةٍ خَضْرَاءَ، فِيهَا سَبْعُونَ بَابًا فِي كُلِّ بَابٍ مِنْهَا أَزْوَاجٌ وَسُرُرٌ وَمَنَاصِفُ، فَيَقْعُدُ مَعَ زَوْجَتِهِ، فَتَنَاولُهُ الْكَأْسَ، فَتَقُولُ: لَأَنْتِ مُنْذُ نَاوَلْتِكِ الْكَأْسَ أَحْسَنُ مِنْكَ قَبْلَ ذَلِكَ بِسَبْعِينَ ضِعْفًا، عَلَيْهَا سَبْعُونَ حَلَّةً، أَلْوَانُهَا شَتَّى، يُرَى مَخْ سَاقِيهَا، وَيَلْبَسُ الرِّجَالُ ثِيَابَهُ عَلَى كَبِدِهَا وَكَبِدُهَا مِرَاتُهُ". (١)

■ (صحيح) عَنْ مَسْرُوقِ بْنِ الْأَجْدَعِ، ثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: يَجْمَعُ اللَّهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ لِمِيقَاتٍ يَوْمٍ مَعْلُومٍ قِيَامًا أَرْبَعِينَ سَنَةً شَاخِصَةً أَبْصَارُهُمْ إِلَى السَّمَاءِ يَنْتَظِرُونَ فَصَلَ الْقَضَاءِ" (٢)

■ (حسن) عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: تَجْتَمِعُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُقَالُ: أَيْنَ فَقَرَاءُ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَمَسَاكِينُهَا؟ قَالَ: فَيَقُومُونَ، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَاذَا عَمِلْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا ابْتَلَيْتَنَا فَصَبَرْنَا، وَآتَيْتَ الْأَمْوَالَ وَالسُّلْطَانَ غَيْرَنَا، فَيَقُولُ اللَّهُ: صَدَقْتُمْ، قَالَ: فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ قَبْلَ النَّاسِ، وَيَبْقَى شِدَّةُ الْحِسَابِ عَلَى ذَوِي الْأَمْوَالِ وَالسُّلْطَانِ، قَالُوا: فَأَيْنَ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: يُوضَعُ لَهُمْ كِرَاسِيٌّ مِنْ نُورٍ، وَتُظَلِّلُ عَلَيْهِمُ الْغَمَامُ، يَكُونُ ذَلِكَ الْيَوْمُ أَقْصَرَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ مِنْ سَاعَةٍ مِنْ نَهَارٍ". (٣)

● قال ابن حجر في «فتح الباري لابن حجر» (١١/٤٤٨): «وَوَقَعَ فِي حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ عِنْدَ أَحْمَدَ أَنَّهُ يُخَفَّفُ الْوُقُوفُ عَنِ الْمُؤْمِنِ حَتَّى يَكُونَ كَصَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ **وَسَنَدُهُ حَسَنٌ**، وَلَأَبَى يَعْلَى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ كَتَدَلَّى الشَّمْسُ لِلْغُرُوبِ إِلَى أَنْ تَغْرُبَ، وَلِلطَّبْرَانِيِّ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ وَيَكُونُ ذَلِكَ الْيَوْمُ أَقْصَرَ عَلَى الْمُؤْمِنِ مِنْ سَاعَةٍ مِنْ نَهَارٍ". اهـ.

(١) - أخرجه ابن حجر في "المطالب العالية" (١٨ / ٤٩٢) برقم: (٤٥٣٩) (كتاب الفتح، باب صفة البعث) (بهذا اللفظ)، وأخرجه الطبراني في "الكبير" (٩ / ٣٥٧) برقم: (٩٧٦٣) (باب العين، باب) (بنحوه مطولاً). قال ابن حجر بعد ذكر الحديث: "هَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ مُتَّصِلٌ رِجَالُهُ نَفَاتٌ"

(٢) - أخرجه الطبراني في "الكبير" (٩ / ٣٥٧) برقم: (٩٧٦٣) (باب العين، باب) (بهذا اللفظ). وصححه الألباني في «موسوعة الألباني في العقيدة» (٦ / ٣٠٣): برقم [٩٣٢]

(٣) - أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (١٦ / ٤٣٥) برقم: (٧٤١٩) (كتاب إخباره صلى الله عليه وسلم عن مناقب الصحابة رجالهم ونسائهم بذكر أسمائهم رضوان الله عليهم أجمعين، ذكر الإخبار عن وصف أول زمرة تدخل الجنة في العقبى) (بهذا اللفظ). قال الأرئوط في «الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان» (١٦ / ٤٣٦): «إسناده حسن. محمد بن سعيد الأنصاري: روى عنه جمع، وذكره المؤلف في "الثقات" ١٠٢/٩. عبد الله بن الحارث: هو الزبيدي النجرائي، وأبو كثير: هو الزبيدي الكوفي، اسمه زهير بن الأقرم، وقيل غير ذلك. وذكره الهيثمي في "المجمع" ٣٣٧/١٠ وقال: رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح غير أبي كثير الزبيدي، وهو ثقة». وحسنه الألباني في «التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان» (١٠ / ٤٠٥): «حسن - (التعليق الرغيب) (٨٧ / ٤)»

- **مسألة:** قوله سبحانه "اليوم أظلمهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي"
- **في مسلم عن أبي هريرة** رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي؟ الْيَوْمَ أُظْلِمُ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي. (١)
- **(حسن صحيح).** **عن العرياض بن سارية** رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله عز وجل المتحابون **بجلالي في ظل عرشي يوم لا ظل إلا ظلي**. قال عبد الله: وأحسبني قد سمعته منه. (٢)
- **فيهما عن أبي هريرة** رضي الله عنه، **عن النبي** ﷺ قال: سبعة يُظْلِمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَشَابُّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ، أَخْفَى حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ. (٣)
- **(صحيح).** **وعن عقبه بن عامر** رضي الله عنه قال: "سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: كُلُّ امْرِئٍ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ حَتَّى يُفْصَلَ بَيْنَ النَّاسِ" أَوْ قَالَ: "حَتَّى يُحْكَمَ بَيْنَ النَّاسِ" (٤)
- قال القاضي عياض في «إكمال المعلم بفوائد مسلم» (٣٥ / ٨): «وقوله: "اليوم أظلمهم في ظلي، يوم لا ظل إلا ظلي" إضافة ملك وتشريف. والظلال كلها لله. وقد جاء مفسراً: "ظل عرشي". وظاهره كونه في ظله من الحر والشمس، ووهج الموقف، وأنفاس الخلق، وهو تأويل الأكثر»

(١) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ١٢) برقم: (٢٥٦٦) (كتاب البر والصلة والآداب، باب في فضل الحب في الله) (بهذا اللفظ)

(٢) - أخرجه أحمد في "مسنده" (٧ / ٣٨٠٩) برقم: (١٧٤٣٢) (مسند الشاميين رضي الله عنهم، حديث العرياض بن سارية عن النبي صلى الله عليه وسلم) (بهذا اللفظ) والطبراني في "الكبير" (١٨ / ٢٥٨) برقم: (٦٤٤) (باب العين، عبد الرحمن بن ميسرة عن العرياض بن سارية) (بمثله). قال الأرئوط في «مسند أحمد» (٢٨ / ٣٩٠ ط الرسالة): «صحيح لغيره، وهذا إسناد حسن، من أجل إسماعيل بن عياش فهو صدوق في روايته عن أهل بلده، وهذه منها، وبقيته رجاله ثقات»

(٣) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ١٣٣) برقم: (٦٦٠) (كتاب الأذان، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد) (بهذا اللفظ)، ومسلم في "صحيحه" (٣ / ٩٣) برقم: (١٠٣١) (كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة) (بمثله).

(٤) - أخرجه ابن خزيمة في "صحيحه" (٤ / ١٥٩) برقم: (٢٤٣١) (كتاب الزكاة، باب إبطال الصدقة صاحبها يوم القيامة إلى الفراغ من الحكم بين العباد) (بنحوه)، وابن حبان في "صحيحه" (٨ / ١٠٤) برقم: (٣٣١٠) (كتاب الزكاة، ذكر البيان بأن ظل كل امرئ في القيامة يكون صدقته) (بهذا اللفظ)، والحاكم في "مستدرکه" (١ / ٤١٦) برقم: (١٥٢٢) (كتاب الزكاة، كل امرئ في ظل صدقته حتى يفصل بين الناس) (بنحوه)، وأحمد في "مسنده" (٧ / ٣٨٦١) برقم: (١٧٦٠٦) (مسند الشاميين رضي الله عنهم، حديث عقبه بن عامر الجهني عن النبي صلى الله عليه وسلم) (بنحوه مطولاً). قال الأرئوط في «مسند أحمد» (٢٨ / ٥٦٨ ط الرسالة): «إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين غير حرملة بن عمران، فإنه من رجال مسلم، وغير علي بن إسحاق - وهو المزور - فمن رجال الترمذي، وهو ثقة». وقال في «الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان» (٨ / ١٠٤): «إسناده صحيح على شرط مسلم». وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير وزيادته» (٢ / ٨٣٠): برقم «٤٥١٠»

- وقال ابن هبيرة في «الإفصاح عن معاني الصباح» (٣٤ / ٨): «في هذا الحديث ما يدل على أن المتحايين بجلال الله أي في جلاله ، والباء هنا بمعنى في ، فحروف الصفات تنوب بعضها عن بعض. يظلمهم الله في ظله: وذلك أن المتحايين استظلوا في الدنيا بظل الله ، وكانوا حزبا وعصبة مستظليين بظله ، فهو الذي كان في الدنيا حائلا بينهم وبين حرور الشهوات ، وسموم الآفات ، واستمر لهم ذلك الظل ، وانتقل من المعنى إلى الصورة ؛ فأظلمهم يوم لا ظل إلا ظله في عرصة القيامة ، ثم يستمر الظل عليهم أبدا من غير تقلص بحال إن شاء الله تعالى»
- وقال القرطبي في «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» (٥٤٢ / ٦): «و(قوله: اليوم أظلمهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي) قيل: هذه الإضافة إضافة تشريف وإكرام ؛ إذ الظلال كلها ملكه وخلقها. قلت: وأولى من هذا التأويل: أنه يعني به: ظل العرش ؟ كما قد جاء في رواية أخرى. فيعني - والله تعالى أعلم -: أن في القيامة ظلالا بحسب الأعمال الصالحة تقي صاحبها من وهج الشمس ولفح النار ، وأنفاس الخلق ، كما قال ﷺ : الرجل في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس ، ولكن ظل العرش أعظم الظلال وأشرفها ، فيخص الله به من يشاء من صالح عباده ، ومن جملتهم المتحابون لجلال الله. فإن قيل: كيف يقال: في القيامة ظلال بحسب الأعمال؟ وقد قال ﷺ : سبعة يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله وهو ظل العرش المذكور في الحديث؟ قلنا: يمكن أن يقال: كل ظل في القيامة إنما هو له ، لأنه بخلقه واختراعه بحسب ما يريد الله تعالى من إكرام من يخصصه به ؛ فعلى هذا يكون كل واحد من هؤلاء السبعة في ظل يخصصه ، وكلها ظل الله ، لا ظل غيره؛ إذ ليس لغيره هنالك ظل، ولا يقدر له على سبب. ويحتمل أن يقال: إنه ليس هنالك إلا ظل واحد، وبه يستظل المؤمنون، لكن لما كان الاستظلال بذلك الظل لا ينال إلا بالأعمال الصالحات ، نسب لكل عمل ظل ؛ لأنه به وصل إليه. والله تعالى أعلم. وهذا كله بناء على أن الظلال حقيقة لا مجاز، وهو قول جمهور العلماء.

○ المسألة الثالثة: الحوض

لكل نبي حوض ولكن حوض النبي ﷺ أكبرها وأعظمها وأكثرها واردة . فقد جاء:

■ (حسن) عَنْ قَتَادَةَ ، عَنِ الْحَسَنِ ، عَنْ سَمُرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضًا ، وَإِنَّهُمْ يَتَبَاهَوْنَ أَيُّهُمْ أَكْثَرُ وَارِدَةً ، وَإِنِّي أَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ وَارِدَةً .^(١)

● ماؤه أشد بياضاً من اللبن ، وأحلى من العسل ، وأطيب من رائحة المسك ، طوله شهر ، وعرضه شهر ، وأنيته كنجوم السماء حسناً وكثرة ، يرده المؤمنون من أمته ، من شرب منه لم يظلم بعد ذلك .

● قال ابن حجر في «فتح الباري لابن حجر» (١١ / ٤٦٧): «قَالَ الْقُرْطُبِيُّ فِي الْمَفْهِمِ تَبَعًا لِلْقَاضِي عِيَاضٍ فِي غَالِبِهِ مِمَّا يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُكَلَّفٍ أَنْ يَعْلَمَهُ وَيُصَدِّقَ بِهِ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَدْ خَصَّ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ بِالْحَوْضِ الْمَصْرَحِ بِاسْمِهِ وَصِفَتِهِ وَشَرَاهِ فِي الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ الشَّيْبَرَةِ الَّتِي يَحْصُلُ بِمَجْمُوعِهَا الْعِلْمُ الْقَطْعِيُّ إِذْ رَوَى ذَلِكَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الصَّحَابَةِ نِيفٌ عَلَى الثَّلَاثِينَ مِنْهُمْ فِي الصَّحِيحَيْنِ مَا يُنِيفُ عَلَى الْعِشْرِينَ وَفِي غَيْرِهِمَا بَقِيَّةُ ذَلِكَ مِمَّا صَحَّ نَقْلُهُ وَاشْتَهَرَتْ رَوَاتُهُ ثُمَّ رَوَاهُ عَنِ الصَّحَابَةِ الْمَذْكُورِينَ مِنَ التَّابِعِينَ أَمْثَالُهُمْ وَمَنْ بَعْدَهُمْ أَضْعَافُ أَضْعَافِهِمْ وَهَلُمَّ جَرًّا وَأَجْمَعَ عَلَى إِثْبَاتِهِ السَّلَفُ وَأَهْلُ السُّنَّةِ مِنَ الْخَلْفِ وَأَنْكَرَتْ ذَلِكَ طَائِفَةٌ مِنَ الْمُتَبَدِّعَةِ وَأَحَالُوهُ عَلَى ظَاهِرِهِ وَغَلَوُوا فِي تَأْوِيلِهِ مِنْ غَيْرِ اسْتِحَالَةٍ عَقْلِيَّةٍ وَلَا عَادِيَّةٍ تَلْزَمُ مِنْ حَمْلِهِ عَلَى ظَاهِرِهِ وَحَقِيقَتِهِ وَلَا حَاجَةَ تَدْعُو إِلَى تَأْوِيلِهِ فَحَرَقَ مَنْ حَرَفَهُ إِجْمَاعُ السَّلَفِ وَفَارَقَ مَذْهَبَ أَيْمَةِ الْخَلْفِ قُلْتُ أَنْكَرَهُ الْخَوَارِجُ وَبَعْضُ الْمُعْتَزَلَةِ»

(١) - أخرجه الترمذي في "جامعه" (٤ / ٢٣٦) برقم: (٢٤٤٣) (أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . ، باب ما جاء في صفة الحوض) (بهذا اللفظ) والطبراني في "الكبير" (٧ / ٢١٢) برقم: (٦٨٨١) (باب السين ، باب) (بمثله) . وقال: " هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ ، وَقَدْ رَوَى الْأَشْعَثُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ هَذَا الْحَدِيثَ عَنِ الْحَسَنِ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُرْسَلًا ، وَلَمْ يَذْكُرْ فِيهِ عَنْ سَمُرَةَ ، وَهُوَ أَصَحُّ . " . قال ابن حجر في «فتح الباري لابن حجر» (١١ / ٤٦٧) : «أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ سَمُرَةَ رَفَعَهُ إِنْ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضًا وَأَشَارَ إِلَى أَنَّهُ اخْتَلَفَ فِي وَصْلِهِ وَإِرْسَالِهِ وَأَنَّ الْمُرْسَلَ أَصَحُّ قُلْتُ والمرسل أخرجه بن أبي الدنيا بسند صحيح عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضًا وَهُوَ قَائِمٌ عَلَى حَوْضِهِ بِيَدِهِ عَصَا يَدْعُو مَنْ عَرَفَ مِنْ أُمَّتِهِ إِلَّا أَنَّهُمْ يَتَبَاهَوْنَ أَيُّهُمْ أَكْثَرُ تَبَعًا وَإِنِّي أَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَبَعًا وَأَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ مِنْ وَجْهِ آخَرَ عَنْ سَمُرَةَ مَوْصُولًا مَرْفُوعًا مِثْلَهُ وَفِي سَنَدِهِ لَيْنٌ وَأَخْرَجَ بَنُ أَبِي الدُّنْيَا أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ رَفَعَهُ وَكُلُّ نَبِيٍّ يَدْعُو أُمَّتَهُ وَلِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَأْتِيهِ الْفَنَامُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَأْتِيهِ الْعُصْبَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَأْتِيهِ الْوَاحِدُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَأْتِيهِ الْإِثْنَانُ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يَأْتِيهِ أَحَدٌ وَإِنِّي لَأَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبَعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَفِي إِسْنَادِهِ لَيْنٌ وَإِنْ ثَبِتَ فَالْمُخْتَصُّ بِنَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْكَوْثَرُ الَّذِي يُصَبُّ مِنْ مَائِهِ فِي حَوْضِهِ فَإِنَّهُ لَمْ يُنْقَلْ نَظِيرُهُ لِعُغْرِهِ» . وحسنه الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها» (٤ / ١١٨) : برقم ١٥٨٩ وقال : ... «وللحديث شاهدان موصولان، وثالث مرسل ... قلت: وإنما لم يحسنه الحافظ مع أن رجاله رجال " الصحيح " لأن في خالد بن خدّاش وشيخه حزم كلاما، قال الحافظ بن حجر في الأول منهما: " صدوق يهيم " . وقال في الآخر: " صدوق يخطيء " . ومنه تعلم خطأ قوله في " الفتح " (١١ / ٢٩٣) : " والمرسل أخرجه ابن أبي الدنيا بسند صحيح على الحسن ... ! قلت: نعم هو صحيح عن الحسن بالطريق الأخرى عنه التي أشار إليها الترمذي في كلامه السابق من رواية الأشعث بن عبد الملك عنه . ومن الغريب أن لا يذكرها الحافظان ابن حجر وابن كثير ! ! وجملة القول: إن الحديث بمجموع طرقه حسن أو صحيح . والله أعلم . ثم وجدت له شاهد آخر من حديث عوف بن مالك مرفوعا به . وفيه زيادة خرجته من أجلها في " الضعيفة " (٢٤٥٠)

○ وقد جاء ثبوته بالسنة في عدد من الأحاديث الصحيحة ومنها:

- **في الصحيحين عن عبد الله بن عمرو** رضي الله عنهما: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ ، مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمُسْكِ ، وَكِزَانُهُ كَنْجُومِ السَّمَاءِ ، مَنْ شَرِبَ مِنْهَا فَلَا يَظْمَأُ أَبَدًا .^(١)
- **ولفظ مسلم:** " حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ ، وَزَوَايَاهُ سَوَاءٌ ، وَمَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ الْوَرَقِ ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمُسْكِ ، وَكِزَانُهُ كَنْجُومِ السَّمَاءِ ، فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَا يَظْمَأُ بَعْدَهُ أَبَدًا .^(٢)
- **وفي مسلم:** " عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الصَّامِتِ ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنهما قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا آيَةُ الْحَوْضِ ؟ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَأَنْتَهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ وَكَوَاكِبِهَا ، أَلَا فِي اللَّيْلَةِ الْمُظْلِمَةِ الْمُصْحِيَةِ آيَةُ الْجَنَّةِ ، مَنْ شَرِبَ مِنْهَا لَمْ يَظْمَأْ آخِرَ مَا عَلَيْهِ ، يَشْخَبُ فِيهِ مِيزَابَانِ مِنَ الْجَنَّةِ ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ ، عَرَضُهُ مِثْلُ طُولِهِ مَا بَيْنَ عَمَانَ إِلَى أَيْلَةَ ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ .^(٣)
- **وفي لفظ لمسلم عن ثوبان** رضي الله عنه: أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ: إِنِّي لِبِعْقَرٍ حَوْضِي أَذُودُ النَّاسَ لِأَهْلِ الْيَمَنِ أَضْرِبُ بِعَصَايَ حَتَّى يَرْفُضَ عَلَيْهِمْ ، فَسُئِلَ عَنْ عَرَضِهِ فَقَالَ: مِنْ مَقَامِي إِلَى عَمَانَ ، وَسُئِلَ عَنْ شَرَابِهِ فَقَالَ: أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ ، يَغْتُ فِيهِ مِيزَابَانِ يَمْدَانِهِ مِنَ الْجَنَّةِ أَحَدُهُمَا مِنْ ذَهَبٍ وَالْآخَرُ مِنْ وَرَقٍ .^(٤)
- **وفيهما عن عبد الله** رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: إِنَّ أَمَامَكُمْ حَوْضًا كَمَا بَيْنَ جَرَبَاءَ وَأَذْرَجَ فِيهِ أَبَارِيقُ كَنْجُومِ السَّمَاءِ ، مَنْ وَرَدَهُ فَشَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا " **وهذا لفظ مسلم ، ولفظ البخاري:** " أَمَامَكُمْ حَوْضٌ كَمَا بَيْنَ جَرَبَاءَ وَأَذْرَجَ ^(٥)

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٨ / ١١٩) برقم: (٦٥٧٩) (كتاب الرقاق ، باب في الحوض وقول الله تعالى إنا أعطيناك الكوثر) (بهذا اللفظ) ومسلم في "صحيحه" (٧ / ٦٦) برقم: (٢٢٩٢) (كتاب الفضائل ، باب إثبات حوض نبينا صلى الله عليه وسلم وصفاته) (بمثله).

(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٨ / ١١٩) برقم: (٦٥٧٩) (كتاب الرقاق ، باب في الحوض وقول الله تعالى إنا أعطيناك الكوثر) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (٧ / ٦٦) برقم: (٢٢٩٢) (كتاب الفضائل ، باب إثبات حوض نبينا صلى الله عليه وسلم وصفاته) (بنحوه).

(٣) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٧ / ٦٩) برقم: (٢٣٠٠) (كتاب الفضائل ، باب إثبات حوض نبينا صلى الله عليه وسلم وصفاته) (بهذا اللفظ)

(٤) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٧ / ٧٠) برقم: (٢٣٠١) (كتاب الفضائل ، باب إثبات حوض نبينا صلى الله عليه وسلم وصفاته) (بهذا اللفظ)

(٥) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٨ / ١١٩) برقم: (٦٥٧٧) (كتاب الرقاق ، باب في الحوض وقول الله تعالى إنا أعطيناك الكوثر) (بمثله مختصراً) ومسلم في "صحيحه" (٧ / ٦٩) برقم: (٢٢٩٩) (كتاب الفضائل ، باب إثبات حوض نبينا صلى الله عليه وسلم وصفاته) (بهذا اللفظ)

- **وفيهما عن أنس بن مالك** رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: إِنَّ قَدْرَ حَوْضِي كَمَا بَيْنَ أَيْلَةٍ وَصَنْعَاءَ مِنَ الْيَمَنِ ، وَإِنَّ فِيهِ مِنَ الْأَبَارِيقِ كَعَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ ، **ولفظ مسلم** : " قَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ : تُرَى فِيهِ أَبَارِيقُ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ كَعَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ . " (١)
- **وفي مسلم عن أنس** رضي الله عنه قَالَ : بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ بَيْنَ أَظْهَرِنَا إِذْ أَغْفَى إِغْفَاءَةً ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّمًا . فَقُلْنَا : مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : أُنْزِلَتْ عَلَيَّ أَنْفًا سُورَةٌ . فَقَرَأَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾ ثُمَّ قَالَ : أَتَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ ؟ فَقُلْنَا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ : فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ . هُوَ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، أَنَيْتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ . فَيُخْتَلَجُ الْعَبْدُ مِنْهُمْ فَأَقُولُ : رَبِّ إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي ، فَيَقُولُ : مَا تَدْرِي مَا أَحَدَثْتُ بَعْدَكَ ؟ زَادَ ابْنُ حُجْرٍ فِي حَدِيثِهِ : بَيْنَ أَظْهَرِنَا فِي الْمَسْجِدِ ، وَقَالَ : مَا أَحَدَثَ بَعْدَكَ . " (٢)
- **وفي لفظ لمسلم** : " سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ : أَغْفَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِغْفَاءَةً بَنَحُو حَدِيثَ ابْنِ مُسْهِرٍ ، غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ : نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ فِي الْجَنَّةِ ، عَلَيْهِ حَوْضٌ . وَلَمْ يَذْكُرْ أَنَيْتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ . " (٣)
- **وفي البخاري في عن أنس بن مالك** رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : بَيْنَمَا أَنَا أَسِيرُ فِي الْجَنَّةِ إِذَا أَنَا بِنَهْرٍ حَافَتَاهُ قِبَابُ الدُّرِّ الْمُجَوَّفِ ، قُلْتُ : مَا هَذَا يَا جَبْرِيلُ ؟ قَالَ : هَذَا الْكَوْثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَ رَبُّكَ ، فَإِذَا طِينُهُ أَوْ طِيبُهُ مِسْكٌ أَذْفَرُ شَكِّ هُدْبَةٍ . " (٤)
- **وفي لفظ للبخاري عنه** : " لَمَّا عُرِجَ بِالنَّبِيِّ ﷺ إِلَى السَّمَاءِ ، قَالَ : أَتَيْتُ عَلَى نَهْرٍ ، حَافَتَاهُ قِبَابُ اللَّوْلُؤِ مُجَوَّفًا ، فَقُلْتُ : مَا هَذَا يَا جَبْرِيلُ ؟ قَالَ : هَذَا الْكَوْثَرُ . " (٥)

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٨ / ١١٩) برقم: (٦٥٨٠) (كتاب الرقاق ، باب في الحوض وقول الله تعالى إنا أعطيناك الكوثر) (بنحوه مطولاً) ، ومسلم في "صحيحه" (٢ / ١٣) برقم: (٤٠٠) (كتاب الصلاة (٧ / ٧١) برقم: (٢٣٠٣) (كتاب الفضائل ، باب إثبات حوض نبينا صلى الله عليه وسلم وصفاته) (بهذا اللفظ) ،
(٢) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٢ / ١٢) برقم: (٤٠٠) (كتاب الصلاة ، باب حجة من قال البسملة آية من أول كل سورة سوى براءة) (بهذا اللفظ)
(٣) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٢ / ١٣) برقم: (٤٠٠) (كتاب الصلاة ، باب حجة من قال البسملة آية من أول كل سورة سوى براءة) (بهذا اللفظ)
(٤) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٨ / ١٢٠) برقم: (٦٥٨١) (كتاب الرقاق ، باب في الحوض وقول الله تعالى إنا أعطيناك الكوثر) (بهذا اللفظ)
(٥) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٦ / ١٧٨) برقم: (٤٩٦٤) (كتاب تفسير القرآن ، باب حدثنا آدم) (بهذا اللفظ)

■ **وفي لفظ للبخاري عنه في حديث الإسراء الطويل:** "ثُمَّ مَضَى بِهِ فِي السَّمَاءِ فَإِذَا هُوَ بِنَهْرٍ آخَرَ ، عَلَيْهِ قَصْرٌ مِنْ لُؤْلُؤٍ وَزَبَرَجِدٍ ، فَضَرَبَ يَدَهُ فَإِذَا هُوَ مِسْكٌ ، قَالَ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الْكَوْثَرُ الَّذِي خَبَأَ لَكَ رَبُّكَ" (١)

■ **وفي الصحيحين عن عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه:** أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ يَوْمًا فَصَلَّى عَلَى أَهْلِ أَحَدٍ صَلَاتَهُ عَلَى الْمُيْتِ ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى الْمِنْبَرِ فَقَالَ: إِنِّي فَرَطُ لَكُمْ ، وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ ، وَإِنِّي وَاللَّهِ لَأَنْظُرُ إِلَى حَوْضِي الْآنَ". (٢)

○ **مسألة: هل الحوض متفرع عن الكوثر؟** تقدم من الأحاديث ما يدل على ذلك ، وكذلك أحاديث أخرى فمن الأحاديث المتقدمة :

● **قوله في حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الصَّامِتِ ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنهما قَالَ:** يَشْحُبُ فِيهِ مِيزَابَانِ مِنَ الْجَنَّةِ . " (٣)

● **وفي لفظ لمسلم عَنْ ثَوْبَانَ رضي الله عنه:** أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ: يَغْتُ فِيهِ مِيزَابَانِ يَمْدَانِهِ مِنَ الْجَنَّةِ أَحَدُهُمَا مِنْ ذَهَبٍ وَالْآخَرُ مِنْ وَرَقٍ . " (٤) قَالَ فِي «مَطَالَعِ الْأَنْوَارِ عَلَى صَحَاحِ الْأَثَارِ» (٥ / ١٢٨): "يَغْت فِيهِ" «يَدْفِقَانِ فِيهِ الْمَاءُ بِقُوَّةٍ، وَهُوَ مِثْلُ "يَغْبُ"، وَكَأَنَّهُ مِنْ ضَغْطِ الْمَاءِ ؛ لِكَثْرَتِهِ عِنْدَ خُرُوجِهِ، وَالغَتِ: الضَّغْطُ، وَمِنْهُ: "وَأَخَذَنِي فَعَتَّنِي" أَي: ضَغَطَنِي»

● **وفي لفظ لمسلم:** "سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ: أَعْفَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِغْفَاءَةً يَنْخُو حَدِيثُ ابْنِ مُسْهِرٍ ، غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: نَهَرٌ وَعَدْنِيهِ رَبِّي عَزَّوَجَلَّ فِي الْجَنَّةِ ، عَلَيْهِ حَوْضٌ . وَلَمْ يَذْكُرْ آيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ . " (٥)

ومن ذلك أيضا:

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٩ / ١٤٩) برقم: (٧٥١٧) (كتاب التوحيد ، باب قوله وكلم الله موسى تكليما) (بهذا اللفظ)

(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٢ / ٩١) برقم: (١٣٤٤) (كتاب الجنائز ، باب الصلاة على الشهيد) (بهذا اللفظ) ، (ومسلم في "صحيحه" (٧ / ٦٧) برقم: (٢٢٩٦) (كتاب الفضائل ، باب إثبات حوض نبينا صلى الله عليه وسلم وصفاته) (بمثله).

(٣) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٧ / ٦٩) برقم: (٢٣٠٠) (كتاب الفضائل ، باب إثبات حوض نبينا صلى الله عليه وسلم وصفاته (بهذا اللفظ)

(٤) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٧ / ٧٠) برقم: (٢٣٠١) (كتاب الفضائل ، باب إثبات حوض نبينا صلى الله عليه وسلم وصفاته (بهذا اللفظ)

(٥) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٢ / ١٣) برقم: (٤٠٠) (كتاب الصلاة ، باب حجة من قال البسملة آية من أول كل سورة سوى براءة) (بهذا اللفظ)

- **في صحيح مسلم عن أنس بن مالك** رضي الله عنه قال: "بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ بَيْنَ أَظْهُرِنَا إِذْ أَغْفَى إِغْفَاءً ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّمًا . فَقُلْنَا : مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : أُنْزِلْتُ عَلَيَّ أَنْفًا سُورَةٌ . فَقَرَأَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾ ثُمَّ قَالَ : أَتَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ ؟ فَقُلْنَا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ : فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي عَزَّوَجَلَّ عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ . هُوَ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، آيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ . فَيُخْتَلَجُ الْعَبْدُ مِنْهُمْ فَأَقُولُ : رَبِّ إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي ، فَيَقُولُ : مَا تَدْرِي مَا أَحَدَّثْتُ بَعْدَكَ ؟ زَادَ ابْنُ حُجْرٍ فِي حَدِيثِهِ : بَيْنَ أَظْهُرِنَا فِي الْمَسْجِدِ ، وَقَالَ : مَا أَحَدَّثْتُ بَعْدَكَ . " (١)

- **وفي لفظ في مستخرج أبي عوانة** « (١٨ / ١١٩ ط الجامعة الإسلامية): «حدثنا الصغاني، حدثنا إسماعيل بن الخليل، حدثنا علي بن مسهر ، أخبرنا المختار بن فلفل، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: "هل تدرون ما الكوثر؟" قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: "فإنه نهر وعدني به ربي في الجنة، عليه خير كثير، له حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة، آيته عدد النجوم، فيختلج العبد منهم، فأقول: رب، إنه من أمتي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك" (٢)

- **وفي لفظ في مستخرج أبي عوانة** « (١ / ٤٤٨ ط المعرفة): «حدثنا الصغاني قال: ثنا إسماعيل بن الخليل قال: ثنا علي بن مسهر قال: أنبأ المختار بن فلفل، عن أنس بن مالك قال: بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ بَيْنَ أَظْهُرِنَا فِي الْمَسْجِدِ إِذْ أَغْفَى إِغْفَاءً ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّمًا فَقُلْنَا لَهُ : مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : "نُزِلَتْ عَلَيَّ أَنْفًا سُورَةٌ فَقَرَأَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾ [الكوثر: ٢] ، ثُمَّ قَالَ : «هَلْ تَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟» قُلْنَا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ : " فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي فِي الْجَنَّةِ عَلَيْهِ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، آيَتُهُ عَدَدُ نُجُومِ السَّمَاءِ ، فَيُخْتَلَجُ الْعَبْدُ مِنْهُمْ فَأَقُولُ : رَبِّ إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي فَيُقَالُ : إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحَدَّثُوا بَعْدَكَ " (٣)

- **(صحيح) وفي لفظ: "عن أنس بن مالك** رضي الله عنه قال : أَغْفَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِغْفَاءً فَرَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّمًا ، فِيمَا قَالَ لَهُمْ ، وَإِمَّا قَالُوا لَهُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لِمَ ضَحِكْتَ ؟ فَقَالَ : إِنَّهُ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ أَنْفًا سُورَةٌ فَقَرَأَ : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ حَتَّى خَتَمَهَا ، فَلَمَّا قَرَأَهَا قَالَ : هَلْ تَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ ؟ قَالُوا

(١) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٢ / ١٢) برقم: (٤٠٠) (كتاب الصلاة ، باب حجة من قال البسملة آية من أول كل سورة سوى براءة) (بهذا اللفظ)

(٢) - «مستخرج أبي عوانة» (٤ / ٣٨٦ ط الجامعة الإسلامية): برقم «١٦٩٧»

(٣) - «مستخرج أبي عوانة» (١ / ٤٤٨ ط المعرفة): برقم «١٦٥٥»

اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ : فَإِنَّهُ نَهَرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي عَزَّوَجَلَّ فِي الْجَنَّةِ ، وَعَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ ، عَلَيْهِ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، آيَتُهُ عَدَدُ الْكَوَاكِبِ .^(١)

■ **مع ما جاء في البخاري عن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ** رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: بَيْنَمَا أَنَا أَسِيرُ فِي الْجَنَّةِ إِذَا أَنَا بِنَهْرٍ حَافَتَاهُ قَبَابُ الدَّرِّ الْمُجَوَّفِ ، قُلْتُ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الْكُوْثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَ رَبُّكَ ، فَإِذَا طِيبُهُ أَوْ طِيبُهُ مِسْكٌ أَذْفَرُ شَكَّ هُدْبُهُ.^(٢)

○ مسألة: هل الحوض قبل الصراط أم بعده ؟

● قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب في «الإيمان والرد على أهل البدع (مطبوع ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية لبعض علماء نجد الأعلام، الجزء الثاني)» (ص ٧٥): «(فائدة) : نقل القرطبي عن العلماء: أنه يطرد عن الحوض من ارتد ، أو أحدث بدعة كالرافضة والظلمة المعروفين بالجور، والمعلن بالمعاصي؛ ثم الطرد للمسلم قد يكون في حال ، وقد يشرب منه ذو الكبيرة ، ثم إذا دخل النار لا يعرف العطش. انتهى ملخصا. وهذا بناء على أن الحوض قبل الصراط ، والذي رجحه القاضي عياض أنه بعده ، وأن الشرب منه بعد الحساب والنجاة من النار، وأيده الحافظ ابن حجر بأن ظاهر الأحاديث: أن الحوض بجانب الجنة ؛ لينصب فيه الماء من النهر الذي داخلها، فلو كان قبل الصراط؛ لحالت النار بينه وبين الماء الذي يصب من الكوثر، ولا ينافيه أن جمعا يدفعون عنه بعد رؤيته إلى النار، لأنهم يقربون منه بحيث يروونه فيدفعون في النار قبل أن يخلصوا من بقية الصراط، والله أعلم»

● قال شيخ الإسلام في «المستدرک على مجموع الفتاوى» (١ / ١٠٤): «ورود حوض النبي ﷺ قبل الصراط، فيرده قوم، وي زاد عنه آخرون وقد بدلوا وغيروا»

● قال في «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (٢٣ / ١٣٥): «وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ فِي (التَّذَكِرَةِ) : ذَهَبَ صَاحِبُ (الْقُوتِ) : وَغَيْرِهِ إِلَى أَنَّ الْحَوْضَ يَكُونُ بَعْدَ الصِّرَاطِ ، وَذَهَبَ آخَرُونَ إِلَى الْعَكْسِ ، وَالصَّحِيحُ أَنَّ لِلنَّبِيِّ ﷺ حَوْضَيْنِ : أَحَدَهُمَا فِي الْمَوْقِفِ قَبْلَ الصِّرَاطِ ، وَالْآخَرُ دَاخِلَ الْجَنَّةِ ، وَكُلٌّ مِنْهُمَا يُسَمَّى : كُوْثَرًا»

● قال الشيخ ابن باز "الحوض قبل الصراط، والقنطرة بعد الصراط" ٢/٢ / بلوغ الجنائيات

(١) - أخرجه أبو داود في "سننه" (٤ / ٣٨١) برقم: (٤٧٤٧) (كتاب السنة ، باب في الحوض) (بهذا اللفظ) ، وأحمد في "مسنده" (٥ / ٢٥٢٧) برقم: (١٢١٧٨) (مسند أنس بن مالك رضي الله عنه ، (بمثله.) قال الأرئؤوط في «سنن أبي داود» (٧ / ١٢٥ ت الأرئؤوط): "إسناده صحيح، وقد سلف برقم (٧٨٤)"

(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٨ / ١٢٠) برقم: (٦٥٨١) (كتاب الرقاق ، باب في الحوض وقول الله تعالى إنا أعطيناك الكوثر (بهذا اللفظ)

■ **(حسن) وعند الترمذي وغيره عن أنس بن مالك** رضي الله عنه قال: سألت النبي ﷺ أن يشفع لي يوم القيامة فقال "أنا فاعل" قلت يا رسول الله فأين أطلبك؟ قال "أطلبني أول ما تطلبني على الصراط" قلت فإن لم ألقك على الصراط؟ قال "فاطلبني عند الميزان" قلت فإن لم ألقك عند الميزان؟ قال "فاطلبني عند الحوض فإني لا أخطئ هذه الثلاث المواقن" ^(١)

● قال الحافظ ابن كثير في "النهاية" (ج ٢ ص ٣٦) **معلقا على الحديث السابق : إن الحوض قبل الصراط**، قال: وظاهر هذا الحديث يقتضي أن الحوض بعد الصراط ، وكذلك الميزان ، وهذا لا أعلم به قائلا ، اللهم إلا أن يكون يراد بهذا الحوض حوض آخر يكون بعد الجواز على الصراط ، كما جاء في بعض الأحاديث ، ويكون ذلك حوضا ثانيا لا يزداد عنه أحد ، والله سبحانه وتعالى أعلم . اهـ

■ **وفي البخاري عن أبي هريرة** رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: بينا أنا قائم إذا زمرت ، حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال: هلم ، فقلت: أين؟ قال: إلى النار والله ، قلت: وما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري ، ثم إذا زمرت حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم ، فقال: هلم؟ قلت: أين؟ قال: إلى النار والله ، قلت: وما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري ، فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم" ^(٢)

■ **وفي لفظ للبخاري عن أبي هريرة** رضي الله عنه : أنه كان يحدث أن رسول الله ﷺ قال: يرد علي يوم القيامة رهط من أصحابي فيحللون عن الحوض ، فأقول: يا رب أصحابي ، فيقول: إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك ، إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقري" ^(٣) . **قال ابن القيم في «زاد المعاد في هدي خير**

(١) - أخرجه الضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" (٧ / ٢٤٦) برقم: (٢٦٩١) (مسند أنس بن مالك رضي الله عنه ، النضر بن أنس عن أبيه) (بمثله.) وقال : "إسناده صحيح" ، والترمذي في "جامعه" (٤ / ٢٢٨) برقم: (٢٤٣٣) (أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . ، باب ما جاء في شأن الصراط) (بهذا اللفظ) وقال: "حسن غريب ، لا نعرفه إلا من هذا الوجه . " وأحمد في "مسنده" (٥ / ٢٧١٣) برقم: (١٣٠٢٢) (مسند أنس بن مالك رضي الله عنه ،) (بمثله.) قال الأرئوط في «مسند أحمد» (٢٠ / ٢١٠ ط الرسالة): «رجاله رجال الصحيح، ومتنه غريب» . وقال الألباني في «مشكاة المصابيح» (٣ / ١٥٥٧): برقم «٥٥٩٥» "إسناده جيد"، وصححه في «سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها» (٦ / ٢٦٨): برقم «٢٦٣٠»

(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٨ / ١٢١) برقم: (٦٥٨٧) (كتاب الرقاق ، باب في الحوض وقول الله تعالى إنا أعطيناك الكوثر) (بهذا اللفظ)

(٣) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٨ / ١٢٠) برقم: (٦٥٨٥) (كتاب الرقاق ، باب في الحوض وقول الله تعالى إنا أعطيناك الكوثر) (بهذا اللفظ) .

العباد - ط الرسالة» (٣ / ٥٩٦): فَهَذَا الْحَدِيثُ مَعَ صِحَّتِهِ أَدَلُّ دَلِيلٍ عَلَى أَنَّ الْحَوْضَ يَكُونُ فِي الْمَوْقِفِ قَبْلَ الصِّرَاطِ؛ لِأَنَّ الصِّرَاطَ إِنَّمَا هُوَ جِسْرٌ مَمْدُودٌ عَلَى جَهَنَّمَ، فَمَنْ جَاذَهُ سَلَمٌ مِنَ النَّارِ".

○ المسألة الرابعة الحساب : المقصود به وكيفيته . وهل يحاسب الكفار ؟ .

الحساب لغة: العدد، وشرعاً: إطلاع الله عباده على أعمالهم. وهو ثابت بالكتاب والسنة وإجماع المسلمين. فأما الكتاب فأيات كثيرة منها :

- قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ .
 - وقوله تعالى : ﴿هَذَا مَا تُوْعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ [ص: ٥٣]
 - قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [ص: ٢٦]
- فأما السنة فمن ذلك:

○ صفة الحساب للمؤمن :

- ما جاء فيهما عن صفوان بن محرز المازني قال : بَيْنَمَا أَنَا أَمْشِي مَعَ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَخَذَ بِيَدِهِ ، إِذْ عَرَضَ رَجُلٌ فَقَالَ : كَيْفَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي النَّجْوَى ؟ فَقَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتَرْهُ ، فَيَقُولُ : أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا ، أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا ، فَيَقُولُ : نَعَمْ أَيُّ رَبِّ ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ ، قَالَ : سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا ، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ . وَأَمَّا الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُونَ ، فَيَقُولُ الْأَشْهَادُ : ﴿هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ .^(١)

- (ضعيف) . «عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي قَوْلِ اللَّهِ : ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أَنَسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ [الإسراء: ٧١] قَالَ : "يُدْعَى أَحَدُهُمْ فَيُعْطَى كِتَابُهُ بِيَمِينِهِ ، وَيُمَدُّ لَهُ فِي جِسْمِهِ سِتُّونَ ذِرَاعًا ، وَيَبْيَضُ وَجْهُهُ ، وَيُجْعَلُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجٌ مِنْ لَوْلُؤٍ يَتَلَأَلُ ، فَيَنْطَلِقُ إِلَى أَصْحَابِهِ فَيَرَوْنَهُ مِنْ بُعْدٍ فَيَقُولُونَ : اللَّهُمَّ اثْنَا بِهَذَا وَبَارِكْ لَنَا فِي هَذَا ، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ فَيَقُولُ لَهُمْ : أَبْشِرُوا لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْكُمْ مِثْلُ هَذَا ، " قَالَ : " وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيَسْوَدُ وَجْهُهُ وَيُمَدُّ لَهُ فِي جِسْمِهِ سِتُّونَ ذِرَاعًا عَلَى صُورَةِ آدَمَ فَيُلْبَسُ تَاجًا ، فَيَرَاهُ أَصْحَابُهُ فَيَقُولُونَ : نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ هَذَا ، اللَّهُمَّ لَا تَأْتِنَا بِهَذَا " ، قَالَ : " فَيَأْتِيَهُمْ فَيَقُولُونَ : اللَّهُمَّ أَخْزِهِ ، فَيَقُولُ : أَبْعَدْكُمْ اللَّهُ فَإِنَّ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْكُمْ مِثْلَ هَذَا " ^(٢)

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٣ / ١٢٨) برقم: (٢٤٤١) (كتاب المظالم ، باب قول الله تعالى ألا لعنة الله على الظالمين (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (٨ / ١٠٥) برقم: (٢٧٦٨) (كتاب التوبة ، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله) (بنحوه).

(٢) - أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (١٦ / ٣٤٦) برقم: (٧٣٤٩) (كتاب إخباره صلى الله عليه وسلم عن مناقب الصحابة رجالهم ونسائهم بذكر أسمائهم رضوان الله عليهم أجمعين ، ذكر الإخبار عن وصف المسلم والكافر إذا أعطيا كتابيهما) (بهذا اللفظ) ، والحاكم في "مستدركه" (٢ / ٢٤٢) برقم: (٢٩٧٣) (كتاب التفسير ، تواضعه صلى الله عليه وآله وسلم) (بنحوه) والترمذي في "جامعه"

- **وفيهما عن ابن أبي مليكة:** " أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ كَانَتْ لَا تَسْمَعُ شَيْئًا لَا تَعْرِفُهُ إِلَّا رَاجَعَتْ فِيهِ حَتَّى تَعْرِفَهُ ، وَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: مَنْ حُوسِبَ عَذِّبَ . قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ: أَوَلَيْسَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ قَالَتْ فَقَالَ: إِنَّمَا ذَلِكَ الْعَرَضُ ، وَلَكِنْ مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ يَهْلِكُ . " (١)
- **وفي لفظ للبخاري:** " عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَيْسَ أَحَدٌ يُحَاسَبُ إِلَّا هَلَكَ ، قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ ، أَلَيْسَ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا . قَالَ: ذَلِكَ الْعَرَضُ يُعْرَضُونَ ، وَمَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ هَلَكَ . " (٢)

- **وفي لفظ لمسلم:** " مَنْ حُوسِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذِّبَ . فَقُلْتُ: أَلَيْسَ قَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ فَقَالَ: لَيْسَ ذَلِكَ الْحِسَابُ ، إِنَّمَا ذَلِكَ الْعَرَضُ ، مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذِّبَ . " (٣)
- **(حسن صحيح) . وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ فِي بَعْضِ صَلَاتِهِ:**
اللَّهُمَّ حَاسِبْنِي حِسَابًا يَسِيرًا فَلَمَّا انْصَرَفَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا الْحِسَابُ الْيَسِيرُ ؟ قَالَ: " يَنْظُرُ فِي كِتَابِهِ ، وَيَتَجَاوَزُ لَهُ عَنْهُ ، إِنَّهُ مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ يَوْمَئِذٍ ، يَا عَائِشَةُ هَلَكَ ، وَكُلُّ مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ يُكَفِّرُ اللَّهُ بِهِ عَنْهُ ، حَتَّى الشَّوْكَةُ تَشُوكُهُ " . " (٤)

(٥ / ٢٠٥) برقم: (٣١٣٦) (أبواب تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . ، باب ومن سورة بني إسرائيل) (بنحوه) . وأبو يعلى في "مسنده" (١١ / ٣) برقم: (٦١٤٤) (مسند أبي هريرة ،) (بمثله) . قال الأرناؤوط في «الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان» (١٦ / ٣٤٦) : إسناده ضعيف . عبد الرحمن - وهو ابن أبي كريمة - لم يرو عنه غير ابنه إسماعيل ، ولم يوثقه غير المؤلف . وباقي رجاله رجال الصحيح » وضعفه الألباني في «التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان» (١٠ / ٣٥٩) : برقم ٧٣٠٥ . «ضعيف - ((الضعيفة))» (٤٨٢٧) .

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ٣٢) برقم: (١٠٣) (كتاب العلم ، باب من سمع شيئا فراجع حتى يعرفه) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (٨ / ١٦٤) برقم: (٢٨٧٦) (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب إثبات الحساب) (بنحوه) .

(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٦ / ١٦٧) برقم: (٤٩٣٩) (كتاب تفسير القرآن ، باب فسوف يحاسب حسابا يسيرا) (بهذا اللفظ) .

(٣) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ١٦٤) برقم: (٢٨٧٦) (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب إثبات الحساب) (بهذا اللفظ) .

(٤) - أخرجه ابن خزيمة في "صحيحه" (٢ / ٧١) برقم: (٨٤٩) (كتاب الصلاة ، باب مسألة الرب جل وعلا في الصلاة محاسبة يسيرة) (بهذا اللفظ) ، وابن حبان في "صحيحه" (١٦ / ٣٧٢) برقم: (٧٣٧٢) (كتاب إخباره صلى الله عليه وسلم عن مناقب الصحابة رجالهم ونسائهم بذكر أسمائهم رضوان الله عليهم أجمعين ، ذكر وصف العرض الذي يكون في القيامة لمن لم يناقش على أعماله) (بنحوه) ، والحاكم في "مستدرکه" (١ / ٥٧) برقم: (١٩٠) (كِتَابُ الْإِيمَانِ ، من نوقش الحساب هلك) (بمثله) . وصححه ووافقه الذهبي ، وأحمد في "مسنده" (١١ / ٥٨٥٢) برقم: (٢٤٨٥٢) (مسند عائشة رضي الله عنها ،) (بمثله) . قال الأرناؤوط في «مسند أحمد» (٤٠ / ٢٦٠ ط الرسالة) : «حديث صحيح دون قوله: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول في صلاته: "اللهم

- **وفي مسلم عن أبي هريرة** رضي الله عنه : قَالَ : لَمَّا نَزَلَتْ ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ بَلَغَتْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مَبْلَغًا شَدِيدًا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : قَارِبُوا وَسَدِّدُوا فِي كُلِّ مَا يُصَابُ بِهِ الْمُسْلِمُ كَفَّارَةً حَتَّى النَّكْبَةِ يُنْكَبَهَا ، أَوْ الشَّوْكَةَ يُشَاكُهَا. ^(١)
- **وفيهما عن أبي سعيد وأبي هريرة** رضي الله عنهما: أَنَّهُمَا سَمِعَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ وَصَبٍ ، وَلَا نَصَبٍ ، وَلَا سَقَمٍ ، وَلَا حَزَنٍ حَتَّى الْهَمِّ يَهْمُهُ إِلَّا كُفِّرَ بِهِ مِنْ سَيِّئَاتِهِ " ، **ولفظ البخاري**: " مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ وَلَا هَمٍّ وَلَا حَزَنٍ وَلَا أَذَى وَلَا غَمٍّ ، حَتَّى الشَّوْكَةَ يُشَاكُهَا إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ . " ^(٢)
- **وفيهما عن عائشة** رضي الله عنها قَالَتْ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : مَا مِنْ شَيْءٍ يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ حَتَّى الشَّوْكَةَ تُصِيبُهُ إِلَّا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِهَا حَسَنَةً ، أَوْ حُطَّتْ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ " ، **ولفظ البخاري**: " مَا مِنْ مُصِيبَةٍ تُصِيبُ الْمُسْلِمَ إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا عَنْهُ حَتَّى الشَّوْكَةَ يُشَاكُهَا .. " ^(٣)
- **وفي لفظ لمسلم عن عائشة** رضي الله عنها قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : لَا تُصِيبُ الْمُؤْمِنَ شَوْكَةٌ فَمَا فَوْقَهَا إِلَّا قَصَّ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطِيئَتِهِ " ، **وفي لفظ لمسلم**: " مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ شَوْكَةٍ فَمَا فَوْقَهَا إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَةً ، أَوْ حَطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ . " ^(٤)
- **وفي مسلم عن أنس بن مالك** رضي الله عنه : أَنَّهُ حَدَّثَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : إِنَّ الْكَافِرَ إِذَا عَمِلَ حَسَنَةً ، أُطْعِمَ بِهَا طُعْمَةً مِنَ الدُّنْيَا ، وَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَإِنَّ اللَّهَ يَدَّخِرُ لَهُ حَسَنَاتِهِ فِي الْآخِرَةِ ، وَيُعْقِبُهُ رِزْقًا فِي الدُّنْيَا عَلَى طَاعَتِهِ " ، **وفي لفظ لمسلم**: " إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً يُعْطَى بِهَا فِي الدُّنْيَا ، وَيُجْزَى بِهَا فِي الْآخِرَةِ ،

حَاسِبُنِي حَسَابًا يَسِيرًا" فهذه الزيادة تفرد بها محمد بن إسحاق" وقال في «الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان» (١٦ / ٣٧٢): «والحديث إسناده حسن، ورجاله ثقات رجال الصحيح غير محمد بن إسحاق - وهو ابن يسار - فروى له مسلم في المتابعات، وأصحاب السنن، وهو صدوق، وقد صرح بالتحديث عند أحمد وغيره، فإنتفت شبهة تدليس» . وقال الألباني في «صحيح موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان» (٢ / ٥١٠): برقم «٢١٨٨» " حسن صحيح"

(١) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ١٦) برقم: (٢٥٧٤) (كتاب البر والصلة والآداب ، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن) (بهذا اللفظ)

(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٧ / ١١٤) برقم: (٥٦٤١) (كتاب المرضى ، باب ما جاء في كفارة المرض) (بنحوه) ، ومسلم في "صحيحه" (٨ / ١٦) برقم: (٢٥٧٣) (كتاب البر والصلة والآداب ، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن) (بهذا اللفظ)

(٣) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٧ / ١١٤) برقم: (٥٦٤٠) (كتاب المرضى ، باب ما جاء في كفارة المرض) (بنحوه مختصرا) . ومسلم في "صحيحه" (٨ / ١٥) برقم: (٢٥٧٢) (كتاب البر والصلة والآداب ، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن) (بهذا اللفظ)

(٤) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ١٥) برقم: (٢٥٧٢) (كتاب البر والصلة والآداب ، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن) (بهذا اللفظ)

وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتٍ مَا عَمِلَ بِهَا فِي الدُّنْيَا ، حَتَّى إِذَا أَفْضَى إِلَى الْآخِرَةِ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُجْزَى بِهَا .^(١)

■ وفيهما عن **عمر ابن الخطاب** رضي الله عنه قال للرسول ﷺ : " فَقُلْتُ : ادْعُ اللَّهَ فَلْيُوسِّعْ عَلَيَّ أُمَّتِكَ ، فَإِنَّ فَارِسَ وَالرُّومَ وَسَّعَ عَلَيْهِمْ وَأَعْطُوا الدُّنْيَا ، وَهُمْ لَا يَعْبُدُونَ اللَّهَ ، وَكَانَ مُتَكِنًا ، فَقَالَ : أَوْفِي شَكِّ أَنْتَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ ؟ أُولَئِكَ قَوْمٌ عَجَلَتْ لَهُمْ طَيِّبَاتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا " ^(٢)

(١) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ١٣٥) برقم: (٢٨٠٨) (كتاب صفة القيامة والجنة والنار ، باب جزاء المؤمن بحسناته في الدنيا والآخرة) (بهذا اللفظ)

(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٣ / ١٣٣) برقم: (٢٤٦٨) (كتاب المظالم ، باب الغرفة والعلية المشرفة وغير المشرفة في السطوح وغيرها) (بهذا اللفظ) ، (٦ / ١٥٦) برقم: (٤٩١٣) (كتاب تفسير القرآن ، باب تبتغي مرضاة أزواجك قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم والله مولاكم وهو العليم الحكيم) (بنحوه) ، ومسلم في "صحيحه" (٤ / ١٩٢) برقم: (١٤٧٩) (كتاب الطلاق ، باب في الإيلاء واعتزال النساء وتخيرهن) (بمثله)

○ مسألة: المقاصة بين المؤمنين .

- **وفي البخاري عن أبي هريرة** رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَحَدٍ مِنْ عِرْضِهِ أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ ، قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أَخَذَ مِنْهُ بِقَدَرٍ مَظْلَمَتِهِ ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أَخَذَ مِنْ سَيِّئَاتٍ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ ^(١)
- **وفي لفظ للبخاري** عنه: "مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهَا ، فَإِنَّهُ لَيْسَ ثَمَّ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يُؤْخَذَ لِأَخِيهِ مِنْ حَسَنَاتِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أَخَذَ مِنْ سَيِّئَاتٍ أَخِيهِ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ." ^(٢)

- **وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة** رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟ قَالُوا : الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ ، وَلَا مَتَاعَ فَقَالَ : إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا ، وَقَذَفَ هَذَا ، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا ، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا ، وَضَرَبَ هَذَا فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أَخَذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ. ^(٣)

- قال ابن حجر في «فتح الباري لابن حجر» (٣٩٧/١١): «قَوْلُهُ مَالِكٌ عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ الْمُقْبَرِيِّ فِي رِوَايَةٍ بَن وَهْبٍ عَنْ مَالِكٍ: حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ أَبِي سَعِيدٍ قَوْلُهُ: "مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ" فِي رِوَايَةِ الْكُشْمِيرِيِّ مِنْ أَخِيهِ ، قَوْلُهُ: "لَيْسَ ثَمَّ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ" فِي حَدِيثِ بَن عُمرَ رَفَعَهُ: "مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ دِينَارٌ أَوْ دِرْهَمٌ قَضَى مِنْ حَسَنَاتِهِ" أَخْرَجَهُ بَن مَاجَهَ وَقَدْ مَضَى شَرْحُهُ فِي كِتَابِ الْمُظَالِمِ ...
- قَالَ الْبَيْهَقِيُّ سَيِّئَاتُ الْمُؤْمِنِ عَلَى أَصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ مُتَنَاهِيَةُ الْجَزَاءِ وَحَسَنَاتُهُ غَيْرُ مُتَنَاهِيَةِ الْجَزَاءِ ؛ لِأَنَّ مِنْ ثَوَابِهَا الْخُلُودُ فِي الْجَنَّةِ ، فَوَجَّهَ الْحَدِيثُ عِنْدِي وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَنَّهُ يُعْطَى خُصَمَاءُ الْمُؤْمِنِ الْمُسِيءِ مِنْ أَجْرِ حَسَنَاتِهِ مَا يُوَازِي عُقُوبَةَ سَيِّئَاتِهِ ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ أَخَذَ مِنْ خَطَايَا خُصُومِهِ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ، ثُمَّ يُعَذَّبُ إِنْ لَمْ يُعْفَ عَنْهُ ، فَإِذَا انْتَهَتْ عُقُوبَةُ تِلْكَ الْخَطَايَا أُدْخِلَ الْجَنَّةَ بِمَا كُتِبَ لَهُ مِنَ الْخُلُودِ فِيهَا بِإِيمَانِهِ ، وَلَا يُعْطَى خُصَمَاؤُهُ مَا زَادَ مِنْ أَجْرِ حَسَنَاتِهِ عَلَى مَا قَابَلَ عُقُوبَةَ سَيِّئَاتِهِ يَعْنِي مِنَ الْمُضَاعَفَةِ ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ يَخْتَصُّ بِهِ مَنْ وَافَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُؤْمِنًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٣ / ١٢٩) برقم: (٢٤٤٩) (كتاب المظالم ، باب من كانت له مظلمة عند الرجل فحلها) (بهذا اللفظ)

(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٨ / ١١١) برقم: (٦٥٣٤) (كتاب الرقاق ، باب القصاص يوم القيامة) (بهذا اللفظ)

(٣) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ١٨) برقم: (٢٥٨١) (كتاب البر والصلة والآداب ، باب تحريم الظلم) (بهذا اللفظ)

• قَالَ الْحَمِيدِيُّ فِي كِتَابِ الْمَوَازَنَةِ النَّاسُ ثَلَاثَةٌ:

- مَنْ رَجَحَتْ حَسَنَاتُهُ عَلَى سَيِّئَاتِهِ .
- أَوْ بِالْعَكْسِ.
- أَوْ مَنْ تَسَاوَتْ حَسَنَاتُهُ وَسَيِّئَاتُهُ .

فَالأَوَّلُ فَائِزٌ بِنَصِّ الْقُرْآنِ ، وَالثَّانِي يُقْتَضَى مِنْهُ بِمَا فَضَلَ مِنْ مَعَاصِيهِ عَلَى حَسَنَاتِهِ مِنَ النَّفْخَةِ إِلَى آخِرِ مَنْ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ بِمَقْدَارِ قَلَّةِ شَرِّهِ وَكَثْرَتِهِ ، وَالْقِسْمُ الثَّلَاثُ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ . " وَتَعَقَّبَهُ أَبُو طَالِبٍ عُقِيلُ بْنُ عَطِيَّةٍ فِي كِتَابِهِ الَّذِي رَدَّ عَلَيْهِ فِيهِ بِأَنَّ حَقَّ الْعِبَارَةِ فِيهِ أَنْ يُقَيَّدَ بِمَنْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُ مِنْهُمْ ، وَإِلَّا فَالْمُكَلَّفُ فِي الْمَشِيئَةِ ، وَصَوَّبَ الثَّلَاثَ عَلَى أَحَدِ الْأَقْوَالِ فِي أَهْلِ الْأَعْرَافِ . قَالَ وَهُوَ أَرْجَحُ الْأَقْوَالِ فِيهِمْ.

قُلْتُ- ابن حجر- قَدْ قَالَ الْحَمِيدِيُّ أَيْضًا : وَالْحَقُّ أَنَّ مَنْ رَجَحَتْ سَيِّئَاتُهُ عَلَى حَسَنَاتِهِ عَلَى قِسْمَيْنِ:

- مَنْ يُعَذَّبُ ثُمَّ يُخْرَجُ مِنَ النَّارِ بِالشَّفَاعَةِ .
- وَمَنْ يُعْفَى عَنْهُ فَلَا يُعَذَّبُ أَصْلًا .

• وَعِنْدَ أَبِي نَعِيمٍ مِنْ حَدِيثِ بْنِ مَسْعُودٍ: " يُؤْخَذُ بِيَدِ الْعَبْدِ فَيَنْصَبُ عَلَى رُؤُوسِ النَّاسِ وَيُنَادِي مُنَادٌ هَذَا فَلَانُ بْنُ فُلَانٍ فَمَنْ كَانَ لَهُ حَقٌّ فَلْيَأْتِ ، فَيَأْتُونَ فَيَقُولُ الرَّبُّ آتِ هَؤُلَاءِ حُقُوقَهُمْ ، فَيَقُولُ يَا رَبِّ فَنِيَّتِ الدُّنْيَا فَمَنْ أَيْنَ أَوْتِهِمْ ؟ فَيَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ خُذُوا مِنْ أَعْمَالِهِ الصَّالِحَةِ فَأَعْطُوا كُلَّ إِنْسَانٍ بِقَدْرِ طَلِبَتِهِ ، فَإِنْ كَانَ نَاجِيًا وَفَضَلَ مِنْ حَسَنَاتِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ ضَاعَفَهَا اللَّهُ حَتَّى يَدْخُلَهُ بِهَا الْجَنَّةُ "

• وَعِنْدَ بْنِ أَبِي الدُّنْيَا عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ صَاحِبُ الْمِيزَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جِبْرِيلُ ، يَرُدُّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، وَلَا ذَهَبَ يَوْمِيذٍ وَلَا فِضَّةٌ ، فَيُؤْخَذُ مِنْ حَسَنَاتِ الظَّالِمِ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ الْمَظْلُومِ فَرُدَّتْ عَلَى الظَّالِمِ "

• (حسن) أَخْرَجَ أَحْمَدُ وَالْحَاكِمُ مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَنَيْسٍ رَفَعَهُ " لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ وَلِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ حَتَّى أَقْصَهُ مِنْهُ حَتَّى اللَّطْمَةُ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ وَانَّمَا نُحْشَرُ حُفَاءَ عُرَاءٍ قَالَ بِالسَّيِّئَاتِ وَالْحَسَنَاتِ " (١) وَعَلَى الْبُخَارِيِّ طَرَفًا مِنْهُ فِي التَّوْحِيدِ كَمَا سَيَأْتِي . اهـ. من كلام ابن حجر في الفتح.

(١) - سيأتي تخريجه قريباً وهو حديث حسن .

■ **(صحيح).** عن أنس بن مالك رضي الله عنه " قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَمَّا عُرِجَ بِي مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ يَخْمُشُونَ وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ فَقُلْتُ مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جَبْرِيلُ قَالَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ ^(١) " .

■ **وفي مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه :** " أن رسول الله ﷺ قال لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء ^(٢) " .

■ **وأجمع المسلمون على ثبوت الحساب يوم القيامة.**

○ **مسألة :** هل يدخل اليهودي والنصراني النار بدلا عن المسلم؟ وهل يحملون أوزار المسلمين؟

■ **وفي مسلم عن أبي بردة ، عن أبيه رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال :** يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَاسٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِذُنُوبٍ أَمْثَالِ الْجِبَالِ ، فَيَغْفِرُهَا اللَّهُ لَهُمْ ، **وَيَضَعُهَا عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى فَيَمَّا أَحْسَبُ أَنَا** قَالَ أَبُو رَوْحٍ : لَا أَدْرِي مِمَّنِ الشُّكُّ قَالَ أَبُو بُرْدَةَ : فَحَدَّثْتُ بِهِ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَقَالَ : أَبُوكَ حَدَّثَكَ هَذَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ . ^(٣)

■ **وفي لفظ لمسلم عنه :** " عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : لَا يَمُوتُ رَجُلٌ مُسْلِمٌ إِلَّا أَدْخَلَ اللَّهُ مَكَانَهُ النَّارَ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا . قَالَ : فَاسْتَخْلَفَهُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بِاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ أَنَّ أَبَاهُ حَدَّثَهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : فَحَلَفَ لَهُ قَالَ : فَلَمْ يُحَدِّثْنِي سَعِيدٌ : أَنَّهُ اسْتَخْلَفَهُ ، وَلَمْ يُنْكَرْ عَلَى عَوْنِ قَوْلِهِ . ^(٤) " .

■ **وفي لفظ لمسلم عن أبي موسى رضي الله عنه قال :** قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ دَفَعَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ إِلَى كُلِّ مُسْلِمٍ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا فَيَقُولُ : هَذَا فِكَأُكَ مِنَ النَّارِ . ^(٥)

(١) - أخرجه أبو داود في "سننه" (٤ / ٤٢٠) برقم: (٤٨٧٨) (بهذا اللفظ) ، وأحمد في "مسنده" (٥ / ٢٨٢١) برقم: (١٣٥٤٤)

(بمثله). قال الأرناؤوط في «سنن أبي داود ت الأرناؤوط» (٧ / ٢٤٠): "إسناده صحيح من جهة أبي المغيرة - وهو عبد القدوس بن الحجاج ، وقال في «مسند أحمد» (٢١ / ٥٣ ط الرسالة): "إسناده صحيح على شرط مسلم من جهة عبد الرحمن بن جبير" وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣ / ٧٩) : برقم ٢٨٣٩ ، وقال في «سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها» (٢ / ٧٠) : برقم ٥٣٣ : "فالسند من طريق عبد الرحمن بن جبير - وهو ابن نفيير - صحيح على شرط مسلم".

(٢) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ١٨) برقم: (٢٥٨٢) (كتاب البر والصلة والآداب ، باب تحريم الظلم) (بهذا اللفظ).

(٣) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ١٠٥) برقم: (٢٧٦٧) (كتاب التوبة ، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله) (بهذا اللفظ)

(٤) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ١٠٤) برقم: (٢٧٦٧) (كتاب التوبة ، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله) (بنحوه مطولا).

(٨ / ١٠٤) برقم: (٢٧٦٧) (كتاب التوبة ، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله) (بهذا اللفظ)

(٥) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ١٠٤) برقم: (٢٧٦٧) (كتاب التوبة ، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله) (بهذا اللفظ)

■ (صحيح) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا لَهُ مَنْزِلَانِ: مَنْزِلٌ فِي الْجَنَّةِ ، وَمَنْزِلٌ فِي النَّارِ ، فَإِذَا مَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ وَرِثَ أَهْلُ الْجَنَّةِ مَنْزِلَهُ ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ .^(١)

قال النووي في «شرح النووي على مسلم» (١٧ / ٨٥): «وَمَعْنَى هَذَا الْحَدِيثِ مَا جَاءَ فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ لِكُلِّ أَحَدٍ مَنْزِلٌ فِي الْجَنَّةِ وَمَنْزِلٌ فِي النَّارِ ، فَاَلْمُؤْمِنُ إِذَا دَخَلَ الْجَنَّةَ ، خَلَفَهُ الْكَافِرُ فِي النَّارِ: لَاسْتِحْقَاقَهُ ذَلِكَ بِكُفْرِهِ . وَمَعْنَى فَكَأَنَّكَ مِنَ النَّارِ: أَنَّكَ كُنْتَ مُعَرَّضًا لِدُخُولِ النَّارِ ، وَهَذَا فَكَأَنَّكَ ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدَّرَ لَهَا عَدَدًا يَمْلُؤُهَا ، فَإِذَا دَخَلَهَا الْكَافَرُ بِكُفْرِهِمْ وَذُنُوبِهِمْ صَارُوا فِي مَعْنَى الْفَكَالِكَ لِلْمُسْلِمِينَ . وَأَمَّا رَوَايَةُ يَحْيَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَاسٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِذُنُوبٍ فَمَعْنَاهُ: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَغْفِرُ تِلْكَ الذُّنُوبَ لِلْمُسْلِمِينَ وَيُسْقِطُهَا عَنْهُمْ ، وَيَضَعُ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى مِثْلَهَا بِكُفْرِهِمْ وَذُنُوبِهِمْ فَيُدْخِلُهُمُ النَّارَ بِأَعْمَالِهِمْ ، لَا بِذُنُوبِ الْمُسْلِمِينَ ، وَلَا بِدَمَنِ هَذَا التَّأْوِيلِ ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ وَقَوْلُهُ: وَيَضَعُهَا مَجَازٌ ، وَالْمُرَادُ: يَضَعُ عَلَيْهِمْ مِثْلَهَا بِذُنُوبِهِمْ كَمَا ذَكَرْنَاهُ ، لَكِنْ لَمَّا أَسْقَطَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنِ الْمُسْلِمِينَ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَبْقَى عَلَى الْكَافَرِ سَيِّئَاتِهِمْ ، صَارُوا فِي مَعْنَى مَنْ حَمَلَ إِثْمَ الْفَرِيقَيْنِ ؛ لِكُونِهِمْ حَمَلُوا الْإِثْمَ الْبَاقِي وَهُوَ إِثْمُهُمْ . وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ أَثَامًا كَانَ لِلْكَافَرِ سَبَبٌ فِيهَا ، بِأَنْ سَنُوهَا فَتَسْقُطُ عَنِ الْمُسْلِمِينَ بِغُفْوِ اللَّهِ تَعَالَى وَيُوضَعُ عَلَى الْكَافَرِ مِثْلَهَا ؛ لِكُونِهِمْ سَنُوهَا وَ، مَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ مِثْلُ وَزْرِ كُلِّ مَنْ يَعْمَلُ بِهَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ؟»

● قال الألباني في «سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة» (١١ / ٦٦٥): "لا يموت رجل إلا أدخل الله مكانه النار يهودياً أو نصرانياً" «شاذ» أخرجه مسلم (٨ / ١٠٥) من طريق شداد أبي طلحة الراسبي عن غيلان بن جرير عن أبي بردة عن النبي ﷺ قال: ... فذكره. قال أبو روح: لا أدري ممن الشك؟! أورده شاهداً لما ساقه من قبل من ثلاثة طرق عن أبي بردة بلفظ: "إذا كان يوم

(١) - أخرجه ابن ماجه في "سننه" (٥ / ٣٨٩) برقم: (٤٣٤١) (أبواب الزهد ، باب صفة الجنة) (بهذا اللفظ) والبزار في "مسنده" (١٦ / ٩١) برقم: (٩١٥٢) (تنمة مرويات أبي هريرة ، الأعمش عن أبي صالح) (بنحوه مختصراً) . قال الأرئوط في «سنن ابن ماجه» (٥ / ٣٨٩ ت الأرئوط): «إسناده صحيح. أبو معاوية: هو محمد بن خازم الضرير، والأعمش: هو سليمان بن مهران، وأبو صالح: هو ذكوان السمان» ، وقال في «الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان» (١٦ / ٤٨٩): «وأخرجه ابن ماجه "٤٣٤١" من طريق أبي معاوية، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما منكم من أحد إلا له منزلان: منزل في الجنة ومنزل في النار، فإذا مات فدخل النار رث أهل الجنة منزله" فذلك قوله تعالى: {أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ} ، وهذا سند صحيح على شرط الشيخين» . وقال الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها» (٥ / ٣٤٨): برقم ٢٢٧٩... «قلت: وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين. وكذا قال البوصيري في "الزوائد" (١ / ٢٦٨) ، وذكر أنه رواه أبو بكر بن أبي شيبه في "مسنده" . وعزاه الحافظ في "الفتح" (١١ / ٤٤٢ - السلفية) لأحمد مع ابن ماجه قال: " بسند صحيح "»

القيامة؛ دفع الله عزوجل إلى كل مسلم يهودياً أو نصرانياً، فيقول: هذا فكاكك من النار". هذا لفظ طلحة بن يحيى عن أبي بردة. ولفظ عون وسعيد بن أبي بردة: "لا يموت رجل إلا أدخل الله مكانه النار يهودياً أو نصرانياً".... قلت: وطلحة بن يحيى وإن كان فيه كلام من قبل حفظه؛ حتى قال الحافظ فيه: "صدوق يخطئ"!!... فحديثه قوي بهذه المتابعات الكثيرة، لا سيما وله شاهد من حديث أنس، ذكرته تحت الرقم المذكور، فالحديث بهذين اللفظين صحيح. وأما اللفظ الأول: فهو منكر أو شاذ على الأقل؛ لأنه تفرد به الراسي، وهو وإن كان وثقه أحمد وغيره؛ فقد ضعفه شيخه عبد الصمد بن عبد الوارث. وقال العقيلي: "له غير حديث لا يتابع عليه". وقال ابن حبان: "ربما أخطأ". وقال الدارقطني: "يعتبر به". وقال الحاكم أبو أحمد: "ليس بالقوي عندهم". **قلت: فهذه الأقوال تدل على أن الرجل لم يكن قوياً في حفظه، وإن كان صدوقاً في نفسه. ولذلك؛ لم يخرج له مسلم إلا في الشواهد؛ كهذا الحديث.** وقال الحافظ في "التقريب": "صدوق يخطئ". **فمثله حديثه مرشح للتقوية بالشاهد والمتابعة، أو للضعف بالمخالفة كحديث الترجمة.** وبها أعله البيهقي، فقال في "شعب الإيمان" (١/ ٢٦٦-٢٦٧) - بعد أن ساق الحديث الصحيح من الطرق الثلاث عند مسلم وأتبعه بحديث الترجمة -: "فهذا حديث شك فيه [بعض] رواته، وشداد أبو طلحة ممن تكلم أهل العلم بالحديث فيه، وإن كان مسلم استشهد به في كتابه؛ فليس هو ممن يقبل منه ما يخالف فيه، والذين خالفوه في لفظ الحديث عدد، وهو واحد، وكل واحد ممن خالفه أحفظ منه، فلا معنى للاشتغال بتأويل ما رواه، مع خلاف ظاهر ما رواه الأصول الصحيحة الممهدة في أن لا تزروازرة وزراً أخرى. والله أعلم". قلت: وهذا منه رحمه الله في غاية التحقيق، وإليه يرجع الفضل في تنبيهي لهذه العلة، بعد أن كنت أوردت الحديث في "صحيح الجامع" برقم (٧٨٩١) اعتماداً مني على الإمام مسلم، وليس بتحقيقي؛ اتباعاً للقاعدة الغالبة: أن ما أخرجه الشيخان أو أحدهما؛ فقد جاوز القنطرة، لا سيما والعمر أقصر، والوقت أضيق من التوجه إلى نقد "الصحيحين"؛ للتعرف على الأحاديث القليلة التي يمكن أن تكون معلولة عند العارفين بهذا العلم. بينما مجال نقد أحاديث غيرهما من كتب السنة واسع جداً. وهذا ما جريت عليه في كل مؤلفاتي؛ إلا في بعض الأحوال النادرة، **مما جرتني إليه البحث والتحقيق، أو نبهني على ذلك بعض من سبقني من أهل العلم والتوفيق، كهذا الحديث، والحمد لله وحده. من أجل ذلك - وتعاوناً على البر والتقوى - أرجو من كل من كان عنده نسخة من "ضعيف الجامع الصغير" أن ينقل إليه هذا الحديث، والله تعالى أسأل أن يغفر لنا خطايانا، وأن لا يؤاخذنا بما نسينا أو أخطأنا؛ إنه سميع**

مجيب! هذا؛ وممن لم يتنبه لعله هذا الحديث الإمام النووي رحمه الله؛ فإنه تأوله توفيقاً بينه وبين الأصول التي أشار إليها البيهقي رحمه الله تعالى؛ ولا حاجة إلى ذلك كما سبق.

وأما كون الكافر في النار مكان المسلم فيها. وفكاً له منها؛ فقد جاء بيانه في قوله - ﷺ -: "ما منكم من أحد إلا له منزلان: منزل في الجنة، ومنزل في النار، فإذا مات فدخل النار؛ ورث أهل الجنة منزله، فذلك قوله تعالى: ﴿أولئك هم الوارثون﴾". وهو مخرج في "الصحيحة" (٢٢٧٩). ونحوه في "صحيح البخاري" (٦٥٦٩)، وهو من حديث أبي هريرة. وبه احتج البيهقي على ما ذكرنا من المعنى، فقال عقبه: "ويشبه أن يكون هذا الحديث تفسيراً لحديث الفداء، فالكافر إذا أورث على المؤمن مقعده من الجنة، والمؤمن إذا أورث على الكافر مقعده من النار؛ يصير في التقدير كأنه فدى المؤمن بالكافر. والله أعلم". ونحوه في "شرح مسلم" للنووي؛ فراجع إن شئت.

- **مسألة:** من يستثنى من الحساب يوم القيامة ، وما ورد في عددهم.
- والحساب عام لجميع الناس إلا من استثناهم النبي ﷺ وهم سبعون ألفاً من هذه الأمة منهم عكاشة بن محصن ؓ يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب .
- **ففي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما:** " قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ وَالنَّبِيَّانِ يَمُرُّونَ مَعَهُمُ الرَّهْطُ ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ ، حَتَّى رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ ، قُلْتُ: مَا هَذَا؟ أُمَّتِي هَذِهِ؟ قِيلَ: هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ ، قِيلَ: انْظُرْ إِلَى الْأُفُقِ ، فَإِذَا سَوَادٌ يَمْلَأُ الْأُفُقَ ، ثُمَّ قِيلَ لِي: انْظُرْ هَاهُنَا ، وَهَاهُنَا ، فِي آفَاقِ السَّمَاءِ ، فَإِذَا سَوَادٌ قَدْ مَلَأَ الْأُفُقَ ، قِيلَ: هَذِهِ أُمَّتُكَ ، **وَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ هَؤُلَاءِ سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ** . ثُمَّ دَخَلَ وَلَمْ يُبَيِّنْ لَهُمْ ، فَأَفَاضَ الْقَوْمُ وَقَالُوا: نَحْنُ الَّذِينَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاتَّبَعْنَا رَسُولَهُ ، فَتَحْنُ هُمْ ، أَوْ أَوْلَادُنَا الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الْإِسْلَامِ ، فَإِنَّا وُلِدْنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، فَبَلَغَ النَّبِيُّ ﷺ فَخَرَجَ ، فَقَالَ: هُمْ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ ، وَلَا يَكْتَوُونَ ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ . فَقَالَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ: أَمِنْهُمْ أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: نَعَمْ ، فَقَامَ آخِرُ فَقَالَ: أَمِنْهُمْ أَنَا؟ قَالَ: سَبَقَكَ عُكَّاشَةُ ^(١) " .
- **وفي الصحيحين عن سهل بن سعد ؓ:** قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لِيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي **سَبْعُونَ أَلْفًا أَوْ سَبْعُمِائَةِ أَلْفٍ شَكٌّ فِي أَحَدِهِمَا** مُتَمَسِكِينَ آخِذًا بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ ، حَتَّى يَدْخُلَ أَوَّلُهُمْ وَآخِرُهُمُ الْجَنَّةَ ، وَوُجُوهُهُمْ عَلَى ضَوْءِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ. ^(٢)
- **(صحيح)** عَنْ عَامِرِ بْنِ عُمَيْرٍ قَالَ: لَبِثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثًا لَا يَخْرُجُ إِلَى صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ ، فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ فَقَالَ: إِنِّي وَجَدْتُ رَبِّي مَا جِدَّا كَرِيمًا **أَعْطَانِي مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ السَّبْعِينَ أَلْفِ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ سَبْعِينَ أَلْفًا** ، فَقُلْتُ: إِنَّ أُمَّتِي لَا تَبْلُغُ أَوْ تُكْمِلُ هَذَا ، فَقَالَ: أَكْمِلْهُمْ لَكَ مِنَ الْأَعْرَابِ ، **ولفظ أحمد:** " فَاسْتَزِدْتُ ، فَرَزَادَنِي مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعِينَ أَلْفًا ، فَقُلْتُ: أَيُّ رَبِّ ، إِنْ لَمْ يَكُنْ هَؤُلَاءِ مُهَاجِرِي أُمَّتِي ، قَالَ: " إِذَنْ أَكْمِلْهُمْ لَكَ مِنَ الْأَعْرَابِ " ^(٣) .

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٧ / ١٢٦) برقم: (٥٧٠٥ م) (كتاب الطب ، باب من اکتوى أو كوى غيره وفضل من لم يكتو (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (١ / ١٣٨) برقم: (٢٢٠) (كتاب الإيمان ، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب) (بمثله)

(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٨ / ١١٣) برقم: (٦٥٤٣) (كتاب الرقاق ، باب يدخل الجنة سبعون ألفا بغير حساب) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (١ / ١٣٧) برقم: (٢١٩) (كتاب الإيمان ، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب) (بمثله)

(٣) - أخرجه الضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة» (٨ / ٢٠٧): برقم «٢٤٣» (بهذا اللفظ) ، وأحمد في "مسنده" (٢ / ١٨٢٧) برقم: (٨٨٢٨) (مسند أبي هريرة رضي الله عنه ، (بهذا اللفظ) وقال : "إسناده حسن" قال الأرئوط في «مسند أحمد» (١٤ / ٣٢٧ ط الرسالة): «صحيح دون قوله: "فاستزدت فرادني ... الخ" ، فلم يرد في حديث أبي هريرة سوى من هذا الطريق ، ويغلب على

- (صحيح) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: سَأَلْتُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ ، فَوَعَدَنِي أَنْ يُدْخِلَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعِينَ أَلْفًا عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ، فَاسْتَزِدْتُ ، فَزَادَنِي مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعِينَ أَلْفًا ، فَقُلْتُ : أَيُّ رَبِّ ، إِنْ لَمْ يَكُنْ هَؤُلَاءِ مُهَاجِرِي أُمَّتِي ؟ ! قَالَ : إِذَا أَكْمَلْتَهُمْ لَكَ مِنَ الْأَعْرَابِ .^(١)
- (صحيح بشواهده) وَعَنْ بُكَيرِ بْنِ الْأَخْنَسِ ، عَنْ رَجُلٍ عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أُعْطِيتُ سَبْعِينَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ : وَجُوهُهُمْ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ، وَقُلُوبُهُمْ عَلَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ ، فَاسْتَزِدْتُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ فَزَادَنِي مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ سَبْعِينَ أَلْفًا .^(٢)

ظننا أنه من مناكير زهير بن محمد» . وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» (١٠ / ٤٠٤): «رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ» . وصححه الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها» (٣ / ٤٧٤): «برقم ١٤٨٤ وقال: "وهذا إسناد على شرط مسلم لكن زهير هذا وهو أبو المنذر الخراساني فيه ضعف من قبل حفظه. والحديث قال الحافظ ابن حجر في "الفتح" (١١ / ٣٤٥) : "رواه أحمد البيهقي في "البعث" من رواية سهل بن أبي صالح....، وسنده جيد»

(١) - أخرجه أحمد في "مسنده" (٢ / ١٨٢٧) برقم: (٨٨٢٨) (مسند أبي هريرة رضي الله عنه ،) (بهذا اللفظ) . قال الأرناؤوط في «مسند أحمد» (١٤ / ٣٢٧ ط الرسالة): «صحيح دون قوله: "فاستزدت فزادني ... الخ"، فلم يرد في حديث أبي هريرة سوى من هذا الطريق، ويغلب على ظننا أنه من مناكير زهير بن محمد، فهو -وإن روى له جماعة- قد نص غير واحد من أهل العلم أن عنده مناكير، والله تعالى أعلم» . قال الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها» (٣ / ٤٧٣): «برقم ١٤٨٤ ... قلت: وهذا إسناد على شرط مسلم لكن زهير هذا وهو أبو المنذر الخراساني فيه ضعف من قبل حفظه. والحديث قال الحافظ ابن حجر في "الفتح" (١١ / ٣٤٥) : "رواه أحمد والبيهقي في "البعث" من رواية سهل بن أبي صالح....، وسنده جيد» .

(٢) - أخرجه أحمد في "مسنده" (١ / ١٤) برقم: (٢٣) (مسند العشرة المبشرين بالجنة وغيرهم ، مسند أبي بكر الصديق رضي الله عنه) (بهذا اللفظ) ، وأبو يعلى في "مسنده" (١ / ١٠٤) برقم: (١١٢) (مسند أبي بكر الصديق ،) (بنحوه) . قال الأرناؤوط في «مسند أحمد» (١ / ٢٠٣ ط الرسالة): «إسناده ضعيف لجهالة الرجل الراوي عن أبي بكر، والمسعودي - وهو عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة بن عبد الله بن مسعود - اختلط. وأخرجه أبو يعلى (١١٢) من طريق أبي داود الطيالسي، عن المسعودي، بهذا الإسناد» . وقال في «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» (١٠ / ٤١٠): «رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَأَبُو يَعْلَى، وَفِيهِمَا الْمَسْعُودِيُّ وَقَدْ اخْتَلَطَ وَتَابِعِيَّةٌ لَمْ يُسَمَّ، وَبَقِيَّةُ رِجَالِ أَحْمَدَ رِجَالُ الصَّحِيحِ» . وقال الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها» (٣ / ٤٧٣): «برقم ١٤٨٤ : "وهذا سند ضعيف من أجل الرجل الذي لم يسم. والمسعودي كان اختلط واسمه عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة بن عبد الله بن مسعود. لكن الحديث صحيح فإن له شواهد كثيرة عن جمع من الصحابة، وفاته حديث أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: "سألت ربي عز وجل، فوعدني أن يدخل من أمتي سبعين ألفا على صورة القمر ليلة البدر، فاستزدت فزادني مع كل ألف سبعين ألفا، فقلت: أي رب إن لم يكن هؤلاء مهاجري أمتي، قال: إذن أكملهم لك من الأعراب"» أخرجه أحمد (٢ / ٣٥٩) عن زهير بن محمد عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ . قلت: وهذا إسناد على شرط مسلم لكن زهير هذا وهو أبو المنذر الخراساني فيه ضعف من قبل حفظه. والحديث قال الحافظ ابن حجر في "الفتح" (١١ / ٣٤٥) : "رواه أحمد والبيهقي في "البعث" من رواية سهل بن أبي صالح....، وسنده جيد وفي الباب عن أبي أيوب عند الطبراني وعن حذيفة عند أحمد وعن أنس عند البزار وعن ثوبان عند ابن أبي عاصم ، فهذه طرق يقوي بعضها بعضا" . قلت: وعن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، عند أحمد أيضا (١ / ١٩٧) . وصححه في «صحيح الجامع الصغير وزيادته» (١ / ٢٤٠): «برقم ١٠٥٧»

- (صحيح لغيره) وعن ثوبان رضي الله عنه قال: "أَحَدَثَكَ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، سَمِعْتُهُ يَقُولُ : لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا ، لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ ، وَلَا عَذَابَ ، مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعُونَ أَلْفًا ."^(١)
- (صحيح) عَنْ أَبِي أَمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : إِنَّ اللَّهَ وَعَدَنِي أَنْ يَدْخُلَ مِنْ أُمَّتِي الْجَنَّةَ سَبْعِينَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ ، فَقَالَ : يَزِيدُ بْنُ الْأَخْنَسِ السُّلَمِيُّ : وَاللَّهِ مَا أَوْلَيْتَكَ فِي أُمَّتِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِلَّا كَالذُّبَابِ الْأَصْهَبِ فِي الدِّبَّانِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : إِنَّ رَبِّي قَدْ وَعَدَنِي سَبْعِينَ أَلْفًا مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعِينَ أَلْفًا وَزَادَنِي حَتِّيَاتٍ ."^(٢)
- (صحيح) وفي لفظ أحمد عنه : "إِنَّ اللَّهَ [عَزَّ وَجَلَّ] وَعَدَنِي أَنْ يَدْخُلَ مِنْ أُمَّتِي الْجَنَّةَ سَبْعِينَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ فَقَالَ يَزِيدُ بْنُ الْأَخْنَسِ السُّلَمِيُّ : وَاللَّهِ مَا أَوْلَيْتَكَ فِي أُمَّتِكَ إِلَّا كَالذُّبَابِ الْأَصْهَبِ فِي الدِّبَّانِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : فَإِنَّ رَبِّي [عَزَّ وَجَلَّ] قَدْ وَعَدَنِي سَبْعِينَ أَلْفًا مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعُونَ أَلْفًا ، وَزَادَنِي ثَلَاثَ حَتِّيَاتٍ ."^(٣)

(١) - أخرجه أحمد في "مسنده" (١٠ / ٥٢٧٤) برقم: (٢٢٨٥٣) (مسند الأنصار رضي الله عنهم ، ومن حديث ثوبان رضي الله عنه) (بهذا اللفظ) والطبراني في "الكبير" (٢ / ٩٢) برقم: (١٤١٣) (باب الناء ، من غرائب مسند ثوبان) (بنحوه مختصرا) . قال الأرئوط في «مسند أحمد» (٣٧ / ٩٩ ط الرسالة): «المرفوع منه صحيح لغيره، وهذا إسناد رجاله ثقات غير ضمضم بن زرعة، ففيه كلام ينزله عن رتبة الصحيح، وفي سماع شريح بن عبيد من ثوبان نظر» . وقال الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها» (٥ / ٢١١): برقم ٢١٧٩: "...قلت: وهذا إسناد جيد، رجاله ثقات وفي ضمضم خلاف يسير لا يضر كما تقدم. وفي سماع شريح من ثوبان اختلاف لا يضر أيضا لأنه متابع كما يأتي ... وللحديث شواهد عن جمع من الصحابة".

(٢) - أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (١٦ / ٢٣٠) برقم: (٧٢٤٦) (كتاب إخباره صلى الله عليه وسلم عن مناقب الصحابة رجالهم ونسائهم بذكر أسمائهم رضوان الله عليهم أجمعين ، ذكر الإخبار عن عدد من يدخل الجنة من هذه الأمة بغير حساب) (بهذا اللفظ) والترمذي في "جامعه" (٤ / ٢٣٢) برقم: (٢٤٣٧) (أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . ، باب منه) (بنحوه مختصرا) . وقال : "حسن" ، وأحمد في "مسنده" (١٠ / ٥٢٠٧) برقم: (٢٢٥٨٦) (مسند الأنصار رضي الله عنهم ، حديث أبي أمامة الباهلي الصدي بن عجلان بن عمرو ويقال ابن وهب الباهلي عن النبي صلى الله عليه وسلم) (بمثله مطولا) . قال الأرئوط في «الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان» (١٦ / ٢٣٠): «إسناده صحيح. عمرو الحمصي روى له أبو داود، والنسائي، وابن ماجه، وهو ثقة، وثقه النسائي وأبو داود، والمؤلف، ومسلمة بن القاسم، وقال أبو حاتم: صدوق، ومن فوقه ثقات من رجال الصحيح غير أبي اليمان الهوزني متابع سليم بن عامر، فقد روى له أبو داود في "المراسيل" وذكره المؤلف في "الثقات" ١٨٨/٥ ، وقال: من أهل الشام يروي عن سلمان وصفوان بن أمية، روى عنه أبو عبد الرحمن الحبلي والشاميون» وصححه الألباني في «صحيح موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان» (٢ / ٥٣٤): برقم «٢٢٣٣»

(٣) - أخرجه أحمد في "مسنده" (١٠ / ٥٢٤٤) برقم: (٢٢٧٣٤) (مسند الأنصار رضي الله عنهم ، حديث أبي أمامة الباهلي الصدي بن عجلان بن عمرو ويقال ابن وهب الباهلي عن النبي ﷺ) (بهذا اللفظ) ، والطبراني في "الكبير" (٤ / ١٢٧) برقم: (٣٨٨٢) (باب الخاء ، أبو رهم السماعي عن أبي أيوب الأنصاري) (بنحوه) . قال الأرئوط في «مسند أحمد» (٣٦ / ٤٧٩ ط الرسالة): «صحيح، وهذا إسناد قوي من جهة سليم بن عامر الخبازي، رجاله رجال الصحيح .» وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» (١٠ / ٣٦٢): «رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَطَبْرَانِيُّ، وَرِجَالُ أَحْمَدَ، وَبَعْضُ أَصَانِيدِ الطَّبْرَانِيِّ رِجَالُ الصَّحِيحِ» .

- (صحيح) وفي لفظ لأحمد عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "وعدني ربي أنْ يُدْخِلَ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعِينَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ ، وَلَا عَذَابٍ ، مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعِينَ أَلْفًا ، وَثَلَاثَ حَثَيَاتٍ مِنْ حَثَيَاتِ رَبِّي [عَزَّ وَجَلَّ]"^(١)

(١) - أخرجه أحمد في "مسنده" (١٠ / ٥٢٤٤) برقم: (٢٢٣٠٣) (مسند الأنصار رضي الله عنهم ، حديث أبي أمامة الباهلي الصدي بن عجلان بن عمرو ويقال ابن وهب الباهلي عن النبي ﷺ) (بهذا اللفظ) ، والترمذي في "جامعه" (٤ / ٢٣٢) برقم: (٢٤٣٧) (أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ ، باب منه) (بمثله.) وقال: "حسن غريب" ، وابن ماجه في "سننه" (٥ / ٣٤٨) برقم: (٤٢٨٦) (أبواب الزهد ، باب صفة أمة محمد ﷺ) (بمثله.) . قال الأرئوط في «مسند أحمد» (٣٦ / ٦٣٩ ط الرسالة): «صحيح، وهذا إسناد حسن، إسماعيل بن عياش العنسي الحمصي صدوق حسن الحديث في روايته عن الشاميين، وهذا منها، وباقي رجاله ثقات رجال الصحيح. أبو اليمان: هو الحكم بن نافع البهراني الحمصي، ومحمد بن زياد: هو الألهاني الحمصي»

○ **مسألة : أول من يحاسب من الأمم : أمة محمد ﷺ .**

- **فيهما من أبي هريرة** رضي الله عنه **عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "نَحْنُ الْآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ".** (١)
- **وفي مسلم عَنْ رَبِيعِ بْنِ حِرَاشٍ ، عَنْ حُذَيْفَةَ** **رضي الله عنهم . قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَضَلَّ اللَّهُ عَنِ الْجُمُعَةِ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا . فَكَانَ لِلْيَهُودِ يَوْمُ السَّبْتِ . وَكَانَ لِلنَّصَارَى يَوْمُ الْأَحَدِ . فَجَاءَ اللَّهُ بِنَا . فَهَذَا اللَّهُ لِيَوْمِ الْجُمُعَةِ . فَجَعَلَ الْجُمُعَةَ وَالسَّبْتَ وَالْأَحَدَ . وَكَذَلِكَ هُمْ تَبَعٌ لَنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ . نَحْنُ الْآخِرُونَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا . وَالْأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . الْمُقْضِيُّ لَهُمْ قَبْلَ الْخَلَائِقِ . فِي رَوَايَةٍ وَاصِلٍ : الْمُقْضِيُّ بَيْنَهُمْ .** (٢)
- **(صحيح) وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ** **رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: نَحْنُ آخِرُ الْأُمَمِ ، وَأَوَّلُ مَنْ يُحَاسَبُ ، يُقَالُ: أَيْنَ الْأُمَّةُ الْأُمِّيَّةُ وَنَبِيِّهَا؟ فَنَحْنُ الْآخِرُونَ الْأَوَّلُونَ .** (٣)

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٨ / ١٢٨) برقم: (٦٦٢٤) (كتاب الأيمان والنذور ، باب : قول الله تعالى لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" ، (٣ / ٦) برقم: (٨٥٥) (كتاب الجمعة ، باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة) (بمثله مطولا).

(٢) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٣ / ٧) برقم: (٨٥٦) (كتاب الجمعة ، باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة) (بهذا اللفظ)

(٣) - أخرجه ابن ماجه في "سننه" (٥ / ٣٥٠) برقم: (٤٢٩٠) (أبواب الزهد ، باب صفة أمة محمد صلى الله عليه وسلم) (بهذا اللفظ) ، وأحمد في "مسنده" (٢ / ٦٥٣) برقم: (٢٧٣٦) (مسند بني هاشم رضي الله عنهم ، مسند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم) (بمثله مطولا). قال الأرئوط في «مسند أحمد» (٤ / ٣٣٢ ط الرسالة): «حسن لغيره» . وقال في «سنن ابن ماجه» (٥ / ٣٥٠ ت الأرئوط): «رجاله ثقات، إلا أنه اختلف فيه على حماد بن سلمة» . وقال الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها» (٥ / ٤٨٨): برقم «٢٣٧٤» وقال: "قلت: وهذا إسناد صحيح، ورجاله ثقات كما قال البوصيري في " زوائد ابن ماجه " .

○ **مسألة:** أول ما يحاسب عليه العبد الصلاة ، وأول ما يقضى فيه الدماء .

- **(صحيح بطرقه وشواهد).** عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن النبي ﷺ قال " إن أول ما يحاسب الناس به يوم القيامة من أعمالهم الصلاة قال يقول ربنا عزوجل لملائكته وهو أعلم - انظروا في صلاة عبدي أتمها أم نقصها. فإن كانت تامة كتبت له تامة وإن كان انتقص منها شيئا قال : "انظروا هل لعبدي من تطوع ؟ فإن كان له تطوع قال: أتموا لعبدي فريضته من تطوعه ثم تؤخذ الأعمال على ذاك" ^(١)
- **(صحيح).** وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ " إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلَاتُهُ فَإِنْ صَلَحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ فَإِنْ انْتَقَصَ مِنْ فَرِيضَتِهِ شَيْءٌ قَالَ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ انْظُرُوا هَلْ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ فَيُكَمَّلَ بِهَا مَا انْتَقَصَ مِنَ الْفَرِيضَةِ ثُمَّ يَكُونُ سَائِرُ عَمَلِهِ عَلَى ذَلِكَ " ، **وفي لفظ للنسائي** " أول ما يحاسب به العبد: صلاته، فإن كان أكملها؛ وإلا قال الله عز وجل: انظروا لعبدي من تطوع؛ فإن وجد له تطوع قال: أكملوا به الفريضة" ^(٢)
- **(صحيح).** قال أبو داود بعد ذكر الحديث السابق: "عن تميم الداري رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ بهذا المعنى ، قال : ثم الزكاة مثل ذلك ثم تؤخذ الأعمال على حسب ذلك .." ^(٣)

(١) - أخرجه الحاكم في "مستدرکه" (١ / ٢٦٢) برقم: (٩٧١) (بهذا اللفظ). وصححه ووافقه الذهبي ، وأبو داود في "سننه" (١ / ٣٢٢) برقم: (٨٦٤) (بمثله مطولا). قال الأرئوط في «سنن أبي داود ت الأرئوط» (٢ / ١٤٩): "حديث صحيح بطرقه وشواهد" صححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود ط غراس» (٤ / ١٧): برقم ٨١٠ ، وقال : "حديث صحيح، وصححه الحاكم والذهبي وابن عبد البر وحسنه الترمذي".

(٢) - أخرجه الحاكم في "مستدرکه" (١ / ٢٦٢) برقم: (٩٧١) (بنحوه مختصرا). وصححه ووافقه الذهبي، والنسائي في "المجتبى" (١ / ١١٥) برقم: (٤٦٤ / ١) (كتاب الصلاة ، باب المحاسبة على الصلاة) (بهذا اللفظ) ، وأبو داود في "سننه" (١ / ٣٢٢) برقم: (٨٦٤) (بنحوه) والترمذي في "جامعه" (١ / ٤٣٧) برقم: (٤١٣) (بنحوه). وقال : "حسن غريب" ، وأحمد في "مسنده" (٢ / ١٩٨٧) برقم: (٩٦٢٥) (بنحوه). .. وقال الأرئوط في «مسند أحمد» (١٣ / ٢٧٩ ط الرسالة): حديث صحيح، وهذا إسناد ضعيف... وقال المزي في "تهذيب الكمال" ٣/٣٤٦ بعدما أشار إلى هذا الحديث: هو حديث مضطرب، منهم من رفعه، ومنهم من شك في رفعه، ومنهم من وقفه، ومنهم من قال: عن الحسن، عن رجل من بني سليل، عن أبي هريرة، ومنهم من قال: عن الحسن عن أبي هريرة. وقال الدارقطني في "العلل" ٨/٢٤٨ بعدما ذكر الاضطراب الذي وقع في الحديث: أشبهها بالصواب قول من قال: عن الحسن عن أنس بن حكيم عن أبي هريرة. وأخرجه إسحاق بن راهويه (٥٠٦) والنسائي (١ / ٢٣٣-٢٣٤ من طريق حماد بن سلمة، عن الأزرق بن قيس، عن يحيى بن يعمر، عن أبي هريرة، وهذا إسناد صحيح. صححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير وزيادته» (١ / ٤٠٥): برقم ٢٠٢٠ ، وقال في «صحيح سنن أبي داود ط غراس» (٤ / ٢٠): ...الطريق الصحيحة: أخرجه النسائي (١ / ٨٢) عن النضر بن شميل قال: أنبأنا حماد بن سلمة عن الأزرق بن قيس عن يحيى بن يعمر عن أبي هريرة ...قلت: وهذا إسناد صحيح على شرط مسلم. "

(٣) - أخرجه أبو داود في "سننه" (١ / ٣٢٣) (٨٦٣) (بهذا اللفظ). قال الأرئوط في «سنن أبي داود ت الأرئوط» (٢ / ١٥٠) قال الألباني في «صحيح سنن أبي داود ط غراس» (٤ / ٢٠): برقم ٨١٢ : "إسناده صحيح على شرط مسلم، وكذلك صححه الحاكم ووافقه الذهبي، وصححه الدارمي أيضا".

- **فيهما عن بن مسعود** رضي الله عنه : "قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الدِّمَاءِ" ^(١)
- **وفي لفظ لمسلم** "يحكم بين الناس" ^(٢)
- **وفي مسلم عن أبي هريرة** رضي الله عنه : "سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ ، رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا ، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ ، قَالَ: كَذَبْتَ ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ جَرِيٌّ فَقَدْ قِيلَ ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُجِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا ، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ ، وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ ، قَالَ: كَذَبْتَ ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ فَقَدْ قِيلَ ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُجِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا ، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ ، قَالَ: كَذَبْتَ ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ فَقَدْ قِيلَ ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُجِبَ عَلَى وَجْهِهِ ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ . " ^(٣)
- **(صحيح) . وفي لفظ عند ابن حبان:** "يا أبا هريرة أولئك الثلاثة أول خلق الله تسعربهم الناريوم القيامة" ^(٤)

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٩ / ٢) برقم: (٦٨٦٤) (كتاب الديات ، باب قول الله تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم (بهذا اللفظ)، ومسلم في "صحيحه" (٥ / ١٠٧) برقم: (١٦٧٨) (كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب المجازاة بالدماء في الآخرة وأنها أول ما يقضى فيه بين الناس يوم القيامة) (بمثله).

(٢) - أخرجه مسلم (٥ / ١٠٧) برقم: (١٦٧٨) (كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات ، باب المجازاة بالدماء في الآخرة وأنها أول ما يقضى فيه بين الناس يوم القيامة) (بهذا اللفظ).

(٣) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٦ / ٤٧) برقم: (١٩٠٥) (كتاب الإمارة ، باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار) (بهذا اللفظ) . قال الأرئوط في «صحيح ابن حبان» (٢ / ١٣٧): «إسناده صحيح. الوليد بن أبي الوليد، من رجال مسلم، وترجمه ابن أبي حاتم: ١٩/٩، ٢٠ ونقل توثيقه عن أبي زرعة، ووثقه الإمام الذهبي في "الكاشف": ٢٤٣/٣، وذكره المؤلف في "الثقات" ٤٩٤/٥ و٥٥٢/٧، وقد وهم الحافظ في "التقريب" فوصفه بقوله: لين الحديث، وباقي رجاله ثقات.»

(٤) - أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (٢ / ١٣٥) برقم: (٤٠٨) (بهذا اللفظ) قال الأرئوط في «صحيح ابن حبان» (٢ / ١٣٧): «إسناده صحيح. الوليد بن أبي الوليد، من رجال مسلم، وترجمه ابن أبي حاتم: ١٩/٩، ٢٠ ونقل توثيقه عن أبي زرعة، ووثقه الإمام الذهبي في "الكاشف": ٢٤٣/٣، وذكره المؤلف في "الثقات" ٤٩٤/٥ و٥٥٢/٧، وقد وهم الحافظ في "التقريب" فوصفه بقوله: لين الحديث، وباقي رجاله ثقات.» وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير وزيادته» (١ / ٣٥٢): (١٧١٣)

○ مسألة: هل يحاسب الكفار؟

- **تحرير محل النزاع:** قال شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» (٦/ ٤٨٦) فما بعدها: ... مسألة " مُحَاسَبَةُ الْكُفَّارِ " هَلْ يُحَاسَبُونَ أَمْ لَا؟ ... «أَصْحَابُ الْإِمَامِ أَحْمَدُ وَإِنْ كَانَ أَكْثَرُهُمْ يَقُولُونَ: لَا يُحَاسَبُونَ ، وَاخْتَلَفَ فِيهَا غَيْرُهُمْ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَأَهْلِ الْكَلَامِ. وَذَلِكَ أَنَّ " الْحِسَابَ " قَدْ يُرَادُ بِهِ : الْإِحَاطَةُ بِالْأَعْمَالِ وَكِتَابَتُهَا فِي الصُّحُفِ ، وَعَرْضُهَا عَلَى الْكُفَّارِ ، وَتَوْبِيخُهُمْ عَلَى مَا عَمِلُوهُ ، وَزِيَادَةُ الْعَذَابِ وَنَقْصُهُ بِزِيَادَةِ الْكُفْرِ وَنَقْصِهِ ، فَهَذَا الضَّرْبُ مِنَ الْحِسَابِ ثَابِتٌ بِالِاتِّفَاقِ. وَقَدْ يُرَادُ " بِالْحِسَابِ " وَزْنُ الْحَسَنَاتِ بِالسَّيِّئَاتِ لِيَتَبَيَّنَ أَهْمُهُمَا أَرْجَحُ: فَالْكَافِرُ لَا حَسَنَاتَ لَهُ تُوزَنُ بِسَيِّئَاتِهِ ؛ إِذْ أَعْمَالُهُ كُلُّهَا حَاطَةٌ وَإِنَّمَا تُوزَنُ لِتُظْهَرَ خِفَّةُ مُوَازِينِهِ لَا لِتَتَبَيَّنَ رُجْحَانُ حَسَنَاتٍ لَهُ. وَقَدْ يُرَادُ " بِالْحِسَابِ " أَنَّ اللَّهَ: هَلْ هُوَ الَّذِي يُكَلِّمُهُمْ أَمْ لَا؟ فَالْقُرْآنُ وَالْحَدِيثُ يَدُلَّانِ عَلَى أَنَّ اللَّهَ يُكَلِّمُهُمْ تَكْلِيمَ تَوْبِيخٍ وَتَقْرِيعٍ وَتَبْكِيَةٍ لَا تَكْلِيمَ تَقْرِيبٍ وَتَكْرِيمٍ وَرَحْمَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنَ الْعُلَمَاءِ مَنْ أَنْكَرَ تَكْلِيمَهُمْ جُمْلَةً".
- (حسن) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَقِيلٍ ، أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَنَيْسٍ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَوْ قَالَ الْعِبَادُ عُرَاءَ غُرْلًا بِيَهُمَا . قَالَ : قُلْنَا : وَمَا بِيَهُمَا ؟ قَالَ : لَيْسَ مَعَهُمْ شَيْءٌ ، ثُمَّ يُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ [مَنْ قَرُبَ] : أَنَا الْمَلِكُ أَنَا الدَّيَّانُ ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ أَنْ يَدْخُلَ النَّارَ وَلَهُ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَقٌّ حَتَّى أَقْصَهُ مِنْهُ ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ وَلِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ عِنْدَهُ حَقٌّ حَتَّى أَقْصَهُ مِنْهُ ، حَتَّى اللَّطْمَةِ . قَالَ : قُلْنَا : كَيْفَ وَإِنَّمَا نَأْتِي اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عُرَاءَ غُرْلًا بِيَهُمَا ؟ قَالَ : بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ . (١)

(١) - أخرجه الضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" (٩ / ٢٢) برقم: (١٠) (مسند عبد الله بن أنيس الأنصاري ، (بنحوه .) ، والحاكم في "مستدركه" (٢ / ٣٧٠) برقم: (٣٦٥٩) (كتاب التفسير ، احتمال المشقة في طلب الحديث) (بمثله .) وصححه ووافقه الذهبي ، وأحمد في "مسنده" (٦ / ٣٤٧٠) برقم: (١٦٢٨٨) (مسند المكيين رضي الله عنهم ، حديث عبد الله بن أنيس رضي الله عنه) (بهذا اللفظ) . قال الأرئوط في «مسند أحمد» (٢٥ / ٤٣٢ ط الرسالة): «إسناده حسن، القاسم بن عبد الواحد المكي، سئل عنه أبو حاتم فقال: يكتب حديثه، ثم سئل: يحتج بحديثه؟ قال: يحتج بحديث سفيان، وشعبة. قلنا: وقد روى عنه جمع، وذكره ابن حبان في "الثقات". وقال الذهبي: وثق. قلنا: ولا نعلم فيه جرحاً. وعبد الله بن محمد بن عقيل قال الحافظ في "التلخيص": أما إذا انفرد فيحسّن، وأما إذا خالف فلا يقبل، وقال الذهبي في "الميزان": حديثه في مرتبة الحسن، قلنا: وقد توبع، وباقي رجال الإسناد ثقات رجال الشيخين، غير أن صحابيه عبد الله بن أنيس قد أخرج له أبو داود والترمذي. همام بن يحيى: هو العوذدي". وقال محققوا سر إعلام النبلاء «سير أعلام النبلاء - ط الرسالة» (٣ / ١٩٢): ... وحسنه الحافظ في "الفتح" ١ / ١٥٨ ، وصححه الحاكم ٢ / ٤٣٧ ، ٤٣٨ ، ووافقه الذهبي» وحسنه الألباني في «صحيح الأدب المفرد» (ص ٣٧١): برقم «٩٧٠/٥٧٠»

○ المسألة الخامسة: نشر الدواوين.

النشر لغة: فتح الكتاب أو بث الشيء، وشرعاً: إظهار صحائف الأعمال يوم القيامة وتوزيعها» والدواوين جمع ديوان، وهو لغة: الكتاب يحصى فيه الجند ونحوهم، وشرعاً: الصحائف التي أحصيت فيها الأعمال التي كتبها الملائكة على العامل، فنشر الدواوين إظهار صحائف الأعمال يوم القيامة فتتطاير إلى الأيمان والشمائل، وهو ثابت بالكتاب وإجماع الأمة:

● فمن الكتاب:

- قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَبِيرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مِنْشُورًا ۝١٣﴾ أقرأ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿[الإسراء: ١٣-١٤]
 - وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَبِئْمِينِهِ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ۝٩ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ۝١٠ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ۝١١ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۝١٢ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ۝١٣ إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّنْ يَحُورَ ۝١٤ بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ۝﴾ [الانشقاق: ٧-١٥]
 - وقال تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْهُمْ فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَبِئْمِينِهِ فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿[الإسراء: ٧١]
 - وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَبِئْمِينِهِ فَيَقُولُ هَٰؤُلَاءِ أَقْرَأُوا كِتَابِيَةَ ۝١٦ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَةَ ۝١٧ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝١٨ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝١٩ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ۝٢٠ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ۝٢١ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَةَ ۝٢٢ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَةَ ۝٢٣ يَلَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ۝٢٤ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَةَ ۝٢٥ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَةَ ۝﴾ [الحاقة: ١٩-٢٩]
- وأجمع المسلمون على ثبوت ذلك .

● ومن السنة :

- (ضعيف) **عَنِ الْحَسَنِ ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قَالَتْ : ذَكَرْتُ النَّارَ فَبَكَيْتُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " مَا لَكَ يَا عَائِشَةُ ؟ " قَالَتْ : ذَكَرْتُ النَّارَ فَبَكَيْتُ فَهَلْ تَذْكُرُونَ أَهْلِيكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أَمَّا فِي ثَلَاثِ مَوَاطِنَ فَلَا يَذْكُرُ أَحَدٌ أَحَدًا حَتَّىٰ يَعْلَمَ أَيَخْفُ مِيزَانُهُ أَمْ يَنْقُلُ ، وَعِنْدَ الْكُتُبِ حَتَّىٰ يُقَالَ : ﴿هَٰؤُلَاءِ أَقْرَأُوا كِتَابِيَةَ﴾ حَتَّىٰ يَعْلَمَ أَيْنَ يَقَعُ كِتَابُهُ أَفِي يَمِينِهِ أَمْ فِي شِمَالِهِ أَوْ مِنْ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ، وَعِنْدَ**

الصِّرَاطِ إِذَا وُضِعَ بَيْنَ ظَهْرِي جَهَنَّمَ حَافَتَاهُ كَاللَّيْلِ كَثِيرَةٌ وَحَسَكُ كَثِيرٌ يَحْسِبُ اللَّهُ بِهَا مَنْ شَاءَ مِنْ خَلْقِهِ حَتَّى يَعْلَمَ أَيُّنَجُو أَمْ لَا" (١).

■ **(ضعيف مضطرب ولبعضه شواهد) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قَالَ : حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ فِي طَائِفَةٍ

فَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - لَمَّا فَرَعَ مِنْ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ خَلَقَ الصُّورَ ، فَأَعْطَاهُ إِسْرَافِيلَ ، فَهُوَ وَاضِعُهُ عَلَى فِيهِ شَاخِصًا بَصَرُهُ إِلَى الْعَرْشِ يَنْتَظِرُ مَتَى يُؤْمَرُ " قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَمَا الصُّورُ ؟ قَالَ : " الْقَرْنُ " قُلْتُ : كَيْفَ هُوَ ؟ قَالَ : " عَظِيمٌ ، وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ إِنَّ عِظَمَ دَارَةِ فِيهِ كَعَرْضِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، يَنْفُخُ فِيهِ ثَلَاثَ نَفَخَاتٍ : النَّفْخَةُ الْأُولَى نَفْخَةُ الْفَرْعِ ، وَالثَّانِيَةُ نَفْخَةُ الصَّعْقِ ، وَالثَّالِثَةُ نَفْخَةُ الْقِيَامِ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ، يَأْمُرُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - إِسْرَافِيلَ بِالنَّفْخَةِ الْأُولَى فَيَقُولُ : انْفُخْ نَفْخَةَ الْفَرْعِ ، فَيَنْفُخُ نَفْخَةَ الْفَرْعِ ، فَيَفْرَعُ أَهْلُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ، فَيَأْمُرُهُ فَيُذِيمُهَا وَيُطِيلُهَا وَلَا يَفْتَرُ ، وَهِيَ الَّتِي يَقُولُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - ﴿ وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ ﴾ فَيَسِيرُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - الْجِبَالَ سَيْرَ السَّحَابِ ، فَتَكُونُ سَرَابًا ، ثُمَّ تَرْتَجُّ الْأَرْضُ بِأَهْلِهَا رَجًّا ، فَتَكُونُ كَالسَّفِينَةِ الْمُوْبِقَةِ فِي الْبَحْرِ تَضْرِبُهَا الْأَمْوَاجُ تَكْفًا بِأَهْلِهَا كَالْقَنْدِيلِ الْمُعَلَّقِ بِالْعَرْشِ تُرَجِّجُهُ الرِّيحُ الْأَزْوَاحُ ، وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ [اللَّهُ] : ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ * تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ * قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ * أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ ﴾ ، فَيَمِيدُ النَّاسُ عَلَى وَجْهِهَا ، وَتَذْهَلُ الْمَرَاضِعُ ، وَتَضَعُ الْحَوَامِلُ ، وَيَشِيبُ الْوِلْدَانُ ، وَتَطِيرُ الشَّيَاطِينُ هَارِبَةً مِنَ الْفَرْعِ حَتَّى تَأْتِيَ الْأَقْطَارَ ، فَتَأْتِيهَا الْمَلَائِكَةُ فَتَضْرِبُ وَجُوهَهَا وَتَرْجِعُ ، وَيُوَلِّي النَّاسُ مُدْبِرِينَ ، مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ، يُنَادِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - ﴿ يَوْمَ التَّنَادِ ﴾ فَبَيْنَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ إِذْ تَصَدَّعَتِ الْأَرْضُ تَصَدَّعَيْنِ مِنْ قُطْرٍ إِلَى قُطْرٍ ، فَرَأَوْا أَمْرًا عَظِيمًا لَمْ يَرَوْا مِثْلَهُ ، وَأَخَذَهُمْ لِدَلكِ مِنَ الْكُرْبِ وَالْهَوْلِ مَا اللَّهُ بِهِ عَلِيمٌ ، ثُمَّ تَطَوَّى السَّمَاءُ فَإِذَا هِيَ كَالْمُهْلِ ، ثُمَّ انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَانْتَثَرَتْ نُجُومُهَا ، وَخُسِفَتْ شَمْسُهَا وَقَمَرُهَا " . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " الْأَمْوَاتُ لَا يَعْلَمُونَ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ " . قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَنْ اسْتَتَى اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - حِينَ يَقُولُ : ﴿ فَفَرَعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ﴾ قَالَ : " أُولَئِكَ الشُّهَدَاءُ ، إِنَّمَا يَصِلُ الْفَرْعُ إِلَى الْأَحْيَاءِ ، وَهُمْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ، فَوَقَاهُمُ اللَّهُ فَرَعَ ذَلِكَ الْيَوْمَ وَأَمَنَهُمْ مِنْهُ ، وَهُوَ عَذَابُ اللَّهِ يَبْعَثُهُ اللَّهُ عَلَى شَرَارِ خَلْقِهِ ، وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ -

(١) - أخرجه الحاكم في "مستدرکه" (٤ / ٥٧٨) برقم: (٨٨٢٠) (كتاب الأهلوال ، ذكر عرض الأنبياء باتباعهم على نبينا صلى الله عليه وآله وسلم) (بهذا اللفظ) وقال : "وقال: هذا حديث صحيح إسناده على شرط الشيخين لولا إرسال فيه بين الحسن وعائشة على أنه صحت الروايات أن الحسن كان يدخل وهو صبي منزل عائشة رضي الله عنها وأم سلمة" وأبو داود في "سننه" (٤ / ٣٨٥) برقم: (٤٧٥٥) (كتاب السنة ، باب في ذكر الميزان) (بنحوه). وأحمد في "مسنده" (١١ / ٥٩٦٨) برقم: (٢٥٣٣٥) (مسند عائشة رضي الله عنها ، (بمثله مختصرا). قال الأرئووط في «سنن أبي داود» (١٣٣ / ٧) ت الأرئووط: «إسناده ضعيف لانقطاعه. الحسن: وهو البصري لم يسمع من عائشة». وضعفه الألباني في «مشكاة المصابيح» (٣ / ١٥٤٣): برقم «٥٥٦٠»

- : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ ، فَيَكُونُونَ فِي ذَلِكَ الْبَلَاءِ مَا شَاءَ اللَّهُ ، إِلَّا أَنَّهُ يَطُولُ ، ثُمَّ يَأْمُرُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - إِسْرَافِيلَ بِنَفْخَةِ الصَّعْقِ ، فَيُصَعِّقُ أَهْلَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ، فَإِذَا هُمْ قَدْ خَمَدُوا جَاءَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى الْجَبَّارِ - عَزَّ وَجَلَّ - فَيَقُولُ : يَا رَبِّ ، قَدْ مَاتَ أَهْلُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شِئْتَ ، فَيَقُولُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ بَقِيَ : فَمَنْ بَقِيَ ؟ فَيَقُولُ : يَا رَبِّ ، بَقِيَتْ أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ، وَبَقِيَتْ حَمَلَةُ عَرْشِكَ ، وَبَقِيَ جِبْرِيلُ وَمِيكَائِيلُ ، وَبَقِيْتُ أَنَا ، فَيَقُولُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - : لِيَمُتْ جِبْرِيلُ وَمِيكَائِيلُ ، فَيَنْطَلِقُ اللَّهُ الْعَرْشَ فَيَقُولُ : يَا رَبِّ ، يَمُوتُ جِبْرِيلُ وَمِيكَائِيلُ فَيَقُولُ اللَّهُ : اسْكُتْ ، فَإِنِّي كَتَبْتُ الْمَوْتَ عَلَى كُلِّ مَنْ كَانَ تَحْتَ عَرْشِي ، فَيَمُوتَانِ ، فَيَحْيِي مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى الْجَبَّارِ فَيَقُولُ : أَيُّ رَبِّ ، قَدْ مَاتَ جِبْرِيلُ وَمِيكَائِيلُ ، فَيَقُولُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ بَقِيَ : فَمَنْ بَقِيَ ؟ فَيَقُولُ : بَقِيَتْ أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ، وَبَقِيَتْ حَمَلَةُ عَرْشِكَ ، وَبَقِيْتُ أَنَا ، فَيَقُولُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - : فَلِيَمُتْ حَمَلَةُ عَرْشِي ، فَيَمُوتُونَ ، فَيَأْمُرُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - الْعَرْشَ فَيَقْبِضُ الصُّورَ مِنْ إِسْرَافِيلَ ، ثُمَّ يَأْتِي مَلَكُ الْمَوْتِ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - إِلَى الْجَبَّارِ فَيَقُولُ : يَا رَبِّ ، قَدْ مَاتَ حَمَلَةُ عَرْشِكَ ، فَيَقُولُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ بَقِيَ : فَمَنْ بَقِيَ ؟ فَيَقُولُ : يَا رَبِّ ، بَقِيَتْ أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ، وَبَقِيْتُ أَنَا ، فَيَقُولُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - : أَنْتَ مِنْ خَلْقِي ، خَلَقْتُكَ لِمَا رَأَيْتَ ، فَمُتْ ، فَيَمُوتُ ، فَإِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ، الْأَحَدُ ، الْفَرْدُ الصَّمَدُ ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ، **كَانَ آخِرًا** **كَمَا كَانَ أَوَّلًا** ، طَوَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ طَيِّ السَّجِلِ لِلْكِتَابِ ، ثُمَّ دَحَاهُمَا ، ثُمَّ تَلَقَّفَهُمَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، ثُمَّ يَقُولُ : أَنَا الْجَبَّارُ ، أَنَا الْجَبَّارُ ، ثَلَاثًا ، ثُمَّ هَتَفَ بِصَوْتِهِ : **لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ؟ ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾** ؟ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، فَلَا يُجِيبُهُ أَحَدٌ ، ثُمَّ يَقُولُ لِنَفْسِهِ : ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ ، يَقُولُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - : ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ﴾ فَيَبْسُطُهَا وَيَسْحَبُهَا ثُمَّ يَمُدُّهَا مَدَّ الْأَدِيمِ الْعُكَاطِيِّ ، ﴿لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾ ثُمَّ يَزْجُرُ اللَّهُ الْخَلْقَ زَجْرَةً وَاحِدَةً ، فَإِذَا هُمْ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْمُبْدَلَةِ فِي مِثْلِ مَا كَانُوا فِيهَا مِنَ الْأَوَّلِ ، مَنْ كَانَ فِي بَطْنِهَا كَانَ فِي بَطْنِهَا ، وَمَنْ كَانَ عَلَى ظَهْرِهَا كَانَ عَلَى ظَهْرِهَا ، ثُمَّ يُنْزِلُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - عَلَيْهِم مَاءً مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ ، ثُمَّ يَأْمُرُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - السَّمَاءَ أَنْ تُمَطِّرَ فَتُمْطِرُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، حَتَّى يَكُونَ الْمَاءُ فَوْقَهُمْ اثْنِي عَشَرَ ذِرَاعًا ، ثُمَّ يَأْمُرُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - الْأَجْسَادَ أَنْ تَتُبَّتْ فَتَنْبُتَ كَنْبَاتِ الطَّرَائِثِ أَوْ كَنْبَاتِ الْبَقْلِ ، حَتَّى إِذَا تَكَامَلَتْ أَجْسَادُهُمْ ، فَكَانَتْ كَمَا كَانَتْ ، قَالَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - : لِيَحْيِ حَمَلَةُ عَرْشِي ، فَيَحْيَوْنَ ، وَيَأْمُرُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - إِسْرَافِيلَ فَيَأْخُذُ الصُّورَ فَيَضَعُهُ عَلَى فِيهِ ، ثُمَّ يَقُولُ : لِيَحْيِ جِبْرِيلُ وَمِيكَائِيلُ ، فَيَحْيِيَانِ ، ثُمَّ يَدْعُو اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - الْأَرْوَاحَ فَيُؤْتِي بِهَا تَوْهَجَ أَرْوَاحِ الْمُؤْمِنِينَ نُورًا ، وَأَرْوَاحِ

الْآخِرِينَ ظُلْمَةً ، فَيَقْبِضُهَا جَمِيعًا ، ثُمَّ يُلْقِيهَا فِي الصُّورِ ، ثُمَّ يَأْمُرُ إِسْرَافِيلَ أَنْ يَنْفُخَ نَفْخَةً الْبَعْثِ ، فَتَخْرُجُ الْأَرْوَاحُ كَأَنَّهُمُ النَّحْلُ قَدْ مَلَأَتْ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : وَعِزَّتِي وَجَلَالِي ، لَيَرْجِعَنَّ كُلُّ رُوحٍ إِلَى جَسَدِهِ ، فَيَدْخُلُ الْأَرْوَاحُ فِي الْأَرْضِ إِلَى الْأَجْسَادِ ، فَيَدْخُلُ فِي الْخِيَاشِيمِ ، ثُمَّ تَمْشِي فِي الْأَجْسَادِ كَمَا يَمْشِي السُّمُّ فِي اللَّدِيغِ ، ثُمَّ تَنْشَقُّ الْأَرْضُ عَنْهُمْ ، **وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ الْأَرْضُ عَنْهُ** ، فَيَخْرُجُونَ مِنْهَا سِرَاعًا ، وَإِلَى رَبِّكُمْ تَنْسِلُونَ ﴿مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ حَفَاةً عُرَاءَ غُرْلًا ، ثُمَّ يَقِفُونَ مَوْقِفًا وَاحِدًا مِقْدَارُهُ سَبْعُونَ عَامًا ، لَا يَنْظُرُ إِلَيْكُمْ ، وَلَا يَقْضِي بَيْنَكُمْ ، فَتَبْكُونَ حَتَّى تَنْقَطِعَ الدَّمُوعُ ، ثُمَّ تَدْمَعُونَ دَمًا ، **وَتَعْرِقُونَ حَتَّى يَبْلُغَ ذَلِكَ مِنْكُمْ أَنْ يُلْجِمَكُمْ أَوْ يَبْلُغَ الْأَذْقَانِ** ، فَتَصِيحُونَ وَتَقُولُونَ : مَنْ يَشْفَعُ لَنَا إِلَى رَبِّنَا فَيَقْضِي بَيْنَنَا ؟ فَيَقُولُونَ : مَنْ أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنْ أَبِيكُمْ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ؟ خَلَقَهُ اللَّهُ بِيَدِهِ ، وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ ، وَكَلَّمَهُ قُبُلًا ، فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَطْلُبُونَ ذَلِكَ إِلَيْهِ ، فَيَأْتِي وَيَقُولُ : مَا أَنَا بِصَاحِبِ ذَلِكَ ، فَيَسْتَنْصِرُونَ الْأَنْبِيَاءَ نَبِيًّا نَبِيًّا ، كُلَّمَا جَاءُوا نَبِيًّا أَبِي عَلَيْهِمُ . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : - " حَتَّى يَأْتُونِي فَأَنْطَلِقَ حَتَّى آتِيَ الْفَحْصَ فَأَخْرَجَ سَاجِدًا " . قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا الْفَحْصُ ؟ قَالَ : قُدَامُ الْعَرْشِ ، حَتَّى يَبْعَثَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - إِلَيَّ مَلَكًا ، فَيَأْخُذُ بَعْضَدِي فَيَرْفَعَنِي ، فَيَقُولُ لِي : يَا مُحَمَّدُ ، فَأَقُولُ : نَعَمْ لَبَيْكَ يَا رَبِّ ، فَيَقُولُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - : مَا شَأْنُكَ ؟ وَهُوَ أَعْلَمُ ، فَأَقُولُ : يَا رَبِّ ، وَعَدْتَنِي الشَّفَاعَةَ ، فَشَفِّعْنِي فِي خَلْقِكَ ، فَاقْضِ بَيْنَهُمْ ، فَيَقُولُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - : قَدْ شَفَّعْتُكَ ، أَنَا آتِيكُمْ أَقْضِي بَيْنَكُمْ . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " فَأَرْجِعْ فَأَقِفْ مَعَ النَّاسِ ، فَبَيْنَمَا نَحْنُ وَقُوفٌ إِذْ سَمِعْنَا حِسًا مِنَ السَّمَاءِ شَدِيدًا ، فَهَلَّلْنَا ، فَزَلَّ أَهْلُ السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِمِثْلِ مَنْ فِي الْأَرْضِ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ ، حَتَّى إِذَا دَنَوْا مِنَ الْأَرْضِ أَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهِمْ ، وَأَخَذُوا مَصَافِقَهُمْ ، قُلْنَا لَهُمْ : أَفِيكُمْ رَبُّنَا ؟ قَالُوا : لَا ، وَهُوَ آتٍ ، ثُمَّ يَنْزِلُونَ عَلَى قَدَرِ ذَلِكَ مِنَ التَّضَعِيفِ حَتَّى يَنْزِلَ الْجَبَّارُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - فِي ظُلُلٍ مِنَ الْعَمَامِ وَالْمَلَائِكَةِ ، وَيَحْمِلُ عَرْشَهُ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَّةً ، وَهُمْ الْيَوْمَ أَرْبَعَةٌ ، أَقْدَامُهُمْ عَلَى تُخُومِ الْأَرْضِ السُّفْلَى ، وَالسَّمَاءَاتِ إِلَى حِجْرِهِمْ ، وَالْعَرْشُ عَلَى مَنَاقِبِهِمْ ، لَهُمْ زَجَلٌ مِنْ تَسْبِيحِهِمْ ، يَقُولُونَ : سُبْحَانَ ذِي الْقُوَّةِ وَالْجَبَرُوتِ ، سُبْحَانَ ذِي الْمُلْكِ وَالْمَلَكُوتِ ، سُبْحَانَ الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ، سُبْحَانَ الَّذِي يُمِيتُ الْخَلَائِقَ وَلَا يَمُوتُ ، سُبْحَانَ قُدُّوسٍ قُدُّوسٍ ، قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ ، سُبْحَانَ رَبِّنَا الْأَعْلَى رَبِّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ ، سُبْحَانَ الْأَعْلَى الَّذِي يُمِيتُ الْخَلَائِقَ وَلَا يَمُوتُ ، فَيَضَعُ اللَّهُ كُرْسِيَّهُ حَيْثُ شَاءَ مِنْ أَرْضِهِ ، ثُمَّ يَهْتَفُ بِصَوْتِهِ ، فَيَقُولُ : يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ ، إِنِّي قَدْ أَنْصَتُ لَكُمْ مِنْذُ خَلَقْتُكُمْ إِلَى يَوْمِكُمْ هَذَا ، أَسْمَعُ قَوْلَكُمْ ، وَأُبْصِرُ أَعْمَالَكُمْ ، وَصُحُفُكُمْ تُقْرَأُ عَلَيْكُمْ ، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ ، ثُمَّ يَأْمُرُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - جَهَنَّمَ فَيَخْرُجُ مِنْهَا عَيْنٌ عَنْقٍ سَاطِعٍ ، ثُمَّ يَقُولُ : ﴿أَلَمْ أَعْهِدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ

عَدُوٌّ مُبِينٌ * وَأَنْ اِعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ * وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ *

هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١﴾ أَوْ يَهَا تُكَدِّبُونَ ، شَكَ عَاصِمٌ ﴿٢﴾ وَامْتَارُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٣﴾ فَيَمِيزُ اللَّهُ النَّاسَ ، وَتَجْثُو الْأُمَمُ . يَقُولُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - : ﴿٤﴾ وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥﴾ ، فَيَقْضِي اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - بَيْنَ خَلْقِهِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ الْجَنِّ وَالْإِنْسَ ، **فَيَقْضِي اللَّهُ تَعَالَى بَيْنَ الْوُحُوشِ وَالْبَهَائِمِ ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَقْضِي لِلْجَمَاءِ مِنْ ذَوَاتِ الْقَرْنِ ،** فَإِذَا فَرَعَ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ لَمْ تَبَقْ تَبِيعَةٌ عِنْدَ وَاحِدَةٍ لِأُخْرَى ، قَالَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - لَهَا : كُونِي تَرَابًا ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَقُولُ الْكَافِرُ : يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تَرَابًا ، ثُمَّ يَقْضِي اللَّهُ بَيْنَ الْعِبَادِ ، **فَكَانَ أَوَّلُ مَا يَقْضِي فِيهِ الدِّمَاءُ ،** وَيَأْتِي كُلُّ قَتِيلٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَيَأْمُرُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - كُلَّ مَنْ قُتِلَ فَيَحْمِلُ رَأْسَهُ تَشْخَبُ أَوْدَاجُهُ ، فَيَقُولُ : يَا رَبِّ ، فِيمَ قَتَلَنِي هَذَا ؟ فَيَقُولُ - وَهُوَ أَعْلَمُ - : فِيمَ قَتَلْتَهُمْ ؟ فَيَقُولُ : قَتَلْتَهُمْ لِيَتَكُونَ الْعِزَّةُ لَكَ ، فَيَقُولُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - لَهُ : صَدَقْتَ ، فَيَجْعَلُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - وَجْهَهُ مِثْلَ نُورِ الشَّمْسِ ، ثُمَّ تَمُرُّ بِهِ الْمَلَائِكَةُ إِلَى الْجَنَّةِ ، وَيَأْتِي كُلُّ مَنْ قُتِلَ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ فَيَحْمِلُ رَأْسَهُ تَشْخَبُ أَوْدَاجُهُ فَيَقُولُ : يَا رَبِّ ، فِيمَ قَتَلَنِي هَذَا ؟ فَيَقُولُ وَهُوَ أَعْلَمُ : لِمَ قَتَلْتَهُمْ ؟ فَيَقُولُ : يَا رَبِّ ، قَتَلْتَهُمْ لِيَتَكُونَ الْعِزَّةُ لِي ، فَيَقُولُ : تَعِسْتَ ، ثُمَّ لَا تَبْقَى نَفْسٌ قَتَلَهَا إِلَّا قُتِلَ بِهَا ، وَلَا مَظْلَمَةٌ ظَلَمَهَا إِلَّا أُخِذَ بِهَا ، وَكَانَ مَشِئَةُ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - ، إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ وَإِنْ شَاءَ رَحِمَهُ ، ثُمَّ يَقْضِي اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - بَيْنَ مَنْ شَاءَ بَقِيَ مِنْ خَلْقِهِ ، حَتَّى لَا تَبْقَى مَظْلَمَةٌ لِأَحَدٍ عِنْدَ أَحَدٍ إِلَّا أُخِذَ بِهَا لِلْمَظْلُومِ مِنَ الظَّالِمِ ، **حَتَّى إِنَّهُ لَيَكْلِفُ شَائِبَ اللَّبَنِ بِأَمَاءٍ ثُمَّ يَبِيعُهُ أَنْ يُخْلَصَ اللَّبَنُ مِنَ الْمَاءِ .** فَإِذَا فَرَعَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - مِنْ ذَلِكَ نَادَى مُنَادٍ يُسْمِعُ الْخَلَائِقَ كُلَّهُمْ : **أَلَا لِيَلْحَقَ كُلُّ قَوْمٍ بِآلِهِتِهِمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ،** فَلَا يَبْقَى أَحَدٌ عَبْدٌ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَّا مَثَلْتُ لَهُ آلِهَتُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَيَجْعَلُ يَوْمَئِذٍ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ عَلَى صُورَةِ غُزِيرٍ ، وَيَجْعَلُ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ عَلَى صُورَةِ عِيسَى ، ثُمَّ يَتَّبِعُ هَذَا الْيَهُودَ ، وَهَذَا النَّصَارَى ، ثُمَّ قَادَتْهُمْ آلِهَتُهُمْ إِلَى النَّارِ ، وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ : ﴿٦﴾ لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧﴾ ، فَإِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا الْمُؤْمِنُونَ فِيهِمُ الْمُنَافِقُونَ جَاءَهُمُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - فِيمَا شَاءَ مِنْ هَيَأْتِهِ ، فَقَالَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، ذَهَبَ النَّاسُ فَالْحَقُّوا بِآلِهَتِكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ، فَيَقُولُونَ : وَاللَّهِ مَا لَنَا إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - ، وَمَا كُنَّا نَعْبُدُ غَيْرَهُ ، فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ وَهُوَ اللَّهُ الَّذِي يَأْتِيهِمْ ، فَيَمَكْتُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَمَكْتُ ، ثُمَّ يَأْتِيهِمْ فَيَقُولُ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، ذَهَبَ النَّاسُ ، فَالْحَقُّوا بِآلِهَتِكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ، فَيَقُولُونَ : وَاللَّهِ مَا لَنَا إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ وَمَا كُنَّا نَعْبُدُ غَيْرَهُ ، فَيَكْشِفُ لَهُمْ عَنْ سَاقِهِ ، وَيَتَجَلَّى لَهُمْ مِنْ عَظَمَتِهِ مَا يَعْرِفُونَ أَنَّهُ رَبُّهُمْ ، **فَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا عَلَى وُجُوهِهِمْ ، وَيَخِرُّ كُلُّ مُنَافِقٍ عَلَى قَفَاةٍ ،** وَيَجْعَلُ اللَّهُ أَصْلَابَهُمْ كَصِيَاصِي الْبَقَرِ ، ثُمَّ يَأْذَنُ اللَّهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - لَهُمْ فَيَرْفَعُونَ ، **وَيَضْرِبُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - الصِّرَاطَ بَيْنَ ظَهْرَانِي جَهَنَّمَ كَحَدِّ**

الشَّفَرَةَ ، أَوْ كَحَدِّ السَّيْفِ ، عَلَيْهِ كَلَالِيبُ وَخَطَاطِيفُ وَحَسَكُ كَحَسَكِ السَّعْدَانِ ، دُونَهُ جِسْرٌ دَخَضُ مَزَلَّةٌ ، فَيَمُرُّونَ كَطَرْفِ الْعَيْنِ ، أَوْ كَلَمَحِ الْبَصَرِ ، أَوْ كَمَرِّ الرِّيحِ ، أَوْ كَجِيَادِ الْخَيْلِ ، أَوْ كَجِيَادِ الرِّكَابِ ، أَوْ كَجِيَادِ الرِّجَالِ ، فَنَاجٍ سَالِمٌ ، وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ ، وَمَكْدُوشٌ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَهَنَّمَ ، فَإِذَا أَفْضَى أَهْلُ الْجَنَّةِ إِلَى الْجَنَّةِ ، قَالُوا : مَنْ يَشْفَعُ لَنَا إِلَى رَبِّنَا فَندْخُلُ الْجَنَّةَ ؟ فَيَقُولُونَ مَنْ أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنْ أَيْكُمُ آدَمَ ﷺ ، خَلَقَهُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - بِيَدِهِ ، وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ ، وَكَلَّمَهُ قُبُلًا ، فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَطْلُبُونَ ذَلِكَ إِلَيْهِ ، فَيَذْكُرُ ذَنْبًا وَيَقُولُ : مَا أَنَا بِصَاحِبِ ذَلِكَ ، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بَنُوحٍ فَإِنَّهُ أَوَّلُ رُسُلِ اللَّهِ ، فَيُؤْتَى نُوحٌ ، فَيُطَلَّبُ ذَلِكَ إِلَيْهِ ، فَيَذْكُرُ ذَنْبًا وَيَقُولُ : مَا أَنَا بِصَاحِبِ ذَلِكَ ، وَيَقُولُ : عَلَيْكُمْ بِإِبْرَاهِيمَ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - اتَّخَذَهُ خَلِيلًا ، فَيُؤْتَى إِبْرَاهِيمَ فَيُطَلَّبُ ذَلِكَ إِلَيْهِ ، فَيَذْكُرُ ذَنْبًا وَيَقُولُ : مَا أَنَا بِصَاحِبِ ذَلِكَ ، وَيَقُولُ : عَلَيْكُمْ بِمُوسَى ؛ فَإِنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - قَرَّبَهُ نَجِيًّا ، وَكَلَّمَهُ ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ التَّوْرَةَ ، فَيُؤْتَى مُوسَى ﷺ فَيُطَلَّبُ ذَلِكَ إِلَيْهِ ، فَيَذْكُرُ ذَنْبًا وَيَقُولُ : لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ ، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِرُوحِ اللَّهِ وَكَلِمَتِهِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - ، فَيُؤْتَى عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ فَيُطَلَّبُ ذَلِكَ إِلَيْهِ ، فَيَقُولُ : مَا أَنَا بِصَاحِبِكُمْ ، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُحَمَّدٍ ﷺ . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " فَيَأْتُونَنِي ، وَلِي عِنْدَ رَبِّي ثَلَاثُ شَفَاعَاتٍ وَعَدَنِيَّ ، فَأَنْطَلِقُ فَآتِي الْجَنَّةَ ، فَأَخْذُ بِحَلْقَةِ الْبَابِ ، فَأَسْتَفْتَحُ فَيُفْتَحُ لِي ، فَأَحْيَا وَيَرْحَبُ بِي ، فَإِذَا دَخَلْتُ الْجَنَّةَ وَنَظَرْتُ إِلَى رَبِّي خَرَرْتُ سَاجِدًا ، [فَيَأْذُنُ] قَدْ أَذِنَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - لِي مِنْ حَمْدِهِ [تَحْمِيدِهِ] وَتَمْجِيدِهِ بِشَيْءٍ مَا أَذِنَ بِهِ لِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ ، ثُمَّ يَقُولُ - عَزَّ وَجَلَّ - : ارْفَعْ رَأْسَكَ يَا مُحَمَّدُ وَاشْفَعْ ، ارْفَعْ يَا مُحَمَّدُ ، اشْفَعْ تُشَفِّعْ ، وَسَلْ تُعْطَهُ ، فَإِذَا رَفَعْتُ رَأْسِي يَقُولُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - وَهُوَ أَعْلَمُ : مَا شَأْنُكَ ؟ فَأَقُولُ : يَا رَبِّ ، وَعَدْتَنِي بِالشَّفَاعَةِ ، فَشَفِّعْنِي فِي أَهْلِ الْجَنَّةِ ، فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ ، فَيَقُولُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - : قَدْ شَفَعْتُكَ ، وَقَدْ أَذِنْتُ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ " . كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : " وَالَّذِي [أَنْفُسِي بِيَدِهِ] بَعَثَنِي بِالْحَقِّ ، مَا أَنْتُمْ فِي الدُّنْيَا بِأَعْرَفَ بِأَزْوَاجِكُمْ وَمَسَاكِينِكُمْ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ بِأَزْوَاجِهِمْ وَمَسَاكِينِهِمْ ، فَيَدْخُلُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِمَّا يُنْشِئُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - ، وَثِنْتَيْنِ أَدَمِيَّتَيْنِ مِنْ وَلَدِ آدَمَ ، لَهُمَا فَضْلٌ عَلَى مَنْ أَنْشَأَ اللَّهُ بِعِبَادَتِهِمَا فِي الدُّنْيَا ، فَيَدْخُلُ عَلَى الْأُولَى فِي غُرْفَةٍ مِنْ يَاقُوتَةٍ عَلَى سَرِيرٍ مِنْ ذَهَبٍ مُكَلَّلٍ بِاللُّؤْلُؤِ ، عَلَيْهَا سَبْعُونَ زَوْجًا مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ ، ثُمَّ إِنَّهُ يَضَعُ يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهَا ، ثُمَّ يَنْظُرُ إِلَى يَدِهِ مِنْ صَدْرِهَا وَوَرَاءَ ثِيَابِهَا وَجِلْدِهَا وَلَحْمِهَا ، وَإِنَّهُ لَيَنْظُرُ إِلَى مَخِّ سَاقِهَا كَمَا يَنْظُرُ أَحَدُكُمْ إِلَى السِّلْكِ فِي قَصَبَةِ الْيَاقُوتِ ، كَبِدُهَا لَهُ مِرَاةٌ ، كَبِدُهُ لَهَا مِرَاةٌ ، فَبَيْنَمَا هُوَ عِنْدَهَا لَا يَمْلُهَا وَلَا تَمْلُهُ ، وَلَا يَأْتِيهَا مَرَّةٌ إِلَّا وَجَدَهَا عَذْرَاءَ ، مَا يَفْتُرُ ذَكَرَهُ ، وَمَا يَشْتَكِي قُبْلُهَا ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ نُودِيَ : إِنَّا قَدْ عَرَفْنَا أَنَّكَ لَا تَمَلُّ وَلَا تَمَلُّ ، إِلَّا أَنَّهُ لَا مَنِيَّ وَلَا مَنِيَّةَ ، إِلَّا أَنَّ لَكَ أَزْوَاجًا غَيْرَهَا ، فَيَخْرُجُ فَيَأْتِيَهُنَّ وَاحِدَةً وَاحِدَةً ، كُلَّمَا جَاءَ وَاحِدَةً قَالَتْ لَهُ : وَاللَّهِ مَا أَرَى فِي الْجَنَّةِ شَيْئًا

أَحْسَنَ مِنْكَ ، وَلَا فِي الْجَنَّةِ شَيْءٌ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْكَ ، وَإِذَا وَقَعَ أَهْلُ النَّارِ فِي النَّارِ ، وَقَعَ فِيهَا خَلْقٌ مِنْ خَلْقِ رَبِّكَ أَوْبَقَتْهُمْ أَعْمَالُهُمْ ، فَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُ النَّارُ قَدَمَيْهِ لَا تُجَاوِزُ ذَلِكَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ إِلَى أَنْصَافِ سَاقَيْهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ إِلَى حَقْوَيْهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُ جَسَدَهُ كُلَّهُ إِلَّا وَجْهَهُ حَرَّمَ اللَّهُ صُورَتَهُ عَلَيْهَا . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " فَأَقُولُ : يَا رَبِّ ، شَفِّعْنِي فِي مَنْ وَقَعَ فِي النَّارِ ، فَيَقُولُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - : أَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ ، فَيَخْرُجُ أُولَئِكَ حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْهُمْ أَحَدٌ ، ثُمَّ يَأْذُنُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - فِي الشَّفَاعَةِ فَلَا يَبْقَى نَبِيٌّ وَلَا شَهِيدٌ إِلَّا شَفَّعَ ، فَيَقُولُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - : أَخْرِجُوا مَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ زَنَةَ الدِّينَارِ إِيْمَانًا ، فَيَخْرُجُ أُولَئِكَ حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْهُمْ أَحَدٌ ، ثُمَّ يَشْفَعُ اللَّهُ ، فَيَقُولُ : أَخْرِجُوا مَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ إِيْمَانًا ثُلْثِي دِينَارٍ ، نِصْفَ دِينَارٍ ، ثُمَّ يَقُولُ : ثُلْثَ دِينَارٍ ، ثُمَّ يَقُولُ : رُبْعَ دِينَارٍ ، ثُمَّ يَقُولُ : قِيرَاطٌ ، ثُمَّ يَقُولُ : حَبَّةٌ مِنْ خَرْدَلٍ ، فَيَخْرُجُ أُولَئِكَ حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْهُمْ أَحَدٌ ، وَحَتَّى لَا يَبْقَى فِي النَّارِ مَنْ عَمِلَ لِلَّهِ خَيْرًا قَطُّ ، وَلَا يَبْقَى أَحَدٌ لَهُ شَفَاعَةٌ إِلَّا شَفَّعَ ، حَتَّى إِنَّ إِبْلِيسَ يَتَطَاوَلُ مِمَّا يَرَى مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - رَجَاءً أَنْ يُشْفَعَ لَهُ ، ثُمَّ يَقُولُ : بَقِيتُ وَأَنَا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ، فَيُدْخِلُ يَدَهُ فِي جَهَنَّمَ فَيَخْرِجُ مِنْهَا مَا لَا يُحْصِيهِ غَيْرُهُ ، كَأَنَّهُمْ حُمَمٌ ، فَيُلْقَوْنَ فِي نَهْرٍ يُقَالُ لَهُ نَهْرُ الْحَيَوَانِ ، فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الْحَبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ ، فَمَا يَلِي الشَّمْسُ مِنْهَا أُخْيَضِرُ ، وَمَا يَلِي الظِّلُّ مِنْهَا أُصَيْفِرُ ، فَيَنْبُتُونَ كَنْبَاتِ الطَّرَائِثِ ، حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَ [أَمْثَالِ] الدَّرِّ ، مَكْتُوبٌ فِي رِقَائِهِمُ الْجَهَنَّمِيُّونَ عَتَقَاءُ الرَّحْمَنِ ، يَعْرِفُهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ بِذَلِكَ الْكِتَابِ ، مَا عَمِلُوا خَيْرًا قَطُّ ، فَيَمْكُثُونَ فِي الْجَنَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ وَذَلِكَ الْكِتَابُ فِي رِقَائِهِمْ ، ثُمَّ يَقُولُونَ : امْحُ عَنَّا هَذَا الْكِتَابَ ، فَيَمْحُو اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - عَنْهُمْ .^(١)

(١) - أخرجه الطبراني في "الكبير" (٢٥ / ٢٦٦) برقم: (٣٦) (الأحاديث الطوال ، حديث الصور) (بهذا اللفظ) قال في فتح الباري شرح صحيح البخاري: (١١ / ٣٧٤) : "حديث أبي هريرة الطويل المعروف بحديث الصور وقد تقدمت الإشارة إليه وأن سنده ضعيف مضطرب" . وقال المحقق في «الأحاديث الضعيفة والموضوعة التي حكم عليها الحافظ ابن كثير في تفسيره» (ص ١٧٤) : «هذا حديث [مشهور] وهو غريب جداً، ولبعضه شواهد في الأحاديث المتفرقة بعض ألفاظه نكارة. تفرد به إسماعيل بن رافع قاص أهل المدينة، وقد اختلف فيه، فمنهم من وثقه، ومنهم من ضعفه، ونص على نكارة حديثه غير واحد من الأئمة، كأحمد بن حنبل، وأبي حاتم الرازي، وعمرو بن علي الفلاس، ومنهم من قال فيه: هو متروك. وقال ابن عدي: أحاديثه كلها فيها نظر إلا أنه يكتب حديثه في جملة الضعفاء. قلت: وقد اختلف عليه في إسناد هذا» قلت: وقد اختلف عليه في إسناد هذا الحديث على وجوه كثيرة، قد أفردتها في جزء على حدة. وأما سياقه، فغريب جداً، ويقال: إنه جمعه من أحاديث كثيرة، وجعله سياقاً واحداً، فأنكر عليه بسبب ذلك. وسمعت شيخنا الحافظ أبا الحجاج المزي يقول: إنه رأى للوليد بن مسلم مصنفاً قد جمع فيه كل الشواهد لبعض مفردات هذا الحديث، فالله أعلم.

○ المسألة السادسة : الميزان .

الموازين جمع ميزان، وهو لغة: ما تقدر به الأشياء خفة وثقلا، وشرعاً: ما يضعه الله يوم القيامة لوزن أعمال العباد، وقد دل عليه الكتاب والسنة وإجماع السلف.

● فمن الكتاب : قوله تعالى :

■ ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ، وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٢، ١٠٣] .

■ وقال تعالى : ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧] .

■ وقال تعالى : ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ، وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٢، ١٠٣] «

● ومن السنة :

■ **ففيهما عن أبي هريرة** رضي الله عنه : "قال رسول الله ﷺ كِلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ" ^(١)

■ **وفيهما عن أبي هريرة** رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، لَا يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ . وَقَالَ: اقْرَأُوا ﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا ﴾ . ^(٢)

■ **وفي مسلم عن أبي مالك الأشعري** رضي الله عنه : " قال رسول الله ﷺ الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والحمد لله تملآن (أو تملأ) ما بين السماوات والأرض والصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء والقرآن حجة لك أو عليك كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها" ^(٣)

■ **(صحيح) وعن أبي عبد الرحمن المعافري الحبلي ، قال : سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ، يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : إِنَّ اللَّهَ سَيَخْلِصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجْلًا ، كُلُّ سِجْلٍ مَدُّ الْبَصَرِ ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ : أَتُنْكِرُ شَيْئًا مِنْ هَذَا ؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي**

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٨ / ٨٦) برقم: (٦٤٠٦) (كتاب الدعوات ، باب فضل التسبيح) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في

"صحيحه" (٨ / ٧٠) برقم: (٢٦٩٤) (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء) (بمثله).

(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٦ / ٩٣) برقم: (٤٧٢٩) (كتاب تفسير القرآن ، باب أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه

فحبطت أعمالهم الآية) (بهذا اللفظ) ومسلم في "صحيحه" (٨ / ١٢٥) برقم: (٢٧٨٥) (كتاب صفة القيامة والجنة والنار ، (بمثله).

(٣) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (١ / ١٤٠) برقم: (٢٢٣) (كتاب الطهارة ، باب فضل الوضوء) (بهذا اللفظ).

الْحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَاكَ عُذْرٌ أَوْ حَسَنَةٌ؟ فَيَهَيْتُ الرَّجُلُ وَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى، إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، وَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، فَيُخْرِجُ لَهُ بِطَاقَةً فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزَنْتُكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السَّجَّالَاتِ؟ فَيَقُولُ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ. قَالَ: فَتَوَضَّعَ السَّجَّالَاتُ فِي كِفَّةٍ، وَالْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ، فَطَاشَتِ السَّجَّالَاتُ، وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ، قَالَ: فَلَا يَثْقُلُ اسْمُ اللَّهِ شَيْئًا. (١)

■ (حسن) **عَنِ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ** عليه السلام قَالَ: أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ابْنَ مَسْعُودٍ أَنْ يَصْعَدَ شَجَرَةً، فَيَأْتِيَهُ بِشَيْءٍ مِنْهَا، فَنَظَرَ أَصْحَابُهُ إِلَى حُمُوشَةِ سَاقِيهِ، فَضَحِكُوا مِنْهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا تَضَحِكُونَ؟ لَرَجُلٍ عَبْدٍ لِلَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَثْقَلُ مِنْ أُحَدٍ. (٢)

● وأجمع السلف على ثبوت ذلك.

(١) - أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (١ / ٤٦١) برقم: (٢٢٥) (كتاب الإيمان، ذكر البيان بأن الله جل وعلا بتفضله قد يغفر لمن أحب من عباده ذنوبه بشهادته له ولرسوله صلى الله عليه وسلم) (بهذا اللفظ)، والحاكم في "مستدركه" (١ / ٦) برقم: (٩) (كتاب الإيمان، فضيلة شهادة لا إله إلا الله وثقلها في الميزان) (بمثله). وصححه ووافقه الذهبي وقال على شرط مسلم، والترمذي في "جامعه" (٤ / ٣٧٩) برقم: (٢٦٣٩) (أبواب الإيمان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله) (بمثله). وقال: "حسن غريب" وأحمد في "مسنده" (٣ / ١٤٧٢) برقم: (٧١١٤) (مسند عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما،) (بمثله). وابن ماجه في "سننه" (٥ / ٣٥٦) برقم: (٤٣٠٠) (أبواب الزهد، باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة) (بمثله). قال الأرئوط في "مسند أحمد" (١١ / ٥٧١ ط الرسالة): «إسناده قوي، رجاله ثقات رجال الصحيح غير إبراهيم بن إسحاق الطالقاني، فقد روى له مسلم في المقدمة، ووثقه ابن معين ويعقوب بن شيبه، وقال أبو حاتم: صدوق، وذكره ابن حبان في "الثقات"، ثم هو متابع». وقال في «سنن ابن ماجه» (٥ / ٣٥٦ ت الأرئوط): «إسناده صحيح. محمد بن يحيى: هو الذهلي، وابن أبي مريم: هو سعيد ابن الحكم، والليث: هو ابن سعد، وأبو عبد الرحمن الحبلي: هو عبد الله بن يزيد المعافري. وأخرجه الترمذي (٢٨٢٩) و (٢٨٣٠) من طريقين عن عامر بن يحيى، بهذا الإسناد. وقال: حديث حسن غريب. وهو في "مسند أحمد" (٦٩٩٤)، و"صحج ابن حبان" (٢٢٥). وصححه الألباني في «مشكاة المصابيح» (٣ / ١٥٤٢): برقم «٥٥٥٩». وقال في «سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها» (١ / ٢٦٢): برقم ١٣٥... «وقال الحاكم: "صحيح الإسناد على شرط مسلم". ووافقه الذهبي. قلت: وهو كما قال»

(٢) - أخرجه الضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" (٢ / ٤٢١) برقم: (٨٠٨) (من حديث أمير المؤمنين أبي الحسن علي بن أبي طالب، أم موسى وقيل اسمها حبيبة عن علي عليه السلام) (بهذا اللفظ) وقال: «إسناده حسن»، وأحمد في "مسنده" (١ / ٢٥٥) برقم: (٩٣٥) (مسند العشرة المبشرين بالجنة وغيرهم، مسند علي بن أبي طالب رضي الله عنه) (بمثله). قال الأرئوط في «الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان» (٥ / ١٥٤٦): «إسناده حسن من أجل عاصم، وباقي رجاله ثقات رجال الشيخين غير حماد بن سلمة، فمن رجال مسلم»

○ **مسألة:** واختلف العلماء هل هو ميزان واحد أو متعدد؟

- فقال بعضهم: متعدد بحسب الأمم أو الأفراد أو الأعمال؛ لأنه لم يرد في القرآن إلا مجموعاً، وأما إفراده في الحديث فباعتبار الجنس.
- وقال بعضهم: هو ميزان واحد؛ لأنه ورد الحديث مفرداً، وأما جمعه في القرآن فباعتبار الموزون، وكلا الأمرين محتمل والله أعلم.

○ **مسألة:** واختلفوا هل هذا الميزان حسيٌّ أم معنوي ؟ فذهب المعتزلة إلى أنه معنوي ، وأن

الميزان المذكور في القرآن والوزن المذكور في القرآن معناه إقامة العدل وليس ثمة شيء محسوس يُوزن به ، وعللوا ذلك : بأن الأعمال أوصافٌ ومعاني والأوصاف والمعاني لا تُوزن ، الوزن إنما هو للأجسام ولا يمكن أن تُوصف الأوصاف والمعاني ، فحكّموا العقل وقدموه على الشرع. **والنصوص تدل على أن هذا الميزان ميزانٌ حسي:** وحديث صاحب البطاقة واضحٌ فيه وهذا يدل على أن الوزن في الميزان وزن حسي حقيقي ، وأما قولهم : إن الأعمال أوصافٌ ومعاني فكيف تُوزن ؟ فنقول : إن الله على كل شيء قدير قد يجعل الله المعاني أجساماً ، فهذه الموت معنى من المعاني ، ويُؤتى به يوم القيامة على صورة كبش ، ويُوقف بين الجنة والنار ويُقال لأهل النار وأهل الجنة ، فيقولون : نعم ، هذا الموت ، فيُذبح بين الجنة والنار ، ويُقال لأهل الجنة : خلودٌ ولا موت ، ولأهل النار : خلودٌ ولا موت ، فالله عز وجل قادرٌ على أن يجعل الأوصاف والمعاني أجساماً ولا يجوز أن نرد الأدلة بمجرد ما تتحير فيه العقول إذا تحيرت العقول فاعلم أن النقول فوق عقلك ولا يمكن أن تأتي النصوص بما يحيله العقل أبداً ، إذن فالصحيح أن الميزان حسيٌّ لا معنوي .

○ **مسألة:** ما الذي يُوزن أهو العمل أو صاحب العمل أو كتاب العمل ؟ في هذا للعلماء ثلاثة أقوال :

- **القول الأول:** إن الذي يُوزن العمل ، واستدل هؤلاء : بقوله تعالى : ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾ (الزلزلة ٧ - ٨) ، وبقوله تعالى : ﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين﴾ (الأنبياء ٤٧) . وبقول النبي ﷺ في حديث أبي هريرة ؓ المتقدم: (كلمتان حبيبتان إلى الرحمن ثقيلتان في الميزان خفيفتان على اللسان : سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم) ، فقال : (ثقيلتان في الميزان) ، وهذه نصوص واضحة في أن الذي يُوزن العمل ، فيبقى عليه الإشكال الذي أورده المعتزلة وردّوا به

النصوص ، وهو أن الأعمال أوصاف ومعان فكيف تُوزن ؟ نقول : إن الله قادرٌ على أن يجعلها أجساماً فتُوزن .

● **القول الثاني :** أن الذي يُوزن صحائف العمل ، وأن هذه الصحائف تثقل وتخف بحسب ما فيها من الأعمال ، واستدلوا لهذا بحديث صاحب البطاقة المتقدم ، الذي يُمدُّ له سجل من المعاصي ثم يُؤتى بطاقة صغيرة فيها كلمة الإخلاص ، فيقول هذا الرجل : وما تصنع هذه البطاقة بهذه السجلات فيُقال : إنك لا تُظلم ثم توضع البطاقة في كِفَّة والسجلات في كِفَّة فترجح البطاقة ، وهذا يدل على أن الذي يُوزن الصحيفة صحيفة العمل .

● **القول الثالث :** أن الذي يُوزن صاحب العمل ، واستدلوا بقوله تعالى : ﴿ أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقاءه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً ﴾ (الكهف ١٠٥) ، قال : ﴿ فلا نقيم لهم ﴾ ولم يقل : (لأعمالهم) ولا (لصحائف أعمالهم) ، واستدلوا بحديث ابن مسعود رضي الله عنه الذي تقدم آنفاً ، فإذا قال قائل : لا شك أن الاستدلال بحديث ابن مسعود وحديث صاحب البطاقة لا يقاوم الأدلة الدالة من القرآن والسنة على أن الذي يُوزن هو العمل ، ولهذا صرح شيخ الإسلام ابن تيمية في العقيدة الواسطية قال : (فتُنصَبُ الموازين فتُوزن بها أعمال العباد) وهو الحق .

لكن حديث البطاقة : قد يُقال : إن هذا خاصٌّ به وبأمثاله من أجل أن يتبين له فضل الله عليه ، وقد يُقال : إنه لما وُزنت الصحيفة وثقلت بحسب العمل ، فإن الوزن حقيقةً يكون للعمل ، وأما حديث ابن مسعود رضي الله عنه والآية ، فلا تدل على ذلك لأن معنى : ﴿ فلا نقيم لهم ﴾ : يعني لا نقيم لهم قيمة ، كما تقول فلان ليس له عندي وزن ، أي لا قيمة له ولا اعتبار ، وأما حديث ابن مسعود رضي الله عنه فأراد النبي صلى الله عليه وسلم أن خفة الوزن لا تدل على قلة العمل أو على خفته ، وليس بذاك الصريح ، **فالمعتمد أن التي تُوزن هي الأعمال هو العمل نفسه** . والله تعالى أعلم .

○ المسألة السابعة: الصراط.

الصراط لغة: الطريق، وشرعاً: الجسر الممدود على جهنم ليعبر الناس عليه إلى الجنة، وهو ثابت بالكتاب والسنة وقول السلف.

● فمن الكتاب :

■ قوله تعالى : ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١]. فسرّها عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وقتادة وزيد بن أسلم بالمرور على الصراط، وفسرها جماعة منهم ابن عباس رضي الله عنهما بالدخول في النار لکن ينجون منها.

● قال في «تفسير ابن كثير - ت السلامة» (٥ / ٢٥٤): «وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: حَدَّثَنَا خَلَادُ بْنُ أَسْلَمَ، حَدَّثَنَا النَّضْرُ، حَدَّثَنَا إِسْرَائِيلُ، أَخْبَرَنَا أَبُو إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِي الْأَخْوَصِ (٨) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ: قَوْلُهُ: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ قَالَ: الصِّرَاطُ عَلَى جَهَنَّمَ مِثْلُ حَدِّ السَّيْفِ، فَتَمُرُّ الطَّبَقَةُ الْأُولَى كَالْبَرْقِ، وَالثَّانِيَةُ كَالرَّيْحِ، وَالثَّلَاثَةُ كَأَجْوَدِ الْخَيْلِ، وَالرَّابِعَةُ كَأَجْوَدِ الْهَيْئِمْ، ثُمَّ يَمُرُّونَ وَالْمَلَائِكَةُ يَقُولُونَ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ. وَلِهَذَا شَوَاهِدُ فِي الصَّحِيحَيْنِ وَغَيْرِهِمَا، مِنْ رِوَايَةِ أَنَسٍ، وَأَبِي سَعِيدٍ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ، وَجَابِرٍ، وَغَيْرِهِمْ مِنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ»

■ وفي صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: أَخْبَرْتَنِي أُمُّ مُبَشِّرٍ أَنَّهَا سَمِعَتِ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ عِنْدَ حَفْصَةَ: لَا يَدْخُلُ النَّارَ إِلَّا شَاءَ اللَّهُ مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَحَدُ الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَهَا. قَالَتْ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَانْتَهَرَهَا، فَقَالَتْ حَفْصَةُ: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: قَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾. (١)

(١) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٧ / ١٦٩) برقم: (٢٤٩٦) (كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل أصحاب الشجرة) (بهذا اللفظ)

● وأما السنة فأحاديث منها :

- **في صحيح مسلم عن عائشة** رضي الله عنها : "سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ﴾ فَأَيْنَ يَكُونُ النَّاسُ يَوْمَئِذٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ : عَلَى الصِّرَاطِ ."^(١)
- **وفيهما عن أبي هريرة** رضي الله عنه عن النبي ﷺ وفيه : " ، يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيَقُولُ : مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْ ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ الشَّمْسَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ الْقَمَرَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ الطَّوَاغِيتَ ، وَتَبَقَى هَذِهِ الْأُمَّةُ فِيمَا مُنَافِقُوهَا ، فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فَيَقُولُ : أَنَا رَبُّكُمْ ، فَيَقُولُونَ : هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا ، فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ ، فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فَيَقُولُ : أَنَا رَبُّكُمْ ، فَيَقُولُونَ : أَنْتَ رَبُّنَا ، فَيَدْعُوهُمْ فَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَانِي جَهَنَّمَ ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَجُوزُ مِنَ الرُّسُلِ بِأَمَّتِهِ ، وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ إِلَّا الرُّسُلُ ، وَكَلَامُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ : اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ ، وَفِي جَهَنَّمَ كَلَالِيبُ ، مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ ، هَلْ رَأَيْتُمْ شَوْكَ السَّعْدَانِ ؟ " . قَالُوا : نَعَمْ ، قَالَ : فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ مَا قَدَرُ عِظَمِهَا إِلَّا اللَّهُ ، تَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ ، فَمِنْهُمْ الْمُؤْمِنُ بَقِيَ بِعَمَلِهِ ، وَمِنْهُمْ الْمُجَازِي حَتَّى يَنْجَى ، حَتَّى إِذَا فَرَّغَ اللَّهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ ، وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ بِرَحْمَتِهِ مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ أَمَرَ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا ، مِمَّنْ أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَرْحَمَهُ مِمَّنْ يَقُولُ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، فَيَعْرِفُونَهُمْ فِي النَّارِ ، يَعْرِفُونَهُمْ بِأَثَرِ السُّجُودِ ، تَأْكُلُ النَّارُ مِنْ ابْنِ آدَمَ إِلَّا أَثَرَ السُّجُودِ ، حَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ ، فَيَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ ، وَقَدْ ائْتَحَشُوا ، فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءُ الْحَيَاةِ فَيَنْبُتُونَ مِنْهُ كَمَا تَنْبُتُ الْجِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ ، ثُمَّ يَفْرُغُ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ ، وَيَبْقَى رَجُلٌ مُقْبِلٌ بِوَجْهِهِ عَلَى النَّارِ ، هُوَ آخِرُ أَهْلِ النَّارِ دُخُولًا الْجَنَّةَ " .^(٢)

- قال في «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» (١ / ٤٢١) : «و(قوله: حتى إذا فرغ الله من القضاء بين العباد) أي: تمت عليهم حسابهم وكمّله وفصل بينهم، لا أن الله يشغله شأن عن شأن، يعني: إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، وشفع كل من له شفاعة. ألا ترى قوله: وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار. واقتصاره على لا إله إلا الله، ولم يذكر معها الشهادة

(١) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ١٢٧) برقم: (٢٧٩١) (كتاب صفة القيامة والجنة والنار ، باب في البعث والنشور وصفة الأرض يوم القيامة) (بهذا اللفظ).

(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ١٦٠) برقم: (٨٠٦) (كتاب الأذان ، باب فضل السجود) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (١ / ١١٢) برقم: (١٨٢) (كتاب الإيمان ، باب معرفة طريق الرؤية) (يمثله)

بالرسالة؛ إما لأنهما لما تلازمتا في النطق، اكتفى بذكر إحداهما عن الأخرى، وإما لأنه لما كانت الرسل كثيرين، ويجب على كل أحد أن يعرف برسالة رسوله، كان ذكر جميعهم يستدعي تطويلاً، فسكت عن ذكرهم؛ علماً بهم واختصاراً لذكرهم، والله أعلم»

■ وفيهما عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه وفيه: "ثُمَّ يُؤْتَى بِالْجِسْرِ فَيُجْعَلُ بَيْنَ ظَهْرِي جَهَنَّمَ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْجِسْرُ؟ قَالَ: مَدْحَضَةٌ مَزَلَّةٌ، عَلَيْهِ خَطَاطِيفٌ وَكَالَالِيبُ، وَحَسَكَةٌ مُفْلَطَحَةٌ لَهَا شَوْكَةٌ عَقِيفَاءُ، تَكُونُ بِنَجْدٍ، يُقَالُ لَهَا: السَّعْدَانُ، الْمُؤْمِنُ عَلَيْهَا كَالطَّرْفِ وَكَالْبَرْقِ وَكَالْرِيحِ، وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ، وَمَكْدُوشٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، حَتَّى يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحَبًا" ولفظ مسلم "ثُمَّ يَضْرَبُ الْجِسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ، وَتَحِلُّ الشَّفَاعَةُ، وَيَقُولُونَ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ. قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْجِسْرُ؟ قَالَ: دَحَضٌ مَزَلَّةٌ، فِيهِ خَطَاطِيفٌ وَكَالَالِيبُ، وَحَسَكَةٌ تَكُونُ بِنَجْدٍ فِيهَا شَوْكَةٌ يُقَالُ لَهَا: السَّعْدَانُ، فَيَمُرُّ الْمُؤْمِنُونَ كَطَرْفِ الْعَيْنِ وَكَالْبَرْقِ وَكَالْرِيحِ وَكَالطَّيْرِ وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ وَمَخْدُوشٌ مُرْسَلٌ، وَمَكْدُوشٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ" (١).

■ وفي مسلم عن أبي هريرة . وَأَبُو مَالِكٍ ، عَنْ رَبِيعٍ ، عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قَالَا : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : يَجْمَعُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى النَّاسَ ، فَيَقُومُ الْمُؤْمِنُونَ حَتَّى تُزْلَفَ لَهُمُ الْجَنَّةُ ، فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ : يَا أَبَانَا ، اسْتَفْتَحْ لَنَا الْجَنَّةَ ، فَيَقُولُ : وَهَلْ أَخْرَجَكُم مِّنَ الْجَنَّةِ إِلَّا خَطِيئَةُ أَبِيكُمْ آدَمَ ؟ لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ ، أَذْهَبُوا إِلَى ابْنِي إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ اللَّهِ ، قَالَ : فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ : لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ ، إِنَّمَا كُنْتُ خَلِيلًا مِنْ وَرَاءَ وَرَاءَ ، ائْتُوا إِلَى مُوسَى ﷺ الَّذِي كَلَّمَهُ اللَّهُ تَكْلِيمًا ، فَيَأْتُونَ مُوسَى ﷺ ، فَيَقُولُ : لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ ، أَذْهَبُوا إِلَى عِيسَى كَلِمَةِ اللَّهِ وَرُوحِهِ ، فَيَقُولُ عِيسَى ﷺ : لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ ، فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا ﷺ ، فَيَقُولُ فَيُؤَذِّنُ لَهُ ، وَتُرْسَلُ الْأَمَانَةُ وَالرَّحِمُ ، فَتَقُومَانِ جَنَّتِي الصِّرَاطِ يَمِينًا وَشِمَالًا ، فَيَمُرُّ أَوْلَاكُمْ كَالْبَرْقِ ، قَالَ : قُلْتُ : بِأَيِّ أَنْتَ وَأُمِّي أَيُّ شَيْءٍ كَمَرِ الْبَرْقِ ؟ قَالَ : أَلَمْ تَرَوْا إِلَى الْبَرْقِ كَيْفَ يَمُرُّ وَيَرْجِعُ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ ؟ ثُمَّ كَمَرِ الرِّيحِ ، ثُمَّ كَمَرِ الطَّيْرِ ، وَشِدِّ الرِّجَالِ ، تَجْرِي بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ ، وَنَبِيُّكُمْ قَائِمٌ عَلَى الصِّرَاطِ ، يَقُولُ : رَبِّ ، سَلِّمْ سَلِّمْ ، حَتَّى تَعْجَزَ أَعْمَالُ الْعِبَادِ ، حَتَّى يَجِيءَ الرَّجُلُ فَلَا يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إِلَّا زَحْفًا ، قَالَ : وَفِي حَافَتِي الصِّرَاطِ كَالَالِيبِ مُعَلَّقَةٌ مَأْمُورَةٌ بِأَخْذِ مَنْ أَمَرْتُ بِهِ ، فَمَخْدُوشٌ نَاجٍ ، وَمَكْدُوشٌ فِي النَّارِ ، وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ إِنَّ قَعْرَ جَهَنَّمَ لَسَبْعُونَ خَرِيفًا" (٢).

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (١٢٩ / ٩) برقم: (٧٤٣٩) (كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى وجوه يومئذ ناضرة) (بهذا

اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (١١٤ / ١) برقم: (١٨٣) (كتاب الإيمان ، باب معرفة طريق الرؤية) (بنحوه)

(٢) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (١٢٩ / ١) برقم: (١٩٥) (كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها) (بهذا اللفظ)

• واتفق أهل السنة على إثبات الصراط.

- **مسألة: صفة الصراط:** جاء وصفه كما في الأحاديث المتقدمة منها : قوله: "ثُمَّ يُضْرَبُ الْجِسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ ، وَتَحِلُّ الشَّفَاعَةُ ، وَيَقُولُونَ : اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ . قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَمَا الْجِسْرُ؟ قَالَ : دَحْضٌ مَزَلَّةٌ ، فِيهِ خَطَاطِيفٌ وَكَالَالِيبُ ، وَحَسَكٌ تَكُونُ بِنَجْدٍ فِيهَا شُوكَةٌ يُقَالُ لَهَا : السَّعْدَانُ ، " ، وقوله: " عَلَيْهِ خَطَاطِيفٌ وَكَالَالِيبُ ، وَحَسَكَةٌ مُفْلَطَحَةٌ لَهَا شُوكَةٌ عُقِيفَاءُ ، تَكُونُ بِنَجْدٍ ، يُقَالُ لَهَا: السَّعْدَانُ ، الْمُؤْمِنُ عَلَيْهَا كَالطَّرْفِ وَكَالْبَرْقِ وَكَالرَّيْحِ ، وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ ، فَتَنَاجٍ مُسَلَّمٌ وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ، حَتَّى يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا " وقوله: "وبه كالاليب مثل شوك السعدان غير أنها لا يعلم ما قدر عظمها إلا الله، تخطف الناس بأعمالهم"
- **وفي مسلم عن أبي سعيد الخدري** رضي الله عنه أنه قال: "بَلَّغْنِي أَنَّ الْجِسْرَ أَدْقُ مِنَ الشَّعْرَةِ ، وَأَحَدٌ مِنَ السَّيْفِ ."^(١)

○ **مسألة: كيفية العبور على الصراط ، ومن هو أول عابر؟**

لا يعبر الصراط إلا المؤمنون على قدر أعمالهم للنصوص المتقدمة منها قوله : " فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكدوس في جهنم ". وقوله: "تجرى بهم أعمالهم ونبികم قائم على الصراط يقول: يا رب سلم سلم، حتى تعجز أعمال العباد حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفاً" ، وقولها: "حتى يمر آخرهم يسحب سحباً"

وأول من يعبر الصراط من الأنبياء محمد ﷺ ومن الأمم أمته لقوله النبي ﷺ: **كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة** رضي الله عنه عن النبي ﷺ وفيه " وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرِي جَهَنَّمَ ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُهَا وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الرُّسُلُ ، وَدَعَايَ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ " ، **ولفظ مسلم** " فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ "^(٢)

(١) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (١ / ١١٧) برقم: (١٨٣) (كتاب الإيمان ، باب معرفة طريق الرؤية) (بهذا اللفظ)

(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٩ / ١٢٨) برقم: (٧٤٣٧) (كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى وجوه يومئذ ناضرة) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (١ / ١١٢) برقم: (١٨٢) (كتاب الإيمان ، باب معرفة طريق الرؤية) (بمثله .)

○ المسألة الثامنة: الشفاعة .

الشفاعة في اللغة مأخوذة من الشفع، وهو ضد الوتر، فالوتر هو الفرد الواحد. والشفع هو أكثر من واحد، اثنين أو أربعة أو ستة، وهو ما يسمى بالعدد الزوجي. واصطلاحاً: التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرة. وهي على قسمين:

- شفاعة عند الله .
- وشفاعة عند الخلق.
- فالشفاعة عند الخلق على قسمين:

- **القسم الأول: شفاعة حسنة** ، وهي الأمور الحسنة النافعة المباحة ، تتوسط عند من عنده حاجات الناس من أجل أن يقضيها لهم ، قال سبحانه : ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا﴾ [النساء: ٨٥]
- **وفي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري** رضي الله عنه : عَنْ النَّبِيِّ ﷺ : أَنَّهُ كَانَ إِذَا أَتَاهُ السَّائِلُ أَوْ صَاحِبُ الْحَاجَةِ قَالَ: اشْفَعُوا فَلْتَوْجَرُوا ، وَلْيَقْضِ اللَّهُ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ مَا شَاءَ " ، **ولفظ مسلم** "وَلْيَقْضِ اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ مَا أَحَبَّ.." ^(١) . وهذه شفاعة حسنة وفيها أجر؛ لأن فيها نفعاً للمسلمين في قضاء حاجاتهم ، وليس فيها تعدد على أحد أو ظلم لأحد.

- **القسم الثاني: شفاعة سيئة** ، وهي التوسط في أمور محرمة ، كالشفاعة في إسقاط الحدود إذا وجبت والشفاعة أيضاً في أخذ حقوق الآخرين وإعطائها لغير مستحقها ، قال تعالى : ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا﴾ [النساء: ٨٥] ، **ويدخل في هذا من لعنه** ﷺ في قوله: "الْمَدِينَةُ حَرَمٌ مَا بَيْنَ عَيْرٍ إِلَى ثَوْرٍ ، فَمَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثًا ، أَوْ آوَى مُحْدِثًا ، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ، لَا يُقْبَلُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَرْفٌ وَلَا عَدْلٌ.." ^(٢)

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٨ / ١٢) برقم: (٦٠٢٨) (كتاب الأدب ، باب قول الله تعالى من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (٨ / ٣٧) برقم: (٢٦٢٧) (كتاب البر والصلة والآداب ، باب استحباب الشفاعة فيما ليس بحرام) (بنحوه).

(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٨ / ١٥٤) برقم: (٦٧٥٥) (كتاب الفرائض ، باب إثم من تبرأ من مواليه) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (٤ / ١١٥) برقم: (١٣٧٠) (كتاب الحج ، باب فضل المدينة ودعاء النبي صلى الله عليه وسلم فيها بالبركة) (بمثله).

- **أما الشفاعة عند الله فليست كالشفاعة عند المخلوق، بل هي:** أن يكرم الله جل وعلا بعض عباده في: ١- أن يدعو لأحد المسلمين المستحقين للعذاب بسبب كبيرة ارتكبتها ، فيشفع عنده الشافع في أن يعفو عنه ولا يعذبه ؛ لأنه مؤمن موحد، فيشفع الشافع عند الله جل وعلا بأن يعفو عنه .
- ٢- أو فيمن دخل النار في معصية فيشفع الشافع عند الله في أن يخرج ويرفع عنه العذاب، وهي ما تسمى بالشفاعة في أهل الكبائر.

● والشفاعة ثابتة بالكتاب والسنة وإجماع السلف.

● فمن الكتاب :

- قوله تعالى: ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفْعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ [مريم: ٨٧]
- وقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفْعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ [طه: ١٠٩]
- وقوله تعالى: ﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أُولَئِكَ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ قُلْ لِلَّهِ الشَّفْعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الزمر: ٤٣-٤٤]
- وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفْعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ [سبا: ٢٣]
- وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفْعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦]

● ومن السنة:

- **في الصحيحين:** "اجْتَمَعْنَا نَاسٌ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ ، فَذَهَبْنَا إِلَى **أَنْسِ بْنِ مَالِكٍ** ، وَذَهَبْنَا مَعَنَا بِثَابِتٍ إِلَيْهِ ، يَسْأَلُهُ لَنَا عَنْ حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ ، فَإِذَا هُوَ فِي قَصْرِهِ ، فَوَافَقْنَاهُ يُصَلِّي الضُّحَى ، فَاسْتَأْذَنَّا فَأَذِنَ لَنَا وَهُوَ قَاعِدٌ عَلَى فِرَاشِهِ ، فَقُلْنَا لثَابِتٍ: لَا تَسْأَلُهُ عَنْ شَيْءٍ أَوْلَ مِنْ حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ ، فَقَالَ: يَا أَبَا حَمْزَةَ ، هَؤُلَاءِ إِخْوَانُكَ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ ، جَاءُوكَ يَسْأَلُونَكَ عَنْ حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ ، فَقَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ مَا جَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ ، فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ: اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ ، فَيَقُولُ لَسْتُ لَهَا ، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِإِبْرَاهِيمَ فَإِنَّهُ خَلِيلُ الرَّحْمَنِ ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ ، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا ، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُوسَى فَإِنَّهُ كَلِيمُ اللَّهِ ، فَيَأْتُونَ مُوسَى ، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا ، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِعِيسَى فَإِنَّهُ رُوحُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ ، فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا ، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُحَمَّدٍ ﷺ ، فَيَأْتُونِي ، فَأَقُولُ: أَنَا لَهَا ، فَاسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فَيُؤْذَنُ لِي ، وَيُلْهِمُنِي مَحَامِدَ أَحْمَدُهُ بِهَا لَا تَحْضُرُنِي الْآنَ ، فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ ، وَأَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا ، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْزُقْ رَأْسَكَ ، وَقُلْ يُسْمَعُ لَكَ ، وَسَلْ تُعْطَ ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعَ ، فَأَقُولُ:

يَا رَبِّ ، أُمِّتِي أُمِّتِي ، فَيُقَالُ: انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ شَعِيرَةٍ مِنْ إِيْمَانٍ ، فَانْطَلِقْ فَأَفْعَلْ ، ثُمَّ أَعُوذُ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا ، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ، ارْفَعْ رَأْسَكَ ، وَقُلْ يُسْمِعْ لَكَ ، وَسَلْ تُعْطَ ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أُمِّتِي أُمِّتِي ، فَيُقَالُ: انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ أَوْ خَرْدَلَةٍ مِنْ إِيْمَانٍ ، فَانْطَلِقْ فَأَفْعَلْ ، ثُمَّ أَعُوذُ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا ، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ ، وَقُلْ يُسْمِعْ لَكَ ، وَسَلْ تُعْطَ ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أُمِّتِي أُمِّتِي ، فَيَقُولُ: انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَذْنَى أَذْنَى مِثْقَالِ حَبَّةٍ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ فَأَخْرِجْهُ مِنَ النَّارِ ، فَانْطَلِقْ فَأَفْعَلْ . فَلَمَّا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ أَنْسٍ ، قُلْتُ لِبَعْضِ أَصْحَابِنَا: لَوْ مَرَرْنَا بِالْحَسَنِ ، وَهُوَ مُتَوَارٍ فِي مَنْزِلِ أَبِي خَلِيفَةَ ، بِمَا حَدَّثَنَا أَنْسُ بْنُ مَالِكٍ ، فَأَتَيْنَاهُ فَسَلَّمْنَا عَلَيْهِ فَأَذِنَ لَنَا ، فَقُلْنَا لَهُ: يَا أَبَا سَعِيدٍ ، جِئْنَاكَ مِنْ عِنْدِ أَخِيكَ أَنْسِ بْنِ مَالِكٍ ، فَلَمْ نَرِ مِثْلَ مَا حَدَّثَنَا فِي الشَّفَاعَةِ ، فَقَالَ: هَيْهَ ، فَحَدَّثْنَاهُ بِالْحَدِيثِ ، فَاَنْتَهَى إِلَى هَذَا الْمَوْضِعِ ، فَقَالَ: هَيْهَ ، فَقُلْنَا: لَمْ يَزِدْ لَنَا عَلَى هَذَا ، فَقَالَ: لَقَدْ حَدَّثَنِي ، وَهُوَ جَمِيعٌ ، مُنْذُ عِشْرِينَ سَنَةً ، فَلَا أَدْرِي أَنْسِي أَمْ كَرِهَ أَنْ تَتَكَلَّمُوا ، قُلْنَا: يَا أَبَا سَعِيدٍ فَحَدَّثْنَا: فَضَحَكَ وَقَالَ: خُلِقَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ، مَا ذَكَرْتُهُ إِلَّا وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أُحَدِّثَكُمْ ، حَدَّثَنِي كَمَا حَدَّثَكُمْ بِهِ ، قَالَ: ثُمَّ أَعُوذُ الرَّابِعَةَ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا ، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ ، وَقُلْ يُسْمِعْ ، وَسَلْ تُعْطَ ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ ائْذَنْ لِي فَيَمْنُ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، فَيَقُولُ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي وَكِبْرِيَائِي وَعَظَمَتِي لأُخْرِجَنَّ مِنْهَا مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ .^(١)

■ **وفي الصحيحين واللفظ لمسلم عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ** رضي الله عنه وفيه : " حَتَّى إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ بِأَشَدَّ مُنَاشَدَةً لِلَّهِ فِي اسْتِقْصَاءِ الْحَقِّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِلَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ فِي النَّارِ ، يَقُولُونَ: رَبَّنَا ، كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا وَيُصَلُّونَ وَيَحُجُّونَ ، فَيُقَالُ لَهُمْ: **أَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ** ، فَتَحَرَّمَ صُورُهُمْ عَلَى النَّارِ ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا قَدْ أَخَذَتِ النَّارُ إِلَى نِصْفِ سَاقِيهِ وَإِلَى رُكْبَتَيْهِ ، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا ، مَا بَقِيَ فِيهَا أَحَدٌ مِمَّنْ أَمَرْتَنَا بِهِ ، فَيَقُولُ: ارْجِعُوا ، فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا ، لَمْ نَذَرْ فِيهَا أَحَدًا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا ، ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا ، فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا ، لَمْ نَذَرْ فِيهَا أَحَدًا ، ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا ، فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا ، لَمْ نَذَرْ فِيهَا خَيْرًا ، **وَكَانَ أَبُو**

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٩ / ١٤٦) برقم: (٧٥١٠) (كتاب التوحيد ، باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (١ / ١٢٥) برقم: (١٩٣) (كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها) (بمثله).

سَعِيدُ الْخُدْرِيِّ يَقُولُ: إِنْ لَمْ تُصَدِّقُونِي بِهَذَا الْحَدِيثِ فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ فَيَخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ قَدْ عَادُوا حُمَمًا ، فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهْرٍ فِي أَفْوَاهِ الْجَنَّةِ ، يُقَالُ لَهُ: نَهْرُ الْحَيَاةِ ، فَيَخْرُجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الْحَبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ ، أَلَا تَرَوْنَهَا تَكُونُ إِلَى الْحَجَرِ أَوْ إِلَى الشَّجَرِ ؟ مَا يَكُونُ إِلَى الشَّمْسِ أَصْفَرُ وَأَخْيَضُ ، وَمَا يَكُونُ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ يَكُونُ أَبْيَضَ ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، كَأَنَّكَ كُنْتَ تَرَعَى بِالْبَادِيَةِ ، قَالَ: فَيَخْرُجُونَ كَاللُّؤْلُؤِ فِي رِقَابِهِمْ الْخَوَاتِمُ يَعْرِفُهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ ، هَؤُلَاءِ عِتَقَاءُ اللَّهِ الَّذِينَ أَدْخَلَهُمُ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ وَلَا خَيْرٍ قَدَّمُوهُ ، ثُمَّ يَقُولُ: ادْخُلُوا الْجَنَّةَ فَمَا رَأَيْتُمُوهُ فَهُوَ لَكُمْ ، فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا ، أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ نُعْطِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ، فَيَقُولُ: لَكُمْ عِنْدِي أَفْضَلُ مِنْ هَذَا ، فَيَقُولُونَ: يَا رَبَّنَا ، أَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا ؟ فَيَقُولُ: رِضَايَ ، فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا .^(١)

■ **وفي لفظ للبخاري: "عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ ، يَقُولُ اللَّهُ: مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ ، فَيَخْرُجُونَ قَدْ امْتَحَسُوا وَعَادُوا حُمَمًا ، فَيُلْقَوْنَ فِي نَهْرِ الْحَيَاةِ ، فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الْحَبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ ، أَوْ قَالَ: حَمِيَّةِ السَّيْلِ . وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَلَمْ تَرَوْا أَنَّهَا تَنْبُتُ صَفَرَاءَ مُلْتَوِيَةً .^(٢)**

■ **وفي لفظ للبخاري: "عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ ، ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ. فَيَخْرُجُونَ مِنْهَا قَدْ اسْوَدُّوا ، فَيُلْقَوْنَ فِي نَهْرِ الْحَيَاةِ أَوْ الْحَيَاةِ - شَكَّ مَالِكٌ - فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الْحَبَّةُ فِي جَانِبِ السَّيْلِ ، أَلَمْ تَرَ أَنَّهَا تَخْرُجُ صَفَرَاءَ مُلْتَوِيَةً"^(٣)**

■ **(صحيح) عَنْ سَلَمَةَ بْنِ كُهَيْلٍ، عَنْ أَبِي الزَّعْرَاءِ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَذَكَرَ عِنْدَهُ الدَّجَالَ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ: "تَفْتَرِقُونَ أَهْلَ النَّاسِ لَخُرُوجِهِ عَلَى ثَلَاثِ فِرَقٍ: فِرْقَةٌ تَتَّبِعُهُ، وَفِرْقَةٌ تَلْحَقُ بِأَرْضِ آبَائِهَا بِمَنَابِتِ الشَّيْخِ، وَفِرْقَةٌ تَأْخُذُ شَطَّ الْفُرَاتِ يُقَاتِلُهُمْ وَيُقَاتِلُونَهُ حَتَّى يَجْتَمَعَ الْمُؤْمِنُونَ بِقُرَى الشَّامِ، فَيَبْعَثُونَ إِلَيْهِمْ طَلِيعَةً فِيهِمْ فَارِسٌ عَلَى فَرَسٍ أَشَقَرَ وَأَبْلَقَ" ، قَالَ: «فَيَقْتَتِلُونَ فَلَا يَرْجِعُ**

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٦ / ٤٤) برقم: (٤٥٨١) (كتاب تفسير القرآن ، باب قوله إن الله لا يظلم مثقال ذرة يعني ذرة ذرة) (بمثله مختصراً) ، ومسلم في "صحيحه" (١ / ١١٤) برقم: (١٨٣) (كتاب الإيمان ، باب معرفة طريق الرؤية) (بهذا اللفظ) .

(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٨ / ١١٥) برقم: (٦٥٦٠) (كتاب الرقاق ، باب صفة الجنة والنار) (بهذا اللفظ)

(٣) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ١٣) برقم: (٢٢) (كتاب الإيمان ، باب تفاضل أهل الإيمان في الأعمال) (بهذا اللفظ)

مِنْهُمْ بِشَرٍّ» - قَالَ سَلَمَةُ: فَحَدَّثَنِي أَبُو صَادِقٍ، عَنْ رِبْعَةَ بْنِ نَاجِدٍ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ - قَالَ: «فَرَسُ أَشْقَرٍ»، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: «وَيَزْعُمُ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنَّ الْمَسِيحَ يَنْزِلُ إِلَيْهِ» - قَالَ: سَمِعْتُهُ يَذْكُرُ عَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ حَدِيثًا غَيْرَ هَذَا - «ثُمَّ يَخْرُجُ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ فَيَمْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ فَيُفْسِدُونَ فِيهَا»، ثُمَّ قَرَأَ عَبْدُ اللَّهِ: ﴿وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٦] قَالَ: «ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ دَابَّةً مِثْلَ هَذَا النَّعْفِ فَتَلْجُ فِي أَسْمَاعِهِمْ وَمَنَاخِرِهِمْ فَيَمُوتُونَ مِنْهَا فَتَنْتِنُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ، فَيُجَارُّ إِلَى اللَّهِ، فَيُرْسِلُ مَاءً يُطَهِّرُ الْأَرْضَ مِنْهُمْ»، قَالَ: «ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ رِيحًا فِيهَا زَمْهَرِيرٌ بَارِدَةٌ فَلَمْ تَدْعُ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مُؤْمِنًا إِلَّا كَفَتَهُ تِلْكَ الرِّيحُ»، قَالَ: «ثُمَّ تَقُومُ السَّاعَةُ عَلَى شِرَارِ النَّاسِ، ثُمَّ يَقُومُ الْمَلِكُ بِالصُّورَيْنِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَيَنْفُخُ فِيهِ - وَالصُّورُ قَرْنٌ - فَلَا يَبْقَى خَلْقٌ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا مَاتَ، إِلَّا مَنْ شَاءَ رَبُّكَ، ثُمَّ يَكُونُ بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ، فَلَيْسَ مِنْ بَنِي آدَمَ خَلْقٌ إِلَّا مِنْهُ سَيِّئٌ»، قَالَ: «فَيُرْسِلُ اللَّهُ مَاءً مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ كَمَيِّ الرِّجَالِ، فَتَنْبُتُ لُحْمَانُهُمْ وَجُثْمَانُهُمْ مِنْ ذَلِكَ الْمَاءِ، كَمَا يُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنَ الثَّرَى»، ثُمَّ قَرَأَ عَبْدُ اللَّهِ: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ فَتَثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ اللَّهُ الشُّورُ﴾ [فاطر: ٩] قَالَ: «ثُمَّ يَقُومُ مَلِكُ بِالصُّورَيْنِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَيَنْفُخُ فِيهِ فَيَنْطَلِقُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَى جَسَدِهَا حَتَّى يَدْخُلَ فِيهِ، ثُمَّ يَقُومُونَ فَيَحْيَوْنَ حَيَاةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ قِيَامًا لِرَبِّ الْعَالَمِينَ» قَالَ: «ثُمَّ يَتِمَّتْ لُحْمَانُ اللَّهِ تَعَالَى إِلَى الْخَلْقِ، فَيَلْقَاهُمْ فَلَيْسَ أَحَدٌ يَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ شَيْئًا إِلَّا وَهُوَ مَرْفُوعٌ لَهُ يَتَّبِعُهُ»، قَالَ: "فَيَلْقَى الْيَهُودَ فَيَقُولُ: مَنْ تَعْبُدُونَ؟" قَالَ: "فَيَقُولُونَ: نَعْبُدُ عُزَيْرًا، قَالَ: هَلْ يَسُرُّكُمُ الْمَاءُ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ إِذْ يُرِيهِمْ جَهَنَّمَ كَهَيْئَةِ السَّرَابِ"، قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ عَبْدُ اللَّهِ: ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا﴾ [الكهف: ١٠٠] قَالَ: "ثُمَّ يَلْقَى النَّصَارَى فَيَقُولُ: مَنْ تَعْبُدُونَ؟ فَيَقُولُونَ: الْمَسِيحَ، قَالَ: فَيَقُولُ: هَلْ يَسُرُّكُمُ الْمَاءُ؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، قَالَ: فَيُرِيهِمْ جَهَنَّمَ كَهَيْئَةِ السَّرَابِ، ثُمَّ كَذَلِكَ لِمَنْ كَانَ يَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ شَيْئًا"، قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ عَبْدُ اللَّهِ: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ [الصافات: ٢٤] قَالَ: «ثُمَّ يَتِمَّتْ لُحْمَانُ اللَّهِ تَعَالَى لِلْخَلْقِ حَتَّى يَمُرَّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ»، قَالَ: "فَيَقُولُ مَنْ تَعْبُدُونَ؟ فَيَقُولُونَ: نَعْبُدُ اللَّهَ وَلَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، فَيَنْتَهَرُهُمْ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، فَيَقُولُ: مَنْ تَعْبُدُونَ؟ فَيَقُولُونَ: نَعْبُدُ اللَّهَ وَلَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا"، قَالَ: "فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ رَبَّكُمْ؟" قَالَ: "فَيَقُولُونَ: سُبْحَانَهُ إِذَا اعْتَرَفَ لَنَا عَرَفْنَاهُ" قَالَ: «فَعِنْدَ ذَلِكَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ فَلَا يَبْقَى مُؤْمِنٌ إِلَّا خَرَّ لِلَّهِ سَاجِدًا، وَيَبْقَى الْمُنَافِقُونَ ظُهُورُهُمْ طَبَقًا وَاحِدًا كَأَنَّمَا فِيهَا السَّفَافِيدُ»، قَالَ: "فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا، فَيَقُولُ: قَدْ كُنْتُمْ تُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَأَنْتُمْ سَالِمُونَ". قَالَ: «ثُمَّ يَأْمُرُ بِالصِّرَاطِ فَيُضْرَبُ عَلَى جَهَنَّمَ فَيَمُرُّ النَّاسُ كَقَدْرِ أَعْمَالِهِمْ زُمَرًا كَلَمَحِ الْبَرْقِ، ثُمَّ كَمَرِ الرِّيحِ ثُمَّ كَمَرِ الطَّيْرِ، ثُمَّ كَأَسْرَعَ الْبِهَائِمِ، ثُمَّ كَذَلِكَ حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ سَعْيًا ثُمَّ مَشْيًا، ثُمَّ يَكُونُ آخِرُهُمْ رَجُلًا يَتَلَبَّطُ عَلَى بَطْنِهِ»، قَالَ: فَيَقُولُ: "أَيُّ رَبِّ لِمَاذَا

أَبْطَأَتْ بِي؟ فَيَقُولُ: لَمْ أَبْطِئْ بِكَ إِنَّمَا أَبْطَأَ بِكَ عَمَلُكَ " . قَالَ: «ثُمَّ يَأْذُنُ اللَّهُ تَعَالَى فِي الشَّفَاعَةِ، فَيَكُونُ أَوَّلُ شَافِعٍ رُوحُ الْقُدُسِ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ثُمَّ إِبْرَاهِيمُ خَلِيلُ اللَّهِ ثُمَّ مُوسَى، ثُمَّ عِيسَى عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ» ، قَالَ: " ثُمَّ يَقُومُ نَبِيُّكُمْ رَابِعًا لَا يَشْفَعُ أَحَدٌ بَعْدَهُ فِيمَا يَشْفَعُ فِيهِ، وَهُوَ الْمَقَامُ الْمُحْمُودُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩] " قَالَ: «فَلَيْسَ مِنْ نَفْسٍ إِلَّا وَهِيَ تَنْظُرُ إِلَى بَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ أَوْ بَيْتٍ فِي النَّارِ» ، قَالَ: «وَهُوَ يَوْمُ الْحَسْرَةِ» . قَالَ: " فَيَرَى أَهْلُ النَّارِ الْبَيْتَ الَّذِي فِي الْجَنَّةِ ثُمَّ يَقَالُ: لَوْ عَمِلْتُمْ " ، قَالَ: «فَتَأْخُذُهُمُ الْحَسْرَةُ» ، قَالَ: " وَيَرَى أَهْلُ الْجَنَّةِ الْبَيْتَ فِي النَّارِ، فَيَقَالُ: لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ " ، قَالَ: " ثُمَّ يَشْفَعُ الْمَلَائِكَةُ وَالنَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ وَالصَّالِحُونَ وَالْمُؤْمِنُونَ فَيُشَقِّعُهُمُ اللَّهُ قَالَ ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ: أَنَا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فَيُخْرِجُ مِنَ النَّارِ أَكْثَرِمِمَّا أَخْرَجَ مِنْ جَمِيعِ الْخَلْقِ بِرَحْمَتِهِ " ، قَالَ: " ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ " قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ عَبْدُ اللَّهِ: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾ [المدثر: ٤٣] قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمُسْكِينِ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بَيَّوْمَ الدِّينِ، قَالَ: فَعَقَدَ عَبْدُ اللَّهِ بِيَدِهِ أَرْبَعًا ثُمَّ قَالَ: «هَلْ تَرَوْنَ فِي هَؤُلَاءِ مِنْ خَيْرٍ، مَا يَنْزِلُ فِيهَا أَحَدٌ فِيهِ خَيْرٌ، فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ لَا يَخْرُجَ مِنْهَا أَحَدٌ غَيْرَ وُجُوهِهُمْ وَأَلْوَانُهُمْ» ، قَالَ: " فَيَجِيءُ الرَّجُلُ فَيَنْظُرُ وَلَا يَعْرِفُ أَحَدًا فَيُنَادِيهِ الرَّجُلُ فَيَقُولُ: يَا فَلَانُ أَنَا فَلَانُ، فَيَقُولُ: مَا أَعْرِفُكَ فَعِنْدَ ذَلِكَ يَقُولُ: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٧] فَيَقُولُ عِنْدَ ذَلِكَ: اخْسَأُوا فِيهَا وَلَا تَكَلِّمُونِ، فَإِذَا قَالَ ذَلِكَ أُطِيقَتْ عَلَيْهِمْ، فَلَا يَخْرُجُ مِنْهُمْ بَشَرٌ «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ»^(١)

● وأجمع السلف على ذلك ؛ ولا ينكر الشفاعة إلا أهل البدع والضلال.

(١) - أخرجه الحاكم في "مستدرکه" (٤ / ٤٩٦) برقم: (٨٦١٤) (كتاب الفتن والملاحم ، ذكر إحياء الأموات ونفخ الصور) (بهذا اللفظ) قال الذهبي في [التعليق - من تلخيص الذهبي] ٨٥١٩ - على شرط البخاري ومسلم.

○ **مسألة: الخلاف في الشفاعة.** اختلف الناس في الشفاعة على ثلاثة أقسام: طرفان ووسط:

- **قوم غلوا في إثباتها حتى طلبوها من الأموات ومن القبور ومن الأصنام والأشجار والأحجار.** قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُبَيِّنُ لِلَّهِ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨] وقال تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: ٣]
- **وطائفة غلت في نفي الشفاعة** كالمعتزلة والخوارج، فإنهم نفوا الشفاعة في أهل الكبائر، وخالفوا ما تواترت به الأدلة من الكتاب والسنة في إثبات الشفاعة.
- **وأهل السنة والجماعة توسطوا** فأثبتوا الشفاعة على الوجه الذي ذكره الله ورسوله، وآمنوا بها من غير إفراط ولا تفريط.

○ **مسألة: أنواع الشفاعة.**

● **أولاً: الشفاعة الخاصة بالنبي ﷺ** وهو يختص منها بثلاث:

- **أولها: شفاعته ﷺ** في أهل الموقف إذا طال الموقف يوم القيامة هذه شفاعته ﷺ في الفصل بين الخلائق، وهي مقام عظيم شرف الله به ﷺ، وهي المقام المحمود الذي قال الله سبحانه فيه: ﴿ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾ [الإسراء: ٧٩]؛ لأنه يحمده عليه الأولون والآخرون، ويظهر فضله ﷺ في هذا الموقف العظيم.
- **الشفاعة الثانية: الخاصة بالنبي ﷺ** شفاعته في أهل الجنة أن يدخلوا الجنة.
- **ففي مسلم عن أنس بن مالك** **رضي الله عنه**: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَنَا أَوَّلُ شَفِيعٍ فِي الْجَنَّةِ، لَمْ يُصَدَّقْ نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مَا صَدَّقْتُ، وَإِنَّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيًّا مَا يُصَدِّقُهُ مِنْ أُمَّتِهِ إِلَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ. ^(١)
- **وفي لفظ لمسلم عنه**: "قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَسْتَفْتِحُ فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ، لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ" ^(٢)

(١) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (١ / ١٣٠) برقم: (١٩٦) (كتاب الإيمان، باب في قول النبي صلى الله عليه وسلم أنا أول الناس يشفع في الجنة) (بهذا اللفظ).

(٢) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (١ / ١٣٠) برقم: (١٩٧) (كتاب الإيمان، باب في قول النبي صلى الله عليه وسلم أنا أول الناس يشفع في الجنة) (بهذا اللفظ).

فهو ﷺ أول من يستفتح باب الجنة . وأول من يدخلها من الأمم أمته ﷺ .

■ **ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة** رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: نَحْنُ الْأَخْرُونَ الْأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . وَنَحْنُ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ . بَيِّدَ أَنَّهُمْ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا وَأُوتِينَاهُ مِنْ بَعْدِهِمْ . فَاخْتَلَفُوا فَمَدَّانَا اللَّهُ لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ . فَمَدَّ يَوْمُهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ . هَذَا اللَّهُ لَهُ - قَالَ : يَوْمُ الْجُمُعَةِ - فَالْيَوْمَ لَنَا . وَغَدًا لِلْيَهُودِ . وَبَعْدَ غَدٍ لِلنَّصَارَى .^(١)

■ الشفاعة الثالثة: وهي خاصة به ﷺ ، وهي شفاعته في عمه أبي طالب ، أبو طالب مات على الشرك وعلى دين عبد المطلب المشرك ، قال: هو على ملة عبد المطلب ، ومات على ذلك ، فصار من أهل النار الخالدين فيها . ولكن الله عز وجل يشفع رسوله ﷺ في تخفيف العذاب عنه ، فيكون في ضحضاح من نار ، ما يرى أن أحداً أشد منه عذاباً ، مع أنه أهون أهل النار عذاباً .

■ **ففي الصحيحين عن العباس بن عبد المطلب** رضي الله عنه قال للنبي ﷺ : " ما أغنيت عن عمك ، فإنه كان يحوطك ويغضب لك ؟ قال: " هو في ضحضاح من نار ، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار "^(٢) .

● ثانياً: الشفاعة المشتركة بين النبي ﷺ وبين غيره من الأنبياء ، والملائكة والصالحين والأفراط الذين ماتوا قبل البلوغ وهذه الشفاعة في أهل الكبائر من المؤمنين فيمن استحق دخول النار أن لا يدخلها ، وفي من دخلها أن يخرج منها ،

وهذه هي محط الخلاف بين أهل السنة وبين الجهمية والخوارج وأضرابهم .

■ فأهل السنة أثبتوها كما جاءت واعتقدوها ، وأنه يجب على المسلم أن يعتقدها ويؤمن بها ، وأن يسأل الله أن يُشفع فيه نبيه صلى الله عليه وسلم ؛ لأنه بحاجة إليها .

■ أما الجهمية والخوارج فقد أنكروها وقالوا: من دخل النار لا يخرج منها بناء على عقيدتهم الباطلة أن من ارتكب كبيرة فقد كفر الكفر الأكبر .

وقد تواترت الأدلة من السنة على ثبوت هذه الشفاعة منها ما تقدم ، ومن ذلك أيضاً :

(١) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٣ / ٦) برقم: (٨٥٥) (كتاب الجمعة ، باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة) (بهذا اللفظ)

(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٥ / ٥٢) برقم: (٣٨٨٣) (كتاب مناقب الأنصار ، باب قصة أبي طالب) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (١ / ١٣٤) برقم: (٢٠٩) (كتاب الإيمان ، باب شفاعاة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأبي طالب والتخفيف عنه بسببه) (بنحوه) .

- **حديث أبي سعيد رضي الله عنه المتقدم عن النبي ﷺ في الصحيحين** وفيه: "فيقول الله تعالى: شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قومًا لم يعملوا خيرًا قط قد عادوا حممًا" الحديث (١)
- **وفي صحيح مسلم: "عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا فَإِنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْيَوْنَ ، وَلَكِنْ نَاسٌ أَصَابَتْهُمْ النَّارُ بِذُنُوبِهِمْ -أَوْ قَالَ: بِخَطَايَاهُمْ- ، فَأَمَاتَهُمْ إِمَاتَةً ، حَتَّى إِذَا كَانُوا فَحَمًا أُذِنَ بِالشَّفَاعَةِ ، فَجِيءَ بِهِمْ ضَبَائِرُ ضَبَائِرَ ، فَبُتُّوا عَلَى أَنْهَارِ الْجَنَّةِ ، ثُمَّ قِيلَ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ ، أَفِيضُوا عَلَيَّهِمْ ، فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحَبَّةِ تَكُونُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: كَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ كَانَ بِالْبَادِيَةِ ."** (٢)
- **وفي البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَا مِنْ النَّاسِ مُسْلِمٍ يَمُوتُ لَهُ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْوَلَدِ لَمْ يَبْلُغُوا الْحَنْثَ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُمْ"** (٣)
- **وفيهما عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قَالَ جَاءَتْ امْرَأَةٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَهَبَ الرَّجَالُ بِحَدِيثِكَ فَاجْعَلْ لَنَا مِنْ نَفْسِكَ يَوْمًا نَأْتِيكَ فِيهِ تُعَلِّمُنَا مِمَّا عَلَّمَكَ اللَّهُ قَالَ اجْتَمِعْنَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا فَاجْتَمِعْنَ فَأَتَاهُنَّ النَّبِيُّ ﷺ فَعَلَّمَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَهُ اللَّهُ ثُمَّ قَالَ مَا مِنْكُنَّ مِنْ امْرَأَةٍ تُقَدِّمُ بَيْنَ يَدَيْهَا مِنْ وَلَدِهَا ثَلَاثَةً لَمْ يَبْلُغُوا الْحَنْثَ إِلَّا كَانُوا لَهَا حِجَابًا مِنَ النَّارِ فَقَالَتْ امْرَأَةٌ وَاثْنَيْنِ وَاثْنَيْنِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَاثْنَيْنِ وَاثْنَيْنِ وَاثْنَيْنِ" (٤)**

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٤٤ / ٦) برقم: (٤٥٨١) (كتاب تفسير القرآن ، باب قوله إن الله لا يظلم مثقال ذرة يعني زنة ذرة) (بمثله مختصراً) ، ومسلم في "صحيحه" (١١٤ / ١) برقم: (١٨٣) (كتاب الإيمان ، باب معرفة طريق الرؤية) (بهذا اللفظ) .

(٢) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (١١٨ / ١) برقم: (١٨٥) (كتاب الإيمان ، باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار) (بهذا اللفظ)

(٣) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (١٠٠ / ٢) برقم: (١٣٨١) (كتاب الجنائز ، باب ما قيل في أولاد المسلمين) (بهذا اللفظ)

(٤) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (١٠١ / ٩) برقم: (٧٣١٠) (كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب تعليم النبي أمته من الرجال والنساء) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (٣٩ / ٨) برقم: (٢٦٣٤) (كتاب البر والصلة والآداب ، باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه) (بمثله) .

○ مسألة : شروط الشفاعة .

● الشفاعة عند الله يشترط لها شرطان:

■ **الشرط الأول:** أن تكون بإذن الله، فلا أحد يشفع عند الله إلا بإذن، فهو الذي يأذن للشافع أن يشفع ، أما من قبل أن يأذن فلا أحد يتقدم إلى الله عز وجل: قال تعالى : ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وقال تعالى: ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ [سبأ: ٢٣] ، وقال تعالى : ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ [طه: ١٠٩] ، وليس كالمخلوق الذي يتقدم الناس للشفاعة عنده وإن لم يأذن، فالله جل وعلا لا يشفع أحد عنده إلا بإذنه .

■ **الشرط الثاني:** أن يكون المشفوع فيه من أهل التوحيد وأهل الإيمان، ممن يرضى الله عنهم قولهم وعملهم، كما في قوله تعالى : ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء: ٢٨] ، وقوله تعالى : ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ [النجم: ٢٦] أي: رضي الله قوله وعمله. فلا بد من اجتماع الشرطين : ١- أن يأذن الله . هذا الشرط الأول. ٢- وأن يرضى. هذا الشرط الثاني. **وجاء الشرطان في قوله تعالى:** ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ [النجم: ٢٦] .

أما الكافر فإنه لا تنفعه الشفاعة قال تعالى : ﴿وَأَتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة: ١٢٣] ، وقوله تعالى: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨] . وقال تعالى : ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨]

■ فالشفاعة في القرآن شفاعتان؛ شفاعاة منفية وهي التي انتفت شروطها، وشفاعة مثبتة وهي التي تحققت شروطها.

فالكافر لا تنفعه الشفاعة ؛ لو شفع فيه أهل السماوات وأهل الأرض ما قبل الله فيه شفاعتهم ؛ لأنه مشرك كافر بالله عز وجل ، لا يرضى الله قوله ولا عمله ، إلا ما جاء في شفاعة النبي ﷺ في عمه أبي طالب، فهي شفاعة خاصة ، وأيضاً ليست شفاعة من أجل خروجه من النار ، إنما هي شفاعة من أجل تخفيف العذاب عنه ؛ لما حصل منه من مؤازرة النبي ﷺ وحمايته له ، ومن زعم أن النبي ﷺ يشفع للمشركين يوم القيامة ، فهو محض افتراء ، يرده أحاديث منها:

- **في البخاري عن أبي هريرة** رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: يَلْقَى إِبْرَاهِيمُ أَبَاهُ أَرْزَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَى وَجْهِهِ آزَرٌ قَتَرَةٌ وَغَبَرَةٌ فَيَقُولُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ: أَلَمْ أَقُلْ لَكَ لَا تَعْصِنِي فَيَقُولُ أَبُوهُ: فَالْيَوْمَ لَا أَعْصِيكَ فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ يَا رَبِّ إِنَّكَ وَعَدْتَنِي أَنْ لَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ فَأَيُّ خَزْيٍ أُخْزِيَ مِنْ أَبِي الْأَبْعَدِ فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: إِنِّي حَرَمْتُ الْجَنَّةَ عَلَى الْكَافِرِينَ ثُمَّ يُقَالُ: يَا إِبْرَاهِيمُ مَا تَحْتَ رِجْلَيْكَ فَيَنْظُرُ فَإِذَا هُوَ بِذِيخٍ مُلْتَطِحٍ فَيُؤْخَذُ بِقَوَائِمِهِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ. ^(١)
- **وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري** رضي الله عنه: أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ وَذَكَرَ عِنْدَهُ عَمُّهُ ، فَقَالَ: لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيُجْعَلُ فِي ضَحْضَاحٍ مِنَ النَّارِ يَبْلُغُ كَعْبِيهِ ، يَغْلِي مِنْهُ دِمَاغُهُ. ^(٢)
- **في البخاري عن أبي هريرة** رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "أسعد الناس بشفاعتي من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه" ^(٣)
- **وفي الصحيحين عن أنس** رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: كُلُّ نَبِيٍّ سَأَلَ سُؤْلًا أَوْ قَالَ: لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ قَدْ دَعَا بِهَا فَاسْتُجِيبَ ، فَجَعَلْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ. ^(٤)
- **وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة** رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ ، فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَمِی نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا. ^(٥)

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٤ / ١٣٩) برقم: (٣٣٥٠) (كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قول الله تعالى واتخذ الله إبراهيم خليلاً) (بهذا اللفظ)

(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٥ / ٥٢) برقم: (٣٨٨٥) (كتاب مناقب الأنصار ، باب قصة أبي طالب) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (١ / ١٣٥) برقم: (٢١٠) (كتاب الإيمان ، باب شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لأبي طالب والتخفيف عنه بسببه) (بمثله).

(٣) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ٣١) برقم: (٩٩) (كتاب العلم ، باب الحرص على الحديث) (بهذا اللفظ)

(٤) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٨ / ٦٧) برقم: (٦٣٠٥) (كتاب الدعوات ، باب لكل نبي دعوة مستجابة) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (١ / ١٣٢) برقم: (٢٠٠) (كتاب الإيمان ، باب اختباء النبي صلى الله عليه وسلم دعوة الشفاعة لأُمَّته) (بمثله)

(٥) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (١ / ١٣١) برقم: (١٩٩) (كتاب الإيمان ، باب اختباء النبي صلى الله عليه وسلم دعوة الشفاعة لأُمَّته) (بهذا اللفظ)

○ **المسألة التاسعة:** ترتيب أحداث يوم القيامة بحسب ما جاء من النصوص.

- ١ - إذا بُعث الناس وقاموا من قبورهم ذهبوا إلى أرض المحشر، ثم يقومون في أرض المحشر قياماً طويلاً، تشتد معه حالهم وظمؤهم، ويخافون في ذلك خوفاً شديداً؛ لأجل طول المقام، وبقينهم بالحساب، وما سيُجري الله-عز وجل- عليهم.
 - ٢ - فإذا طال المقام رَفَعَ الله - عز وجل - لنبيه ﷺ أولاً حوضه المورود، فيكون حوض النبي ﷺ في عرصات القيامة، إذا اشتد قيامهم لرب العالمين، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة.
- فمن مات على سنته، غير مَغَيَّرٍ ولا مُحْدِثٍ ولا مُبَدِّلٍ: وَرَدَ عليه الحوض، وَسُقِيَ منه، فيكون أول الأمان له أن يكون مَسْقِيّاً من حوض نبينا ﷺ، ثم بعدها يُرْفَعُ لكل نبي حوضه، فيُسْقَى منه صالح أُمته.

- ٣ - ثم يقوم الناس مُقاماً طويلاً، ثم تكون الشفاعة العظمى - شفاعة النبي ﷺ - بأن يُعَجَّلَ الله - عز وجل - حساب الخلائق.

- **في الحديث الطويل المعروف كما في الصحيحين وهذا لفظ البخاري: عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: يُحْبَسُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُهْمُوا بِذَلِكَ، فَيَقُولُونَ: لَوْ اسْتَشْفَعْنَا إِلَى رَبِّنَا فَيُرِيحُنَا مِنْ مَكَانِنَا، فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ: أَنْتَ آدَمُ أَبُو النَّاسِ، خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَأَسْكَنَكَ جَنَّتَهُ، وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتُهُ، وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ، لَتَشْفَعْ لَنَا عِنْدَ رَبِّكَ حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا. قَالَ فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، قَالَ: وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ: أَكَلُهُ مِنَ الشَّجَرَةِ وَقَدْ نُهِيَ عَنْهَا، وَلَكِنْ اائْتُوا نُوحًا أَوَّلَ نَبِيِّ بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ: سُؤَالُهُ رَبَّهُ بِغَيْرِ عِلْمٍ، وَلَكِنْ اائْتُوا إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَ الرَّحْمَنِ، قَالَ: فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُ: إِنِّي لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ ثَلَاثَ كَلِمَاتٍ كَذَبَهُنَّ، وَلَكِنْ اائْتُوا مُوسَى: عَبْدًا آتَاهُ اللَّهُ التَّوْرَةَ وَكَلَّمَهُ وَقَرَّبَهُ نَجِيًّا، قَالَ: فَيَأْتُونَ مُوسَى فَيَقُولُ: إِنِّي لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ: قَتْلُهُ النَّفْسِ، وَلَكِنْ اائْتُوا عِيسَى عَبْدَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ، وَرُوحَ اللَّهِ وَكَلِمَتَهُ، قَالَ: فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَلَكِنْ اائْتُوا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَبْدًا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، فَيَأْتُونِي، فَاسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فِي دَارِهِ فَيُؤْذَنُ لِي عَلَيْهِ، فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا، فَيَدْعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدْعَنِي، فَيَقُولُ: ارْفَعْ مُحَمَّدٌ، وَقُلْ يَسْمَعُ، وَاشْفَعْ تُشْفَعُ، وَسَلِّ نُعْطَ، قَالَ: فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأُثْنِي عَلَى رَبِّي بِنِئَاءٍ وَتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ، فَيَحْدُثُ لِي حَدًّا، فَأَخْرُجُ فَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ قَالَ فَتَادَةُ وَسَمِعْتُهُ أَيْضًا يَقُولُ: فَأَخْرُجُ فَأَخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ وَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ ثُمَّ أَعُودُ فَاسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فِي دَارِهِ، فَيُؤْذَنُ لِي عَلَيْهِ، فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا فَيَدْعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدْعَنِي، ثُمَّ يَقُولُ:**

ارْفَعُ مُحَمَّدٌ ، وَقُلْ يُسْمَعُ ، وَاشْفَعْ تُشَفِّعُ ، وَسَلْ تُعْطَ ، قَالَ: فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأُثْنِي عَلَى رَبِّي بِنَاءً وَتَحْمِيدٍ يُعْلَمُنِيهِ ، قَالَ: ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحْدُ لِي حَدًّا ، فَأَخْرُجُ فَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ قَالَ قَتَادَةُ : وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: فَأَخْرُجُ فَأَخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ وَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ ثُمَّ أَعُودُ الثَّالِثَةَ ، فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فِي دَارِهِ فَيُؤْذَنُ لِي عَلَيْهِ ، فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا ، فَيَدْعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدْعَنِي ، ثُمَّ يَقُولُ: ارْفَعُ مُحَمَّدٌ ، وَقُلْ يُسْمَعُ ، وَاشْفَعْ تُشَفِّعُ ، وَسَلْ تُعْطَ ، قَالَ: فَأَرْفَعُ رَأْسِي ، فَأُثْنِي عَلَى رَبِّي بِنَاءً وَتَحْمِيدٍ يُعْلَمُنِيهِ ، قَالَ: ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحْدُ لِي حَدًّا ، فَأَخْرُجُ فَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ قَالَ قَتَادَةُ : وَقَدْ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: فَأَخْرُجُ فَأَخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ وَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ حَتَّى مَا يَبْقَى فِي النَّارِ إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ أَيْ وَجَبَ عَلَيْهِ الْخُلُودُ. قَالَ: ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ قَالَ وَهَذَا الْمَقَامُ الْمُحْمُودُ الَّذِي وَعَدَهُ نَبِيُّكُمْ ﷺ. (١).

■ قال أحمد الكوراني في «الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري» (١١ / ٢٨٢): قوله «(فقال: يا رب أمتي أمتي) قد أشرنا مرارًا إلى أن في الحديث اختصارًا لأن أول الحديث: أ- إن أهل المحشر كلهم يسألون الشفاعة في الإزاحة عن الموقف. ب- فإذا شفع ينادي آدم لإخراج بعث النار. ج- ثم يجاب المؤمنون على حقوق الله. د- ثم يجوزون الصراط فيسقط فيه بعض المؤمنين فهؤلاء هم الذين يشفع فيهم. هـ- وفي آخر المرات (يقال له: انطلق فأخرج منها من كان في قلبه أدنى مثقال حبة من خردلة من إيمان من النار)»

- ٤ - بعد ذلك يكون العرض - عرض الأعمال - .
- ٥ - ثم بعد العرض يكون الحساب .
- ٦ - وبعد الحساب الأول تتطير الصحف ، والحساب الأول من ضمن العرض ؛ لأنه فيه جدال ومعاذير ، ثُمَّ بعد ذلك تتطير الصحف ، وَيُؤْتَى أهل اليمين كتابهم باليمين ، وأهل الشمال كتابهم بشمالهم ، فيكون قراءة الكتاب .
- ٧ - ثم بعد قراءة الكتاب : يكون هناك حساب أيضاً لقطع المعذرة ، وقيام الحجة بقراءة ما في الكتب .
- ٨ - ثم بعدها يكون الميزان ، فتوزن الأشياء التي ذكرنا .
- ٩ - ثم بعد الميزان ينقسم الناس إلى طوائف وأزواج ؛ أزواج بمعنى كل شكل إلى شكله ، وتُقَامُ الأولوية -ألوية الأنبياء- لواء محمد ﷺ ، ولواء إبراهيم ، ولواء موسى إلى آخره ، ويتنوع الناس تحت اللواء

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٩ / ١٣١) برقم: (٧٤٤٠) (كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى وجوه يومئذ ناضرة) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (١ / ١٢٣) برقم: (١٩٣) (كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها) (بنحوه).

بحسب أصنافهم ، كل شكّل إلى شكله . والظالمون والكفرة أيضاً : يُحْشَرُونَ أَزْوَاجاً ، يعني متشابهين كما قال : ﴿ احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ * مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ الصافات/٢٢-٢٣ ؛ يعني بأزواجهم : أشكالهم ونظراءهم ، فيُحْشَرُ علماء المشركين مع علماء المشركين ، ويُحْشَرُ الظلمة مع الظلمة ، ويُحْشَرُ منكرو البعث مع منكري البعث ، وهكذا .

■ ١٠ - ثُمَّ بَعْدَ هَذَا يَضْرِبُ اللَّهُ - عز وجل - الظُّلْمَةَ قَبْلَ جَهَنَّمَ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ ، فيسير الناس بما يُعْطَوْنَ مِنَ الْأَنْوَارِ ، فتسير هذه الأمة وفيهم المنافقون ، ثُمَّ إِذَا سَارُوا عَلَى أَنْوَارِهِمْ ضُرِبَ السُّورُ الْمَعْرُوفُ ﴿ فَضْرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ * يُنَادُوهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى ﴾ الحديد/١٣-١٤ . الْآيَاتُ ؛ فَيُعْطِي اللَّهُ - عز وجل - الْمُؤْمِنِينَ النُّورَ ، فَيُبْصِرُونَ طَرِيقَ الصِّرَاطِ ، وَأَمَّا الْمُنَافِقُونَ فَلَا يُعْطَوْنَ النُّورَ ، بَلْ يَكُونُونَ مَعَ الْكَافِرِينَ يَتَهافتون فِي النَّارِ ، يَمْشُونَ وَأَمَامَهُمْ جَهَنَّمُ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ .

■ ١١ - ثُمَّ يَأْتِي النَّبِيُّ ﷺ أَوَّلًا وَيَكُونُ عَلَى الصِّرَاطِ ، وَيَسْأَلُ اللَّهُ - عز وجل - لَهُ وَلَأَمْتَهُ فَيَقُولُ : (اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ ، اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ) ؛ فَيَمُرُّ ﷺ ، وَتَمُرُّ أَمْتُهُ عَلَى الصِّرَاطِ ، كُلٌّ يَمْرُقْدِرْ عَمَلَهُ ، وَمَعَهُ نُورٌ أَيْضًا بِقَدْرِ عَمَلِهِ ، فَيَمْضِي مَنْ غَفَرَ اللَّهُ - عز وجل - لَهُ ، وَيَسْقُطُ فِي النَّارِ ، فِي طَبَقَةِ الْمُوَحِّدِينَ ، مَنْ شَاءَ اللَّهُ - عز وجل - أَنْ يُعَذِّبَهُ . ثُمَّ إِذَا انْتَهَوْا مِنَ النَّارِ : اجْتَمَعُوا فِي عَرَصَاتِ الْجَنَّةِ ، يَعْنِي فِي السَّاحَاتِ الَّتِي أَعَدَّهَا اللَّهُ - عز وجل - لِأَنْ يَقْتَصَّ أَهْلُ الْإِيمَانِ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ ، وَيُنْفَى الْغُلُّ حَتَّى يَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ غُلٌّ .

■ ١٢ - فَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَوَّلَ الْأَمْرِ ، بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ : فَقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ ، فَقَرَاءُ الْأَنْصَارِ ، ثُمَّ فَقَرَاءُ الْأُمَّةِ ، وَيُؤَخَّرُ الْأَغْنِيَاءُ لِأَجْلِ الْحِسَابِ الَّذِي بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْخَلْقِ ، وَلِأَجْلِ مُحَاسَبَتِهِمْ عَلَى ذَلِكَ " اهـ . نقلنا " شرح الطحاوية " (ص ٥٤٢) بترقيم الشاملة / للشيخ صالح آل الشيخ ، بتصرف يسير .

○ **المسألة العاشرة:** الجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان.

فالجنة مأوى أوليائه، والنار عقاب لأعدائه، وأهل الجنة فيها مخلصون وأهل النار فيها مخلصون:

- والجنة في أعلى عليين لقوله تعالى: ﴿كَأَلَا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلِيَيْنَ﴾ [المطففين: ١٨]
- «وقوله ﷺ في حديث البراء بن عازب المشهور في قصة فتنة القبر: "فيقول الله - عز وجل - اكتبوا كتاب عبدي في عليين وأعيدوه إلى الأرض" (١)
- والنار في أسفل سافلين لقوله تعالى: ﴿كَأَلَا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سَجِينٍ﴾ [المطففين: ٧].
- وقوله ﷺ في حديث البراء بن عازب السابق: "فيقول الله تعالى اكتبوا كتاب عبدي في سجين في الأرض السفلى" (٢)

○ **مسألة:** وهما موجودتان الآن، يعني به أن خلقهما قد تمَّ ، ليس موقوفاً على قيام الساعة ، وليس حال الجنة والنار كحال السموات والأرض ﴿تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ﴾ [إبراهيم: ٤٨] ، فذاك شأن والجنة والنار شأنهما آخر، فهما مخلوقتان يعني الآن . فالجنة والنار مخلوقتان الآن وقد دل على ذلك الكتاب والسنة وإجماع السلف:

● فمن الكتاب:

- قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]
- وقوله تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١]
- ، وقوله تعالى : ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤]
- وقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣١]
- وقوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾ [الأحزاب: ٦٤]

(١) - سبق تخريجه

(٢) - سبق تخريجه

- وَوصَفَ الله - عز وجل - حين عُرِجَ بِنَبِيِّهِ أَنْ عِنْدَهُ جَنَّةُ الْمَأْوَى فَقَالَ - عز وجل - ﴿وَلَقَدْ رَأَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾ [النجم: ١٣-١٦] ، فأثبت - عز وجل - أنه حين عُرِجَ برسول الله ﷺ كانت الجنة هناك.
- والنبي ﷺ أَرَى في ذلك المقام الشجرة الملعونة قال - عز وجل - ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٦٠] .
- وكذلك قوله-عز وجل-في الشهداء ﴿بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩-١٧٠].

● ومن السنة :

- **فيهما عَنْ عُرْوَةَ: أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ:** قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: رَأَيْتُ جَهَنَّمَ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا ، وَرَأَيْتُ عَمْرًا يَجْرُ قُصْبُهُ ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ سَيَّبَ السَّوَائِبَ . " ، **ولفظ مسلم عن جابر رضي الله عنه** : " رَأَيْتُ فِي مَقَامِي هَذَا كُلَّ شَيْءٍ وَعِدْتُمْ. حَتَّى لَقَدْ رَأَيْتُنِي أُرِيدُ أَنْ أَخْذَ قِطْعًا مِنَ الْجَنَّةِ حِينَ رَأَيْتُمُونِي جَعَلْتُ أُقَدِّمُ (وَقَالَ الْمُرَادِيُّ : أَتَقَدَّمُ) وَلَقَدْ رَأَيْتُ جَهَنَّمَ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا ، حِينَ رَأَيْتُمُونِي تَأَخَّرْتُ. وَرَأَيْتُ فِيهَا ابْنَ لُحْيٍ . وَهُوَ الَّذِي سَيَّبَ السَّوَائِبَ . " (١)
- **وفي لفظ لمسلم عن جابر رضي الله عنه** : " مَا مِنْ شَيْءٍ تُوعَدُونَهُ إِلَّا قَدْ رَأَيْتُهُ فِي صَلَاتِي هَذِهِ ، لَقَدْ جِئَ بِالنَّارِ. وَذَلِكُمْ حِينَ رَأَيْتُمُونِي تَأَخَّرْتُ مَخَافَةً أَنْ يُصِيبَنِي مِنْ لَفْحِهَا . وَحَتَّى رَأَيْتُ فِيهَا صَاحِبَ الْمِحْجَنِ يَجْرُ قُصْبُهُ فِي النَّارِ. كَانَ يَسْرِقُ الْحَاجَّ بِمِحْجَنِهِ . فَإِنْ فُطِنَ لَهُ قَالَ: إِنَّمَا تَعَلَّقَ بِمِحْجَنِي . وَإِنْ غُفِلَ عَنْهُ ذَهَبَ بِهِ ، وَحَتَّى رَأَيْتُ فِيهَا صَاحِبَةَ الْهَرَّةِ الَّتِي رَبَطْتُهَا فَلَمْ تُطْعَمْهَا ، وَلَمْ تَدْعُهَا تَأْكُلْ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ. حَتَّى مَاتَتْ جُوعًا ، ثُمَّ جِئَ بِالْجَنَّةِ ، وَذَلِكُمْ حِينَ رَأَيْتُمُونِي تَقَدَّمْتُ حَتَّى قُمْتُ فِي مَقَامِي ، وَلَقَدْ مَدَدْتُ يَدِي وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَتَنَاوَلَ مِنْ ثَمَرِهَا لَتَنْظُرُوا إِلَيْهِ ، ثُمَّ بَدَأَ لِي أَنْ لَا أَفْعَلَ ، فَمَا مِنْ شَيْءٍ تُوعَدُونَهُ إِلَّا قَدْ رَأَيْتُهُ فِي صَلَاتِي هَذِهِ . " (٢)

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٦ / ٥٥) برقم: (٤٦٢٤) (كتاب تفسير القرآن ، باب ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (٣ / ٢٨) برقم: (٩٠١) (كتاب صلاة الاستسقاء ، باب صلاة الكسوف) (بنحوه مطولا).

(٢) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٣ / ٣١) برقم: (٩٠٤) (كتاب صلاة الاستسقاء ، باب ما عرض على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في صلاة الكسوف من أمر الجنة والنار) (بهذا اللفظ)

- **وفي صحيح مسلم عن مسروق** قال: سألنا عبد الله عن هذه الآية: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [٣٩/٦] قال: أما إنا قد سألنا عن ذلك فقال: أرواحهم في جوف طير خضر، لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل، فاطلع إليهم ربهم اطلاعاً، فقال: هل تشتهون شيئاً؟ قالوا: أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا، ففعل ذلك بهم ثلاث مرات، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا قالوا: يا رب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا، حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا. (١)
- **(صحيح) عن كعب بن مالك** رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إنما نسمة المؤمن طير يعلق في شجر الجنة، حتى يرجعه الله تعالى إلى جسده يوم يبعثه». (٢)

● وقد أجمع السلف على ذلك .

- قال البرهاري في «شرح السنة للبرهاري» (ص ٤٨): «والإيمان بأن الجنة حق والنار حق، والجنة والنار مخلوقتان، الجنة في السماء السابعة، وسقفها العرش، والنار تحت [الأرض] السابعة السفلى، وهما مخلوقتان».
- وقال شارح الطحاوية ابن أبي العز: «أما قوله: إِنَّ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ مَخْلُوقَتَانِ، فَاتَّفَقَ أَهْلُ السُّنَّةِ عَلَى أَنَّ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ مَخْلُوقَتَانِ مَوْجُودَتَانِ الْآنَ، وَلَمْ يَزَلْ عَلَى ذَلِكَ أَهْلُ السُّنَّةِ حَتَّى نَبَغَتْ نَابِغَةٌ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ وَالْقَدَرِيَّةِ، فَأَنْكَرَتْ ذَلِكَ، وَقَالَتْ: بَلْ يُنْشِئُهُمَا اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ! وَحَمَلَهُمْ عَلَى ذَلِكَ أَصْلُهُمُ الْفَاسِدُ الَّذِي وَضَعُوا بِهِ شَرِيعَةً لِمَا يَفْعَلُهُ اللَّهُ، وَأَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَفْعَلَ كَذَا، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَفْعَلَ كَذَا! وَقَاسَوْهُ عَلَى خَلْقِهِ فِي أَفْعَالِهِمْ، فَهُمْ مُشَبَّهَةٌ فِي الْأَفْعَالِ، وَدَخَلَ التَّجَهُُّمُ فِيهِمْ، فَصَارُوا مَعَ ذَلِكَ مُعْطَلَةً! وَقَالُوا: خَلَقَ الْجَنَّةَ قَبْلَ الْجَزَاءِ عَبَثٌ؛ لِأَنَّهَا تَصِيرُ مُعْطَلَةً مُدَّةً مُتَطَاوِلَةً! فَرَدُّوا مِنَ التُّصُوصِ مَا خَالَفَ هَذِهِ الشَّرِيعَةَ الْبَاطِلَةَ الَّتِي وَضَعُوهَا لِلرَّبِّ تَعَالَى، وَحَرَفُوا التُّصُوصَ عَنْ مَوَاضِعِهَا، وَضَلَّلُوا وَبَدَّعُوا مَنْ خَالَفَ شَرِيعَتَهُمْ».

(١) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٣٨ / ٦) برقم: (١٨٨٧) (كتاب الإمارة، باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة) (بهذا اللفظ)

(٢) - أخرجه مالك في "الموطأ" (١ / ٣٣٦) برقم: (٢٧٥ / ٨٢٠) (كتاب الجنائز، جامع الجنائز) (بمثله). وابن حبان في "صحيحه" ، والنسائي في "الكبرى" (٢ / ٤٨١) برقم: (٢٢١١) (كتاب الجنائز، أرواح المؤمنين) (بمثله). وأحمد في "مسنده" (٦ / ٣٣٧٩) برقم: (١٦٠٣٤) (مسند المكيين رضي الله عنهم، بقية حديث كعب بن مالك الأنصاري رضي الله عنه) (بهذا اللفظ). قال الأرئوط في «مسند أحمد» (٢٥ / ٦٥ ط الرسالة): «إسناده صحيح على شرط الشيخين». وصححه الألباني في «مشكاة المصابيح» (١ / ٥١٦): برقم «١٦٣٢»، وفي «الصحيحة» (٩٩٥) «

وَأَمَّا احْتِجَاجُكُمْ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [الْقَصَصِ: ٨٨] فَأُتِيْتُمْ مِنْ سُوءِ فَهْمِكُمْ مَعْنَى الْآيَةِ، وَاحْتِجَاجُكُمْ بِهَا عَلَى عَدَمِ وُجُودِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ الْآنَ - نَظِيرُ احْتِجَاجِ إِخْوَانِكُمْ عَلَى فَنَاءِهِمَا وَخَرَابِهِمَا وَمَوْتِ أَهْلِهِمَا!! فَلَمْ تُوَفِّقُوا أَنْتُمْ وَلَا إِخْوَانُكُمْ لِفَهْمِ مَعْنَى الْآيَةِ، وَإِنَّمَا وَفَّقَ لِذَلِكَ أَيْمَةُ الْإِسْلَامِ. فَمِنْ كَلَامِهِمْ: أَنَّ الْمُرَادَ كُلُّ شَيْءٍ مِمَّا كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْفَنَاءَ وَالْهَلَاكَ هَالِكٌ، وَالْجَنَّةُ وَالنَّارُ خُلِقَتَا لِلْبَقَاءِ لَا لِلْفَنَاءِ، وَكَذَلِكَ الْعَرْشُ، فَإِنَّهُ سَقْفُ الْجَنَّةِ. وَقِيلَ: الْمُرَادُ إِلَّا مُلْكُهُ. وَقِيلَ: إِلَّا مَا أُريدَ بِهِ وَجْهُهُ. وَقِيلَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَنْزَلَ: "﴿كُلُّ مَنْ عَلِمَهَا فَانٍ﴾" [الرَّحْمَنِ: ٢٦]، فَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: هَلَكَ أَهْلُ الْأَرْضِ، وَطَمِعُوا فِي الْبَقَاءِ، فَأَخْبَرَ تَعَالَى عَنْ أَهْلِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَنَّهُمْ يَمُوتُونَ، فَقَالَ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [الْقَصَصِ: ٨٨]، لِأَنَّهُ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، فَأَيَّقَنَتِ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ ذَلِكَ بِالْمَوْتِ. وَإِنَّمَا قَالُوا ذَلِكَ تَوْفِيقًا بَيْنَهَا وَبَيْنَ النَّصُوصِ الْمُحْكَمَةِ، الدَّالَّةِ عَلَى بَقَاءِ الْجَنَّةِ، وَعَلَى بَقَاءِ النَّارِ أَيْضًا. "اه من «شرح العقيدة الطحاوية - بتخريج الألباني» (ص ٤٢٣):

- وهذه الأبدية في الجنة والنار معاً مما أجمَعَ عليه أهل السنة والجماعة؛ بأنَّ الجنة والنار مخلوقتان للبقاء أبداً.

○ مسألة : وهما لا تفنيان أبدا.

- قال البرهاري في «شرح السنة للبرهاري» (ص ٤٨): «... قد علم الله عدد أهل الجنة ومن يدخلها ، وعدد أهل النار ومن يدخلها ، لا تفنيان أبدا ، هما مع بقاء الله تبارك وتعالى [أبد] الأبدية ، في دهر الداهرين ، وأدم كان في الجنة الباقية المخلوقة ، فأخرج منها بعدما عصى الله .»
- قال حافظ حكيم في «معارج القبول بشرح سلم الوصول» (٢/ ٨٦٣): «الْبَحْثُ الثَّالِثُ فِي دَوَامِهِمَا وَبَقَائِهِمَا بِإِبْقَاءِ اللَّهِ لَهُمَا وَأَتَمُّهُمَا لَا تَفْنِيَانِ أَبَدًا وَلَا يَفْنَى مِنْ فِيهِمَا: وَإِلَى هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ الْإِشَارَةُ بِقَوْلِنَا لَا فَنَاءَ لَهُمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْجَنَّةِ ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التَّوْبَةُ: ١٠٠] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الْحَجَرِ: ٤٨] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هُود: ١٠٨] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾ [ص: ٥٤] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ فَضْلًا مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الدُّخَانِ: ٥١-٥٧] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ [الْوَاقِعَةِ: ٣٣] وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ، فَأَخْبَرَ تَعَالَى بِأَبْدِيَّتِهَا بِقَوْلِهِ: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ ﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾ [ص: ٥٤] وَأَبْدِيَّةَ حَيَاةِ أَهْلِهَا بِقَوْلِهِ: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى﴾ [الدُّخَانِ: ٥٦] وَعَدَمَ انْقِطَاعِهَا عَنْهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ ﴿عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [الْوَاقِعَةِ: ٣٣] وَبِعَدَمِ خُرُوجِهِمْ بِقَوْلِهِ: ﴿وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الْحَجَرِ: ٤٨]
- وَكَذَلِكَ النَّارُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [النِّسَاء: ١٦٨] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [الْأَحْزَابِ: ٦٤] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا﴾ (الْجِنِّ: ٢٣) وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ [الْفُرْقَانِ: ٦٥ ٦٦] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾ [التَّوْبَةِ: ٦٨] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البَقَرَةِ: ١٦٧] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ لَا يُفْتَرُّ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمْ الظَّالِمِينَ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَا كُنْتُمْ﴾ [الرَّحُوفِ: ٧٤-٧٧] الْآيَاتِ. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا

نَعْمَلْ أَوْلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿فَاطِرٍ﴾ [٣٧ ٣٦] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِفُوتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ قَالَ اخْسَوْوا فِيهَا وَلَا تَكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٦-١٠٨] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ﴾ [الشورى: ٤٥] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾ [طه: ٧٤] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿سَيَذَكَّرُ مَنْ يَخْشَى وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾ [الأعلى: ١٠-١٣] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يَتَّبِعُ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ [النبي: ٢٣-٣٠]

وَعِزَّ ذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ كَثِيرٌ، فَأَخْبَرَنَا تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَاتِ وَأَمْثَالِهَا أَنَّ أَهْلَ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا خُلِقَتْ لَهُمْ وَخُلِقُوا لَهَا وَأَتَتْهُمْ خَالِدُونَ فِيهَا أَبَدَ الْأَبَدِينَ وَدَهْرَ الدَّاهِرِينَ، لَا فِكَالَ لَهُمْ مِنْهَا وَلَا خَلَاصَ، وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ فَأَخْبَرَ تَعَالَى عَنْ أَبَدِيَّتِهِمْ فِيهَا بِقَوْلِهِ: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ وَنَفَى تَعَالَى خُرُوجَهُمْ مِنْهَا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧] وَنَفَى تَعَالَى انْقِطَاعَهَا عَنْهُمْ بِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾ [فاطر: ٣٦] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ﴾ [الزخرف: ٧٥] وَنَفَى فَنَاءَهُمْ فِيهَا بِقَوْلِهِ «عَزَّ وَجَلَّ»: ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾ (الأعلى: ١٣) وَقَوْلِهِ: ﴿كَلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ [النساء: ٥٦]

- وأما السنة الدالة على أبدية الجنة والنار فأحاديث منها :
- **فيهما عن ابن عمر رضي الله عنهما قال:** قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِذَا صَارَ أَهْلُ الْجَنَّةِ إِلَى الْجَنَّةِ وَأَهْلُ النَّارِ إِلَى النَّارِ جَاءَ بِالْمَوْتِ حَتَّى يُجْعَلَ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، ثُمَّ يُذْبَحُ ، ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ لَا مَوْتَ يَا أَهْلَ النَّارِ لَا مَوْتَ ، فَيَزْدَادُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَرَحًا إِلَى فَرَحِهِمْ ، وَيَزْدَادُ أَهْلُ النَّارِ حُزْنًا إِلَى حُزْنِهِمْ".^(١)
- **وفي لفظ لمسلم عنه:** "يُدْخِلُ اللَّهُ أَهْلَ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ ، وَيُدْخِلُ أَهْلَ النَّارِ النَّارَ ، ثُمَّ يَقُومُ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ فَيَقُولُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ لَا مَوْتَ ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ لَا مَوْتَ ، كُلُّ خَالِدٍ فِيهَا هُوَ فِيهِ".^(٢)

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٨ / ١١٣) برقم: (٦٥٤٨) (كتاب الرقاق ، باب صفة الجنة والنار) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (٨ / ١٥٣) برقم: (٢٨٥٠) (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء) (بمثله).

(٢) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ١٥٣) برقم: (٢٨٥٠) (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء) (مثله).

• وفيهما عن ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ ، فَيَنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ ، فَيَشْرَبُونَ وَيَنْظُرُونَ ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ ، هَذَا الْمَوْتُ ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَأَاهُ. ثُمَّ يُنَادِي: يَا أَهْلَ النَّارِ ، فَيَشْرَبُونَ وَيَنْظُرُونَ ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ ، هَذَا الْمَوْتُ ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَأَاهُ ، فَيَذْبَحُ. ثُمَّ يَقُولُ: **يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ.** ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ وَهُؤُلَاءِ فِي غَفْلَةٍ أَهْلُ الدُّنْيَا ، ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ . (١).

• وفي صحيح مسلم عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : **أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا فَإِنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْيَوْنَ** ، وَلَكِنْ نَاسٌ أَصَابَتْهُمْ النَّارُ بِذُنُوبِهِمْ - أَوْ قَالَ : بِخَطَايَاهُمْ - ، فَأَمَاتَهُمْ إِمَاتَةً ، حَتَّى إِذَا كَانُوا فَحَمًّا أُذِنَ بِالشَّفَاعَةِ ، فَجِئَ بِهِمْ ضَبَائِرُ ضَبَائِرَ ، فَبُتُّوا عَلَى أَنْهَارِ الْجَنَّةِ ، ثُمَّ قِيلَ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ ، أَفِيضُوا عَلَيْنَهُمْ ، فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْجَنَّةِ تَكُونُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: كَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ كَانَ بِالْبَادِيَةِ . (٢).

• المخالفون لهذه العقيدة:

- قَالَ ابْنُ عَرَبٍ إِمَامُ الْإِسْلَامِ فِي آيَاتِ اللَّهِ تَعَالَى إِنَّ أَهْلَهَا يُعَذَّبُونَ فِيهَا ، ثُمَّ تَنْقَلِبُ طَبِيعَتُهُمْ وَتَبْقَى طَبِيعَةُ النَّارِ يَتَلَدَّدُونَ بِهَا لِمُوَافَقَتِهَا طَبِيعَتُهُمْ .
- وَقَالَ الْجَهْمُ وَشِيعَتُهُ إِنَّ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ تَفْنِيَانِ كِلَاهُمَا لِأَنَّهُمَا حَادِثَتَانِ ، وَمَا ثَبَتَ حَدُوثُهُ اسْتَحَالَ بَقَاؤُهُ ، بِنَاءً عَلَى أَصْلِهِ الْفَاسِدِ فِي مَنْعِ تَسْلُسُلِ الْحَوَادِثِ وَبَقَائِهَا بِإِبْقَاءِ اللَّهِ تَعَالَى لَهَا .
- وَقَالَ طَائِفَةٌ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ وَالْقَدَرِيَّةِ ، لَمْ تَكُنَا الْآنَ مَوْجُودَتَيْنِ ، بَلْ يُنْشِئُهُمَا اللَّهُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ . وَحَمَلَهُمْ عَلَى ذَلِكَ أَصْلُهُمُ الْفَاسِدُ الَّذِي وَضَعُوا بِهِ شَرِيعَةً لِمَا يَفْعَلُهُ اللَّهُ ، وَأَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَفْعَلَ كَذَا وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَفْعَلَ كَذَا ، قِيَاسًا لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى خَلْقِهِ فِي أَفْعَالِهِمْ ، فَهُمْ مُشَبَّهَةٌ فِي الْأَفْعَالِ ، وَدَخَلَ التَّجَسُّيمُ فِيهِمْ فَصَارُوا مَعَ ذَلِكَ مُعْطَلَّةً ، وَقَالُوا خُلِقَ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ قَبْلَ الْجَزَاءِ عَبَثًا ؛ لِأَنَّهُمَا تَصِيرُ مُعْطَلَّةً مَدَدًا مُتَطَاوِلَةً ، فَردُّوا مِنْ نُصُوصِ الْكِتَابِ وَالسُّنَنِ مَا خَالَفَ هَذِهِ الشَّرِيعَةَ الْبَاطِلَةَ الَّتِي وَضَعَهَا لِلرَّبِّ تَعَالَى ، وَحَرَّفُوا النُّصُوصَ عَنْ مَوَاضِعِهَا ، وَضَلَّلُوا وَبَدَّعُوا مَنْ خَالَفَ شَرِيعَتَهُمْ ، فَبَحَّهْمُ اللَّهُ تَعَالَى .

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٦ / ٩٣) برقم: (٤٧٣٠) (كتاب تفسير القرآن ، باب قوله وأنذرهم يوم الحسرة) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (٨ / ١٥٢) برقم: (٢٨٤٩) (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء) (بنحوه) .

(٢) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (١ / ١١٨) برقم: (١٨٥) (كتاب الإيمان ، باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار) (بهذا اللفظ) .

- وَقَالَ أَبُو الْهَيْذِلِ الْعَلَّافُ تَفَنَّى حَرَكَاتُ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَيَصِيرُونَ جَمَادًا لَا يُحْسُونَ بِنَعِيمٍ وَلَا أَلَمٍ وَكُلُّ هَذِهِ الْأَقْوَالِ مُخَالِفَةٌ لِصَحِيحِ الْمُعْقُولِ وَصَرِيحِ الْمُنْقُولِ ، وَمُحَادَّةٌ وَمُشَاقَّةٌ لِلَّهِ تَعَالَى وَلِلرَّسُولِ ﷺ ، وَتَقْدِيمٌ لِلْعُقُولِ السَّخِيفَةِ وَزُبَالَةٌ الْأَذْهَانِ الْبَعِيدَةِ وَالْقُلُوبِ الشَّقِيَّةِ الطَّرِيدَةِ ، وَزَخَارِفُ فَاسِدِي السَّيْرِ وَالسَّرِيرَةِ وَالظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ وَالْعَمَلِ وَالْعَقِيدَةِ وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَهُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي نُوْنِيَّتِهِ الْكَافِيَةِ الشَّافِيَةِ، فِي أَثْنَاءِ حِكَايَتِهِ عَقِيدَةَ جَهَنَّمَ وَشِيعَتِهِ، دَمَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى
- وَقَضَى بِأَنَّ اللَّهَ كَانَ مُعْطَلًا ... وَالْفِعْلُ مُمْتَنِعٌ بِلَا إِمْكَانٍ
- ثُمَّ اسْتَحَالَ وَصَارَ مَقْدُورًا لَهُ ... مِنْ غَيْرِ أَمْرٍ قَامَ بِالذَّيَّانِ
- بَلْ حَالُهُ سُبْحَانَهُ فِي ذَاتِهِ ... قَبْلَ الْحُدُوثِ وَبَعْدَهُ سَيَّانٍ
- وَقَضَى بِأَنَّ النَّارَ لَمْ تُخْلَقْ وَلَا ... جَنَّتْ عَدْنٍ بَلْ هُمَا عَدَمَانِ
- فَإِذَا هُمَا خُلِقَا لِيَوْمٍ مَعَادِنَا ... فَهُمَا عَلَى الْأَوْقَاتِ فَايْتَتَانِ
- وَتَلَطَّفَ الْعَلَّافُ مِنْ أَتْبَاعِهِ ... فَأَتَى بِضَحْكَةٍ جَاهِلٍ مَجَّانِ
- قَالَ الْفَنَاءُ يَكُونُ فِي الْحَرَكَاتِ لَا ... فِي الذَّاتِ وَاعْجَبًا لِذَا الْهَذْيَانِ
- أَيْصِيرُ أَهْلُ الْخُلْدِ فِي جَنَّتِهِمْ ... وَجَجِيمِهِمْ كَحِجَارَةِ الْبُنْيَانِ
- مَا حَالُ مَنْ قَدْ كَانَ يَغْشَى أَهْلَهُ ... عِنْدَ انْقِضَاءِ تَحَرُّكِ الْحَيَوَانِ
- وَكَذَلِكَ مَا حَالُ الَّذِي رَفَعَتْ يَدَا ... هُوَ أَكْلَةٌ مِنْ صَحْفَةٍ وَخَوَانِ
- فَتَنَاهَتْ الْحَرَكَاتُ قَبْلَ وَصُولِهَا ... لِلْفَمِ عِنْدَ تَفْتُحِ الْأَسْنَانِ
- وَكَذَلِكَ مَا حَالُ الَّذِي امْتَدَّتْ يَدُ ... مِنْهُ إِلَى قِنُوءِ مِنَ الْقِنُوَانِ
- فَتَنَاهَتْ الْحَرَكَاتُ قَبْلَ الْأَخْذِ هَلْ ... يَبْقَى كَذَلِكَ سَائِرُ الْأَرْمَانِ
- تَبًّا لِهَاتِيكَ الْعُقُولِ فَايْتَهَا ... وَاللَّهِ قَدْ مُسِخَتْ عَلَى الْأَبْدَانِ
- تَبًّا لِمَنْ أَضْحَى يُقَدِّمُهَا عَلَى الْآثَارِ وَالْأَخْبَارِ وَالْقُرْآنِ
- قَالَ الشَّيْخُ صَالِحُ آلِ الشَّيْخِ فِي «التعليقات الأثرية على العقيدة الطحاوية» (ص ٤٧ بترقيم الشاملة آليا): «والجهم إنما سلك هذا المذهب الوخيم طرداً للدليل عنده وهو الدليل ... المسعى بدليل الأكوان إذ مبناه على قطع التسلسل وهو منع حوادث لا أول لها ؛ فكذلك يمتنع حوادث لا آخر لها» .
- وقال الشَّيْخُ صَالِحُ آلِ الشَّيْخِ فِي «شرح الطحاوية لصالح آل الشيخ = إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل» (ص ٥٤٥ بترقيم الشاملة آليا): وأصل هذه المسألة -كما سيأتي- مرتبٌ بأصلين كلاميين

زعمهما الجهمية ومن وافقهم في القدر، وفي تسلسل الأفعال والمخلوقات والمؤثرات. فالله - جل جلاله - لم يُجَرِّ عالم الغيب على قياس عالم الشهادة ، وهذا أصلٌ مهم في بيان ضلال من ضلَّ في المسائل الغيبية ، حيث جَعَلُوا عَالَمَ الغيب مَقِيَساً على عالم الشهادة ، فما يصلح لعالم الشهادة يصلح لِعَالَمِ الغيب ، والقوانين والسُّنَنُ التي تحكم عالم الشهادة يجعلونها صالحةً لِعَالَمِ الغيب، والله - عز وجل - خلق كل شيء فَقَدَرَهُ تقديرًا، كُلُّ له تقديره الخاص.

● فإذا أهل السنة قَرَرُوا هذا في العقائد تَبَعًا للدليل ، والفِرْقُ المخالفة لهم عدة أقوال في هذه المسألة تبلغ ستة أقوال أو أكثر، وأهمها:

■ - القول الأول من الأقوال الضالة:

إِنَّ الجنة والنار تفنيان في وقتٍ ، ويبقى نعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار بالاستصحاب ، لا بِتَجَدُّ النعيم ؛ يعني يحصل لهم نعيمٌ تَتَنَعَّمُ به أبدانهم ثم يَقِفُ ، وتَفْنِي الجنة. وهذا منهم لأصلٍ أصْلُوهُ وهو: أَنَّ العقل اقتضى أَنَّ الحركة التي تبدأ فإنها ستنتهي ، وكُلُّ مُتَحَرِّكِ بَدَأَ بحركة فلا بد أن ينتهي بلا حركة ، لهذا قالوا: أهل النار أيضاً لا يستمرون في العذاب بل تفنى النار ، ويبقى أهل النار ليسوا في نعيم ، وبذلك يَصِحُّ أن يُقال عنهم إنهم في عذاب دائم. وهذا منسوب إلى الفِرْقِ الضالة الكافرة كالجهمية وطائفة أيضاً من غيرهم.

■ - القول الثاني من الأقوال الضالة: إِنَّ الجنة تبقى والنار تبقى ، لكن النعيم ينقطع ، والعذاب ينقطع ، ويكون الجنة يفعل الله - عز وجل - بها ما يشاء ، والنار يفعل الله بها ما يشاء ، وهذا لأجل الأصل السابق ولأجل النظر في القَدَر؛ حيث إن استدامة النعيم عندهم على عملٍ صالحٍ قليل لا يُوَافِقُ العدل ، واستدامة العذاب على عملٍ سيئٍ قليل الزمن لا يوافق العدل ، ولهذا نفوا هذا الأصل. وثُمَّ أقوال أخر ليس مناسبا أن تُذكر في مثل هذا المكان. أمَّا قول أهل السنة المعروف هو ما ذكرته لك من أَنَّ الجنة والنار مخلوقتان لا تبيدان ولا تفنيان أبد الأبدين، يُنَعَّمُ أهل الجنة في الجنة أبد الأبدين، ويُعَذَّبُ الكفار في النار أبد الأبدين.

○ مسألة : تحقيق ما نسب لبعض السلف بأن النار تفنى ومنهم ابن القيم.

● قال الألباني رحمه الله في «متن الطحاوية ت الألباني» (ص ٧٣): «اعلم أن النار في الآخرة ناران: نار تفنى ونار تبقى أبدا لا تفنى : فالأولى هي نار العصاة المذنبين من المسلمين والأخرى نار الكفار والمشركين هذا خلاصة ما حرره ابن القيم في " الوابل الصيب " وهو الحق الذي لا ريب فيه وبه تجتمع الأدلة فلا تغتر بما ذكره الشارح هنا وابن القيم في " شفاء العليل " و " حادي الأرواح " مما قد ينافي هذا الذي

لخصته فإنهما لم يتبنيا ذلك وليس فيه أي دليل صريح صحيح يدل على فناء الكافرين والله تعالى كما قال في أهل الجنة: ﴿ لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين ﴾ [الحجر: ٤٨] قال مثله في الكافرين: ﴿ وما هم بخارجين من النار ﴾ [البقرة: ١٦٧] . وما روي عن عمر وغيره لا يصح إسناده كما بينته في تعليقي على " الشرح " فتنبه ثم في " الأحاديث الضعيفة " المجلد الثاني [٦٠٦ - ٦٠٧] وسيصدر قريباً بإذن الله»

- قال ابن القيم في «الوابل الصيب - ط دار الحديث» (ص ٢٠): «ولما كان الناس على ثلاث طبقات: طيب لا يشينه خبيث ، وخبيث لا طيب فيه ، وآخرون فيهم خبيث وطيب، دورهم ثلاثة: دار الطيب المحض ، ودار الخبيث المحض ، وهاتان الداران لا تفنيان ، ودار لمن معه خبيث وطيب وهي الدار التي تفنى وهي دار العصاة، فإنه لا يبقى في جهنم من عصاة الموحدين أحد ، فإنه إذا عذبوا بقدر جزائهم أخرجوا من النار فأدخلوا الجنة، ولا يبقى إلا دار الطيب المحض، ودار الخبيث المحض»

○ **مسألة:** في وصف الجنة والنار.

○ **صفة الجنة:**

فالجنة دار النعيم ، التي أعدها الله تعالى للمؤمنين المتقين، فيها من النعيم ما لا عين رأت ، ولا إذا سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون﴾ سورة السجدة، الآية: ١٧ .

● **وجاء في وصف الجنة أحاديث كثيرة منها :**

■ **في صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري ، وأبي هريرة رضي الله عنهما ، عن النبي ﷺ قال :** يُنَادِي مُنَادٍ : **إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلَا تَسْقُمُوا أَبَدًا ، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيُوا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا ، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشَبُّوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدًا ، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنَعَّمُوا فَلَا تَبْتَسُّوا أَبَدًا .** فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿وَنُودُوا أَنْ تِلْكَمُ الْجَنَّةُ أَوْرِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ .^(١)

■ **وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال :** مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يَنْعَمُ لَا يَبْأَسُ ، لَا تَبْلَى ثِيَابُهُ وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُ .^(٢)

■ **وفي صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما :** قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : يَأْكُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ ، وَلَا يَتَغَوِّطُونَ ، وَلَا يَمْتَخِطُونَ ، وَلَا يَبُولُونَ ، وَلَكِنْ طَعَامُهُمْ ذَلِكَ جُشَاءً كَرَشِحِ الْمِسْكِ ، يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالْحَمْدَ كَمَا يُلْهَمُونَ النَّفْسَ قَالَ : وَفِي حَدِيثٍ حَجَّاجٍ : طَعَامُهُمْ ذَلِكَ . " ، **وفي لفظ لمسلم عنه :** " سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ ، وَلَا يَتَغَوِّطُونَ ، وَلَا يَبُولُونَ ، وَلَا يَتَغَوِّطُونَ ، وَلَا يَمْتَخِطُونَ . قَالُوا : فَمَا بَالُ الطَّعَامِ ؟ قَالَ : جُشَاءً ، وَرَشْحُ كَرَشِحِ الْمِسْكِ ، يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّحْمِيدَ كَمَا تُلْهَمُونَ النَّفْسَ .^(٣) "

■ **وفيهما عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ .** فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا : وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَلْجُ الْجَنَّةَ صُورُهُمْ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ، لَا يَبْصُقُونَ فِيهَا ، وَلَا يَمْتَخِطُونَ ، وَلَا يَتَغَوِّطُونَ فِيهَا ،

(١) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ١٤٨) برقم: (٢٨٣٧) (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب في دوام نعيم أهل الجنة (بهذا اللفظ)

(٢) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ١٤٨) برقم: (٢٨٣٦) (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب في دوام نعيم أهل الجنة (بهذا اللفظ)

(٣) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ١٤٧) برقم: (٢٨٣٥) (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب في صفات الجنة وأهلها وتسبيحهم فيها بكرة وعشيا) (بهذا اللفظ)

أَنِيَهُمْ وَأَمْشَاطُهُمْ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ، وَمَجَامِرُهُمْ مِنَ الْأَلْوَةِ ، وَرَشْحُهُمْ الْمِسْكُ ، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ يُرَى مَخُ سَاقِيَهُمَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ مِنَ الْحُسْنِ ، لَا اخْتِلَافَ بَيْنَهُمْ وَلَا تَبَاغُضَ ، قُلُوبُهُمْ قَلْبٌ وَاحِدٌ ، يُسَبِّحُونَ اللَّهَ بُكْرَةً وَعَشِيًّا .^(١)

■ **وفيهما عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ** رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ، ثُمَّ الَّذِينَ يُلَوِّنُهُمْ عَلَى أَشَدِّ نَجْمٍ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً ، ثُمَّ هُمْ بَعْدَ ذَلِكَ مَنَازِلُ ، لَا يَتَغَوَّطُونَ ، وَلَا يَبُولُونَ ، وَلَا يَمْتَخِطُونَ ، وَلَا يَبْزُقُونَ ، أَمْشَاطُهُمْ الذَّهَبُ وَمَجَامِرُهُمْ الْأَلْوَةُ ، وَرَشْحُهُمْ الْمِسْكُ ، أَخْلَاقُهُمْ عَلَى خُلُقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ ، عَلَى طُولِ أَبِيهِمْ آدَمَ ، سِتُونِ ذِرَاعًا قَالَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ : عَلَى خُلُقِ رَجُلٍ . وَقَالَ أَبُو كُرَيْبٍ : عَلَى خُلُقِ رَجُلٍ . وَقَالَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ : عَلَى صُورَةِ أَبِيهِمْ .^(٢)

■ **وفيهما عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ** رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ، وَالَّذِينَ يُلَوِّنُهُمْ عَلَى أَشَدِّ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً ، لَا يَبُولُونَ ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ ، وَلَا يَمْتَخِطُونَ ، وَلَا يَتَفَلُّونَ ، أَمْشَاطُهُمْ الذَّهَبُ وَرَشْحُهُمْ الْمِسْكُ ، وَمَجَامِرُهُمْ الْأَلْوَةُ ، وَأَزْوَاجُهُمُ الْحُورُ الْعِينُ ، أَخْلَاقُهُمْ عَلَى خُلُقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ ، عَلَى صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ ، سِتُونِ ذِرَاعًا فِي السَّمَاءِ .^(٣)

■ **وفي صحيح مسلم عن عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ** رضي الله عنه : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَسُوقًا يَأْتُونَهَا كُلَّ جُمُعَةٍ ، فَتَهْبُ رِيحُ الشَّمَالِ فَتَحْثُو فِي وُجُوهِهِمْ وَثِيَابِهِمْ فَيَزِدَادُونَ حُسْنًا وَجَمَالًا ، فَيَرْجِعُونَ إِلَى أَهْلِهِمْ وَقَدْ اِزْدَادُوا حُسْنًا وَجَمَالًا ، فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُوهُمْ : وَاللَّهِ لَقَدْ اِزْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا ، فَيَقُولُونَ : وَأَنْتُمْ وَاللَّهِ لَقَدْ اِزْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا .^(٤)

■ **وفيهما عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ** رضي الله عنه : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ كَمَا تَتَرَاءَوْنَ الْكُوكَبُ الدُّرِّيُّ الْغَائِبَرُ مِنَ الْأَفْقِ مِنَ الْمَشْرِقِ أَوْ الْمَغْرِبِ لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ . قَالُوا : يَا

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٤ / ١١٨) برقم: (٣٢٤٥) (كتاب بدء الخلق ، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (٨ / ١٤٧) برقم: (٢٨٣٤) (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب في صفات الجنة وأهلها وتسبيحهم فيها بكرة وعشيا) (بمثله).

(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٤ / ١٣٢) برقم: (٣٣٢٧) (كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قول الله تعالى وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة (بنحوه) ، ومسلم في "صحيحه" (٨ / ١٤٦) برقم: (٢٨٣٤) (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر) (بهذا اللفظ)

(٣) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٤ / ١٣٢) برقم: (٣٣٢٧) (كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قول الله تعالى وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (٨ / ١٤٦) برقم: (٢٨٣٤) (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر) (بمثله).

(٤) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ١٤٥) برقم: (٢٨٣٣) (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب في سوق الجنة وما ينالون فيها من النعيم والجمال) (بهذا اللفظ)

رَسُولَ اللَّهِ ، تِلْكَ مَنَازِلُ الْأَنْبِيَاءِ لَا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ . قَالَ : بَلَى ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ رِجَالٌ آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ . "(١)

■ **وفيهما عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ** رضي الله عنه : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ الْعُرْفَةَ فِي الْجَنَّةِ كَمَا تَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ فِي السَّمَاءِ قَالَ فَحَدَّثْتُ بِذَلِكَ النُّعْمَانَ بْنَ أَبِي عَيَّاشٍ فَقَالَ : سَمِعْتُ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ يَقُولُ : كَمَا تَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ فِي الْأَفْقِ الشَّرْقِيِّ أَوْ الْغَرْبِيِّ . "(٢)

■ **وفيهما عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ** رضي الله عنه : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ : يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ . فَيَقُولُونَ : لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ ، وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ . فَيَقُولُ : هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ : وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى يَا رَبِّ ، وَقَدْ أُعْطِيتَنَا مَا لَمْ نُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ! فَيَقُولُ : أَلَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُونَ : يَا رَبِّ ، وَآيُ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ : **أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي ، فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا** . "(٣)

■ **وفيهما عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ** رضي الله عنه ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ : مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : اقْرَأُوا إِنْ شِئْتُمْ : ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ **ولفظ مسلم** "مِصْدَاقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ : ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾" . "(٤)

■ **وفيهما عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ** رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ ، ذُخْرًا بَلَّهَ مَا أَطْلَعَكُمْ اللَّهُ عَلَيْهِ . ثُمَّ قَرَأَ : ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ . "(٥) ، **وفي لفظ للبخاري** : "وَحَدَّثَنَا سُفْيَانُ ، حَدَّثَنَا أَبُو الرِّبَادِ

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (١١٩ / ٤) برقم: (٣٢٥٦) (كتاب بدء الخلق ، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (١٤٥ / ٨) برقم: (٢٨٣١) (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب تراني أهل الجنة أهل الغرف كما يرى الكوكب في السماء) (بمثله).

(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (١١٤ / ٨) برقم: (٦٥٥٥) (كتاب الرقاق ، باب صفة الجنة والنار) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (١٤٤ / ٨) برقم: (٢٨٣٠) (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب تراني أهل الجنة أهل الغرف كما يرى الكوكب في السماء) (بمثله).

(٣) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (١١٤ / ٨) برقم: (٦٥٤٩) (كتاب الرقاق ، باب صفة الجنة والنار) (بمثله .) ، (١٥١ / ٩) برقم: (٧٥١٨) (كتاب التوحيد ، باب كلام الرب مع أهل الجنة) (بهذا اللفظ) ومسلم في "صحيحه" (١٤٤ / ٨) برقم: (٢٨٢٩) (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب إحلال الرضوان على أهل الجنة) (بلفظه).

(٤) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (١١٥ / ٦) برقم: (٤٧٧٩) (كتاب تفسير القرآن ، باب قوله فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (١٤٣ / ٨) برقم: (٢٨٢٤) (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، (بنحوه).

(٥) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (١١٦ / ٦) برقم: (٤٧٨٠) (كتاب تفسير القرآن ، باب قوله فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (١٤٣ / ٨) برقم: (٢٨٢٤) (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، (بمثله).

، عَنِ الْأَعْرَجِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ اللَّهُ ، مِثْلُهُ . قِيلَ لِسُفْيَانَ: رِوَايَةٌ؟ قَالَ: فَأَيُّ شَيْءٍ . قَالَ أَبُو مُعَاوِيَةَ ، عَنِ الْأَعْمَشِ ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ : أَبُو هُرَيْرَةَ : (قُرَّاتِ) . " (١)

- قال النووي في «شرح النووي على مسلم» (١٦٦ / ١٧): «فأما بلبه فَبِفَتْحِ الْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ وَإِسْكَانِ اللَّامِ وَمَعْنَاهَا دَعَا عَنْكَ مَا أَطْلَعَكُمْ عَلَيْهِ فَالَّذِي لَمْ يُطْلَعْكُمْ عَلَيْهِ أَعْظَمُ وَكَأَنَّهُ أَضْرَبَ عَنْهُ اسْتِقْلَالًا لَهُ فِي جَنْبِ مَا لَمْ يُطْلَعْ عَلَيْهِ وَقِيلَ مَعْنَاهَا غَيْرُ وَقِيلَ مَعْنَاهَا كَيْفَ»
- وقال ابن الملقن في «التوضيح لشرح الجامع الصحيح» (١٠٧ / ٢٣): «كأنه يريد: دع ما أطلعتم عليه فإنه سهل أو يسير في جنب ما دخرته لهم، وحكى الليث أنها بمعنى (فضل)، كأنه يقول: هذا الذي غيبته عن علمهم فضل ما أطلعتم عليه منه. قال ابن فارس: وبله بمعنى (سوى)، وبمعنى (دع)، وذكر الحديث والأشبه أن يكون في هذا الحديث بمعنى (سوى) و (غير)، لأجل أن في الحديث: "من بلبه"»
- قال ابن هبيرة في «الإفصاح عن معاني الصحاح» (٣١٤ / ٦): «في هذا الحديث من الفقه أنه لما كانت الدنيا دار ضيق وحر، وكانت الآخرة دار إكرام الله تعالى لأوليائه، ومستقرًا لمن رضي عنه، أعد لهم الله فيها ما لم ترعين، وما لم تسمع أذن، ولا خطر على قلب بشر، **صَوْنًا لِعَطَائِهِ فِي الْآخِرَةِ، وَعَنْ أَنْ يوصف على جهته، فلا تصدقه النفوس لعظمته؛ لأن هذه الأعين ضيقة، وهذه النفوس نشأت في محل صغير، فإذا حدثت بما يتجاوز مقدار عقولها أو مبلغ إحساسها، مما ليس عندها أصل تقيسه عليه إلا ما تشاهده وتراه وتألفه، عجلت إلى الارتياح فيه، وسارعت إلى الشك في الخبر عنه؛ فلذلك أرى أن الله سبحانه وتعالى قال: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ «وعلى أن مما أخبرنا به عن ذلك المقر الذي هذا الحديث يدل على أنه أخفى أضعاف ما أظهر نفاسة وشفرة، أن منه أن يأتي الولي في الجنة ملك من عند ربه سبحانه وتعالى، فيقول لبعض خول الولي وحشمه: إني رسول الله من عند الله إلى الملك، فاستأذنوا عليه، فيقولون له: وأين أنت من الملك الآن؟ فلا يخبره بحضوره إلا شجرة تكلم شجرة حتى يتصل ذلك إليه، فيقول: ائذنوا لرسول ربي، فيدخل إليه الملك، فيسلم عليه، ويحمل له من عند ربه تحفة في تفاحة، إذا أخذها، انصدعت عن جارية مكتوب بين عينيها: من الحي الذي لا يموت إلى الحي الذي لا يموت، وإن مما أظهر أن الله سبحانه يقول لأهل الجنة إذا رأوه، خلعت عليكم أن تقولوا للأشياء: كوني فتكون، فما الظن بما وراء هذا؟* وقوله: (بله ما أطلعكم عليه) أي: سوى ما أطلعكم عليه. وقال أبو عبيد: دع ما أطلعكم عليه."»**

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (١١٥ / ٦) برقم: (٤٧٧٩) (كتاب تفسير القرآن، باب قوله فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين) (بهذا اللفظ)

- وفيهما عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: "شهدت من رسول الله ﷺ مجلساً وصف فيه الجنة حتى انتهى ، ثم قال ﷺ في آخر حديثه : فيها ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر . ثم افتترأ هذه الآية : ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ * فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون ﴿١﴾ .
- وفيهما عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ : لروحة في سبيل الله أو غدوة خير من الدنيا وما فيها ولقَاب قوسٍ أحديكم من الجنة أو موضع قيد يعني سوطه خير من الدنيا وما فيها ولو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت إلى أهل الأرض لأضاءت ما بينهما ولمَّلاته ريحاً ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها "(٢)"
- وفيهما عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : ما من عبد يموت له عند الله خير يسره أن يرجع إلى الدنيا وأن له الدنيا وما فيها إلا الشهيد لما يرى من فضل الشهادة فإنه يسره أن يرجع إلى الدنيا فيقتل مرة أخرى . "ولفظ مسلم" ما من أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا ، وأن له ما على الأرض من شيء غير الشهيد ، فإنه يتمنى أن يرجع فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة . "(٣)"
- وفيهما عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : لقاب قوس في الجنة خير مما تطلع عليه الشمس وتغرب . وقال : لغدوة أو روحة في سبيل الله خير مما تطلع عليه الشمس وتغرب . "(٤)"
- وفي البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : من آمن بالله وبرسوله وأقام الصلاة وصام رمضان كان حقاً على الله أن يدخله الجنة جاهد في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها . فقالوا : يا رسول الله أفلا نبشِّرُ الناسَ قال : إن في الجنة مائة درجة أعدّها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض فإذا سألتُ الله فاسأله الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة

(١) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ١٤٣) برقم: (٢٨٢٥) (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، (بهذا اللفظ)

(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٤ / ١٧) برقم: (٢٧٩٦) (كتاب الجهاد والسير ، باب الحور العين وصفتهن) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (٦ / ٣٦) برقم: (١٨٨٠) (كتاب الإمارة ، باب فضل الغدوة والروحة في سبيل الله) (بمثله مختصراً).

(٣) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٤ / ١٧) برقم: (٢٧٩٥) (كتاب الجهاد والسير ، باب الحور العين وصفتهن) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (٦ / ٣٥) برقم: (١٨٧٧) (كتاب الإمارة ، باب فضل الشهادة في سبيل الله تعالى) (بنحوه).

(٤) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٤ / ١٧) برقم: (٢٧٩٣) (كتاب الجهاد والسير ، باب الغدوة والروحة في سبيل الله) (بهذا اللفظ) ، (ومسلم في "صحيحه" (٦ / ٣٦) برقم: (١٨٨٢) (كتاب الإمارة ، باب فضل الغدوة والروحة في سبيل الله) (بنحوه مطولاً).

أَرَاهُ فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ فُلَيْحٍ عَنْ أَبِيهِ وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ .
" (١)

■ وفيهما عن أبي هريرة رضي الله عنه : عَنِ النَّبِيِّ ﷺ : أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ وَالَّذِينَ عَلَى آثَارِهِمْ كَأَحْسَنِ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً قُلُوبُهُمْ عَلَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ لَا تَبَاغُضَ بَيْنَهُمْ وَلَا تَحَاسَدَ لِكُلِّ امْرِيٍّ زَوْجَتَانِ مِنَ الْخُورِ الْعَيْنِ يُرَى مَخُ سُوْقِيْنِ مِنْ وَرَاءِ الْعِظَمِ وَاللَّحْمِ . " ، **ولفظ مسلم** " وَالَّتِي تَلِيهَا عَلَى أَضْوَاءِ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ ، لِكُلِّ امْرِيٍّ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ اثْنَتَانِ ، يُرَى مَخُ سُوْقِيْهِمَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ ، وَمَا فِي الْجَنَّةِ أَغْزَبُ . " (٢)

■ **في مسلم** " عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : إِنِّي لَأَعْرِفُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنَ النَّارِ ، رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنْهَا زَحْفًا ، فَيُقَالُ لَهُ : انْطَلِقْ ، فَادْخُلِ الْجَنَّةَ ، قَالَ : فَيَذْهَبُ فَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ ، فَيَجِدُ النَّاسَ قَدْ أَخَذُوا الْمَنَازِلَ ، فَيُقَالُ لَهُ : أَتَذْكُرُ الزَّمَانَ الَّذِي كُنْتَ فِيهِ ؟ فَيَقُولُ : نَعَمْ . فَيُقَالُ لَهُ : تَمَنَّ ، فَيَتَمَنَّى ، فَيُقَالُ لَهُ : لَكَ الَّذِي تَمَنَيْتَ وَعَشْرَةُ أَضْعَافِ الدُّنْيَا ، قَالَ : فَيَقُولُ : أَتَسْخَرُ بِي وَأَنْتَ الْمَلِكُ ؟ قَالَ : فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِدُهُ . " (٣)

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٤ / ١٦) برقم: (٢٧٩٠) (كتاب الجهاد والسير ، باب درجات المجاهدين في سبيل الله) (بهذا اللفظ)

(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٤ / ١١٩) برقم: (٣٢٥٤) (كتاب بدء الخلق ، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (٨ / ١٤٥) برقم: (٢٨٣٤) (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر) (بنحوه مطولاً) ،

(٣) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (١ / ١١٩) برقم: (١٨٦) (كتاب الإيمان ، باب آخر أهل النار خروجاً) (بهذا اللفظ)

○ مسألة : أقل أهلها منزلة.

■ **فيهما عن عبد الله بن مسعود** رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا ، وَآخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةَ ، رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ حَبْوًا ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُ : اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ ، فَيَأْتِيهَا فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلَأَى فَيَرْجِعُ ، فَيَقُولُ : يَا رَبِّ ، وَجَدْتُهَا مَلَأَى ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُ : اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ ، قَالَ : فَيَأْتِيهَا فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلَأَى ، فَيَرْجِعُ ، فَيَقُولُ : يَا رَبِّ ، وَجَدْتُهَا مَلَأَى ، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ : اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ ، فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشْرَةَ أَمْثَالِهَا - أَوْ إِنَّ لَكَ عَشْرَةَ أَمْثَالِ الدُّنْيَا - قَالَ : فَيَقُولُ : أَتَسْحَرُ بِي ؟ - أَوْ أَتُضْحَكُ بِي ؟ - وَأَنْتَ الْمَلِكُ ؟ قَالَ : لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِدُهُ ، قَالَ : فَكَانَ يُقَالُ : **ذَلِكَ أَذْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً** . ، **ولفظ البخاري** " اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ ، فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشْرَةَ أَمْثَالِهَا " ^(١)

■ **وفي لفظ للبخاري عنه** : " اَدْخُلِ الْجَنَّةَ ، فَيَقُولُ : رَبِّ الْجَنَّةِ مَلَأَى ، فَيَقُولُ لَهُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، فَكُلُّ ذَلِكَ يُعِيدُ عَلَيْهِ : الْجَنَّةُ مَلَأَى ، فَيَقُولُ : إِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا عَشْرَ مَرَّاتٍ . " ^(٢)

■ **وفي لفظ لمسلم عنه** : " آخِرُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ رَجُلٌ ، فَهُوَ يَمْشِي مَرَّةً ، وَيَكْبُو مَرَّةً ، وَتَسْفَعُهُ النَّارُ مَرَّةً ، فَإِذَا مَا جَاوَزَهَا التَّفَتَّ إِلَيْهَا ، فَقَالَ : تَبَارَكَ الَّذِي نَجَّانِي مِنْكَ ، لَقَدْ أَعْطَانِي اللَّهُ شَيْئًا مَا أَعْطَاهُ أَحَدًا مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ، فَتَرَفَّعَ لَهُ شَجَرَةٌ فَيَقُولُ : أَيُّ رَبِّ ، أَذْنِي مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ ، فَلَا سِتْظِلَّ بِظِلِّهَا وَأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا ! فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : يَا ابْنَ آدَمَ ، لَعَلِّي إِنْ أَعْطَيْتُكَهَا سَأَلْتَنِي غَيْرَهَا ، فَيَقُولُ : لَا ، يَا رَبِّ ، وَيُعَاهِدُهُ أَنْ لَا يَسْأَلَهُ غَيْرَهَا ، وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ لِأَنَّهُ يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ ، فَيُذْنِبُهُ مِنْهَا فَيَسْتِظِلُّ بِظِلِّهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا ، ثُمَّ تَرَفَّعَ لَهُ شَجَرَةٌ هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الْأُولَى ، فَيَقُولُ : أَيُّ رَبِّ ، أَذْنِي مِنْ هَذِهِ لِأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا وَاسْتِظِلَّ بِظِلِّهَا ، لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا ، فَيَقُولُ : يَا ابْنَ آدَمَ ، أَلَمْ تُعَاهِدْنِي أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا ؟ فَيَقُولُ : لَعَلِّي إِنْ أَذْنَيْتُكَ مِنْهَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا ؟ فَيُعَاهِدُهُ أَنْ لَا يَسْأَلَهُ غَيْرَهَا ، وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ لِأَنَّهُ يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ ، فَيُذْنِبُهُ مِنْهَا فَيَسْتِظِلُّ بِظِلِّهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا ، ثُمَّ تَرَفَّعَ لَهُ شَجَرَةٌ عِنْدَ بَابِ الْجَنَّةِ هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الْأُولَيَيْنِ ، فَيَقُولُ : أَيُّ رَبِّ ، أَذْنِي مِنْ هَذِهِ لِأَسْتِظِلَّ بِظِلِّهَا وَأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا ، لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا ، فَيَقُولُ : يَا ابْنَ آدَمَ ، أَلَمْ تُعَاهِدْنِي أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا ؟ قَالَ : بَلَى يَا رَبِّ ، هَذِهِ لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا ، وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ لِأَنَّهُ

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٨ / ١١٧) برقم : (٦٥٧١) (كتاب الرقاق ، باب صفة الجنة والنار) (بنحوه مطولاً) ، ومسلم في "صحيحه" (١ / ١١٩) برقم : (١٨٦) (كتاب الإيمان ، باب آخر أهل النار خروجا) (بهذا اللفظ)

(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٩ / ١٤٧) برقم : (٧٥١١) (كتاب التوحيد ، باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم) (بهذا اللفظ)

يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ ، فَيُذْنِيهِ مِنْهَا ، فَإِذَا أَدْنَاهُ مِنْهَا فَيَسْمَعُ أَصْوَاتَ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، فَيَقُولُ : أَيُّ رَبِّ ، أَذْخَلْنِيهَا ، فَيَقُولُ : يَا ابْنَ آدَمَ ، مَا يَصْرِيْنِي مِنْكَ ؟ أَيُرْضِيكَ أَنْ أُعْطِيَكَ الدُّنْيَا وَمِثْلَهَا مَعَهَا ؟ قَالَ : يَا رَبِّ ، أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ؟ فَضَحَكَ ابْنُ مَسْعُودٍ فَقَالَ : أَلَا تَسْأَلُونِي مِمَّ أَضْحَكَ ؟ فَقَالُوا : مِمَّ تَضْحَكَ ؟ قَالَ : هَكَذَا ضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالُوا : مِمَّ تَضْحَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : مِنْ ضَحِكِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حِينَ قَالَ : أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ؟ فَيَقُولُ : إِنِّي لَا أَهْزِئُ مِنْكَ ، وَلَكِنِّي عَلَى مَا أَشَاءُ قَادِرٌ . " (١)

○ **مسألة : آخر من يدخل الجنة اثنان : أحدهما الذي كان تاجرا يتجاوز عن الناس . والثاني : الذي قال لأبنائه عند موته أحرقوني ثم ذروني في اليم .**

■ **في البخاري عن حذيفة** رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : "إِنَّ رَجُلًا حَضَرَهُ الْمَوْتُ فَلَمَّا يَبَسَ مِنَ الْحَيَاةِ أَوْصَى أَهْلَهُ إِذَا أَنَا مُتُّ فَاجْمَعُوا لِي حَطَبًا كَثِيرًا وَأَوْقِدُوا فِيهِ نَارًا حَتَّى إِذَا أَكَلْتُ لَحْمِي وَخَلَصَتْ إِلَى عَظْمِي فَامْتَحَشَتْ فَخَذُّوْهَا فَاطْحَنُوهَا ثُمَّ انْظُرُوا يَوْمًا رَاحًا فَادْزُرُوهُ فِي الْيَمِّ فَفَعَلُوا فَجَمَعَهُ فَقَالَ لَهُ لِمَ فَعَلْتَ ذَلِكَ قَالَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَغَفَرَ اللَّهُ لَهُ . قَالَ عُقْبَةُ بْنُ عَمْرِوٍ وَأَنَا سَمِعْتُهُ يَقُولُ ذَلِكَ **وَكَانَ نَبَاشًا**" (٢)

■ **وفيهما عن حذيفة** رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول : "يَقُولُ إِنَّ رَجُلًا كَانَ فِيْمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَنَاهُ الْمَلِكُ لِيَقْبِضَ رُوحَهُ فَقِيلَ لَهُ هَلْ عَمِلْتَ مِنْ خَيْرٍ قَالَ مَا أَعْلَمُ قِيلَ لَهُ انْظُرْ قَالَ مَا أَعْلَمُ شَيْئًا غَيْرَ أَنِّي كُنْتُ أَبَايْعُ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا وَأُجَازِيهِمْ فَأَنْظِرُ الْمُوسِرَ وَأَتَجَاوَزُ عَنِ الْمُعْسِرِ فَأَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ" ، **ولفظ مسلم** "أَنَّ حَذِيفَةَ حَدَّثَهُمْ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : تَلَقَّتِ الْمَلَائِكَةُ رُوحَ رَجُلٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، فَقَالُوا : أَعَمِلْتَ مِنَ الْخَيْرِ شَيْئًا ؟ قَالَ : لَا . قَالُوا : تَذَكَّرَ ! قَالَ : كُنْتُ أَدَايِنُ النَّاسَ فَأَمُرُ فِتْيَانِي أَنْ يُنْظَرُوا الْمُعْسِرَ ، وَيَتَجَوَّزُوا عَنِ الْمُوسِرِ . قَالَ : قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : تَجَوَّزُوا عَنْهُ . " (٣)

■ **(صحيح) وعن أبي بكر الصديق** رضي الله عنه ، قَالَ : أَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ فَصَلَّى الْعَدَاةَ فَجَلَسَ حَتَّى إِذَا كَانَ الضُّحَى ضَحَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - ثُمَّ جَلَسَ مَكَانَهُ حَتَّى صَلَّى الْأُولَى ، وَالْعَصَرَ وَالْمَغْرِبَ كُلُّ ذَلِكَ لَا يَتَكَلَّمُ حَتَّى صَلَّى الْعِشَاءَ الْأَخِيرَةَ ثُمَّ قَامَ إِلَى أَهْلِهِ فَقَالَ النَّاسُ لِأَبِي بَكْرٍ فَقَالَ النَّاسُ لِأَبِي بَكْرٍ : سَلْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَا شَأْنُهُ ؟ صَنَعَ الْيَوْمَ شَيْئًا لَمْ يَصْنَعْهُ قَطُّ ، فَسَأَلَهُ ، فَقَالَ : نَعَمْ ، عُرِضَ عَلَيَّ مَا هُوَ كَائِنٌ مِنْ

(١) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (١ / ١١٩) برقم: (١٨٧) (كتاب الإيمان ، باب آخر أهل النار خروجاً) (بهذا اللفظ)

(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٤ / ١٦٩) برقم: (٣٤٥٢) (كتاب أحاديث الأنبياء ، باب ما ذكر عن بني إسرائيل) (بهذا اللفظ)

(٣) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٤ / ١٦٩) برقم: (٣٤٥١) (كتاب أحاديث الأنبياء ، باب ما ذكر عن بني إسرائيل) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (٥ / ٣٢) برقم: (١٥٦٠) (كتاب البيوع ، باب فضل إنظار المعسر) (بنحوه) .

أَمْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، فَجَمَعَ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ بِصَعِيدٍ وَاحِدٍ حَتَّى انْطَلَقُوا إِلَى آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، ثُمَّ ذَكَرَ الْحَدِيثَ ... إِلَى أَنْ قَالَ "ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : **انْظُرُوا فِي النَّارِ هَلْ فِيهَا مِنْ أَحَدٍ عَمِلَ خَيْرًا قَطُّ ؟** فَيَجِدُونَ فِي النَّارِ رَجُلًا ، فَيَقَالُ لَهُ : هَلْ عَمِلْتَ خَيْرًا قَطُّ ، فَيَقُولُ : لَا غَيْرَ أَتَى كُنْتُ أُسَامِحُ النَّاسَ فِي الْبَيْعِ ، فَيَقُولُ اللَّهُ : اسْمَحُوا لِعَبْدِي كَأَسْمَاحِهِ إِلَى عِبِيدِي ، ثُمَّ يُخْرِجُ مِنَ النَّارِ آخَرُ يُقَالُ لَهُ : هَلْ عَمِلْتَ خَيْرًا قَطُّ ؟ فَيَقُولُ : لَا ، **غَيْرَ أَنِّي كُنْتُ أَمَرْتُ وَلَدِي ، إِذَا مِتُّ فَأَحْرِقُونِي بِالنَّارِ ، ثُمَّ اطْحَنُونِي** ، حَتَّى إِذَا كُنْتُ مِثْلَ الْكُحْلِ ، فَادْهَبُوا بِي إِلَى الْبَحْرِ ، فَذُرُونِي فِي الرِّيحِ . فَقَالَ اللَّهُ : **لِمَ فَعَلْتَ ذَلِكَ ؟ قَالَ : مِنْ مَخَافَتِكَ .** فَيَقُولُ : انْظُرُوا إِلَى مُلْكٍ أَعْظَمَ مُلْكٍ ، فَإِنَّ لَكَ مِثْلَهُ وَعَشْرَةَ أَمْثَالِهِ ، فَيَقُولُ : لِمَ تَسْخَرُ بِي وَأَنْتَ الْمَلِكُ ؟ فَذَلِكَ الَّذِي ضَحِكْتَ مِنْهُ مِنَ الضُّحَى . " (١)

■ قال في «البحر المحيط الشجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج» (١٤٨/٥): «(ثُمَّ يَفْرُغُ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ) أي ثانيًا، يعني يكمل إخراج الموحد من النار (وَيَبْقَى رَجُلٌ مُقْبِلٌ بَوَجْهِهِ عَلَى النَّارِ، وَهُوَ آخِرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةِ) **وقع في حديث حذيفة** **وصف هذا الرجل أنه كان نباشًا**، وذلك فيما أخرجه البخاري في أخبار بني إسرائيل: "أن رجلاً كان يسيء الظن بعمله، فقال لأهله: أحرقوني ... " الحديث، وفي آخره: "كان نباشًا"، **ووقع في حديث حذيفة عن أبي بكر الصديق - رضي الله عنهما - عند أحمد، وأبي عوانة، وغيرهما: وفيه: "ثم يقول الله: انظروا هل بقي في النار أحد، عَمِلَ خَيْرًا قَطُّ؟ ، فيجدون رجلاً، فيقال له: هل عملت خيراً قط؟ ، فيقول: إني كنت أسامح الناس في البيع ... " الحديث، وفيه: "ثم يخرجون من النار رجلاً آخر، فيقال له: هل عملت خيراً قط؟ فيقول: إني أمرت ولدي: إذا مِتُّ فأحرقوني ... " الحديث، وجاء من وجه آخر أنه كان يسأل الله أن يُجيره من النار، ولا يقول: "أدخلني الجنة"، أخرجه الحسين المروزي في زيادات "الزهد" لابن المبارك، من حديث عوف الأشجعي، رفعه: "قد علمت آخر أهل الجنة دخولاً الجنة،**

(١) - أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (١٤ / ٣٩٣) برقم: (٦٤٧٦) (كتاب التاريخ ، ذكر وصف قوله صلى الله عليه وسلم وأول شافع وأول مشفع) (بهذا اللفظ) ، والضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" (١ / ١٢١) برقم: (٣٩) (أحاديث خليفة رسول الله أبي بكر عبد الله بن عثمان الصديق ، حذيفة بن اليمان عن أبي بكر الصديق رضي الله عنهم) (بمثله .) ، وأحمد في "مسنده" (١ / ٨) برقم: (١٦) (مسند العشرة المبشرين بالجنة وغيرهم ، مسند أبي بكر الصديق رضي الله عنه) (بمثله .) ، وأبو يعلى في "مسنده" (١ / ٥٦) برقم: (٥٦) (مسند أبي بكر الصديق ،) (بمثله.) قال الأرنؤوط في «الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان» (١٤ / ٣٩٥): «(إسناده جيد) ... ووالان العدوي: هو والان بن بهيس أو ابن قرفة، وثقه ابن معين والمصنف، وقول ابن الجوزي في "العلل المتناهية" ٩٢٢/٢: قال أبو حاتم الرازي: والان مجهول، وهم منه رحمه الله، فإن أبا حاتم قال هذا في حق والان أبي عروة المرادي كما نقله عنه ابنه عبد الرحمن في "الجرح والتعديل" ٤٣/٩-٤٤، أما والان العدوي فقد نقل ابن أبي حاتم عن يحيى بن معين القول بتوثيقه، وقول الدارقطني في "العلل" ١٩٠/١-١٩١: ووالان غير مشهور إلا في هذا الحديث، والحديث غير ثابت، متعقب بما في "اللسان" ٢١٦/٦: كذا قال، وقد قال يحيى بن معين: بصري ثقة، وذكره ابن حبان في "الثقات" وأخرج حديثه في "صحيحه"، وكذا أخرجه أبو عوانة وهو من زياداته على مسلم". وصححه الألباني في «التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان» (٩ / ٢١٢): برقم ٦٤٤٢ ، وقال في تعليقه: "«صحيح - (الظلال)» (٧٥١ و ٨١٢)»

رجلٌ كان يسأل الله أن يجيره من النار، ولا يقول: أدخلني الجنة، فلما دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، بقي بين ذلك، فيقول: يا رب قَرِّبني من باب الجنة، أنظر إليها، وأجدُ من ريحها، فيُقَرِّبه، فيرى شجرة ... " الحديث، وهو عند ابن أبي شيبة أيضًا، قال الحافظ - رحمه الله -: وهذا يقوِّي التعدد، لكن الإسناد ضعيف.

■ وذكر القاضي عياض - رحمه الله - أنه جاء في حديث آخر: "إني لأعلم آخر أهل النار خروجًا من النار، وآخر أهل الجنة دخولًا فيها"، قال: فيحتمل أنهما اثنان، إما شخصان، وإما نوعان، أو جنسان، وعبر فيه بالواحد عن الجماعة؛ لاشتراكهم في الحكم الذي كان سبب ذلك»

○ صفة النار.

والنار دار العذاب، التي أعدها الله تعالى للكافرين الظالمين، فيها من العذاب، والنكال ما لا يخطر على البال ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سَرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يَغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ سورة الكهف، الآية: ٢٩..

■ **قال البخاري في صحيحه: بَابُ صِفَةِ النَّارِ وَأَنَّهَا مَخْلُوقَةٌ غَسَاقًا يُقَالُ: غَسَقَتْ عَيْنُهُ وَيَغْسِقُ الْجُرْحُ** ، وَكَانَ الْغَسَاقُ وَالْغَسَقُ وَاحِدٌ ، { غَسَلِينَ } كُلُّ شَيْءٍ غَسَلْتَهُ فَخَرَجَ مِنْهُ شَيْءٌ فَهُوَ غَسَلِينَ فِعْلِينَ مِنْ الْغَسْلِ مِنَ الْجُرْحِ وَالِدَبْرِ وَقَالَ عِكْرِمَةُ { حَصَبُ جَهَنَّمَ } حَطَبٌ بِالْحَبَشِيَّةِ وَقَالَ غَيْرُهُ { حَاصِبًا } الرِّيحُ الْعَاصِيفُ وَالْحَاصِبُ مَا تَرْمِي بِهِ الرِّيحُ وَمِنْهُ { حَصَبُ جَهَنَّمَ } يُرْمَى بِهِ فِي جَهَنَّمَ هُمْ حَصَبُهَا وَيُقَالُ حَصَبَ فِي الْأَرْضِ ذَهَبٌ ، وَالْحَصَبُ مُشْتَقٌّ مِنْ حَصَبَاءِ الْحِجَارَةِ . صَدِيدٌ قَيْحٌ وَدَمٌ { حَبَّتْ } طَفِنَتْ { تُورُونَ } تَسْتَخْرِجُونَ ، أَوْرَيْتُ : أَوْقَدْتُ { لِلْمُقْوِينَ } لِلْمُسَافِرِينَ ، وَالْقِي : الْقَفَرُ وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : { صِرَاطُ الْجَحِيمِ } سَوَاءُ الْجَحِيمِ وَوَسَطُ الْجَحِيمِ { لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ } يُخْلَطُ طَعَامُهُمْ وَيُسَاطُ بِالْحَمِيمِ { زَفِيرٌ وَشَهيقٌ } صَوْتُ شَدِيدٌ وَصَوْتُ ضَعِيفٌ { وَرْدًا } عِطَاشًا { غَيًّا } خُسْرَانًا وَقَالَ مُجَاهِدٌ { يُسْجَرُونَ } تُوقَدُ بِهِمُ النَّارُ { وَنَحَاسٌ } الصُّفْرُ يُصَبُّ عَلَى رُؤُوسِهِمْ يُقَالُ { ذُوقُوا } بَاشِرُوا وَجَرَّبُوا وَلَيْسَ هَذَا مِنْ ذُوقِ الْفَمِ { مَارِجٌ } خَالِصٌ مِنَ النَّارِ ، مَرَجَ الْأَمِيرُ رَعِيَّتَهُ إِذَا خَلَّاهُمْ يَعْدُو بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ { مَرِيحٌ } مُلْتَبِسٌ مَرَجَ أَمْرُ النَّاسِ : اخْتَلَطَ { مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ } مَرَجَتْ دَابَّتَكَ : تَرَكْتَهَا.

○ مسألة: تفسير البرد في النار.

■ **فيهما عن أبي هريرة** رضي الله عنه يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : اشْتَكَّتِ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا ، فَقَالَتْ : رَبِّ أَكَلْ بَعْضِي بَعْضًا ، فَأَذِنَ لَهَا بِنَفْسَيْنِ نَفْسٍ فِي الشِّتَاءِ وَنَفْسٍ فِي الصَّيْفِ ، فَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ فِي الْحَرِّ وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الزَّمْهِرِيرِ ^(١).

● قال ابن حجر في «فتح الباري لابن حجر» (٢/ ١٩): «والمُرَادُ بِالزَّمْهِرِيرِ شِدَّةُ الْبَرْدِ ، وَاسْتَشْكَلَ وَجُودُهُ فِي النَّارِ ، وَلَا إِشْكَالَ ؛ لِأَنَّ الْمُرَادَ بِالنَّارِ مَحَلُّهَا ، وَفِيهَا طَبَقَةُ زَمْهِرِيرِيَّةٌ ، وَفِي الْحَدِيثِ رَدٌّ عَلَى مَنْ زَعَمَ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ وَغَيْرِهِمْ أَنَّ النَّارَ لَا تُخْلَقُ إِلَّا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٤ / ١٢٠) برقم: (٣٢٦٠) (كتاب بدء الخلق ، باب صفة النار وأنها مخلوقة) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (٢ / ١٠٨) برقم: (٦١٧) (كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب استحباب الإبراد بالظهر في شدة الحر) (بمثله).

- وقال الطبري في «تفسير الطبري = جامع البيان ط دار التربية والتراث» (١٦٣ / ٢٤): «وقوله: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾ يقول: لا يطعمون فيها بردا يبرد حرّ السعير عنهم، إلا الغساق، ولا شرابا يروهم من شدة العطش الذي بهم، إلا الحميم»
- قال ابن القيم في «تفسير القرآن الكريم لابن القيم» (ص ٦٢١): «...وفي تسمية الليل غاسقا قول آخر: أنه من البرد ، والليل أبرد من النهار ، والغسق: البرد. وعليه حمل ابن عباس قوله تعالى: ٣٨: ٥٧ فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ وقوله: ٧٨: ٢٤ ، ٢٥ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا قال: هو الزمهرير يحرقهم ببرده. كما تحرقهم النار بحرّها. وكذلك قال مجاهد ومقاتل: هو الذي انتهى برده. ولا تنافي بين القولين. فإن الليل بارد مظلم. فمن ذكر برده فقط، أو ظلمته فقط: اقتصر على أحد وصفيه " . وذكر نحوه في «بدائع الفوائد - ط الكتاب العربي» (٢ / ٢١٦):
- قال ابن كثير في «تفسير ابن كثير - ت السلامة» (٧ / ٧٨): «أَمَّا الْحَمِيمُ فَهُوَ: الْحَارُّ الَّذِي قَدْ انْتَهَى حَرُّهُ وَأَمَّا الْغَسَّاقُ فَهُوَ: ضِدُّهُ، وَهُوَ الْبَارِدُ الَّذِي لَا يُسْتَطَاعُ مِنْ شِدَّةِ بَرْدِهِ الْمُؤْلِمِ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجًا﴾ أَي: وَأَشْيَاءَ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ، السَّيِّئُ وَضِدُّهُ يُعَاقَبُونَ بِهَا»
- وقال ابن كثير في «تفسير ابن كثير - ت السلامة» (٧ / ٧٩): «وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجًا﴾ أَلْوَانٌ مِنَ الْعَذَابِ. وَقَالَ غَيْرُهُ: كَالزَّمْهَرِيرِ وَالسَّمُومِ وَشَرْبِ الْحَمِيمِ وَأَكْلِ الزَّقُومِ وَالصُّعُودِ وَالْهُوِيِّ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَشْيَاءِ الْمُخْتَلِفَةِ وَالْمُتَضَادَّةِ وَالْجَمِيعِ مِمَّا يُعَذَّبُونَ بِهِ وَهُمْ يُنَادَوْنَ بِسَبَبِهِ»
- وقال ابن كثير في «تفسير ابن كثير - ت السلامة» (٨ / ٣٠٧): «وَقَوْلُهُ: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾ أَي: لَا يَجِدُونَ فِي جَهَنَّمَ بَرْدًا لِقُلُوبِهِمْ ، وَلَا شَرَابًا طَيِّبًا يَتَغَدَّوْنَ بِهِ. وَلِهَذَا قَالَ: ﴿إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾ قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: اسْتَثْنَى مِنَ الْبَرْدِ الْحَمِيمِ وَمِنَ الشَّرَابِ الْغَسَّاقُ. وَكَذَا قَالَ الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ. فَأَمَّا الْحَمِيمُ: فَهُوَ الْحَارُّ الَّذِي قَدْ انْتَهَى حَرُّهُ وَحُمُوه. وَالْغَسَّاقُ: هُوَ مَا اجْتَمَعَ مِنْ صَدِيدِ أَهْلِ النَّارِ وَعَرَقِهِمْ وَدُمُوعِهِمْ وَجُرُوحِهِمْ، فَهُوَ بَارِدٌ لَا يُسْتَطَاعُ مِنْ بَرْدِهِ ، وَلَا يُوَاجَهُ مَنْ نَتْنِهِ. وَقَدْ قَدَّمْنَا الْكَلَامَ عَلَى الْغَسَّاقِ فِي سُورَةِ "ص" بِمَا أَغْنَى عَنْ إِعَادَتِهِ، أَجَارَنَا اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ، بِمَنْنِهِ وَكَرَمِهِ»

○ **مسألة:** حجم النار وحجم أهلها ، ومنازلهم فيها . أعادنا الله منها بمره وكرمه .

- **فيهما عن أبي هريرة** رضي الله عنه : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : نَارُكُمْ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ كَانَتْ لَكَافِيَةً قَالَ : فَضِلْتُ عَلَيْكَ بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا كُلُّهُمْ مِثْلُ حَرِّهَا .^(١)
- **وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة** رضي الله عنه : قَالَ : كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ سَمِعَ وَجِبَةً ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : تَدْرُونَ مَا هَذَا ؟ . قَالَ : قُلْنَا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ : هَذَا حَجَرٌ رُمِيَ بِهِ فِي النَّارِ مُنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفًا ، فَهُوَ يَهْوِي فِي النَّارِ الْآنَ ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَعْرِهَا . **وفي لفظ له** " هَذَا وَقَعَ فِي أَسْفَلِهَا ، فَسَمِعْتُمْ وَجِبَتَهَا . " ^(٢)

- **وفي مسلم عن سمرة** رضي الله عنه : أَنَّهُ سَمِعَ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : إِنَّ مِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى كَعْبِيهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ إِلَى حُجْرَتِهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ إِلَى عُنُقِهِ . **وفي لفظ** " سَمِعْتُ أَبَا نَضْرَةَ يُحَدِّثُ عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : مِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى كَعْبِيهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى حُجْرَتِهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى تَرْقُوتِهِ . " ^(٣)
- **وفيما عن أبي هريرة** رضي الله عنه : قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : احْتَجَّتِ النَّارُ وَالْجَنَّةُ ، فَقَالَتْ هَذِهِ : يَدْخُلِي الْجَبَّارُونَ وَالْمُتَكَبِّرُونَ ، وَقَالَتْ هَذِهِ : يَدْخُلِي الضُّعَفَاءُ وَالْمَسَاكِينُ . فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِهَذِهِ : أَنْتِ عَذَابِي أَعَذِّبُ بِكَ مَنْ أَشَاءُ وَرَبِّمَا قَالَ : أُصِيبُ بِكَ مَنْ أَشَاءُ وَقَالَ لِهَذِهِ : أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكَ مَنْ أَشَاءُ ، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مِلْوُهَا . **وفي لفظ** : " **عن أبي هريرة** ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : تَحَاجَّتِ النَّارُ وَالْجَنَّةُ ، فَقَالَتِ النَّارُ : أُوْثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَالْمُتَجَبِّرِينَ ، وَقَالَتِ الْجَنَّةُ : فَمَا لِي لَا يَدْخُلِي إِلَّا ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ وَعَجَزُهُمْ ؟ فَقَالَ اللَّهُ لِلْجَنَّةِ : أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكَ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي ، وَقَالَ لِلنَّارِ : أَنْتِ عَذَابِي أَعَذِّبُ بِكَ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي ، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مِلْوُهَا ، فَأَمَّا النَّارُ : فَلَا تَمْتَلِي ، فَيَضَعُ قَدَمَهُ عَلَيْهَا فَتَقُولُ : قَطُّ قَطُّ ، فَهِنَالِكَ تَمْتَلِي وَيُزَوَّى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ . " ، **وفي لفظ** : " تَحَاجَّتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ ، فَقَالَتِ النَّارُ : أُوْثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَالْمُتَجَبِّرِينَ ، وَقَالَتِ الْجَنَّةُ : فَمَا لِي لَا يَدْخُلِي إِلَّا ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ وَغَرَّتُهُمْ ؟ " ^(٤)

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٤ / ١٢١) برقم: (٣٢٦٥) (كتاب بدء الخلق ، باب صفة النار وأنها مخلوقة) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (٨ / ١٤٩) برقم: (٢٨٤٣) (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب في شدة حر نار جهنم وبعد قعرها وما تأخذ من المعذبين) (بمثله).

(٢) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ١٥٠) برقم: (٢٨٤٤) (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب في شدة حر نار جهنم وبعد قعرها وما تأخذ من المعذبين) (بهذا اللفظ)

(٣) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ١٥٠) برقم: (٢٨٤٥) (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب في شدة حر نار جهنم وبعد قعرها وما تأخذ من المعذبين) (بهذا اللفظ) ،

قَالَ اللَّهُ لِلْجَنَّةِ : إِنَّمَا أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكَ مِنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي ، وَقَالَ لِلنَّارِ : إِنَّمَا أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكَ مِنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي ، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مِلْؤُهَا ، فَأَمَّا النَّارُ : فَلَا تَمْتَلِي حَتَّى يَضَعَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى رِجْلَهُ تَقُولُ : قَطُ قَطُ قَطُ ، فَهَنَالِكَ تَمْتَلِي وَيُزَوَّى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ ، وَلَا يَظْلِمُ اللَّهُ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا ، وَأَمَّا الْجَنَّةُ : فَإِنَّ اللَّهَ يُنْشِئُ لَهَا خَلْقًا .^(١)

■ وفيهما عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : لَا تَزَالُ جَهَنَّمُ يُلْقَى فِيهَا وَتَقُولُ : هَلْ مِنْ مَزِيدٍ حَتَّى يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّةِ فِيهَا قَدَمَهُ ، فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ وَتَقُولُ : قَطُ قَطُ بَعِزَّتِكَ وَكَرَمِكَ ، وَلَا يَزَالُ فِي الْجَنَّةِ فَضْلٌ حَتَّى يُنْشِئَ اللَّهُ لَهَا خَلْقًا فَيُسْكِنَهُمْ فَضْلَ الْجَنَّةِ . ، **وفي لفظ لمسلم** : " سَمِعْتُ أَنَسًا يَقُولُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ : قَالَ : يَبْقَى مِنَ الْجَنَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَبْقَى ، ثُمَّ يُنْشِئُ اللَّهُ تَعَالَى لَهَا خَلْقًا مِمَّا يَشَاءُ . " (٢)

■ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجْرُوتُهَا .^(٣)

■ **وفي صحيح مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ضَرَسُ الْكَافِرِ ، أَوْ نَابُ الْكَافِرِ مِثْلُ أُحُدٍ ، وَغِلَظُ جُلْدِهِ مَسِيرَةُ ثَلَاثٍ .^(٤)

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (١٣٨ / ٦) برقم: (٤٨٤٩) (كتاب تفسير القرآن ، باب قوله وتقول هل من مزيد) (من غير ذكر هذا اللفظ) ، (١٣٨ / ٦) برقم: (٤٨٥٠) (كتاب تفسير القرآن ، باب قوله وتقول هل من مزيد) (بنحوه مطولاً) ، (٩ / ١٣٤) برقم: (٧٤٤٩) (كتاب التوحيد ، باب ما جاء في قول الله تعالى إن رحمة الله قريب من المحسنين) (بنحوه مطولاً) ، ومسلم في "صحيحه" (٨ / ١٥٠) برقم: (٢٨٤٦) (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء) (بهذا اللفظ)

(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (١١٧ / ٩) برقم: (٧٣٨٤) (كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى وهو العزيز الحكيم) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" ، (٨ / ١٥٢) برقم: (٢٨٤٨) (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء) ، (٨ / ١٥٢) برقم: (٢٨٤٨) (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء) (بنحوه مطولاً).

(٣) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ١٤٩) برقم: (٢٨٤٢) (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب في شدة حر نار جهنم وبعد قعرها وما تأخذ من المعذبين) (بهذا اللفظ)

(٤) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ١٥٣) برقم: (٢٨٥١) (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء) (بهذا اللفظ)

- وفيهما عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : مَا بَيْنَ مَنْكِبَيِ الْكَافِرِ فِي النَّارِ مَسِيرَةُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ لِلرَّاكِبِ الْمُسْرِعِ وَلَمْ يَذْكُرِ الْوَكَيْعِيُّ : فِي النَّارِ . " (١)
- (صحيح) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ فَلَوْ أَنَّ قَطْرَةً مِنَ الرَّقُومِ قَطَرَتْ فِي الْأَرْضِ لَأَفْسَدَتْ عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ مَعِيشَتَهُمْ ، فَكَيْفَ بِمَنْ لَيْسَ لَهُ طَعَامٌ غَيْرُهُ ؟ . " (٢)

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٨ / ١١٤) برقم: (٦٥٥١) (كتاب الرقاق ، باب صفة الجنة والنار) (بهذا اللفظ) ومسلم في "صحيحه" (٨ / ١٥٤) برقم: (٢٨٥٢) (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء) (بمثله).

(٢) - أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (١٦ / ٥١١) برقم: (٧٤٧٠) (كتاب إخباره صلى الله عليه وسلم عن مناقب الصحابة رجالهم ونسائهم بذكر أسمائهم رضوان الله عليهم أجمعين ، ذكر الإخبار عن وصف الرقوم الذي جعله الله شراب من حاد عنه في دار هوانه) (بهذا اللفظ) ، والحاكم في "مستدركه" (٢ / ٢٩٤) برقم: (٣١٧٦) (كتاب التفسير ، شرح معنى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته) (بنحوه). وصححه ووافقه الذهبي ، والنسائي في "الكبرى" (١٠ / ٤٨) برقم: (١١٠٠٤) (كتاب التفسير ، قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته) (بمثله). ، والترمذي في "جامعه" (٤ / ٣٣٦) برقم: (٢٥٨٥) (أبواب صفة جهنم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. ، باب ما جاء في صفة شراب أهل النار) (بنحوه). وقال : "حسن صحيح" ، وابن ماجه في "سننه" (٥ / ٣٧٥) برقم: (٤٣٢٥) (أبواب الزهد ، باب صفة النار) (بمثله). ، وأحمد في "مسنده" (٢ / ٧٥٠) برقم: (٣١٩٧) (مسند بني هاشم رضي الله عنهم ، مسند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم) (بمثله مطولاً). . قال الأرئوط في «مسند أحمد» (٥ / ٢٣٦ ط الرسالة): «إسناده صحيح على شرط الشيخين». وصححه الألباني في «مشكاة المصابيح» (٣ / ١٥٨٢): برقم «٥٦٨٣» .

○ مسألة : أهون أهلها عذابا.

■ وفيهما عَنِ النَّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا مَنْ لَهُ نَعْلَانِ وَشِرَاكَانِ مِنْ نَارٍ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ ، كَمَا يَغْلِي الْمَرْجُلُ ، مَا يَرَى أَنَّ أَحَدًا أَشَدُّ مِنْهُ عَذَابًا ، وَإِنَّهُ لَأَهْوَنُهُمْ عَذَابًا . "(١)"

■ وفي صحيح مسلم عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : إِنَّ أَدْنَى أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَنْتَعِلُ بِنَعْلَيْنِ مِنْ نَارٍ يَغْلِي دِمَاغُهُ مِنْ حَرَارَةِ نَعْلَيْهِ . "(٢)"

■ وفي صحيح مسلم عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : أَهْوَنُ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا أَبُو طَالِبٍ ، وَهُوَ مُنْتَعِلٌ بِنَعْلَيْنِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ . "(٣)"

■ ﷺ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَرَجُلٌ تَوَضَّعُ فِي أَحْمَصِ قَدَمَيْهِ جَمْرَتَانِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ . "(٤)"

○ مسألة : المقصود بالاستثناء في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فَبِالْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٨] أَي غَيْرَ مَقْطُوعٍ ، وَلَا يُنَافِي ذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١٠٨] . وَاخْتَلَفَ السَّلَفُ فِي هَذَا الْإِسْتِثْنَاءِ:

- فَقِيلَ: مَعْنَاهُ إِلَّا مُدَّةٌ مُكْثِرُهُمْ فِي النَّارِ ، وَهَذَا يَكُونُ لِمَنْ دَخَلَ مِنْهُمْ إِلَى النَّارِ ثُمَّ أُخْرِجَ مِنْهَا ، لَا لِكُلِّهِمْ . وَقِيلَ: إِلَّا مُدَّةٌ مُقَامِهِمْ فِي الْمَوْقِفِ . وَقِيلَ: إِلَّا مُدَّةٌ مُقَامِهِمْ فِي الْقُبُورِ وَالْمَوْقِفِ .
- وَقِيلَ: هُوَ اسْتِثْنَاءُ اسْتِثْنَاءِ الرَّبِّ وَلَا يَفْعَلُهُ ، كَمَا تَقُولُ: وَاللَّهِ لَأَضْرِبَنَّكَ إِلَّا أَنْ أَرَى غَيْرَ ذَلِكَ ، وَأَنْتَ لَا تَرَاهُ ، بَلْ تَجْزِمُ بِضَرْبِهِ .

- وَقِيلَ: "إِلَّا" بِمَعْنَى الْوَاوِ ، وَهَذَا عَلَى قَوْلِ بَعْضِ النُّحَاةِ ، وَهُوَ ضَعِيفٌ . وَسَيَبَوِّهُ يَجْعَلُ "إِلَّا" بِمَعْنَى لَكِنْ ، فَيَكُونُ الْإِسْتِثْنَاءُ مُنْقَطِعًا ، وَرَجَّحَهُ ابْنُ جَرِيرٍ وَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا خُلْفَ لَوَعْدِهِ ، وَقَدْ وَصَلَ الْإِسْتِثْنَاءُ

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٨ / ١١٥) برقم: (٦٥٦١) (كتاب الرقاق ، باب صفة الجنة والنار) (بنحوه مختصرا) ، ومسلم في "صحيحه" (١ / ١٣٥) برقم: (٢١٣) (كتاب الإيمان ، باب أهون أهل النار عذابا) (بهذا اللفظ)

(٢) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (١ / ١٣٥) برقم: (٢١١) (كتاب الإيمان ، باب أهون أهل النار عذابا) (بهذا اللفظ)

(٣) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (١ / ١٣٥) برقم: (٢١٢) (كتاب الإيمان ، باب أهون أهل النار عذابا) (بهذا اللفظ)

(٤) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٨ / ١١٥) برقم: (٦٥٦٢) (كتاب الرقاق ، باب صفة الجنة والنار) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (٤ / ٥٨١) برقم: (٨٨٣١) (كتاب الأهوال ، ذكر أهون أهل النار عذابا يوم القيامة) (بمثله).

بِقَوْلِهِ ﴿عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٨] "قَالُوا: وَنَظِيرُهُ أَنْ تَقُولَ: أَسْكَنْتُكَ دَارِي حَوْلًا إِلَّا مَا شِئْتُ ، أَيْ سِوَى مَا شِئْتُ ، أَوْ لَكِنْ مَا شِئْتُ مِنَ الزِّيَادَةِ عَلَيْهِ .

● وَقِيلَ: الْإِسْتِثْنَاءُ لِإِعْلَامِهِمْ، بِأَنَّهُمْ مَعَ خُلُودِهِمْ فِي مَشِيئَةِ اللَّهِ ، لَا أَنَّهُمْ يَخْرُجُونَ عَنْ مَشِيئَتِهِ ، وَلَا يُنَافِي ذَلِكَ عَزِيمَتُهُ وَجَزْمُهُ لَهُمْ بِالْخُلُودِ ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: "﴿وَلَيْنَ شِئْنَا لَنُدْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٦] " [الإسراء: ٨٦] وَقَوْلِهِ تَعَالَى: "﴿فَإِنْ يَشَأْ اللَّهُ يُخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ﴾ [الشورى: ٢٤] " [الشورى: ٢٤] وَقَوْلِهِ: "﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ﴾ [يونس: ١٦] " [يونس: ١٦] . وَنَظَائِرُهُ كَثِيرَةٌ، يُخْبِرُ عِبَادَهُ سُبْحَانَهُ أَنَّ الْأُمُورَ كُلَّهَا بِمَشِيئَتِهِ، مَا شَاءَ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ.

● وَقِيلَ: إِنَّ (مَا) بِمَعْنَى (مَنْ) أَيْ: إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ دُخُولُهُ النَّارَ بِذُنُوبِهِ مِنَ السُّعْدَاءِ. وَقِيلَ: غَيْرُ ذَلِكَ. وَعَلَى كُلِّ تَقْدِيرٍ، فَهَذَا الْإِسْتِثْنَاءُ مِنَ الْمُتَشَابِهِ ، وَقَوْلُهُ: ﴿عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [الحجر: ٤٨] "أمر محكم". وَقَدْ أَكَّدَ اللَّهُ خُلُودَ أَهْلِ الْجَنَّةِ بِالتَّأْيِيدِ فِي عِدَّةِ مَوَاضِعَ مِنَ الْقُرْآنِ، وَأَخْبَرَ أَنَّهُمْ: "﴿لَا يَدْخُلُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى﴾ [الدخان: ٥٦] " [الدخان: ٥٦] وَهَذَا الْإِسْتِثْنَاءُ مُنْقَطِعٌ، وَإِذَا ضَمَمْتَهُ إِلَى الْإِسْتِثْنَاءِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١٠٧] "تَبَيَّنَ أَنَّ الْمُرَادَ مِنَ الْآيَتَيْنِ اسْتِثْنَاءُ الْوَقْتِ الَّذِي لَمْ يَكُونُوا فِيهِ فِي الْجَنَّةِ مِنْ مُدَّةِ الْخُلُودِ، كَاسْتِثْنَاءِ الْمَوْتَةِ الْأُولَى مِنْ جُمْلَةِ الْمَوْتِ، فَهَذِهِ مَوْتَةٌ تَقَدَّمَتْ عَلَى حَيَاتِهِمْ الْأَبَدِيَّةِ، وَذَلِكَ مُفَارَقَةٌ لِلْجَنَّةِ تَقَدَّمَتْ عَلَى خُلُودِهِمْ فِيهَا .

○ **مسألة:** هل يدخل الإنس والجن الجنة والنار أو هذا خاص بالأنس؟

الجواب: أما النار فيدخلها الجن والإنس بالنص والإجماع .

■ قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾ (الأعراف ١٧٩): أي خلقنا كثيراً من الجن والإنس نسأل الله ألا يجعلنا منهم .

■ وقال تعالى: ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِي النَّارِ﴾ (الأعراف ٣٨).

■ وقال تعالى في سورة الجن ﴿وَأَنَا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِمَّا أَلْفَسْتُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ١٤ وَأَمَّا أَلْفَسْتُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن: ١٤-١٥]

● وأما دخول المؤمنين الجنة فهو بالنسبة للبشر بالنص والإجماع.

● وبالنسبة للجن محل خلاف ، والصحيح: أنهم يدخلون الجنة والدليل على ذلك:

■ ما جاء في سورة الرحمن حيث يخاطب الله الجن والإنس ويقول جل وعلا: ﴿يَعْرِفُ الْمَجْرُمُونَ بِسِيْمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ ، فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَان ، هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمَجْرُمُونَ ، يَظُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آتٍ ، فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَان﴾ (الرحمن ٤١ - ٤٥) . وهذا قلنا : أنه مجمع عليه دخول النار مجمع عليه ليس فيه إشكال ، ﴿وَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ، فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَان﴾ (الرحمن ٤٦ - ٤٧) ، والخطاب لمن ؟ للجن والإنس إلى أن قال في الجنيتين الأوليين والأخريين : ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ ، فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَان﴾ (الرحمن ٧٤ - ٧٥) . وعليه فالقول الراجح : أن مؤمني الجن يدخلون الجنة كمؤمني الإنس ، ولأن هذا من كمال عدل الله عز وجل من كمال عدله أن من عمل ابتغاء ما وُعد به من الثواب فلا بد أن يحقق له الثواب ، ولأن هذا مقتضى قوله تعالى في الحديث القدسي.

● **وفيهما عن أبي هريرة** رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : " إِنَّ اللَّهَ لَمَّا قَضَى الْخَلْقَ ، كَتَبَ عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ : إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي " ﷺ : " لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ ، فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ : إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي . " ^(١) والذين يقولون : إن كافر الجن يدخل النار ومؤمنهم لا يدخل الجنة يجعلون غضبه سبق رحمته ، كيف نقول : إن هؤلاء إذا عملوا ما يقتضي الرحمة ؟ فإنهم لا يُعطون الرحمة وإذا عملوا ما يقتضي العذاب فإنهم يُعذبون أين سَبَقَ الرحمة للغضب ، فإن قيل : ما تقولون : في قوله تعالى : ﴿

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٩ / ١٢٥) برقم: (٧٤٢٢) (كتاب التوحيد ، باب وكان عرشه على الماء) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (٨ / ٩٥) برقم: (٢٧٥١) (كتاب التوبة ، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه) (بنحوه).

فمن أسلم فأولئك تحروا رشداً ﴿ (الجن ١٤) ، وفي قوله تعالى : ﴿ يا قومنا أجيئوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم ﴾ (الأحقاف ٣١) ، ولم يقولوا ويدخلكم الجنة ؟ فالجواب : أن السكوت عن الشيء لا يلزم منه انتفاء الشيء لأن عدم الذكر ليس ذكراً للعدم فإذا لم يُذكر ثوابهم في هذه الآية فقد ذُكر في آيةٍ أخرى لا معارض لها لأن عدم الذكر ليس ذكراً للعدم ، وعلى هذا فنقول في هذا البحث : إن مؤمني الجن يدخلوا الجنة كمؤمني الإنس ولا فرق . اهـ من كلام الشيخ ابن عثيمين في «شرح العقيدة السفارينية»

○ **المسألة الحادية عشرة:** رؤية الله يوم القيامة ثابتة بالكتاب والسنة وإجماع السلف.

- فأهل السنة والجماعة يؤمنون بأن الله تعالى يرى بالأبصار يوم القيامة كما يرى القمر ليلة البدر، فيراه المؤمنون لا يضامون في رؤية . وقد دل على ذلك الكتاب والسنة وإجماع السلف:
- فمن الكتاب قوله تعالى:

■ «قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ، إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [الْقِيَامَةِ: ٢٣-٢٤]

- **وجه الاستدلال:** فالؤمنون يرون ربهم كما قال سبحانه: ١- ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ* إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٣، ٢٢]، وهي وجوه المؤمنين (ناضرة) يعني من النضرة وهي: البهاء والحسن وأما (ناظرة) فمعناها: المعاينة بالأبصار، تقول: نظرت إلى كذا، أي: أبصرته، ومثله قوله تعالى: ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ تعرف في وجوههم نضرة النعيم﴾ [المطففين: ٢٣-٢٤]

● **فالنظر له استعمالات في كتاب الله عز وجل :**

- **فإذا عُدِّيَ (إلى)** فمعناه المعاينة بالأبصار، ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ* وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ...﴾ [الغاشية: ١٨، ١٧]، أي: ألم ينظروا بأبصارهم إلى هذه المخلوقات العجيبة الدالة على قدرة الله عز وجل. وفي هذه الآية: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٣، ٢٢] معداة بـ(إلى).
- **وإذا عُدِّيَ النظر بنفسه** وبدون واسطة فمعناه التوقف والانتظار: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ﴾ [الحديد: ١٣]، (انظرونا) أي: انتظرونا من أجل أن نستضيء بنوركم. وقوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾ [البقر: ٢١٠] أي: ما ينتظرون إلا مجيء الرب يوم القيامة لفصل القضاء بين عباده.

- **وإذا عُدِّيَ النظر بفي** فمعناه التفكير والاعتبار، كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٨٥]، أي: يتفكروا في مخلوقات الله العلوية والسفلية، ويستدلون بها على قدرة الله الخالق سبحانه وتعالى واستحقاقه للعبادة. الحاصل: أن النظر هنا عُدِّيَ بـ(إلى) ومعناه: الرؤية والمعاينة.

- وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يُونُس: ٢٦] «وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥]

وجه الاستدلال : فقد فسر النبي ﷺ (الحسنى) بأنها الجنة، وفسر (الزيادة) بأنها النظر إلى وجه الله الكريم ويدل على ذلك أحاديث منها:

■ **فقد ثبت ذلك في صحيح مسلم : عَنْ صُهَيْبٍ** رضي الله عنه **عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ « إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ - قَالَ - يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ فَيَقُولُونَ أَلَمْ تَبَيِّضْ وَجُوهَنَا أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ - قَالَ - فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ » (١).**

■ **وفيهما عن أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ ، عَنْ أَبِيهِ** رضي الله عنه **: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : جَنَّتَانِ مِنْ فَضَّةٍ ، أُنِيَتْهُمَا وَمَا فِيهِمَا ، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ ، أُنِيَتْهُمَا وَمَا فِيهِمَا ، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِذَاءُ الْكِبَرِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةٍ عَدْنٍ . " (٢) .** وأولى الناس بهذه الرؤية الأنبياء .

■ **وفي لفظ للبخاري:** " إِنَّ فِي الْجَنَّةِ خِيَمَةً مِنْ لَوْلُؤَةٍ مُجَوَّفَةٍ ، عَرْضُهَا سِتُّونَ مِيلًا ، فِي كُلِّ زَاوِيَةٍ مِنْهَا أَهْلٌ مَا يَرَوْنَ الْآخَرِينَ ، يَطُوفُ عَلَيْهِمُ الْمُؤْمِنُونَ ، وَجَنَّتَانِ مِنْ فَضَّةٍ ، أُنِيَتْهُمَا وَمَا فِيهِمَا ، وَجَنَّتَانِ مِنْ كَدَا ، أُنِيَتْهُمَا وَمَا فِيهِمَا ، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِذَاءُ الْكِبَرِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةٍ عَدْنٍ . " (٣)

■ **وَقَالَ تَعَالَى فِي شَأْنِ الْكُفَّارِ: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]**

وجه الاستدلال: فإذا حُجِبَ أَوْلِيَائُهُ فَأَيُّ فَضِيلَةٍ لَهُمْ عَلَى أَعْدَائِهِ ، وَهَذِهِ الْآيَاتُ صَرِيحَةُ الدَّلَالَةِ عَلَى رُؤْيَةِ الْمُؤْمِنِينَ رَبَّهُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَا تَقْبَلُ تَحْرِيفًا وَلَا تَأْوِيلًا وَلَا يَرُدُّهَا إِلَّا مُكَابِرٌ قَدْ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ .

● أما السنة فقد تواترت الأحاديث بِمَعْنَى مَا تَضَمَّنَتْهُ هَذِهِ الْآيَاتُ رَوَاهَا أَيْمَةُ السُّنَّةِ وَالْحَدِيثِ فِي دَوَاوِينِ الْإِسْلَامِ عَنْ فَضْلَاءِ الصَّحَابَةِ وَأَجْلَائِهِمْ ؛ كَأَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ ، وَأَبِي سَعِيدٍ ، وَجَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، وَصُهَيْبٍ ، وَابْنِ مَسْعُودٍ ، وَعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، وَأَبِي مُوسَى ، وَأَنْسٍ ، وَبُرَيْدَةَ بْنِ الْحَصِيبِ ، وَأَبِي رَزِينٍ ، وَجَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، وَأَبِي أُمَامَةَ ، وَزَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ ، وَعَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ ، وَعَائِشَةَ ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ، وَعَمَّارِ

(١) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (١ / ١١٢) برقم: (١٨١) (كتاب الإيمان ، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى) (بهذا اللفظ)

(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٦ / ١٤٤) برقم: (٤٨٧٨) (كتاب تفسير القرآن ، باب قوله ومن دونهما جنتان) (بهذا اللفظ) ، (٩ / ١٣٢) برقم: (٧٤٤٤) (كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى وجوه يومئذ ناضرة) (بلفظه .) ومسلم في "صحيحه" (١ / ١١٢) برقم: (١٨٠) (كتاب الإيمان ، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى) (بمثله .)

(٣) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ١٤٨) برقم: (٢٨٣٨) (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب في صفة خيام الجنة وما للمؤمنين فيها من الأهلين) (بهذا اللفظ .)

بْنِ رُوَيْبَةَ، وَسَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ، وَخُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ، وَعُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، وَأُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ، وَكَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ، وَأَبِي الدَّرْدَاءِ، وَفَضَالَهَ بْنَ عُبَيْدٍ، وَعَدِيَّ بْنَ أَرْطَاةَ، وَأَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ، وَغَيْرِهِمْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ .

● فمن هذه الأحاديث:

■ **في صحيح مسلم عن ابن عمر** رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: "تَعَلَّمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى يَمُوتَ" (١)

■ **قوله ﷺ فيهما عن جرير بن عبد الله** ﷺ: " قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَنَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةً يَعْنِي الْبَدْرَ فَقَالَ: إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ، كَمَا تَرُونَ هَذَا الْقَمَرَ، لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيِيهِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا. ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ قَالَ إِسْمَاعِيلُ: افْعَلُوا لَا تَفُوتَنَّكُمْ. " (٢).

■ **وفي لفظ للبخاري عنه** أن النبي ﷺ قال: "إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ عَيَانًا" (٣)

● قوله: لا تضامون: لا تزدهمون على رؤية الله عز وجل؛ لأن كل واحد يرى الرب وهو في مكانه من غير زحام كما أن الناس يرون الشمس والقمر من غير زحام؛ لأن العادة إذا كان الشيء في الأرض وخفي يزدحمون على رؤيته ولكن إذا كان الشيء مرتفعاً كالشمس والقمر فإنهم لا يزدحمون على رؤيته، كل يراه وهو في مكانه، إذا كان هذا في المخلوق الشمس والقمر، فكيف في الخالق سبحانه وتعالى؟

■ **وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة** ﷺ قال: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: هَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ فِي الظَّهِيرَةِ لَيْسَتْ فِي سَحَابَةٍ؟ قَالُوا: لَا. قَالَ: فَهَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ فِي سَحَابَةٍ؟ قَالُوا: لَا. قَالَ: فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ إِلَّا كَمَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا. قَالَ: فَيَلْقَى الْعَبْدَ فَيَقُولُ: أَيُّ فُلٍّ، أَلَمْ أُكْرِمَكَ، وَأُسَوِّدَكَ، وَأَزَوَّجَكَ، وَأَسَخَّرَ لَكَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ، وَأَذَرَكَ تَرَاسُ وَتَرْبَعٌ؟ فَيَقُولُ: بَلَى. قَالَ: فَيَقُولُ: أَفَطَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيٌّ؟ فَيَقُولُ: لَا. فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنَسَاكَ كَمَا نَسَيْتَنِي. ثُمَّ يَلْقَى الثَّانِي فَيَقُولُ: أَيُّ فُلٍّ، أَلَمْ أُكْرِمَكَ، وَأُسَوِّدَكَ، وَأَزَوَّجَكَ

(١) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ١٩٢) برقم: (٢٩٣١) (كتاب الفتن وأشراف الساعة، باب ذكر ابن صياد) (بهذا اللفظ).

(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ١١٥) برقم: (٥٥٤) (كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر) (بهذا اللفظ)، ومسلم في "صحيحه" (٢ / ١١٣) برقم: (٦٣٣) (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما) (بمثله).

(٣) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٩ / ١٢٧) برقم: (٧٤٣٥) (كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى وجوه يومئذ ناضرة) (بهذا اللفظ)

، وَأَسْخَرَ لَكَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ ، وَأَذْرَكَ تَرَأْسُ وَتَرْبَعٌ؟ فَيَقُولُ: بَلَى ، أَيُّ رَبِّ . فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيٌّ؟ فَيَقُولُ: لَا . فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنَسَاكَ كَمَا نَسَيْتَنِي . ثُمَّ يَلْقَى الثَّالِثَ فَيَقُولُ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ ، آمَنْتُ بِكَ وَبِكِتَابِكَ وَبِرَسُولِكَ ، وَصَلَّيْتُ وَصُمْتُ وَتَصَدَّقْتُ . وَيُثْنِي بِخَيْرِ مَا اسْتَطَاعَ . فَيَقُولُ: هَاهُنَا إِذَا . قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: الْآنَ نَبْعَثُ شَاهِدَنَا عَلَيْكَ . وَيَتَفَكَّرُ فِي نَفْسِهِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْهَدُ عَلَيَّ؟ فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ ، وَيُقَالُ لِفَخِذِهِ وَلَحْمِهِ وَعِظَامِهِ: انْطِقِي ، فَتَنْطِقُ فَخِذُهُ وَلَحْمُهُ وَعِظَامُهُ بِعَمَلِهِ ، وَذَلِكَ لِيُعْذِرَ مَنْ نَفْسِهِ ، وَذَلِكَ الْمُنَافِقُ ، وَذَلِكَ الَّذِي يَسْخَطُ اللَّهُ عَلَيْهِ .^(١) قال النووي في «شرح النووي على مسلم» (١٨/ ١٠٣): قوله: "يا فل" «وَمَعْنَاهُ يَا فُلَانٌ وَهُوَ تَرْخِيمٌ عَلَى خِلَافِ الْقِيَاسِ وَقِيلَ هِيَ لُغَةٌ بِمَعْنَى فُلَانٍ حَكَاهَا الْقَاضِي»

■ **وفي صحيح مسلم عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ** رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَضَحِكَ فَقَالَ: هَلْ تَذَرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ؟ قَالَ قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ: مِنْ مُحَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ ، يَقُولُ: يَا رَبِّ ، أَلَمْ تُجِرْنِي مِنَ الظُّلُمِ؟ قَالَ: يَقُولُ: بَلَى . قَالَ: فَيَقُولُ: فَإِنِّي لَا أُجِيزُ عَلَى نَفْسِي إِلَّا شَاهِدًا مِنِّي . قَالَ فَيَقُولُ: كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا ، وَبِالْكَرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُودًا . قَالَ: فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ ، فَيُقَالُ لِأَرْكَانِهِ: انْطِقِي . قَالَ: فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ . قَالَ: ثُمَّ يُخَلَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلَامِ . قَالَ: فَيَقُولُ: بُعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا ، فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أَنَا ضِلُّ .^(٢)

■ **وفيهما عن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ** رضي الله عنه قَالَ: قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ إِذَا كَانَتْ صَحْوًا . قُلْنَا: لَا ، قَالَ: فَإِنَّكُمْ لَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ يَوْمَئِذٍ إِلَّا كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَيْهِمَا " ، **ولفظ مسلم** "أَنَّ نَاسًا فِي زَمَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: نَعَمْ ، قَالَ: هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ بِالظَّهِيرَةِ صَحْوًا لَيْسَ مَعَهَا سَحَابٌ؟ وَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةً الْبَدْرِ صَحْوًا لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ؟ قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ: مَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا"^(٣)

وجه الاستدلال: فالأحاديث فيها دلالة على أن الرب جل وعلا سيراه المؤمنون لأنه قال "إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ" والخطاب للمؤمنين ومثل الرؤية برويتهم للقمر فقال "كَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، لَا تُضَامُونَ

(١) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ٢١٦) برقم: (٢٩٦٨) (كتاب الزهد والرقائق ، (بهذا اللفظ)

(٢) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ٢١٦) برقم: (٢٩٦٩) (كتاب الزهد والرقائق ، (بهذا اللفظ)

(٣) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٩ / ١٢٩) برقم: (٧٤٣٩) (كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى وجوه يومئذ ناضرة) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (١ / ١١٤) برقم: (١٨٣) (كتاب الإيمان ، باب معرفة طريق الرؤية) (بنحوه مطولاً).

في رؤيته " القمر اسم لما بعد الثالثة من الليالي ، فيطلق عليه إلى الثالثة هلال ثم ما بعد ذلك يطلق عليه القمر ولذلك قال " كما ترون القمر ليلة البدر " يعني القمر ليلة الخامس عشرة وهي ليلة اكتماله ليلة البدر وهذا يكون واضحاً للناس جميعاً يرونه في وسط السماء فهو في ليلة البدر يطلع مع غروب الشمس ويغيب مع شروقها فهو في منتصف الليل أو في أثناء الليل يكون واضحاً يراه كل أحد ، ﷺ شبه الرؤية بالرؤية فقال " سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ الْقَمَرَ " يعني كرويتكم القمر ليلة البدر من جهة الوضوح ، ومن جهة عدم العناء في الرؤية ، ومن جهة عدم التضام فيها والتنازع ، بل الجميع يرون القمر ليلة البدر ، والكل يراه ، ومع ذلك ليس هو خاص بواحد دون آخر ، وفي هذا دليل على أن الله جل وعلا يرى بالأبصار ، يوم القيامة .

■ وفيهما حديث عدي ﷺ وفيه : «وَلَيَلَقَيْنَ اللَّهَ أَحَدَكُمُ يَوْمَ يَلْقَاهُ وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ حِجَابٌ وَلَا تُرْجَمَانُ يَتْرَجَمُ لَهُ فَيَقُولُ: أَلَمْ أَبْعَثْ إِلَيْكَ رَسُولًا فَيُبَلِّغَكَ؟ فَيَقُولُ: بَلَى يَا رَبِّ فَيَقُولُ: أَلَمْ أُعْطِكَ مَالًا وَأَفْضَلَ عَلَيْكَ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، فَيَنْظُرُ عَنْ يَمِينِهِ فَلَا يَرَى إِلَّا جَهَنَّمَ وَيَنْظُرُ عَنْ يَسَارِهِ فَلَا يَرَى إِلَّا جَهَنَّمَ. قَالَ عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ شِقَّ تَمْرَةٍ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ"» (١)

■ وفيهما عن أنس ﷺ عن النبي ﷺ فذكر الحديث وفيه : "فَيَأْتُونِي فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فَيَأْذَنُ لِي، فَإِذَا أَنَا رَأَيْتُهُ فَأَقْعُ لَهُ سَاجِدًا فَيَدْعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدْعُنِي، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ تَسْمَعُ وَاشْفَعُ تُشَفِّعُ فَأَرْفَعُ رَأْسِي" ، ولفظ البخاري : " فإذا رأيته وقعت ساجداً " (٢)

■ وفي مسلم عن أبي الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله ﷺ يسأل عن الورود ، فقال : نَحْنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْ كَذَا وَكَذَا ، انْظُرْ ، أَيُّ ذَلِكَ فَوْقَ النَّاسِ ، قَالَ : فَتُدْعَى الْأُمَمُ بِأَوْتَانِهَا وَمَا كَانَتْ تَعْبُدُ الْأَوَّلَ فَالْأَوَّلَ ، ثُمَّ يَأْتِينَا رَبُّنَا بَعْدَ ذَلِكَ ، فَيَقُولُ : مَنْ تَنْظُرُونَ ؟ فَيَقُولُونَ : نَنْظُرُ رَبَّنَا ، فَيَقُولُ : أَنَا رَبُّكُمْ ، فَيَقُولُونَ : حَتَّى نَنْظُرَ إِلَيْكَ فَيَتَجَلَّى لَهُمْ يَضْحَكُ ، قَالَ : فَيَنْطَلِقُ بِهِمْ وَيَتَّبِعُونَهُ ، وَيُعْطَى كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ مُنَافِقٍ أَوْ مُؤْمِنٍ نُورًا ، ثُمَّ يَتَّبِعُونَهُ ، وَعَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ كَاللَّيْلِ وَحَسَكُ تَأْخُذُ مَنْ شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ يُطْفَأُ نُورُ الْمُنَافِقِينَ ، ثُمَّ يَنْجُو الْمُؤْمِنُونَ ، فَتَنْجُو أَوَّلُ زُمْرَةٍ ، وَجُوهُهُمْ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ، سَبْعُونَ أَلْفًا لَا يُحَاسِبُونَ ، ثُمَّ

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٤ / ١٩٧) برقم: (٣٥٩٥) (كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الإسلام) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (٣ / ٨٦) برقم: (١٠١٦) (كتاب الزكاة ، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة) (بنحوه).

(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٩ / ١٢١) برقم: (٧٤١٠) (كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى لما خلقت بيدي) (بنحوه) ، ومسلم في "صحيحه" (١ / ١٢٣) برقم: (١٩٣) (كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها) (بهذا اللفظ)

الَّذِينَ يُلُونَهُمْ كَافُضُوا نَجْمَ فِي السَّمَاءِ ، ثُمَّ كَذَلِكَ ، ثُمَّ تَحُلُّ الشَّفَاعَةُ ، وَيَشْفَعُونَ حَتَّى يَخْرُجَ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزُنُّ شَعِيرَةً ، فَيُجْعَلُونَ بِفَنَاءِ الْجَنَّةِ ، وَيَجْعَلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ يَرُشُونَ عَلَيْهِمُ الْمَاءَ حَتَّى يَنْبُتُوا نَبَاتَ السَّيِّءِ فِي السَّيْلِ ، وَيَذْهَبُ حُرَاقُهُ ، ثُمَّ يَسْأَلُ حَتَّى تُجْعَلَ لَهُ الدُّنْيَا وَعَشْرَةُ أَمْثَالِهَا مَعَهَا ."^(١)

■ **وجه الاستدلال:** قُتِبَتْ بِهَذِهِ الْأَحَادِيثِ الْمُتَوَاتِرَةِ الصَّحِيحَةِ الصَّرِيحَةِ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَرَى فِي الْآخِرَةِ كَمَا يَشَاءُ، وَأَنَّ الشُّهَدَاءَ بَعْدَ مَوْتِهِمْ يَرُونَهُ، وَأَنَّ الْمَلَائِكَةَ يَرُونَهُ، وَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَرَاهُ عِنْدَ اسْتِئْذَانِهِ فِي الشَّفَاعَةِ، وَأَنَّ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ بَرَّهُمْ وَفَاجَرَهُمْ يَرُونَهُ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ، وَهِيَ لِلْفَاجِرِ وَالْمُنَافِقِ ابْتِلَاءٌ وَامْتِحَانٌ وَنَوْعٌ مِنَ الْعُقُوبَةِ، وَأَمَّا رُؤْيَا الْفَرَحِ وَالسُّرُورِ وَالتَّلَذُّدِ بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَهِيَ لِلْمُؤْمِنِينَ خَاصَةٌ.

● قال في معارج القبول: "فَمَنْ جَحَدَ الرُّؤْيَا فَهُوَ كَاذِبٌ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، مُكَذِّبٌ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ رَأْدُ لِكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ مُخَالِفٌ لِحِمَاةِ الْمُؤْمِنِينَ، كَافِرٌ بِلِقَاءِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، مُتَّبِعٌ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ، وَسَيُؤَلِّيهِ اللَّهُ مَا تَوَلَّى وَيُصْلِيهِ جَهَنَّمَ إِنْ مَاتَ مُصِرًّا عَلَى جُحُودِهِ، أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ؟ وَقَدْ وَعَدَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّ الْمُكَذِّبِينَ مَحْجُوبُونَ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ، ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ، ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ وَتَقَدَّمَ تَفْسِيرُ ابْنِ الْمُبَارَكِ قَوْلَهُ: {تُكَذِّبُونَ} بِالرُّؤْيَا. وَقَدْ وَرَدَ حَدِيثٌ فِي وَعِيدِ مُنْكَرِي اللَّقَاءِ وَهُوَ مُتَنَاوِلٌ مُنْكَرِ الرُّؤْيَا بِلَا شَكٍّ وَلَا مِرْيَةٍ.

● أما الإجماع فقد أجمع السلف على ذلك:

● قال الشيخ ابن باز رحمه الله في «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» لابن باز (٢٧ / ١١٥): وقد أجمع أهل الحق من أهل السنة والجماعة على هذه الرؤية، كما تقدم، وقد حكى ذلك عنهم أبو الحسن الأشعري في كتابه: مقالات الإسلاميين، وحكى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، وذكر إجماع أهل السنة على ذلك. وذكر أن جمهور أهل السنة يكفرون من أنكر هذه الرؤية. فجمهور أهل السنة والجماعة، يرون أن من أنكر هذه الرؤية فهو كافر، نسأل الله السلامة والعافية.

● وقال في «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» لابن باز (٢٧ / ١١٥): «والمؤمنون يرون ربهم يوم القيامة رؤية حقيقية، يكلمهم سبحانه، ويرى وجهه الكريم. هذه عقيدة أهل السنة والجماعة: أجمع أهل

(٨) برقم: (١٦) (مسند العشرة المبشرين بالجنة وغيرهم، مسند أبي بكر الصديق رضي الله عنه) (بمثله.)، وأبو يعلى في "مسنده" (١ / ٥٦) برقم: (٥٦) (مسند أبي بكر الصديق، (بمثله.) قال الأرناؤوط في «الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان» (١٤ / ٣٩٥): «إسناده جيد»... ووالان العدوي: هو والان بن بهيس أو ابن قرفة، وثقه ابن معين والمصنف، وقول ابن الجوزي في "العلل المتناهية" ٩٢٢/٢: قال أبو حاتم الرازي: والان مجهول، وهم منه رحمه الله، فإن أبا حاتم قال هذا في حق والان أبي عروة المرادي كما نقله عنه ابنه عبد الرحمن في "الجرح والتعديل" ٤٣/٩-٤٤، أما والان العدوي فقد نقل ابن أبي حاتم عن يحيى بن معين القول بتوثيقه، وقول الدارقطني في "العلل" ١٩٠/١-١٩١: ووالان غير مشهور إلا في هذا الحديث، والحديث غير ثابت، متعقب بما في "اللسان" ٢١٦/٦: كذا قال، وقد قال يحيى بن معين: بصري ثقة، وذكره ابن حبان في "الثقات" وأخرج حديثه في "صحيحه"، وكذا أخرجه أبو عوانة وهو من زياداته على مسلم. وصححه الألباني في «التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان» (٩ / ٢١٢): برقم ٦٤٤٢، وقال في تعليقه: "«صحيح» - (الظلال) ((٧٥١ و ٨١٢))

السنة والجماعة، على أن الله سبحانه يراه المؤمنون يوم القيامة، يريهم وجهه الكريم جل وعلا، ويحجب عنه الكفار، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿كَلاَّ إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَّحُوبُونَ﴾ فالمؤمنون يرونه سبحانه، والكفار محجوبون عنه، هذه الرؤية العظيمة آمن بها أهل السنة والجماعة، وأجمعوا عليها. وهكذا في الجنة يراه المؤمنون، وذلك أعلى نعيمهم، كما قال عز وجل: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ فالحسنى الجنة، والزيادة النظر إلى وجه الله عز وجل، مع ما يزيدهم الله به من الخير والنعيم «المقيم، الذي فوق ما يخطر ببالهم.

- وقال شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» (٤٨٦/٦): «وَالَّذِي عَلَيْهِ جُمُهورُ "السَّلَفِ" أَنَّ مَنْ جَحَدَ رُؤْيَا اللَّهِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ فَهُوَ كَافِرٌ؛ فَإِنْ كَانَ مِمَّنْ لَمْ يَبْلُغْهُ الْعِلْمُ فِي ذَلِكَ عُرِفَ ذَلِكَ كَمَا يُعَرَفُ مَنْ لَمْ تَبْلُغْهُ شَرَائِعُ الْإِسْلَامِ فَإِنْ أَصَرَ عَلَى الْجُحُودِ بَعْدَ بُلُوغِ الْعِلْمِ لَهُ فَهُوَ كَافِرٌ»

○ **مسألة:** المخالفون في الرؤية . وحججهم والجواب عنها : خالف في هذه المسألة الجهمية والمعتزلة والأشاعرة.

أما المخالفون لأهل السنة هم ثلاث طوائف :

● **الطائفة الأولى :** طائفة (غلوا في إثبات الرؤية) فتزعم أن الرؤية ممكنة في الدنيا وفي الآخرة . وهؤلاء هم الصوفية ومن نحا نحوهم يقولون الله جل وعلا يرى في الدنيا ويُرى في الآخرة ، وتقول رابعة العدوية وهي منسوبة لهم تقول لله جل جلاله (أحبك حبين حب الهوى وحب لأنك أهل لذاكا ، فأما الذي هو حب الهوى فشغلي بذكرك عمن سواكا ، وأما الذي أنت أهل له فكشفك لي الحجب حتى أراكا) وكل واحد منهم يزعم أنه رأى الله جل جلاله في اليقظة ، وهذا باطل وذلك لأن الرؤية حُجِبَتْ عن موسى عليه السلام فقال الله جل وعلا لموسى ﴿لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني﴾ . نقول: لا يرى الله جل وعلا في الدنيا في اليقظة .

● **الطائفة الثانية (غالوا في النفي)** فالجهمية والمعتزلة وكل من ينهج نهجهم كالروافض ، والخوارج ، نفوا الرؤية بحجة أنه يلزم من إثبات الرؤية أن يكون الله في جهة ، والله عندهم ليس في جهة ، وهو عندهم لا داخل العالم ولا خارجه ، ولا فوق ولا تحت ، ولا يمينه ولا يسره ، ليس في جهة ، وهذا معناه أنه كالمعدوم تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا . فنفوا الرؤية من أجل هذا الرأي الباطل .

● **الطائفة الثالثة الأشاعرة** وكما هو المعتاد منهم في التلفيق بين الأقوال فهم كما وصفهم شيخ الإسلام رحمه الله بالخنثى المشكل . فلما لم يمكنهم إنكار الأدلة من الكتاب والسنة أثبتوا الرؤية وقالوا: يرى ولكن ليس في جهة ، وهذا من التناقض العجيب! ليس هناك شيء يرى وهو ليس في جهة ، ولذلك رد عليهم المعتزلة: لأن هذا من المستحيل .

● **واستدل النافون بأدلة منها :**

■ **قوله تعالى :** ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار﴾ (الأنعام ١٠٣)

فأحيب عنه :: أنتم لا تعرفون معنى (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار) . ، فمعناها: لا تحيط به ، وليس معناه: لا تراه ، ولم يقل سبحانه: لا تراه الأبصار .

::.فإن نفي الإدراك يدل على ثبوت أصل الرؤية ، لأن نفي الإدراك مع عدم ثبوت الرؤية لغو من القول وفساد ، لماذا تقول : { لا تدركه الأبصار } ، وهو لا يرى أصلاً ؟ هذا لا يمكن ، فكونه يقول : { لا تدركه الأبصار } ، يعني أنها تراه ولكن لا تدركه ، ولهذا استدل بهذه الآية أهل السنة على أن الله يرى :

وجه الدلالة لأهل السنة : أن نفي الإدراك دليل على أصل ثبوت الرؤية ، لأن نفي الإدراك عما لم يثبت أصله لغو من القول لا حاجة له ، وحينئذ فيكون في الآية دليل على ثبوت الرؤية .

- قال ابن القيم رحمه الله: الدليل السادس قوله عز وجل: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ [الأنعام: ١٠٣] والاستدلال بهذا أعجب، فإنه من أدلة النفاة.

وقد قرر شيخنا وجه الاستدلال به أحسن تقرير وألطفه، وقال لي: أنا ألتزم أنه لا يحتج مبطل بآية أو حديث صحيح على باطله ، إلا وفي ذلك الدليل ما يدل على نقيض قوله ، فمنها هذه الآية، وهي على جواز الرؤية، أدل منها على امتناعها، فإن الله سبحانه إنما ذكرها في سياق التمدح، ومعلوم أن المدح إنما يكون بالأوصاف الثبوتية، وأما العدم المحض فليس بكمال ولا يمدح به. وإنما يمدح الرب - تبارك وتعالى - بالعدم إذا تضمن أمراً وجودياً كتمدحه، بنفي السَّنة والنَّوم المتضمن كمال القيومية، ونفي الموت المتضمن كمال الحياة، ونفي اللُّغوب والإعياء المتضمن كمال القدرة، ونفي الشريك والصاحبة والولد والظهير المتضمن كمال ربوبيته وإلهيته وقهره، ونفي الأكل والشرب المتضمن كمال الصمدية وغناه، ونفي الشفاعة عنده بدون إذنه المتضمن كمال توحيده وغناه عن خلقه، ونفي الظلم المتضمن كمال عدله وعلمه وغناه، ونفي النسيان وعزوب شيء عن علمه المتضمن كمال علمه وإحاطته، ونفي المثل المتضمن لكمال ذاته وصفاته، ولهذا لم يتمدح بعدم محض لا يتضمن أمراً ثبوتياً؛ لأن المعدوم يشارك الموصوف في ذلك العدم، ولا يوصف الكامل بأمر يشترك هو والمعدوم فيه، فلو كان المراد بقوله: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ أنه لا يرى بحال، ولم يكن في ذلك مدح ولا كمال لمشاركة المعدوم له في ذلك، فإن العدم الصرف لا يرى ولا تدركه الأبصار، والرب - جل جلاله - يتعالى أن يمدح بما يشاركه فيه العدم المحض، فإذا المعنى: أنه يرى ولا يدرك ولا يحاط به، كما كان المعنى في قوله: ﴿وَمَا يَعْرِزُّ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾ [يونس: ٦١] أنه يعلم كل شيء وفي قوله: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨] أنه كامل القدرة، وفي قوله: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩] أنه كامل العدل، وفي قوله: ﴿لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥] أنه كامل القيومية.

- واستدلوا أيضاً فقالوا: موسى عليه السلام قال : ﴿رب أرني أنظر إليك قال لن تراني﴾^(١) [الأعراف: ١٤٣] هذا دليل على نفي الرؤية. نقول لهم: ١- هذا في الدنيا، لأن موسى سأل ذلك في الدنيا، ولا أحد يرى الله في الدنيا لا الأنبياء ولا غيرهم، وأما في الآخرة فيرى المؤمنون ربهم، وحال الدنيا ليست

كحال الآخرة، فالناس في الدنيا ضعاف في أجسامهم وفي مداركهم، لا تستطيع أن ترى الله عز وجل، وأما في الآخرة فإن الله يعطيهم قوة يستطيعون بها أن يروا ربهم -جل وعلا- إكراماً لهم. ولهذا لما سأل موسى ربه في هذه الآية: ﴿قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً﴾ [الأعراف: ١٤٣] الجبل اندك وصار تراباً، والجبل أصم صلب، فكيف بالمخلوق المكون من لحم ودم وعظام؟ فهو لا يستطيع رؤية الله في الدنيا. ٢- وأيضا فإن سؤال موسى رؤية الله دليل على جواز الرؤية وإمكانها؛ لأن موسى لا يسأل ربه شيئاً لا يجوز، إنما سأل شيئاً يجوز، ولكن لا يكون هذا في الدنيا، فالله سبحانه قال: (لن تراني) ولم يقل: إني لا أرى.

■ ومن أدلة المعتزلة على نفي الرؤية قالوا: الرؤية لا يمكن أن تكون إلا إلى جهة، والجهة ممتنعة في حق الله جل وعلا؛ لأنه إذا كان جل وعلا في جهة معنى ذلك أنه محيز، وإذا كان متحيزاً معناه أنه شبيه بالأجسام وهذا باطل، وقالوا ننفي الرؤية لأجل هذا.

● الطائفة الثالثة الأشاعرة والماتريدية.. (وهو في حقيقته متفرع عن الثانية) قالوا نثبت الرؤية كما دلت عليها الأدلة من الكتاب والسنة، فنثبت أن الله جل وعلا يرى، ولكن الرؤية إما أن تكون إلى جهة، أو إلى غير جهة، فإذا كانت إلى جهة اقتضى ذلك التحيز، فنمنع ذلك فنقول: الرؤية تكون إلى غير جهة. وهل يرى بالعين؟ قالوا لا، ولكن بإدراك يجعل في العين، إذن عندهم إثبات الرؤية إلى غير جهة وهذا غير معقول، ثم سلب البصر تلك الرؤية وجعل الرؤية إدراك يكون في العين، يعني أن العين لا تنظر، ولكن الله جل وعلا يخلق إدراكاً في العين لذلك.

● وأهل السنة يقولون: يرى سبحانه وتعالى، وهو في جهة العلو من فوقهم، فالجهة إن أريد بها الجهة المخلوقة فالله ليس في جهة؛ لأنه ليس بحال في خلقه سبحانه وتعالى. وإن أريد بها العلو فوق المخلوقات فهذا ثابت لله عز وجل، فالله في العلو فوق السماوات، فالجهة لم يرد إثباتها أو نفيها في كتاب الله، ولكن يقال فيها على التفصيل السابق.

والقول بأنه يرى إلى غير جهة باطل؛ لأن الله جل وعلا جعل الرؤية للوجوه في قوله جل وعلا ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ والنبي ﷺ قال "كَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ" وقوله "كما" تشبيه للرؤية بالرؤية وليس تشبيها للمرئي بالمرئي، وتشبيه الرؤية بالرؤية يعني أن رؤيتكم للبدر يوم التمام فيها: أولاً - أن الرؤية بالبصر. * - والثاني أن الرؤية لمن هو عال عليك "إنكم سترون ربكم كما ترون البدر ليلة التمام". * - والثالث أنه لا يزدحم الناس في رؤيته بل يراه المؤمنون جميعاً كما جاء في الحديث "لا تضامون في رؤيته" وكون ثم رؤية إلى غير جهة نقول هذا غير معقول، لهذا المعتزلة أحذق، فقالوا ليس

ثم رؤية إلا إلى جهة ، فإذا أثبتتم الرؤية فأثبتوا الجهة وهذا الكلام صحيح ، فإذا أثبتت الرؤية فتثبت الجهة ، ولكن الجهة مجملة أي جهة ؟ نقول هي جهة العلو ؛ لأن العلو ثابت لله جل وعلا والحاصل: أن رؤية الله ثابتة بالنص على ثلاثة أوجه : ١ - ثبوت الرؤية ، ٢ - نفي الإدراك ، ٣ - الحجب عن الأعداء . أما السنة : فقد تواترت بهذا كما تقدم في الأدلة السابقة .

○ **مسألة :** أفضل ما وقفت عليه في مناقشة هؤلاء المبتدعة النافين للرؤية ، مما لم يرد سابقا ، وذكر بعض أدلتهم التي لم تذكر فيما تقدم :

- **المناقشة الأولى للإمام الدارمي** رحمه الله تعالى في كتابه الموسوم بـ «الرد على الجهمية للدارمي - ت الشوامي» (ص ١١٤): فما بعدها وفيه : ذكر أدلة المانعين للرؤية ومنها :
- «حديث أبي ذرٍّ - رضي الله عنه في لفظ **لمسلم** - عن النبي - ﷺ قال : "سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ ؟ قَالَ : نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ . "(١) ، **وحديث عائشة رضي الله عنها كما في الصحيحين** وفيه : "عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ : كُنْتُ مُتَكِنًا عِنْدَ عَائِشَةَ ، فَقَالَتْ : يَا أَبَا عَائِشَةَ ، ثَلَاثٌ مَنْ تَكَلَّمَ بِوَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفِرْيَةَ ، قُلْتُ : مَا هُنَّ ؟ قَالَتْ : مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَى رَبَّهُ ، فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفِرْيَةَ ، قَالَ : وَكُنْتُ مُتَكِنًا فَجَلَسْتُ ، فَقُلْتُ : يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ ، أَنْظِرِيْنِي وَلَا تَعْجَلِيْنِي ، أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿وَلَقَدْ رَأَاهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾ ، ﴿وَلَقَدْ رَأَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ ، فَقَالَتْ : أَنَا أَوَّلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ سَأَلَ عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ : إِنَّمَا هُوَ جَبْرِيلُ ، لَمْ أَرَهُ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ ، رَأَيْتُهُ مُهْبِطًا مِنَ السَّمَاءِ سَادًّا عِظَمَ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ، فَقَالَتْ : أَوَلَمْ تَسْمَعْ أَنَّ اللَّهَ يَقُولُ : ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ أَوَلَمْ تَسْمَعْ أَنَّ اللَّهَ يَقُولُ : ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيُّ حَكِيمٌ﴾ ؟ " ، **ولفظ البخاري** : "قُلْتُ لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : يَا أُمَّتَاهُ ، هَلْ رَأَى مُحَمَّدٌ ﷺ رَبَّهُ ؟ فَقَالَتْ : لَقَدْ قَفَّ شَعْرِي مِمَّا قُلْتُ ، أَيْنَ أَنْتَ مِنْ ثَلَاثٍ ، مَنْ حَدَّثَكُنَّ فَقَدْ كَذَبَ : مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ كَذَبَ ، ثُمَّ قَرَأْتُ : ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ ، ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ " (٢)

- **قال الدارمي (جوابا عن تلك الأدلة) :** فقلت: هذا في الدنيا ، وكلاهما قد قاله رسول الله ﷺ ، وتفسيرهما بيِّنٌ في الحديثين جميعاً ، فقالت عائشة - رضي الله عنها - : من زعم أن محمداً رأى ربه - عز وجل - فقد أعظم على الله الفرية ، وتلت ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

(١) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (١ / ١١١) برقم: (١٧٨) (كتاب الإيمان ، باب في قوله عليه السلام نور أنى أراه وفي قوله رأيت نورا) (بهذا اللفظ)

(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٦ / ١٤٠) برقم: (٤٨٥٥) (كتاب تفسير القرآن ، باب حدثنا يحيى) (بنحوه مختصراً) ، ومسلم في "صحيحه" (١ / ١١٠) برقم: (١٧٧) (كتاب الإيمان ، باب معنى قول الله عز وجل ولقد رآه نزلة أخرى) (بهذا اللفظ) ،

• قال أبو سعيد (الدارمي): وأنتم وجميع الأمة تقول به، إنه لم يروا يرى في الدنيا، **فأما في الآخرة**، فما أكبر نعيم أهل الجنة إلا النظر إلى وجهه، والخبيثة لمن حُرِمَه، وما تعجبون من أن كان الله ولا شيء من خلقه، ثم خلق الخلق، ثم استوى على عرشه فوق سماواته، واحتجب من خلقه بحُجُب النار والظلمة كما جاءت به الآثار، ثم أرسل إليهم رُسُلَه يُعَرِّفُهُمْ نَفْسَه بصفاته المقدَّس، لِيَبْلُوا بِذلك إيمانهم، أَيْهُمْ يؤمن به، ويعرفه بالغيب ولم يره، وإنما يجزى العباد على إيمانهم بالله بالغيب؛ لأن الله - عز وجل - لو تَبَدَّى لخلقه، وتجلى لهم في الدنيا، لم يكن لإيمان الغيب هناك معنى، كما أنه لم يكفر به عندها كافر، ولا عصاه عاصٍ، ولكنه احتجب عنهم في الدنيا، ودعاهم إلى الإيمان به بالغيب، وإلى معرفته، والإقرار بربوبيته؛ ليؤمن به من قد سبقت له منه السعادة، ويحق القول على الكافرين، ولو قد تجلى لهم لآمن به من في الأرض كلهم جميعاً بغير رسل، ولا كُتُبٍ، ولا دُعاة، ولم يعصوه طرفة عين، فإذا كان يوم القيامة، تجلى لمن آمن به، وصدق رسله وكتبه، وآمن برؤيته، وأقرَّ بصفاته التي وصف بها نفسه حتى يروه عياناً، مَثُوبَةً منهم لهم، وإكراماً، ليزدادوا -بالنظر إلى من عبدوه بالغيب- نعيمًا وبرؤيته فرحًا واغترابًا، ولم يُحَرِّمُوا رؤيته في الدنيا والآخرة جميعاً، وحجب عنه الكفار يومئذٍ، إذ حُرِّمُوا رؤيته كما حُرِّمُوا في الدنيا؛ ليزدادوا حسرةً وتُبوُّراً.

■ **فَاحْتَجَّ مُحْتَجٌّ مِنْهُمْ بِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى لِمُوسَى ﴿ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ﴾ [الأعراف: ١٤٣].**

■ قلنا: هذا لنا عليكم لا لكم، إنما قال لن تراني في الدنيا؛ لأن بَصَرَ موسى من الأبصار التي كتب الله عليها الفناء في الدنيا، فلا تحمل النظر إلى نور البقاء، فإذا كان يوم القيامة رُكِبَتِ الأبصارُ والأسماعُ للبقاء، فاحتملت النظر إلى الله - عز وجل - بما طَوَّقَهَا اللهُ، ألا ترى أنه يقول ﴿فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾، ولو قد شاء لاستقر الجبلُ ورآه موسى، ولكن سَبَقَتْ مِنْهُ الْكَلِمَةُ، أن لا يراه أحدٌ في الدنيا؛ فلذلك قال: {لَنْ تَرَانِي}، فأما في الآخرة، فإن الله تعالى يُنْشِئُ خَلْقَهُ فَيُرَكِّبُ أَسْمَاعَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ للبقاء، فيراه أولياؤه جَهْرًا كما قال رسول الله - ﷺ.

■ وقال بعضهم: إنا لا نقبل هذه الآثار ولا نحتج بها، قلت: أجل ولا كتاب الله تقبلون، رأيتم إن لم تقبلوها، أَتَشْكُونُ أَنَّهَا مَرْوِيَّةٌ عَنِ السَّلَفِ مَأْثُورَةٌ عَنْهُمْ، مستفيضةٌ فيهم، يَتَوَارَثُونَهَا عَنْ أَعْلَامِ النَّاسِ وَفُقَهَائِهِمْ قَرْنًا بَعْدَ قَرْنٍ؟ قالوا: نعم. قلنا: فحسبنا إقراركم بها عليكم حجة، لدعوانا أنها مشهورة مروية تداولتها العلماء والفقهاء، فهاتوا عنهم مثلها حجة لدعواكم التي كَذَّبْتُمُ الْآثَارَ كُلَّهَا، فلا تقدرُونَ أَنْ تَأْتُوا فِيهَا بِخَبَرٍ وَلَا أَثَرٍ، وقد علمتم إن شاء الله أنه لا يَسْتَدْرِكُ سُنَنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ وَأَحْكَامِهِمْ

وقضايائهم، إلا هذه الآثار والأسانيد على ما فيها من الاختلاف، وهي السبب إلى ذلك، والنهج الذي دَرَج عليه المسلمون، وكانت إمامهم في دينهم بعد كتاب الله - عز وجل -، منها يقتسمون العلم وبها يقضون، وبها يُقيّمون، وعليها يعتمدون، وبها يتزينون، يرثها الأول منهم الآخر، ويبلغها الشاهد منهم الغائب، احتجاجاً بها، واحتساباً في أدائها إلى من لم يسمعها، يسمونها السُّنَن والآثار والفقه والعلم، ويضربون في طلبها شرق الأرض وغربها، يُحِلُّون بها حلال الله ويحرمون بها حرامه، ويميزون بها بين الحق والباطل، والسُّنَن والبدع، ويستدلون بها على تفسير القرآن، ومعانيه، وأحكامه، ويَعْرِفُونَ بها ضلالة مَنْ ضَلَّ عن الهدى، فمن رغب عنها؛ فإنما يَرُغِبُ عن آثار السَّلَفِ، وهُدًىهم ويريد مخالفتهم؛ لِيَتَّخِذَ دينه هواه، وليتأول كتاب الله برأيه خلاف ما عنى الله به.

فإن كنتم من المؤمنين، وعلى منهاج أسلافهم؛ فاقْتَبِسُوا العلم من آثارهم، و اقتبسوا الهدى في سبيله، وارضوا بهذه الآثار إماماً كما رضي بها القوم لأنفسهم إماماً، فَلَعَمْرِي ما أنتم أَعْلَمُ بكتاب الله منهم، ولا مثلهم، ولا يمكن الاقتداء بهم إلا باتباع هذه الآثار على ما ترون، فمن لم يقبلها؛ فإنه يريد أن يتبع غير سبيل المؤمنين، وقال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥]

فقال قائل منهم: لا، بل نقول بالمعقول. قلنا: ها هنا ضللتكم عن سواء السبيل، ووقعتم في تيه لا مخرج لكم منه؛ لأن المعقول ليس لشيء واحد موصوفٌ بحدود عند جميع الناس، فَيُقْتَصَرُ عليه، ولو كان كذلك؛ كان راحة للناس، ولقلنا به، ولم نعد، ولم يكن الله تبارك وتعالى قال: ﴿تَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلٌّ حِزْبٌ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٣] فوجدنا المعقول عند كل حزب ما هم عليه، والمجهول عندهم ما خالفهم، فوجدنا فِرْقَكُمْ معشر الجهمية في المعقول مختلفين، كُلُّ فرقةٍ منكم تدَّعي أن المعقول عندها ما تدعو إليه، والمجهول ما خالفها، فحين رأينا المعقول اختلف منا ومنكم ومن جميع أهل الأهواء ولم نقف له على حدٍّ بَيِّنٍ في كل شيء؛ رأينا أرشد الوجوه وأهداها أن نَرُدَّ المعقولات كُلَّهَا إلى أمر رسول الله ﷺ وإلى المعقول عند أصحابه المستفيض بين أظهرهم؛ لأن الوحي كان يَنْزِلُ بين أظهرهم، فكانوا أعلم بتأويله مِنَّا ومنكم، وكانوا مؤتلفين في أصول الدين لم يفتروا فيه، ولم يظهر فيهم البدع، والأهواء الحائدة عن الطريق، فالمعقول عندنا ما وافق هُدًىهم، والمجهول ما خالفهم، ولا سبيل إلى معرفة هديهم وطريقتهم، إلا هذه الآثار، وقد انسلختم منها وانتفيتم منها بزعمكم، فَأَتَى تهتدون؟

■ «واحتج محتج منهم بقول مجاهد: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاضِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣] قال: تنتظر ثواب ربها.

■ قلنا: نعم تنتظر ثواب ربها، ولا ثواب أعظم من النظر إلى وجهه تبارك وتعالى «فإن أبيئتم إلا تعلّقاً بحديث مجاهد هذا، واحتجاجاً به دون ما سواه من الآثار؛ فهذا آية شدوذكُم عن الحق، واتباعكم الباطل؛ لأن دعواكم هذه لو صحّت عن مجاهد على المعنى الذي تذهبون إليه؛ كان مدحوض القول إليه، مع هذه الآثار التي قد صحّت فيه عن رسول الله ﷺ، وأصحابه، وجماعة التابعين.

أولستُم قد زعمتم أنكم لا تقبلون هذه الآثار، ولا تحتجون بها، فكيف تحتجون بالآثر عن مجاهد إذ وجدتم سبيلاً إلى التعلّق به لباطلكم على غير بيان؟ وتركتم آثار رسول الله ﷺ، وأصحابه، والتابعين؛ إذ خالفت مذهبكم، فأما إذ أقررتم بقبول الأثر عن مجاهد، فقد حكمتُم على أنفسكم بقبول آثار رسول ﷺ، وأصحابه، والتابعين بعدهم؛ لأنكم لم تسمعوا هذا عن مجاهد، بل تأثروا عنه بإسناد، وتأثروا بأسانيد مثلها، أو أجود منها عن رسول الله ﷺ، وعن أصحابه، والتابعين، ما هو خلافه عندكم، فكيف ألزمتُم أنفسكم اتباع المشتبه من آثار مجاهد وحده، وتركتم الصحيح المنصوص من آثار رسول الله ﷺ وأصحابه، ونظرًا مجاهد من التابعين؟ إلا من ريبة وشدوذ عن الحق.

إن الذي يُريد الشذوذ عن الحق يتبع الشاذ من قول العلماء، ويتعلق بزلاتهم، والذي يؤمّ الحق في نفسه، يتبع المشهور من قول جماعتهم، وينقلب مع جمهورهم، فهما آيتان بيّنات يُستدلّ بهما على اتباع الرّجل، وعلى ابتداعه. "اه من كلام الدارمي رحمه الله.

● **المناقشة الثانية: للإمام أحمد** نقلا عن «الجامع لعلوم الإمام أحمد - العقيدة» (٣/ ٣٦٨): فما بعدها وفيه:

■ قال الإمام أحمد رحمه الله: فقلنا لهم: لم أنكرتم أن أهل الجنة ينظرون إلى ربهم؟ فقالوا: لا ينبغي لأحد أن ينظر إلى ربه؛ لأن المنظور إليه معلوم موصوف، لا يرى، إلا شيء يفعل. فقلنا: أليس الله يقول: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣]. فقالوا: إن معنى ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ أنها تنتظر الثواب من ربها، وإنما ينظرون إلى فعله وقدرته؛ وتلوا آية من القرآن: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾ ، فقالوا: إنه حين قال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ [الفرقان: ٤٥] إنهم لم يروا ربهم، ولكن المعنى: أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ فِعْلِ رَبِّكَ. فقلنا: إن فعل الله لم يزل العباد يرونه، وإنما قال: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣] فقالوا: إنما تنظر الثواب من ربها. فقلنا: إنها مع ما تنتظر الثواب هي ترى ربها.

■ فقالوا: إن الله لا يرى في الدنيا ولا في الآخرة. وتلوا آية من المتشابهة من قول الله جل ثناؤه: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]. وقد كان النبي ﷺ يعرف معنى قول الله: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ وقال: "إنكم سترون ربكم"

■ «وقال لموسى: {لَنْ تَرَانِي}. ولم يقل: لن أرى، فأيهما أولى أن نتبع النبي ﷺ حين قال: "إنكم سترون ربكم". أو قول الجهمي حين قال: لا ترون ربكم؟ والأحاديث في أيدي أهل العلم عن النبي ﷺ أن أهل الجنة يرون ربهم لا يختلف فيها أهل العلم.

■ ومن حديث سفيان، عن أبي إسحاق، عن عامر بن سعد في قول الله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]. قال: النظر إلى وجه الله" (١)، ومن حديث ثابت البناني، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: "عَنْ ثَابِتِ الْبُنَانِيِّ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى، عَنْ صُهَيْبٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وَجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيُكْشَفُ الْحِجَابُ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ". (٢) وإنا لنرجو أن يكون الجهم وشيعته ممن لا ينظرون إلى ربهم، ويحجبون عن الله، لأن الله قال للكفار: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥] فإذا كان الكافر يحجب عن الله

(١) - سبق تخريجه

(٢) - سبق تخريجه

، والمؤمن يحجب عن الله، فما فضل المؤمن على الكافر؟ والحمد لله الذي لم يجعلنا مثل جهم وشيعته، وجعلنا ممن اتبع، ولم يجعلنا ممن ابتدع، والحمد لله وحده.

- **المناقشة الثالثة** «أن يقال: قوله ﷺ قد اشتهر اشتهار الشمس في كتب قومك وسلفك حديث: "إنكم سترون ربكم" إلخ، فيقال: هذا حق وصدق تواترت به الأحاديث عن رسول الله ﷺ، ودلّ على ذلك آيات كثيرة من القرآن كقوله: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾، ووجه الدلالة من هذه الآية الكريمة: أنه - سبحانه - نفى إدراك الأبصار له، وأثبت له إدراكها، ونفى الإدراك لا يستلزم نفى الرؤية، فمفهوم الآية أن الله يرى ولا يدرك. وبما ذكرنا فسر الآية حبر الأمة وترجمان القرآن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - كما روى ذلك أئمة التفسير عنه، كابن جرير وابن أبي حاتم عن عكرمة عن ابن عباس قال: رأى محمد ربه، فقلت: أليس الله يقول ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ ٣ الآية، فقال لي: لا أم لك، ذلك نور إذا تجلى بنوره لا يدركه شيء، قال عكرمة لمن قال له لا تدركه الأبصار: **ألست ترى السماء؟ قال بلى، قال؟ فكلها ترى؟** «يعني أنها لو كانت ترى كلها لكانت رؤيتها إدراكا، فإن الإدراك هو الإحاطة، فنفي الإدراك لا يستلزم نفى الرؤية التي دون الإحاطة بالمرئي.
- **المناقشة الرابعة**: للشيخ ابن باز في «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» لابن باز (٢٨ / ٤١٠): فما

بعدها

- س «هل رؤية الله سبحانه وتعالى ثابتة وما الدليل؟ وما القول الراجح في ذلك؟ وهل المنافقون يرونه في المحشر؟
- ج: رؤية الله في الآخرة ثابتة عند أهل السنة والجماعة من أنكرها كفر، يراه المؤمنون يوم القيامة ويرونه في الجنة كما يشاء بإجماع أهل السنة كما قال عز وجل: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ وقال سبحانه: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ (٤)» فسر النبي ﷺ الزيادة بأنها النظر إلى وجه الله، وتواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ بأن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة وفي الجنة، أما في الدنيا فلا يرى في الدنيا كما قال سبحانه وتعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾. وقال موسى: ﴿لَنْ تَرَانِي﴾ وثبت عنه ﷺ أنه قال: «تَعَلَّمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرَىٰ أَحَدٌ مِنْكُمْ رَبَّهُ عَزَّوَجَلَّ حَتَّىٰ يَمُوتَ .»^(١) فالدنيا ليست محل الرؤية؛ لأن الرؤية نعيم، رؤية الله أعلى نعيم أهل الجنة وهذه الدار ليست دار النعيم، دار الأكدار ودار الأحزان ودار التكليف فلا يرى في الدنيا لكنه يرى في الآخرة يراه المؤمنون، أما الكفار فهم عنه

(١) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ١٩٢) برقم: (٢٩٣١) (كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر ابن صياد) (بهذا اللفظ)

محجوبون كما قال سبحانه: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ فالكفار محجوبون عن الله يوم القيامة والمؤمنون يرونه في الآخرة، والصحيح أن الرسول ﷺ لم يره، أما المنافقون فمحل نظر جاء في بعض الروايات ما يدل على أنه يأتي هذا اليوم الأمة وفيها منافقوها لكن ليس فيه الصراحة بأنهم يرونه يوم القيامة.

■ وقال في «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» لابن باز (٢٧ / ١١٥): «والمؤمنون يرون ربهم يوم القيامة رؤية حقيقية، يكلمهم سبحانه، ويرى وجهه الكريم. هذه عقيدة أهل السنة والجماعة: أجمع أهل السنة والجماعة، على أن الله سبحانه يراه المؤمنون يوم القيامة، يرى وجهه الكريم جل وعلا، ويحجب عنه الكفار، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾. فالمؤمنون يرونه سبحانه، والكفار محجوبون عنه، هذه الرؤية العظيمة آمن بها أهل السنة والجماعة، وأجمعوا عليها. وهكذا في الجنة يراه المؤمنون، وذلك أعلى نعيمهم، كما قال عز وجل: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ فالحسنى الجنة، والزيادة النظر إلى وجه الله عز وجل، مع ما يزيدهم الله به من الخير والنعيم» المقيم، الذي فوق ما يخطر ببالهم.

وقال عز وجل: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ وقال سبحانه وتعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ فالمؤمنون يرون الله سبحانه في القيامة، وفي الجنة رؤية عظيمة حقيقية. لكن من دون إحاطة لأنه سبحانه أجل وأعظم من أن تحيط به الأبصار من خلقه، كما قال تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (٦) والمعنى أنها لا تحيط به، لأن الإدراك أخص والرؤية أعم، كما قال تعالى في قصة موسى وفرعون: ﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾ فأوضح سبحانه، أن الترائي غير الإدراك وقال جمع من السلف. في تفسير الآية المذكورة، منهم عائشة رضي الله عنها: إن المراد أنهم لا يرونه في الدنيا.

وعلى كلا القولين، فليس فيها حجة لمن أنكر الرؤية من أهل البدع لأن الآيات القرآنية الأخرى، التي سبق بيانها مع الأحاديث الصحيحة المتواترة كلها قد دلت على إثبات رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة، وفي الجنة.

وأجمع على ذلك الصحابة رضي الله عنهم، وأتباعهم من أهل السنة وشذت الجهمية والمعتزلة والأباضية فأنكروها، وقولهم من أبطل الباطل، ومن أضل الضلال، نسأل الله العافية والسلامة مما ابتلاهم به، ونسأل الله لنا وللموجودين منهم الهداية والرجوع إلى الحق. وصح عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض

وجوهنا، ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل « فيرونه سبحانه وتعالى، رؤية حقيقية وذلك أعلى نعيمهم ، وأحب شيء إليهم ، جعلنا الله وإياكم منهم.

وقد أجمع أهل الحق من أهل السنة والجماعة على هذه الرؤية، كما تقدم، وقد حكى ذلك عنهم أبو الحسن الأشعري في كتابه: مقالات الإسلاميين، وحكى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، وذكر إجماع أهل السنة على ذلك. وذكر أن جمهور أهل السنة يكفرون من أنكر هذه الرؤية. فجمهور أهل السنة والجماعة، يرون أن من أنكر هذه الرؤية فهو كافر، نسأل الله السلامة والعافية.

- أما في الدنيا فإنه سبحانه لا يرى فيها ، فالرؤية نعيم عظيم ، والدنيا ليست دار نعيم ، ولكنها دار ابتلاء وامتحان ، ودار عمل. فلهذا ادخر الله سبحانه رؤيته، ادخرها لعباده في الدار الآخرة. حتى النبي ﷺ لم ير ربه في الدنيا عند جمهور العلماء ، كما سئل عن ذلك فقال: «رأيت نورا » فلم ير ﷺ ربه يقظة.
- وقال عليه الصلاة والسلام: «اعلموا أنه لن يرى أحد منكم ربه حتى يموت » أخرجه مسلم في صحيحه. فليس أحد يرى ربه في الدنيا أبدا، لا الأنبياء ولا غيرهم، وإنما يرى في الآخرة سبحانه وتعالى فعلى المسلم أن يؤمن بهذا. وبكل ما جاء به النبي ﷺ، وأن الجنة حق والنار حق، وأن أهل الإيمان يدخلون الجنة، ويرون ربهم سبحانه في القيامة، وفي الجنة، كما يشاء سبحانه، وأن الكفار يصيرون إلى النار مخلدين فيها، نعوذ بالله من ذلك. وأنهم عن ربهم محجوبون لا يرونه سبحانه وتعالى لا في القيامة ولا في غيرها. بل هم عن الله محجوبون لكفرهم وضلالهم. اهـ. من كلام الشيخ ابن باز.

○ مسألة: رؤية الله في المنام .

أما في المنام فأهل السنة يثبتون إمكان رؤية الله جل وعلا في المنام ، ورؤيته في المنام جل وعلا ليست على صورته جل وعلا التي هو عليها ؛ لأن هذه لا يمكن لأحد أن يراه فيها ، وإنما قالوا يراه الرائي على قدر إيمانه ؛ لأن الرؤية يكون المقصود بها رؤية من يؤمن به ، فإن كان إيمانه قويا رأى صورة حسنة ، كما رأى النبي ﷺ ربه جل وعلا في أحسن صورة ، فقد جاء :

■ (صحيح) **عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ** رضي الله عنه قَالَ : احْتَبَسَ عَنَّا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ غَدَاةٍ مِنْ صَلَاةِ الصُّبْحِ حَتَّى كِدْنَا نَتَرَأَى عَيْنَ الشَّمْسِ ، فَخَرَجَ سَرِيعًا فَثُوبَ بِالصَّلَاةِ ، فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَتَجَوَّزَ فِي صَلَاتِهِ ، فَلَمَّا سَلَّمَ دَعَا بِصَوْتِهِ ، فَقَالَ لَنَا : عَلَى مَصَاقِكُمْ كَمَا أَنْتُمْ . ثُمَّ انْفَتَلَ إِلَيْنَا ، فَقَالَ : أَمَا إِنِّي سَأُحَدِّثُكُمْ مَا حَبَسَنِي عَنْكُمُ الْغَدَاةُ ، إِنِّي قُمْتُ مِنَ اللَّيْلِ ، فَتَوَضَّأْتُ فَصَلَّيْتُ مَا قَدَّرَ لِي ، فَنَعَسْتُ فِي صَلَاتِي فَاسْتَقْلْتُ ، فَإِذَا أَنَا بِرَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، قُلْتُ لَبَّيْكَ رَبِّ ، قَالَ : فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى ؟ قُلْتُ : لَا أَدْرِي رَبِّ ، قَالَهَا ثَلَاثًا ، قَالَ : فَرَأَيْتُهُ وَضَعَ كَفَّهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ أَنْامِلِهِ بَيْنَ ثَدْيَيْ ، فَتَجَلَّى لِي كُلُّ شَيْءٍ وَعَرَفْتُ ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، قُلْتُ لَبَّيْكَ رَبِّ ، قَالَ : فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى ؟ قُلْتُ : فِي الْكُفَّارَاتِ ، قَالَ : مَا هُنَّ ؟ قُلْتُ : مَشْيُ الْأَقْدَامِ إِلَى الْجَمَاعَاتِ ، وَالْجُلُوسُ فِي الْمَسَاجِدِ بَعْدَ الصَّلَوَاتِ ، وَإِسْبَاغُ الْوُضُوءِ فِي الْمَكْرُوهَاتِ . قَالَ : ثُمَّ فِيمَ ؟ قُلْتُ : إِطْعَامُ الطَّعَامِ ، وَلَبْنُ الْكَلَامِ ، وَالصَّلَاةُ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ ، قَالَ : سَلِّ ، قُلْتُ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ ، وَتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ ، وَحُبَّ الْمَسَاكِينِ ، وَأَنْ تَغْفِرَ لِي وَتَرْحَمَنِي ، وَإِذَا أَرَدْتَ فِتْنَةً فِي قَوْمٍ فَتَوَقَّفِي غَيْرَ مَفْتُونٍ ، وَأَسْأَلُكَ حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ ، وَحُبَّ عَمَلٍ يُقَرِّبُ إِلَى حُبِّكَ . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : إِنَّهَا حَقٌّ ، فَأَدْرُسُوهَا ثُمَّ تَعَلَّمُوهَا " . (١)

(١) - أخرجه الترمذي في "جامعه" (٥ / ٢٨٥) برقم: (٣٢٣٥) (أبواب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ . ، باب ومن سورة ص) (بهذا اللفظ) وقال : " هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ ، سَأَلْتُ مُحَمَّدَ بْنَ إِسْمَاعِيلَ ، عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ ، فَقَالَ : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ ، هَذَا أَصَحُّ مِنْ حَدِيثِ الْوَلِيدِ بْنِ مُسْلِمٍ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ جَابِرٍ قَالَ : حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ اللَّجْلَاجِ ، قَالَ : حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَائِشٍ الْخَضْرَمِيُّ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، فَذَكَرَ الْحَدِيثَ وَهَذَا غَيْرُ مَحْفُوظٍ هَكَذَا ذَكَرَ الْوَلِيدُ فِي حَدِيثِهِ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَائِشٍ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ . وَرَوَى بِشَرِّ بْنِ بَكْرٍ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ جَابِرٍ هَذَا الْحَدِيثَ بِهَذَا الْإِسْنَادِ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَائِشٍ ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ وَهَذَا أَصَحُّ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَائِشٍ لَمْ يَسْمَعْ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ . " وأحمد في "مسنده" (١٠ / ٥١٩٠) برقم: (٢٢٥٣٦) (مسند الأنصار رضي الله عنهم ، حديث معاذ بن جبل) (بمثله .) . قال الأرئوط في «مسند أحمد» (٣٦ / ٤٢٣ ط الرسالة): «ضعيف لاضطرابه، ومداره على عبد الرحمن بن عائش، وقد اختلف فيه عليه كما سلف بيانه عند حديث ابن عباس (٣٤٨٤) ، وبرقم (١٦٦٢١) في حديث بعض أصحاب رسول الله ﷺ . وصححه الألباني في «مشكاة المصابيح» (١ / ٢٣٢): برقم (٧٤٨) ، وقال في «سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها» (٧ / ٥٠٣): برقم ٣١٩٦ : "...«فالسند صحيح» وقد جاء الحديث من طرق أخرى، صحح بعضها البخاري والترمذي" . وقال في «سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها» (٧ / ٥٠٤): "...وقد خلط ابن الجوزي خلطاً عجيباً بين هذه الأحاديث الصحيحة التي فيها اختصاص الملاء الأعلى، وفي بعضها أنها رؤيا منامية- كما عرفت-، وبين بعض الأحاديث الموضوعة التي فيها أنه رأى ربه على الأرض بمعنى على جمل أورك، ونحوه من الموضوعات» . وقال في «موسوعة الألباني في العقيدة» (٧ / ٧٥٧): «هذه رؤية منامية، والحديث صحيح» .

○ مسألة: رؤية الكفار لربهم يوم القيامة.

■ قال شيخ الإسلام بن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٦/ ٤٨٧): «فما بعدها:» «وَالْأَقْوَالُ الثَّلَاثَةُ فِي "رُؤْيَةِ الْكُفَّارِ":»

■ أَحَدُهَا: أَنَّ الْكُفَّارَ لَا يَرَوْنَ رَبَّهُمْ بِحَالٍ لَا الْمُظْهَرُ لِلْكَفْرِ وَلَا الْمُسَرُّ لَهُ وَهَذَا قَوْلُ أَكْثَرِ الْعُلَمَاءِ الْمُتَأَخِّرِينَ وَعَلَيْهِ يَدُلُّ عُمُومُ كَلَامِ الْمُتَقَدِّمِينَ وَعَلَيْهِ جُمُهورُ أَصْحَابِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ وَغَيْرِهِمْ.

■ الثَّانِي: أَنَّهُ يَرَاهُ مَنْ أَظْهَرَ التَّوْحِيدَ مِنْ مُؤْمِنِي هَذِهِ الْأُمَّةِ وَمُنَافِقِيهَا وَغَبَرَاتٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَذَلِكَ فِي عَرَصَةِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ يَحْتَجِبُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ «فَلَا يَرُونَهُ بَعْدَ ذَلِكَ وَهَذَا قَوْلُ أَبِي بَكْرٍ بْنِ خَزِيمَةَ مِنْ أُمَّةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَقَدْ ذَكَرَ الْقَاضِي أَبُو يَعْلَى نَحْوَهُ فِي حَدِيثِ إِتْيَانِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَهُمْ فِي الْمَوْقِفِ الْحَدِيثِ الْمَشْهُورِ.

■ الثَّلَاثُ: أَنَّ الْكُفَّارَ يَرُونَهُ رُؤْيَةً تَعْرِيفٍ وَتَعْذِيبٍ - كَاللِّصِّ إِذَا رَأَى السُّلْطَانَ - ثُمَّ يَحْتَجِبُ عَنْهُمْ لِيَعْظُمَ عَذَابُهُمْ وَيَشْتَدَّ عِقَابُهُمْ وَهَذَا قَوْلُ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ سَالِمٍ وَأَصْحَابِهِ وَقَوْلُ غَيْرِهِمْ؛ وَهُمْ فِي الْأَصُولِ مُنْتَسِبُونَ إِلَى الْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ وَإِلَى سَهْلِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ التَّسْتَرِيِّ. وَهَذَا مُفْتَضَى قَوْلِ مَنْ فَسَّرَ "الِلِّقَاءَ" فِي كِتَابِ اللَّهِ بِالرُّؤْيَةِ؛ إِذْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ مِنْهُمْ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَطَّةَ الْإِمَامُ قَالُوا فِي قَوْلِ اللَّهِ: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ﴾ وَفِي قَوْلِهِ: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ﴾ وَفِي قَوْلِ اللَّهِ: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ﴾ وَفِي قَوْلِهِ: ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ﴾ وَفِي قَوْلِهِ: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ﴾ إِنَّ الْإِلْقَاءَ يَدُلُّ عَلَى الرُّؤْيَةِ وَالْمُعَايَنَةِ. وَعَلَى هَذَا الْمَعْنَى فَقَدْ اسْتَدَلَّ الْمُثْبِتُونَ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ .

وَمِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ مَنْ قَالَ "الِلِّقَاءَ" إِذَا قُرِنَ بِالتَّحِيَّةِ فَهُوَ مِنَ الرُّؤْيَةِ وَقَالَ ابْنُ بَطَّةَ: سَمِعْتُ أَبَا عُمَرَ الرَّاهِدَ اللُّغَوِيَّ يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَا الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنَ يَحْيَى قَالَ: فَيَقُولُ: بَلَى يَا رَبِّ قَالَ: فَظَنَنْتُ أَنَّكَ مُلَاقِيٌّ؟ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ لَا. قَالَ: فَالْيَوْمَ أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي. ثُمَّ يَلْقَى الثَّلَاثَ: فَيَقُولُ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ. فَيَقُولُ: يَا رَبِّ أَمَنْتُ بِكَ وَبِكِتَابِكَ وَبِرُسُلِكَ وَصَلَّيْتُ وَصُمْتُ وَتَصَدَّقْتُ وَبِخَيْرِ مَا اسْتَطَاعَ فَيُقَالُ: أَلَا نَبْعَثُ شَاهِدَنَا عَلَيْكَ فَيَتَفَكَّرُ فِي نَفْسِهِ مَنْ يَشْهَدُ عَلَيَّ فَيُخْتَمَ عَلَى فِيهِ وَيُقَالُ لِفَخِيدِهِ: انْطِقِي فَتَنْطِقُ فَخِذَهُ وَلَحْمَهُ وَعِظَامَهُ بِعَمَلِهِ وَذَلِكَ لِيُعْذَرَ مِنْ نَفْسِهِ وَذَلِكَ الْمُنَافِقُ الَّذِي سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِ. { **إِلَى هُنَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ. وَفِي رِوَايَةِ غَيْرِهِ - وَهِيَ مِثْلُ رِوَايَتِهِ سَوَاءً صَحِيحَةٌ - قَالَ: (ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ أَلَا تَتَّبِعُ كُلَّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ قَالَ: فَتَتَّبِعُ أَوْلِيَاءَ الشَّيَاطِينِ الشَّيَاطِينُ قَالَ: وَاتَّبَعْتُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَهُمْ إِلَى جَهَنَّمَ ثُمَّ نَبَقَى أَهْلُهَا**

الْمُؤْمِنُونَ فَيَأْتِينَا رَبُّنَا وَهُوَ رَبُّنَا فَيَقُولُ: عَلَامَ هَؤُلَاءِ قِيَامٌ؟ فَنَقُولُ نَحْنُ عِبَادُ اللَّهِ الْمُؤْمِنُونَ عَبْدَنَاهُ وَهُوَ رَبُّنَا وَهُوَ آتِينَا وَيُثَبِّتُنَا وَهَذَا مَقَامُنَا. فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ فَاْمُضُوا قَالَ: فَيُوضَعُ الْجِسْرُ وَعَلَيْهِ كَلَالِيْبٌ مِنَ النَّارِ تَخْطِفُ النَّاسَ فَعِنْدَ ذَلِكَ حَلَّتِ الشَّفَاعَةُ لِي اللّهُمَّ سَلِّمِ اللّهُمَّ سَلِّمِ قَالَ: فَإِذَا جَاءُوا الْجِسْرَ فَكُلُّ مَنْ أَنْفَقَ زَوْجًا مِنَ الْمَالِ مِمَّا يَمْلِكُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَكُلُّ خَزَنَةِ الْجَنَّةِ يَدْعُوهُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ يَا مُسْلِمُ هَذَا خَيْرٌ فَتَعَالَ يَا عَبْدَ اللَّهِ يَا مُسْلِمُ هَذَا خَيْرٌ فَتَعَالَ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَلِكَ الْعَبْدُ لَا تَوَى عَلَيْهِ يَدْعُ أَبًا وَيَلْجُ مِنْ آخَرٍ فَضَرَبَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم عَلَى مَنْكَبَيْهِ وَقَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ» **«وَهَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ. وَفِيهِ أَنَّ الْكَافِرَ وَالْمُنَافِقَ يَلْقَى رَبَّهُ.»**

وَيُقَالُ: ظَاهِرُهُ أَنَّ الْخَلْقَ جَمِيعَهُمْ يَرَوْنَ رَبَّهُمْ فَيَلْقَى اللَّهُ الْعَبْدَ عِنْدَ ذَلِكَ. لَكِنْ قَالَ ابْنُ خُرَيْمَةَ وَالْقَاضِي أَبُو يَعْلَى وَغَيْرُهُمَا "الَلِّقَاءُ" الَّذِي فِي الْخَبَرِ غَيْرُ التَّرَائِي؛ لَا أَنَّ اللَّهَ تَرَاءَى لِمَنْ قَالَ لَهُ هَذَا الْقَوْلَ وَهَؤُلَاءِ يَقُولُونَ: أَخْبَرَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَ رَبَّهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ قَالُوا: هَلْ نَرَى رَبَّنَا؟ وَالضَّمِيرُ عَائِدٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ فَذَكَرَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم أَنَّ الْكَافِرَ يَلْقَى رَبَّهُ فَيُؤَخِّجُهُ ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ تَتَّبِعُ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يَرَاهُ الْمُؤْمِنُونَ. يُبَيِّنُ ذَلِكَ أَنَّ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ الرَّهْرِيِّ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ وَعَطَاءِ بْنِ يَزِيدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: {أَنَّ النَّاسَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: هَلْ تُمَارُونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ؟ قَالُوا: لَا. يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: فَهَلْ تُمَارُونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟ قَالُوا: لَا. قَالَ: فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْهُ فَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ الشَّمْسَ وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ الْقَمَرَ وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ الطَّوَاغِيتَ وَتَبَقَى هَذِهِ الْأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا فَيَأْتِيَهُمْ اللَّهُ فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ فَيَقُولُونَ: هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِينَا رَبُّنَا فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ؛ فَيَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا فَيَعْرِفُونَهُ وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَانِي جَهَنَّمَ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ جَاوَزَ مِنَ الرُّسُلِ بِأَمْتِهِ؛ وَلَا... «فَفِي هَذَا الْحَدِيثِ مَا يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى أَنَّهُمْ رَأَوْهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ: لِيَتَّبِعْ كُلُّ قَوْمٍ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ. وَهِيَ "الرُّؤْيَةُ الْأُولَى" الْعَامَّةُ الَّتِي فِي "الرُّؤْيَةِ الْأُولَى" عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ فَإِنَّهُ أَخْبَرَ فِي ذَلِكَ الْحَدِيثِ بِالرُّؤْيَةِ وَاللِّقَاءِ ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يَقُولُ لِيَتَّبِعْ كُلُّ قَوْمٍ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ» «وَأَبَيْنُ مِنْ هَذَا كُلِّهِ فِي أَنَّ "الرُّؤْيَةَ الْأُولَى" عَامَّةٌ لِأَهْلِ الْمَوْقِفِ:

■ (ضعيف). حَدِيثُ أَبِي رَزِينٍ الْعَقِيلِيِّ - الْحَدِيثُ الطَّوِيلُ - قَدْ رَوَاهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَتَلَقَّاهُ أَكْثَرُ الْمُحَدِّثِينَ بِالْقَبُولِ وَقَدْ رَوَاهُ ابْنُ خُرَيْمَةَ فِي "كِتَابِ التَّوْحِيدِ" وَذَكَرَ أَنَّهُ لَمْ يَحْتَجْ فِيهِ إِلَّا بِالْأَحَادِيثِ الثَّابِتَةِ قَالَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم {فَتَخْرُجُونَ مِنَ الْأَصْوَى وَمِنْ مَصَارِعِكُمْ فَتَنْظُرُونَ إِلَيْهِ وَيَنْظُرُ إِلَيْكُمْ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ وَهُوَ شَخْصٌ وَاحِدٌ وَنَحْنُ مِلَّةٌ الْأَرْضِ نَنْظُرُ إِلَيْهِ وَيَنْظُرُ إِلَيْنَا قَالَ: أَنْبِئُكَ بِمِثْلِ ذَلِكَ

فِي آلاءِ اللَّهِ؟ : الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ آيَةٌ مِنْهُ صَغِيرَةٌ تَرَوْنَهُمَا فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ وَيَرَيَانِيكُمْ وَلَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِمَا وَلَعَمْرُ إِلَهِك لَهْوٌ عَلَى أَنْ يَرَاكُمْ وَتَرَوْنَهُ أَقْدَرُ مِنْهُمَا عَلَى أَنْ يَرِيَاكُمْ وَتَرَوْهُمَا. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَا يَفْعَلُ بِنَا رَبُّنَا إِذَا لَقِينَاهُ؟ قَالَ: تُعْرَضُونَ عَلَيْهِ بِأَدِيَّةٍ لَهُ صَفَحَاتُكُمْ وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْكُمْ خَافِيَةٌ فَيَأْخُذُ رَبُّكَ بِيَدِهِ غُرْفَةً مِنَ الْمَاءِ فَيَنْضَحُ بِهَا قَبْلَكُمْ فَلَعَمْرُ إِلَهِك مَا يُخْطِئُ وَجْهَ وَاحِدٍ مِنْكُمْ قَطْرَةً فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَتَدَعُ وَجْهَهُ مِثْلَ الرِّيطَةِ الْبَيْضَاءِ؛ وَأَمَّا الْكَافِرُ فَتَخْطِمُهُ مِثْلُ الْحَمَمِ الْأَسْوَدِ؛ إِلَّا ثُمَّ يَنْصَرِفُ نَبِيَّكُمْ ﷺ فَيَمُرُّ عَلَى أَثَرِهِ الصَّالِحُونَ - أَوْ قَالَ - يَنْصَرِفُ عَلَى إِثَرِهِ الصَّالِحُونَ؛ قَالَ: فَيَسْلُكُونَ جِسْرًا مِنَ النَّارِ^(١) وَذَكَرَ حَدِيثَ "الصِّرَاطِ".

■ (ضعيف). وَقَدْ رَوَى أَهْلُ السُّنَنِ: قِطْعَةً مِنْ حَدِيثِ أَبِي رَزِينٍ بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ {عَنْ أَبِي رَزِينٍ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَكُلْنَا يَرَى رَبَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَا آيَةٌ ذَلِكَ فِي خَلْقِهِ؟ قَالَ: يَا أَبَا رَزِينٍ أَلَيْسَ كُلُّكُمْ يَرَى الْقَمَرَ مُخْلِيًا بِهِ؟ قُلْتُ: بَلَى. قَالَ: فَاللَّهُ أَعْظَمُ}^(٢) «فَهَذَا الْحَدِيثُ فِيهِ أَنَّ قَوْلَهُ: {تَنْظُرُونَ إِلَيْهِ وَيَنْظُرُ إِلَيْكُمْ} عُمُومٌ لَجَمِيعِ الْخَلْقِ كَمَا دَلَّ عَلَيْهِ سِيَاقُهُ. وَرَوَى ابْنُ خُزَيْمَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ مَرْفُوعًا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: {وَاللَّهُ مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيَخْلُو اللَّهُ بِهِ كَمَا يَخْلُو أَحَدَكُمْ بِالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ} - أَوْ قَالَ - لَيْلَةَ يَقُولُ: ابْنُ آدَمَ مَا غَرَّكَ بِي؟ ابْنُ آدَمَ مَا عَمِلْتَ فِيمَا عَلِمْتَ؟ ابْنُ آدَمَ مَاذَا أَجَبْتَ الْمُرْسَلِينَ؟}. فَهَذِهِ أَحَادِيثٌ مِمَّا يَسْتَمْسِكُ بِهَا هَؤُلَاءِ»

(١) - أخرجه الحاكم في "مستدركه" (٤ / ٥٦٠) برقم: (٨٧٨٠) (كتاب الأهوال ، خمس من الغيب لا يعلمهن إلا الله) (بهذا اللفظ) ، وأبو داود في "سننه" (٣ / ٢٢٢) برقم: (٣٢٦٦) (كتاب الإيمان والنذور . ، باب ما جاء في يمين النبي صلى الله عليه وسلم ما كانت) (بمثله مختصرا) ، وأحمد في "مسنده" (٧ / ٣٥١٧) برقم: (١٦٤٣٧) (أول مسند المدنيين رضي الله عنهم أجمعين ، حديث أبي رزين العقيلي لقيط بن عامر المنتفق رضي الله عنهما) (بنحو مختصرا) ، (٧ / ٣٥٢٠) برقم: (١٦٤٥١) (أول مسند المدنيين رضي الله عنهم أجمعين ، حديث أبي رزين العقيلي لقيط بن عامر المنتفق رضي الله عنهما) (بنحو مختصرا) ، وعبد الله بن أحمد بن حنبل في زوانده على "مسند أحمد" (٧ / ٣٥٢١) برقم: (١٦٤٥٦) (أول مسند المدنيين رضي الله عنهم أجمعين ، حديث أبي رزين العقيلي لقيط بن عامر المنتفق رضي الله عنهما) (بمثله) . قال الأرئوط في «مسند أحمد» (٢٦ / ١٢٨ ط الرسالة): «إسناده ضعيف، مسلسل بالمجاهيل، عبد الرحمن بن عياش، ودلهام ابن الأسود، وأبو الأسود بن عبد الله بن حاجب، مجهولون، ولم يؤثر توثيقهم إلا عن ابن حبان كعادته في توثيق المجاهيل، وعاصم بن لقيط، إن لم يكن ابن صبرة، فهو مجهول كذلك. وبقيّة رجاله ثقات . قال في «الموسوعة العقدية - الدرر السنية» (٣ / ٢٨٢ بترقيم الشاملة آليا): «وضعف إسناده الألباني في ((تخريج كتاب السنة)) (٦٣٦)»

(٢) - أخرجه الحاكم في "مستدركه" (٤ / ٥٦٠) برقم: (٨٧٧٩) (كتاب الأهوال ، إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء) (بنحو مطولا) وصححه ووافقه الذهبي ، وأبو داود في "سننه" (٤ / ٣٧٥) برقم: (٤٧٣١) (كتاب السنة ، باب في الرؤية) (بهذا اللفظ) ، وابن ماجه في "سننه" (١ / ١٢٤) برقم: (١٨٠) (أبواب السنة ، باب فيما أنكرت الجهمية) (بنحوه) ، وأحمد في "مسنده" (٧ / ٣٥١٦) برقم: (١٦٤٣٦) (أول مسند المدنيين رضي الله عنهم أجمعين ، حديث أبي رزين العقيلي لقيط بن عامر المنتفق رضي الله عنهما) (بمثله) . قال الأرئوط «سنن أبي داود» (٧ / ١١٣ ت الأرئوط): «إسناده ضعيف لجهالة وكيع بن خُدس، ويقال: ابن غُدس انفرد بالرواية عنه يعلي بن عطاء: وهو العامري، وقال ابن القطان: مجهول الحال، وقال الذهبي في "الميزان": لا يعرف، وقال البيهقي: هذا حديث تفرد به يعلي بن عطاء، عن وكيع بن خُدس، ولا نعلم لو كيع بن حدس هذا راويا غير يعلي بن عطاء» . وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع الصغير وزيادته» (ص ٩٢٠): برقم «٦٣٧٤»

«وَأَمَّا الَّذِينَ نَفَوْا "الرُّؤْيَةَ" مُطْلَقًا عَلَى ظَاهِرِهِ الْمَأْثُورِ عَنِ الْمُتَقَدِّمِينَ فَاتَّبَاعٌ لظَاهِرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ رَوَى ابْنُ بَطَّةَ بِإِسْنَادِهِ عَنْ أَشْهَبَ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ لِمَالِكٍ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ هَلْ يَرَى الْمُؤْمِنُونَ رَبَّهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ مَالِكٌ: لَوْ لَمْ يَرَ الْمُؤْمِنُونَ رَبَّهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَمْ يُعَيِّرِ اللَّهُ الْكُفَّارَ بِالْحِجَابِ قَالَ تَعَالَى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾. وَعَنْ الْمَزْنِيِّ قَالَ سَمِعْتُ ابْنَ أَبِي هَرَمٍ يَقُولُ: قَالَ الشَّافِعِيُّ: فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ أَوْلِيَاءَهُ يَرَوْنَهُ عَلَى صِفَتِهِ. وَكَذَلِكَ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْمَاجِشُونَ - وَهُوَ مِنْ أَقْرَانِ مَالِكٍ - فِي كَلَامٍ لَهُ: فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَيَجْعَلُ اللَّهُ رُؤْيَتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِلْمُخْلِصِينَ ثَوَابًا فَتَنْصُرُ بِهَا وَجُوهُهُمْ دُونَ الْمُجْرِمِينَ وَتُفَلِّجُ بِهَا حُجَّتَهُمْ عَلَى الْجَاهِلِينَ: جَهَنَّمَ وَشِيعَتِهِ وَهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ لَا يَرَوْنَهُ كَمَا زَعَمُوا أَنَّهُ لَا يَرَى وَلَا يَكَلِّمُهُمْ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ؛ كَيْفَ لَمْ يَعْتَبِرُوا يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ أَفَیْظُنُّ أَنَّ اللَّهَ يَقْصِرُهُمْ وَيُعْتَبِرُهُمْ بِأَمْرِ يَزْعُمُ الْفَاسِقُ أَنَّهُ وَأَوْلِيَاءُهُ فِيهِ سَوَاءٌ. وَمِثْلُ هَذَا الْكَلَامِ كَثِيرٌ فِي كَلَامٍ غَيْرِ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ مِثْلُ وَكِيعِ بْنِ الْجَرَّاحِ وَغَيْرِهِ.

وَقَالَ الْقَاضِي أَبُو يَعْلَى وَغَيْرُهُ: كَانَتْ الْأُمَّةُ فِي رُؤْيَةِ اللَّهِ بِالْأَبْصَارِ عَلَى "قَوْلَيْنِ" مِنْهُنَّ الْمُحِيلُ لِلرُّؤْيَةِ عَلَيْهِ وَهُمْ الْمُعْتَزِلَةُ وَالنَّجَارِيَّةُ وَغَيْرُهُمْ مِنَ الْمُوَافِقِينَ لَهُمْ عَلَى ذَلِكَ. وَ"الْفَرِيقُ الْآخَرُ" أَهْلُ الْحَقِّ وَالسَّلَفِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَ اللَّهَ فِي الْمَعَادِ وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا يَرَوْنَهُ فَتَبَتَ بِهَذَا إِجْمَاعُ الْأُمَّةِ - مِمَّنْ يَقُولُ بِجَوَازِ الرُّؤْيَةِ وَمِمَّنْ يُنْكِرُهَا - عَلَى مَنَعِ رُؤْيَةِ الْكَافِرِينَ لِلَّهِ وَكُلُّ قَوْلٍ حَادِثٍ بَعْدَ الْإِجْمَاعِ فَهُوَ بَاطِلٌ مُرْدُودٌ.

وَقَالَ هُوَ وَغَيْرُهُ أَيْضًا. الْأَخْبَارُ الْوَارِدَةُ فِي "رُؤْيَةِ الْمُؤْمِنِينَ لِلَّهِ" إِنَّمَا هِيَ عَلَى طَرِيقِ الْبِشَارَةِ فَلَوْ شَارَكَهُمْ الْكُفَّارُ فِي ذَلِكَ بَطَلَتْ الْبِشَارَةُ.

وَلَا خِلَافَ بَيْنَ الْقَائِلِينَ بِالرُّؤْيَةِ فِي أَنَّ رُؤْيَتَهُ مِنْ أَعْظَمِ كَرَامَاتِ أَهْلِ الْجَنَّةِ. قَالَ: وَقَوْلُ مَنْ قَالَ: إِنَّمَا يَرَى نَفْسَهُ عُقُوبَةً لَهُمْ وَتَحْسِيرًا عَلَى قَوَاتِ دَوَامِ رُؤْيَتِهِ؛ وَمَنْعُهُمْ مِنْ ذَلِكَ - بَعْدَ عِلْمِهِمْ بِمَا فِيهَا مِنْ الْكَرَامَةِ وَالسُّرُورِ - يُوجِبُ أَنْ يَدْخَلَ الْجَنَّةَ الْكُفَّارَ وَيُرِيَهُمْ مَا فِيهَا مِنَ الْحُورِ وَالْوِلْدَانِ وَيُطْعِمُهُمْ مِنْ ثِمَارِهَا وَيَسْقِيَهُمْ مِنْ شَرَابِهَا ثُمَّ يَمْنَعُهُمْ مِنْ ذَلِكَ لِيُعْرِفَهُمْ قَدْرَ مَا مَنَعُوا مِنْهُ وَيُكْثِرُ تَحَسُّرَهُمْ وَتَلَهُّفَهُمْ عَلَى مَنَعِ ذَلِكَ بَعْدَ الْعِلْمِ بِفَضِيلَتِهِ. وَ"الْعُمْدَةُ" قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ فَإِنَّهُ يَعْمُ حَجْمُهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ فِي جَمِيعِ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَذَلِكَ الْيَوْمِ ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ فَلَوْ قِيلَ: إِنَّهُ يَحْجُمُهُمْ فِي حَالٍ دُونَ حَالِ لَكَانَ تَخْصِيصًا لِلْفِظِ بِغَيْرِ مُوجِبٍ وَلَكَانَ فِيهِ تَسْوِيَةٌ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ؛ فَإِنَّ "الرُّؤْيَةَ" لَا تَكُونُ دَائِمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْكَلَامُ خَرَجَ مَخْرَجَ بَيَانِ عُقُوبَتِهِمْ بِالْحَجْبِ

وَجَزَائِهِمْ بِهِ؛ فَلَا يَجُوزُ أَنْ يُسَاوِيَهُمُ الْمُؤْمِنُونَ فِي عِقَابٍ وَلَا جَزَاءٍ سِوَاهُ؛ فَعَلِمَ أَنَّ الْكَافِرَ مَحْجُوبٌ عَلَى
 الْإِطْلَاقِ بِخِلَافِ الْمُؤْمِنِ وَإِذَا كَانُوا فِي عَرَصَةٍ «الْقِيَامَةِ مَحْجُوبِينَ فَمَعْلُومٌ أَنَّهُمْ فِي النَّارِ أَكْثَرُ حَجَبًا وَقَدْ
 قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ وَقَالَ: ﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ
 الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ وَإِطْلَاقُ وَصْفِهِمْ بِالْعَمَى يُنَافِي "الرُّؤْيَا" الَّتِي هِيَ أَفْضَلُ أَنْوَاعِ الرُّؤْيَا»

المقدمة التاسعة

في بيان ركن الإيمان بالقدر خيره وشره . وفيه ثمان عشرة مسألة:

○ **المسألة الأولى:** تعريف القدر : هو تقدير الله تعالى للكائنات حسبما سبق به علمه ، واقتضته حكمته .

● **مسألة:** الفرق، بين القضاء والقدر:

■ القدر في الأصل، مصدر قَدَرَ ؛ ثم استعمل في التقدير، الذي هو : التفصيل والتبيين ؛ واستعمل أيضاً : بعد الغلبة في تقدير الله للكائنات قبل حدوثها .

● وأما القضاء : فقد استعمل في الحكم الكوني، بجريان الأقدار، وما كتب في الكتب الأولى ؛ وقد يطلق هذا على القدر الذي هو : التفصيل والتمييز . ويطلق القدر أيضاً : على القضاء، الذي هو الحكم الكوني ، بوقوع المقدرات ؛ ويطلق القضاء، على الحكم الديني الشرعي ؛ قال الله تعالى : ﴿ ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ﴾ [النساء: ٦٥] ويطلق القضاء، على الفراغ، والتمام ؛ كقوله تعالى : ﴿ فإذا قضيت الصلاة ﴾ [الجمعة: ١٠] قال تعالى : ﴿ وقضى الأمر ﴾ [هود: ٤٤] ، ويطلق على نفس الفعل، قال تعالى : ﴿ فاقض ما أنت قاض ﴾ [طه: ٧٢] ويطلق على : الإعلام ، والتقدم بالخبر، قال تعالى : ﴿ وقضينا إلى بني إسرائيل ﴾ [الإسراء: ٤] ويطلق على الموت، ومنه قولهم : قضى فلان، أي : مات، قال تعالى : ﴿ ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك ﴾ [الزخرف: ٧٧] ، ويطلق على التمكن من الشيء وتمامه، كقوله : ﴿ ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يلقى إليك وحيه ﴾ [طه: ١١٤] ويطلق على الفصل والحكم، كقوله ﴿ وقضى بينهم بالحق ﴾ [الزمر: ٧٥] ويطلق على الخلق، كقوله تعالى : ﴿ فقضاهن سبع سموات ﴾ [فصلت: ١٢] . ويطلق على الحتم، كقوله تعالى : ﴿ وكان أمراً مقضياً ﴾ [مريم: ٢١] ويطلق على الأمر الديني، كقوله : ﴿ وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه ﴾ [الإسراء: ٢٣] ، ويطلق بمعنى الأداء، كقوله تعالى : ﴿ فإذا قضيت مناسككم ﴾ [البقرة: ٢٠٠] والقضاء في الكل : مصدر ؛ واقتضى الأمر الوجوب، دل عليه، والاقتضاء، هو : العلم بكيفية نظم الصيغة ؛ وقولهم : لا أقضي منه العجب، قال الأصمعي : يبقى ولا ينقضي.

○ مسألة: قولهم اقتضت حكمة الله ، أو شاءت قدرة الله ، أو شاءت الأقدار، أو شاءت الظروف ،

أجاب الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله - على ذلك في «مجموع فتاوى ورسائل العثيمين» (٣/ ١١٣) فما بعدها: **سئل فضيلة الشيخ:** عن قول: " شاءت الظروف أن يحصل كذا وكذا "، " و شاءت الأقدار كذا وكذا "؟. فأجاب قائلًا: قول: " شاءت الأقدار "، و " شاءت الظروف " ألفاظ منكرة؛ لأن الظروف جمع ظرف وهو الزمن، والزمن لا مشيئة له، وكذلك الأقدار جمع قدر، والقدر لا مشيئة له، وإنما الذي يشاء هو الله عز وجل نعم لو قال الإنسان: " اقتضى قدر الله كذا وكذا ". فلا بأس به. أما المشيئة فلا يجوز أن تضاف للأقدار لأن المشيئة هي الإرادة، ولا إرادة للوصف، إنما الإرادة للموصوف.

وسئل فضيلته: عن حكم قول: " و شاءت قدرة الله " و " شاء القدر "؟

فأجاب بقوله: لا يصح أن نقول: " شاءت قدرة الله " لأن المشيئة إرادة، والقدرة معنى، والمعنى لا إرادة له، وإنما الإرادة للمريد، والمشيئة لمن يشاء، ولكننا نقول: اقتضت حكمة الله كذا وكذا، أو نقول عن الشيء إذا وقع: هذه قدرة الله أي مقدوره كما تقول: هذا خلق الله أي مخلوقه. وأما أن نضيف أمرًا يقتضي الفعل الاختياري إلى القدرة فإن هذا لا يجوز. ومثل ذلك قولهم: " شاء القدر كذا وكذا " وهذا لا يجوز لأن القدر والقدرة أمران معنويان ولا مشيئة لهما، وإنما المشيئة لمن هو قادر ولمن هو مقدر. والله أعلم.

وسئل فضيلة الشيخ: ما حكم قول: " شاءت قدرة الله "، وإذا كان الجواب بعدمه فلماذا؟ مع أن الصفة تتبع موصوفها، والصفة لا تنفك عن ذات الله؟

فأجاب قائلًا: لا يصح أن نقول: " شاءت قدرة الله "؛ لأن المشيئة إرادة، والقدرة معنى، والمعنى لا إرادة له، وإنما الإرادة للمريد، والمشيئة للشئ ولكننا نقول: اقتضت حكمة الله كذا وكذا، أو نقول عن الشيء إذا وقع: هذه قدرة الله، كما نقول: هذا خلق الله، وأما إضافة أمر يقتضي الفعل الاختياري إلى القدرة فإن هذا لا يجوز. لأن القدر والقدرة أمران معنويان ولا مشيئة لهما، وإنما المشيئة لمن هو قادر ولمن هو مقدر. اهـ

○ مسألة: مشيئة الله مرتبطة بالحكمة .

- قال الشيخ ابن عثيمين في «تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة» (١/ ٢٩٤): "كل شيء عُلّق بالمشيئة فهو مقرون بالحكمة؛ لقوله تعالى: ﴿وما تشاءون إلا أن يشاء الله إن الله كان عليماً حكيماً﴾ [الإنسان: ٣٠]؛ فليست أفعال الله وأحكامه لمجرد المشيئة؛ بل هي لحكمة بالغة اقتضت المشيئة..»

○ المسألة الثانية : مراتب القدر .

● للقدر أربع مراتب وهي إجمالاً:

- المرتبة الأولى: العلم ، فنؤمن بأن الله تعالى بكل شيء عليم ، علم ما كان ، وما يكون ، وما سيكون ، وما لم يكن لو كان كيف يكون . بعلمه الأزلي الأبدي ، فلا يتجدد له علم بعد جهل ، ولا يلحقه نسيان بعد علم. قال تعالى : ﴿لَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٩٧]
- المرتبة الثانية: الكتابة ، فنؤمن بأن الله تعالى كتب في اللوح المحفوظ ، ما هو كائن إلى يوم القيامة . قال تعالى : ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠]
- المرتبة الثالثة: المشيئة ، فنؤمن بأن الله تعالى قد شاء كل ما في السماوات والأرض ، لا يكون شيء إلا بمشيئته. ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن. قال تعالى : ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان: ٣٠]
- المرتبة الرابعة: الخلق ، فنؤمن بأن الله تعالى خالق كل شيء . قال تعالى : ﴿اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الزمر: ٦٢-٦٣]

○ المسألة الثالثة: درجات الإيمان بالقدر.

• للإيمان بالقدر درجتان كل درجة تتضمن أمرين:

• فالدرجة الأولى: تتضمن الإيمان بالعلم والكتابة .

■ ١- العلم: بأن تؤمن بعلم الله المحيط بكل شيء جملةً وتفصيلاً. ومن ذلك قوله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٩] ، وقال تعالى : ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٣١] وقال تعالى : ﴿لَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٩٧]

■ ٢- والكتابة بأن تؤمن بأن الله كتب مقادير كل شيء في اللوح المحفوظ بحسب علمه . ودليلها قوله تعالى : ﴿الْم تَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (الحج: ٧٠).

• والكتابة أنواع :

■ النوع الأول : الكتابة في اللوح المحفوظ بمقادير كل شيء قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة ، ومن أدلتها:

■ في مسلم عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ قَالَ : وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ .^(١)

■ وفي البخاري عن أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَهُ : " جَفَ الْقَلَمُ بِمَا أَنْتَ لَاقٍ " ^(٢)

■ (صحيح) وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ - وَهُوَ دُفُهُ - : يَا غُلَامُ ، إِنِّي مُحَدِّثُكَ بِكَلِمَاتٍ أَحْفَظُ اللَّهُ يَحْفَظُكَ ، أَحْفَظُ اللَّهُ تَجِدُهُ تُجَاهَكَ ، وَإِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ ، جَفَّتِ الْأَقْلَامُ وَرَفِعَتِ الصُّحُفُ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَرَادَتِ الْأُمَّةُ أَنْ تَنْفَعَكَ مَا نَفَعَتْكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ ، وَلَوْ أَرَادَتْ أَنْ تَضُرَّكَ مَا ضُرَّتْكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ .^(٣)

(١) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ٥١) برقم: (٢٦٥٣) (كتاب القدر ، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام) (بهذا اللفظ)

(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٧ / ٤) برقم: (٥٠٧٦) (كتاب النكاح ، باب ما يكره من التبتل والخصاء) (بهذا اللفظ)

(٣) - أخرجه الضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" (١٠ / ٢٥) برقم: (١٥) (من اسمه عبد الله ، حنش بن عبد الله الصنعاني عن ابن عباس) (بهذا اللفظ) ، والحاكم في "مستدركه" (٣ / ٥٤١) برقم: (٦٣٥٩) (كتاب معرفة الصحابة رضي الله تعالى عنهم ، تعليم النبي ابن عباس رضي الله عنهما) (بنحوه مطولاً) ، والترمذي في "جامعه" (٤ / ٢٨٤) برقم: (٢٥١٦) (أبواب صفة

- **(حسن) عَنْ أَبِي حَفْصَةَ قَالَ: قَالَ عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ لِابْنِهِ: يَا بُنَيَّ إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ ، وَمَا أَخْطَاكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى الْقَلَمَ ، فَقَالَ لَهُ : اكْتُبْ . قَالَ : رَبِّ ، وَمَاذَا أَكْتُبُ ؟ قَالَ : اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ يَا بُنَيَّ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هَذَا فَلَيْسَ مِنِّي .**
- **(صحيح) وفي لفظ أحمد: "" عَنْ أَيُّوبَ بْنِ زِيَادٍ ، حَدَّثَنِي عُبَادَةُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ عُبَادَةَ ، حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى عُبَادَةَ ، وَهُوَ مَرِيضٌ أَتَخَايَلُ فِيهِ الْمَوْتَ فَقُلْتُ: يَا أَبَتَاهُ أَوْصِنِي وَاجْتَهِدْ لِي . فَقَالَ: أَجْلِسُونِي . فَلَمَّا أَجْلَسُوهُ قَالَ: يَا بُنَيَّ إِنَّكَ لَنْ تَطْعَمَ طَعْمَ الْإِيمَانِ ، وَلَنْ تَبْلُغَ حَقَّ حَقِيقَةِ الْعِلْمِ بِاللَّهِ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدْرِ خَيْرَهُ وَشَرَّهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا أَبَتَاهُ وَكَيْفَ لِي أَنْ أَعْلَمَ مَا خَيْرُ الْقَدْرِ مِنْ شَرِّهِ؟ قَالَ: تَعْلَمُ أَنَّ مَا أَخْطَاكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ . يَا بُنَيَّ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: " إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ ، ثُمَّ قَالَ: اكْتُبْ فَجَرَى فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ " يَا بُنَيَّ إِنَّ مِتَّ وَلَسْتَ عَلَى ذَلِكَ دَخَلْتَ النَّارَ " وفي لفظ الترمذي " إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ ، فَجَرَى بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى الْأَبَدِ "(١)**

- **(صحيح) . عَنْ ابْنِ الدَّيْلَمِيِّ ، قَالَ : وَقَعَ فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنْ هَذَا الْقَدْرِ ، خَشِيتُ أَنْ يُفْسِدَ عَلَيَّ دِينِي وَأَمْرِي ، فَاتَيْتُ أَبِي بْنَ كَعْبٍ ، فَقُلْتُ : أَبَا الْمُنْذِرِ ، إِنَّهُ قَدْ وَقَعَ فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنْ هَذَا الْقَدْرِ فَخَشِيتُ عَلَى دِينِي وَأَمْرِي ، فَحَدَّثَنِي مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَنْفَعَنِي بِهِ ، فَقَالَ : لَوْ أَنَّ اللَّهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ لَعَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ لَكَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ ، وَلَوْ كَانَ لَكَ جَبَلٌ أَحَدٌ ذَهَبًا ، أَوْ مِثْلُ جَبَلٍ أَحَدٍ ، تُنْفِقُهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، مَا قُبِلَ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدْرِ**

القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . (باب (بنحوه) ، وأحمد في "مسنده" (٢ / ٦٤٨) برقم: (٢٧١٣) (مسند بني هاشم رضي الله عنهم ، مسند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم) (بنحوه) . قال الأرناؤوط في «مسند أحمد» (٤ / ١٠ ط الرسالة) : «إسناده قوي، قيس بن الحجاج -وهو الكلاعي السلفي المصري- روى عنه جمع، وذكره ابن حبان في "الثقات"، وقال أبو حاتم: صالح، وقال في "التقريب": صدوق، وحديثه عند الترمذي وابن ماجه، وباقي رجاله ثقات رجال الشيخين غير حنش الصنعاني -وهو ابن عبد الله- فمن رجال مسلم. ليث: هو ابن سعد» صححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير وزيادته» (٢ / ١٣١٧) : برقم «٧٩٥٧ - ٣٠٥١»

(١) - أخرجه الضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" (٨ / ٢٧٤) برقم: (٣٣٦) (مسند عبادة بن الصامت ، حبيش الحبشي أبو حفصة الشامي عن عبادة) (بمثله) ، وأبو داود في "سننه" (٤ / ٣٦٢) برقم: (٤٧٠٠) (كتاب السنة ، باب في القدر) (بهذا اللفظ) ، والترمذي في "جامعه" (٥ / ٣٤٨) برقم: (٣٣١٩) (أبواب تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . ، باب ومن سورة ن) (بنحوه) ، وقال : «حسن صحيح غريب ، وفيه عن ابن عباس» ، (وأحمد في "مسنده" (١٠ / ٥٣٦٢) برقم: (٢٣١٤٥)) (مسند الأنصار رضي الله عنهم ، حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه) (بنحوه مطولاً) . قال الأرناؤوط في «مسند أحمد» (٣٧ / ٣٧٩ ط الرسالة) : «حديث صحيح، وهذا إسناده حسن. ليث: هو ابن سعد، ومعاوية: هو ابن صالح بن حدير الحضرمي، وأيوب بن زياد من رجال "التعجيل" . وقال في «سنن أبي داود» (٧ / ٨٦ ت الأرناؤوط) : «حديث حسن، أبو حفصة: هو حبيش بن شريح، لم يرو عنه غير اثنين، وذكره ابن حبان في "الثقات"، وجعفر بن مسافر: صدوق ربما أخطأ، وباقي رجاله ثقات». وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير وزيادته» (١ / ٤٠٥) : برقم «٢٠١٧ - ٨٨٩»

، فَتَعْلَمَنَّ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ ، وَأَنَّ مَا أَخْطَاكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ ، وَأَنَّكَ إِنْ مِتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا دَخَلْتَ النَّارَ ، وَلَا عَلَيْكَ أَنْ تَأْتِيَ أَخِي عَبْدَ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ فَتَسْأَلَهُ ، فَاتَّيْتُ عَبْدَ اللَّهِ ، فَسَأَلْتُهُ ، فَذَكَرَ مِثْلَ مَا قَالَ أَبِي ، وَقَالَ لِي : وَلَا عَلَيْكَ أَنْ تَأْتِيَ حُذَيْفَةَ ، فَاتَّيْتُ حُذَيْفَةَ ، فَسَأَلْتُهُ ، فَقَالَ مِثْلَ مَا قَالَا ، وَقَالَ : أَنْتَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ ، فَسَأَلْتُهُ ، فَاتَّيْتُ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ ، فَسَأَلْتُهُ ، فَقَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : لَوْ أَنَّ اللَّهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَآوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ لَعَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ لَكَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ ، وَلَوْ كَانَ لَكَ مِثْلُ أَحَدٍ ذَهَبًا ، أَوْ مِثْلُ جَبَلٍ أَحَدٍ ذَهَبًا ، تُنْفِقُهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، مَا قَبِلَهُ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ ، فَتَعْلَمَنَّ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ ، وَأَنَّ مَا أَخْطَاكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ ، وَأَنَّكَ إِنْ مِتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا دَخَلْتَ النَّارَ .^(١)

- **النوع الثاني : الكتابة العمرية .** وهذه الدرجة ينكرها غلاة القدرية قديما . وهي ما يكتبه الملك الموكل بالأرحام على الجنين في بطن أمه إذا تم له أربعة اشهر ، فيؤمر الملك بكتب رزقه واجله وعمله وشقي أم سعيد ، ودليله حديث ابن مسعود رضي الله عنه : **ففيما عن ابن مسعود رضي الله عنه :** " حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ : إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ عِلْقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ ، وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ يَكْتُبُ رِزْقَهُ وَاجِلَهُ وَعَمَلَهُ ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ ، فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا ، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا " ^(٢)

(١) - أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (٢ / ٥٠٥) برقم: (٧٢٧) (كتاب الرقائق ، ذكر الإخبار عما يجب على المرء من تسليم الأشياء إلى بارئه جل وعلا) (بمثله مختصرا) ، وأبو داود في "سننه" (٤ / ٣٦١) برقم: (٤٦٩٩) (كتاب السنة ، باب في القدر) (بمثله مختصرا) ، وابن ماجه في "سننه" (١ / ٥٥) برقم: (٧٧) (أبواب السنة ، باب في القدر) (بهذا اللفظ) ، والبيهقي في "سننه الكبير" (١٠ / ٢٠٤) برقم: (٢٠٩٣٣) (كتاب الشهادات ، باب ما ترد به شهادة أهل الأهواء) (بمثله) . وأحمد في "مسنده" (٩ / ٥٠٦) برقم: (٢٢٠١٢) (مسند الأنصار رضي الله عنهم ، حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه) (بمثله مختصرا) . قال الأرئوط في «سنن ابن ماجه» (١ / ٥٦ ت الأرئوط): «إسناده قوي، وهو موقوف من حديث أبي بن كعب، وابن مسعود، وحذيفة بن اليمان، ومرفوع من حديث زيد بن ثابت. أبو سنان: هو سعيد بن سنان الشيباني، وابن الديلمي: هو عبد الله بن فيروز» . . وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير وزيادته» (٢ / ٩٣٠): برقم «٥٢٤٤» ، وقال : " (صحيح) [حم د ه ح ط ب] عن أبي بن كعب وزيد بن ثابت وحذيفة وابن مسعود. شرح الطحاوية ٦٢٩ ، السنة ٢٤٥ "

(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٤ / ١٣٣) برقم: (٣٣٣٢) (كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قول الله تعالى وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (٨ / ٤٤) برقم: (٢٦٤٣) (كتاب القدر ، باب كيفية خلق آدمي في بطن أمه وكتابة رزقه واجله وعمله وشقاوته وسعادته) (بمثله).

- وفي لفظ مسلم عن أبي الزبير المكي أن عامر بن وائلة حدثه أنه سمع عبد الله بن مسعود يقول : الشَّقِيُّ مَنْ شَقِيَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ ، وَالسَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ ، فَأَتَى رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَقَالُ لَهُ **حَدِيقَةُ بْنُ أَسِيدِ الْغِفَارِيِّ** ، فَحَدَّثَهُ بِذَلِكَ مِنْ قَوْلِ ابْنِ مَسْعُودٍ فَقَالَ : وَكَيْفَ يَشْقَى رَجُلٌ بِغَيْرِ عَمَلٍ؟ فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ : أَتَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : إِذَا مَرَّ بِالنُّطْفَةِ ثِنْتَانِ وَأَرْبَعُونَ لَيْلَةً بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهَا مَلَكًا ، فَصَوَّرَهَا ، وَخَلَقَ سَمْعَهَا وَبَصَرَهَا وَجِلْدَهَا وَلَحْمَهَا وَعِظَامَهَا ، ثُمَّ قَالَ : يَا رَبِّ أَذْكَرُ أَمْ أُنْثَى؟ فَيَقْضِي رَبُّكَ مَا شَاءَ ، وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ ثُمَّ يَقُولُ : يَا رَبِّ أَجَلُهُ؟ فَيَقُولُ رَبُّكَ مَا شَاءَ ، وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ ، ثُمَّ يَقُولُ : يَا رَبِّ رِزْقُهُ؟ فَيَقْضِي رَبُّكَ مَا شَاءَ ، وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ ، **ثُمَّ يَخْرُجُ الْمَلَكُ بِالصَّحِيفَةِ فِي يَدِهِ ، فَلَا يَزِيدُ عَلَى مَا أَمَرَ ، وَلَا يَنْقُصُ** .^(١)

- وأما الدرجة الثانية من الإيمان بالقدر فتتضمن الإيمان بالمشيئة والخلق : فأما المشيئة فهي : ان تؤمن بمشيئة الله العامة ، وان ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، سواء في ذلك أفعاله وأفعال الخلق ، كما قال تعالى في أفعاله : ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾ (السجدة: من الآية ١٣). وقوله تعالى : ﴿وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ (إبراهيم: من الآية ٢٧). وقال في أفعال الخلق : ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ (الأنعام: من الآية ١١٢).

أما الخلق فهو أن تؤمن إن الله خالق كل شيء سواء مما فعله هو أو فعله عباده . ومن أدلة الخلق في فعله قوله تعالى : : ﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ (الزمر: من الآية ٦٢). وقوله تعالى : ﴿إِن رَّبُّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ (الأعراف: من الآية ٥٤).

- وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : "لَيْسَ أَلَيْكُمُ النَّاسُ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ ، حَتَّى يَقُولُوا : اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ، فَمَنْ خَلَقَهُ؟" .^(٢)

ومن أدلة الخلق في أفعال العباد قوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ (الصفافات: ٩٦). **ووجه كونه خالقاً لأفعال العباد: إن فعل العبد لا يصدر إلا عن إرادة وقدره ، وخالق إرادة العبد وقدرته هو الله .**

(١) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ٤٥) برقم: (٢٦٤٥) (كتاب القدر ، باب كيفية خلق الأدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته) (بهذا اللفظ)

(٢) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (١ / ٨٥) برقم: (١٣٥) (كتاب الإيمان ، باب بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها) (بهذا اللفظ)

○ مسألة : الفرق بين الإرادة والمشئنة .

- قال في «لسان العرب» (١/ ١٠٣): «المَشِئَةُ، مَهْمُوزَةٌ: الإرادةُ» وقال في «تاج العروس من جواهر القاموس» (١/ ٢٩٢): «قَالَ الجوهريُّ: المَشِئَةُ: الإرادة، ومثله في (المُصباح) و (المُحْكَم) ، وأكثرُ المتكلمين لم يُفَرِّقوا بينهما، وإن كَانَتَا فِي الْأَصْلِ مُخْتَلِفَتَيْنِ فَإِنَّ! المَشِئَةَ فِي اللُّغَةِ: الإِجَادَ، والإِرَادَةَ: طَلَبٌ»
- وسئل الشيخ ابن باز رحمه الله : ما معنى الإرادة والمشئنة؟ وما الفرق بينهما؟
- فأجاب مانصه : " الإرادة إرادتان: شرعية وقدرية، فالإرادة الشرعية تُوافق الأمر والرضى والمحبة، مثل قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [النساء: ٢٦]، وقال جلَّ وعلا: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣]، هذه إرادة شرعية بمعنى الأمر، وبمعنى الرضا.
- والإرادة الكونية بمعنى المشئنة، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، هذه معناها المشئنة، فَمَنْ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِيدُ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا [الأنعام: ١٢٥]، هذه الإرادة الكونية وأشباهاها كثير، **غالب الإرادات في القرآن كونية.**
- وبعضهم جعل المشئنة قسمين مثل الإرادة، وبعضهم اقتصر بهذا على الإرادة فقط، **أما المشئنة فلا تكون إلا كونية:** ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، ولكن لو ورد الاثنان أحياناً بمعنى الإرادة الشرعية فلا مانع، **الإرادة الشرعية والمشئنة الشرعية معاً واحد،** فإنه يقال: إنه سبحانه شاء شرعاً، وأراد شرعاً من العباد أن يعبدوه، وأن يُطِيعوه، ولكنه أراد وشاء كوناً من الكافر أن يكفر، ومن العاصي أن يعصي؛ **لحكمة بالغية.**" اهـ
- وقال ابن عثيمين في «تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة» (٢/ ٣٣٩): «وإرادة الله تعالى تنقسم إلى قسمين: **إرادة كونية:** وهي التي بمعنى المشئنة؛ ويلزم منها وقوع المراد سواء كان مما يحبه الله، أو مما لا يحبه الله؛ ومنها قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَرِدُ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يَرِدُ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥]؛ وهذه الآية، كقوله تعالى: ﴿مَنْ يَشَأُ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: ٣٩].

وإرادة شرعية: بمعنى المحبة؛ ولا يلزم منها وقوع المراد؛ ولا تتعلق إلا فيما يحبه الله عز وجل؛ ومنها قول الله تبارك وتعالى: ﴿والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيماً* يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفاً﴾ [النساء: ٢٧، ٢٨].»

• وقال في «تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة» (٢٤٣/٣): والإرادة التي اتصف الله بها نوعان: كونية، وشرعية؛ **والفرق بينهما من حيث المعنى؛ ومن حيث المتعلق؛ ومن حيث الأثر:**

- ١- **من حيث المعنى:** «الإرادة الشرعية» بمعنى المحبة؛ و «الإرادة الكونية» بمعنى المشيئة.
 - ٢- **ومن حيث المتعلق:** «الإرادة الكونية» تتعلق فيما يحبه الله، وفيما لا يحبه؛ فإذا قيل: هل أراد الله الكفر؟ نقول: بالإرادة الكونية: نعم؛ وبالشرعية: لا؛ لأن «الإرادة الكونية» تشمل ما يحبه الله، وما لا يحبه؛ و «الإرادة الشرعية» لا تتعلق إلا فيما يحبه الله.
 - ٣- **ومن حيث الأثر:** «الإرادة الكونية» لا بد فيها من وقوع المراد؛ و «الإرادة الشرعية» قد يقع المراد، وقد لا يقع؛ فمثلاً: ﴿والله يريد أن يتوب عليكم﴾ [النساء: ٢٧]: الإرادة هنا شرعية؛ لو كانت كونية لكان الله يتوب على كل الناس؛ لكن الإرادة شرعية: يحب أن يتوب علينا بأن نفعل أسباب التوبة. **فإن قيل: ما تقولون في إيمان أبي بكر؛ هل هو مراد بالإرادة الشرعية، أو بالإرادة الكونية؟ قلنا:** مراد بالإرادتين كليهما؛ **وما تقولون في إيمان أبي طالب؟ قلنا:** مراد شرعاً؛ غير مراد كوناً؛ ولذلك لم يقع؛ **وما تقولون في فسق الفاسق؟**
- قلنا: مراد كوناً لا شرعاً؛ إذاً نقول: قد تجتمع الإرادتان، كإيمان أبي بكر؛ وقد تنتفيان، مثل كفر المسلم؛ وقد توجد الإرادة الكونية دون الشرعية، مثل كفر الكافر؛ وقد توجد الشرعية دون الكونية، كإيمان الكافر. "اهـ.

وفي المسألة التالية مزيد تفصيل عن أقسام الإرادة:

○ المسألة الرابعة: صفة الإرادة وأقسامها .

يقرر أهل السنة والجماعة بأنه تعالى كما قال: ﴿فعال لما يريد﴾ سورة هود، الآية: ١٠٧ وبأن إرادته تعالى نوعان:

■ إرادة كونية: يقع بها مراده، ولا يلزم أن يكون محبوباً له، وهي التي بمعنى المشيئة كقوله تعالى: ﴿ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد﴾ سورة البقرة، الآية: ٢٥٣ .

■ وإرادة شرعية: لا يلزم منها وقوع المراد ، ولا يكون المراد فيها إلا محبوباً له كقوله تعالى: ﴿والله يريد أن يتوب عليكم﴾ سورة النساء، الآية: ٢٧ .

وبمعنى آخر: إرادة الله صفة من صفاته ، وتنقسم إلى قسمين : كونية : وهي التي بمعنى المشيئة . وشرعية: وهي التي بمعنى المحبة . **فدليل الكونية** قوله تعالى : ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ (الأنعام: من الآية ١٢٥) . **ودليل الشرعية** قوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ (النساء: ٢٧) .

● قال شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» (٨ / ١٤٠): "...وبالجملة فالذي عليه سلف الأمة وأئمتها ما بعث الله به رسله وأنزل كتبه فيؤمنون بخلق الله وأمره ، بقدره وشرعه ، **بحكمه الكوني وحكمه الديني ، وإرادته الكونية والدينية ،**

● - (فقال في الحكم الكوني والإرادة الكونية) - كما قال في الآية: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٥] وقال نوح عليه السلام : ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [هود: ٣٤]

● وقال تعالى في الإرادة الدينية : ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥] وقال : ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنْنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النساء: ٢٦] وقال : ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: ٦]

وهم مع إقرارهم بأن الله خالق كل شيء وربهم ومليكه ، وأنه خلق الأشياء بقدرته ومشينته ، يقرون بأنه لا إله إلا هو ، لا يستحق العبادة غيره ، ويطيعونه ويطيعون رسله ، ويحبونه ويرجونه ويخشونه ، ويتكلمون عليه وينيبون إليه ، ويوالون أوليائه ويعادون أعداءه ، ويقرون بمحبته لما أمر به ولعبادته

المؤمنين أيضاً ورضاه بذلك، وبغضه لما نهى عنه، وللكافرين وسخطه لذلك ومقته له، ويقرون بما استفاض عن النبي ﷺ من " أن الله أشد فرحاً بتوبة عبده التائب من رجل أضل راحلته بأرض دوية مهلكة عليها طعامه وشرابه فطلبها فلم يجدها ، فقال تحت شجرة ، فلما استيقظ إذا بدابته عليها طعامه وشرابه ، فאלله أشد فرحاً بتوبة عبده من هذا براحلته "(١) فهو إلههم الذي يعبدونه ورهبهم الذي يسألونه كما قال تعالى : ﴿ الحمد لله رب العالمين - إلى قوله - إياك نعبد وإياك نستعين فهو المعبود المستعان. " اه من كلام شيخ الإسلام ماعدا الجملة المعترضة.

○ **مسألة :** ما الفرق بين القضاء والمقضي ؟ : القضاء فعل الله ، والمقضي مفعول الله ، فهل الواجب على الإنسان الإيمان بالقضاء أو المقضي ؟ وهل يجب الرضا بهما ؟
يجب الإيمان بالقضاء مطلقاً ، أما المقضي **فقد يكون شرعياً ، وقد يكون كونياً** : .
فالمقضي شرعاً يجب الرضا به ، فإن كان حكماً شرعياً وجب الرضا به فيجب علينا أن نرضى بوجوب الصلاة ونرضى بتحريم الزنا وجوباً .
أما إذا كان المقضي كونياً فإما أن يكون ملائماً للنفس أو مؤلماً للنفس ، فإن كان ملائماً فالرضا به طبيعي فطري ، وإن كان مؤلماً ، فالناس فيه على أربعة مراتب : ساخط ، وصابر ، وراضٍ ، وشاكر :

- **المرتبة الأولى : مرتبة السخط :** أن يسخط هذا الذي قضاه الله ، يسخطه ، وعلامة السخط: أن يقول قولاً منكراً أو يفعل فعلاً منكراً ، **مثال القول:** أن يقول: ياويلاه ، واثيراه ، و ما أشبه ذلك من الكلمات التي تنبئ عن التسخط ، **وأما الفعل المنكر:** فمثل: لطم الخدود ، شق الجيوب ، نتف الشعور ، القفز حتى يسقط على الأرض فهذا تسخط فعلي ، ولهذا قال النبي ﷺ :
■ **ففيهما عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَطَمَ الْخُدُودَ وَشَقَّ الْجُيُوبَ وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ** "(٢) ، فالأولان فعلان ، والثالث قول.

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٨ / ٦٧) برقم: (٦٣٠٨) (كتاب الدعوات ، باب التوبة) (بهذا اللفظ) ومسلم في "صحيحه" (٨ / ٩٢) برقم: (٢٧٤٤) (كتاب التوبة ، باب في الحض على التوبة والفرح بها) (بنحوه). من حديث ابن مسعود ؓ

(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٢ / ٨١) برقم: (١٢٩٤) (كتاب الجنائز ، باب ليس منا من شق الجيوب) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (١ / ٦٩) برقم: (١٠٣) (كتاب الإيمان ، باب تحريم ضرب الخدود وشق الجيوب والدعاء بدعوى الجاهلية) (بنحوه).

● **المرتبة الثانية : مرتبة صبر** ، يتألم الإنسان نفسياً ولكنه يصبر ، لا يشق ثوباً ولا يلطم خدّاً ولا يقول منكراً ، وهذه المرتبة واجبة .

● **المرتبة الثالثة : مرتبة الرضا** ، أن يرضى بقضاء الله معناه أن يكون مطمئناً منشرح الصدر بما قضى الله عز وجل ، لا يتألم نفسياً ، هو يكره هذا الشيء لاشك ، لأنه لا يلائم النفوس لكنه لا يتألم نفسياً ، يقول : هذا قضاء الله وأنا ملكٌ من جُمْلَةٍ من ملك الله عز وجل له أن يفعل فيّ ما شاء ، مطمئن .
 هذه المرتبة تختلف فيها العلماء على قولين : منهم من قال : إنها واجبة ، ومنهم من قال : أنها مستحبة ، والصحيح : أنها مستحبة وليست بواجبة ، لأنها صعبة على كثير من النفوس ، علامة الرضا أنك لو سألتَه فقلت : هل أنت تأثرت بهذا الذي قضاه الله عليك لقال : لا ، لأنني أعلم أن الله لم يُقَدِّرْ لي شيئاً إلا كان خيراً لي أنا مؤمن والله لا يقضي لعبده المؤمن قضاءً إلا كان خيراً له .

● **المرتبة الرابعة : مرتبة الشكر** ، هذه المرتبة أعلى من التي قبلها ، لأنها رضاٌ وزيادة ، فإذا قال قائل : كيف يشكر الله على المصيبة ؟ قلنا : يشكر الله على المصيبة لأنه يعلم أن ثوابها وأجرها إذا صبر عليها واحتسب الأجر أكثر من مصيبتها ، فيشكر الله على هذا ، **لأن ما يترتب عليه من الخير أكثر مما يترتب عليه من الأذى** ، فمن هذه الناحية يشكر الله ، وقد قال أهل العلم أو بعضٌ منهم : إن هذه المرتبة أعلى من التي قبلها أعلى من الرضا ، فهذا حكم الرضا بالمقضي .
 ■ وبناء على ذلك فإذا كان المقضي شرعياً فهو باعتبار فعل العبد ، مرضيٌّ به إذا كان طاعة ، ومسخوط إن كان معصية ، فهذا أيضاً يُضافُ إلى المقضي كوناً ، يعني ما قضاه الله كوناً من الأمور الشرعية ليس باعتبار فعله وتشريعهِ ، بل باعتبار وقوعه من العبد ، فنقول : إذا كان طاعة فهو مرضي ، إذا كان معصية فهو مسخوط يجب السخط به .

وعليه فالخلاصة:

● أن المقضي إن كان شرعياً فيُنظَرُ فيه من وجهين : **الوجه الأول : باعتباره واقعاً من الله ، الثاني : باعتباره واقعاً من العبد** ، ، فنقول : الرضا بالأمر الشرعي من حيث وقوعه من الله واجب بلا تفصيل مثاله : الرضا بوجوب الصلاة وبتحريم الزنا مثلاً ، وأما من حيث وقوعه من العبد : فإن كان طاعةً وَجَبَ الرضا به ، وإن كان معصيةً وَجَبَ سَخَطُهُ ، **وهو من القضاء الكوني ليس باعتبار فعله وتشريعهِ ، بل باعتبار وقوعه من العبد ، فإن أطاع فقد وافق القضاء (الإرادة) الكوني لكونه وقع ، ووافق القضاء (الإرادة) الشرعي ؛ لأنه وقع ما قضاه (أرادَه) الله شرعاً .**

وإن عصى فقد خالف القضاء (الإرادة) الشرعي ؛ لكونه وقع على خلاف القضاء (الإرادة) الشرعي ، ووافق القضاء (الإرادة) الكوني لكونه وقع . **ولهذا يجب علينا أن ننكر على العاصي** ، فإذا قال : هذا قضاء الله وقدره ، قلنا : نعم نحن نرضى بقضاء الله وقدره ، نرضى بأن الله قدّره عليك ، **هذا من باب إثبات فعل الله ، لكن باعتبار فعلك لا نرضى به .**

- وإذا كان المقضي كونياً يعني قضاءه (أرادته) الله كوناً فإما أن يكون ملائماً للنفس أو مؤملاً لها : فإن كان ملائماً للنفس مثل : الصحة والرزق والولد والزوجة وما أشبه ذلك فهذا الرضى به فطري لا يحتاج أن نقول : واجب أو غير واجب ، إذا كان مؤملاً فالناس فيه على أربعة مراتب الواجب فيه من هذه المراتب هو الصبر كما تقدم .^(١)

والمسألة التالية لها تعلق مباشر بهذه المسألة :

(١) - نقلته بتصريف يسير من كلام الشيخ محمد بن عثيمين من «شرح العقيدة السفارينية» (١/ ٣٦٩) فما بعدها.

○ **المسألة الخامسة:** لا ينسب الشر لله وإن كان هو الذي خلقه وأراد وقوعه كونا .

خلق الله الخير والشر لما له في ذلك من الحكمة التي باعتبارها كان فعله حسنا متقنا كقوله: ﴿الذي أحسن كل شيء خلقه﴾ ﴿صنع الله الذي أتقن كل شيء﴾ **فلهذا لا يضاف إليه الشر مفردا إلا أحد ثلاثة وجوه:**

- أن يدخل في عموم المخلوقات، كما في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ .
- أو يضاف إلى السبب المخلوق كقوله تعالى: ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ .
- أو أن يحذف فاعله كقوله تعالى حكاية عن الجن: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ وقوله تعالى: ﴿أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ فذكر أنه فاعل النعمة ، وحذف فاعل الغضب .
- قال النبي، ﷺ: " والشر ليس إليك" ^(١) **رواه مسلم** . فنفس قضاء الله تعالى ليس فيه شراً أبداً ، لأنه صادر عن رحمة وحكمة . **وإنما يكون الشرفي مقتضياته :**
- **(صحيح) لقول النبي ﷺ** ، في دعاء القنوت الذي علمه الحسن: "وقني شرما قضيت" ^(٢) . **فأضاف الشر إلى ما قضاه** (فلا يقال قنا شرك تعالى الله عن ذلك). ومع هذا فإن الشرفي المقضيات ليس شراً خالصاً محضاً ، بل هو شرفي محله من وجه ، خير من وجه ، أو شرفي محله ، خير في محل آخر . **فالفساد في الأرض من:** الجذب، والمرض، والفقر، والخوف شر، لكنه خير في محل آخر. قال الله تعالى: ﴿ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون﴾ سورة الروم، الآية: ٤١. وقطع يد السارق ، ورجم الزاني شر بالنسبة للسارق والزاني في قطع اليد وإزهاق النفس ، لكنه خير لهما من وجه آخر ، حيث يكون كفارة لهما ، فلا يجمع لهما

(١) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٢ / ١٨٥) برقم: (٧٧١) (كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه) (بهذا اللفظ)

(٢) - أخرجه ابن الجارود في "المنتقى" (١ / ١١١) برقم: (٣٠٠) (بهذا اللفظ) ، وابن خزيمة في صحيحه (٢ / ١٥١): برقم ١٠٩٥ ، وابن حبان في "صحيحه" (٢ / ٤٩٨) برقم: (٧٢٢) (ينحوه) ، والحاكم في "مستدركه" (٣ / ١٧٢) برقم: (٤٨٢٩) (بمثله) . وصححه ، (والنسائي في "المجتبى" (١ / ٣٦٨) برقم: (١٧٤٤ / ١) (بمثله) ، وأبو داود في "سننه" (١ / ٥٣٦) برقم: (١٤٢٥) (بمثله) ، والترمذي في "جامعه" (١ / ٤٧٨) برقم: (٤٦٤) (بمثله) . وقال: "هذا حديث حسن لا نعرفه إلا من هذا الوجه" ، وابن ماجه في "سننه" (٢ / ٢٥٢) برقم: (١١٧٨) (بمثله) ، وأحمد في "مسنده" (١ / ٤٣٣) برقم: (١٧٤٠) (بمثله) . قال النووي في «خلاصة الأحكام» (١ / ٤٥٥): "رواه الثلاثة بإسناد صحيح". وقال ابن حجر في «بلوغ المرام من أدلة الأحكام ت الفحل» (ص ١٤٧): "رواه الخمسة ، وزاد الطبراني والبيهقي: «ولا يعز من عاديت» ، زاد النسائي من وجه آخر في آخره: "وصلى الله على النبي" . قال الأرئوط في «مسند أحمد» (٣ / ٢٤٥ ط الرسالة): "إسناده صحيح" . وصححه الألباني في «إرواء الغليل» (٢ / ١٧٢): برقم ٤٢٩ .

بين عقوبتي الدنيا والآخرة ، وهو أيضاً خير من وجه آخر حيث إن فيه حماية الأموال والأعراض والأنساب. وخير من وجه ثالث للمجتمع حولهما في الزجر عن فعل مثل ذلك ، وكذلك القصاص ، فقد قال تعالى : ﴿ولكم في القصاص حياة﴾

■ الإشكال في المسألة:

■ أولاً: الأحاديث التي تفيد أن الشر من الله تعالى وأنه واقع بتقديره:

جاءت عدة أحاديث تفيد أن الخير والشر كلاهما واقع بتقدير الله تعالى ومن هذه الأحاديث ما يلي:

■ ١ - فيهما حديث **عمر بن الخطاب** رضي الله عنه أن جبريل عليه السلام سأل رسول الله ﷺ عن الإيمان فقال: "أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر **وتؤمن بالقدر خيره وشره**"^(١).

■ ٢ - **في مسلم حديث عبد الله بن عمر** رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: "كل شيء بقدر حتى العجز والكيس"^(٢).

■ قال ابن عبد البر رحمه الله: "وفي هذا الحديث أدل الدلائل وأوضحها على أن الشر والخير كل من عند الله، وهو خالقهما لا شريك له ولا إله غيره، لأن العجز شر ولو كان خيراً ما استعاذ منه رسول الله ﷺ، ألا ترى أن رسول الله ﷺ قد استعاذ من الكسل والعجز والجبن والدين ، **ومحال أن يستعين من الخير**".

● ثانياً: الأحاديث التي تفيد عدم إضافة الشر إلى الله تعالى:

■ **في صحيح مسلم حديث علي بن أبي طالب** رضي الله عنه في دعاء الاستفتاح للصلاة، وفيه: "أن النبي ﷺ قال: "لبيك وسعديك والخير كله في يديك **والشر ليس إليك**"^(٣)..

● **بيان وجه التعارض:** مما لا شك فيه عند أهل السنة والجماعة أن الخير والشر من الله عز وجل وأنه تعالى مُقدر كل منهما، وخالق كل منهما كما يدل عليه عموم قوله تعالى ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ وقوله: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ .

(١) - سبق تخريجه.

(٢) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ٥١) برقم: (٢٦٥٥) (كتاب القدر ، باب كل شيء بقدر) (بهذا اللفظ) .

(٣) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٢ / ١٨٥) برقم: (٧٧١) (كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه) (بهذا اللفظ) .

- قال أبو عثمان الصابوني: "ويشهد أهل السنة ويعتقدون أن الخير والشر والنفع والضرر بقضاء الله وقدره، لا مرد لها ولا محيص ولا محيد عنها، ولا يصيب المرء إلا ما كتبه له ربه".
- وقال النووي رحمه الله: "مذهب أهل الحق أن كل المحدثات فعل الله تعالى وخلقه سواء خيرها وشرها".
- وقال ابن حجر رحمه الله: "ومذهب السلف قاطبة أن الأمور كلها بتقدير الله تعالى".
- وقال أيضاً معلقاً على حديث ابن مسعود رضي الله عنه: "إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه": "وفيه أن جميع الخير والشر بتقدير الله تعالى وإيجاده".

• مذاهب العلماء تجاه هذا التعارض

تقدم لنا أنه لا إشكال عند أهل السنة والجماعة في كون الشر إنما يقع بتقدير الله تعالى وقضائه، وبالتالي فإن الإشكال ينحصر في حديث "والشر ليس إليك"، وقد سلك أهل العلم في توجيهه عدة مسالك كلها تنحى منحى الجمع، وإليك بيان ذلك:

○ المسلك الأول:

أن المعنى والشر لا يُتقرب به إليك ، وإلى هذا ذهب الخليل بن أحمد والنضر بن شميل وإسحاق بن راهويه ويحيى بن معين وأبو بكر بن خزيمة والأزهري والطحاوي عليهم رحمة الله.

○ المسلك الثاني:

أن المعنى والشر لا يضاف إليك على انفراده فلا يُقال: يا خالق الشر ويا مقدر الشر ويا خالق القردة والخنازير ونحوها ، وإلى هذا ذهب أبو عثمان الصابوني وحكى عن المزني وغيره.

○ المسلك الثالث: أن المعنى والشر لا يصعد إليك إنما يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح .

○ **المسلك الرابع:** أن المعنى أن الله تعالى لا يخلق شرّاً محضاً وأن الشر الذي يخلقه تعالى ليس شرّاً بالنسبة إليه، لأنه صادر عن حكمة بالغة، فقضاء الله وقدره كله خير لا شرف فيه بوجه من الوجوه، وإنما يكون الشر في المقضي الذي هو مفعوله ومخلوقه. ففرق بين فعل الله الذي هو فعله ؛ فإنه كله خير ، وبين مفعولاته ومخلوقاتة فإن فيها الخير والشر.

وإلى هذا القول ذهب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وابن أبي العز وسليمان بن عبد الله عليهم رحمة الله.

- قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "والشر ليس إليك" فإنه لا يخلق شرًا محضًا بل كل ما يخلقه ففيه حكمة، هو باعتبارها خير، ولكن قد يكون فيه شر لبعض الناس وهو شر جزئي إضافي، فأما شر كلي، أو شر مطلق، فالرب منزّه عنه، **وهذا هو الشر الذي ليس إليه**."
- وقال ابن القيم عليه رحمة الله تعليقًا على قوله ﷺ: "والشر ليس إليك": "فتبارك وتعالى عن نسبة الشر إليه، بل كل ما نسب إليه فهو خير، والشر إنما صار شرًا لانقطاع نسبته وإضافته إليه، فلو أضيف إليه لم يكن شرًا، وهو سبحانه خالق الخير والشر، **فالشرف في بعض مخلوقاته لا في خلقه وفعله**، وخلق وفعله وقضاؤه وقدره خير كله؛ **ولهذا تنزه سبحانه عن الظلم الذي حقيقته: وضع الشيء في غير محله**، فلا يضع الأشياء إلا في مواضعها اللائقة بها، وذلك خير كله، والشر وضع الشيء في غير محله، فإذا وُضع في محله لم يكن شرًا، فعلم أن الشر ليس إليه وأسماءه الحسنى تشهد بذلك."
- وقال أيضًا: "**القدر لا شرف فيه بوجه من الوجوه**؛ فإنه علم الله وقدرته وكتابه ومشيئته، وذلك خير محض وكمال من كل وجه، فالشر ليس إلى الرب تعالى بوجه من الوجوه، لا في ذاته ولا في أسمائه ولا في صفاته ولا في أفعاله، وإنما يدخل الشر الجزئي الإضافي في المقضي المقدّر، ويكون شرًا بالنسبة إلى محلّ، وخيرًا بالنسبة إلى محل آخر، وقد يكون خيرًا بالنسبة إلى المحل القائم به من وجه، كما هو شره من وجه بل هذا هو الغالب، وهذا كالقصاص وإقامة الحدود وقتل الكفار، فإنه شر بالنسبة إليهم لا من كل وجه، بل من وجه دون وجه، وخير بالنسبة إلى غيرهم لما فيه من مصلحة الزجر والنكال ودفع الناس بعضهم ببعض."

• الترجيح

- في الحقيقة أن جميع المعاني السابقة للحديث معاني صحيحة يمكن أن يحمل الحديث عليها، وإن كان المعنى الأخير أعم وأشمل في تنزيه الله تعالى عن الشر، كما أنّه الأقرب لظاهر الحديث والله تعالى أعلم.
- قال ابن القيم رحمه الله: "والشر ليس إليك" معناه أجل وأعظم من قول من قال والشر لا يتقرب به إليك، وقول من قال: والشر لا يصعد إليك، وأن هذا الذي قالوه وإن تضمن تنزيهه عن صعود الشر إليه والتقرب به إليه فلا يتضمن تنزيهه في ذاته وصفاته وأفعاله عن الشر، بخلاف لفظ المعصوم الصادق المصدق، فإنه يتضمن تنزيهه في ذاته تبارك وتعالى عن نسبة الشر إليه بوجه ما، لا في صفاته ولا في أفعاله ولا في أسمائه، وإن دخل في مخلوقاته."

○ **مسألة:** هل يقال إن الله يريد للشر؟ الجواب عن ذلك:

أنه لا يمكن إطلاق القول بإرادة الله للشر لا نفيًا ولا إثباتًا ؛ لأن أهل السنة والجماعة يُفصلون في ذلك ويقسمون الإرادة كما تقدم إلى قسمين:

- أحدهما: الإرادة الكونية والتي بمعنى المشيئة ومن أمثلتها: -قوله تعالى حكاية عن نوح عليه السلام: ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ﴾ .
- ثانيهما: الإرادة الشرعية والتي بمعنى المحبة ومن أمثلتها: - قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ ، وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ ..﴾

والفرق بين الإرادتين:

١ - أن الإرادة الكونية تتعلق فيما وقع ، سواءً أحبه الله أم كرهه ، وأما الإرادة الشرعية فتتعلق فيما أحبه الله سواءً وقع أم لم يقع.

٢ - الإرادة الكونية يتعين فيها وقوع المراد ، وأما الإرادة الشرعية فلا يتعين فيها وقوع المراد. وبناءً على هذا التفصيل نقول: إن الله تعالى أراد الشر والكفر والمعاصي كونًا وقدرًا ، لكنه لم يردّها شرعًا ؛ لأنه تعالى لا يحبها ولا يرضاها كما قال عز وجل: ﴿وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ .

- قال ابن القيم رحمه الله: "وتحقيق القول في ذلك: أنّه يمتنع إطلاق إرادة الشر عليه وفعله ، نفيًا وإثباتًا ؛ لما في إطلاق لفظ الإرادة والفعل من إيهام المعنى الباطل ، ونفى المعنى الصحيح ، فإن الإرادة تطلق بمعنى المشيئة وبمعنى المحبة والرضا".
- وقال أيضًا: "فإذا قيل هو يريد للشر أوهم أنّه محب له راض به ، وإذا قيل إنه لم يرده أوهم أنه لم يخلقه ولا كونه وكلاهما باطل".

● **وقد ضل في هذه المسألة فريقان من الناس:**

- أحدهما: القدرية النفاة.
- وثانيهما: المجبرة.
- أما الأولى فقالت: إن الشر والكفر والمعاصي لا يحبها الله ولا يرضاها ، فهي واقعة بغير مشيئته تعالى وإرادته.
- وقالت الجبرية: بل هي واقعة بمشيئة الله تعالى وإرادته وعلى هذا فهو يحبها ويرضاها.

ومنشأ ضلال هاتين الفرقتين هو: التسوية بين المشيئة وبين المحبة والرضا - (أي بين الإرادتين الكونية والشرعية)-، فقالت الجبرية: الكون كله بقضاء الله وقدره فيكون محبوباً مرضياً، وقالت القدرية النفاة: ليست المعاصي محبوبة لله ولا مرضية له فليست مقدرة ولا مقضية فهي خارجة عن مشيئته وخلقه.

- قال القاضي عبد الجبار: "المحبة والرضا والإرادة من باب واحد ؛ بدلالة أنه لا فرق بين أن يقول القائل: أحببت أو رضيت، وبين أن يقول: أردت، حتى لو أثبت أحدهما ونفى الآخر لعد متناقضاً".
- وقال شيخ الإسلام: "وجههم ومن وافقه من المعتزلة اشتركوا في أن مشيئة الله ومحبته ورضاه بمعنى واحد، ثم قالت المعتزلة: وهو لا يحب الكفر والفسوق والعصيان ، فلا يشاؤه فقالوا إنه يكون بلا مشيئة. وقالت الجهمية: بل هو يشاء ذلك فهو يحبه ويرضاه". والحق في ذلك هو التفريق بين المشيئة _ (الإرادة الكونية)-، وبين المحبة والرضا _ (الإرادة الشرعية) كما قد دلَّ على ذلك الكتاب والسنة والعقل والفطرة الصحيحة وإجماع المسلمين.

وسياتي مزيد تفصيل عن تلك الفرقتين في المسألة التالية :

○ **المسألة السادسة:** للعبد مشيئة (إرادة) وقدرة ، وهما تبع لمشيئة الله وإرادته .

ومما يدل على أن للعبد مشيئة وقدرة ؛ قوله تعالى: ﴿فَاتُوا حَرَّتْكُمْ أَنِي شَيْئًا﴾ (البقرة: من الآية ٢٢٣) . وقوله: ﴿فَاتُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ ، وقوله: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَعَاتَيْتُمْ إِحْدَهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بِهْتِنًا وَإِنَّمَا مُبَيَّنًا﴾ [النساء: ٢٠] قال الشيخ ابن عثيمين في «تفسير العثيمين: النساء» (١ / ١٥٨): «{وَإِنْ أَرَدْتُمْ} أي: إن اخترتم، فالإرادة هنا بمعنى: المشيئة والاختيار». اهـ . فاثبت الله للعبد مشيئة وإرادة وهي القدرة على الفعل وعدمه ، إلا أنهما تابعتان لمشيئة الله تعالى وإرادته ؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (التكوير: ٢٩) . **وفعل العبد لا يصدر إلا عن إرادة وقدرة ، وخالق إرادة العبد وقدرته هو الله .** قال الله تعالى: (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ) (الصافات: ٩٦) .

والله سبحانه وتعالى يخلق ما يشاء ويحكم ما يريد، لا يسأل عما يفعل ولا معقب لحكمه ، ولا راد لقضائه وهو الحكم العدل ، الذي تنزه عن الظلم والفحش ، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩] وقال: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦] وقال تعالى في أهل النار: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾ [الزخرف: ٢٦] وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظِلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ [طه: ١١٢] ، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضْعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠]

وعلى هذا: أجمع أهل السنة والجماعة، ولم يخالف في ذلك، إلا مجوس هذه الأمة، القدرية ؛ فأنكروا أن يكون الله قدر أفعال العباد ، أو شاء وقوعها منهم ؛ وزعموا: أن الأمر أنف ؛ أي مستأنف ؛ وزعموا: أن الله لا يقدر يهدي من يشاء ويضل من يشاء ، وإنما ذلك إلى العباد ؛ وقد خرجوا في أواخر عهد الصحابة ؛ وتبرأ منهم عبد الله بن عمر بن الخطاب لما خرجوا في زمانه، وأنكر مذهبهم، وعقيدتهم ؛ كذلك غيره من الصحابة والقصة في ذلك محرره في أول صحيح مسلم كتاب الإيمان حيث جاء فيه :

■ **في صحيح مسلم:** "عَنِ ابْنِ بَرِيدَةَ، عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ قَالَ: كَانَ أَوَّلَ مَنْ قَالَ فِي الْقَدَرِ بِالْبَصَرَةِ مَعْبُدُ الْجَنِّي، فَأَنْطَلَقْتُ أَنَا وَحُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْجَمِيرِيُّ حَاجِبَيْنِ أَوْ مُعْتَمِرَيْنِ، فَقُلْنَا: لَوْ لَقِينَا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَسَأَلْنَاهُ عَمَّا يَقُولُ هَؤُلَاءِ فِي الْقَدَرِ، فَوَفَّقَ لَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ دَاخِلًا الْمَسْجِدَ، فَكَتَنَفْتُهُ أَنَا وَصَاحِبِي، أَحَدُنَا عَنْ يَمِينِهِ، وَالْآخَرُ عَنْ شِمَالِهِ، فَظَنَنْتُ أَنَّ صَاحِبِي

سَيَكِلُ الْكَلَامَ إِلَيَّ ، فَقُلْتُ : أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، إِنَّهُ قَدْ ظَهَرَ قَبْلَنَا نَاسٌ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ ، وَيَتَقَفَّرُونَ الْعِلْمَ ، وَذَكَرَ مِنْ شَأْنِهِمْ ، وَأَتَمُّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ لَا قَدَرَ ، وَأَنَّ الْأَمْرُ أَنْفٌ ، قَالَ : فَإِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ ، وَأَتَمُّهُمْ بُرَاءٌ مِنِّي ، وَالَّذِي يَخْلِفُ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ لَوْ أَنَّ لِأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا فَأَنْفَقَهُ ، مَا قَبِلَ اللَّهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ " ثم ذكر حديث جبريل عليه السلام في بيان أركان الإيمان ^(١) ،

وأول من قال هذا القول : معبد الجني بالبصرة .

■ **وفي صحيح مسلم حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ مما يرويه عن ربه قال : " إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا " ^(٢)**

○ **مسألة : ضلَّ في درجة الإيمان بالمشيئة والخلق طائفتان :**

● **الطائفة الأولى : القدرية النفاة : والنفاة ينقسمون إلى فرقتين :**

■ ١ - القدرية الأولى أو الغلاة : وهم الذين ينكرون سبق علم الله بالأشياء قبل وجودها ، ويزعمون أن الله لم يقدر الأمور أزلاً ، ولم يتقدم علمه بها ، وإنما يأتنها علماً حال وقوعها .

■ ٢ - الفرقة الثانية : وهم الذين يقرون بتقدم علم الله تعالى لأفعال العباد قبل وقوعها ، لكنهم خالفوا السلف في زعمهم أن أفعال العباد ليست مخلوقة لله تعالى ، ولا مقدورة له ، وأن العباد

هم الموجدون والخالقون لأعمالهم وأفعالهم على جهة الاستقلال ، **وهذا المذهب هو الغالب عليهم الآن .**

وأول من أظهر بدعة القدر - كما يرجحه كثير من المحققين - معبد الجني ، ثم بعد ذلك ظهرت المعتزلة ^(٣) فتبنت هذه البدعة ونشرتها ، وإن كانت لم تأخذ هذه البدعة بكاملها : **لأنها آمنت بعلم الله المتقدم ، وكتابته السابقة .**

(١) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (١ / ٢٨) برقم : (٨) (كتاب الإيمان ، (بهذا اللفظ) .

(٢) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ١٦) برقم : (٢٥٧٧) (كتاب البر والصلة والآداب ، باب تحريم الظلم) (بهذا اللفظ) .

(٣) - المعتزلة : فرقة من الفرق الضالة ، من رؤوسها ومؤسسيها واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد ، **تعتقد نفي صفات الله تعالى الأزلية وعدم إثباتها ، وأن صاحب الكبيرة في الدنيا في منزلة بين المنزلتين وفي الآخرة خالد مخلد في النار ، وفي باب القدر تعتقد مذهب القدرية النفاة** ، أي أن الله غير خالق لأفعال العباد وأن العباد هم الخالقون لها على جهة الاستقلال . قيل في سبب تسميتهم بالمعتزلة : إن واصل بن عطاء كان من منتابي مجلس الحسن البصري ، فلما قال بالمنزلة بين المنزلتين علم بذلك الحسن البصري فطرده عن مجلسه ، فاعتزل عند سارية من سواري المسجد وانضم إليه قرينه في الضلالة عمرو بن عبيد ، فقال الناس يومئذ فيهما : إنهما قد اعتزلا قول الأمة ، وسمي أتباعهما من يومئذ : معتزلة .

- فالقدرية النفاة زعموا أن العبد مستقل بإرادته وقدرته ، ليس لله في فعله مشيئة (إرادة) ولا خلق .
- **الطائفة الثانية:** الجبرية حيث زعموا أن العبد مجبورا على فعله ، ليس له فيه مشيئة - (إرادة) - ولا قدرة .
- **والرد على الطائفة الأولى : القدرية** بمثل قوله تعالى : ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩] وقوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ [الأنعام: ١١٢]
- **ومن السنة:**
 - **بما ثبت في البخاري، من حديث عمران بن حصين** رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : " كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلِّ شَيْءٍ وَخَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ " ^(١)
 - **وفي لفظ للبخاري :** " كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ، ثُمَّ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلِّ شَيْءٍ " ^(٢)
- قال ابن حجر في «فتح الباري لابن حجر» (٦ / ٢٩٠): «قَوْلُهُ وَكَتَبَ أَيَّ قَدَرٍ فِي الذِّكْرِ أَيُّ فِي مَحَلِّ الذِّكْرِ أَيُّ فِي اللَّوْحِ الْمُحْفُوظِ كُلِّ شَيْءٍ أَيُّ مِنْ الْكَائِنَاتِ»
 - **وفي مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص** - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال : " **كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة** - قال - وعرضه على الماء " ^(٣) .
 - **وفي البخاري عن طارق بن شهاب قال :** **سَمِعْتُ عُمَرَ** رضي الله عنه **يَقُولُ :** قَامَ فِينَا النَّبِيُّ ﷺ مَقَامًا فَأَخْبَرَنَا عَنْ بَدْءِ الْخَلْقِ حَتَّى دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ مَنَازِلَهُمْ وَأَهْلُ النَّارِ مَنَازِلَهُمْ حَفِظَ ذَلِكَ مَنْ حَفِظَهُ وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ . " ^(٤)

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٤ / ١٠٥) برقم: (٣١٩١) (كتاب بدء الخلق ، باب ما جاء في قول الله تعالى وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده) (بهذا اللفظ) .

(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٩ / ١٢٤) برقم: (٧٤١٨) (كتاب التوحيد ، باب وكان عرشه على الماء) (بهذا اللفظ)

(٣) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ٥١) برقم: (٢٦٥٣) (كتاب القدر ، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام) (بهذا اللفظ)

(٤) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٤ / ١٠٥) برقم: (٣١٩٢) (كتاب بدء الخلق ، باب ما جاء في قول الله تعالى وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده) (بهذا اللفظ)

- **وفي البخاري عن أبي هريرة** رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال له : " جف القلم بما أنت لاق " ^(١)
- **والإيمان بالقدر خيره وشره هو أحد الأصول الستة** ، التي في حديث جبريل ، لما سأل محمدا ﷺ عن الإيمان ؟ فقال : " أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسوله ، واليوم الآخر ، وبالقدر خيره وشره " ^(٢)
- **وتقدم قريبا حديث ابن مسعود** رضي الله عنه **في الصحيحين** وفيه " **إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ** **أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ عِلْقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ** **فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ ، وَيُؤَمَّرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ يَكْتُبُ رِزْقَهُ وَأَجَلَهُ وَعَمَلَهُ ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ ، فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ** **إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ** **بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا ، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا "**
- **قال ابن بطال تعليقا على حديث ابن مسعود** رضي الله عنه في «شرح صحيح البخاري لابن بطال» (١٠ / ٢٩٦):
 «قال المهلب: في هذا الحديث رد لقول القدرية واعتقادهم أن العبد يخلق أفعاله كلها من الطاعات والمعاصي ، وقالوا: إن الله منزّه» عن أن يخلق المعاصي والزنا والكفر وشبهه ، فبان في هذا الحديث تكذيب قولهم ، بما أخبر ﷺ أنه يكتب في بطن أمه شقى أو سعيد ، مع تعريف الله العبد أن سبيل الشقاء هو العمل بالمعاصي والكفر ، فكيف يجوز أن يعمل بما أعلمه الله أنه يعذبه عليه ، ويشقيه به ، مع قدرة العبد على اختياره لنفسه ، وخلق له لأعماله دون الله؟ تعالى الله أن يكون معه خالق غيره. ثم قطع القدرية بقوله: فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها ، فلو كان الأمر إلى اختياره أترأه كان يختار خسارة عمله طول عمره بالخير ، ثم يخلق لنفسه عملاً من الشر والكفر ، فيدخل به النار؟ وهل السابق له إلا فعل ربه وخلق له ، وخلق عمله للشيء كسباً له فاكتسبه العبد لشهوة نفسه الأمانة بالسوء ، مستلذاً بذلك العمل الذي أقدره الله عليه ، بقدرة خلقها له ، بحضرة الشيطان المغوي لنفسه الأمانة له مع الشيطان بالسوء ، فاستحق العقاب على ذلك. فانقطعت حجة العبد بالندارة ، وانقطعت حجة القدرية بسابق كتاب الله على العبد العارف بما آل أمره باكتسابه للعمل القبيح ، لخلق الله له قدرة على عمله بحضرة عدويه: نفسه وشيطانه ، ولذلك نسب الشر إلى الشيطان لتزيينه له ، ونسب الخير إلى الله لخلق له لعبده ، وإقداره

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٧ / ٤) برقم: (٥٠٧٦) (كتاب النكاح ، باب ما يكره من التبطل والخصاء) (بهذا اللفظ)

(٢) - سبق تخريجه .

للعبد عليه بحضرة الملك المسدد له ، الدافع لشيطانه عنه بعزة الله وعصمته. هذا هو أصل الكلام على القدرية .

- **ثم يلزم القدرية أن يكون العبد شريكاً لله** في خلقه بأن يكون العبد يخلق أفعاله والله قد أبى من ذلك بقوله تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: ٦٢] ، وقوله: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ﴾ [فاطر: ٣] ، فخالقوا النص وأوجبوا للعبد من القدرة على خلق أعماله ما أوجب الله لنفسه تعالى من الانفراد بالخلق ، **ولذلك سميت القدرية: مجوس هذه الأمة لقولها بخالقين مثل ما قالتها المجوس** ...وقد نص الله سبحانه وتعالى على إبطال قول القدرية لعلمه بضلالهم ليهدي بذلك أهل سنته فقال: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصفات: ٩٦]

- **قال ابن بطال :** ...فقد تم دحض حجة القدرية بهذه النصوص من كلام رسوله ﷺ ، فأخبر أنه قد فرغ من الحكم على كل نفس ، وكتب القلم ما يصير إليه العبد من خير أو شر في أم الكتاب ، وجف مداده على المقدور من علم الله. **فأضله الله على علم به ، ومعرفة بما كان يصير إليه أمره لو أهمله ألا يسمعه** قد بين ذلك في كتابه حيث يقول: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ [النجم: ٣٢] . فعرفنا أنه كان بنا عالماً حين خلق آدم من طينة الأرض المختلفة ، وأحاط علماً بما يقع من تلك الطينة لكل شخص من أشخاص ولده إلى يوم القيامة ، المتناسلين من صلب إلى صلب في أعداد لا يحيط بها إلا محصيها ، وعلم ما قسمه من تلك الطينة من طيب أو خبيث ، وعلم ما يعمل كل واحد من الطاعة والمعصية ليشاهد أعماله بنفسه ، وكفى بنفسه شهيداً عليه ، وتشهد له عليه ملائكته وما عاينه من خلقه ، فتقطع حجته ، وتحقق عقوبته ؛ ولذلك قال لأبي هريرة حين أراد أن يختصي خشية الزنا على نفسه: (قد جف القلم بما أنت لاق) . فاختص على ذلك أو ذر ، فعرفه أنه لا يعدوما جرى به القلم عليه من خير أو شر ، فإنه لا بد عامله ومكتسبه ، فنهاه عن الاختصاص بهذا القول الذي ظاهره التخيير ، ومعنى النهي والتبكي لمن أراد الهروب عن القدر والتعريف له أنه إن فعل ، فإنه أيضاً من القدر المقدور عليه فيما جف به القلم عليه. " اهـ . من كلام ابن بطال.

- **قال الحافظ ابن رجب: والإيمان بالقدر على درجتين :**

- **إحداهما:** الإيمان بأن الله سبق في علمه ما يعمل العباد من خير وشر ، وطاعة ومعصية قبل خلقهم وإيجادهم ، ومن هو منهم من أهل الجنة ، ومن هو منهم من أهل النار ، وأعد لهم الثواب والعقاب

، جزاء لأعمالهم ، قبل خلقهم وتكوينهم ، وأنه كتب ذلك عنده وأحصاه ، وأن أعمال العباد تجري على ما سبق في علمه وكتابه .

■ **والدرجة الثانية:** أن الله خلق أفعال العباد كلها من الكفر والإيمان ، والطاعة والعصيان ، وشاءها منهم- (يعني وأرادها منهم **إرادة كونية**)- فهذه الدرجة يثبتها أهل السنة والجماعة ، وتنكرها القدرية . والدرجة الأولى أثبتتها كثير من القدرية ، ونفاها غلاتهم كمعبد الجني ، وقد قال كثير من أهل السلف : **ناظروا القدرية بالعلم ، فإن أقروا به خصموا ، وإن جحدوا كفروا** . وما أحسن قول الإمام الشافعي:

- فما شئت كان وإن لم أشأ
- وما شئت إن لم تشأ لم يكن
- خلقت العباد على ما علمت
- ففي العلم يجري الفتى والمسن
- على ذا مننت وهذا خذلت
- وهذا أعنت وذا لم تعن
- فمنهم شقي ومنهم سعيد
- ومنهم قبيح ومنهم حسن (م)»

○ **والرد على الطائفة الثانية** وهي: الجبرية بمثل قوله تعالى : ﴿لَمَن شَاءَ مِنكُم أَن يَسْتَقِيمَ﴾ [التكوير: ٢٨] وقوله تعالى : ﴿فَاتُّوا حَرَثَكُمُ أَيَّ شَيْئٍ شِئْتُمُ﴾ [البقرة: ٢٢٣] فأثبت للإنسان مشيئة وقدرة .

- **تنبيه :** اصطلاح "القدرية" يشمل (الجبرية والقدرية) والسلف : يسمون الجبرية قدرية ، لخوضهم في القدر ، ولهذا ترجم الخلال في كتاب " السنة " فقال : الرد على القدرية ، وقولهم إن الله جبر العباد على المعاصي ، ثم روى عن بقية ، قال : سألت الزبيدي ، والأوزاعي عن الجبر ؟ فقال الزبيدي : **أمر الله أعظم ، وقدرته أعظم من أن يجبر ، أو يعضل** ؛ ولكن يقضي ويقدر ، ويخلق ويجبل عبده على ما أوجب ، وقال الأوزاعي : **ما أعرف للجبر أصلاً من القرآن ، ولا السنة** ، فأهاب أن أقول ذلك ، ولكن القضاء والقدر والجبلة والخلق ، فهذا يعرف من القرآن والحديث .
- قال شيخ الإسلام ابن تيمية ، رحمه الله : **فهذان الجوابان ، اللذان ذكرهما هذان الإمامان** ، في عصر تابع التابعين : من أحسن الأجوبة ، أما الزبيدي ، فقال : ما تقدم ؛ وذلك لأن الجبر في اللغة إلزام

الإنسان بغير رضاه ، كما يقول الفقهاء ، هل تجبر المرأة على النكاح أم لا ؟ وإذا عضلها الولي ماذا تصنع ؟ فقال : الله أعظم من أن يجبر أو يعضل ؛ لأن الله قادر على أن يجعل العبد مختاراً ، راضياً لما يفعله ، مبغضاً تاركاً لما يتركه ، فلا جبر على أفعاله الاختيارية ، ولا عضل عما يتركه لكرهية ، أو عدم إرادته. وروي عن سفيان الثوري جبل العباد : وقال الراوي عنه ، وأظنه : أراد قوله ﷺ **لأشج** **عبد القيس** ﷺ :

■ **(صحيح)** "إِنَّ فِيكَ خَلَّتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ : الْجِلْمُ وَالْأَنَاءُ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَنَا أَتَخَلَّقُ بِهِمَا ، أَمْ اللَّهُ جَبَلَنِي عَلَيْهِمَا ؟ قَالَ : بَلِ اللَّهُ جَبَلَكَ عَلَيْهِمَا قَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَبَلَنِي عَلَى خَلَّتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ . **ولفظ أحمد** : "إِنَّ فِيكَ خَلَّتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ " ، قُلْتُ : مَا هُمَا ؟ قَالَ : " الْجِلْمُ ، وَالْحَيَاءُ " قُلْتُ : أَقَدِيمًا كَانَ فِيَّ أَمْ حَدِيثًا ؟ قَالَ : " بَلْ قَدِيمًا " قُلْتُ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَبَلَنِي عَلَى خَلَّتَيْنِ يُحِبُّهُمَا " ^(١)

● وقال المروزي للإمام أحمد إن رجلاً يقول : إن الله جبر العباد ، فقال : لا نقول هكذا ، وأنكر هذا وقال : **﴿يضل الله من يشاء ويمهدى من يشاء﴾** [المدثر : ٣١] . **وأما قولكم : هل سبق كتاب من الله في المعاصي أنها ستقع ؟ فنقول :** قد سبق بذلك الكتاب ، وجرى به القلم ، وعلم سبحانه ما خلقه عاملوه قبل أن يعملوه ؛ وتواترت بذلك الأحاديث عن رسول الله ﷺ ، في الصحيحين ، والسنن ، والمسانيد وغيرها ، ودل عليه كتاب الله ، قال الله تعالى : **﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾** [القمر : ٤٩] **﴿وخلق كل شيء فقدره تقديراً﴾** [الفرقان : ٢] وهذا يعم الذوات ، والهيئات ، والجواهر ، والأعراض .

(١) - أخرجه أبو داود في "سننه" (٤ / ٥٢٥) برقم : (٥٢٢٥) (كتاب الأدب ، باب في قبلة الرجل) (بهذا اللفظ) ، وأحمد في "مسنده" (١١ / ٥٧٣٧) برقم : (٢٤٤٣٦) (مسند الأنصار رضي الله عنهم ، الوازع رضي الله عنه) (بنحوه مطولاً) . قال الأرئوط في «مسند أحمد» (٢٩ / ٣٦١ ط الرسالة) : «إسناده صحيح ، رجاله ثقات رجال الشيخين غير صحابييه الأشج : واسمه المنذر بن عانذ بن المنذر العصري ، فقد روى له البخاري في "الأدب" والنسائي ، وهو المعروف أيضاً بأشج عبد القيس ، وكان سيد قومه ، رجع معهم بعد وفادته على النبي صلى الله عليه وسلم وإسلامه إلى البحرين ، ثم نزل البصرة بعد ذلك ، ومات بها» . وصححه الألباني في «صحيح الأدب المفرد» (ص ٢١٩) : برقم «٥٨٤ / ٤٥٥»

○ المسألة السابعة: القدر ليس بحجة في ارتكاب المعاصي .

لا حجة للعاصي على معصيته بقدر الله تعالى لأن العاصي يقدم على المعصية باختياره ، من غير أن يعلم أن الله تعالى قدرها عليه ، إذ لا يعلم أحد قدر الله تعالى إلا بعد وقوع مقدوره ﴿وما تدري نفس ماذا تكسب غداً﴾ الآية سورة لقمان ، الآية: ٣٤. فكيف يصح الاحتجاج بحجة لا يعلمها المحتج بها ، حين إقدامه على ما اعتذر بها عنه؟ **وقد أبطل الله تعالى هذه الحجة بقوله:** ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٨-١٤٩]

● قال ابن كثير في «تفسير ابن كثير - ت السلامة» (٣/ ٣٥٨): هَذِهِ مُنَاطَرَةٌ ذَكَرَهَا اللَّهُ تَعَالَى وَشِبْهَةٌ تَشَبَّهَتْ بِهَا الْمُشْرِكُونَ فِي شُرْكِهِمْ وَتَحْرِيمٍ مَا حَرَمُوا ؛ فَإِنَّ اللَّهَ مُطَّلِعٌ عَلَى مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الشِّرْكِ وَالتَّحْرِيمِ لِمَا حَرَّمُوهُ ، وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى تَغْيِيرِهِ بِأَنْ يُلْهِمَنَا الْإِيمَانَ ، أَوْ يَحُولَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْكُفْرِ ، فَلَمْ يُغَيِّرْهُ ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ بِمَشِيئَتِهِ وَإِرَادَتِهِ وَرِضَاهُ مِنَّا ذَلِكَ ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ﴾ كَمَا فِي قَوْلِهِ [تَعَالَى] : ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾ [الزُّحُرْفِ: ٢٠] ، وَكَذَلِكَ الَّتِي فِي "النَّحْلِ" مِثْلُ هَذِهِ سَوَاءٌ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ **أَي: بِهَذِهِ الشُّبْهَةِ ضَلَّ مَنْ ضَلَّ قَبْلَ هَؤُلَاءِ. وَهِيَ حُجَّةٌ دَاحِضَةٌ بَاطِلَةٌ ؛ لِأَنَّهَا لَوْ كَانَتْ صَحِيحَةً لَمَا أَذَاقَهُمُ اللَّهُ بَأْسَهُ ، وَدَمَّرَ عَلَيْهِمْ ، وَأَدَاَلَ عَلَيْهِمْ رَسُولَهُ الْكَرَامَ ، وَأَذَاقَ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الْإِيمِ الْإِنْتِقَامَ.** ﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ﴾ **أَي: بِأَنَّ اللَّهَ [تَعَالَى] رَاضٍ عَنْكُمْ فِيمَا أَنْتُمْ فِيهِ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا** **أَي: فَتُظْهِرُوهُ لَنَا وَتُبَيِّنُوهُ وَتُبْرِزُوهُ ،** ﴿إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ **أَي: الْوَهْمَ وَالْخَيَالَ. وَالْمُرَادُ بِالظَّنِّ هَاهُنَا: الْإِعْتِقَادُ الْفَاسِدُ.** ﴿وَأَنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ **أَي: تَكْذِبُونَ عَلَى اللَّهِ فِيمَا ادَّعَيْتُمُوهُ.** قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا] : ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا﴾ وَقَالَ ﴿كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ ثُمَّ قَالَ ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا﴾ [الأنعام: ١٠٧] ، فَإِنَّهُمْ قَالُوا: عِبَادَتُنَا الْإِلَهَةَ تُقَرِّبُنَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى فَأَخْبَرَهُمُ اللَّهُ أَنَّهَا لَا تُقَرِّبُهُمْ ، وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا﴾ ، يَقُولُ تَعَالَى: لَوْ شِئْتُ لَجَمَعْتُهُمْ عَلَى الْهُدَى أَجْمَعِينَ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ يَقُولُ [تَعَالَى] لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿قُلْ﴾ لَهُمْ - يَا مُحَمَّدُ: ﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾ **أَي: لَهُ الْحِكْمَةُ التَّامَّةُ ، وَالْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فِي هِدَايَةِ مَنْ هَدَى ، وَإِضْلَالِ مَنْ أَضَلَّ ،** ﴿فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ وَكُلُّ ذَلِكَ بِقُدْرَتِهِ وَمَشِيئَتِهِ وَاخْتِيَارِهِ ، وَهُوَ مَعَ

ذَلِكَ يَرْضَى عَنِ الْمُؤْمِنِينَ وَيُبْغِضُ الْكَافِرِينَ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى﴾ [الأنعام: ٣٥] ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا﴾ [يونس: ٩٩] ، وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأُمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ قَالَ الضَّحَّاكُ: لَا حُجَّةَ لِأَحَدٍ عَصَى اللَّهَ، وَلَكِنْ لِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ عَلَى عِبَادِهِ» .

- **قلت وهناك وجه آخر في قوله تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ وهو:**
إذا كان الله قادرا على هداية الناس أجمعين ، فلماذا اهتدى المؤمنون ، وضللتهم . فلو كان الأمر متعلقا بمشيئة الله النافذة لهدى الناس جميعا ، ولكنه سبحانه أوضح للناس أجمعين طريق الهداية وطريق الضلالة ، ومكنهم من الآلات التي يتبين بها كلا الطريقين ، وبعث لهم الرسل التي تبين لهم طريق الهدى وتحذرهم طرق الضلالة ، **فاخترتم بإرادتكم طريق الضلالة ، واستحببتموها على طريق الهداية فأضللكم بسبب كفركم وصدودكم عن الحق عدلا منه ، ووفق غيركم ممن هو أهل-وهو أعلم بالمهتدين- لطريق الهداية فضلا منه . وماربك بظلام للعبيد . فلو كان الأمر متعلقا بمحض المشيئة والقدرة لهدى الناس جميعا وجعلهم كالملائكة لا يعصون الله ما أمرهم . وحينئذ تختفي حكمة الابتلاء والامتحان . والله تعالى أعلم.**

■ **والدليل على أن فعل العبد باختياره وقدرته ، وأنه لاجبة له في القدر لتبرير معصيته أمور منها:**

■ **الأول:** قوله تعالى: ﴿فَأْتُوا حَرَّتْكُمْ أَنِّي شَتُّمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٣] . وقوله: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً﴾ [التوبة: ٤٦] فأتيت للعبد إتياناً بمشيئته ، وإعداداً بإرادته.

■ **الثاني:** توجيه الأمر والنهي إلى العبد ، ولو لم يكن له اختيار وقدره ؛ لكان توجيه ذلك إليه من التكليف بما لا يطاق ، وهو أمر تاباه حكمة الله تعالى ورحمته وخبره الصادق في قوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]

■ **الثالث:** مدح المحسن على إحسانه ، وذم المسيء على إساءته وإثابة كل منهما بما يستحق . ولولا أن فعل العبد يقع بإرادته واختياره ، لكان مدح المحسن عبثاً وعقوبة المسيء ظلماً ، والله تعالى منزّه عن العبث والظلم .

■ **الرابع:** أن الله تعالى أرسل الرسل ﴿رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾ . ولولا أن فعل العبد يقع بإرادته واختياره ، ما بطلت حجته بإرسال الرسل.

■ **الخامس:** أن كل فاعل يحس أنه يفعل الشيء ، أو يتركه بدون أي شعور بإكراه ، فهو يقوم ، ويقعد ، ويدخل ، ويخرج ، ويسافر ، ويقيم بمحض إرادته ، ولا يشعر بأن أحداً يكرهه على ذلك ، بل يفرق تفريقاً واقعياً بين أن يفعل الشيء باختياره وبين أن يكرهه عليه مكره. **وكذلك فرق الشرع بينهما تفريقاً حكماً ، فلم يؤخذ الفاعل بما فعله مكرهاً عليه ، فيما يتعلق بحق الله تعالى.**

وقد سئل : رسول الله ﷺ عن هذه المسألة بعينها ، فأجاب بما شفى وكفى :

■ **فروى مسلم في صحيحه عن أبي الأسود الدبيلي قال :** قَالَ لِي عِمْرَانُ بْنُ الْحُصَيْنِ : أَرَأَيْتَ مَا يَعْمَلُ النَّاسُ الْيَوْمَ وَيَكْدَحُونَ فِيهِ ، أَسَيِّءُ قُضِيَ عَلَيْهِمْ وَمَضَى عَلَيْهِمْ مِنْ قَدَرٍ مَا سَبَقَ ؟ أَوْ فِيمَا يُسْتَقْبَلُونَ بِهِ مِمَّا أَتَاهُمْ بِهِ نَبِيُّهُمْ ، وَتَبَتِ الْحُجَّةُ عَلَيْهِمْ ؟ فَقُلْتُ : بَلْ شَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ ، وَمَضَى عَلَيْهِمْ قَالَ فَقَالَ : أَفَلَا يَكُونُ ظُلْماً ؟ قَالَ : فَفَزَعْتُ مِنْ ذَلِكَ فَرَعًا شَدِيدًا ، وَقُلْتُ : كُلُّ شَيْءٍ خَلَقَ اللَّهُ وَمَلَكَ يَدِهِ فَلَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ . فَقَالَ لِي : يَرْحَمُكَ اللَّهُ إِنِّي لَمْ أُرِدْ بِمَا سَأَلْتُكَ إِلَّا لِأَخْزَرَ عَقْلَكَ إِنَّ رَجُلَيْنِ مِنْ مَرْيَنَةَ أَتَيَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ مَا يَعْمَلُ النَّاسُ الْيَوْمَ ، وَيَكْدَحُونَ فِيهِ أَسَيِّءُ قُضِيَ عَلَيْهِمْ وَمَضَى فِيهِمْ مِنْ قَدَرٍ قَدْ سَبَقَ ، أَوْ فِيمَا يُسْتَقْبَلُونَ بِهِ مِمَّا أَتَاهُمْ بِهِ نَبِيُّهُمْ ، وَتَبَتِ الْحُجَّةُ

عَلَيْهِمْ؟ فَقَالَ: لَا بَلْ شَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ، وَمَضَى فِيهِمْ وَتَصَدِيقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾. (١)

■ **وفي صحيح مسلم عن جابر** رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكٍ بْنِ جُعْشَمٍ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ بَيْنَ لَنَا دِينُنَا كَأَنَّا خُلِقْنَا الْآنَ فِيمَا الْعَمَلُ الْيَوْمَ؟ أَفِيمَا جَفَّتْ بِهِ الْأَقْلَامُ، وَجَرَتْ بِهِ الْمَقَادِيرُ، أَمْ فِيمَا نَسْتَقْبِلُ؟ قَالَ: لَا بَلْ فِيمَا جَفَّتْ بِهِ الْأَقْلَامُ، وَجَرَتْ بِهِ الْمَقَادِيرُ، قَالَ: فَفِيمَا الْعَمَلُ؟ قَالَ زُهَيْرٌ: ثُمَّ تَكَلَّمَ أَبُو الزُّبَيْرِ بِشَيْءٍ لَمْ أَفْهَمْهُ فَسَأَلْتُ: مَا قَالَ؟ فَقَالَ: **اعْمَلُوا فَكُلُّ مَيْسَرٍ**. "وفي لفظ له **كُلُّ عَامِلٍ مَيْسَرٍ لِعَمَلِهِ**". (٢)

■ **وفي الصحيحين عن عمران بن حصين** رضي الله عنه قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَعْلِمَ أَهْلُ الْجَنَّةِ مَنْ أَهْلُ النَّارِ؟ قَالَ: فَقَالَ: نَعَمْ، قَالَ: قِيلَ: فَفِيمَا يَعْمَلُ الْعَامِلُونَ؟ قَالَ: **كُلُّ مَيْسَرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ**، **ولفظ البخاري**: "يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيْعَرَفُ أَهْلُ الْجَنَّةِ مَنْ أَهْلُ النَّارِ؟ قَالَ: نَعَمْ قَالَ: فَلِمَ يَعْمَلُ الْعَامِلُونَ؟ قَالَ: كُلُّ يَعْمَلُ لِمَا خُلِقَ لَهُ، أَوْ: لِمَا يُسَرُّ لَهُ". (٣)

● **قال المهلب: في حديث عمران حجة لأهل السنة على المجبرة من أهل القدر وذلك قوله: (اعملوا، فكل ميسر لما خلق له). ولم يقل: فكل مجبر على ما خلق له، وإنما أراد لما خلق له من عمله للخير أو للشر. وقيل: إنما أراد بقوله: لما خلق له الإنسان من جنة أو نار، فقد أخبر أنه ميسر لأعمالها ومختار لا مجبر؛ لأن الجبر لا يكون باختيار، وإنما هو بإكراه.**

● **وقد سئل الحسن البصري عن القدر فقال: إن الله خلق الخلق للابتلاء، لم يطيعوه بإكراه منه، ولم يعصوه بغلبة، ولم يهملهم من المملكة؛ بل كان المالك لما ملكهم فيه، والقادر لما قدره عليهم، فإن تأثم العباد بطاعة الله لم يكن الله صاداً عنها، ولا مبطئاً؛ بل يزيدهم هدى إلى هداهم، وتقوى إلى تقواهم، وإن تأثم العباد بمعصية الله كان القادر على صرفهم؛ إن شاء فعل، وإن شاء خلى**

(١) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ٤٨) برقم: (٢٦٥٠) (كتاب القدر، باب كيفية خلق آدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته) (بهذا اللفظ)

(٢) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ٤٧) برقم: (٢٦٤٨) (كتاب القدر، باب كيفية خلق آدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته) (بهذا اللفظ)

(٣) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٨ / ١٢٢) برقم: (٦٥٩٦) (كتاب القدر، باب جف القلم على علم الله وأضله الله على علم (بنحوه)، ومسلم في "صحيحه" (٨ / ٤٨) برقم: (٢٦٤٩) (كتاب القدر، باب كيفية خلق آدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته) (بهذا اللفظ)

بينهم وبين المعصية فيكسبونها ، فمن بعد الإعذار والإنذار لله الحجة البالغة ، لا يسئل عما يفعل وهم يسألون ، فلو شاء لهداكم أجمعين.

- قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٨ / ٦٨): «وَفِي الصَّحِيحِ أَيْضًا {أَنَّهُ قِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ااعْلَمْ أَهْلَ الْجَنَّةِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَقَالَ: نَعَمْ فَقِيلَ لَهُ: فَفِيمَ الْعَمَلِ؟ قَالَ: ااعْمَلُوا فَكُلُّ مُيسَّرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ} فَيَبَيِّنُ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ اللَّهَ عِلِمَ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ وَأَنَّهُ كَتَبَ ذَلِكَ وَهَنَاهُمْ أَنْ يَتَكَلَّبُوا عَلَى هَذَا الْكِتَابِ وَيَدْعُوا الْعَمَلَ كَمَا يَفْعَلُهُ الْمُلْحِدُونَ. وَقَالَ: كُلُّ مُيسَّرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ وَإِنَّ أَهْلَ السَّعَادَةِ مُيسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ وَأَهْلُ الشَّقَاوَةِ مُيسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ وَهَذَا مِنْ أَحْسَنِ مَا يَكُونُ مِنَ الْبَيَانِ. وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَعْلَمُ الْأُمُورَ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ ، وَهُوَ قَدْ جَعَلَ لِلْأَشْيَاءِ أَسْبَابًا تَكُونُ بِهَا ، فَيَعْلَمُ أَنَّهُا تَكُونُ بِتِلْكَ الْأَسْبَابِ ، كَمَا يَعْلَمُ أَنَّ هَذَا يُولَدُ لَهُ بِأَنْ يَطَأَ امْرَأَةً فَيُحْبِلَهَا. فَلَوْ قَالَ هَذَا: إِذَا عِلِمَ اللَّهُ أَنَّهُ يُولَدُ لِي فَلَا حَاجَةَ إِلَى الْوُطْءِ كَانَ أَحَقَّ ؛ لِأَنَّ اللَّهَ عِلِمَ أَنْ سَيَكُونُ بِمَا يُقَدِّرُهُ مِنَ الْوُطْءِ ، وَكَذَلِكَ إِذَا عِلِمَ أَنَّ هَذَا يُنْبِتُ لَهُ الزَّرْعُ بِمَا يَسْقِيهِ مِنَ الْمَاءِ وَيَبْذُرُهُ مِنَ الْحَبِّ ، فَلَوْ قَالَ: إِذَا عِلِمَ أَنْ سَيَكُونُ فَلَا حَاجَةَ إِلَى الْبَذْرِ كَانَ جَاهِلًا ضَالًّا ؛ لِأَنَّ اللَّهَ عِلِمَ أَنْ سَيَكُونُ بِذَلِكَ ، وَكَذَلِكَ إِذَا عِلِمَ اللَّهُ أَنَّ هَذَا يَشْبَعُ بِالْأَكْلِ ، وَهَذَا يُرَوَّى بِالشُّرْبِ وَهَذَا يَمُوتُ بِالْقَتْلِ ، فَلَا بُدَّ مِنَ الْأَسْبَابِ الَّتِي عِلِمَ اللَّهُ أَنَّ هَذِهِ الْأُمُورَ تَكُونُ بِهَا .

وَكَذَلِكَ إِذَا عِلِمَ أَنَّ هَذَا يَكُونُ سَعِيدًا فِي الْآخِرَةِ وَهَذَا شَقِيًّا فِي الْآخِرَةِ قُلْنَا: ذَلِكَ لِأَنَّهُ يَعْمَلُ بِعَمَلِ الْأَشْقِيَاءِ ، فَاللَّهُ عِلِمَ أَنَّهُ يَشْقَى بِهَذَا الْعَمَلِ فَلَوْ قِيلَ: هُوَ شَقِيٌّ وَإِنْ لَمْ يَعْمَلْ كَانَ بَاطِلًا ؛ لِأَنَّ اللَّهَ لَا يُدْخِلُ النَّارَ أَحَدًا إِلَّا بِذَنْبِهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ فَأَقْسَمَ أَنَّهُ يَمْلُؤُهَا مِنْ إِبْلِيسَ وَاتِّبَاعِهِ ، وَمَنْ اتَّبَعَ إِبْلِيسَ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ تَعَالَى ، وَلَا يُعَاقِبُ اللَّهُ الْعَبْدَ عَلَى مَا عِلِمَ أَنَّهُ يَعْمَلُهُ حَتَّى يَعْمَلَهُ. وَلِهَذَا لَمَّا {سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ أَطْفَالِ الْمُشْرِكِينَ. قَالَ: اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ} ^(١) ، يَعْنِي أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَعْمَلُونَ لَوْ بَلَّغُوا. وَقَدْ رَوَى أَنَّهُمْ فِي الْقِيَامَةِ يُبْعَثُ إِلَيْهِمْ رَسُولٌ ، فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ ، فَيُظْهِرُ مَا عِلِمَهُ فِيهِمْ مِنَ الطَّاعَةِ وَالْمَعْصِيَةِ.

- وَكَذَلِكَ الْجَنَّةُ خَلَقَهَا اللَّهُ لِأَهْلِ الْإِيمَانِ بِهِ وَطَاعَتِهِ ، فَمَنْ قَدَّرَ أَنْ يَكُونَ مِنْهُمْ يَسَّرَهُ لِلْإِيمَانِ وَالطَّاعَةِ. فَمَنْ قَالَ: أَنَا أَدْخُلُ الْجَنَّةَ سَوَاءً كُنْتُ مُؤْمِنًا أَوْ كَافِرًا إِذَا عِلِمَ أَنِّي مِنْ أَهْلِهَا ، كَانَ مُفْتَرِيًا عَلَى اللَّهِ فِي

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٨ / ١٢٣) برقم: (٦٥٩٩) (كتاب القدر ، باب الله أعلم بما كانوا عاملين) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (٨ / ٥٣) برقم: (٢٦٥٨) (كتاب القدر ، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين) (بمثله).

ذَلِكَ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ إِنَّمَا عَلِمَ أَنَّهُ يَدْخُلُهَا بِالْإِيمَانِ ، فَإِذَا لَمْ يَكُنْ مَعَهُ إِيْمَانٌ لَمْ يَكُنْ هَذَا هُوَ الَّذِي عَلِمَ اللَّهُ أَنَّهُ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ ، بَلْ مَنْ لَمْ يَكُنْ مُؤْمِنًا ، بَلْ كَافِرًا ؛ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ.

وَلِهَذَا أَمَرَ النَّاسَ بِالدُّعَاءِ وَالِاسْتِعَانَةِ بِاللَّهِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَسْبَابِ. وَمَنْ قَالَ: أَنَا لَا أَدْعُو وَلَا أَسْأَلُ اتِّكَلًا عَلَى الْقَدَرِ كَانَ مُخْطِئًا أَيْضًا ؛ لِأَنَّ اللَّهَ جَعَلَ الدُّعَاءَ وَالسُّؤَالَ ، مِنَ الْأَسْبَابِ الَّتِي يَنَالُ بِهَا مَغْفِرَتَهُ وَرَحْمَتَهُ وَهَدَاهُ وَنَصَرَهُ وَرِزْقَهُ. وَإِذَا قَدَّرَ لِلْعَبْدِ خَيْرًا يَنَالُهُ بِالدُّعَاءِ ، لَمْ يَحْصُلْ بِدُونِ الدُّعَاءِ ، وَمَا قَدَّرَهُ اللَّهُ وَعَلِمَهُ مِنْ أَحْوَالِ الْعِبَادِ وَعَوَاقِبِهِمْ ، فَإِنَّمَا قَدَّرَهُ اللَّهُ بِأَسْبَابٍ يَسُوقُ الْمَقَادِيرَ إِلَى الْمَوَاقِيتِ ، فَلَيْسَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ شَيْءٌ إِلَّا بِسَبَبٍ ، وَاللَّهُ خَالِقُ الْأَسْبَابِ وَالْمُسَبَّبَاتِ.

وَلِهَذَا قَالَ بَعْضُهُمْ: الْإِلْتِفَاتُ إِلَى الْأَسْبَابِ شِرْكٌ فِي التَّوْحِيدِ ، وَمَحْوُ الْأَسْبَابِ أَنْ تَكُونَ أَسْبَابًا ، نَقْصٌ فِي الْعَقْلِ ، وَالْإِعْرَاضُ عَنِ الْأَسْبَابِ بِالْكَلِّيَّةِ قَدْحٌ فِي الشَّرْعِ.

...فَمَنْ أَعْرَضَ عَنِ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ ، وَالْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ نَاطِرًا إِلَى الْقَدَرِ فَقَدْ ضَلَّ ، وَمَنْ طَلَبَ الْقِيَامَ بِالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ مُعْرِضًا عَنِ الْقَدَرِ فَقَدْ ضَلَّ ؛ بَلِ الْمُؤْمِنُ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ، فَتَعْبُدُهُ اتِّبَاعًا لِلْأَمْرِ ، وَتَسْتَعِينُهُ إِيْمَانًا بِالْقَدَرِ. وَفِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: {الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلِّ خَيْرٍ آخِرٌ أَحْرَصُ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِينُ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزَنَّ وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ لَكَانَ كَذَا وَكَذَا وَلَكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اللَّهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ} ^(١) فَأَمَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ بِشَيْئَيْنِ: أَنْ يَحْرِصَ عَلَى مَا يَنْفَعُهُ وَهُوَ: امْتِثَالُ الْأَمْرِ ، وَهُوَ الْعِبَادَةُ ، وَهُوَ طَاعَةُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَأَنْ يَسْتَعِينُ بِاللَّهِ وَهُوَ: يَتَضَمَّنُ الْإِيْمَانَ بِالْقَدَرِ: أَنَّهُ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ، وَأَنَّهُ مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ.

فَمَنْ ظَنَّ أَنَّهُ يُطِيعُ اللَّهَ بِلا مَعُونَتِهِ ، كَمَا يَزْعُمُ الْقَدَرِيَّةُ الْمُجُوسِيَّةُ ، فَقَدْ جَحَدَ قُدْرَةَ اللَّهِ التَّامَّةَ ، وَمَشِيتَتَهُ النَّافِذَةَ وَخَلَقَهُ لِكُلِّ شَيْءٍ. وَمَنْ ظَنَّ أَنَّهُ إِذَا أُعِينَ عَلَى مَا يُرِيدُ وَيُسْرَلُهُ ذَلِكَ ، كَانَ مَحْمُودًا سَوَاءً وَافَقَ الْأَمْرَ الشَّرْعِيَّ أَوْ خَالَفَهُ ، فَقَدْ جَحَدَ دِينَ اللَّهِ ، وَكَذَّبَ بِكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَوَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ ، وَاسْتَحَقَّ مِنْ غَضَبِهِ وَعِقَابِهِ أَعْظَمَ مَا يَسْتَحِقُّهُ الْأَوَّلُ. فَإِنَّ الْعَبْدَ قَدْ يُرِيدُ مَا يَرْضَاهُ اللَّهُ وَيُحِبُّهُ وَيَأْمُرُ بِهِ وَيُقَرِّبُ إِلَيْهِ ، وَقَدْ يُرِيدُ مَا يُبْغِضُهُ اللَّهُ وَيَكْرَهُهُ وَيُسْخِطُهُ وَيَنْهَى عَنْهُ وَيُعَذِّبُ صَاحِبَهُ ، فَكُلٌّ مِنْ

(١) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ٥٦) برقم: (٢٦٦٤) (كتاب القدر ، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله) (بهذا اللفظ) من حديث أبي هريرة ؓ

هَذَيْنِ قَدْ يُسِّرْ لَهُ ذَلِكَ ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ {كُلُّ مُيسِّرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ ، أَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَسَيُسِّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ فَسَيُسِّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ} وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾ ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ ﴿كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾ ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾ ﴿كَلَّا﴾ . **يَبَيِّنُ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ لَيْسَ كُلُّ مَنْ ابْتَلَاهُ فِي الدُّنْيَا يَكُونُ قَدْ أَهَانَهُ** ، بَلْ هُوَ يَبْتَلِي عَبْدَهُ بِالسَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ ، فَالْمُؤْمِنُ يَكُونُ صَبْرًا شَكُورًا فَيَكُونُ هَذَا وَهَذَا خَيْرًا لَهُ كَمَا فِي الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: {لَا يَقْضِي اللَّهُ لِلْمُؤْمِنِ قِضَاءً إِلَّا كَانَ خَيْرًا لَهُ وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ} ^(١) . وَالْمَنَافِقُ هَلُوعٌ جَزُوعٌ. " اه من كلام شيخ الإسلام .

(١) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ٢٢٧) برقم: (٢٩٩٩) (كتاب الزهد والرقائق ، باب المؤمن أمره كله خير) (بهذا اللفظ)

○ **المسألة الثامنة :** الرد على من احتج بحديث الحاجة بين آدم وموسى عليهما الصلاة والسلام في أن القدر حجة في المعصية :

- سياق الحديث المتوهم إشكاله وبيان وجه الإشكال^(١):
- **روى البخاري ومسلم** عليهما رحمة الله حديث المَحَاجَّة بين آدم وموسى -عليه السلام- **من عدة طرق** عن أبي هريرة رضي الله عنه وكلها بألفاظ متقاربة تدل على معنى واحد، **ما عدا طريق واحد فقد جاء مخالفاً في معناه للطرق الأخرى**، وإليك البيان:
- **أما اللفظ الأول**، والذي جاءت به جميع الطرق ماعدا واحداً منها، فهو: **أن موسى -عليه السلام- لام آدم -عليه السلام- على الإخراج من الجنة، فاحتج عليه آدم بأن ذلك مقدر عليه قبل أن يخلق بأربعين سنةً، وإليك طرقه وألفاظه:**
- ١ - **طريق حميد بن عبد الرحمن، ولفظه:** قال رسول الله ﷺ: (احتج آدم وموسى، فقال له موسى: أنت آدم الذي أخرجتك خطيئتك من الجنة، فقال له آدم: أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه، ثم تلومني على أمر قدر علي قبل أن أخلق)، فقال رسول الله ﷺ: (فحجَّ آدم موسى) مرتين." (٢)
- ٢ - **طريق محمد بن سيرين، ولفظه:** عن رسول الله ﷺ قال: (التقى آدم وموسى، فقال موسى لآدم: أنت الذي أشقيت الناس وأخرجتهم من الجنة، قال آدم: أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالاته واصطفاك لنفسه وأنزل عليك التوراة؟ قال: نعم، قال: فوجدتها كتب علي قبل أن يخلقني؟ قال: نعم، فحجَّ آدم موسى). (٣)
- ٣ - **طريق أبي سلمة بن عبد الرحمن، ولفظه:** عن النبي ﷺ قال: (حجَّ موسى آدم فقال له: أنت الذي أخرجت الناس من الجنة بذنبك وأشقيتهم، قال: قال آدم: يا موسى أنت الذي اصطفاك الله برسالاته

(١) - معظم ما جاء في هذه المسألة نقلته بتصريف يسير ، وتقديم وتأخير من كتاب «أحاديث العقيدة التي يوهم ظاهرها التعارض في الصحيحين دراسة وترجيح» (الدكتور محمد بن سليمان الديخي).

(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٤ / ١٥٨) برقم: (٣٤٠٩) (كتاب أحاديث الأنبياء ، باب وفاة موسى وذكره بعد) (بهذا اللفظ)

(٣) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٦ / ٩٥) برقم: (٤٧٣٦) (كتاب تفسير القرآن ، باب واصطنعتك لنفسي) (بهذا اللفظ)

وبكلامه، أتلومني على أمر كتبه الله علي قبل أن يخلقني، أو قدره علي قبل أن يخلقني) قال رسول الله ﷺ: (فحج آدم موسى) (١).

- ٤ - **طريق طاووس، ولفظه:** عن النبي ﷺ قال: (احتج آدم وموسى فقال له موسى: يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة، قال له آدم: يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك بيده: أتلومني على أمر قدره الله علي قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟ فحج آدم موسى فحج آدم موسى) ثلاثاً. (٢)
- ٥ - **طريق عبد الرحمن بن الأعرج، ولفظه:** أن رسول الله ﷺ قال: (تحتاج آدم وموسى، فحج آدم موسى، فقال له موسى: أنت آدم الذي أغويت الناس وأخرجتهم من الجنة، فقال آدم: أنت الذي أعطاه الله علم كل شيء واصطفاه على الناس برسالته؟ قال: نعم، قال: فتلومني على أمر قدر علي قبل أن أخلق). (٣)

ب- **وأما اللفظ الثاني:** ففيه أن موسى -عليه السلام- لام آدم -عليه السلام-، على الإهباط إلى الأرض، **فاحتج عليه آدم بأن معصيته مكتوبة عليه قبل أن يخلق بأربعين سنة. وهذا اللفظ تفرد به مسلم عن يزيد بن هرمز وعبد الرحمن بن الأعرج -علماً أنه قد جاء عن ابن الأعرج ما يوافق اللفظ الأول، كما تقدم- ونص هذا اللفظ كما عند مسلم:** قال رسول الله ﷺ: (احتج آدم وموسى -عليهم السلام- عند ربهما، فحج آدم موسى، قال موسى: أنت آدم الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأسجد لك ملائكته وأسكنك في جنته ثم أهبطت الناس بخطيئتك إلى الأرض، فقال آدم: أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالته وبكلامه وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شيء وقربك نجياً، فبكم وجدت الله كتب التوراة قبل أن أخلق؟ قال موسى: بأربعين عاماً، قال آدم: فهل وجدت فيها: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ [طه: ١٢١]؟ قال: نعم، قال: أفتلومني على أن عملت عملاً كتبه الله علي أن أعمله قبل أن يخلقني بأربعين سنة)، قال رسول الله ﷺ: (فحج آدم موسى) (٤)

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٦ / ٩٦) برقم: (٤٧٣٨) (كتاب تفسير القرآن ، باب قوله فلا يخرجكما من الجنة فتشقى (بهذا اللفظ)

(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٨ / ١٢٦) برقم: (٦٦١٤) (كتاب القدر ، باب تحتاج آدم وموسى عند الله) (بهذا اللفظ) ، (ومسلم في "صحيحه" (٨ / ٤٩) برقم: (٢٦٥٢) (كتاب القدر ، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام) (بنحوه).

(٣) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ٤٩) برقم: (٢٦٥٢) (كتاب القدر ، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام) (بهذا اللفظ)

(٤) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ٥٠) برقم: (٢٦٥٢) (كتاب القدر ، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام) (بهذا اللفظ)

• بيان وجه الإشكال:

أشكل هذا الحديث على كثير من الناس، حيث إن ظاهره قد يوهم أن المحاجة بين آدم وموسى - عليهم السلام- كانت متوجهة إلى المعصية، ولما كانت الحجة لآدم -عليه السلام- فقد يفهم البعض -بناءً على هذا الوهم- جواز الاحتجاج بالقدر على فعل المعصية، ولذا فقد تباينت الآراء في توجيه هذا الحديث، كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

• قال ابن تيمية عن هذا الحديث: "لما توهم من توهم أن ظاهره: أن المذنب يحتج بالقدر على من لأمه على الذنب، اضطربوا فيه: فكذب به طائفة من القدرية كالجبائي، وتأوله طائفة من أهل السنة تأويلات ضعيفة، قصدًا لتصحيح الحديث، ومقصودهم صحيح، لكن طريقهم في رد قول القدرية وتفسير الحديث ضعيفة".

• وقال ابن كثير: "احتج به قوم من الجبرية، وهو ظاهر لهم بادئ الرأي"

• لأهل العلم في هذا الإشكال للناس مع هذا الحديث موقفان:

○ الموقف الأول: من فهم منه جواز الاحتجاج بالقدر على فعل المعاصي، وهؤلاء هم القدرية من المعتزلة ومن نحا نحوهم، وكذا الجبرية من الجهمية ومن وافقهم، وقد نتج عن هذا الفهم رأيان فاسدان:

■ أحدهما: ردُّه وإنكاره وتكذيبه كما فعل أبو علي الجبائي وغيره من المعتزلة القدرية ومن وافقهم، قالوا: لو صح هذا الحديث لبطلت نبوات الأنبياء، فإن القدر إذا كان حجة للعاصي بطل الأمر والنهي، وارتفع الذم والعقاب عمن عصى الله تعالى.

■ والثاني: قبوله والاحتجاج به على فعل المعاصي، فكلما عملوا معصية احتجوا بالقدر، فجعلوا هذا الحديث عمدة لهم في سقوط الملام عن المخالفين لأمر الله تعالى ورسوله ﷺ، وإلى هذا ذهب الجبرية ومن نحا نحوهم من الصوفية وغيرهم.

○ وأما الموقف الثاني: فهو القطع بعدم جواز الاحتجاج به على فعل المعاصي، وإلى هذا ذهب علماء أهل السنة والجماعة، ولكنهم اختلفوا في تفسير هذا الحديث -بعد قبوله والإيمان به- على عدة أقوال، منها:

■ القول الأول: أن موسى -عليه السلام- لأم آدم -عليه السلام- على المصيبة التي حصلت له وذريته، وهي الإخراج من الجنة والنزول إلى الأرض دار الابتلاء والمحنة، وذلك بسبب فعله وخطيئته، ولذا قال: (أنت

الذي أخرجت الناس من الجنة بذنبك وأشقيتهم)، وذكر الذنب تنبيهاً على سبب المصيبة والمحنة التي نالت الذرية، فاحتج عليه آدم بالقدر على المصيبة، **والقدر يحتج به في المصائب دون المعائب**، أي: أتلومني على مصيبة قدرت عليّ وعليكم قبل خلقي بكذا وكذا سنة؟ .
وإلى هذا ذهب ابن تيمية، وابن القيم، وابن كثير، وابن أبي العز، وابن رجب، وابن عثيمين، وغيرهم، عليهم رحمة الله

- قال ابن تيمية: "فآدم -عليه السلام- إنما حج موسى لأن موسى لآمه على ما فعل لأجل ما حصل لهم من المصيبة، بسبب أكله من الشجرة، لم يكن لومه له لأجل حق الله في الذنب، فإن آدم كان قد تاب من الذنب كما قال تعالى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ٣٧]، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾ [طه: ١٢٢]، وموسى -ومن هودون موسى- -عليه السلام- يعلم أنه بعد التوبة والمغفرة لا يبقى ملام على الذنب، وآدم أعلم بالله من أن يحتج بالقدر على الذنب، وموسى -عليه السلام- أعلم بالله تعالى من أن يقبل هذه الحجة، **فإن هذه لو كانت حجة على الذنب لكانت حجة لإبليس عدو آدم، وحجة لفرعون عدو موسى، وحجة لكل كافر وفاجر**، وبطل أمر الله ونهيه، بل إنما كان القدر حجة لآدم على موسى لأنه لام غيره لأجل المصيبة التي حصلت له بفعل ذلك، وتلك المصيبة كانت مكتوبة عليه، وقد قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾ [التغابن: ١١] ."

- وقال ابن رجب: "لما التقى آدم وموسى -عليهم السلام-، عاتب موسى آدم على إخراجه نفسه وذريته من الجنة، فاحتج آدم بالقدر السابق، والاحتجاج بالقدر على المصائب حسن، كما قال ﷺ: (إن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا كان كذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل) ."

- **القول الثاني:** أن موسى -عليه السلام- لام آدم -عليه السلام- على المعصية **لكونها سبب المصيبة**، لا لكونها معصية، فاحتج آدم بالقدر على المعصية لكونه قد تاب منها، والاحتجاج بالقدر على المعصية **بعد وقوعها والتوبة منها** وترك معاودتها لا محذور فيه. وهذا القول جواب آخر لابن القيم على هذا الحديث، وكذا الشيخ ابن عثيمين، وبه قال ابن الوزير وعزاه لأهل السنة.

- قال ابن القيم: "وقد يتوجه جواب آخر، وهو أن الاحتجاج بالقدر على الذنب ينفع في موضع ويضر في موضع، فينفع إذا احتج به بعد وقوعه والتوبة منه وترك معاودته، كما فعل آدم، فيكون في ذكر القدر إذ ذاك من التوحيد ومعرفة أسماء الرب وصفاته وذكرها ما ينتفع به الذاكر والسامع، لأنه

لا يدفع بالقدر أمراً ولا نهياً، ولا يبطل به شريعة، بل يخبر بالحق المحض على وجه التوحيد والبراءة من الحول والقوة، يوضحه أن آدم قال لموسى: (أتلومني على أن عملت عملاً كان مكتوباً علي قبل أن أخلق؟) فإذا أذنب الرجل ذنباً ثم تاب منه توبة وزال أمره حتى كأن لم يكن، فأثبته مؤنب عليه ولامه، حسن منه أن يحتج بالقدر بعد ذلك، ويقول: هذا أمر كان قد قدر علي قبل أن أخلق، فإنه لم يدفع بالقدر حقاً، ولا ذكره حجة على باطل، ولا محذور في الاحتجاج به.

- **وأما الموضع الذي يضر الاحتجاج به في الحال والمستقبل**، بأن يرتكب فعلاً محرماً أو يترك واجباً فيلومه عليه لائم، فيحتج بالقدر على إقامته عليه وإصراره، فيبطل بالاحتجاج به حقاً ويرتكب باطلاً، كما احتج به المصريون على شركهم وعبادتهم غير الله فقالوا: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا﴾ [الأنعام: ١٤٨]، ﴿لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ﴾ [الزخرف: ٢٠]، فاحتجوا به مصوبين لما هم عليه، وأنهم لم يندموا على فعله، ولم يعزموا على تركه، ولم يقرؤا بفساده، فهذا ضد احتجاج من تبين له خطأ نفسه وندم وعزم كل العزم على أن لا يعود، فإذا لامه لائم بعد ذلك قال: كان ما كان بقدر الله. ■ **ونكتة المسألة:** أن اللوم إذا ارتفع صح الاحتجاج بالقدر، وإذا كان اللوم واقعاً فالاحتجاج بالقدر باطل "اهـ من كلام ابن القيم.

- **القول الثالث:** أن ذلك مخصوص بآدم -عليه السلام-، وكانت له الحجة لأن موسى -عليه السلام- لأمه على المعصية والخطيئة بعد أن تاب منها، فحسن من آدم -عليه السلام- أن يحتج بالقدر على فعل المعصية، لأنه قد تيب عليه منها، كما قال تعالى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ٣٧]، **وإلى هذا القول ذهب ابن عبد البر وغيره:**

- قال -رحمه الله-: "وأما قوله: (أفتلومني على أمر قد قدر علي؟)، فهذا -عندي- مخصوص به آدم، لأن ذلك إنما كان منه ومن موسى -عليه السلام- بعد أن تيب على آدم، وبعد أن تلقى من ربه كلمات تاب بها عليه، فحسن منه أن يقول ذلك لموسى، لأنه قد كان تيب عليه من ذلك الذنب، وهذا غير جائز أن يقوله اليوم أحد إذا أتى ما نهاه الله عنه، ويحتج بمثل هذا، فيقول: أتلومني على أن قتلت أو زנית أو سرقت، وذلك قد سبق في علم الله وقدره علي قبل أن أخلق؟ هذا ما لا يسوغ لأحد أن يقوله".
- **والفرق بين هذا القول والذي قبله**، أن هذا القول يجعل لوم موسى لآدم -عليه السلام-، على المعصية لذات المعصية، بينما القول السابق يجعل لوم موسى لآدم -عليه السلام-، على المعصية من أجل أنها سبب المصيبة، لا من أجل كونها معصية.

- **القول الرابع:** أن الحجة توجهت لآدم لأن موسى -عليه السلام- لآمه في غير دار التكليف -بعد أن مات آدم- ولو لآمه في دار التكليف لكانت الحجة لموسى ، لأن الأحكام حينئذٍ جارية عليه.
- **القول الخامس:** أن آدم حج موسى لأن الذنب كان في شريعة ، واللوم في شريعة أخرى.
- **القول السادس:** أن آدم أب وموسى ابن ، وليس للابن أن يلوم أباه ، ولذا حجه آدم كما يحج الرجل ابنه.

• الترجيح:

- خلاصة القول في هذا الحديث، فإنه محتمل لأحد أمرين لا ثالث لهما:
 - **الأول: أن لوم موسى لآدم -عليهم السلام- كان لأجل المصيبة** التي حلت به وبذريته ، وهي الإخراج من الجنة والإهباط إلى الأرض ، وروايات الحديث في الصحيحين -كما تقدم- تشهد لهذا المعنى وتدل عليه، ففيها: (أنت الذي أشقيت الناس وأخرجتهم من الجنة)، وفيها: (أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة)، وفيها: (أنت آدم الذي أغويت الناس وأخرجتهم من الجنة)، وفيها: (أهبطت الناس بخطيئتك إلى الأرض)، فهذه الروايات والألفاظ كلها تنطق بأن موسى عليه السلام إنما لام آدم عليه السلام على المصيبة التي وقعت بعد ذنبه، لا على ذنبه. وذكر موسى عليه السلام للمعصية، كما في بعض الطرق للتنبيه على سبب المصيبة.
 - **فاحتج آدم عليه السلام بالقدر على المصيبة** ، كما هو ظاهر أكثر الروايات، فإنه قال: (أتلومني على أمر قدره الله علي قبل أن يخلقني)؟ وهذا هو الذي ذهب إليه ابن تيمية وغيره، كما في القول الأول.
 - قال ابن أبي العز: "فإن قيل: فما تقولون في احتجاج آدم على موسى عليه السلام بالقدر؟ ... قيل: نتلقاه بالقبول والسمع والطاعة ، لصحته عن رسول الله ﷺ ، ولا نتلقاه بالرد والتكذيب لراويه، كما فعلت القدرية ، ولا بالتأويلات الباردة، بل الصحيح أن آدم لم يحتج بالقضاء والقدر على الذنب ، وهو كان أعلم بربه وذنبه ، بل أحاد بنيه من المؤمنين لا يحتج بالقدر، فإنه باطل، وموسى عليه السلام كان أعلم بأبيه وذنبه من أن يلوم آدم عليه السلام على ذنب قد تاب منه ، وتاب الله عليه، واجتباها وهداها ، وإنما وقع اللوم على المصيبة التي خرجت أولاده من الجنة ، فاحتج آدم بالقدر على المصيبة ، لا على الخطيئة ، فإن القدر يحتج به عند المصائب، لا عند المعائب"
 - **والثاني: أن لوم موسى لآدم عليه السلام، كان على المعصية لكونها سبب المصيبة، لا لكونها معصية** -على ما جاء في القول الثاني- فإنه يتمتع غاية الامتناع أن يلومه موسى عليه السلام لأجل حق

الله تعالى في المعصية، لأن آدم عليه السلام قد تاب منها، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له، فلا يجوز لومه.

- قال ابن تيمية: "لا يجوز لوم التائب باتفاق الناس".
- فاحتج آدم بالقدر على المعصية لأنه قد تاب منها ، وهذا هو ظاهر رواية مسلم، فإنه قال لموسى: (فهل وجدت فيها -أي في التوراة-: {وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى}؟ قال: نعم، قال: أفتلومني على أن عملت عملاً كتبه الله علي أن أعمله قبل أن يخلقني بأربعين سنة). وعلى هذا يكون الاحتجاج بالقدر على المعصية بعد التوبة منها والإنابة لا محذور فيه، وقد أشار إلى هذا ابن القيم رحمه الله تعالى، مستشهداً بهذه الرواية، كما تقدم.
- قال الشيخ ابن عثيمين: "الاحتجاج بالقدر على المصائب جائز، وكذلك الاحتجاج بالقدر على المعصية بعد التوبة جائز، وأما الاحتجاج بالقدر على المعصية تبريراً لموقف الإنسان واستمراراً فيها فغير جائز".
- والحاصل أن آدم عليه السلام لا سبيل إلى لومه شرعاً لأجل التوبة ، ولا قدرًا لأجل القضاء والقدر.

● مناقشة الأقوال المرجوحة:

- وأما الأقوال الأخرى في توجيه الحديث فإنها وإن كان مقصود أصحابها صحيحاً، وهو أن الحديث لا يؤخذ منه جواز الاحتجاج بالقدر على المعاصي، إلا أنهم فهموا من الحديث أن اللوم من موسى واحتجاجه بالقدر من آدم كلاهما متوجه إلى الذنب، ولذا أولوا الحديث تأويلات ضعيفة لا يدل عليها معناه، وإليك بيان ذلك:
- أما القول الثالث: وهو أن الحجة توجهت لآدم ؛ لأن موسى لومه على المعصية بعد أن تاب منها ، والتائب من الذنب لا يجوز لومه ، فقد رده ابن تيمية وغيره ، لأن موسى عليه السلام أجل قدرًا من أن يلوم أحداً على ذنب قد تاب منه، وغفر الله له . وذكر ابن القيم أن هذا القول وإن كان أقرب إلا أنه لا يصح لثلاثة أوجه:
- "أحدها: أن آدم لم يذكر ذلك الوجه ، ولا جعله حجة لموسى، ولم يقل: أتلومني على ذنب قد تبت منه.
- الثاني: أن موسى أعرف بالله سبحانه وبأمره ودينه من أن يلوم على ذنب قد أخبره سبحانه أنه قد تاب على فاعله، واجتباؤه بعده وهداؤه، فإن هذا لا يجوز لأحد المؤمنين أن يفعله، فضلاً عن كليم الرحمن.

- الثالث: أن هذا يستلزم إلغاء ما علق به النبي ﷺ وجه الحجة، واعتبار ما ألغاه، فلا يلتفت إليه".
- وأما القول الرابع: وهو أن الحجة كانت لآدم لأن موسى لآمه في غير دار التكليف، فمردود من وجهين:
- "أحدهما: أن آدم لم يقل له: لمتني في غير دار التكليف، وإنما قال: (أتلومني على أمر قدر عليّ قبل أن أخلق)، فلم يتعرض للدار وإنما احتج في القدر السابق .
- الثاني: أن الله سبحانه يلوم المومنين من عباده في غير دار التكليف، فيلومهم بعد الموت، ويلومهم يوم القيامة".
- وأما القول الخامس: وهو أن آدم حج موسى عليه السلام، لأن الذنب واللوم كانا في شريعتين مختلفتين، فدعوى لا دليل عليها، ومن أين يعلم أنه كان في شريعة آدم أن المخالف يحتج بسابق القدر، وفي شريعة موسى أنه لا يحتج، أو أنه يتوجه له اللوم على المخالف. ثم إن اختلاف الشريعتين لا تأثير له في هذه الحجة بوجه، فهذه الأمة تلوم الأمم المخالفة لرسولها المتقدمة عليها، وإن كان لم تجمعهم شريعة واحدة، ويقبل الله شهادتهم عليهم وإن كانوا من غير أهل شريعتهم.
- وأما القول السادس: وهو أن آدم حج موسى لكونه أباه ، فبعيد عن معنى الحديث، ولا محصل فيه البتة، لأن حجة الله يجب المصير إليها مع الأب كانت أو الابن أو العبد أو السيد، ولو حج الرجل أباه بحق وجب المصير إلى الحجة.
- هذا ما يتعلق بالأقوال المترتبة على الموقف الثاني من المسألة عند أهل السنة والجماعة
- أما الموقف الأول الذي قالت به القدرية والجبرية فلا ريب في بطلانه ، لأنه مبني على فهم فاسد ، وهو كون الحديث يدل على جواز الاحتجاج بالقدر على فعل المعاصي ، مع أن الإجماع منعقد على عدم جواز ذلك.
- وبناءً على هذا، فإن كلّ ما نتج عن هذا الفهم من آراء، فهي باطلة مردودة، وقد تقدم أن هذا الفهم قد نتج عنه رأيان متناقضان:
- أحدهما: ما ذهب إليه القدرية من رد الحديث وتكذيبه، وقد ذهبوا هذا المذهب لأنه يخالف أصلهم الذي أصلوه، وهو نفي القدر السابق، "وكل من أصل أصلاً لم يؤصله الله ورسوله قاده قسراً إلى رد السنة وتحريفها عن مواضعها، فلذلك لم يؤصل حزب الله ورسوله أصلاً غير ما جاء به الرسول، فهو أصلهم الذي عليه يعولون، وجنتهم التي إليها يرجعون".

- قال ابن عبد البر: "هذا الحديث من أوضح ما روي عن النبي ﷺ في إثبات القدر، ودفع قول القدرية ، وبالله التوفيق والعصمة". وتكذيب القدرية لهذا الحديث مردود، لأنه ثابت في الصحيحين وغيرهما من عدة طرق.
- قال ابن منده بعدما ساق عدداً من طرق هذا الحديث: "هذه أحاديث صحاح ثابتة لا مدفع لها، ولهذا الحديث طرق عن أبي هريرة".
- وقال ابن عبد البر: "هذا حديث صحيح ثابت من جهة الإسناد، لا يختلفون في ثبوته ، رواه عن أبي هريرة جماعة من التابعين، وروي من وجوه عن النبي -صلي الله عليه وسلم-، من رواية الثقات الأئمة الأثبات".
- وقال ابن القيم: "هذا حديث صحيح متفق على صحته ، لم تزل الأمة تتلقاه بالقبول من عهد نبينا قرناً بعد قرن، وتقابله بالتصديق والتسليم ، ورواه أهل الحديث في كتبهم وشهدوا به على رسول الله -صلي الله عليه وسلم- أنه قاله، وحكموا بصحته".
- وقال ابن حجر عن هذا الحديث: "وقع لنا من طريق عشرة عن أبي هريرة".
- **وأما الرأي الثاني: وهو ما ذهب إليه الجبرية من تسويغ الاحتجاج بالقدر على فعل المعاصي ، والاعتماد في ذلك على هذا الحديث، فهو باطل من عدة وجوه:**
 - ١- أن الأمة قد أجمعت على جواز لوم العاصي ما لم يتب. قال ابن عبد البر: "وقد اجتمعت الأمة: أن من أتى ما يستحق الذم عليه فلا بأس بذمه، ولا حرج في لومه، ومن أتى ما يحمد له فلا بأس بمدحه عليه".
 - ٢ - أن الله تعالى قال: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ﴾، فأبطل الله حجتهم هذه بقوله: ﴿كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا﴾ [الأنعام: ١٤٨]، وهكذا في آيات أخر لم يحك الله تعالى الاحتجاج في القدر إلا عن المشركين أعداء الرسل، وشيخهم في ذلك وإمامهم عدوه الأحقر إبليس، حيث احتج عليه بقضائه فقال: ﴿رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٣٩].
 - ٣ - أن الله تعالى قال: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِنَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]، ولو كان الاحتجاج بالقدر على فعل المعاصي سائغاً لما كان هناك حاجة إلى إرسال الرسل، لأنهم إنما أرسلوا لأجل إقامة الحجة على الناس.

■ ٤ - أن رسول الله ﷺ أمر الصحابة بالعمل، ونهاهم عن تركه اتكالا على ما سبق به الكتاب، **ففي الصحيحين من حديث علي بن أبي طالب** رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من النار ومقعده من الجنة)، قالوا: يا رسول الله، أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل؟ قال (اعملوا فكل ميسر لما خلق له، أما من كان من أهل السعادة فييسر لعمل أهل السعادة، وأما من كان من أهل الشقاء فييسر لعمل أهل الشقاء، ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ [الليل: ٥ - ١٠]).

ولفظ لمسلم: "كُنَّا فِي جَنَازَةٍ فِي بَقِيعِ الْغَرْقَدِ ، فَأَتَانَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَقَعَدَ وَقَعَدْنَا حَوْلَهُ ، وَمَعَهُ مِخْصَرَةٌ فَنَكَّسَ فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِمِخْصَرَتِهِ ثُمَّ قَالَ : مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ [٤٧/٨] مَا مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ ، إِلَّا وَقَدْ كَتَبَ اللَّهُ مَكَانَهَا مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، وَإِلَّا وَقَدْ كُتِبَتْ شَقِيَّةٌ أَوْ سَعِيدَةٌ ، قَالَ : فَقَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا نَمَكُثُ عَلَى كِتَابِنَا وَنَدَعُ الْعَمَلَ ؟ فَقَالَ : مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ . فَقَالَ : اْعْمَلُوا فَكُلُّ مَيْسَرٍ ، أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُيَسِّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ ، وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَيُيَسِّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ ، ثُمَّ قَرَأَ "الحديث" (١)

- ٥ - "أن هذا المسلك لو صح لبطلت الديانات جملة ، وكان القدر حجة لكل مشرك وكافر وظالم ، ولم يبق للحدود معنى ، ولا يلام جانٍ على جانيته ولا ظالم على ظلمه ، ولا يُنكر منكراً أبداً".
- ٦ - أن القدر سر مكتوم ، لا يعلمه أحد من الخلق إلا بعد وقوعه ، فكيف يصح للعاصي أن يحتج به على معصيته، وهو قد فعلها مختاراً ، لا يشعر أن أحداً أكرهه عليها ، ولا يعلم أنها مقدرة عليه؟! ولماذا لم يقدر أن الله تعالى لم يكتبها عليه فينتهي عنها ويجتنبها؟!.
- ٧ - أنه لو ساغ الاحتجاج بالقدر على فعل المعاصي لساغ أن يحتج به إبليس ومن اتبعه من الجن والإنس ، ويحتج به قوم نوح وعاد وثمود ، وسائر أهل الكفر والفسوق والعصيان ، ولم يعاقب أحد ، وهذا مما يُعلم فسادَه بالاضطرار شرعاً وعقلاً.
- ٨ - أن الاحتجاج بالقدر مخاصمة لله تعالى ، واحتجاج من العبد على الرب ، وحمل لذنبيه على الأقدار، وهذا جهل بالله تعالى وحكمته في شرعه.

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٦ / ١٧١) برقم: (٤٩٤٩) (كتاب تفسير القرآن ، باب فسنيسرهُ للعسرى) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (٨ / ٤٦) برقم: (٢٦٤٧) (كتاب القدر ، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته) (بنحوه)

■ ٩- أن نفس المحتج بالقدر لو اعتدى عليه معتدٍ ، أو جنى عليه جانٍ ، ثم احتج عليه بالقدر ، فإنه لا يقبل منه هذه الحجة ، وهذا تناقض يدل على فساد هذا القول ، وأن المحتج بالقدر متبع لهواه ، لأن القدر إن كان حجة للعاصي فهو أيضاً حجة للجاني ، وإلا فليس حجة لهذا ولا لهذا ، وهذا هو الصواب.

● ١٠- ونقول للعاصي المحتج بالقدر: لماذا لم تقدم على الطاعة مقدراً أن الله تعالى قد كتبها لك؟ فإنه لا فرق بينها وبين المعصية في الجهل بالمقدور قبل صدور الفعل منك. ولهذا لما أخبر النبي ﷺ الصحابة بأن كل واحد قد كتب مقعده من الجنة، ومقعده من النار قالوا: أفلا نتكل وندع العمل. قال: "لا ، اعملوا فكل ميسر لما خلق له"^(١).

● ١١- ونقول للعاصي المحتج بالقدر: لو كنت تريد السفر لمكة ، وكان لها طريقان ، أخبرك الصادق أن أحدهما مخوف صعب ، والثاني آمن سهل ، فإنك ستسلك الثاني: ولا يمكن أن تسلك الأول وتقول: إنه مقدر علي ولو فعلت لعنك الناس في قسم المجانين.

● ١٢- ونقول له أيضاً: نراك إذا أصبت بمرض جسي ، طرقت باب كل طبيب لعلاجك ، وصبرت على ما ينالك من ألم عملية الجراحة ، وعلى مرارة الدواء ، فلماذا لا تفعل مثل ذلك في مرض قلبك بالمعاصي؟
■ قال ابن تيمية: "ليس لأحد أن يحتج بالقدر على فعل الذنب باتفاق المسلمين ، وسائر أهل الملل ، وسائر العقلاء ، فإن هذا لو كان مقبولاً لأمكن كل أحد أن يفعل ما يخطر له ، من قتل النفوس وأخذ الأموال وسائر أنواع الفساد في الأرض ، ويحتج بالقدر ... فالاحتجاج بالقدر معلوم الفساد في بداهة العقول".

● وقال ابن القيم عن هذا المسلك للجبرية: "هذا المسلك أبطل مسلك سلك في هذا الحديث ، وهو شر من مسلك القدرية في رده ، وهم إنما ردوه إبطالاً لهذا القول ورداً على قائله ، وأصابوا في ردهم عليهم وإبطال قولهم ، وأخطأوا في رد حديث رسول الله -صلي الله عليه وسلم-".

● إذا تبين هذا ، وهو أن الحديث لا يجوز رده أو تكذيبه ، كما لا يجوز الاحتجاج به على فعل المعاصي ، فإن الذي يتعين المصير إليه هو أن القدر يؤمن به ولا يحتج به ، فالعبد مأمور أن يرجع إليه عند المصائب ، ويستغفر الله عند الذنوب والمعائب ، كما قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ

(١) - سبق تخريجه

لِذَنْبِكَ ﴿[غافر: ٥٥]، "وقد أرشد النبي ﷺ إلى الاحتجاج بالقدر في الموضع الذي ينفع العبد الاحتجاج به -وذلك عند المصيبة-

- **فروى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة** رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان) ^(١).
- **مسألة:** قال ابن تيمية: «وَالْعَبْدُ لَهُ فِي الْمَقْدُورِ "حَالَانِ" حَالُ قَبْلِ الْقَدْرِ. وَ"حَالُ" بَعْدَهُ:
- **فَعَلَيْهِ قَبْلَ الْمَقْدُورِ أَنْ يَسْتَعِينَ بِاللَّهِ وَيَتَوَكَّلَ عَلَيْهِ وَيَدْعُوهُ ، فَإِذَا قُدِّرَ الْمَقْدُورُ بِغَيْرِ فِعْلِهِ ، فَعَلَيْهِ أَنْ يَصْبِرَ عَلَيْهِ أَوْ يَرْضَى بِهِ ، وَإِنْ كَانَ بِفِعْلِهِ وَهُوَ نِعْمَةٌ حَمِدَ اللَّهَ عَلَى ذَلِكَ وَإِنْ كَانَ ذَنْبًا اسْتَغْفَرَ إِلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ.**

■ **وَلَهُ فِي الْمَأْمُورِ "حَالَانِ":**

- **حَالُ قَبْلِ الْفِعْلِ وَهُوَ: الْعَزْمُ عَلَى الْإِمْتِنَالِ وَالِاسْتِعَانَةِ بِاللَّهِ عَلَى ذَلِكَ.**
- **وَحَالُ بَعْدَ الْفِعْلِ وَهُوَ: الْاسْتِغْفَارُ مِنَ التَّقْصِيرِ وَشُكْرُ اللَّهِ عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ مِنَ الْخَيْرِ . وَقَالَ تَعَالَى: ﴿**فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ ﴿أَمْرُهُ أَنْ يَصْبِرَ عَلَى الْمَصَائِبِ الْمَقْدَرَةِ ، وَيَسْتَغْفِرَ مِنَ الذَّنْبِ وَإِنْ كَانَ اسْتَغْفَارُ كُلِّ عَبْدٍ بِحَسَبِهِ ، فَإِنَّ حَسَنَاتِ الْأَبْرَارِ سَيِّئَاتُ الْمُقَرَّبِينَ. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ وَقَالَ يُوسُفُ: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ **فَذَكَرَ الصَّبْرَ عَلَى الْمَصَائِبِ وَالتَّقْوَى بِتَرْكِ الْمَعَائِبِ .**

- **وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ {اِحْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِزْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزَنَّ وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا كَذَا وَكَذَا. وَلَكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اللَّهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ} . فَأَمْرُهُ إِذَا أَصَابَتْهُ الْمَصَائِبُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى الْقَدْرِ. وَلَا يَتَحَسَّرَ عَلَى الْمَاضِي. بَلْ يَعْلَمْ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ. وَأَنَّ مَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ. فَالنَّظَرُ إِلَى الْقَدْرِ عِنْدَ الْمَصَائِبِ. وَالِاسْتِغْفَارُ عِنْدَ الْمَعَائِبِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ لَكِي لَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾ قَالَ عَلْقَمَةُ: وَغَيْرُهُ هُوَ الرَّجُلُ تُصِيبُهُ الْمُصِيبَةُ فَيَعْلَمُ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَيَرْضَى وَيُسَلِّمُ. وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ.**

(١) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ٥٦) برقم: (٢٦٦٤) (كتاب القدر ، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله) (بهذا اللفظ)

■ وقال : شر الخلق من يحتج بالقدر لنفسه ولا يراه حجة لغيره ، يستند إليه في الذنوب والمعائب ، ولا يطمئن إليه في المصائب ، كما قال بعض العلماء: **أنت عند الطاعة قدرتي ، وعند المعصية جبري** ، أي مذهب وافق هواك تمذهبت به، وبإزاء هؤلاء خير الخلق الذين يصبرون على المصائب ويستغفرون من المعائب، كما قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ [غافر: ٥٥] . وقد ذكر الله تعالى عن آدم -عليه السلام- أنه لما فعل ما فعل قال: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]، وعن إبليس أنه قال: ﴿بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٣٩]، **فمن تاب أشبه أباه آدم ومن أصرَّ واحتج بالقدر أشبه إبليس**"

• قال ابن قدامة: "ولا نجعل قضاء الله وقدره حجة لنا في ترك أوامره واجتناب نواهيه ، بل يجب أن نؤمن ، ونعلم أن لله علينا الحجة بإنزال الكتب وبعثة الرسل ، قال الله تعالى: ﴿لِيَأْتِيَ النَّاسُ عَلَى اللَّهِ حُجَّةً بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥] ."

○ **مسألة :** اختلف أهل العلم في وقت هذه الحاجة وهذا الالتقاء بين آدم وموسى -عليه السلام-، فذكروا فيها عدة أقوال، منها:

- - أن ذلك كان في زمان موسى -عليه السلام-، حيث أحيا الله آدم معجزة له فكلمه.
 - - وقيل: بل كشف الله لموسى -عليه السلام- عن قبر آدم -عليه السلام- فكلمه.
 - - وقيل: إن ذلك لم يقع بعد، وإنما يقع في الآخرة، وأخبر عنه النبي ﷺ بلفظ الماضي لتحقق وقوعه.
- وكلها اجتهادات لا دليل عليها، إذ لم يرد في أي من طرق هذا الحديث تحديد وقتها ولا مكانها ولا كيفيتها، وعلى هذا فالواجب الوقوف عند حدود ما ورد، والله أعلم.
- قال ابن عبد البر في التمهيد (١٨/١٦): "ذلك عندي لا يحتمل تكييفًا، وإنما فيه التسليم، لأننا لم نؤت من جنس هذا العلم إلا قليلًا".
 - وقال ابن الجوزي في كشف المشكل (٣/٣٨٢ - ٣٨٣): "فإن قال قائل: كيف اجتمعا ومتى اجتمعا؟ فالجواب: أنه يجب الإيمان بكل ما نخبه به عن الصادق المصدوق وإن لم نطلع على كيفيته ... وليس هذا بأول خبر يجب علينا الإيمان به وإن جهلنا معناه ... ومتى ضاقت الحيل في كشف المشكلات للإحساس لم يبق إلا فرض التسليم" قلت: المعنى واضح غير مجهول، وإنما المجهول الكيفية، وهذا مراد ابن الجوزي في قوله: "وإن جهلنا معناه" أي: كيفيته كما قد صرح به في أول هذا النقل، والله أعلم.

○ **مسألة:** قوله في الحديث: "أتلومني على أمر قدره الله علي قبل أن يخلقني بأربعين سنة" اختلف أهل العلم في وقت هذه الكتابة للمعصية التي وقع فيها آدم عليه السلام ، لأنه قد ثبت:

■ في صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال: (كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء)^(١).

● - فذهب ابن الجوزي إلى أن المعلومات كلها قد أحاط بها علم الله القديم قبل وجود المخلوقات كلها، ولكن كتابتها وقعت في أوقات متفاوتة، فيجوز أن تكون قصة آدم بخصوصها كتبت قبل خلقه بأربعين سنة ، ويجوز أن تكون هذه المدة -الأربعون سنة- هي مدة لبثه طيناً إلى أن نفخت فيه الروح ، فإنه قد رُوي أن ما بين تصويره ونفخ الروح فيه كان مدة أربعين سنة، ولا يخالف ذلك كتابة المقادير عموماً قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة. [انظر: كشف المشكل (٣/ ٣٨٣)، وفتح الباري (١١/ ٥٠٨)].

● وقال ابن القيم في شفاء العليل (١/ ٤٦): "هذا التقدير بعد التقدير الأول السابق بخلق السموات بخمسين ألف سنة"، يعني: وهو داخل في التقدير الأول لم يخرج عنه. [انظر: شفاء العليل (١/ ٧٣)].

● - وقيل: يحتمل أن يكون المراد بالأربعين سنة ، ما بين قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ إلى نفخ الروح في آدم. [انظر: فتح الباري (١١/ ٥٠٨)، ومعالم السنن للخطابي (٤/ ٢٩٧)].

● - وقال المازري: الأشبه أنه أراد بقوله: (قبل أن يخلقني بأربعين سنة) أي: كتبه في التوراة، ألا تراه يقول في بعض طرقه: (فبكم وجدت الله كتب التوراة قبل أن أخلق؟ قال موسى: بأربعين عاماً، قال آدم: فهل وجدت فيها: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾؟ قال: نعم، قال: أفتلومني على أن عملت عملاً كتبه الله علي أن أعمله قبل أن يخلقني بأربعين سنة). [انظر: المعلم (٣/ ١٧٨)، وفتح الباري (١١/ ٥٠٩)] وإلى هذا ذهب ابن مفلح -رحمه الله- حيث قال في الآداب الشرعية (١/ ٢٧٧): "هذه الكتابة في التوراة، كصريح هذه الرواية، لأن علم الله -عز وجل- وما قدره وأراداه قديم". - وقيل غير ذلك. [انظر: شرح النووي على مسلم (١٦/ ٤٤٠ - ٤٤١)، وفتح الباري (١١/ ٥٠٨ - ٥٠٩)].

والذي تدل عليه روايات الحديث:

(١) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ٥١) برقم: (٢٦٥٣) (كتاب القدر ، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام) (بهذا اللفظ)

- - أن التوراة كتبت قبل خلق آدم بأربعين سنة، وفيها ذكر معصية آدم.
- - أن المعصية كتبت قبل خلق آدم بأربعين سنة، وعليه تكون هذه الكتابة كتاباً ثانية.
- - إذ أنها داخلية في كتابة المقادير قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، كما في الحديث المتقدم - **فهي من جنس كتابة الملك ما يتعلق بالجنين**، من عمله، ورزقه، وأجله، وشقي أو سعيد، كما في حديث ابن مسعود رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: (إن أحدكم يُجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون علقه مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكاً فيؤمر بأربع كلمات، ويُقال له: اكتب عمله ورزقه وأجله وشقي أو سعيد، ثم يُنفخ فيه الروح).^(١)

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٤ / ١١١) برقم: (٣٢٠٨) (كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة) (بهذا اللفظ)، ومسلم في "صحيحه" (٨ / ٤٤) برقم: (٢٦٤٣) (كتاب القدر، باب كيفية خلق الأدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته) (بنحوه).

○ المسألة التاسعة : مسائل القدر كما جاءت في الطحاوية (١)

• قال في الطحاوية (٣٥) ومشيتته تنفذ، لا مشيئة للعباد إلا ما شاء لهم، فما شاء لهم كان ، وما لم يشأ لم يكن:

(ش) : الله سبحانه وتعالى له مشيئة ، والعباد لهم مشيئة ، ولكن مشيئة العباد مرتبة على مشيئة الله ، وليست مستقلة ، ولهذا قال سبحانه : ﴿وما تشاءون إلا أن يشاء الله إن الله كان عليماً حكيماً﴾ [الإنسان: ٣٠] وقال سبحانه : ﴿وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين﴾ [التكوير: ٢٩] فجعل لنفسه مشيئة هي من صفاته ، وجعل لعباده مشيئة هي من صفاتهم ، وربط مشيئتهم بمشيئته سبحانه ، وفي هذا رد على القدرية والجبرية:

فالقدرية ينفون مشيئة الله لأفعال العباد ، ويجعلون للعبد مشيئة مطلقة ، وأن العبد مستقل بأفعاله وإرادته ومشيتته ، هذا مذهب القدرية من المعتزلة وغيرهم.

والجبرية يقولون: العبد ليس له مشيئة، وإنما المشيئة لله فقط، والعبد يتحرك بدون اختياره ولا إرادته، مثل ما تحرك الآلة.

فطائفة غلت في إثبات مشيئة الله وهم (الجبرية) وطائفة غلت في إثبات مشيئة العبد وهم (القدرية).

وأما أهل السنة والجماعة: فأثبتوا المشيئتين، وجعلوا مشيئة العبد مربوطة بمشيئة الله ، أخذاً من الآيتين السابقتين فقلوه: ﴿وما تشاءون﴾ فيه إثبات مشيئة العباد ، وقوله: ﴿إلا أن يشاء الله﴾ فيه إثبات مشيئة الله عز وجل ، وفي الآية أن مشيئة العبد ليست مستقلة ، وإنما هي مربوطة بمشيئة الله ؛ لأنه خلق من خلق الله ، خلقه وخلق مشيئته وخلق إرادته ، ولهذا لما قال بعض الناس للنبي ﷺ:

■ **(صحيح لغيره) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: مَا شَاءَ اللَّهُ ، وَشِئْتَ ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: أَجَعَلْتَنِي وَاللَّهِ عِدْلًا ، بَلْ مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَهُ . «وفي لفظ» " قَالَ رَجُلٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ! قَالَ: "جَعَلْتَ لِلَّهِ نِدًّا؟! مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَهُ" (٢). ولما بلغ النبي ﷺ أن قومًا يقولون: ما شاء الله**

(١) - تم نقل الشرح -بتصرف يسير- من تعليقات الشيخ صالح الفوزان -يحفظه الله- على العقيدة الطحاوية طبعة دار العاصمة.

(٢) - أخرجه النسائي في "الكبرى" (٩ / ٣٦٢) برقم: (١٠٧٥٨) (كتاب عمل اليوم والليلة ، النهي أن يقال ما شاء الله وشاء فلان (بنحوه) ، وأحمد في "مسنده" (٢ / ٤٧٢) برقم: (١٨٦٤) (مسند بني هاشم رضي الله عنهم ، مسند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم) (بهذا اللفظ) . قال الأرئوط في «مسند أحمد» (٣ / ٣٣٩ ط الرسالة): «صحيح لغيره» ، وصححه الألبيني باللفظ الآخر في «صحيح الأدب المفرد» (ص ٢٩٢): برقم «٧٨٣/٦٠٥»

وشاء محمد ، أنكر ذلك وقال: "قولوا : ما شاء الله ثم شاء محمد" ، فجعل مشيئته مرتبة على مشيئة الله "بثم" التي تفيد الترتيب والتراخي ، لا بالواو؛ لأنها تقتضي التشريك.

■ (صحيح) **عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ** رضي الله عنه ، قَالَ : رَأَى رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ فِي النَّوْمِ أَنَّهُ لَقِيَ قَوْمًا مِنَ الْيَهُودِ ، فَأَعْجَبَتْهُ هَيْئَتُهُمْ ، فَقَالَ : إِنَّكُمْ لَقَوْمٌ ، لَوْلَا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ : عَزَّيْرُ ابْنِ اللَّهِ ، فَقَالُوا : وَأَنْتُمْ قَوْمٌ ، لَوْلَا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ : مَا شَاءَ اللَّهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ ، قَالَ : وَلَقِيَ قَوْمًا مِنَ النَّصَارَى ، فَأَعْجَبَتْهُ هَيْئَتُهُمْ ، فَقَالَ : إِنَّكُمْ قَوْمٌ ، لَوْلَا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ : الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ، فَقَالُوا : وَأَنْتُمْ قَوْمٌ ، لَوْلَا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ : مَا شَاءَ اللَّهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ قَصَّ ذَلِكَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : كُنْتُ أَسْمَعُهَا مِنْكُمْ فَتُؤْذُونِي ، فَلَا تَقُولُوا : مَا شَاءَ اللَّهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ ^(١).

● قال في الطحاوية : (٣٦) يهدي من يشاء ، ويعصم ويعافي **فضلاً** ، ويضل من يشاء ويخذل ويبتلي **عدلاً**؛

(ش): الله سبحانه يهدي من يشاء ، ويضل من يشاء ، وهذا بقضاء الله وقدره ، ولكنه يهدي من يعلم أنه يصلح للهداية ، **ويهدي من يحرص على طلب الهداية ويُقبل عليها** ، فإن الله ييسره ليسرى ، ويضل من يشاء بسبب **إعراضه عن طلب الهداية والخير** ، فيضله الله **عقوبة له على إعراضه وعدم رغبته في الخير** ، يوضح ذلك قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنِيَسِرْهُ لِيَسْرَى﴾ [الليل: ٥-٧] **فصار السبب من العبد ، والقدر من جهة الله سبحانه**: ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنِيَسِرْهُ لِيَعْسَى﴾ [الليل: ٨-١٠] **فصار السبب من العبد والقدر من الله عز وجل** ، ولكن قدره الله عقوبة له.

فقدّر الله الهداية فضلاً من الله عز وجل ، وتكرم على الشخص الذي يريد الخير ويريد الهداية ، فييسره الله للخير ولفعله ، وهذا لمصلحته ، لا لمصلحة الله عز وجل ، وأما إضلال الضالين فعدل منه سبحانه وتعالى ، جزاءً لهم على إعراضهم ، وعدم إقبالهم على الخير وعلى طاعة الله عز وجل- اختياراً منهم لأنفسهم مع قدرتهم على الطاعة ، ولكنهم فضلوا العصيان عليها- ، لم يظلمهم شيئاً ، ولهذا نجد في الآيات ﴿والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ [البقرة: ٢٥٨] ﴿والله لا يهدي

(١) - أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (١٣ / ٣٢) برقم: (٥٧٢٥) (كتاب الحظر والإباحة ، ذكر الزجر عن أن يقول المرء في أموره ما شاء الله وشاء محمد) (بهذا اللفظ) والضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" (٨ / ١٤٢) برقم: (١٥٤) (باب الطاء ، الطفيل بن سخرية أخو عائشة لأمها) (بنحوه). وقال: "إسناده صحيح". قال الأرناؤوط في «الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان» (١٣ / ٣٣): «حديث صحيح». وقال الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها» (١ / ٢٦٤): برقم ١٣٧ «وهذا سند صحيح في الظاهر، فإن رجاله كلهم ثقات، غير أنه قد اختلف فيه على ابن عمير، فرواه سفيان عنه هكذا...»

القوم الكافرين ﴿البقرة: ٢٦٤﴾، ﴿والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ [المائدة: ١٠٨] **فجعل الظلم، والكفر، والفسق، أسباباً لعدم الهداية، وهذه من أفعال العباد جازأهم عليها، عدلاً منه سبحانه وتعالى لا ظلماً** ﴿وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ [النحل: ٣٣]، فلا يليق به سبحانه أن يكرم من هذا وصفه ، **وأيضاً لا يليق به سبحانه وتعالى أن يُضيع عمل العاملين** ، قال سبحانه : ﴿أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون﴾ [الجاثية: ٢١] ﴿وخلق الله السموات والأرض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون﴾ [الجاثية: ٢٢]، ﴿أفنجعل المسلمين كالمجرمين * ما لكم كيف تحكمون﴾ [القلم: ٣٦، ٣٥] **هذا جورينزه الله عنه** ، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار﴾ [ص: ٢٨]. فالله سبحانه وتعالى لا يُضيع أجر من عمل صالحاً، ولا يجازي أحداً بغير فعله ، وبغير كسبه ﴿وما تجزون إلا ما كنتم تعملون﴾ [الصافات: ٣٩] **فالعامل كله للعبد من الخير والشر، والمجازاة من الله فضلاً وعدلاً.**

- (٩٠) وقوله : والسعيد من سعد بقضاء الله، والشقي من شقي بقضاء الله: (ش) لا يشقى بقضاء الله عز وجل ، إنما يشقى بعمله الذي قدره الله له -بسبب تفضيله الضلالة على الهدى-. فمن قدر الله أنه يشقى أو يسعد فسييسره له.
- (٩١) قوله : "وأصل القدر سر الله تعالى في خلقه: (ش): أي : لن تصل إلى سره ، مهما حاولت التفتيش في القضاء والقدر. فلا تكلف نفسك ، ولكن آمن بالقضاء والقدر، واعمل الأعمال الصالحة واجتنب الأعمال السيئة، وأما أن تبحث عن أسرار القدر فهذا ليس من اختصاصك ، ولا هو من شأنك ، وما كلفت به (ولا يطيقه عقلك).
- (٩٢) "لم يطلع على ذلك ملك مقرب ولا نبي مرسل" (ش): هذا من شأن الله عز وجل ، ومن الغيب الذي لا يعلمه إلا الله ، ولا يعلمه غيره ، لا الملائكة ولا الأنبياء ولا غيرهم ، وأفضل الرسل يقول: ﴿ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير﴾ [الأعراف: ١٨٨].
- (٩٣) "والتعمق والنظر في ذلك ذريعة الخذلان، وسلّم الحرمان ، ودرجة الطغيان: (ش) : **هذا كلام عظيم** ". أي التعمق في القضاء والقدر ومسائله ، وإشغال الوقت والنفوس والقلب ، مما يورث الشكوك ويخذل عن العمل ، فهذا من اللعب والخذلان. وإذا خذل الله العبد شغله في هذه

الأمر، وإذا أكرم الله العبد شغله في طاعته ، واغتنام وقته. فنحن لنا حدود لا نتعدها ، فالله ما كلفنا بالبحث في القضاء والقدر، ولكن كلفنا باعتقاد ذلك بالعمل الصالح وترك العمل السيئ .

- (٩٤) "فالحذر كل الحذر من ذلك نظراً وفكراً ووسوسة" . (ش): أي احذر من هذه الأمور، والنظر في هذه الأمور، والتفكير فيها، والوسوسة وهي: التردد والشك، اترك هذه الأمور، وسد هذا الباب أصلاً.
- (٩٥) "فإن الله تعالى طوى علم القدر عن أنامه ونهاهم عن مرامه" (ش): هذا تأكيد لما سبق "القدر سر الله تعالى" ومعنى طوى: أخفى، فطوى الله هذه المعلومات عن خلقه ؛ لأنه ليس لهم فيها مصلحة.
- (حسن). **عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ** ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ ، قَالَ : خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَصْحَابِهِ وَهُمْ يَخْتَصِمُونَ فِي الْقَدْرِ ، فَكَانَ يَفْقَهُ فِي وَجْهِهِ حُبَّ الرُّمَّانِ مِنَ الْغَضَبِ ، فَقَالَ : هَذَا أُمِرْتُمْ ، أَوْ لِهَذَا خُلِقْتُمْ ؟ تَضْرِبُونَ الْقُرْآنَ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ هَذَا هَلَكْتَ الْأُمَّةُ قَبْلَكُمْ . قَالَ : فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو : مَا غَبَطْتُ نَفْسِي بِمَجْلِسٍ تَخَلَّفْتُ فِيهِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا غَبَطْتُ نَفْسِي بِذَلِكَ الْمَجْلِسِ وَتَخَلَّفِي عَنْهُ . "(١)
- (٩٧) "كما قال تعالى في كتابه: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾" (ش): أنت لا تسأل الله ولا تناقشه عن أفعاله وعن قضائه وقدره ، تأدب مع الله ؛ لأنك عبد ، فلا تتدخل في شؤونه جل وعلا ، فالله لا يسأل عما يفعل؛ لأن الله لا يفعل شيئاً إلا لحكمة ، والحكمة قد تظهر وقد تخفى علينا ، فنؤمن بأن الله لا يفعل شيئاً عبثاً ؛ إنما يفعله لحكمة ، سواءً ظهرت لنا أو لم تظهر. فالإنسان مسؤول عن عمله ، ليس مسؤولاً عن أعمال الله عز وجل ، فاعتن بما أنت مسؤول عنه يوم القيامة ، وهو عملك، فعلى العبد التسليم لله.

- (٩٨) "فمن سأل: لِمَ فعل؟ فقد رد حكم الكتاب" (ش): أي قال: لم فعل الله كذا؟ لم قدر الله كذا وكذا؟ فمن قال هذا، فقد رد حكم الكتاب؛ لأن الله يقول: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ [الأنبياء: ٢٣].
- (٩٩) "ومن رد حكم الكتاب كان من الكافرين" (ش): فمن رد حكم الكتاب والسنة ، واعترض على ذلك ، وذهب إلى العقل والتفكير صار من الكافرين ؛ لأن الإيمان بالكتاب والسنة هما ركنان من أركان الإيمان.

- (١٠٠) "فهذا جملة ما يحتاج إليه من هو مئور قلبه من أولياء الله تعالى" (ش): أي يحتاجه في أمور القضاء والقدر، فأنت تؤمن بالقدر ومراتبه الأربع ؛ تؤمن بتفاصيلها التي جاءت في الكتاب والسنة ، ولا تدخل في المناقشات والاعتراضات ، بل تعمل العمل الصالح والأسباب المناسبة.

(١) - أخرجه ابن ماجه في "سننه" (١ / ٦٣) برقم: (٨٥) (أبواب السنة ، باب في القدر) (بهذا اللفظ) . قال الأرئوط في «سنن ابن ماجه» (١ / ٦٣ ت الأرئوط): «إسناده حسن»

■ (١٠١) "وهي درجة الراسخين في العلم" (ش): الراسخون، يعني: الثابتين في العلم، الذين عندهم علم راسخ، وليس عندهم شكوك ولا جهل، فهم يؤمنون بالقضاء والقدر، ويعملون الأعمال الصالحة، ويتركون الأعمال السيئة، ولا يتدخلون مع الله في سر من أسرارهِ، ولا يناقشونه ويعترضون عليه، هذا شأن الراسخين في العلم، وأما الجهال فيدخلون في ضلالات وأمور ابتدعوها.

■ (١٨١) قوله: "ولا يطيقون إلا ما كلفهم:" (ش): **هذا فيه نظر**؛ بل يطيقون أكثر مما كلفهم، ولكن الله يريد بهم اليسر ولا يريد بهم العسر، فالله وضع عنهم المشقة، وشرع لهم الدين اليسر، ونهاهم عن الزيادة على الاعتدال، فلا يجوز للإنسان أن يصلي كل الليل، وكذلك لا يجوز له ترك الزواج:

■ **فيهما عن أنس بن مالك** رضي الله عنه قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ، يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟! قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبداً، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء رسول الله ﷺ فقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني. ^(١) فالله لا يكلف ما يشق عليهم، والله لو كلفهم لأطاقوا، ولكن لا يرضى لهم المشقة والعسر.

● (١٨٢) "وهو تفسير: "لا حول ولا قوة إلا بالله" نقول: لا حيلة لأحد، ولا حركة لأحد ولا تحول لأحد عن معصية الله إلا بمعونة الله، ولا قوة لأحد على إقامة طاعة الله والثبات عليها إلا بتوفيق الله" (ش): (لا حول) أي: لا تحول من حال إلى حال (إلا بالله) عز وجل وإعانتته. وكذلك: ليس لك قوة إلا من قوة الله عز وجل، ففي هذا تسليم وبراءة من الحول والقوة، فالإنسان لا يُعجب بحوله ولا بقوته، وإنما يرجع إلى الله عز وجل، فتستعين بالله، فيعينك على الطاعة، ومن التحول من المعصية إلى الطاعة، ومن الكفر إلى الإسلام، فكل شيء بحول الله وقوته، ولو وكلك إلى حولك لم تستطع، وكذلك الكد والكسب لطلب المال، هذا الكد والتعب منك، ولكن التوفيق ووضع البركة من الله عز وجل.

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٧ / ٢) برقم: (٥٠٦٣) (كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح) (بهذا اللفظ) ومسلم في "صحيحه" (٤ / ١٢٩) برقم: (١٤٠١) (كتاب النكاح، (بنحوه).

○ المسألة العاشرة: ما جاء في (اللو).^(١)

- أولاً: ما جاء من النهي عن استعمال (لو):
- **في مسلم عن أبي هريرة** رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان" ^(٢).
- ثانياً: النصوص الدالة على جواز استعمال (لو):
- **وفي مسلم حديث عائشة** رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: "لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما سقت الهدي .." ^(٣).
- **وعقد البخاري رحمه الله في صحيحه في كتاب التمني باباً بعنوان: ما يجوز من اللو** ثم ذكر فيه تسعة أحاديث، أذكر منها ما يلي:
- **حديث ابن عباس رضي الله عنهما:** "لو كنت راجماً امرأة من غيرينة .." ^(٤)
- **حديث أبي هريرة** رضي الله عنه أنهم لما أبوا أن ينتهوا عن الوصال، واصل بهم النبي ﷺ حتى رأوا الهلال ثم قال: "لو تأخر لزدتكم" كالمنكّل لهم. ^(٥)
- **حديث عبد الله بن زيد** رضي الله عنه: "لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار ولو سلك الناس وادياً أو شعباً لسلك وادي الأنصار وشعبها" ^(٦).

(١) - نقلت هذه المسألة بحروفها - بتصريف يسير - من كتاب «أحاديث العقيدة التي يوهم ظاهرها التعارض في الصحيحين دراسة وترجيح» للدكتور محمد بن سليمان الديبكي.

(٢) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ٥١) برقم: (٢٦٥٣) (كتاب القدر ، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام) (بهذا اللفظ)

(٣) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٤ / ٣٣) برقم: (١٢١١) (كتاب الحج ، باب بيان وجوه الإحرام وأنه يجوز إفراد الحج والتمتع والقران) (بهذا اللفظ) .

(٤) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٩ / ٨٥) برقم: (٧٢٣٨) (كتاب التمني ، باب ما يجوز من اللو) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (٤ / ٢١٠) برقم: (١٤٩٧) (كتاب اللعان ،) (بنحوه).

(٥) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٣ / ٣٧) برقم: (١٩٦٥) (كتاب الصوم ، باب التنكيل لمن أكثر الوصال) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (٣ / ١٣٣) برقم: (١١٠٣) (كتاب الصيام ، باب النهي عن الوصال في الصوم) (بمثله) .

(٦) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٩ / ٨٦) برقم: (٧٢٤٤) (كتاب التمني ، باب ما يجوز من اللو) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (١٦ / ٢٥٩) برقم: (٧٢٦٩) (كتاب إخباره صلى الله عليه وسلم عن مناقب الصحابة رجالهم ونسائهم بذكر أسمائهم رضوان الله عليهم أجمعين ، ذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم أن لولا الهجرة لكان امرأ من الأنصار) (بنحوه).

• بيان وجه التعارض:

بالنظر إلى الأحاديث السابقة نجد أن الحديث الأول فيه النهي عن استعمال كلمة (لو) بينما نجد في بقية الأحاديث استعمال الرسول ﷺ لهذه الكلمة مما يدل على جوازها.

• مذاهب العلماء تجاه هذا التعارض.

لا تخرج أقوال أهل العلم في هذه المسألة عن مذهب الجمع ، وقد جاءت هذه الأقوال متقاربة يمكن رد بعضها إلى بعض وتقسيمها إلى ثلاثة أقوال كما يلي:

• القول الأول:

ما ذهب إليه القاضي عياض رحمه الله وهو الـ تفريق بين استعمالها لما مضى وانقضى ، وليس في القدرة ولا في الإمكان فعله، وبين استعمالها في الخبر عما يُستقبل مما لا اعتراض فيه على قدر. فالأول مكروه كراهة تنزيه ، وعليه يُحمل حديث النهي، والثاني جائز لا كراهة فيه ، وعليه تحمل الأحاديث التي ذكرها البخاري في باب: ما يجوز من اللو.

• القول الثاني: ما ذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره من أن (لو) تستعمل على وجهين:

أحدهما: على وجه الحزن على الماضي والجزع من المقدور وهذا هو المنهى عنه كما قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ}. [آل عمران: ١٥٦]

والوجه الثاني: أن تستعمل (لو) لبيان علم نافع أو لبيان محبة الخير وإرادته، وهذا جائز فمثال الأول قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢] ، ومثال الثاني: ما جاء في الحديث "لو أن لي مالا لعملت فيه بعمل فلان فهو بنيته فأجرهما سواء" ..

• قال النووي رحمه الله: "الظاهر أن النهي إنما هو عن إطلاق ذلك في ما لا فائدة فيه فيكون نهى تنزيه لا تحريم، فأما من قاله تأسفاً على ما فات من طاعة الله أو ما هو متعذر عليه من ذلك ونحو هذا فلا بأس به ، وعليه يحمل أكثر الاستعمال الموجود في الأحاديث".

• وقال القرطبي: "محل النهي عن إطلاقها إنما هو فيما إذا أطلقت في معارضة القدر، أو مع اعتقاد: أن ذلك المانع لو ارتفع لوقع خلاف المقدور، فأما لو أخبر بالمانع على جهة أن تتعلق به فائدة في المستقبل، فلا يختلف في جواز إطلاقه، إذ ليس في ذلك فتح لعمل الشيطان ولا شيء يُفضى إلى ممنوع ولا حرام".

- **القول الثالث:** ما ذهب إليه الطبري رحمه الله من أن النهي مخصوص بالجزم بالفعل الذي لم يقع ، فالمعنى: لا تقل لشيء لم يقع لو أني فعلت كذا لوقع قاضيًا بتحتّم ذلك غير مضمّر في نفسك شرط مشيئة الله تعالى، وما ورد من قول (لو) محمول على ما إذا كان قائله موقنًا بالشرط المذكور ، وهو أنه لا يقع شيء إلا بمشيئة الله وإرادته.

● الترجيح

- لم يفهم أهل العلم من حديث النهي -"وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا وكذا"- النهي عن استعمال (لو) مطلقًا، فقد بَوَّب البخاري في صحيحه -كما تقدم- باب ما يجوز من اللو
- قال ابن حجر تعليقًا على هذه الترجمة: "فيه إشارة إلى أنّها في الأصل لا تجوز إلا ما استثنى".
- وقال الطحاوي: "(لو) ليست مكروهة في كل الأشياء".
- وقال القرطبي بعد ذكره لحديث النهي: "ولا يفهم من هذا أنه لا يجوز النطق بـ (لو) مطلقًا، إذ قد نطق بها النبي ﷺ"، وهذا الفهم صحيح لورود الأحاديث الكثيرة التي فيها استعمال الشارع لهذه الكلمة، وحاشاه من أن تتناقض أقواله، ولهذا جاءت أقوال أهل العلم في هذه المسألة بالتفصيل -كما تقدم- وذلك للجمع بين هذه النصوص.
- ولا شك أن التفصيل في هذه المسألة هو المتعين، ويمكن أن نجعل لهذه المسألة ضابطًا ينتظم جميع استعمالات (لو) ويجمع بين هذه النصوص كما يلي:

- **الضابط في حكم استعمال (لو) هو: أنها بحسب الحال الباعث والحامل عليها، وعلى هذا:**

● ما لم يقدر له، فله حالتان:

- **حالة عجز**، وهي مفتاح عمل الشيطان فيلفيه العجز إلى (لو) ولا فائدة في (لو) هاهنا، بل هي مفتاح اللوم والجزع والسخط والأسف والحزن، وذلك كله من عمل الشيطان فنهاه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عن افتتاح عمله بهذا المفتاح .

■ **الحالة الثانية: فوات المطلوب بعد بذل الوسع والاستعانة بالله : فيكون النظر إلى القدر وما لاحظته**

- ، وأنه لو قدر له لم يفته ولم يغلبه عليه أحد، فلم يبق له هاهنا أنفع من شهود القدر ومشية الرب النافذة التي توجب وجود المقدور، وإذا انتفت امتنع وجوده، فلماذا قال: "وإن أصابك شيء" أي: غلبك الأمر ولم يحصل المقصود بعد بذل الجهد والاستعانة بالله فلا تقل: "لو أني فعلت لكان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل" فأرشدته إلى ما ينفعه في الحالتين: حالة حصول مطلوبه، وحالة فواته، فلماذا كان هذا الحديث مما لا يستغني عنه العبد أبدًا، بل هو أشد شيء إليه ضرورة".

○ **المسألة الحادية عشرة:** مسألة الميثاق الذي أخذه الله تعالى من آدم وذريته .

الميثاق الذي أخذه الله تعالى من آدم وذريته أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً حق، كما جاء في الحديث أن النبي ﷺ أخبرنا أن الله استخرج ذرية آدم من ظهره كأمثال الذر، وأشهدهم على أنفسهم بالوحدانية، وأخذ عليهم الميثاق أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً. ومن الأدلة الدالة على ذلك:

■ **(حسن).** عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: أَخَذَ اللَّهُ الْمِيثَاقَ مِنْ ظَهْرِ آدَمَ بِنَعْمَانَ- يَعْنِي عَرَفَةَ- فَأَخْرَجَ مِنْ صُلْبِهِ كُلَّ ذُرِّيَّةٍ ذَرَأَاهَا، فَنَثَرَهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ كَالذَّرِّ، ثُمَّ كَلَّمَهُمْ قَبْلًا قَالَ: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿الْمُبْطِلُونَ﴾. (١)

■ **(حسن صحيح) وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ** ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ وَنَفَخَ فِيهِ الرُّوحَ عَطَسَ، فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، فَحَمِدَ اللَّهُ بِإِذْنِ اللَّهِ. فَقَالَ لَهُ رَبُّهُ: يَرْحَمُكَ رَبُّكَ يَا آدَمُ، اذْهَبْ إِلَى أَوْلَيْكَ الْمَلَائِكَةِ - إِلَى مَلَأٍ مِنْهُمْ جُلُوسٍ - فَسَلِّمْ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَقَالُوا: وَعَلَيْكُمْ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى رَبِّهِ، فَقَالَ: هَذِهِ تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ بَنِيكَ بَيْنَهُمْ، وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا وَيَدَاهُ مَقْبُوضَتَانِ: اخْتَرْتُ أَيُّهُمَا شِئْتَ. فَقَالَ: اخْتَرْتُ يَمِينَ رَبِّي، وَكَلَّمَا يَدَيَّ رَبِّي يَمِينَ مُبَارَكَةً، ثُمَّ بَسَطَهُمَا فَإِذَا فِيهِمَا آدَمُ وَذُرِّيَّتُهُ، فَقَالَ: أَيُّ رَبِّ مَا هَؤُلَاءِ؟ فَقَالَ: هَؤُلَاءِ ذُرِّيَّتُكَ، فَإِذَا كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ مَكْتُوبٌ عُمُرُهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، فَإِذَا فِيهِمْ رَجُلٌ أَضْوؤُهُمْ أَوْ مِنْ أَضْوؤِهِمْ لَمْ يَكْتُبْ لَهُ إِلَّا أَرْبَعِينَ سَنَةً. قَالَ: يَا رَبِّ، مَا هَذَا؟ قَالَ: هَذَا ابْنُكَ دَاوُدُ. وَقَدْ كَتَبَ اللَّهُ عُمُرَهُ أَرْبَعِينَ سَنَةً. قَالَ: أَيُّ رَبِّ، زِدْهُ فِي عُمُرِهِ. قَالَ: ذَاكَ الَّذِي كَتَبْتُ لَهُ. قَالَ: فَإِنِّي قَدْ جَعَلْتُ لَهُ مِنْ عُمُرِي سِتِّينَ سَنَةً. قَالَ: أَنْتَ وَذَلِكَ اسْكُنِ الْجَنَّةَ، فَسَكَنَ الْجَنَّةَ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ أُهْبِطَ مِنْهَا، وَكَانَ آدَمُ يَعُدُّ لِنَفْسِهِ، فَأَتَاهُ مَلَكُ الْمَوْتِ، فَقَالَ لَهُ آدَمُ: قَدْ عَجِلْتُ، قَدْ كُتِبَ لِي أَلْفُ سَنَةٍ. قَالَ

(١) - أخرجه الضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" (١٠ / ٣٣٨) برقم: (٣٦٦) (من اسمه عبد الله، كلثوم بن جبر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس) (بهذا اللفظ)، والحاكم في "مستدرکه" (١ / ٢٧) برقم: (٧٦) (كتاب الإيمان، تفسير آية وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم) (بنحوه). وصححه ووافقه الذهبي، والنسائي في "الكبرى" (١٠ / ١٠٢) برقم: (١١١٢٧) (كتاب التفسير، قوله تعالى وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم) (بمثله)، وأحمد في "مسنده" (٢ / ٦٠٣) برقم: (٢٤٩٤) (مسند بني هاشم رضي الله عنهم، مسند عبد الله بن عباس بن عبد المطلب رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم) (بمثله). قال الأرئوط في «مسند أحمد» (٤ / ٢٦٧ ط الرسالة): «رجالها ثقات رجال الشيخين غير كلثوم بن جبر، فمن رجال مسلم، ووثقه أحمد وابن معين، وذكره ابن حبان في "الثقات"، وقال النسائي: ليس بالقوي. ورجح الحافظ ابن كثير في "تفسيره" ٥٠١/٣ وقفه على ابن عباس». وقال الألباني في «السنة لابن أبي عاصم ومعها ظلال الجنة للألباني» (١ / ٨٩): «إسناده حسن وهو مخرج في "الصحيحة" ١٦٢٣»

: بَلَى ، وَلَكِنَّكَ جَعَلْتَ لِابْنِكَ دَاوُدَ مِنْهَا سِتِّينَ سَنَةً ، فَجَحَدَ فَجَحَدَتْ ذُرِّيَّتُهُ ، وَنَسِيَ ذُرِّيَّتُهُ ،
فَيَوْمَئِذٍ أَمَرَ بِالْكِتَابِ وَالشُّهُودِ .^(١)

وهذا العهد والميثاق لا يكفي، بل لابد معه من إرسال الرسل، ولذلك أرسل الله الرسل، ولو كان هذا يكفي وحده لما أرسل الله الرسل، ولكن أرسل الرسل من أجل أن تذكره وتدعو الناس إلى ما تضمنه.
■ وأما قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] فذهب بعض المفسرين إلى أن هذا هو العهد الذي أخذه الله على ذرية آدم والميثاق ، **وليس كذلك، بل هذا شيء آخر، والله يقول: ﴿من ظهورهم﴾ ولم يقل: من ظهر آدم** ، وتكملة الآية: ﴿وأشهدهم على أنفسهم ألاست بربكم قالوا بلى﴾ ، **وقال بعض العلماء: معنى ذلك: الفطرة التي فطرهم الله عليها، والآيات الكونية التي نصيها الله لهم ؛ ليعرفوا منها ربهم. فالله سبحانه فطرهم على التوحيد وعلى الإسلام.**
كما دلت الأحاديث على ذلك ومنها :

- **فيهما أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ** رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ ، كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بِهَيْمَةٍ جَمْعَاءَ ، هَلْ تُحْسِنُونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ ، ثُمَّ يَقُولُ: ﴿فِطَرَتِ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ . [الروم: ٣٠] ^(٢)
- **وفي لفظ فيهما عنه :** " مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ ، وَيُنَصِّرَانِهِ ، كَمَا تُنْتَجُونَ الْبَهِيمَةَ هَلْ تَجِدُونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ ؟ حَتَّى تَكُونُوا أَنْتُمْ تَجْدَعُونَهَا قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَرَأَيْتَ مَنْ يَمُوتُ وَهُوَ صَغِيرٌ؟ قَالَ: اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ . " ^(٣)

(١) - أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (٤٠ / ١٤) برقم: (٦١٦٧) (كتاب التاريخ ، ذكر خبر أوهم عالما من الناس أنه يضاد خبر عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي ذكرناه) (بهذا اللفظ) ، والحاكم في "مستدرکه" (٦٤ / ١) برقم: (٢١٤) (كِتَابُ الْإِيمَانِ ، قصة خلق آدم وجعله من عمره ستين سنة لداود عليهما السلام) (بمثله .) وصححه ووافقه الذهبي ، والنسائي في "الكبرى" (٩٢ / ٩) برقم: (٩٩٧٥) (كتاب عمل اليوم والليلة ، ما يقول إذا عطس) (بمثله مختصرا.) ، والترمذي في "جامعه" (٥٩ / ٥) برقم: (٣٠٧٦) (أبواب تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . ، باب ومن سورة الأعراف) (بنحوه مختصرا.) وقال : "حسن صحيح" . وقال الأرئوط في «الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان» (٤٢ / ١٤): «إسناده قوي على شرط مسلم» . وحسنه الألباني في «صحيح موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان» (٢٩٩ / ٢): برقم ١٧٤٧ - ٢٠٨٢ وقال: "حسن - "ظلال الجنة" (٩١ / ١) / ٢٠٦ ، "تخريج المشكاة" (٤٦٦٢) ، وقال في «صحيح فقه السنة وأدلته وتوضيح مذاهب الأئمة» (٢٧٦ / ٤): «صحيح بمجموع طرقه أخرجه الترمذي (٣٣٦٨) وابن حبان (٦١٦٧) ، والبيهقي في الأسماء والصفات (٧٠٨) ، وابن خزيمة في التوحيد»

(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" ، (١١٤ / ٦) برقم: (٤٧٧٥) (كتاب تفسير القرآن ، باب لا تبدل لخلق الله لدين الله خلق الأولين دين الأولين والفطرة الإسلام) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (٥٢ / ٨) برقم: (٢٦٥٨) (كتاب القدر ، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين) (بمثله) .

(٣) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (١٢٣ / ٨) برقم: (٦٥٩٩) (كتاب القدر ، باب الله أعلم بما كانوا عاملين) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (٥٣ / ٨) برقم: (٢٦٥٨) (كتاب القدر ، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين) (بمثله) .

- وفيهما عن ابن عباس ، عَنِ الصَّعْبِ بْنِ جَثَامَةَ رضي الله عنه قَالَ : سئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنِ الذَّرَارِيِّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ يُبَيِّتُونَ فَيَصِيبُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ وَذَرَارِيِّهِمْ ، فَقَالَ : هُمْ مِنْهُمْ .^(١)
- وفي البخاري عن سمرة بن جندب رضي الله عنه عن النبي ﷺ في حديث الرؤيا الطويل وفيه: "وَأَمَّا الرَّجُلُ الطَّوِيلُ الَّذِي فِي الرُّؤْيَا فَإِنَّهُ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام ، وَأَمَّا الْوِلْدَانُ الَّذِينَ حَوْلَهُ فَكُلُّ مَوْلُودٍ مَاتَ عَلَى الْفِطْرَةِ . قَالَ : فَقَالَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَأَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : وَأَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ " .^(٢)
- وفي لفظ لمسلم " ما من مولود يولد إلا وهو على الفطرة " .^(٣)
- وفي لفظ لمسلم " إلا على هذه الفطرة حتى يبين عنه لسانه " .^(٤)
- وفي لفظ لمسلم " ليس من مولود يولد إلا على هذه الفطرة حتى يعبر عنه لسانه " .^(٥)
- وفي مسلم عن بن عباس عن أبي بن كعب قال قال رسول الله ﷺ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : إِنَّ الْغُلَامَ الَّذِي قَتَلَهُ الْخَضِرُ طَبَعَ كَافِرًا ، وَلَوْ عَاشَ لَأَرْهَقَ أَبَوَيْهِ طُغْيَانًا وَكُفْرًا .^(٦)
- وفي لفظ لمسلم: "وَأَمَّا الْغُلَامُ فَطَبَعَ يَوْمَ طَبَعَ كَافِرًا ، وَكَانَ أَبَوَاهُ قَدْ عَطَفَا عَلَيْهِ ، فَلَوْ أَنَّهُ أَدْرَكَ أَرْهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ، ﴿فَارْزَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ * وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ ﴿ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ . " .^(٧)

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٤ / ٦١) برقم: (٣٠١٢) (كتاب الجهاد والسير ، باب أهل الدار يبيتون فيصاب الولدان والذراري) (بنحوه) ومسلم في "صحيحه" (٥ / ١٤٤) برقم: (١٧٤٥) (كتاب الجهاد والسير ، باب جواز قتل النساء والصبيان في البيات من غير تعمد) (بهذا اللفظ)

(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٩ / ٤٤) برقم: (٧٠٤٧) (كتاب التعبير ، باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح) (بهذا اللفظ)

(٣) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ٥٣) برقم: (٢٦٥٨) (كتاب القدر ، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين) (بهذا اللفظ)

(٤) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ٥٣) برقم: (٢٦٥٨) (كتاب القدر ، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين) (بهذا اللفظ)

(٥) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ٥٣) برقم: (٢٦٥٨) (كتاب القدر ، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين) (بهذا اللفظ)

(٦) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ٥٤) برقم: (٢٦٦١) (كتاب القدر ، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين) (بهذا اللفظ)

(٧) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٧ / ١٠٥) برقم: (٢٣٨٠) (كتاب الفضائل ، باب من فضائل الخضر عليه السلام) (بهذا اللفظ)

■ **وفي صحيح مسلم عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها** قالت توفي صبي فقلت طوبى له عصفور من عصافير الجنة فقال رسول الله ﷺ **أولا تدرين أن الله خلق الجنة وخلق النار فخلق لهذه أهلا ولهذه أهلا**" (١)

■ **وفي لفظ لمسلم عنها** قالت: "دعي رسول الله ﷺ إلى جنازة صبي من الأنصار فقلت يا رسول الله طوبى لهذا عصفور من عصافير الجنة لم يعمل السوء ولم يدركه قال أو غير ذلك يا عائشة إن الله خلق للجنة أهلا خلقهم لها وهم في أصلاط آبائهم وخلق للنار أهلا خلقهم لها وهم في أصلاط آبائهم" (٢)

■ **وفي البخاري عن ابن شهاب قال: أخبرني خارجة بن زيد بن ثابت: أن أم العلاء امرأة من الأنصار بايعت النبي ﷺ أخبرته: أنه أفتسم المهاجرون قرعة، فطار لنا عثمان بن مظعون، فأنزلناه في أبياتنا، فوجع وجعه الذي توفي فيه، فلما توفي وغسل وكفن في أثوابه، دخل رسول الله ﷺ فقلت: رحمه الله عليك أبا السائب، فشهادتي عليك: لقد أكرمك الله. فقال النبي ﷺ: وما يدريك أن الله أكرمه؟ فقلت: بآبي أنت يا رسول الله، فمن يكرمه الله؟ فقال: أما هو فقد جاءه اليقين، والله إني لأرجو له الخير، والله ما أدري، وأنا رسول الله، ما يفعل بي". قالت: فوالله لا أزكي أحدا بعده أبدا" (٣)**

● **والفطرة هي دين الإسلام ودين التوحيد**، فالإسلام معناه التوحيد الذي جاءت به الرسل، ومعناه: عبادة الله وحده لا شريك له، هذا هو الدين القيم. ومع هذا نصب الأدلة على ربوبيته فيما يشاهدونه في أنفسهم من خلقهم العجيب، وما فيهم من الآيات العجيبة التي تدل على الخالق سبحانه وتعالى، وكذلك ما نصبه أمامهم من السماوات والأرض والمخلوقات التي تدل على الخالق، إن هذه المخلوقات لا بد لها من خالق، لم توجد صدفة أو توجد بدون خالق ﴿أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون * أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون﴾ [الطور: ٣٦، ٣٥].

● فيا عجباً كيف يعصى الإله أم كيف يجحده الجاحد

● وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد .

(١) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ٥٤) برقم: (٢٦٦٢) (كتاب القدر ، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين) (بهذا اللفظ)

(٢) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ٥٤) برقم: (٢٦٦٢) (كتاب القدر ، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين) (بهذا اللفظ)

(٣) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٢ / ٧٢) برقم: (١٢٤٣) (كتاب الجنائز ، باب الدخول على الميت بعد الموت) (بهذا اللفظ)

فكل ما أمامك يدل على وحدانية الله، ويشهد الله بالانفراد في خلق هذه المخلوقات ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذَبَاباً وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾ [الحج:٧٣] فالخالق الله سبحانه، ولا أحد يخلق معه، فكيف يُعبد غيره ممن لا يخلق ولا يرزق ولا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً؟! فمعنى الآية ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ...﴾ [الأعراف: ١٧٢] **شهادة الفطرة وشهادة الكائنات** على وحدانية الله سبحانه وتعالى، وليس لأحد أن يعتذريوم القيامة ويقول: ﴿إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢]. فالاحتجاج بالتقليد لا يصلح أمام البراهين القاطعة والأدلة الساطعة.

○ **المسألة الثانية عشرة :** كيفية الجمع مع ما جاء في أن الشقي من شقي في بطن أمه ، وورود ما يدل على أن كل مولود يولد على الفطرة ؟

● **أولاً : المقصود بالفطرة.**

هناك أقوال كثيرة في المراد بالفطرة أوسع من ذكرها ابن عبد البر رحمه الله في التمهيد وإليك مجمل هذه الأقوال:

○ **القول الأول:** أن المراد بالفطرة: الإسلام . وهو الذي عليه أكثر أهل العلم.

○ **القول الثاني:** أن المراد بالفطرة: الخلقة التي خلق عليها المولود من المعرفة بربه فكأنه قال: كل مولود يولد على خلقة يعرف بها ربه -إذا بلغ مبلغ المعرفة- يريد خلقة مخالفة لخلقة البهائم التي لا تصل بخلقتها إلى معرفة ذلك.

○ **القول الثالث:** أن معنى الفطرة: البداية التي ابتدأهم عليها، أي على ما فطر الله عليه خلقه، من أنهم ابتدأهم للحياة والموت والشقاء والسعادة وإلى ما يصيرون إليه عند البلوغ من ميولهم عن آبائهم واعتقادهم، وذلك ما فطرهم الله عليه مما لا بُدَّ من مصيرهم إليه.

○ **القول الرابع:** أن معنى الفطرة: أن الله قد فطرهم على الإنكار والمعرفة وعلى الكفر والإيمان فأخذ من ذرية آدم الميثاق حين خلقهم فقال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ قالوا جميعاً: بلى، فأما أهل السعادة فقالوا: بلى طوعاً من قلوبهم وأما أهل الشقاوة فقالوا بلى كرهاً لا طوعاً.

○ **القول الخامس:** أن المراد بالفطرة: ما أخذه الله من ذرية آدم من الميثاق قبل أن يخرجوا إلى الدنيا يوم استخراج ذرية آدم من ظهره فخاطبهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ فأقروا جميعاً له بالربوبية عن معرفة منهم به، ثم أخرجهم من أصلاب آبائهم مخلوقين مطبوعين على تلك المعرفة وذلك بالإقرار. وهذا القول لا يختلف كثيراً عن القول بأن المراد بها الإسلام.

○ **القول السادس:** أن المراد بالفطرة هي ما يُقلب الله قلوب الخلق إليه مما يريد ويشاء، فقد يكفر العبد ثم يؤمن فيموت مؤمناً، وقد يحدث العكس، وذلك كله تقدير الله وفطرته لهم.

● **والراجع من هذه الأقوال وهو المعروف عند عامة السلف أن المقصود بالفطرة: الإسلام ، وإليه ذهب أبو هريرة رضى الله عنه والزهري والإمام أحمد في إحدى الروايتين عنه والبخاري والنووي والقرطبي وشيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وابن كثير وغيرهم عليهم رحمة الله، واستدلوا على ذلك بما يلي:**

- ١ - **تفسير أبي هريرة** رضي الله عنه حيث فسر الفطرة الواردة في الحديث بالإسلام كما يدل عليه استشهاده بالآية فقال: اقرءوا - إن شئتم- ﴿فِطَرَتِ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾^(١).
 - وقد نقل ابن عبد البر الإجماع على أن المراد بالفطرة في الآية: الإسلام، وهو مأثور عن جمع من السلف كمجاهد وعكرمة وقتادة وسعيد ابن جبير والضحاك وإبراهيم النخعي والحسن البصري عليهم رحمة الله. فهذا تفسير الصحابي الراوي للحديث وهو أعلم بما سمع.
 - ٢ - **أنه جاء في بعض ألفاظ الحديث كما في مسلم** "ما من مولود يولد إلا وهو على الفطرة"^(٢). وفي **لفظ لمسلم عنه** "إلا على هذه الفطرة حتى يبين عنه لسانه"^(٣) قال ابن القيم: "فهذا صريح بأنه يولد على فطرة الإسلام".
 - ٣ - **حديث عياض بن حمار المجاشعي كما في مسلم** أن رسول الله ﷺ قال فيما يرويه عن ربه تعالى: "إني خلقت عبادي حنفاء كلهم ، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهن عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً"^(٤). قالوا: فهذا الحديث صريح في كون المولود يولد على الإسلام لأن معنى الحنيفية: الإسلام.
 - ٤ - **حديث أبي هريرة** رضي الله عنه **كما في الصحيحين** أن رسول الله ﷺ قال: "خمس من الفطرة .."^(٥) فذكر منهن قص الشارب والاختتان وهي من سنن الإسلام.
 - قال ابن القيم رحمه الله: سبب اختلاف العلماء في معنى الفطرة في هذا الحديث أن القدرية كانوا يحتجون به على أن الكفر والمعصية ليسا بقضاء الله بل مما ابتدأ الناس إحداثه ، فحاول جماعة من العلماء مخالفتهم بتأويل الفطرة على غير معنى الإسلام ، ولا حاجة لذلك ؛ لأن الآثار المنقولة عن السلف تدل على أنهم لم يفهموا من لفظ الفطرة إلا الإسلام ، ولا يلزم من حملها على ذلك موافقة
-
- (١) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ٥١) برقم: (٢٦٥٣) (كتاب القدر ، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام) (بهذا اللفظ)
- (٢) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ٥٣) برقم: (٢٦٥٨) (كتاب القدر ، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين) (بهذا اللفظ)
- (٣) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ٥٣) برقم: (٢٦٥٨) (كتاب القدر ، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين) (بهذا اللفظ)
- (٤) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ١٥٨) برقم: (٢٨٦٥) (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار) (بهذا اللفظ)
- (٥) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٧ / ١٦٠) برقم: (٥٨٨٩) (كتاب اللباس ، باب قص الشارب) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (١ / ١٥٢) برقم: (٢٥٧) (كتاب الطهارة ، باب خصال الفطرة) (بمثله).

مذهب القدرية لأن قوله: "فأبواه يهودانه .. إلخ" محمول على أن ذلك بتقدير الله تعالى ، ومن ثم احتج عليهم مالك بقوله في آخر الحديث "الله أعلم بما كانوا عاملين".

- **تنبيه : ليس المراد من تفسير الفطرة بالإسلام أن يكون المولود حين يخرج من بطن أمه يخرج وهو يعلم هذا الدين ويعتقده بالفعل ويريده ؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ سورة النحل. آية (٧٨) ولكن المراد أن فطرته مقتضية وموجبة لدين الإسلام لمعرفته ومحبته، فنفس الفطرة تستلزم الإقرار بخالقه ومحبته وإخلاص الدين له، وموجبات الفطرة ومقتضاها تحصل شيئاً بعد شيء بحسب كمال الفطرة إذا سلمت من المعارض. انظر درء التعارض (٣٨٣ / ٨) مجموع الفتاوى (٢٤٧ / ٤) شفاء العليل (٣٠٨ / ٢).**

● ثانياً: ذكر الأحاديث التي قد يوهم ظاهرها التعارض.

جاءت الأحاديث بما يُفيد أن الإنسان قد كتبت عليه الشقاوة أو السعادة قبل أن يولد ومن هذه الأحاديث ما يلي:

- **فيهما عن عبد الله بن مسعود** رضي الله عنه أنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق قال: "إن أحدكم يُجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً ثم يكون علقه مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكاً فيؤمر بأربع كلمات ويقال له: اكتب عمله ورزقه وأجله وشقي أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح" ^(١).
- **وفي لفظ لمسلم عنه** رضي الله عنه قال: "الشقي من شقي في بطن أمه والسعيد من وعظ بغيره" ^(٢).
- **وفيهما عن أنس** رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "إن الله - عز وجل - وُكِّلَ بالرحم ملكاً يقول: يا رب نطفة، يا رب علقه، يا رب مضغة، فإذا أراد أن يقضي خلقه قال: أذكر أم أنثى، شقي أم سعيد" ^(٣).

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (١١١ / ٤) برقم: (٣٢٠٨) (كتاب بدء الخلق ، باب ذكر الملائكة) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (٤٤ / ٨) برقم: (٢٦٤٣) (كتاب القدر ، باب كيفية خلق الأدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته) (بنحوه).

(٢) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٤٥ / ٨) برقم: (٢٦٤٥) (كتاب القدر ، باب كيفية خلق الأدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته) (بهذا اللفظ).

(٣) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٧٠ / ١) برقم: (٣١٨) (كتاب الحيض ، باب مخلقة وغير مخلقة) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (٤٦ / ٨) برقم: (٢٦٤٦) (كتاب القدر ، باب كيفية خلق الأدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته) (بمثله).

- **وفي مسلم عن حذيفة بن أسيد** رضي الله عنه يبلغ به النبي ﷺ أنه قال: "يدخل الملك على النطفة بعدما تستقر في الرحم بأربعين أو خمسة وأربعين ليلة فيقول: يا رب أشقي أم سعيد، فيكتبان" ^(١).
- **وفي مسلم حديث علي بن أبي طالب** رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "ما منكم من أحد، ما من نفس منفوسة إلا كتب مكانها من الجنة والنار، وإلا قد كُتِبَ شقية أو سعيدة" ^(٢).
- **وفي مسلم حديث أبي بن كعب** رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إن الغلام الذي قتله الخضر طبع كافراً ولو عاش لأرهب أبويه طغياناً وكفراً" ^(٣).
- **وجه الاستدلال:** أن هذه الأحاديث تفيد أن الشقاوة والسعادة قد كُتِبَتَا قبل أن يخرج المولود من بطن أمه.

ولكن جاء في الأحاديث أيضاً ما يفيد أن كل مولود يولد على الفطرة وهي الإسلام على القول الراجح ، ومن هذه الأحاديث:

- **حديث أبي هريرة** رضي الله عنه **كما في الصحيحين** أن النبي ﷺ قال: "ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء" ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه: ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ اللَّيَّ فَطَرَ النَّاسَ عَلِمَهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ ^(٤).
- **وفي لفظ لمسلم عنه** " ما من مولود يولد إلا وهو على الفطرة" ^(٥).
- **وفي لفظ لمسلم عنه** "إلا على هذه الفطرة حتى يبين عنه لسانه" ^(٦).

(١) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ٤٥) برقم: (٢٦٤٤) (كتاب القدر ، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته) (بهذا اللفظ)

(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٢ / ٩٦) برقم: (١٣٦٢) (كتاب الجنائز ، باب موعظة المحدث عند القبر) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (٨ / ٤٦) برقم: (٢٦٤٧) (كتاب القدر ، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته) (بمثله).

(٣) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ٥٤) برقم: (٢٦٦١) (كتاب القدر ، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين) (بهذا اللفظ)

(٤) - أخرجه البخاري في "صحيحه" ، (٦ / ١١٤) برقم: (٤٧٧٥) (كتاب تفسير القرآن ، باب لا تبديل لخلق الله لدين الله خلق الأولين دين الأولين والفطرة الإسلام) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (٨ / ٥٢) برقم: (٢٦٥٨) (كتاب القدر ، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين) (بمثله) .

(٥) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ٥٣) برقم: (٢٦٥٨) (كتاب القدر ، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين) (بهذا اللفظ)

(٦) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ٥٣) برقم: (٢٦٥٨) (كتاب القدر ، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين) (بهذا اللفظ)

- **وفي لفظ لمسلم** " ليس من مولود يولد إلا على هذه الفطرة حتى يعبر عنه لسانه " (١)

● **بيان وجه التعارض:**

على القول الراجح بأن المراد بالفطرة في الحديث الإسلام -فقد يتوهم بعض الناس أن هذا الحديث يخالف الأحاديث الأخرى والتي فيها سبق تقدير الشقاوة والسعادة ؛ **لأنه إذا كان بعض الناس قد كُتب عليه أن يكون شقيًّا فكيف يولد على الإسلام؟**

● **مذاهب العلماء تجاه هذا التعارض:**

لم أجد غير قول واحد في الجمع بين هذه النصوص ، ولعلّه هو المتعين وذلك إذا فسرنا الفطرة بالإسلام كما تقدم.

وأما إذا فسرنا الفطرة بغير الإسلام -كما هو الحال في الأقوال الأخرى- فإنه قد ينتفى هذا الإشكال، لكن يبقى تفسير الفطرة بغير الإسلام قولًا مرجوحًا.

والتحقيق أنه حتى على القول بأن المراد بالفطرة الإسلام فإنه لا إشكال ولا تناقض ولا تعارض بين هذه النصوص بحمد الله. **وبيان ذلك أن نقول: إن كتابة الشقاوة والسعادة على الإنسان قبل أن يولد حق لا مرية فيه**، ولكن ليس في ذلك ما ينافي كون المولود يولد على الإسلام، لأن المراد بكتابة الشقاوة والسعادة إنما هو باعتبار المآل والخاتمة، وهذا لا يمنع من أن يكون قبل ذلك مولودًا على الإسلام.

وعلى هذا فمن كُتب شقيًّا فإنه لابد أن يصير إلى ما في علم الله ، فيعرض له ما يُغيّر فطرته **كما تولد** البهيمة جمعاء وقد علم الله أنها ستجدع.

- قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "والمقصود هنا تفسير "كل مولود يولد على الفطرة" وأن من قال بإثبات القدر ، وأن الله كتب الشقي والسعيد ، لم يمنع ذلك أن يكون وُلد على الإسلام ثم تُغيّر بعد ذلك ، كما تولد البهيمة جمعاء ثم تُغيّر بعد ذلك ؛ فإن الله تعالى يعلم الأشياء على ما هي عليه ، فيعلم أنه يولد سليمًا ثم يتغير.

(١) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ٥٣) برقم: (٢٦٥٨) (كتاب القدر ، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين) (بهذا اللفظ)

والآثار المنقولة عن السلف لا تدل إلا على هذا القول الذي رجحناه وهو: أنهم ولدوا على الفطرة ثم صاروا إلى ما سبق في علم الله فيهم من سعادة وشقاوة ، لا تدل على أنه حين الولادة لم يكن على فطرة سليمة مقتضية للإيمان مستلزمة له لولا المعارض".

- وقال أيضاً: "من ابتدأه على الضلالة أي كتبه أنه يموت ضالاً ، فقد يكون قبل ذلك عاملاً بعمل أهل الهدى ، وحينئذ من وُلد على الفطرة السليمة المقتضية للهدى لا يمتنع أن يعرض لها ما يغيرها فيصير إلى ما سبق به القدر لها ، كما في الحديث الصحيح: "إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يصير بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يصير بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخل الجنة" (١).

وأما قوله -ﷺ: "إن الغلام الذي قتله الخضر طبع كافراً ولو عاش لأرهب أبويه طغياناً وكفراً" فإن معناه لا يختلف عن المعنى السابق وذلك أن معناه أن هذا الغلام قَدِر له أنه ستتغير فطرته فيكفر وهذا ليس فيه ما يمنع أن يكون وُلد على الفطرة السليمة.

- قال شيخ الإسلام: "طبع: أي طُبِع في الكتاب أي: قُدِر وقضي، لا أنه كان كفره موجوداً قبل أن يولد، فهو مولود على الفطرة السليمة وعلى أنه بعد ذلك يتغير فيكفر كما طُبِع كتابه يوم طُبِع".
- قال الشيخ الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها» (١ / ١١٦) فما بعدها: بعد أن ذكر الأحاديث التالية :

- (صحيح). عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ قَتَادَةَ السَّلَمِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ ، ثُمَّ أَخَذَ الْخُلُقَ مِنْ ظَهْرِهِ ، فَقَالَ : هَؤُلَاءِ فِي الْجَنَّةِ وَلَا أَبَالِي ، وَهَؤُلَاءِ فِي النَّارِ وَلَا أَبَالِي . قَالَ قَائِلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَعَلَى مَاذَا نَعْمَلُ ؟ قَالَ : " عَلَى مَوَاقِعِ الْقَدَرِ " (٢) .

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٤ / ١١١) برقم: (٣٢٠٨) (كتاب بدء الخلق ، باب ذكر الملائكة) (بمثله.) ، (٤ / ١٣٣) برقم: (٣٣٣٢) (كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قول الله تعالى وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة) (بهذا اللفظ) ، (٨ / ١٢٢) برقم: (٦٥٩٤) (كتاب القدر ، باب في القدر) (بمثله.) ، (٩ / ١٣٥) برقم: (٧٤٥٤) (كتاب التوحيد ، باب قوله تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين) (بمثله.) ومسلم في "صحيحه" (٨ / ٤٤) برقم: (٢٦٤٣) (كتاب القدر ، باب كيفية خلق آدمي في بطن أمه وكتابه رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته) (بمثله.).

(٢) - أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (٢ / ٥٠) برقم: (٣٣٨) (كتاب البر والإحسان ، ذكر البيان بأن قوله ﷺ فكل ميسر" أراد به ميسر لما قدر له في سابق علمه من خير أو شر) (بهذا اللفظ) والحاكم في "مستدركه" (١ / ٣١) برقم: (٨٥) (كتاب الإيمان ، هؤلاء للجنة ولا أبالي وهؤلاء للنار ولا أبالي) (بمثله.) وأحمد في "مسنده" (٧ / ٣٩٥٩) برقم: (١٧٩٣٥) (مسند الشاميين رضي الله عنهم ، حديث عبد الرحمن بن قتادة السلمي رضي الله عنه) (بمثله.) . قال الأرئوط في «الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان» (٢ / ٥٠): «إسناده قوي، الحارث بن مسكين ثقة روى له أبو داود والنسائي، ومن فوقه من رجال الصحيح غير راشد بن سعد، فقد

- (صحيح لغيره). وعن أبي الدرداء رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قَالَ : خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ حِينَ خَلَقَهُ ، فَضَرَبَ كَتِفَهُ الْيُمْنَى فَأَخْرَجَ ذُرِّيَّةً بَيْضَاءَ ، كَأَنَّهُمُ الدَّرُّ ، وَضَرَبَ كَتِفَهُ الْيُسْرَى فَأَخْرَجَ ذُرِّيَّةً سَوْدَاءَ كَأَنَّهُمُ الْحُمَمُ . فَقَالَ لِلَّذِي فِي يَمِينِهِ : إِلَى الْجَنَّةِ وَلَا أَبَالِي . وَقَالَ لِلَّذِي فِي كَفِّهِ الْيُسْرَى : إِلَى النَّارِ ، وَلَا أَبَالِي .^(١)
- (صحيح). عَنْ أَبِي نَضْرَةَ: أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ يُقَالُ لَهُ: أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، دَخَلَ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ يَعُودُونَهُ وَهُوَ يَبْكِي، فَقَالُوا لَهُ: مَا يُبْكِيكَ؟ أَلَمْ يَقُلْ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " خُذْ مِنْ شَارِبِكَ، ثُمَّ أَقِرَّهُ حَتَّى تَلْقَانِي ؟" قَالَ: بَلَى، وَلَكِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: " إِنَّ اللَّهَ قَبَضَ بِيَمِينِهِ قَبْضَةً، وَأُخْرَى بِالْيَدِ الْأُخْرَى، وَقَالَ: هَذِهِ لِهَذِهِ، وَهَذِهِ لِهَذِهِ، وَلَا أَبَالِي " فَلَا أَدْرِي فِي أَيِّ الْقَبْضَتَيْنِ أَنَا"^(٢)

● وعلق الشيخ الألباني على تلك الأحاديث في «سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها» (١ / ١١٦) فما بعدها : قائلا : واعلم أن الباعث على تخريج هذا الحديث وذكر طريقه أمران:

- الأول: أن أحد أهل العلم وهو الشيخ محمد طاهر الفتني الهندي أورده في كتابه " تذكرة الموضوعات " (ص ١٢) وقال فيه: " مضطرب الإسناد ! ولا أدري ما وجه ذلك فالحديث صحيح من طرق كما رأيت، ولا اضطراب فيه، إلا أن يكون اشتبه عليه بحديث آخر مضطرب أو عن طريق أخرى من طريقه، ثم لم يتبع هذه الطرق الصحيحة له. والله أعلم.

روى له أصحاب السنن، وهو ثقة. وأخرجه الحاكم ٣١/١ من طريق الربيع بن سليم، عن ابن وهب، بهذا الإسناد، ولفظه "على موافقة القدر"، وصححه، ووافقه الذهبي. وأخرجه أحمد ١٨٦/٤ عن الحسن بن سوار، عن الليث بن سعد، عن معاوية بن صالح، بهذا الإسناد. قال الهيثمي في "المجمع" ١٨٦/٧: ورجاله ثقات. وفي الباب عن عمر بن الخطاب عند مالك في الموطأ ٨٩٨/٢ في أول القدر، وأحمد رقم ٣١١، وأبي داود ٤٧٠٣، في السنة: باب في القدر، والترمذي ٣٠٧٧، في تفسير سورة الأعراف. وعن حكيم بن حزام عند البزار ٢١٤٠. وعن عدة من الصحابة. وصححه الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها» (١ / ١١٤): برقم ٤٨. وقال: "... «وقال الحاكم: "صحيح". ووافقه الذهبي، وهو كما قال».

(١) - أخرجه أحمد في "مسنده" (١٢ / ٦٧٠١) برقم: (٢٨١٣٣) (من مسند القبائل، ومن حديث أبي الدرداء عويمر رضي الله عنه) (بهذا اللفظ) والبزار في "مسنده" (١٠ / ٧٨) برقم: (٤١٤٣) (مسند أبي الدرداء رضي الله عنه، ما روى فضالة بن عبيد عن أبي الدرداء) (بمثله). قال الأرئوط في «مسند أحمد» (٤٥ / ٤٨١ ط الرسالة): «إسناده ضعيف بهذه السبابة، أبو الربيع - وهو سليمان بن عتبة - مختلف فيه، وقد تفرّد به، وهو ممن لا يحتمل تفرّده. وأخرجه البزار (٢١٤٤) (زوائد) من طريق الهيثم بن خارجة، بهذا الإسناد. وأورده الهيثمي في "مجمع الزوائد" ١٨٥ / ٧، وقال: رواه أحمد والبزار والطبراني، ورجاله رجال الصحيح! وفي الباب عن أبي عبد الله رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، سلف برقم (١٧٥٩٣) بإسناد صحيح». - وصححه الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها» (١ / ١١٤): برقم ٤٩ وقال «قلت: وإسناده صحيح».

(٢) - أخرجه أحمد في "مسنده" (٧ / ٣٩٣٣) برقم: (١٧٨٦٧) (مسند الشاميين رضي الله عنهم، حديث أبي عبد الله رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم) (بهذا اللفظ). قال الأرئوط في «مسند أحمد» (٢٩ / ١٣٤ ط الرسالة): «إسناده صحيح، رجاله رجال الصحيح غير صحابه فقد جاء هكذا مكتى غير مسمى». - وكذا قال الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها» (١ / ١١٥): برقم ٥٠ «وإسناده صحيح».

■ والثاني: أن كثيرا من الناس يتوهمون أن هذه الأحاديث - ونحوها أحاديث كثيرة - تفيد أن الإنسان مجبور على أعماله **الاختيارية**، ما دام أنه حكم عليه منذ القديم وقبل أن يخلق بالجنة أو النار، **وقد يتوهم آخرون أن الأمر فوضي أو حظ** . فمن وقع في القبضة اليمنى كان من أهل السعادة، ومن كان من القبضة الأخرى كان من أهل الشقاوة، **فيجب أن يعلم هؤلاء جميعا أن الله ﷻ ليس كمثله شيء ﷻ لا في ذاته ولا في صفاته**، فإذا قبض قبضة **فهي بعلمه وعدله وحكمته**، فهو تعالى قبض باليمنى على من علم أنه سيطيعه حين يؤمر بطاعته، وقبض بالأخرى على من سبق في علمه تعالى أنه سيعصيه حين يؤمر بطاعته، ويستحيل على عدل الله تعالى أن يقبض باليمنى على من هو مستحق أن يكون من أهل القبضة الأخرى، والعكس بالعكس، كيف والله عز وجل يقول: ﴿ أفنجعل المسلمين. كالمجرمين. ما لكم كيف تحكمون ﴾ . **ثم إن كلا من القبضتين ليس فيها إجبار لأصحابهما أن يكونوا من أهل الجنة أو من أهل النار**، بل هو حكم من الله تبارك وتعالى عليهم بما سيصدر منهم من إيمان يستلزم الجنة، أو كفر يقتضي النار والعياذ بالله تعالى منها، **وكل من الإيمان أو الكفر أمران اختياريان**، لا يكره الله تبارك وتعالى أحدا من خلقه على واحد منهما ﷻ فمن شاء فليؤمن، ومن شاء فليكفر ﷻ ، وهذا مشاهد معلوم بالضرورة، **ولولا ذلك لكان الثواب والعقاب عبثا، والله منزّه عن ذلك**.

ومن المؤسف حقا أن نسمع من كثير من الناس حتى من بعض المشايخ التصريح بأن الإنسان مجبور لا إرادة له! وبذلك يلزمون أنفسهم القول **بأن الله يجوز له أن يظلم الناس!** مع تصريحه تعالى بأنه لا يظلمهم مثقال ذرة، وإعلانه بأنه قادر على الظلم ولكنه نزه نفسه عنه كما في الحديث القدسي المشهور: " يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي ... " وإذا جوبهوا بهذه الحقيقة، بادروا إلى الاحتجاج بقوله تعالى: ﴿ لا يسأل عما يفعل ﴾ ، مصرين بذلك على أن الله تعالى قد يظلم ولكنه لا يسأل عن ذلك! تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا، وفاتهم أن الآية حجة عليهم لأن المراد بها - كما حققه العلامة ابن القيم وغيره - أن الله تعالى لحكمته وعدله في حكمه ليس لأحد أن يسأله عما يفعل، لأن كل أحكامه تعالى عدل واضح فلا داعي للسؤال. وللشيخ يوسف الدجوي رسالة مفيدة في تفسير هذه الآية لعله أخذ مادتها من ابن القيم فلتراجع. هذه كلمة سريعة حول الأحاديث المتقدمة حاولنا فيها إزالة شبهة بعض الناس حولها فإن وفقت لذلك فيها ونعمت، وإلا فإني أحيل القارئ إلى المطولات في هذا البحث الخطير، مثل كتاب ابن القيم السابق، وكتب شيخه ابن تيمية الشاملة لمواضيع هامة هذه أحدها "اهـ. من كلام الشيخ الألباني .

○ المسألة الثالثة عشرة : حكم أولاد المشركين في الآخرة^(١).

- ذكر الأحاديث التي قد يوهم ظاهرها التعارض: جاءت الأحاديث في هذه المسألة بدلالات شتى، فمنها ما يُفيد أن أطفال المشركين في الجنة، ومنها ما يُفيد أن حكمهم التوقف ، ومنها ما يُفيد أنهم في النار كما فهم ذلك منها بعض أهل العلم، وإليك سياق هذه الأحاديث على هذا الترتيب:
- **حديث سمرة بن جندب في قصة رؤيا النبي ﷺ، كما في البخاري** وفيها أنه قال: "وأما الرجل الطويل الذي في الروضة فإنه إبراهيم عليه السلام، وأما الولدان الذين حوله فكل مولود مات على الفطرة" قال: فقال بعض المسلمين: يا رسول الله وأولاد المشركين؟ فقال رسول الله ﷺ: "وأولاد المشركين"^(٢).
- **حديث أبي هريرة ؓ كما في الصحيحين** أن النبي ﷺ قال: "ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء" ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه: ﴿فِطَرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾^(٣)
- **وفي لفظ فيهما**: قالوا: يا رسول الله أفرأيت من يموت وهو صغير؟ قال: "الله أعلم بما كانوا عاملين"^(٤)
- **وفيما عن ابن عباس رضي الله عنهما** قال: سئل رسول الله ﷺ عن أولاد المشركين، فقال: "الله إذ خلقهم أعلم بما كانوا عاملين"^(٥).
- **وفي لفظ فيهما عن أبي هريرة ؓ** قال: سئل النبي ﷺ عن ذراري المشركين فقال: "الله أعلم بما كانوا عاملين"^(٦)..

(١) - نقلت هذه المسألة بتصرف يسير ، وتقديم وتأخير من كتاب «أحاديث العقيدة التي يوهم ظاهرها التعارض في الصحيحين دراسة وترجيح» للدكتور محمد بن سليمان الديبكي.

(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٩ / ٤٤) برقم: (٧٠٤٧) (كتاب التعبير ، باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح) (بهذا اللفظ)

(٣) - سبق تخريجه قريباً.

(٤) - سبق تخريجه قريباً.

(٥) -أخرجه البخاري في "صحيحه" (٢ / ١٠٠) برقم: (١٣٨٣) (كتاب الجنائز ، باب ما قيل في أولاد المشركين) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (٨ / ٥٤) برقم: (٢٦٦٠) (كتاب القدر ، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين) (بنحوه).

(٦) -أخرجه البخاري في "صحيحه" (٢ / ١٠٠) برقم: (١٣٨٤) (كتاب الجنائز ، باب ما قيل في أولاد المشركين) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في صحيحه" (٨ / ٥٤) برقم: (٢٦٥٩) (كتاب القدر ، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين) (بهذا اللفظ)

- **وفي لفظ لمسلم عنه** : " مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُلِدُّ عَلَى الْفِطْرَةِ ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ وَيُشْرِكَانِهِ فَقَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ لَوْ مَاتَ قَبْلَ ذَلِكَ ؟ قَالَ : اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ " (١).
- **وفي مسلم حديث عائشة رضي الله عنها قالت** : دعي رسول الله ﷺ إلى جنازة صبي من الأنصار فقلت : يا رسول الله طوبى لهذا عصفور من عصافير الجنة لم يعمل السوء ولم يدركه ، قال : " أو غير ذلك يا عائشة ، إن الله خلق للجنة أهلاً ، خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم ، وخلق للنار أهلاً ، خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم " (٢).
- **وفيهما حديث الصعب بن جثامة رضي الله عنهما** : أن النبي ﷺ سئل عن أهل الدار يُبَيِّتُونَ من المشركين فيُصاب من نسائهم وذرائعهم ، قال : " هم منهم " (٣).
- **وفي لفظ لمسلم أن النبي ﷺ قيل له** : إن خيلاً أغارت من الليل فأصابت من أبناء المشركين قال : " هم من آبائهم " (٤).

● بيان وجه التعارض:

هذه المسألة أشكلت على كثير من أهل العلم لأن الأحاديث فيها مختلفة، وفهم منها أهل العلم دلالات متباينة فمثلاً: **أخذ بعضهم بحديث سمرة بن جندب رضي الله عنه** فقال: إن أطفال المشركين في الجنة، **وأخذ آخرون بعموم حديث الصعب بن جثامة رضي الله عنه** : - "هم منهم" - **فحكموا عليهم بالنار، وتوقف فريق ثالث متمسكاً بقوله ﷺ** : "الله أعلم بما كانوا عاملين".

- قال الشوكاني رحمه الله: "والحاصل أن مسألة أطفال الكفار باعتبار أمر الآخرة من المعارك الشديدة ؛ لاختلاف الأحاديث فيها ، ولها ذيول مطولة".

(١) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ٥٣) برقم: (٢٦٥٨) (كتاب القدر ، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين) (بهذا اللفظ)

(٢) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ٥٤) برقم: (٢٦٦٢) (كتاب القدر ، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين) (بهذا اللفظ)

(٣) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٤ / ٦١) برقم: (٣٠١٢) (كتاب الجهاد والسير ، باب أهل الدار يبيتون فيصاب الولدان والذرائع) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (٥ / ١٤٤) برقم: (١٧٤٥) (كتاب الجهاد والسير ، باب جواز قتل النساء والصبيان في البيات من غير تعمد) (بنحوه).

(٤) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ٥٣) برقم: (٢٦٥٨) (كتاب القدر ، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين) (بهذا اللفظ)

سلك أهل العلم في هذه المسألة ثلاثة مذاهب: أحدها: مذهب الجمع، والثاني: مذهب الترجيح، والثالث: التوقف، وإليك بيان ذلك:

○ أولاً: مذهب الجمع:

وربما عبروا عنه بالوقف وحاصله أنهم يمتحنون في عرصات القيامة فيرسل إليهم رسول فمن أطاعه دخل الجنة ومن عصاه دخل النار، أو ترفع لهم نار ويؤمنون باقتحامها فمن دخلها كانت عليه بردًا وسلامًا ومن أبى أدخل النار.

قالوا: وبناءً على هذا يكون بعضهم في الجنة وبعضهم في النار على حسب طاعتهم وعصيانهم. كما أنه بناءً على هذا فإنه لا يُحكم لمعين منهم بجنة ولا نار بل يُقال فيهم كما قال المصطفى ﷺ: "الله أعلم بما كانوا عاملين" فإذا كان الامتحان في عرصات القيامة ظهر علم الله تعالى فيهم.

وإلى هذا ذهب أبو الحسن الأشعري رحمه الله وحكاه عن أهل السنة والجماعة، وهو ظاهر كلام البيهقي واختاره شيخ الإسلام ابن تيمية وقال: "هذا القول منقول عن غير واحد من السلف من الصحابة والتابعين وغيرهم". وانتصر له ابن القيم وكذا ابن كثير، وذهب إليه الشنقيطي وغيره من أهل العلم عليهم رحمة الله.

- قال شيخ الإسلام ابن تيمية بعدما ذكر هذا القول: "وهذا أجود ما قيل في أطفال المشركين وعليه تنزل جميع الأحاديث".
- وقال أيضاً: "والصواب أن يُقال: "الله أعلم بما كانوا عاملين" ولا نحكم لمعين منهم بجنة ولا نار، وقد جاء في عدة أحاديث أنهم يوم القيامة في عرصات القيامة يؤمرون ويُنهون، فمن أطاع دخل الجنة، ومن عصى دخل النار، وهذا هو الذي ذكره أبو الحسن الأشعري عن أهل السنة والجماعة".
- وقال أيضاً: "ودلت الأحاديث الصحيحة أن بعضهم في الجنة وبعضهم في النار"
- وقال ابن القيم بعد ذكره لهذا القول: "وهذا أعدل الأقوال وبه يجتمع شمل الأدلة وتتفق الأحاديث في هذا الباب، وعلى هذا فيكون بعضهم في الجنة كما في حديث سمرة وبعضهم في النار كما دلَّ عليه حديث عائشة، وجواب النبي ﷺ يدل على هذا فإنه قال: "الله أعلم بما كانوا عاملين إذ خلقهم" ومعلوم أن الله لا يعذبهم بعلمه ما لم يقع معلومه، فهو إنما يعذب من يستحق العذاب على معلومه وهو متعلق علمه السابق فيه.. وهذا العلم يظهر معلومه في الدار الآخرة".
- وقال ابن كثير بعد ذكره لهذا القول: "وهذا القول يجمع بين الأدلة كلها".

- وقال الشنقيطي: "ولا وجه للجمع بين الأدلة إلا هذا القول: بالعدر والامتحان، فمن دخل النار فهو الذي لم يمتثل ما أمر به عند ذلك الامتحان ، ويتفق بذلك جمع الأدلة ، والعلم عند الله تعالى".

واستدل أصحاب هذا القول بما يلي:

- ١ - قوله ﷺ عندما سُئل عن أطفال المشركين - كما في حديث أبي هريرة وابن عباس رضي الله عنهما -: "الله أعلم بما كانوا عاملين". قال ابن القيم: "وفي قوله: "الله أعلم بما كانوا عاملين" إشارة إلى أنه سبحانه كان يعلم ما كانوا عاملين لو عاشوا ، وأن من يطيعه وقت الامتحان كان ممن يطيعه لو عاش في الدنيا ، ومن يعصيه حينئذ كان ممن يعصيه لو عاش في الدنيا"^(١) .
- ٢ - (صحيح) . حديث الأسود بن سريع عن النبي ﷺ قال: "أربعة يحتجون يوم القيامة: رجل أصم ورجل أحمق ورجل هرم ورجل مات في الفترة ، فأما الأصم فيقول: يا رب لقد جاء الإسلام وما أسمع شيئاً ، وأما الأحمق فيقول: ربّ قد جاء الإسلام والصبيان يحذفونني بالبر ، وأما الهرم فيقول: رب لقد جاء الإسلام وما أعقل ، وأما الذي مات في الفترة فيقول: رب ما أتاني لك رسول ، فيأخذ موثيقهم ليُطيعنّه فيرسل إليهم رسولاً أن ادخلوا النار، قال: فوالذي نفسي بيده لو دخلوها كانت عليهم برداً وسلاماً"^(٢).
- ٣ - (ضعيف) - حديث أنس بن مالك ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: "يؤتى بأربعة يوم القيامة: بالمولود والمعتوه ومن مات في الفترة وبالشيخ الفاني ، كلهم يتكلم بحجته فيقول الله تبارك وتعالى ليُعنق من جهنم - أحسبه قال -: ابرزي، فيقول لهم: إني كنت أبعث إلى عبادي رسلاً من أنفسهم ، فإني رسول نفسي إليكم ، ادخلوا هذه ، فيقول من كُتب عليه الشقاء: يا رب أَدْخِلْناها ومنها كنا نفرق؟ ومن كتب

(١) - سبق تخريجه قريباً.

(٢) - أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (٣٥٦ / ١٦) برقم: (٧٣٥٧) (كتاب إخباره صلى الله عليه وسلم عن مناقب الصحابة رجالهم ونسائهم بذكر أسمائهم رضوان الله عليهم أجمعين ، ذكر الإخبار عن وصف الأقوام الذين يحتجون على الله يوم القيامة) (بهذا اللفظ) ، والضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" (٢٥٤ / ٤) برقم: (١٤٥٤) (مسند الأسود بن سريع المنقري رضي الله عنه ، (بمثله) ، (وأحمد في "مسنده" (٣٥٤٩ / ٧) برقم: (١٦٥٥٩) (أول مسند المدنيين رضي الله عنهم أجمعين ، حديث الأسود بن سريع رضي الله عنه) (بمثله) . قال الأرئوط في «الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان» (٣٥٧ / ١٦): «إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين غير صاحبيه، فقد روى له النسائي وغيره» ، وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير وزيادته» (١/ ٢١٣): برقم «٨٨١» ، وفي «التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان» (٣٦٥ / ١٠): «صحيح - ((الصحيحة)) (١٤٣٤)»

له السعادة فيمضي فيقتحم فيها مسرعًا، قال: فيقول الله: قد عصيتموني وأنتم لرسلي أشد تكذيبًا ومعصية، قال: فيدخل هؤلاء الجنة وهؤلاء النار" (١).

■ ٤- (ضعيف) وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يُؤْتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالْمُسُوحِ عَقْلًا، وَبِالْهَالِكِ فِي الْفَتْرَةِ، وَبِالْهَالِكِ صَغِيرًا، فَيَقُولُ الْمُسُوحُ عَقْلًا: يَا رَبِّ لَوْ آتَيْتَنِي عَقْلًا مَا كَانَ مِنْ آتَيْتُهُ عَقْلًا بِأَسْعَدَ بِعَقْلِهِ مِنِّي، وَيَقُولُ الْهَالِكُ فِي الْفَتْرَةِ: يَا رَبِّ لَوْ أَتَانِي مِنْكَ عَهْدٌ مَا كَانَ مِنْ أَتَاهُ مِنْكَ عَهْدٌ بِأَسْعَدَ بِعَهْدِهِ مِنِّي، ويقول الهالك صغيرًا: يا ربِّ لَوْ آتَيْتَنِي عَمْرًا مَا كَانَ مِنْ آتَيْتُهُ عَمْرًا بِأَسْعَدَ مِنْ عَمْرِهِ مِنِّي، ويقول الهالك في الفترة: يا ربِّ لَوْ جَاءَنِي مِنْكَ رَسُولٌ مَا كَانَ بِشَرِّ أَتَاهُ مِنْكَ عَهْدٌ بِأَسْعَدَ بِعَهْدِكَ مِنِّي، فيقول الرب تعالى: فإني آمركم بأمر أفتطيعوني؟ فيقولون: نعم وعزتك يا رب، فيقول: اذهبوا فادخلوا جهنم، ولو دخلوها لم تضرهم شيئًا، فيخرج عليهم فرائض من النار يظنون أنها قد أهلكت ما خلق الله من شيء، ثم يأمرهم الثانية فيرجعون كذلك، فيقول الرب عز وجل: خلقتكم بعلي وإلي علي تصيرون فتأخذهم النار" (٢).

- قال شيخ الإسلام ابن تيمية بعد ذكره لبعض الأحاديث السابقة: "وقد جاءت بذلك عدة آثار مرفوعة إلى النبي ﷺ وعن الصحابة والتابعين بأنه في الآخرة يمتحن أطفال المشركين وغيرهم ممن لم تبلغه الرسالة في الدنيا، وهذا تفسير قوله "الله أعلم بما كانوا عاملين".
- وقال أيضًا: "وقد روي به آثار متعددة عن النبي ﷺ حسان يصدق بعضها بعضًا".
- وقال ابن القيم بعد استعراضه للأحاديث السابقة: "فهذه الأحاديث يشد بعضها بعضًا وتشهد لها أصول الشرع وقواعده، والقول بمضمونها هو مذهب السلف والسنة".

(١) - أخرجه البزار في "مسنده" (١٤ / ١٠٤) برقم: (٧٥٩٤) (مسند أنس بن مالك، عبد الوارث عن أنس) (بهذا اللفظ) وأبو يعلى في "مسنده" (٧ / ٢٢٥) برقم: (٤٢٢٤) (مسند أنس بن مالك، أبو عمران الجوني عن أنس) (بنحوه). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» (٧ / ٢١٦): «رَوَاهُ أَبُو يَعْلَى وَالْبَزَارُ بِنَحْوِهِ، وَفِيهِ لَيْثُ بْنُ أَبِي سَلِيمٍ وَهُوَ مُدْلِسٌ، وَبَقِيَّةُ رِجَالِ أَبِي يَعْلَى رِجَالُ الصَّحِيحِ». وعلق على ذلك الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها» (٥ / ٦٠٣): فقال: «كذا قال! وفيه نظر من وجهين: الأول: أن لَيْثًا هذا لم أر من اتهمه بالتدليس وإنما هو معروف بأنه كان اختلط. ولذلك جزم في "زوائد البزار" بأنه ضعيف. وقال الحافظ في "التقريب": "صدوق، اختلط أخيرًا، ولم يتميز حديثه فترك". والآخر: أن عبد الوارث شيخ الليث - الظاهر أنه مولى أنس بن مالك الأنصاري ... ولم أر أحداً ذكر أنه من رجال "الصحيح"، ولعل الهيثمي توهم أنه عبد الوارث بن سعيد التميمي العنبري مولاها، فإنه من رجال "الشيخين"، لكنه يروي عن أنس بواسطة عبد العزيز بن صهيب وغيره. والله تعالى أعلم...

(٢) - أخرجه الطبراني في "الكبير" (٢٠ / ٨٣) برقم: (١٥٨) (باب الميم، أبو إدريس الخولاني عائد الله بن عبد الله عن معاذ بن جبل) (بهذا اللفظ) والطبراني في "الأوسط" (٨ / ٥٧) برقم: (٧٩٥٥) (باب الميم، موسى بن عيسى بن المنذر الحمصي) (بمثله). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» (٧ / ٢١٧): «رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ وَالْكَبِيرِ، وَفِيهِ عَمْرُو بْنُ وَقْدٍ، وَهُوَ مَثْرُوكٌ عِنْدَ الْبُخَارِيِّ وَغَيْرِهِ، وَرَمِيَ بِالْكَذِبِ، وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْمُبَارَكِ الصُّورِيُّ: كَانَ يَتَّبِعُ السُّلْطَانَ وَكَانَ صَدُوقًا، وَبَقِيَّةُ رِجَالِ الْكَبِيرِ رِجَالُ الصَّحِيحِ»

- وقال ابن كثير: "أحاديث هذا الباب منها ما هو صحيح كما قد نص على ذلك كثير من أئمة العلماء ، ومنها ما هو حسن ، ومنها ما هو ضعيف يتقوى بالصحيح والحسن ، وإذا كانت أحاديث الباب الواحد متصلة متعاضدة على هذا النمط ، أفادت الحجة عند الناظر فيها".
- ٥ - قالوا: دلت الأحاديث الصحيحة أن بعضهم في الجنة وبعضهم في النار ، وهذا إنما يكون لأنهم يُمتحنون في الآخرة فمن أطاع دخل الجنة ومن عصى دخل النار ، وعلى هذا فإن الأطفال منقسمون إلى شقي وسعيد كالبالغين ، ولذلك فإنه لا يحكم لمعين من الأطفال بجنة ولا نار.
- قالوا: والدليل على أن بعضهم في الجنة ما جاء في حديث سمرة بن جندب في رؤيا النبي ﷺ أطفال المشركين والمسلمين حول إبراهيم عليه السلام في الروضة.
- وأما الدليل على أن بعضهم في النار فهو ما جاء في حديث أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إن الغلام الذي قتله الخضر طبع كافراً ولو عاش لأرهب أبويه طغياناً وكفراً"^(١).
- وكذلك حديث عائشة رضي الله عنها **كما في صحيح مسلم** قالت: دعى رسول الله ﷺ إلى جنازة صبي من الأنصار فقلت: يا رسول الله طوبى لهذا عصفور من عصافير الجنة لم يعمل السوء ولم يدركه، قال: "أو غير ذلك يا عائشة، إن الله خلق للجنة أهلاً، خلقهم لها وهم في أصلاص آبائهم، وخلق للنار أهلاً، خلقهم لها وهم في أصلاص آبائهم"^(٢).
- قالوا: وهذا القول هو الموافق لأصول الشرع وقواعده ، وللنصوص العامة الدالة على أن الله تعالى لا يعذب أحداً حتى يبعث إليه رسولاً كقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾.
- قال شيخ الإسلام: "وعلى هذا القول تدل الأصول المعلومة من الكتاب والسنة ، من أن الله لا يُعذب أحداً حتى يبعث إليه رسولاً".
- وقال الطبري في بيان معني الآية السابقة: "يقول تعالى ذكره: وما كنا مهلكي قوم إلا بعد الإعذار إليهم بالرسول وإقامة الحجة عليهم بالآيات التي تقطع عذرهم". ثم أخرج عن أبي هريرة رضي الله عنه موقوفاً عليه أنه قال: "إذا كان يوم القيامة جمع الله تبارك وتعالى نسم الذين ماتوا في الفترة والمعتوه والأصم والأبكم والشيوخ الذين جاء الإسلام وقد خرفوا ، ثم أرسل رسولاً أن ادخلوا النار، فيقولون: كيف ولم يأتنا

(١) - سبق تخريجه قريباً.

(٢) - سبق تخريجه قريباً.

رسول؟ وإيم الله لو دخلوها لكانت عليهم بردًا وسلامًا، ثم يرسل إليهم، فيطيعه من كان يريد أن يطيعه قبل "قال أبو هريرة رضى الله عنه: اقرءوا إن شئتم: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾".^(١)

● قال شيخ الإسلام تعليقًا على هذا الأثر: "فبين أبو هريرة رضي الله عنه أن الله لا يُعَذِّب أحداً حتى يبعث إليه رسولاً، وأنه في الآخرة يمتحن من لم تبلغه الرسالة في الدنيا".

○ **ثانيًا: مذهب الترجيح:** وقد افترق القائلون به **على ستة أقوال**، هي كالتالي:

○ **القول الأول:**

أن أولاد المشركين في الجنة . وبهذا جزم البخاري وابن حزم ونسبه إلى جمهور الناس، واختاره ابن الجوزي والنووي وأبو عبد الله القرطبي والسبكي والسخاوي وطائفة من المفسرين والمتكلمين وغيرهم. واستدل هؤلاء بما يلي:

■ ١ - ظاهر القرآن وذكروا عدة آيات أذكر شيئاً منها: -

- قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥] والمولود لا يتوجه عليه التكليف ولا يلزمه قول الرسول حتى يبلغ.

■ قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢] فأولاد المشركين ماتوا على هذا الميثاق وهذا يعني أنهم ماتوا على الإسلام فهم من أهل الجنة.

■ قوله تعالى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٥] وإذا امتلأت جهنم بإبليس وأتباعه لم يبق فيها موضع لغيرهم ، فإذا لم يدخلوا النار فهم بلا شك في الجنة.

■ ٢ - قوله ﷺ "ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ..".^(٢)

■ ٣ - وقوله ﷺ فيما يرويه عن ربه تعالى: "إني خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالهم عن دينهم..."^(٣)

قالوا: إن من مات قبل التهود والتنجس فقد مات على الفطرة ، وكذلك من مات قبل أن تجتاله الشياطين عن دينه فقد مات حنيفاً، ومن كان كذلك فقد مات مسلماً فيكون في الجنة.

(١) - جامع البيان (٨ / ٥٠) وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧ / ٢٣٢١)

(٢) - سبق تخريجه في المسألة السابقة.

(٣) - سبق تخريجه في المسألة السابقة.

- ٤ - **حديث سمرة بن جندب** رضي الله عنه في قصة رؤيا النبي ﷺ وفيها أنه قال: "وأما الرجل الطويل الذي في الروضة فإنه إبراهيم عليه السلام، وأما الولدان الذين حوله فكل مولود مات على الفطرة" قال: فقال بعض المسلمين: يا رسول الله وأولاد المشركين؟ فقال رسول الله ﷺ: "وأولاد المشركين" ^(١). فقالوا هذا الحديث نص صحيح صريح في أنهم في الجنة ورؤيا الأنبياء وحي.
- ٥ - **(صحيح) وجاء في لفظ:** "وَأَمَّا الصَّبِيَّانُ الَّذِي رَأَيْتَ، فَأَوْلَادُ النَّاسِ" ^(٢)
- ٦ - **(حسن) - حديث أنس بن مالك** رضي الله عنه قال: قال رسول الله: "سألت ربي عن اللاهين من ذرية البشر ألا يعذبهم، فأعطانهم" ^(٣). والمراد باللاهين: الأطفال، قال ابن عبد البر: "إنما قيل للأطفال اللاهين: لأن أعمالهم كاللهو واللعب من غير عقد ولا عزم، من قولهم: لهيت عن الشيء أي لم أعتمده".
- ٧ - **(ضعيف) - حديث حسناء بنت معاوية** قالت: حدثنا عمي قال: قلت للنبي ﷺ من في الجنة؟ قال: "النبي في الجنة، والشهيد في الجنة، والمولود في الجنة، والوثيد في الجنة" ^(٤).

(١) - سبق تخريجه قريباً.

(٢) - أخرجه أحمد في "مسنده" (٩ / ٤٦٥٢) برقم: (٢٠٤٨٢) (مسند البصريين رضي الله عنهم، ومن حديث سمرة بن جندب عن النبي صلى الله عليه وسلم) (بهذا اللفظ). قال الأرئوط في «مسند أحمد» (٣٣ / ٣٣٧ ط الرسالة): «إسناده صحيح على شرط الشيخين. أبو رجاء العطاردي: هو عمران ابن ملحان»

(٣) - أخرجه أبو يعلى في "مسنده" (٧ / ١٣٨) برقم: (٤١٠١) (مسند أنس بن مالك، يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك) (بهذا اللفظ)، وأخرجه الطبراني في "الأوسط" (٦ / ١١١) برقم: (٥٩٥٧) (باب الميم، محمد بن محمد التمار) (بمثله). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» (٧ / ٢١٩): رَوَاهُ أَبُو يَعْلَى مِنْ طَرَفٍ، وَرَجَالُ أَحَدِهَا رَجَالُ الصَّحِيحِ غَيْرُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْمُتَوَكِّلِ وَهُوَ ثَقَّةٌ، وَلَفْظُهَا "سَأَلْتُ اللَّهَ اللَّاهِينَ مِنْ ذُرِّيَةِ الْبَشَرِ فَأَعْطَانِيهِمْ". وقال ابن حجر في «فتح الباري لابن حجر» (٣ / ٢٤٦): «فتح الباري لابن حجر» (٣ / ٢٤٦): «(قوله باب ما قيل في أولاد المشركين) هذه الترجمة تشعر أيضاً بأنه كان متوقفاً في ذلك وقد جزم بعد هذا في تفسير سورة الروم بما يدل على اختيار القول الصائر إلى أنهم في الجنة كما سيأتي تحريره وقد رتب أيضاً أحاديث هذا الباب ترتيباً يشير إلى المذهب المختار فإنه صدره بالحديث الدال على التوقف ثم نثي بالحديث المرجح لكونهم في الجنة ثم نثت بالحديث المصرح بذلك فإن قوله في سياقهِ وَأَمَّا الصَّبِيَّانُ حَوْلَهُ فَأَوْلَادُ النَّاسِ قَدْ أَخْرَجَهُ فِي التَّعْبِيرِ بِلَفْظِ وَأَمَّا الْوِلْدَانُ الَّذِينَ حَوْلَهُ فَكُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَقَالَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ وَأَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ فَقَالَ وَأَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ وَيُؤَيِّدُهُ مَا رَوَاهُ أَبُو يَعْلَى مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ مَرْفُوعاً سَأَلْتُ رَبِّي اللَّاهِينَ مِنْ ذُرِّيَةِ الْبَشَرِ أَنْ لَا يُعَذِّبَهُمْ فَأَعْطَانِيهِمْ إِسْنَادُهُ حَسَنٌ»

(٤) - أخرجه أبو داود في "سننه" (٢ / ٣٢٢) برقم: (٢٥٢١) (كتاب الجهاد، باب في فضل الشهادة) (بهذا اللفظ)، وأحمد في "مسنده" (١٠ / ٥٥٨١) برقم: (٢٣٩٥٩) (مسند الأنصار رضي الله عنهم، حديث رجل من الأنصار رضي الله عنه) (بمثله). حسن الحافظ إسناده أحمد في الفتح (٣ / ٢٤٦). قال الأرئوط في «مسند أحمد» (٣٤ / ١٩٠ ط الرسالة): «إسناده ضعيف لجهالة حسناء: وهي بنت معاوية بن سليم الصريمية، وأما عمها فقيل: اسمه أسلم بن سليم، لكن قال أبو نعيم في "معرفة الصحابة" ٢ / ٢٤٧: زعم بعض المتأخرين أن اسمه أسلم بن سليم، ولا يصح. عوف: هو ابن أبي جميلة الأعرابي»، وقال في «سنن أبي داود» (٤ / ١٧٥ ت الأرئوط): «حديث حسن وهذا إسناده رجاله ثقات غير حسناء بنت معاوية فإنها لا تعرف». وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع الصغير وزيادته» (ص ٨٦٢): برقم «٥٩٨٥»، وقال في «صحيح سنن أبي داود ط غراس» (٧ / ٢٨٠): برقم ٢٢٧٦ «قلت: حديث صحيح» إسناده: حدثنا مسدد: حدثنا يزيد بن زريع: حدثنا عوف: حدثنا حسناء بنت معاوية الصريمية. قلت: وهذا إسناده جيد، رجاله ثقات؛ لولا جهالة حسناء هذه، ولذلك قال الحافظ عنها: "مقبولة"؛ أي: عند المتابعة والحديث أخرجه البيهقي (٩ / ٦٦٣) من طريق أخرى عن مسدد. وأخرجه أحمد (٥ / ٥٨) من طرق أخرى عن عوف ... به وله شواهد كثيرة معروفة، لا ضرورة لبيانها".

■ ٨- (ضعيف) - حديث عائشة رضي الله عنها قالت: سألت خديجة النبي ﷺ عن أولاد المشركين، فقال: "هم مع آبائهم" ثم سألته بعد ذلك فقال: "الله أعلم بما كانوا عاملين" ثم سألته بعدما استحکم الإسلام فنزلت: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ وقال: "هم على الفطرة، أو قال: في الجنة" (١) ..

● قال ابن القيم بعدما ساق أدلة هذا القول: "وهذه حجج كما ترى قوة وكثرة ولا سبيل إلى دفعها".
○ القول الثاني: أن أولاد المشركين خدم أهل الجنة وهذا منسوب إلى سلمان ﷺ، وعزاه الخطابي إلى بعض أهل التفسير. واستدل أصحاب هذا القول بما يلي:

■ ١- (صحيح بطرقه وشواهده) حديث أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "أطفال المشركين خدم أهل الجنة" (٢)

■ ٢- (صحيح بطرقه وشواهده) حديث سمرة بن جندب ﷺ أن رسول الله ﷺ سئل عن أطفال المشركين، فقال: "هم خدم أهل الجنة" (٣).

○ القول الثالث: أنهم أهل الأعراف فيكونون في برزخ بين الجنة والنار لأنهم لم يعملوا حسنات يدخلون بها الجنة ولا سيئات يدخلون بها النار. وهذا القول لم أقف على تسمية من ذهب إليه.

(١) - قال في «فتح الباري لابن حجر» (٣ / ٢٤٧): «وَرَوَى عَبْدُ الرَّزَّاقِ مِنْ طَرِيقِ أَبِي مُعَاذٍ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ سَأَلْتُ خَدِيجَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَوْلَادِ الْمُشْرِكِينَ فَقَالَ هُمْ مَعَ آبَائِهِمْ ثُمَّ سَأَلْتُهُ بَعْدَ ذَلِكَ فَقَالَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ ثُمَّ سَأَلْتُهُ بَعْدَ مَا اسْتَحْكَمَ الْإِسْلَامُ فَتَزَلَّ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى قَالَ هُمْ عَلَى الْفِطْرَةِ أَوْ قَالَ فِي الْجَنَّةِ وَأَبُو مُعَاذٍ هُوَ سَلِيمَانُ بْنُ أَرْقَمَ وَهُوَ ضَعِيفٌ وَلَوْ صَحَّ هَذَا لَكَانَ قَاطِعًا لِلنِّزَاعِ رَافِعًا لَكَثِيرٍ مِنَ الْإِسْكَالِ الْمُتَقَدِّمِ»

(٢) - أخرجه الطيالسي في "مسنده" (٣ / ٥٨٠) برقم: (٢٢٢٥) (وما أسند أنس بن مالك الأنصاري ، يزيد بن أبان عن أنس) (بهذا اللفظ) ، وأبو يعلى في "مسنده" (٧ / ١٣٠) برقم: (٤٠٩٠) (مسند أنس بن مالك ، يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك) (بمثله مختصرا) ، والبخاري في "مسنده" (١٤ / ٣٩) برقم: (٧٤٦٦) (مسند أنس بن مالك ، علي بن زيد أيضا عن أنس) (بمثله مختصرا) ، والطبراني في "الأوسط" (٥ / ٢٩٤) برقم: (٥٣٥٥) (باب الميم ، محمد بن أحمد بن أبي خيثمة) (بمثله مختصرا) . ضعفه ابن حجر في «فتح الباري لابن حجر» (٣ / ٢٤٦) : ، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» (٧ / ٢١٩) : رَوَاهُ أَبُو يَعْلَى ، وَالْبَزَّازُ ، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ ، إِلَّا أَنَّهُمَا قَالَا: " «أَطْفَالُ الْمُشْرِكِينَ» " ، وَفِي إِسْنَادِ أَبِي يَعْلَى يَزِيدُ الرَّقَاشِيُّ وَهُوَ ضَعِيفٌ ، وَقَالَ فِيهِ ابْنُ مَعِينٍ: رَجُلٌ صَدُوقٌ ، وَوَقَّعَهُ ابْنُ عَدِيٍّ ، وَبَقِيَّةُ رَجَالِهِمَا رَجَالُ الصَّحِيحِ . قَالَ الْأَلْبَانِيُّ فِي «سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة» (١٢ / ٦٤٥) : وقد جاء في بعض الأحاديث: ((أطفال المشركين خدم أهل الجنة)) «وهو صحيح بطرقه؛ رغم أنه من أنكره من المعاصرين الذين لا سابغة لهم في هذا العلم - والله المستعان - ، وهو مخرج في المجلد الثالث من ((الصحيحة)) (١٤٦٨) «وصححه في «صحيح الجامع الصغير وزيادته» (١ / ٢٣٥) : برقم «١٠٢٤» . وقال في «سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها» (٣ / ٤٥٣) : برقم ١٤٦٨ : «وجملة القول أن الحديث صحيح عندي بمجموع هذه الطرق والشواهد»

(٣) - أخرجه البزار في "مسنده" (١٠ / ٣٨٤) برقم: (٤٥١٦) (مسند سمرة بن جندب رضي الله عنه ،) (بهذا اللفظ) ، والطبراني في "الكبير" (٧ / ٢٤٤) برقم: (٦٩٩٣) (باب السين ، أبو رجاء العطاردي عن سمرة بن جندب) (بنحوه) . والطبراني في "الأوسط" (٢ / ٣٠٢) برقم: (٢٠٤٥) (باب الألف ، أحمد بن زهير التستري) (بنحوه مختصرا) . قال الهيثمي في «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» (٧ / ٢١٩) : «رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ ، وَالْأَوْسَطِ ، وَالْبَزَّازُ ، وَفِيهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَنْصُورٍ ، وَثَّقَهُ يَحْيَى الْقَطَّانُ وَفِيهِ ضَعْفٌ ، وَبَقِيَّةُ رَجَالِهِ ثِقَاتٌ»

○ **القول الرابع:** أنَّهم في النار وإليه ذهب ابن بطة واختاره القاضي أبو يعلى. وذكر أنه منصوص عن أحمد، وهو قول جماعة من أهل الحديث والمفسرين والمتكلمين وطائفة من أصحاب أحمد وغيرهم، ونسبه النووي إلى الأكثرين.

واستدل هؤلاء بما يلي:

- ١- حديث الصعب بن جثامة أن النبي ﷺ سئل عن أولاد المشركين فقال: "هم منهم" وفي رواية "هم من آبائهم" (١).
- ٢- (صحيح وفي متنه نكارة) حديث سلمة بن زيد الجعفي قال: انطلقت أنا وأخي إلى رسول الله ﷺ، قال: قلنا: يا رسول الله إن أُمنا مليكة كانت تصل الرحم وتقري الضيف وتفعل وتفعل، هلكت في الجاهلية، فهل ذلك نافعها شيئاً؟ قال: "لا"، قال: قلنا: فإنها كانت وأدت أختاً لنا في الجاهلية فهل ذلك نافعها شيئاً؟ قال: "الوائدة والموءودة في النار، إلا أن تدرك الوائدة الإسلام فيعفو الله عنها" (٢).
- ٣- (صحيح وفي متنه نكارة) حديث عبد الله بن مسعود ؓ أن النبي ﷺ قال: "الوائدة والموءودة في النار" (٣).

(١) - سبق تخريجه قريباً.

(٢) - أخرجه أحمد في "مسنده" (٦ / ٣٤٢٥) برقم: (١٦١٦٩) (مسند المكيين رضي الله عنهم ، حديث سلمة بن يزيد الجعفي رضي الله عنه) (بهذا اللفظ) . قال الهيثمي في «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ت حسين أسد» (٢ / ٢١٣): «رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح، والطبراني في الكبير، بنحوه» . وقال الأرئوط في «مسند أحمد» (٢٥ / ٢٦٨ ط الرسالة): «رجاله ثقات رجال الشيخين، غير داود بن أبي هند، فمن رجال مسلم، وصحابه روى له النسائي، وله ذكر في "صحيح مسلم" لكن في متنه نكارة» . وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير وزيادته» (٢ / ١٢٠٠): برقم «٧١٤٢»

(٣) - أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (١٦ / ٥٢١) برقم: (٧٤٨٠) (كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة رجالهم ونسبهم بذكر أسمائهم رضوان الله عليهم أجمعين ، ذكر خبر قد يوهم غير المتبحر في صناعة العلم أن الموءودة لا محالة في النار) (بنحوه) ، وأبو داود في "سننه" (٤ / ٣٦٦) برقم: (٤٧١٧) (كتاب السنة ، باب في ذراري المشركين) (بهذا اللفظ) ، وأحمد في "مسنده" (٦ / ٣٤٢٥) برقم: (١٦١٦٩) (مسند المكيين رضي الله عنهم ، حديث سلمة بن يزيد الجعفي رضي الله عنه) (بمثله مطولاً) . والطيالسي في "مسنده" (٢ / ٦٤٠) برقم: (١٤٠٢) (سلمة بن يزيد ،) (بمعناه مطولاً) . والبزار في "مسنده" (٥ / ٣٦) برقم: (١٥٩٦) (مسند ، قال الأرئوط في «سنن أبي داود» (٧ / ٩٩ ت الأرئوط): «رجاله ثقات، ابن أبي زائدة: هو يحيى بن زكريا، وأبوه زكريا: سماعه من أبي إسحاق -وهو السبيعي- بأخذه، أي بعد اختلاطه، وعامر: هو ابن شراحيل، وعلقمة: هو ابن قيس... ويشهد له حديث سلمة بن يزيد الجعفي، أخرجه أحمد في "المسند" (١٥٩٢٣)، ورجاله ثقات. وانظر تمام تخريجه وبسط الكلام عليه فيه. وفي متن هذا الحديث نكارة، فإن الموءودة -وهي البنت التي تدفن حية- تكون غير بالغة، ونصوص الشريعة متضافرة على أنه لا تكليف قبل البلوغ. والمذهب الصحيح المختار عند المحققين من أهل العلم أن أطفال المشركين الذين يموتون قبل البلوغ هم من أهل الجنة، وقد استدلوا بما أخرجه ابن أبي حاتم فيما نقله عنه ابن كثير في تفسيره ٨ / ٣٥٧ عن أبي عبد الله الطهراني -وهو محمد بن حماد، حدثنا حفص بن عمر العدني، حدثنا الحكم بن أبان، عن عكرمة، قال: قال ابن عباس: أطفال المشركين في الجنة، فمن زعم أنهم في النار، فقد كذب، يقول الله عز وجل: {وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (٨) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ} [التكوير: ٨ - ٩] قال: هي المدفونة، وبقوله تعالى: {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا} [الإسراء: ١٥] فإذا كان لا يعذب العاقل بكونه لم تبلغه الدعوة، فلان لا يعذب غير العاقل من باب الأولى. وبما أخرج أحمد (٢٠٥٨٣) من طريق حسناء بنت معاوية بن سليم عن عمها قال: قلت: يا رسول الله ﷺ من في الجنة؟ قال: "النبي ﷺ في الجنة، والشهيد في الجنة، والمولود في الجنة، والموءودة في الجنة" وحسن الحافظ إسناده في "الفتح" ٣ / ٢٤٦ . وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير وزيادته» (٢ / ١٢٠٠): برقم «٧١٤٣»

■ ٤- (ضعيف) حديث عائشة رضي الله عنها أنها ذكرت لرسول الله ﷺ أطفال المشركين، فقال: "إن شئت أسمعك تضاعيمهم في النار"^(١).

هذه هي أشهر أدلتهم التي يستدلون بها على أن لهم أدلة أخرى غير هذه لكنها إما موضوعة وإما ضعيفة لا تقوم بها حجة.

○ القول الخامس: أن حكمهم حكم آبائهم في الدنيا والآخرة فلا يُفردون عنهم بحكم في الدارين ، فهم مؤمنون بإيمان آبائهم وكافرون بكفر آبائهم ، فأطفال المسلمين في الجنة وأطفال الكفار في النار. وهذا القول هو ظاهر كلام الخطابي ونسبه إلى عامة أهل السنة.

وفرق ابن القيم بين هذا القول والقول السابق فقال: "والفرق بين هذا المذهب ومذهب من يقول: هم في النار ، أن صاحب هذا المذهب يجعلهم معهم تبعاً لهم حتى لو أسلم الأبوان بعد موت أطفالهما لم يحكم لأفراطهما بالنار، وصاحب القول الآخر يقول: هم في النار لكونهم ليسوا بمسلمين لم يدخلوها تبعاً".

وأدلة هذا القول هي أدلة القول السابق

● القول السادس: التوقف وتوكيل علمهم إلى الله تعالى فلا يشهد لهم بجنة ولا نار، وربما عبر بعضهم عن ذلك بقوله: إنهم في المشيئة. وإلى هذا ذهب جماعة كثيرة من أهل الفقه والحديث منهم حماد بن زيد وحماد بن سلمة وابن المبارك وإسحاق بن راهوية وأكثر أصحاب مالك، واختاره أبو بكر بن الأثرم والبيهقي وهو ظاهر كلام الشوكاني.

واستدل أصحاب هذا القول بما يلي:

■ ١- حديث أبي هريرة وابن عباس أنه ﷺ سئل عن أولاد المشركين فقال: "الله أعلم بما كانوا عاملين"^(٢).

(١) - أخرجه أحمد في "مسنده" (١٢ / ٦٢٠١) برقم: (٢٦٣٨٢) (مسند عائشة رضي الله عنها ، (بهذا اللفظ) ، قال ابن حجر في «فتح الباري لابن حجر» (٣ / ٢٤٦): «وَهُوَ حَدِيثٌ ضَعِيفٌ جِدًّا لِأَنَّ فِي إِسْنَادِهِ أَبَا عَقِيلٍ مَوْلَى بَهِيَّةَ وَهُوَ مَتْرُوكٌ» . قال الهيثمي في «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» (٧ / ٢١٧): «رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَفِيهِ أَبُو عَقِيلٍ يَحْيَى بْنُ الْمُتَوَكِّلِ، ضَعَّفَهُ جُمهُورُ الْأَنْبِيَاءِ أَحْمَدُ، وَغَيْرُهُ، وَيَحْيَى بْنُ مَعِينٍ، وَنَقَلَ عَنْهُ تَوْثِيقُهُ فِي رِوَايَةٍ مِنْ ثَلَاثَةٍ». وقال الأرناؤوط في «مسند أحمد» (٢ / ٤٨٤ ط الرسالة): «إسناده ضعيف لضعف أبي عقيل يحيى بن المتوكل، ولجهالة بهيئة، وهي مولاة عائشة، فقد انفرد بالرواية عنها أبو عقيل. وكيع: هو ابن الجراح الرؤاسي .

(٢) - سبق تخريجه قريباً.

- ٢- (صحيح) حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: أتى علىَّ زمان وأنا أقول أولاد المسلمين مع المسلمين وأولاد المشركين مع المشركين، حتى حدثني فلان عن فلان أن رسول الله ﷺ سئل عنهم فقال: "الله أعلم بما كانوا عاملين" قال: فلقيت الرجل فأخبرني فأمسكت عن قولي." (١)
- ٣- عموم قول النبي ﷺ كما في حديث أنس رضي الله عنه: "إن الله عز وجل وكل بالرحم ملكًا يقول: يارب نطفة، يارب علقة، يارب مضغة، فإذا أراد أن يقضي خلقه قال: أذكر أم أنثى، شقي أم سعيد" (٢).
- وورد معناه من حديث ابن مسعود وحذيفة بن أسيد رضي الله عنهما.
- ٤- حديث عائشة رضي الله عنها كما في الصحيحين قالت: دُعي رسول الله ﷺ إلى جنازة صبي من الأنصار فقلت: يا رسول الله طوبى لهذا عصفور من عصافير الجنة لم يعمل السوء ولم يدركه، قال: "أو غير ذلك يا عائشة، إن الله خلق للجنة أهلًا خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم وخلق للنار أهلًا خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم" (٣).
- قال ابن عبد البر بعدما ساق الأدلة على هذا القول: "أحاديث هذا الباب من جهة الإسناد صحاح ثابتة عند جميع أهل العلم بالنقل".
- ثالثًا: مذهب التوقف: وهو الإمساك عن الخوض في هذه المسألة لعدم العلم بحكمهم. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "الوقف قد يُفسر بثلاثة أمور: أحدها: أنه لا يُعلم حكمهم فلا يُتكلّم فيهم بشيء، وهذا قول طائفة من المنتسبين إلى السنة". وهو منقول عن ابن عباس ومحمد بن الحنفية والقاسم بن محمد، وهو الظاهر من إحدى الروايتين عن الإمام أحمد فقد قال رحمه الله: "ونحن نمر هذه الأحاديث على ما جاءت ونسكت ولا نقول شيئاً".

(١) - أخرجه أحمد في "مسنده" (٩ / ٤٧٩٨) برقم: (٢١٠٢٨) (مسند البصريين رضي الله عنهم ، حديث رجل رضي الله عنه (بهذا اللفظ) . قال الهيثمي في «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» (٧ / ٢١٨): «رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ» . قال الأرناؤوط في «مسند أحمد» (٣٤ / ٣٠٥ ط الرسالة): «إسناده صحيح»

(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ٧٠) برقم: (٣١٨) (كتاب الحيض ، باب مخلقة وغير مخلقة) (بهذا اللفظ) ، (ومسلم في "صحيحه" (٨ / ٤٦) برقم: (٢٦٤٦) (كتاب القدر ، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته) (بمثله).

(٣) - سبق تخريجه قريباً.

- **(صحيح) . وقد جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول الله ﷺ: "لا يزال أمر هذه الأمة مؤثماً أو مقارباً ما لم يتكلموا في الولدان والقدر" (١).**
قال أبو حاتم: الولدان أراد به أطفال المشركين.

● الترجيح:

أقوى الأقوال -والله تعالى أعلم- هو مذهب الجمع وهو القول بالامتحان، لأنه هو الذي تجتمع فيه الأدلة وتأتلف فيه النصوص، ويليه في القوة: القول بأنهم في الجنة، وأما بقية الأقوال فضعيفة.
وقد أورد ابن عبد البر على القول بالامتحان وأحاديثه اعتراضاً فقال: "وجملة القول في أحاديث هذا الباب كلها ما ذكرت منها وما لم أذكر، أنّها من أحاديث الشيوخ وفيها علل وليست من أحاديث الأئمة الفقهاء، وهو أصل عظيم، والقطع فيه بمثل هذه الأحاديث ضعف في العلم والنظر، مع أنه عارضها ما هو أقوى منها".

وقال أيضاً: "أهل العلم ينكرون أحاديث هذا الباب لأن الآخرة ليست دار عمل ولا ابتلاء وكيف يكلفون دخول النار، وليس ذلك في وسع المخلوقين؟ والله لا يكلف نفساً إلا وسعها".
وأورد أبو عبد الله القرطبي حديث الامتحان ثم قال: "ويضعفه من جهة المعنى أن الآخرة ليست بدار تكليف وإنما هي دار جزاء: ثواب وعقاب".

والجواب عن هذا الاعتراض من وجوه:

- **الوجه الأول:** أنه لا يُشترط في الرواة أن يكونوا أئمة فقهاء ، وأهل العلم لم يتفقوا على إنكارها بل ولا أكثرهم، وإن أنكرها بعضهم فقد صححها أو بعضها غيرهم، ثم إن حديث الأسود بن سريع أجود من كثير من الأحاديث التي يُحتج بها في الأحكام ولهذا رواه الأئمة كأحمد وإسحاق وعلي ابن المديني ، كما أن أبا الحسن الأشعري حكى عن أهل السنة والحديث القول بالامتحان ، مما يدل على أنّهم أخذوا بموجب هذه الأحاديث.

(١) - أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (١٥ / ١١٨) برقم: (٦٧٢٤) (كتاب التاريخ ، ذكر الإخبار عن الأمانة التي إذا ظهرت في العلماء زال أمر الناس عن سننه) (بهذا اللفظ) ، والضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" (١٣ / ١٠) برقم: (٤) (من اسمه عبد الله ، عمران بن تيم عن ابن عباس) (بنحوه) ، والحاكم في "مستدركه" (١ / ٣٣) برقم: (٩٤) (كِتَابُ الْإِيمَانِ ، التكلم في الولدان والقدر) (بنحوه) . وصححه ووافقه الذهبي . قال الأرناؤوط في «الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان» (١٥ / ١١٩) : «إسناده صحيح، يزيد بن صالح الشكري ذكره المؤلف في "الثقات" ٢٧٥/٩ وابن أبي حاتم في "الجرح والتعديل" ٢٧٢/٩ وقال: سمعت أبي يقول: هو مجهول، قلت: جهالته لا تضر هنا، فقد تابعه فيه محمد بن أبان الواسطي الثقة، ومن فوقهما ثقات من رجال الشيخين. أبو رجاء العطاردي: هو عمران بن ملحان» . وصححه الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها» (٤ / ١٩) : برقم «١٥١٥» وقال: "...قال الحاكم" صحيح على شرط الشيخين، ولا نعلم له علة ". ووافقه الذهبي، وهو كما قالاً"

- **الوجه الثاني:** أن قوله: "وهو أصل عظيم والقطع فيه...." يُجاب عنه بأن القطع كذلك بتكذيب هذه الأحاديث وروايتها عقلاً وسمعاً فيه ضعف لا يخفى ، وقد نهى النبي ﷺ عن تكذيب أهل الكتاب لئلا يكون ما روه حقاً ، وهو هنا من باب أولى.
- **الوجه الثالث:** أن قوله إن أحاديث الامتحان قد عارضها ما هو أقوى مجيئاً منها إشارة منه إلى قوله - ﷺ: "الله أعلم بما كانوا عاملين". وهذا غير مسلم ؛ فإن أحاديث الامتحان ليست معارضة لهذا الحديث ، وإنما هي زيادة عليه وبيان وتفسير له ، وفرق بين المعارضة والزيادة والبيان.
- وكذلك القول في حديث سمرة بن جندب ﷺ في رؤية أولاد المشركين حول إبراهيم عليه السلام في الجنة ، فإنه غير معارض لأحاديث الامتحان ؛ لأن أولئك الأطفال ممن علم الله سعادتهم ونجاتهم في ذلك الامتحان.
- **الوجه الرابع:** أن التكليف إنما ينقطع بدخول دار الجزاء والقرار وهي الجنة أو النار ، وأما قبل ذلك فلا ينقطع كما في عرصات القيامة ، وكما في البرزخ وهذا معلوم بالضرورة من الدين ، من وقوع التكليف بسؤال الملكين في البرزخ فيقال لأحدهم: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ وهذا تكليف.
- وأما في عرصات القيامة فإن قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ صريح في وقوع التكليف في الآخرة ؛ لأن الله تعالى يدعو الخلائق إلى السجود فيسجد المؤمنون ويُحال بين الكفار وبين السجود لأنهم كُلفوا به في الدنيا وهم قادرون عليه فامتنعوا، وقد أشار الله تعالى إلى هذا بقوله: ﴿وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾.
- **الوجه الخامس:** أن قول ابن عبد البر: وكيف يُكلفون دخول النار وليس ذلك في وسع المخلوقين، جوابه من أربعة وجوه:
- **أحدها:** أن ذلك ليس تكليفاً بما ليس في الوسع ، وإنما هو تكليف بما فيه مشقة شديدة ، وهو كتكليف بنى إسرائيل قتل أولادهم وأزواجهم وآبائهم حين عبدوا العجل ، وكتكليف المؤمنين إذا رأوا الدجال ومعه مثال الجنة والنار أن يقعوا في الذي يروونه ناراً ، وكذلك فإن الله يأمر العباد يوم القيامة بالجواز على الصراط ، وهو جسر على جهنم أحد من السيف وأدق من الشعرة ، ويمر المؤمنون عليه بحسب أعمالهم فمنهم الناجي، ومنهم المكدوش على وجهه في النار ، وليس في وقوع الامتحان بالنار بأعظم من هذا بل هذا أطم وأعظم.
- **والثاني:** أنهم لو أطاعوه ودخلوها لم تضرهم وكانت برداً وسلاماً ، فلم يُكلفوا بممتنع ولا بما لا يُستطاع

■ **الثالث:** أنه قد ثبت أن الله تعالى يأمر الناس يوم القيامة بالسجود ، ويحول بين المنافقين وبينه ، وهذا تكليف لهم بما ليس في الوسع قطعاً ، فكيف يُنكر التكليف بدخول النار، التي هي نار في رأى العين وأما في الحقيقة فليست كذلك.

■ **الرابع:** أن استبعاد هذا إنما هو استبعاد مجرد لا ينبغي أن تُرد بمثله الأحاديث.

مناقشة الأقوال الأخرى:

- أما القول بأنهم في الجنة فإنه يُشكل عليه قوله ﷺ: "الله أعلم بما كانوا عاملين" وكذلك قوله - ﷺ: "إن الغلام الذي قتله الخضر طبع كافراً ولو عاش لأرهب أبويه طغياناً وكفراً". ولهذا قال النووي -وهو ممن يذهب إلى هذا القول كما تقدم:- "وأما غلام الخضر فيجب تأويله قطعاً".

- وأما القول بأنهم خدم أهل الجنة فلا أصل له وهو مبنى على أحاديث ضعيفة لا تقوم بها حجة. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "الولدان الذين يطوفون على أهل الجنة خلق من خلق الجنة ، ليسوا بأبناء أهل الدنيا ، بل أبناء أهل الدنيا إذا دخلوا الجنة يُكمل خلقهم كأهل الجنة على صورة آدم أبناء ثلاث وثلاثين سنة في طول ستين ذراعاً".

- وأما القول بأنهم أهل الأعراف فليس بشيء، قال السبكي: "وأما القول بأنهم في الأعراف فلا أعرفه ولا أعلم حديثاً ورد به، ولا قاله أحد من العلماء فيما علمت".

- وأما القول بأنهم في النار أو أن حكمهم حكم آبائهم فقول مردود، وأدلتهم يُجاب عنها بما يلي: أما قوله ﷺ في أولاد المشركين: "هم منهم" أو "هم من آبائهم" فليس هذا في حكم الآخرة وإنما هو في حكم الدنيا كما هو صريح الحديث أنهم إذا أُصيبوا في الجهاد والبيات ، وقد نقل ابن بطة وابن عبد البر الإجماع على ذلك.

● وقال ابن عبد البر: "معني هذا الحديث عند أهل العلم: في أحكام الدنيا .. هم من آبائهم، وعلى ذلك مخرج الحديث، فليس على من قتلهم قود ولا دية ؛ لأنهم أولاد من لا دية في قتله ولا قود ، لمحاربتة وكفره ، وليس هذا الحديث في أحكام الآخرة وإنما هو في أحكام الدنيا، فلا حجة فيه".

● وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "قد عُلم بالاضطرار من شرع الرسول أن أولاد الكفار يكونون تبعاً لآبائهم في أحكام الدنيا". ومما يدل على أن الأطفال لا يُعذبون بعذاب آبائهم قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ .

- وأما قوله ﷺ: "الوائدة والموءودة في النار"^(١) فقد اختلف أهل العلم في تأويله ومنهم من أنكر متنه ، وأحسن ما قيل فيه هو قول ابن القيم رحمه الله: **"الموءودة" في النار ما لم يوجد سبب يمنع من دخولها النار** . . ففرق بين أن تكون جهة كونها موءودة هي التي استحققت بها دخول النار، وبين كونها غير مانعة من دخول النار بسبب آخر، وإذا كان تعالى يسأل عن وأد ولدها بغير استحقاق ويعذبها على وأدها كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ﴾ فكيف يُعذب الموءودة بغير ذنب".

- وأما بقية الأحاديث التي يستدل بها أصحاب هذا القول فضعيفة لا يُحتج بها.

● قال ابن الوزير: "ليس في تعذيب الأطفال حديث صحيح صريح".

- وأما القول بالوقف فإن أدلة القائلين به ليس فيها ما يخالف القول بالامتحان، ولذلك فإن القائلين بالامتحان يأخذون بمدلول أدلة هذا القول غير أنهم يزيدون على ذلك القول بالامتحان لدلالة النصوص على ذلك.

● قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "فأما جواب النبي ﷺ .. وهو قوله: "الله أعلم بما كانوا عاملين" فإنه فصل الخطاب في هذا الباب، وهذا العلم يظهر حكمه في الآخرة".

● وقال ابن القيم: "النبي ﷺ لم يجب فيهم بالوقف وإنما وكل علم ما كانوا يعملون لو عاشوا إلى الله، والمعنى: الله أعلم بما كانوا يعملون لو عاشوا ، فهو سبحانه يعلم القابل منهم للهدى العامل به لو عاش ، والقابل منهم للكفر المؤثر له لو عاش ، لكن لا يدل هذا على أنه سبحانه يجزيهم بمجرد علمه فيهم بلا عمل يعملونه ، وإنما يدل على أنه يعلم منهم ما هم عاملون بتقدير حياتهم".

- وأما حديث عائشة رضي الله عنها لما شهدت لصبي من الأنصار بالجنة قال لها رسول الله ﷺ: "أو غير ذلك يا عائشة، إن الله خلق للجنة أهلاً خلقهم لها وهم في أصلاص آبائهم وخلق للنار أهلاً خلقهم لها وهم في أصلاص آبائهم"^(٢) فقد قال فيه البيهقي وابن تيمية وابن القيم وغيرهم: هذا الحديث إنما يدل على أنه لا يُشهد ولا يُقطع لكل واحد من أطفال المؤمنين بعينه بالجنة ، وإن أُطلق على أطفال المؤمنين في الجملة أنهم في الجنة ، لكن الشهادة للمعين ممتنعة.

(١) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ٥١) برقم: (٢٦٥٣) (كتاب القدر ، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام) (بهذا اللفظ)

(٢) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ٥١) برقم: (٢٦٥٣) (كتاب القدر ، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام) (بهذا اللفظ)

- وأما مذهب التوقف والذي هو الإمساك عن الخوض في هذه المسألة فقد تكرر كثيراً -فيما تقدم- أن بابه واسع "فمن اشتبهت عليه الأمور فتوقف لئلا يتكلم بلا علم ، أو لئلا يتكلم بكلام يضر ولا ينفع فقد أحسن ، ومن علم الحق فبيّنه لمن يحتاج إليه وينتفع به فهو أحسن وأحسن".

- قال شيخ الإسلام ابن تيمية بعدما رجح القول بالامتحان: "وهذا التفصيل يُذهب الخصومات التي كره الخوض فيه لأجلها من كره ، فإن من قطع لهم بالنار كلهم جاءت نصوص تدفع قوله ، ومن قطع لهم بالجنة كلهم جاءت نصوص تدفع قوله ، ثم إذا قيل: هم مع آبائهم لزم تعذيب من لم يذنب ، وانفتح باب الخوض في الأمر والنهي والوعد والوعيد والقدر والشرع .." - وأما ما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: "لا يزال أمر هذه الأمة مؤثماً، أو مقارباً ما لم يتكلموا في الولدان والقدر" (١) فمحمول على ذم من تكلم فيهم بغير علم ، أو ضرب النصوص بعضها ببعض فيهم ، كما ذم من تكلم في القدر بمثل ذلك ، وأما من تكلم فيهم بالعلم الذي بينه الله ورسوله فإنه لا يُذم بل هو مأمور به ، وهو الذي ينبغي للإنسان طلبه ، والله أعلم.

(١) - سبق تخريجه.

○ **المسألة الرابعة عشرة : إثبات الحكمة في أفعال الله ، وعلاقة ذلك بمسألة التحسين والتقييح.**

● أهل السنة والجماعة يعتقدون بأن الله يفعل ما يفعله لحكمة وأسباب ، وهو تبارك وتعالى : خالق الأسباب ومسبباتها ، وبأن مراده الكوني ، والشرعي تابع لحكمته ، فكل ما قضاه كوناً ، أو تعبد به خلقه شرعاً فإنه لحكمة ، وعلى وفق الحكمة ، سواء علمنا منها ما نعلم ، أو تقاصرت عقولنا عن ذلك : ﴿أليس الله بأحكم الحاكمين﴾ سورة التين ، الآية : ٨ . ﴿ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون﴾ ^(١) سورة المائدة ، الآية : ٥٠ . خلافاً للأشاعرة فهم **ينفون قطعاً** أن يكون لشيء من أفعال الله تعالى علة مشتملة على حكمة تقتضي إيجاد الفعل أو عدمه ، **وهو رد فعل لقول المعتزلة بالوجوب على الله** حتى أنكر الأشاعرة كل لام تعليل في القرآن وقالوا أن كونه يفعل شيئاً لعله ينافي كونه مختاراً مريداً . وهذا الأصل تسمية بعض كتبهـم "نفي الغرض عن الله" ويعتبرونه من لوازم التنزيه ، وجعلوا أفعاله تعالى كلها راجعة إلى محض المشيئة ولا تعليق لصفة أخرى - كالحكمة مثلاً - بها ، ورتبوا على هذا أصولاً فاسدة كقولهم بجواز أن يخلد الله في النار أخلص أوليائه ، ويخلد في الجنة أفجر الكفار ، وجواز التكليف بما لا يطاق ونحوها . وسبب هذا التأصيل الباطل عدم فهمهم **ألا تعارض بين المشيئة والحكمة أو المشيئة والرحمة** . ولهذا لم يثبت الأشاعرة الحكمة مع الصفات السبع ، واكتفوا بإثبات الإرادة ، مع أن الحكمة تقتضي الإرادة والعلم وزيادة حتى أن من المعاصرين من أضافها مثل سعيد حوى .

وأصل ذلك مسألة التحسين والتقييح : فينكر الأشاعرة أن يكون للعقل والفطرة أي دور في الحكم على الأشياء بالحسن والقبح ، ويقولون مرد ذلك إلى الشرع وحده ، **وهذا رد فعل مغال ، لقول البراهمة والمعتزلة أن العقل يوجب الحسن وقبح القبيح - مستقلاً عن الشرع -** ، وهو مع منافاته للنصوص مكابرة للعقول ، ومما يترتب عليه من الأصول الفاسدة : قولهم أن الشرع قد يأتي بما هو قبيح في العقل ، فإلغاء دور العقل بالمرّة أسلم من نسبة القبح إلى الشرع مثلاً ، ومثلوا لذلك بذبح الحيوان ؛ فإنه إيلاـم له بلا ذنب وهو قبيح في العقل ومع ذلك أباحه الشرع ، وهذا في الحقيقة قول البراهمة الذين يحرمون أكل الحيوان فلما عجز هؤلاء عن رد شبهتهم ووافقوهم عليها أنكروا حكم العقل من أصله وتوهموا أنهم بهذا يدافعون

عن الإسلام. كما أن من أسباب ذلك :مناقضة أصل المعتزلة في القول بوجوب الثواب والعقاب على الله بحكم العقل ومقتضاه .

وسبب الخلاف بينهم وبين المعتزلة هي: مسألة التقبيح والتحسين العقلي ، فالمعتزلة قالوا بالتقبيح والتحسين العقلي ، ورتبوا الثواب والعقاب على ذلك ، فما رآه العقل حسنا وجب على الله أن يثيب عليه ، وما رآه العقل قبيحا وجب على الله أن يعاقب عليه.
والأشاعرة نفوا أن يكون للعقل مدخلا في التحسين والتقبيح ، فيجوز أن يثيب على القبيح ، ويعاقب على الحسن .

وأهل السنة توسطوا في ذلك فقالوا بالتحسين والتقبيح ، ولكن لا يرتبون على ذلك ثوابا أو عقابا.
أولاً :علاقة المسألة بمسألة الحكمة والتعليل :

البحث في مسألة التحسين والتقبيح يعتبر أصلا للخلاف في مسألة الحكمة والتعليل في أفعال الله ، هل يحكم عليها بالعقل أولا؟ فمن أثبت الحسن والقبح العقلي أثبت الحكمة والتعليل في أفعاله تعالى ، ومن نفي الحسن والقبح العقلي نفى الحكمة والتعليل –كالأشاعرة .-

• قال ابن القيم مبينا هذه العلاقة بين هذين الموضوعين : وكل من تكلم في علل الشرع ومحاسنه وما تضمنه من المصالح ودرء المفاسد ، فلا يمكنه ذلك إلا بتقرير الحسن والقبح العقليين ، إذ لو كان حسنه وقبحه بمجرد الأمر والنهي لم يتعرض في إثبات ذلك لغير الأمر والنهي . فلما قالت المعتزلة بالتحسين والتقبيح العقليين ، نتج عن ذلك قولهم أن من يفعل لا لغرض يكون عابثا ، والعبث قبيح ، فثبت أن أفعاله يجب أن تكون لأغراض وحكم .

ولما قالت الأشاعرة إن العقل لا يحكم بحسن ولا قبح ، بل ذلك مقصور على الشرع ، والأفعال في أنفسها سواء قبل ورود الشرع ، وليس الحسن والقبح صفتين ذاتيتين للأشياء ، قالوا :إن أفعاله تعالى ليست معللة بالأغراض والغايات ، ونفوا بناء على ذلك الحكمة على ما سبق بيانه .

أول من بحث هذه المسألة من أهل الكلام هو الجهم بن صفوان ، حين وضع قاعدته المشهورة:(إيجاب العارف بالعقل قبل ورود الشرع وقال : إن العقل يوجب ما في الأشياء من صلاح وفساد وحسن وقبح ، وهو يفعل هذا قبل نزول الوحي ، وبعد ذلك يأتي الوحي مصدقا لما قال به العقل من حسن بعض الأشياء وقبح بعضها ، وقد أخذ بهذا القول المعتزلة ، وأخذ عنه الكرامية .

• تحرير محل النزاع .

- اتفق الجميع على أن من الأشياء ما لا يدرك إلا بالشرع ، كبعض تفاصيل الشرائع والعبادات .
- وأما بالنسبة لمعاني الحسن والقبح فتطلق على ثلاثة أشياء ببيانها يتضح محل النزاع :
- **المعنى الأول: أن يراد بالحسن والقبح : ما يوافق غرض الفاعل من الأفعال وما يخالفه ، أو ما يطلق عليه : الملائمة والمنافرة للإنسان ...** فهذا معلوم بالعقل بالاتفاق ، فإنه قد يعنى بالحسن والقبح كون الشيء ملائما للطبع أو منافرا له ، وبهذا التفسير لا نزاع في كونهما عقليين . فما وافق غرض الفاعل يسمى حسنا ويدرك بالعقل ، كحسن قتل العدو ، وهو ما يسمونه مصلحة أو ملائمة طبع ، وما خالف غرض الفاعل يسمى قبيحا ، كالإيذاء ، ويسمى مفسدة أو منافرة للطبع .
- قال شيخ الإسلام في التدمرية في كلامه على مسألة الحسن والقبح : "فإنهم اتفقوا على أن كون الفعل يلائم الفاعل أو ينافره يعلم بالعقل ، وهو أن يكون الفعل سببا لما يحبه الفاعل ويلتذ به ، أو سببا لما يبغضه ويؤذيه .
- وقال كذلك: والعقلاء متفقون على كون بعض الأفعال ملائما للإنسان ، وبعضها منافيا له ، إذا قيل هذا حسن ، وهذا قبيح ، فهذا الحسن والقبح مما يعلم بالعقل ... ولا ريب أن من أنواعه ما لا يعلم إلا بالشرع ، ولكن النزاع فيما قبحه معلوم لعموم الخلق ، كالظلم والكذب ونحو ذلك .
- **المعنى الثاني : أن يراد بالحسن والقبح : كون الشيء صفة كمال أو صفة نقص ،** كقولنا : العلم حسن ، والجهل قبيح ، ولا نزاع هنا -أيضا- في كونهما عقليين . ويرى شيخ الإسلام أن هذا المعنى راجع للمعنى الأول ، لأنه عائد إلى الموافقة والمخالفة ، وهو اللذة والألم ، فالنفس تلتذ بما هو كمال لها ، وتتألم بالنقص ، فيعود الكمال والنقص إلى الملائم والمنافي فلا نزاع في هذين المعنيين بين أهل الكلام أنهما عقليان يستقل العقل بإدراكهما .
- **المعنى الثالث: أن يراد بالحسن والقبح : كون الفعل يتعلق به المدح والثواب ، والذم والعقاب .** فما تعلق به المدح والثواب في الدنيا والآخرة كان حسنا ، وما تعلق به الذم والعقاب في الدنيا كان قبيحا . فهذا المعنى هو الذي وقع فيه الخلاف :
- وقال الرازي : وإنما النزاع في كون الفعل متعلق الذم عاجلا وعقابه آجلا ، وفي كون الفعل متعلق المدح عاجلا ، والثواب آجلا ، هل يثبت بالشرع أو بالعقل ...

• الفرق المخالفة :

○ أولاً: ذهب المعتزلة إلى القول بالتحسين والتقبيح العقلي، ولعل مذهبهم يتضح من خلال النقاط التالية :

- ذهبوا إلى إثبات الحسن والقبح بالعقل وجعلوا حسن الأفعال وقبحها للعقل فقط .
- قالوا : إن حسن الأشياء وقبحها صفتان ذاتيتان في الأشياء، والفعل حسن أو قبيح، إما لذاته، وإما لصفة من صفاته اللازمة له ، وإما لوجوه واعتبارات أخرى ولذا قالوا بإمكان إدراكها بالعقل. - أما الشرع فجعلوه كاشف ومبين لتلك الصفات فقط . - ونتيجة لذلك جعلوا استحقاق الثواب والعقاب على مجرد معرفة العقل حسن الأفعال وقبحها ولو لم تبعث الرسل .

• تنبيهان حول مذهب المعتزلة :

■ مما ينبه له أن المعتزلة يرون -كغيرهم- أن بعض الأشياء إنما يعلم حسنها أو قبحها بالشرع، ولا يدرك العقل حسنها ولا قبحها، ضرورة ولا نظراً ، وإن كان في الجملة يعلم حسن كل ما أمر به الشرع ، ويدرك الحسن إجمالاً، ويعلم قبح الأشياء التي نهى عنها الشرع، ويدرك القبح إجمالاً، ومن تلك الأشياء :

تفاصيل العبادات التي لا يدرك العقل حكمها ، وذلك كحسن كون صلاة المغرب ثلاث ركعات، والفجر ركعتين ، وقبح تحري الصلاة وقت النهي ، وحسن صيام آخريوم من رمضان ، وقبح صيام أول يوم من شوال ، ونحو ذلك مما لا يدركه العقل ابتداءً ، ومن ذلك : إلزام العاقلة الدية ، يقول القاضي عبد الجبار: كما ورد الشرع في إلزام العاقلة الدية ، ولم يقع منها إتلاف ، وهذا مما لا مدخل له في التكاليف العقلية ، وإن كانت مجوزة لورود السمع به ، فهم يرون أن بعض تفاصيل الحسن والقبح لا تدرك بالعقل ، وإنما بينها الشرع ، ولذلك أوجبوا على الله بعثة الرسل .

يقول القاضي عبد الجبار مقررًا هذا المعنى : لما لم يمكننا أن نعلم عقلاً أن هذا الفعل مصلحة وذلك مفسدة ، بعث الله إلينا الرسل ليعرفونا ذلك من حال هذه الأفعال ، فيكونوا قد جاءوا بتقرير ما قد ركبه الله تعالى في عقولنا ، وتفصيل ما قد تقرر فيها .

■ ٢- وقع خلاف بين المعتزلة في مسألة قبح الأفعال وحسنها ، هل هو لذاته أم لصفة من صفاته اللازمة له ؟

■ مما سبق من تقرير مذهب المعتزلة، نجد أنهم أصابوا من جهة وأخطأوا من جهة أخرى : **أصابوا بقولهم إن لتلك الأفعال حسناً وقبحاً ذاتياً يمكن إدراكه بالعقل .**

■ **وأخطأوا من وجهين: أولاً:** في إيجابهم على الله تعالى أشياء بمحض عقولهم . بل أوجبوا على الله أشياء مخالفة للصحيح الصريح من نصوص الكتاب والسنة، ورود الشرع . وثانياً: في أنهم رتبوا التكليف والعقاب والثواب على ذلك .

● قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وأما الإيجاب عليه سبحانه وتعالى والتحريم بالقياس على خلقه **فهذا قول القدرية** ، وهو قول مبتدع مخالف لصحيح المنقول وصريح المعقول ، وأهل السنة متفقون على أنه سبحانه خالق كل شيء وربّه ومليكه ، وأنه ما شاء كان وما شاء لم يكن، وأن العباد لا يوجبون عليه شيئاً ، ولهذا كان من قال من أهل السنة بالوجوب قال : إنه كتب على نفسه الرحمة ، وحرّم الظلم على نفسه ، **لا أن العبد نفسه مستحق على الله شيئاً كما يكون للمخلوق على المخلوق** ، فإن الله هو المنعم على العباد بكل خير ، فهو الخالق لهم وهو المرسل إليهم الرسل، وهو الميسر لهم الإيمان والعمل الصالح ، ومن توهم من القدرية والمعتزلة ونحوهم أنهم يستحقون عليه من جنس ما يستحقه الأجبر على المستأجر فهو جاهل في ذلك .

■ وأما الجواب على خطأهم الثاني في أنهم رتبوا الإيجاب والثواب والتحريم والعقاب على التحسين والتقبيح العقلي ولولم يرد به الشرع، فيقال : إنه لا تلازم بين هذين الأمرين، فالأفعال في نفسها حسنة وقيحة ، لكن لا يترتب عليها الثواب والعقاب إلا بالأمر والنهي ، وقبل العقاب لا يكون قبيحاً موجباً للعقاب مع قبحه في نفسه، بل هو في غاية القبح، والله تعالى لا يعاقب عليه إلا بعد إرسال الرسل، فالكذب والسرقة والزنا كلها قبيحة في ذاتها ، لكن العقاب عليها مشروط بالشرع . ويلزم على قول المعتزلة أن الحجة تقوم بدون الرسل، وهذا باطل .

■ وقد دل القرآن على عدم التلازم بين التحسين العقلي والثواب، ولا بين التقبيح العقلي والعقاب، وأن الله تعالى لا يعاقب إلا بإرسال الرسل، وأن الفعل نفسه حسن أو قبيح، قال تعالى : ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]

فدلت الآية على أن العذاب لا يكون إلا ببعثة الرسل ، وهو دليل على أن العقاب لا يثبت إلا بالشرع . ﴿تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلْتَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾ [الملك: ٨-٩] فدلت الآية -كسابقها- على أنه لا يثبت العقاب إلا بالشرع ، **فالخزنة لم يسألوهم عن مخالفتهم العقل ، بل سألوهم عن مخالفتهم للشرع.**

○ ثانيا : مذهب الأشاعرة في التحسين والتقبيح .

ذهب الأشاعرة إلى القول بالتحسين والتقبيح الشرعيين لا العقليين : فقالوا : إنه لا يجب على الله شيء من قبل العقل ، ولا يجب على العباد شيء قبل ورود السمع . وقالوا : إن الحسن والقبح الذي يتعلق به المدح والثواب ، و الذم والعقاب ، إنما يدرك بالشرع فحسب ، وليست الأشياء في ذاتها حسنة ولا قبيحة ، بل توصف بذلك باعتبارات غير حقيقية . فهم ذهبوا إلى أن الحسن والقبح في الأشياء اعتباري ونسبي ، أي : أنه ليس صفة لازمة وذاتية في الشيء ، وإنما يعرف حسن الأشياء وقبحها باعتبارات إضافية .

مناقشة قول الأشاعرة في التحسين والتقبيح .

ما ذهب إليه الأشاعرة من نفي حسن الأفعال وقبحها وتعطيل العقل عن معرفة ذلك ، قد خالفوا به صحيح المنقول وصريح المعقول :

■ ١ - فمخالفتهم لصحيح المنقول : ففي القرآن آيات كثيرة تدل على أن الحسن والقبح ثابت للأشياء في ذاتها ،

■ قال تعالى : ﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [الأعراف: ١٥٧]

ووجه الدلالة : الآية صريحة في أن العقل يدرك حسن الأشياء وقبحها ، فالمعروف الذي يأمر به الله ما تعرفه وتقر به العقول السليمة ، والفطر المستقيمة ، والمنكر الذي ينهاهم عنه هو ما تنكره العقول والفطر السليمة ، وتقر بقبحه ، ولو لم يكن للأشياء حسن وقبح لذاتها ، وإنما كان ذلك من قبل الشارع وأن ما أمر به الحسن وما نهى عنه هو القبيح لكان معنى الآية : يأمرهم بما يأمرهم به ، وينهاهم عما ينهاهم عنه وهذا لا يقوله عاقل فضلا عن رب العالمين .

■ وقال تعالى أيضا : ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]

فدلت الآية على أن الحلال كان طيبا قبل حله ، وأن الخبيث كان خبيثا قبل تحريم ، فلو كان الحلال والخبيث إنما عرفا بالتحليل والتحريم ؛ لكان معنى الآية يحل لهم ما يحل لهم ، ويحرم عليهم ما يحرم عليهم ، وهذا لا يليق بنظم كلام الله تعالى . نعم : الطيب إذا أحل من الشارع فقد اكتسب طيبا آخر إلى طيبه ، فصار طيبا من الوجهين ، وكذلك القبيح إذا نهى الشارع عنه اكتسب قبحا إلى قبحه ، فصار قبيحا من الوجهين معا .

■ وقال تعالى : ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء- ٣٢] فدلت الآية على أن الزنى إنما تعلق به النهي لكونه قبيحا وفاحشة ، وهذا الوصف ثابت له قبل النهي عنه ، ولو لم يكن قبيحا وفاحشة في نفسه لكان معنى الآية : ولا تقربوا الزنى فإنه منهي عنه ، وهذا من تعليل الشيء بنفسه

وهو باطل . و لا حظ أن هذه الأدلة تدخل في الأدلة التي سبقت في ثبات الحكمة والتعليل في أفعاله سبحانه، فنفي الأشاعرة للحكمة والتعليل نتج عن قولهم بنفي الحسن والقبح العقلي .

- ٢- وأما مخالفتهم لصريح المعقول فيما ذهبوا إليه من نفي الحسن والقبح الذاتي للأفعال ، وتعطيل العقل عن معرفة ذلك ، ففيه جمع بين الأمور المختلفة الممتنعة عند ذوي العقول الصريحة والفطر المستقيمة ، فإذا كان العقل ليس له مدخل في معرفة حسن الأفعال وقبحها ، فإن ذلك يستلزم أن تكون الأفعال الحسنة والقبيحة في حقه متساوية كالصدق والكذب والعدل والظلم والكرم والبخل والبر والفجور، وحكم الضدين بهذه العبارة يكون باطلا لا يقول به من له أدنى مسكة من علم وإيمان وعقل .

- قال تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ [ص:٢٨]

- وقال جل من قائل: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية:٢١] قال ابن القيم: فدل على أن هذا حكم سيء قبيح ينزه الله عنه ولم ينكره سبحانه من جهة أنه أخبر بأنه لا يكون، وإنما أنكره من جهة قبحه في نفسه، وإنه حكم سيء يتعالى ويتنزه عنه لمنافاته لحكمته وغناه وكماله ووقوع أفعاله كلها على السداد والصواب والحكمة ، فلا يليق به أن يجعل البر كالفاجر ، ولا المحسن كالمسيء ، ولا المؤمن كالمفسد في الأرض ، فدل على أن هذا قبيح في نفسه تعالى الله عن فعله . ومن قال: إن الأفعال ليس فيها صفات تقتضي الحسن والقبح لذاتها فهو بمنزلة قوله: ليس في الأجسام صفات تقتضي التسخين، والتبريد، والإشباع ، والإرواء ، فسلب صفات الأعيان المقتضية للأثار كسلب صفات الأفعال المقتضية للأثار .

○ ثالثاً: مذهب أهل السنة والجماعة في التحسين والتقبيح.

تأخير ذكر مذهب أهل السنة والجماعة ؛ لكي تنجلي وسطيته بين طرفي الضلال ، ولكونه قد جمع ما في دينك المذهبيين من حق واطرح ما فيهما من باطل ، وأيضا لكي يتضح أن أهل السنة والجماعة هم أسعد المذاهب بالأدلة التي نظر كل فريق من الفريقين الآخرين إلى طرف منها وأهملوا طرفا ، وحكّموا عقولهم الفاسدة على الشرع حيناً ، واطرحوا العقل وأتوا بما يسخر منه البشر في أحيان أخرى .

فوافق أهل السنة المعتزلة في قولهم : إن للأفعال حسنا وقبحا ذاتيين يمكن إدراكه بالعقل ، **وخالفوهم** حين قالوا بترتب التكليف والعقاب على ذلك الحكم العقلي ، **وكذلك خالفوهم** حين أوجبوا على الله ما حسنته عقولهم ، وحرّموا عليه ما قبحته عقولهم.

وخالف أهل السنة الأشاعرة في زعمهم أن تلك الأفعال لم تثبت لها صفة الحسن والقبح إلا بكتاب الشرع ، وأنها في ذاتها ليست حسنة ولا قبيحة ، **ووافقوهم** في قولهم بأن التكليف والعقاب موقوف على خطاب الشرع ، وفي إثباتهم للحسن والقبح الشرعيين . **فمذهب أهل السنة والجماعة يمكننا أن نجمله بالنقاط التالية :**

- إثبات حسن بعض الأفعال وقبحها بالعقل والشرع ، ولا يلزم أن يدركها جميعا ، لأن منها ما قد يخفي على بعض العقول ، و الشرع زاد حسن الأفعال الحسنة بالعقل حسنا ، وزاد القبيحة قبحا .
- الثواب على فعل الأفعال الحسنة ، والعقاب على فعل الأفعال القبيحة إنما هو من قبل الشارع ، فلا يجب على المكلف شيء قبل ورود الشرع .
- وبين شيخ الإسلام أنواع الحسن والقبح في الأفعال فقال : قد ثبت بالخطاب والحكمة الحاصلة من الشرائع ثلاثة أنواع :

■ **النوع الأول :** أن يكون الفعل مشتملا على مصلحة أو مفسدة ، و لو لم يرد الشرع بذلك كما يعلم أن العدل مشتمل على مصلحة العالم ، و الظلم يشتمل على فسادهم ، فهذا النوع هو حسن و قبيح ، و قد يعلم بالعقل و الشرع قبح ذلك ، لا أنه أثبت للفعل صفة لم تكن ، لكن لا يلزم من حصول هذا القبح أن يكون فاعله معاقبا في الآخرة إذا لم يرد شرع بذلك ، **وهذا مما غلط فيه غلاة القائلين بالتحسين والتقبيح ، فإنهم قالوا إن العباد يعاقبون على أفعالهم القبيحة ولو لم يبعث إليهم رسولا ، وهذا خلاف النص ..**

■ **النوع الثاني :** أن الشارع إذا أمر بشيء صار حسنا ، و إذا نهى عن شيء صار قبيحا و اكتسب الفعل صفة الحسن و القبح بكتاب الشارع.

■ **والنوع الثالث:** أن يأمر الشارع بشيء ليمتحن العبد هل يطيعه أم يعصيه ، و لا يكون المراد فعل المأمور به ، كما أمر إبراهيم بذبح ابنه ، فلما أسلما و تله للجبين حصل المقصود ففداه بالذبح...فالحكمة منشؤها من نفس الأمر لا من نفس المأمور به . وهذا النوع و الذي قبله لم يفهمه المعتزلة ، و زعمت أن الحسن و القبح لا يكون إلا لما هو متصف بذلك بدون أمر الشارع .
و الأشعرية ادعوا أن جميع الشريعة من قسم الامتحان ، و أن الأفعال ليست لها صفة لا قبل الشرع و لا بالشرع . و أما الحكماء و الجمهور فأثبتوا الأقسام الثلاثة و هو الصواب فتبين بهذا أن المصلحة تنشأ من الفعل المأمور به تارة ، و من الأمر تارة ، و منهما تارة ، و من العزم المجرد تارة .

○ ومن فروع : (إثبات الحكمة في أفعال الله): مسألة كبرى لها تعلق مباشر بهذا

الأصل (القضاء والقدر) وهي: **أن فعل الأسباب من قدر الله ، وتتضمن أربع مسائل وهي:**

○ (المسألة الأولى) وهي **المسألة الخامسة عشرة** : هل صلة الرحم تزيد في العمر حقيقة^(١)

؟ فقد جاءت أحاديث تدل على أن العمر محدد لا يزيد ولا ينقص منها :

■ **ما جاء في صحيح مسلم وعن عبد الله بن مسعود** رضي الله عنه قال: قالت أم حبيبة زوج النبي ﷺ: اللهم

أمتعني بزوجي رسول الله ﷺ وبأبي أبي سفيان وبأخي معاوية، قال: فقال النبي ﷺ "قد سألت الله

لأجل مضروبة وأيام معدودة وأرزاق مقسومة، لن يعجل شيئاً قبل حله أو يؤخر شيئاً عن حله،

ولو كنت سألت» «الله أن يُعذك من عذاب في النار أو عذاب في القبر كان خيراً وأفضل" ^(٢).

■ **وفي صحيح مسلم عن حذيفة بن أسيد** رضي الله عنه يبلغ به النبي ﷺ قال: "يدخل الملك على النطفة بعدما

تستقر في الرحم بأربعين أو خمسة وأربعين ليلة فيقول: يا رب أشقي أم سعيد؟ فيكتبان، فيقول:

أي رب أذكر أو أنسى؟ فيكتبان، ويكتب عمله وأثره وأجله ورزقه ثم تُطوى الصحف فلا يُزاد فيها ولا

ينقص ^(٣)

وجاءت أحاديث تدل أن العمر يزيد بصلة الرحم:

■ **في الصحيحين عن أنس** رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "من سرّه أن يبسط له في رزقه أو

يُنسأ له في أثره فليصل رحمه" ^(٤).

■ **وفي البخاري عن أبي هريرة** رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "من سرّه أن يُبسط له في رزقه وأن

يُنسأ له في أثره فليصل رحمه" ^(٥).

(١) - معظم ما جاء في هذه المسألة نقلته بتصريف يسير ، وتقديم وتأخير من كتاب «أحاديث العقيدة التي يوهم ظاهرها التعارض في الصحيحين دراسة وترجيح» (ص ٣٦١): للدكتور محمد بن سليمان الديبكي.

(٢) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ٥٥) برقم: (٢٦٦٣) (كتاب القدر ، باب بيان أن الآجال والأرزاق وغيرها لا تزيد ولا تنقص عما سبق به القدر) (بهذا اللفظ)

(٣) - سبق تخريجه.

(٤) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٣ / ٥٦) برقم: (٢٠٦٧) (كتاب البيوع ، باب من أحب البسط في الرزق) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (٨ / ٨) برقم: (٢٥٥٧) (كتاب البر والصلة والآداب ، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها) (بمثله).

(٥) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٨ / ٥) برقم: (٥٩٨٥) (كتاب الأدب ، باب من بسط له في الرزق بصلة الرحم) (بهذا اللفظ)

● بيان وجه التعارض:

أن في الأحاديث الأولى التصريح بأن الأجل مكتوب مُقدر لا يُزاد فيه ولا ينقص، وفي المقابل نجد في حديث أنس وأبي هريرة رضي الله عنهما التصريح بأن الأجل يُؤخروا وأن العمر يُزاد بصلة الرحم؟! .
لم يتجاوز أهل العلم في هذه المسألة مذهب الجمع، ولكنهم اختلفوا في طريقة الجمع **على عدة أقوال يمكن حصرها في مسلكين:**

○ المسلك الأول: أن العمر يزيد وينقص:

والقائلون بهذا حملوا الزيادة في العمر الواردة في النصوص على الحقيقة. وإلى هذا ذهب عمر بن الخطاب وعبد الله بن مسعود وكعب وأبو وائل رضي الله عنهم، وجمع كثير من أهل العلم، كالطحاوي وابن حزم وشيخ الإسلام ابن تيمية وابن أبي العز وابن حجر والشوكاني، وغيرهم عليهم رحمة الله.
وقال هؤلاء: إن الله تعالى قدر السبب والمسبب، فقدر أن هذا يصل رحمه فيزيد عمره بهذا السبب، ولو لم يصل رحمه لما زاد عمره، فهذا كانت صلة الرحم سبب في زيادة العمر، فمن علم الله منه صلة الرحم زاد في عمره ومن علم منه خلاف ذلك نقص في عمره.

وقال بعضهم: إن الزيادة والنقصان تكون في الصحف التي في أيدي الملائكة وذلك أن الله تعالى يكتب للعبد أجلاً في صحف الملائكة فإذا وصل رحمه زاد في ذلك المكتوب، وإن عمل ما يوجب النقص نقص من ذلك المكتوب «قالوا: والمكتوب غير المعلوم، فما علمه الله تعالى من نهاية العمر لا يتغير، وما كتبه قد يمحي ويثبت، وعلى هذا يُحمل قول عمر رضي الله عنه وغيره: "اللهم إن كنت كتبتني في أهل السعادة فأثبتني فيها، وإن كنت كتبت عليّ الذنب والشّقوة فامحني وأثبتني في أهل السعادة فإنك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب".

● وقال ابن أبي العز تعليقاً على كون صلة الرحم تزيد في العمر: "أي: هي سبب طول العمر، وقد قدر الله أن هذا يصل رحمه، فيعيش بهذا السبب إلى هذه الغاية، ولولا ذلك السبب لم يصل إلى هذه الغاية، ولكن قدر هذا السبب وقضاه، وكذلك قدر أن هذا يقطع رحمه فيعيش إلى كذا".

● وقال ابن حجر رحمه الله: "والحق.. أن الذي سبق في علم الله لا يتغير ولا يتبدل، وأن الذي يجوز عليه التغير والتبديل ما يبدو للناس من عمل العامل، ولا يبعد أن يتعلق ذلك بما في علم الحفظة والموكلين بالآدمي، فيقع فيه المحو والإثبات كالزيادة في العمر والنقص، وأما ما في علم الله فلا محو فيه ولا إثبات، والعلم عند الله".

• وقال الشوكاني رحمه الله: "وهكذا يكون الجمع بين الأحاديث الواردة لسبق القضاء ، وأنه فرغ من تقدير الأجل والرزق والسعادة والشقاوة ، وبين الأحاديث الواردة في صلة الرحم بآثارها تزيد في العمر، وكذلك سائر أعمال الخير، وكذلك الدعاء، فتحمل أحاديث الفراغ من القضاء على عدم تسبب العبد بأسباب الخير والشر، وتحمل الأحاديث الأخرى: على أنه قد وقع من العبد التسبب بأسباب الخير من الدعاء والعمل الصالح وصلة الرحم ، أو التسبب بأسباب الشر".

وقال أيضاً: "نقول إن الله سبحانه قد علم في سابق علمه أن فلاناً يطول عمره إذا وصل رحمه ، وأن فلاناً يحصل له من الخير كذا أو يقع عنه من الشر كذا إذا دعا ربه ، وأن هذه المسببات مترتبة على حصول أسبابها ، وهذه مشروطات مقيدة بحصول شروطها".

• وقال ابن عثيمين في «شرح العقيدة السفارينية» (١/ ٣٥٧):...فإن قال قائل : ماذا تجيبون عن قول النبي ﷺ فيهما عن أنس (من أحب أن يُبْسَطَ له في رزقه ويُنْسَأَ له في أثره فليَصِلْ رَحِمَهُ) (١) ؟ فجعل صلة الرحم سبباً في بسط الرزق وللتأخير في الأثر ماذا تجيبون ؟ نُجِيبُ : نقول : قول النبي ﷺ حق ، وصلة الرحم من أسبابه ، من أسباب طول العمر، ومن أسباب سعة الرزق ، وإذا قُدِّرَ أن الإنسان وَصَلَ رَحِمَهُ ، علمنا أنه فعل السبب الذي يكون به طول العمر وسعة الرزق ، ولا يختلف هذا عن قوله تعالى فيمن عَمِلَ صالحاً بأنه يدخل الجنة ، لا يختلف لأننا نعلم أنه متى فعل السبب وَجَدَ المسبب ، وإذا لم يفعله لم يوجد المسبب ، هذا الرجل إذا لم يصل رَحِمَهُ لم يَطُلْ عمره ، ولم يُبْسَطْ له في رزقه لأنه لم يفعل السبب ، لكن إذا وَصَلَ رَحِمَهُ طال عمره واتسع رزقه ، ونعلم أن هذا الرجل قد كُتِبَ أصلاً عند الله بأنه وصولٌ لرحمته وعمره ينتهي في الوقت الفلاني ورزقه يكون إلى الساعة الفلانية ، ونعلم أن الرجل الآخر لم يُكْتَبْ أن يصل رَحِمَهُ فُكُتِبَ رزقه مضيقاً ، وكُتِبَ عمره قاصراً من الأصل ليس فيه شيء يزيد وينقص عن الذي كُتِبَ في الأزل ، إذن ما الفائدة من قوله ﷺ من هذا الكلام ؟

نقول : **الفائدة من ذلك : الحث على صلة الرحم** ، وإذا كان الله قد كتب هذا الرجل وصولاً لرحمته سيصل رَحِمَهُ ، لكن كتابة الله سبحانه وتعالى لهذا الرجل أن يكون وصولاً للرحم أمرٌ مجهول لنا ، لا نعلمه ، **الأمر الذي بين أيدينا هو أن نعمل** ، وما وراء ذلك فهو عند الله عز وجل ، **وهذا التقرير نسلم من قول من قال من العلماء : إن المراد بطول العمر البركة فيه** ، والمراد بسعة الرزق (أن

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٣ / ٥٦) برقم: (٢٠٦٧) (كتاب البيوع ، باب من أحب البسط في الرزق) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (٨ / ٨) برقم: (٢٥٥٧) (كتاب البر والصلة والآداب ، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها) (بمثله).

يُبَسِّطَ له في رزقه) أي في البركة ، لأنهم لو قالوا هذا القول ما أجدى عنهم شيئاً ؛ لأن البركة أيضاً وجودها كطول العمر ونزغها كقصر العمر ، نفس الشيء ، إن كان الله قد كتب أن يكون عمرك مُباركاً كان مُباركاً ، وإن كان الله قد كتب أنه غير مُبارك صار غير مُبارك ، وكذلك الرزق إن كان الله قد كتبه مُباركاً كان مُباركاً وإن لم يكن كتبه مُباركاً لم يكن مُباركاً ، فالمسألة هي هي ، هم فروا من شيء ووقعوا فيه ، لأن كل شيء مُقَدَّرٌ ، بركة المال وبركة العمر وبسط الرزق وطول العمر كله مكتوب ، **والمهم أن الذين يقولون هذا القول قولهم غير صحيح ، كذلك أيضاً الذين قالوا : إن للإنسان عمريّن ، عمراً إن وصل وعمراً إن قطع ، ورزقين رزقاً إن وصل ورزقاً إن قطع ، هذا أيضاً غير صحيح ، لأن هذا يؤدي إلى أن يكون الله تعالى غير عالمٍ بالمآل ، وهذا خطأ ، نقول : إن الله عالمٌ بالمآل ، عالمٌ بأن هذا يصل ويطول عمره ويُبَسِّطَ له في رزقه ، وهذا لا يصل فيقصر عمره ويُقَصِّر في رزقه ، ينقص رزقه ، هذا عند الله معلوم وهو شيءٌ واحد ما يتغير لكنه عندنا غير معلوم ، ولهذا حثنا الرسول ﷺ أن نصل الرحم ، ونظير ذلك أيضاً في مسألة الزواج ، فيقال (من أحب أن يولد له فليتزوج) ، نفس الشيء ، المراد بهذا الحث على الزواج ، وإلا فنحن نعلم الله قد كتب لهذا الرجل أن يتزوج وأن يولد له أو أن لا يتزوج ولا يولد له ، فنحن فرضنا هذا لأنه سببٌ للولادة كما أن صلة الرحم سببٌ لطول العمر .**

والحاصل : أن الإنسان إذا علم أن الشيء مكتوب بأسبابه طول العمر مكتوب بسببه سعة الرزق مكتوب بسببها الذي هو الصلة ، لكننا نحن لا نعلم صار المقصود من مثل هذا القول من رسول ﷺ الحث على صلة الرحم ، وأنه سبب ، الدعاء أيضاً سبب لحصول المقصود ، من أحب أن يُرزق فليسأل الله الرزق ، السؤال سبب ، لو قال قائل : إذا كان الله كتب لك الرزق فلا حاجة للسؤال ؟ نقول : غلط ففعل الأسباب التي جاءت بها الشريعة أو شهد بها الواقع أمرٌ مطلوب للشرع ، والله تعالى بحكمته قد ربط المسببات بأسبابها ، **فلا إشكال والحمد لله في الحديث ، إنما هو ذكرٌ لسبب يكون عند الله معلوماً مكتوباً ، وعندك غير معلوم ، إنما الشيء الذي تُخاطَبُ به أن تفعل السبب ، لو قال قائل : لو ذهب مع الطريق الثاني نجا ؟ نقول : ما يمكن ، لا بد أن يمر من هذا الطريق ويسقط عليه الجدار ، هذا هو المكتوب عند الله .**

● **واستدل أصحاب هذا المسلك بما يلي :**

- ١ - قوله تعالى : ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٣٩] حيث حملوا الآية على العموم فقالوا: إنها عامة في كل شيء يقتضيه ظاهر هذا اللفظ.

وقالوا: (المراد بالمحو والإثبات هنا إنما هو في الصحف التي في أيدي الملائكة وقوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ المراد به اللوح المحفوظ كما يدل عليه سياق الآية وهو قوله: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ ثم قال: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ أي من ذلك الكتاب ﴿وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ أي: أصله، وهو اللوح المحفوظ".

• قال السعدي رحمه الله: "﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٣٩] يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ من الأقدار وَيُثَبِّتُ ما يشاء منها وهذا المحو والتغيير في غير ما سبق به علمه وكتبه قلمه ، فإن هذا لا يقع فيه تبدل ولا تغيير ؛ لأن ذلك محال على الله أن يقع في علمه نقص أو خلل ، ﴿وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ أي: اللوح المحفوظ الذي ترجع إليه سائر الأشياء فهو أصلها وهي فروع وشعب ، فالتغيير والتبديل يقع في الفروع والشعب كأعمال اليوم واللييلة التي تكتبها الملائكة ، ويجعل الله لثبوتها أسباباً ، ولمحوها أسباباً ، لا تتعدى تلك الأسباب ما رُسم في اللوح المحفوظ ، كما جعل الله البر والصلة والإحسان من أسباب طول العمر وسعة الرزق ، وكما جعل المعاصي سبباً لمحق بركة الرزق والعمر. فهو الذي يدبر الأمور بحسب قدرته وإرادته ، وما يدبره منها لا يُخالف ما قد علمه وكتبه في اللوح المحفوظ".

■ ٢ - قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [فاطر: ١١] أي: لا يطول عمر إنسان ولا ينقص إلا وهو في كتاب أي في اللوح المحفوظ. واستشهدوا على ذلك بما رواه سعيد بن المسيب قال: "لما طعن عمر بن الخطاب قال كعب: لودعا الله عمر لأخرفي أجله ، فقال الناس: سبحان الله؟ ! أليس قد قال الله: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ ؟ ! قال كعب: وقد قال: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ قال الزهري - الراوي عن سعيد -: فترى أنه إذا حضر أجله فلا يؤخر ساعة ولا يقدم ، وما لم يحضر أجله فإن الله يؤخر ما شاء ويقدم ما شاء ، وليس من أحد إلا وله عمر مكتوب" (١) .

■ ٣ - قوله ﷺ: **في الصحيحين** "من سره أن يبسط له في رزقه أو ينسأ له في أثره فليصل رحمه" (٢) .

(١) - أخرجه الفريابي في كتاب القدر (٢٤٧) ح (٤٤٢)

(٢) - سبق تخريجه.

■ ٤ - (ضعيف) قوله ﷺ في حديث ثوبان: "لا يزيد في العمر إلا البر ولا يرد القدر إلا الدعاء، وإن الرجل ليُحرم الرزق بالذنب يُصيبه" (١) .

■ ٥ - وقال شيخ الإسلام ابن تيمية بعد أن رجح هذا المسلك: "ونظير هذا ما في الترمذي وغيره عن النبي ﷺ: "أن آدم لما طلب من الله أن يريه صورة الأنبياء من ذريته فأراهم إياهم، فرأى فيهم رجلاً له بصيص، فقال: من هذا يا رب؟ فقال: ابنك داود، قال: فكم عمره؟ قال: أربعون سنة، قال: وكم عمري؟ قال: ألف سنة، قال: فقد وهبت له من عمري ستين سنة، فكتب عليه كتاب، وشهدت عليه الملائكة، فلما حضرته الوفاة قال: قد بقي من عمري ستون سنة، قالوا: وهبتها لابنك داود، فأنكر ذلك، فأخرجوا الكتاب، قال النبي ﷺ: فبني آدم فبنسبت ذريته وجحد آدم فجحدت ذريته" (٢) وروي أنه كمل لآدم عمره ولداود عمره. فهذا داود كان عمره المكتوب أربعين سنة ثم جعله ستين وهذا معنى ما روي عن عمر أنه قال: "اللهم إن كنت كتبتني شقياً فامحني واكتبني سعيداً فإنك تمحو ما تشاء وتثبت" (٣) .

(١) - أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (١٥٣ / ٣) برقم: (٨٧٢) (بهذا اللفظ) والحاكم في "مستدركه" (١ / ٤٩٣) برقم: (١٨٢٠) (بمثله) ، وأحمد في "مسنده" (١٠ / ٥٢٦٧) برقم: (٢٢٨٢١) (بمثله) . قال الأرئوط في «مسند أحمد» (٣٧ / ٦٨ ط الرسالة): «حسن لغیره دون قوله: "إن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يُصيبه"، وهذا إسناد ضعيف» . وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع الصغير وزيادته» (ص ٢٠٩): برقم «١٤٥٢»

(٢) - سبق تخريجه.

(٣) - أخرجه ابن أبي شيبة في "مصنفه" (١٥ / ٢٧٢) برقم: (٣٠١٤٥) (كتاب الدعاء ، ما جاء عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه) (بهذا اللفظ) والطبراني في "الكبير" (٩ / ١٧١) برقم: (٨٨٤٧) (باب العين ، باب) (بنحوه مختصراً).

• ذكر الألباني في «سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة» (١١ / ٧٦٢): برقم ٥٤٤٨ عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ وفيه: «(يمحو الله ما يشاء) ؛ إلا الشقاوة، والسعادة، والحياة، والموت) . فعلق عليه: "ضعيف" ثم قال : أخرجه الطبراني في "الأوسط" (رقم ٩٦٢٦ - مصورتي) من طريق محمد بن جابر عن ابن أبي ليلى عن نافع عن ابن عمر قال: سمعت النبي - ﷺ يقول: ... فذكره. وقال: "لم يروه عن ابن أبي ليلى إلا محمد بن جابر، ولا رواه عن نافع إلا ابن أبي ليلى". قلت: وهو محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى الكوفي الفقيه، وهو صدوق سييء الحفظ جداً؛ كما قال الحافظ في "التقريب". ونحوه الراوي عنه: محمد بن جابر - وهو الحنفي اليمامي -؛ قال الحافظ أيضاً: "صدوق، ذهب كتبه؛ فساء حفظه وغلط كثيراً، وعمي فصار يلقي، ورجحه أبو حاتم على ابن لهيعة". وبه وحده أعله الهيثمي، فقال في "المجمع" (٧ / ٤٣) : "وهو ضعيف من غير تعدد كذب". ولذلك؛ جزم السيوطي في "الدر المنثور" (٤ / ٦٦) بأن سنده ضعيف، وعزاه لابن مردويه أيضاً. وتبعه على ذلك الشوكاني في "فتح القدير" (٣ / ٨٥) ويحتمل عندي احتمالاً قوياً أن أصل الحديث الموقوف على ابن عباس؛ أخطأ في إسناده ورفع: محمد بن جابر عن ابن أبي ليلى؛ فقد خالفه سفيان وغيره من الثقات فرووه عن ابن أبي ليلى عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس به موقوفاً. أخرجه ابن جرير في "التفسير" (١٦ / ٤٧٨ - شاعر) . ونسبه السيوطي لعبد الرزاق أيضاً، والفريابي، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في "الشعب". وقد رواه ابن جرير عن مجاهد أيضاً مقطوعاً. وسنده صحيح. وكأنه تلقاه عن ابن عباس رضي الله عنه فإنه من تلامذته. وثبت خلفه عن عمر وغيره، فروى ابن جرير (١٦ / ١٨١-١٨٢) من طريق أبي حكيمة عن أبي عثمان النهدي: أن عمر بن الخطاب قال - وهو يطوف بالبيت ويبيكي - : اللهم! إن كنت كتبت علي شقوة أو ذنباً؛ فامحه؛ فإنك تمحو ما تشاء وتثبت، وعندك أم الكتاب، فأجعله سعادة ومغفرة. ورواه البخاري في "التاريخ الكبير" (٤ / ٦٣) في ترجمة عصمة أبي حكيمة هذا. وقد قال فيه ابن أبي حاتم (٣ / ٢٠) عن أبيه: "محلّه الصدق". وذكره ابن حبان في "الثقات". والظاهر أنه قد توبع؛ فقد رواه ابن جرير من طريق معتمر عن أبيه عن أبي حكيمة عن أبي عثمان، وأحسبني قد سمعته من أبي عثمان مثله وأبو المعتمر: اسمه سليمان بن طرخان التيمي، وهو ثقة من رجال الشيخين. ثم روى ابن جرير =

وأجاب أصحاب هذا المسلك عن الآيات القاضية بأن الأجل لا يتقدم ولا يتأخر كقوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤] وقوله عز وجل: ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون: ١١] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [نوح: ٤] ، أجابوا عن هذه الآيات وما في معناها: بأنها مختصة بالأجل إذا حضر فإنه لا يتقدم ولا يتأخر عند حضوره. قالوا: ويؤيد هذا أنها جاءت مقيدة بذلك كما في الآيات السابقة فإنه تعالى قال: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [النحل: ٦١]، وقال: ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا﴾ [المنافقون: ١١] ، وقال: ﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ﴾ [نوح: ٤] وعلى هذا فيمكن الجمع بحمل هذه الآيات على هذا المعنى ، فإذا حضر الأجل لم يتقدم ولم يتأخر، وفي غير هذه الحالة يجوز أن يؤخره الله بالدعاء أو بصلة الرحم أو بفعل الخير، ويجوز أن يقدمه لمن عمل شرًا أو قطع ما أمر الله به أن يوصل وانتكح محارم الله سبحانه.

- وأما قوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢] وكذلك الأحاديث التي فيها أنه فرغ من تقدير الأجل والرزق والسعادة والشقاوة فأجابوا عنها: بأنها محمولة على عدم تسبب العبد بأسباب الخير والشر ؛ فإذا لم يتسبب بأسباب الخير أو الشر ، وقع عليه الأجل المقدر كما في حديث ابن مسعود وغيره. وأما إذا تسبب العبد بأسباب الخير كصلة الرحم وغيرها ، فإنه قد يُزاد في عمره كما في حديث أنس وغيره.

من طريق شريك عن هلال بن حميد عن عبد الله بن عكيم عن عبد الله أنه كان يقول: اللهم! إن كنت كتبتني في السعداء؛ فأتبنتني في السعداء؛ فإنك تمحو ما تشاء وتثبت، وعندك أم الكتاب. ورجاله ثقات؛ لولا ضعف حفظ شريك؛ لكنه يتقوى بطريق حماد بن سلمة عن خالد الحذاء عن أبي قلابة عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه كان يقول: اللهم! إن كنت كتبتني في أهل الشقاوة؛ فامحني، وأتبتني في أهل السعادة. رواه ابن جرير، والطبراني في "الكبير" (٨٨٤٧) . ورجاله ثقات رجال مسلم إلا أن أبا قلابة لم يدرك ابن مسعود؛ كما قال الهيثمي (١٨٥ / ١٠) ، ولكنه شاهد قوي للطريق الموصولة قبله. والله أعلم.

○ **المسلك الثاني: أن العمر لا يزيد ولا ينقص.** والقائلون بهذا **حملوا الزيادة** في العمر الواردة في النصوص **على المجاز.** وإلى هذا ذهب جمهور العلماء كما نقل ذلك الإمام مرعى بن يوسف والشوكاني عليهما رحمة الله وحكى ابن عطية في تفسيره أنه مذهب أهل السنة. واستدل هؤلاء بما يلي:

■ ١ - عموم الآيات التي فيها أن الأجل لا يتقدم ولا يتأخر ومن ذلك: قوله تعالى ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَحْزِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [النحل: ٦١]، وقوله: ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا﴾ [المنافقون: ١١] ، وقوله: ﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ﴾ [نوح: ٤] وقوله: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢] ٢ - الأحاديث التي فيها أنه قد فرغ من تقدير الأجل والرزق والسعادة والشقاوة، ومن ذلك:

■ ١- **حديث ابن مسعود** رضي الله عنه وفيه: "ثم يبعث الله ملكًا فيؤمر بأربع كلمات، ويقال له: اكتب عمله ورزقه وأجله وشقى أو سعيد" (١) .

■ ٢- **حديث ابن مسعود** رضي الله عنه أيضًا- **أن أم حبيبة** زوج النبي صلى الله عليه وسلم رضي الله عنها قالت: اللهم متعني بزوجي رسول الله صلى الله عليه وسلم وبأبي أبي سفيان وبأخي معاوية، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "قد سألت الله لأجل مضروبة وأيام معدودة وأرزاق مقسومة، لن يعجل شيئًا قبل حله أو يؤخر شيئًا عن حله" (٢) .

وذكر أصحاب هذا المسلك عدة تأويلات للزيادة في العمر الواردة في النصوص ، ومن هذه التأويلات ما يلي:

■ ١ - "أن زيادة الأجل تكون بالبركة فيه وتوفيق صاحبه لفعل الخير وبلوغ الأغراض، فينال في قصر العمر ما يناله غيره في طويله"، وإلى هذا ذهب النووي واستظهره الطيبي.

■ ٢ - أن المراد بالتأخير في الأجل: أن يبقى بعده ثناء جميل وذكر حميد وأجر متكرر فكأنه لم يمت، حكى هذا القاضي عياض وذهب إليه القرطبي.

■ ٣ - أن المراد بالزيادة هنا: السعة في الرزق وعافية البدن فإن الغنى يُسمى حياةً والفقر يُسمى موتًا، ذكره ابن قتيبة.

(١) - سبق تخريجه .

(٢) - سبق تخريجه .

■ ٤ - أن المراد بالزيادة: نفي الآفات عن صاحب البر والصلة والزيادة في فهمه وعقله. وبهذا جزم ابن فورك.

■ - أن المعنى: أن الله تعالى يكتب أجل عبده عنده مائة سنة، ويجعل بنيته وتركيبه وهيئته لتعمير ثمانين سنة، فإذا وصل رحمه ، زاد الله تعالى في ذلك التركيب وفي تلك البنية ووصل ذلك النقص، فعاش عشرين أخرى حتى يبلغ المائة، وهي الأجل الذي لا مُستأخر عنه ولا متقدم، ذكره ابن قتيبة.

وأجاب أصحاب هذا المسلك عن قوله تعالى: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ﴾ بعدم حملها على العموم ، وذكروا عدة تخصيصات للآية كقولهم: إن المعنى: يمحو ما يشاء من الشرائع والفرائض والأحكام فينسخه ويبدله ويثبت ما يشاء فلا ينسخه، وجملة الناسخ والمنسوخ عنده في أم الكتاب. كما أجابوا عن قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ بأن المراد بالمعمر الطويل العمر والمراد بالناقص قصير العمر. والمعنى: كل من طال عمره أو نقص فهو مكتوب في الكتاب.

● **الترجيح:** الذي يظهر-والله تعالى أعلم- هو القول بأن صلة الرحم سبب في زيادة العمر، والله تعالى قدّر السبب والمسبب فمن علم الله أنه سيصل رحمه زاد في أجله ومن علم منه خلاف ذلك نقص في أجله. ومثل هذا ما علمه الله تعالى من أن فلاناً من الناس يعيش بهذه الصحة وهذه العافية ، ويتنفس بهذا الهواء ويسلم من الآفات القاتلة مدة معلومة ، فإن هذه أسباب علمها الله وقدرها لا بد منها حتى يصل إلى هذه المدة المعينة ، فالأسباب والمسببات كلها قد سبق علم الله عز وجل بها. وعلم الله تعالى لا يُبدل ولا يتغير-كما صرح بذلك حتى أصحاب المسلك الأول-

● قال ابن حزم: "علم الله عز وجل لا يتغير .. ولكن معلوماته تتغير، ولم نقل إن علمه يتغير ومعاذ الله من هذا، ولم يزل علمه تعالى واحداً يعلم كل شيء على تصرفه في جميع حالاته ، فلم يزل يعلم أن زيداً سيكون صغيراً ثم شاباً ثم كهلاً ثم شيخاً ثم ميتاً ثم مبعوثاً ثم في الجنة أو في النار، ولم يزل يعلم أنه سيؤمن ثم يكفر أو أنه يكفر ثم يؤمن ..".

● وقال الشوكاني: "إن الله تعالى كما علم أن العبد يكون له في العمر كذا ، ومن الرزق كذا ، وهو من أهل السعادة والشقاوة ، قد علم أنه إذا وصل رحمه زاد له في الأجل كذا ، وبسط له من الرزق كذا ، وصار في أهل السعادة بعد أن كان في أهل الشقاوة ، أو صار في أهل الشقاوة بعد أن كان في أهل السعادة ، وهكذا قد علم ما ينقصه للعبد ، كما علم أنه إذا دعاه واستغاث به والتجأ إليه صرف عنه الشر ودفع عنه المكروه ، وليس في ذلك خلف ولا مخالفة لسبق العلم ، بل فيه تقييد المسببات بأسبابها كما قدر الشبع والرّوي بالأكل والشرب ، وقدر الولد بالوطء ، وقدر حصول الزرع بالبذر،

فهل يقول عاقل بأن ربط هذه المسببات بأسبابها يقتضي خلاف العلم السابق أو يُنافيه بوجه من الوجوه؟". فزيادة العمر بصلة الرحم أمر مفروغ منه قد سبق به علم الله تعالى ، فإذا كان ذلك كذلك فليس في هذا القول مخالفة للنصوص التي فيها أن الأجل قد فُرج من تقديره ، لأننا نقول: إن الأجل قد فُرج من تقديره بهذه الزيادة وذلك النقص ، لأن الزيادة والنقص مقدران أيضاً ، كما أن الصحة والعافية -وكونهما من أسباب بلوغه هذه الغاية من العمر- مقدران أيضاً. وعلى هذا فلا حاجة لنفي الزيادة والنقصان ، والله تعالى أعلم. **وهذا القول لعله لا يُخالف فيه** حتى أصحاب المسلك الثاني ؛ لأنهم إنما نفوا الزيادة والنقصان ؛ لتوهمهم أن القول بذلك يعارض النصوص القاضية بكتابة الأجل والفراغ منه ، ولكنه بهذا القول وهذا التقرير يزول هذا الوهم. **ولذلك قال الإمام مرعي بن يوسف بعد ذكره لهذا القول: "ولعله مُراد كلٍّ من الفريقين والخلاف بينهما لفظي ؛ إذ لا يسع من له أدنى تأمل أن يخالف في أن علم الله تعالى لا يتغير ولا يتبدل" وممن صرح بأن الخلاف لفظي الحافظ ابن حجر رحمه الله حيث قال: "والحق أن النزاع لفظي وأن الذي سبق في علم الله لا يتغير ولا يتبدل".**

- وأما التأويلات التي أوّل بها أصحاب المسلك الثاني الزيادة في العمر -كقولهم: إن المراد بالزيادة البركة في العمر، أو قولهم: إن المراد السعة في الرزق، أو نفي الآفات عن صاحب البر، والزيادة في فهمه وعقله، وغير ذلك- فتأويلات ضعيفة مرجوحة لأن هذه الأشياء مقدرة أيضاً قد فُرج من تقديرها في الأزل، وعلى هذا فهم لم يتخلصوا مما فروا منه.

وأما ما أجابوا به عن قوله تعالى: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ﴾ وذلك بتخصيصها وعدم حملها على العموم، فقد ردّه أصحاب المسلك الأول لعدم وجود الدليل على التخصيص.

■ قال الألباني في «موسوعة الألباني في العقيدة» (٩/ ٥٨٤): باب كيف الجمع بين الأحاديث المصرحة بأن هناك أسباباً شرعية لإطالة العمر، وبين قوله تعالى: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا﴾ [روي عن النبي ﷺ أنه قال]: «إن الله تعالى لا يؤخر نفساً إذا جاء أجلها، وإنما زيادة العمر بالذرية الصالحة يرزقها العبد، فيدعون له من بعده، فيلحقه دعاؤهم في قبره، فذلك زيادة العمر». (منكر) ... بل هو مخالف لبعض الأحاديث الصحيحة المصرحة بأن هناك أسباباً شرعية لإطالة العمر؛ كقوله ﷺ: «من أحب أن يبسط له في رزقه، وأن ينسأ له في أثره (وفي رواية: أجله)؛ فليصل رحمه»؛ أخرجه الشيخان من حديث أنس، وله شواهد خرجت بعضها في "صحيح أبي داود" (١٤٨٦). وكقوله ﷺ: «حسن الخلق وحسن الجوار؛ يعمران الديار، ويزيدان في الأعمار». **أخرجه أحمد بسند صحيح**؛ كما تراه مبيناً في

"الصحيحة" (٥١٩). وقد يظن بعض الناس أن هذه الأحاديث تخالف الآية السابقة: ﴿ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها﴾ ، وغيرها من الآيات والأحاديث التي في معناها! والحقيقة ؛ أنه لا مخالفة ؛ **لأن الأحاديث المذكورة أنفاً إنما تتحدث عن مبدأ الأخذ بالأسباب، ولا تتحدث عما سبق في علم الله الأزلي من الآجال المحددة ؛ فإن علم الله تعالى لا يتغير ولا يتبدل ؛ تماماً كما هو الشأن في الأعمال الصالحة والطالحة، والسعادة والشقاوة، فالآيات والأحاديث التي تأمر بالإيمان والعمل الصالح ، وتنهى عن نقيضهما لا تكاد تحصى ، وفي بعضها يقول الله تعالى: ﴿ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون﴾، وقد ذكر العلماء المحققون أن الباء في هذه الآية ؛ إنما هي باء السببية ، فذلك كله لا ينافي ما سبق في علم الله تعالى من السعادة والشقاوة ، بل إنما هما أمران متلازمان: السعادة مع العمل الصالح ، والشقاوة مع العمل الطالح. وهذا صريح في قوله ﷺ: «إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار، فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة، فيدخلها». أخرجه الشيخان وغيرهما ، فانظر كيف أن نهاية الأمر **كان مقروناً بالعمل دخول الجنة والنار**. فكما أنه لا يقال: إن العمل ليس سبباً للدخول ؛ فكذلك لا يقال: إن صلة الرحم وغيرها ليست سبباً لطول العمر بحجة أن العمر محدود ؛ فإن الدخول أيضاً محدود: ﴿فريق في الجنة وفريق في السعير﴾. وما أحسن وأجمل جواب النبي ﷺ لما حدث أصحابه بقوله: «ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من النار ومقعده من الجنة». فقالوا: أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل؟! فقال ﷺ: «اعملوا؛ فكل ميسر لما خلق له: أما من كان من أهل السعادة؛ فييسر لعمل أهل السعادة، وأما من كان من أهل الشقاوة؛ فييسر لعمل أهل الشقاوة». ثم قرأ: ﴿فأما من أعطى واتقى، وصدق بالحسنى، فسنيسره لليسرى﴾ إلى قوله: ﴿فسنيسره للعسرى﴾. أخرجه الشيخان.**

وجملة القول: أن الله تبارك وتعالى جعل لكل شيء سبباً ، فالعمل الصالح سبب لدخول الجنة ، والعمل السيئ لدخول النار، فكذلك جعل بعض الأخلاق الصالحة سبباً لطول العمر. فكما أنه لا منافاة بين العمل وما كتب لصاحبه عند ربه ؛ فكذلك لا منافاة بين الأخلاق الصالحة وما كتب لصاحبها عند ربه ، بل كل ميسر لما خلق له. وأنت إذا تأملت هذا ؛ نجوت من الاضطراب الذي خاض فيه كثير من العلماء؛ مما لا يكاد الباحث يخلص منه بنتيجة ظاهرة سوى قيل وقال، والأمر واضح على ما شرحنه والحمد لله ."

● **إشكال وجوابه:** قد يستشكل بعض النَّاس صرف النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لأم حبيبة عن الدعاء بطول الأجل وحضه لها على التعوذ من عذاب القبر مع أن كلا منهما مقدر؟!

والجواب عن هذا الإشكال: هو أنه لا شك أن الجميع مفروغ منه مقدر، لكن الدعاء بالنجاة من عذاب النار ومن عذاب القبر ونحوهما عبادة والعبادة قال فيها ﷺ لما قيل له: أفلا نمكث على كتابنا وندع العمل؟ - قال: "اعملوا فكل ميسر، أمّا أهل السعادة فيُيسرون لعمل أهل السعادة، وأمّا أهل الشقاوة فيُيسرون لعمل أهل الشقاوة". وليس معنى كونه عبادة: أنه لا تأثير للدعاء وإنما هو مجرد عبادة محضة يُثاب عليها الداعي فقط. بل المقصود أن الدعاء بالنجاة من النار ونحوه عبادة مشروعة ، ولذلك فإن له تأثيرًا في حصول المطلوب ؛ لأن الله تعالى جعله سببًا في حصول المقدور ، فالله تعالى قدّر السبب وقدّر المسبب ، وقدّر أن المسبب لا يحصل بدون السبب كما في الحديث السابق فإنه ﷺ أمر بالعمل مع أن الشقاوة والسعادة قد قدرتا ؛ وذلك لأنهما قدرتا بالسبب والذي هو العمل ، وكما أن الله تعالى قدر الشبع والري بالأكل والشرب وقدر الولد بالوطء وقدر حصول الزرع بالبذر، قدر أيضًا حصول المطلوب بالدعاء.

● قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "إن الله جعل الدعاء والسؤال من الأسباب التي يُنال بها مغفرته ورحمته وهدايه ونصره وورقه، وإذا قدر للعبد خيرًا يناله بالدعاء لم يحصل بدون الدعاء ، وما قدره الله وعلمه من أحوال العباد وعواقبهم فإنما قدره الله بأسباب يسوق المقادير إلى المواقيت ، فليس في الدنيا والآخرة شيء إلا بسبب، والله خالق الأسباب والمسببات".

وأما الدعاء بطول الأجل فليس عبادة ، ولذلك فإنه لا يشرع لأنه من التعدي في الدعاء ، وقد أثر عن الإمام أحمد أنه كان يكره أن يُدعى له بطول الأجل ويقول: "هذا أمر قد فرغ منه".

ومما يؤيد هذا الجواب أن الدعاء بطول العمر، إذا تضمن النفع الأخروي فإنه مشروع كما جاء ذلك عن النبي ﷺ **في حديث عمار بن ياسر** ﷺ أنه كان يدعو بهذا الدعاء:

■ **(صحيح):** "اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما علمت الحياة خيرًا لي وتوفني إذا علمت الوفاة خيرًا لي ... " (١)

(١) - أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (٣٠٤ / ٥) برقم: (١٩٧١) (بهذا اللفظ) ، والحاكم في "مستدرکه" (٥٢٤ / ١) برقم: (١٩٢٩) (بنحوه). وصححه ووافقه الذهبي ، والنسائي في "المجتبى" (٢٧٨ / ١) برقم: (١٣٠٤ / ١) (بنحوه). قال الأرئوط في «الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان» (٣٠٥ / ٥): «إسناده قوي، فإن سماع حماد بن زيد من عطاء بن السائب قبل الاختلاط، وهو في كتاب التوحيد ص ١٢ لابن خزيمة». وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير وزيادته» (٢٧٩ / ١) برقم «١٣٠١»، وفي «صحيح موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان» (٢٤٧ / ١) برقم «٤١٧ - ٥٠٩»

وخلاصة هذا الجواب: أنه ﷺ صرف أم حبيبة عن الدعاء بطول الأجل ؛ لأنه دعاء غير مشروع وأرشدنا ﷺ إلى التعوذ من عذاب القبر؛ لأنه دعاء مشروع نافع مؤثر، والله تعالى أعلم.

○ (المسألة الثانية) وهي المسألة السادسة عشرة : قولهم : لا فائدة من الدعاء ؛ لأن ما تطلبه إن كان مقدرا فلا حاجة للدعاء ، وإن لم يكن مقدرا فإن الدعاء لن يجديك شيئا . وقول قائلهم "علمه بحالي كفاه عن سؤالي" .

● فيقال : بأن الدعاء من الأسباب التي يترتب عليها القضاء ، فالدعاء من قدر الله ، فالمطلوب من الله قد يكون مقدرا لك بسبب هذا الدعاء ، فإذا امتنعت عنه لم يحصل ما تطلبه . ويلزم هذا القائل أن يقول أنا لن أتزوج إن كان الله قدر لي ولد فسيخرج من الأرض ، وإن كان الله ما قدر لي ولد فلن يخرج ولو أتزوج مائة امرأة ، ولا أحد يقول هذا الكلام إن قاله قلنا أنت مجنون . وقد دل على ذلك الكتاب والسنة :
فمن الكتاب :

■ قوله تعالى : { أَجَلٌ لَّكُمْ لَيْلَةٌ الصَّيَّامِ الرَّفْتِ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَشِّرُوهُمْ وَأَبْغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ } [البقرة: ١٨٧] . **وجه الاستدلال:** ففيه أن العبد يجب عليه بذل السبب الذي يتحصل به المكتوب من الولد إن كان قد كتب له .

● ومن أدلة السنة على أهمية الدعاء وأنه من أسباب دفع القضاء :

■ (صحيح) عَنْ حَكِيمِ بْنِ حَزَامٍ رضي الله عنه قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، رُقِيَ كُنَّا نَسْتَرْقِي بِهَا ، وَأَدْوِيَةٌ كُنَّا نَتَدَاوِي بِهَا هَلْ تَرُدُّ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ تَعَالَى ؟ قَالَ : هُوَ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ .^(١)

■ (حسن لغيره) . وعن عبد الله بن كعب بن مالك ، عن أبيه رضي الله عنه ، أنه قال : يا رسول الله ، أرأيت دواء نتداوى به ، ورقى نسترقى بها ، وأشياء نفعلها ، هل ترد من قدر الله ؟ قال : يا كعب ، بل هي من قدر الله^(٢) .

(١) - أخرجه الحاكم في "مستدركه" (٣٢ / ١) برقم: (٨٨) (كتاب الإيمان ، الرقى والأدوية من قدر الله تعالى) (بهذا اللفظ) وصححه ووافقه الذهبي وقال الحاكم: " وَقَالَ مُسْلِمٌ فِي تَصْنِيفِهِ فِيمَا أَخْطَأَ مَعْمَرٌ بِالْبَصْرَةِ أَنَّ مَعْمَرًا حَدَّثَ بِهِ مَرَّتَيْنِ ، فَقَالَ مَرَّةً : عَنْ الزُّهْرِيِّ ، عَنْ ابْنِ أَبِي حَزَامَةَ ، عَنْ أَبِيهِ . قَالَ الْحَاكِمُ : وَعِنْدِي أَنَّ هَذَا لَا يُعْلَلُهُ ، فَقَدْ تَابَعَ صَالِحُ بْنُ أَبِي الْأَخْضَرِ مَعْمَرُ بْنُ رَاشِدٍ فِي حَدِيثِهِ عَنِ الزُّهْرِيِّ ، عَنْ عُرْوَةَ وَصَالِحٍ ، وَإِنْ كَانَ فِي الطَّبَقَةِ الثَّالِثَةِ مِنْ أَصْحَابِ الزُّهْرِيِّ ، فَقَدْ يَسْتَشْهَدُ بِمِثْلِهِ . "

(٢) - أخرجه ابن حبان في صحيحه (٤٦٥/١٣) برقم (٦١٠٦) (صحيح ابن حبان - كتاب الرقى والتمائم - ذكر البيان بأن استرقاء المرء عند وجود العطل من قدر الله) (بهذا اللفظ) قال الألباني في «صحيح موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان» (٢٩ / ٢): برقم ١١٧١: "حسن لغيره".

- **(ضعيف)** . وعن ابن أبي خزيمة ، عن أبي خزيمة رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ : أرايت أدوية نتداوى بها ، ورقى نسترقى بها ، وتقى نتقيها ، هل ترد من قدر الله شيئاً؟ قال: هي من قدر الله .^(١)
- **(ضعيف)** عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ عَائِشَةَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " لَا يُغْنِي حَذْرُ مَنْ قَدَرٍ ، وَالْدُّعَاءُ يَنْفَعُ مِمَّا نَزَلَ ، وَمِمَّا لَمْ يَنْزَلْ ، وَإِنَّ الْبَلَاءَ لَيَنْزِلُ فَيَتَلَقَّاهُ الدُّعَاءُ فَيَعْتَلِجَانِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ " .^(٢)
- **(حسن)** . عن سلمان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ لا يرد القضاء إلا الدعاء ولا يزيد العمر إلا البر^(٣)
- **(حسن لغيره)** . وعن ثوبان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " إن الرجل ليحرم الرزق بالذنوب يصيبه ، ولا يرد القدر إلا بالدعاء ، ولا يزيد في العمر إلا البر ."^(٤)
- **(ضعيف)** عَنْ نَافِعٍ ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " الدُّعَاءُ يَنْفَعُ مِمَّا نَزَلَ ، وَمِمَّا لَمْ يَنْزَلْ ، فَعَلَيْكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِالْدُّعَاءِ " .^(٥)

(١) - أخرجه ابن ماجه في "سننه" (٤ / ٩٨) برقم: (٣٤٣٧) (أبواب الطب ، باب ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء) (بهذا اللفظ) ، وأحمد في "مسنده" (٦ / ٣٢٨٢) برقم: (١٥٧١١) (بنحوه) . قال الأرنؤوط في «سنن ابن ماجه ت الأرئؤوط» (٤ / ٩٨): «إسناده ضعيف ، والصواب فيه: الزهري عن أبي خزيمة عن أبيه... وأبو خزيمة هذا انفرد بالرواية عنه الزهري ولم يؤثر توثيقه عن أحد. وضعفه الألباني في «ضعيف سنن الترمذي» (ص ٢٣١): برقم ٢٠ .

(٢) - أخرجه الحاكم في "مستدرکه" (١ / ٩٢) برقم: (١٨١٩) (بهذا اللفظ) وصححه ، والبزار في "مسنده" (١٨ / ١١٩) برقم: (٤٩ / ٧٢) (مسند عائشة أم المؤمنين ، هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة) (بنحوه) . والطبراني في "الأوسط" (٣ / ٦٦) برقم: (٢٤٩٨) (باب الألف ، إبراهيم بن عبد الله أبو مسلم الكشي) (بمثله) . قال الهيثمي في «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» (٧ / ٢٠٩): «رَوَاهُ الْبِزَارُ ، وَفِيهِ زَكَرِيَّا بْنُ مَنْظُورٍ ، وَثَّقَهُ أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ الْمِصْرِيُّ ، وَضَعَفَهُ الْجُمْهُورُ» . وحسنه الألباني في «صحيح الجامع الصغير وزيادته» (٢ / ١٢٧٩): برقم «٧٧٣٩» ثم انتهى إلى تضعيفه في «سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة» (١٤ / ٥٩٦): برقم ٦٧٦٤ ... وقال «(تنبيه): قوله: " لا يغني حذر من قدر " قد صح موقوفاً على ابن عباس، وهو مخرج في "الضعيفة" تحت الحديث (٥٤٤٨) . وقوله صلى الله عليه وسلم: " الدعاء يرد القضاء "، قد ثبت مرفوعاً عن ثوبان، وهو مخرج في الصحيحة " (١٥٤)»

(٣) - أخرجه الترمذي في "جامعه" (٤ / ١٨) برقم: (٢١٣٩) (بهذا اللفظ) وقال : "حسن غريب" ، والبزار في "مسنده" (٦ / ٥٠١) برقم: (٢٥٤٠) (بلفظه) ، والطبراني في "الكبير" (٦ / ٢٥١) برقم: (٦١٢٨) (بلفظه) . حسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢ / ٦٥٢): برقم ٢٤٨٩ ، وقال في «سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها» (١ / ٢٨٨): برقم ١٥٤ ..والخلاصة: أن الحديث حسن كما قال الترمذي بالشاهد من حديث ثوبان دون الزيادة فيه، فإني لم أجد لها شاهداً .

(٤) - أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (٣ / ١٥٣) برقم: (٨٧٢) (بهذا اللفظ) ، والحاكم في "مستدرکه" (١ / ٩٣) برقم: (١٨٢٠) (بمثله) . وصححه ، وأحمد في "مسنده" (١٠ / ٥٢٦٧) برقم: (٢٢٨٢١) (بمثله) . قال الأرنؤوط في «مسند أحمد» (٣٧ / ٦٨ ط الرسالة): «حسن لغيره دون قوله: "إن الرجل ليحرم الرزق بالذنوب يُصيبه"، وهذا إسناد ضعيف" . وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع الصغير وزيادته» (ص ٢٠٩): برقم ١٤٥٢ .

(٥) - أخرجه الحاكم في "مستدرکه" (١ / ٩٣) برقم: (١٨٢١) (بهذا اللفظ) والترمذي في "جامعه" (٥ / ٥١٥) برقم: (٣٥٤٨) (أبواب الدعوات عن رسول الله ﷺ ، باب) (بمثله) . وقال : " هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الْقُرَشِيِّ ... وَهُوَ ضَعِيفٌ فِي الْحَدِيثِ قَدْ تَكَلَّمَ فِيهِ بَعْضُ أَهْلِ الْحَدِيثِ مِنْ قَبْلِ حَفْظِهِ . " . قال ابن حجر في «فتح الباري لابن حجر» (١١ / ٩٥): «وفي سنده لين وقد صححه مع ذلك الحاكم وأخرج الطبراني في الدعاء بسند رجاله ثقات إلا أن فيه عن عنة بقة عن عائشة مرفوعاً إن الله يحب الملحين في الدعاء» . وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع الصغير وزيادته» (ص ٨٢٤): برقم «٥٧٢٠»

- **(صحيح) . وعن أسامة بن شريك** رضي الله عنه قال: "قالت الأعراب يا رسول الله ألا نتداوى قال نعم يا عباد الله تداؤوا فإن الله لم يضع داء إلا وضع له شفاء أو قال دواء إلا داءً واحدًا قالوا يا رسول الله وما هو قال الهرم" ^(١)
- **وفيهما عن أبي هريرة** رضي الله عنه: "أن رسول الله ﷺ قال يستجاب لأحدكم ما لم يعجل يقول دعوت فلَمْ يُسْتَجَبْ لي" ^(٢)
- **وفي لفظ لمسلم عنه** " لا يزال يُستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم ما لم يستعجل قيل يا رسول الله ما الاستعجال قال يقول قد دعوت وقد دعوت فلم أر يستجيب لي فيستخير عند ذلك ويدع الدعاء" ^(٣)
- **(صحيح) . عن أبي سعيد** رضي الله عنه: "أن النبي ﷺ قال : ما من مسلم يدعو الله بدعوة ليس فيها مآثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه إحدى ثلاث : إما أن يستجيب له دعوته أو يصرف عنه من السوء مثلها أو يدخر له من الأجر مثلها قالوا : يا رسول الله إذا نكث قال : الله أكثر" ^(٤)
- **(حسن) . وعن عبادة بن الصامت** رضي الله عنه: " أن رسول الله ﷺ قال ما على الأرض مسلم يدعو الله بدعوة إلا آتاه الله إياها أو صرف عنه من السوء مثلها ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم فقال رجل من القوم إذا نكث قال الله أكثر" ^(٥)

(١) - أخرجه الحاكم في "مستدرکه" (٤ / ٣٩٩) برقم: (٨٢٩٩) (بمثله مطولا). وصححه ووافقه الذهبي ، والضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" (٤ / ١٦٩) برقم: (١٣٨٤) (بمثله). وقال: "إسناده صحيح" ، و الترمذي في "جامعه" (٣ / ٥٦١) برقم: (٢٠٣٨) (بهذا اللفظ) وقال : "حسن صحيح" ، وأحمد في "مسنده" (٨ / ٤٢٠٠) برقم: (١٨٧٤٥) (بمثله مطولا) . وصححه الألباني في «صحيح الأدب المفرد» (ص ١٢٣) : برقم ٢٩١/٢٢٣ .

(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٨ / ٧٤) برقم: (٦٣٤٠) (كتاب الدعوات ، باب يستجاب للعبد ما لم يعجل) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (٨ / ٨٧) برقم: (٢٧٣٥) (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب بيان أنه يستجاب للداعي ما لم يعجل) (بمثله).

(٣) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ٨٧) برقم: (٢٧٣٥) (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب بيان أنه يستجاب للداعي ما لم يعجل) (بهذا اللفظ).

(٤) - أخرجه الحاكم في "مستدرکه" (١ / ٤٩٣) برقم: (١٨٢٢) (بهذا اللفظ) وصححه ووافقه الذهبي ، وأحمد في "مسنده" (٥ / ٢٣١٧) برقم: (١١٣٠٢) (بنحوه) . وصححه الألباني في «صحيح الأدب المفرد» (ص ٢٦٤) : برقم ٧١٠ ، وقال في «سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة» (٩ / ٤٦٧) : "...أخرجه أحمد (٣ / ١٨) ، والبخاري في "الأدب المفرد" (٧١٠) ، والحاكم (١ / ٤٩٣) وقال: "صحيح الإسناد". ووافقه الذهبي. وهو كما قال".

(٥) - أخرجه الحاكم في "مستدرکه" (١ / ٤٩٣) برقم: (١٨٢٢) (بنحوه). وصححه ووافقه الذهبي ، وأحمد في "مسنده" (٥ / ٢٣١٧) برقم: (١١٣٠٢) (بمثله) ، والترمذي في "جامعه" (٥ / ٥٣٣) برقم: (٣٥٧٣) (بهذا اللفظ) وقال : "حسن صحيح غريب" ، قال الأرناؤوط في «مسند أحمد» (١٧ / ٢١٤ ط الرسالة) : "إسناده جيد" . وحسنه الألباني في «سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة» (٩ / ٤٦٨) وقال : "...أخرجه الترمذي (٣٥٦٨) ...قلت: وسنده حسن".

■ **(حسن).** وعن سلمان رضي الله عنه: "قال رسول الله ﷺ : "إن ربكم تبارك وتعالى حيي كريم يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفرا" ^(١)

■ قال في «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (١٥٢٨ / ٤) معلقا على حديث **سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ** رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : "لَا يَرُدُّ الْقَضَاءُ إِلَّا الدُّعَاءُ" ^(٢)

الْقَضَاءُ: هُوَ الْأَمْرُ الْمُقَدَّرُ، وَتَأْوِيلُ الْحَدِيثِ أَنَّهُ أَرَادَ بِالْقَضَاءِ مَا يَخَافُهُ الْعَبْدُ مِنْ نُزُولِ الْمَكْرُوهِ بِهِ وَيَتَوَقَّاهُ، فَإِذَا وَفَّقَ لِلدُّعَاءِ دَفَعَهُ اللَّهُ عَنْهُ... يُوضِّحُهُ قَوْلُهُ ﷺ فِي الرَّقِي: "هُوَ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ" ^(٣) " اهـ

● قلت : فالبلاء قدر، وما يمكن دفعه به هو قدر أيضا ، ويدل على ذلك ما جاء في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما ، فذكر الحديث وفيه : "وَلَمَّا بَلَغَ عُمَرُ الشَّامَ وَقِيلَ لَهُ: إِنَّ بِهَا طَاعُونًَا رَجَعَ، قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ: أَفِرَارًا مِنْ قَدَرِ اللَّهِ؟ فَقَالَ عُمَرُ: لَوْ غَيْرَكَ قَالَهَا يَا أَبَا عُبَيْدَةَ؟ نَعَمْ ، نَفِرُّ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ إِلَى قَدَرِ اللَّهِ ، أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ إِبِلٌ هَبَطَتْ وَادِيًا لَهُ عُدْوَتَانِ إِحْدَاهُمَا خَصْبَةٌ وَالْأُخْرَى جَدْبَةٌ ، أَلَيْسَ إِنَّ رَعَيْتَ الْخَصْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللَّهِ ، وَإِنْ رَعَيْتَ الْجَدْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللَّهِ؟ قَالَ : فَجَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ وَكَانَ مُتَغَيِّبًا فِي بَعْضِ حَاجَتِهِ ، فَقَالَ: إِنَّ عِنْدِي فِي هَذَا عِلْمًا ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ . قَالَ: فَحَمِدَ اللَّهُ عُمَرُ ثُمَّ انْصَرَفَ . " ^(٤)

وجه الاستدلال: ففيه أن القدر يدفع بالقدر فقدر الشر يدفع بقدر الخير . فهو من باب ربط المسببات بأسبابها ، كما قدر الشبع والرؤي بالأكل والشرب ، وقدر الولد بالوطء ، وقدر حصول

(١) - أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (١٦٠ / ٣) برقم: (٨٧٦) (بهذا اللفظ) ، وأبو داود في "سننه" (١ / ٥٥٣) برقم: (١٤٨٨) (بلفظه). قال ابن حجر في «فتح الباري لابن حجر» (١١ / ١٤٣): "...وسنده جيد". قال الأرئوط في «سنن أبي داود ت الأرئوط» (٢ / ٦١٠): "حديث صحيح، وهذا إسناد حسن في المتابعات". وقال في «صحيح ابن حبان» (٣ / ١٦٠): "حديث قوي، جعفر بن ميمون فيه خلاف، وحديثه يصلح للمتابعة، وهذا منها، وباقى رجاله ثقات". وصححه الألباني في «صحيح الترمذي والترهيب» (٢ / ٢٧٨): برقم ١٦٣٥ . وقال في «صحيح سنن أبي داود ط غراس» (٥ / ٢٢٦): "حديث صحيح، وحسنه الترمذي، وصححه ابن حبان ، والحاكم والذهبي" ... وهذا إسناد رجاله كلهم ثقات؛ غير جعفر بن ميمون، وهو سيئ الحفظ... ولكنه قد توبع كما يأتي؛ فالحديث صحيح.

(٢) - أخرجه الترمذي في "جامعه" (٤ / ١٨) برقم: (٢١٣٩) (بهذا اللفظ) وقال: "حسن غريب" ، واليزار في "مسنده" (٦ / ٥٠١) برقم: (٢٥٤٠) (بلفظه). والطبراني في "الكبير" (٦ / ٢٥١) برقم: (٦١٢٨) (بلفظه). حسنه الألباني في «صحيح الترمذي والترهيب» (٢ / ٦٥٢): برقم ٢٤٨٩ ، وقال في «سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها» (١ / ٢٨٨): برقم ١٥٤..والخلاصة: أن الحديث حسن كما قال الترمذي بالشاهد من حديث ثوبان دون الزيادة فيه، فإني لم أجد لها شاهدا".

(٣) - أخرجه ابن حبان في صحيحه (١٣ / ٤٦٥) برقم (٦١٠٦) (صحيح ابن حبان - كتاب الرقي والتمائم - ذكر البيان بأن استرقاء المرء عند وجود العلل من قدر الله) (بهذا اللفظ) قال الألباني في «صحيح موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان» (٢ / ٢٩): برقم ١١٧١ "حسن لغيره".

(٤) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٧ / ١٣٠) برقم: (٥٧٢٩) (كتاب الطب ، باب ما يذكر في الطاعون) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (٧ / ٢٩) برقم: (٢٢١٩) (كتاب السلام ، باب الطاعون والطيرة والكهانة ونحوها) (بمثله).

الزراع بالبذر . ويدخل في ذلك قدر الجنة والنار ، **فالواجب الفرار من قدر النار باجتناّب المنهي عنه** ، **إلى قدر الجنة بفعل ما أمرت به** . فإن أنت فعلت الأسباب التي توصل إلى الجنة أعانك الله عليها ودخلتها بفضلها ورحمته ، وإن أنت فعلت الأسباب التي توصل إلى النار دخلتها بعدله ولا تلومن إلا نفسك وما الله يريد ظلماً للعباد . والله تعالى أعلم .

● وقال ابن تيمية في «الفتاوى الكبرى لابن تيمية» (٥ / ١٦٦): **وَكَذَلِكَ كُلُّ مَطْلُوبٍ يُدْفَعُ بِهِ مَكْرُوهٌ، كَمَا «قَالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ أَذْوِيَّةً نَتَدَاوَى بِهَا، وَرُقَى نَسْتَرْقِي بِهَا، وَتُقَاتَلُ نَتَقِي بِهَا، هَلْ تَرُدُّ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ شَيْئًا؟ فَقَالَ: هِيَ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ»** .

● قال في «فتح الباري لابن حجر» (١٠ / ١٣٦): **«وَالْحَاصِلُ أَنَّ حُصُولَ الشِّفَاءِ بِالدَّوَاءِ إِنَّمَا هُوَ كَدَفْعِ الْجُوعِ بِالْأَكْلِ وَالْعَطَشِ بِالشُّرْبِ وَهُوَ يَنْجَعُ فِي ذَلِكَ فِي الْغَالِبِ وَقَدْ يَتَخَلَّفُ لِمَانِعٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ»**

● وقال في «فتح الباري لابن حجر» (١١ / ٥٨٠): **«وَأَمَّا مَا أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ إِنَّ الصَّدَقَةَ تَدْفَعُ مِيتَةَ السُّوءِ فَظَاهِرُهُ يُعَارِضُ قَوْلَهُ إِنَّ النَّذْرَ لَا يَرُدُّ الْقَدَرَ وَيُجْمَعُ بَيْنَهُمَا بِأَنَّ الصَّدَقَةَ تَكُونُ سَبَبًا لِدَفْعِ مِيتَةِ السُّوءِ وَالْأَسْبَابُ مُقَدَّرَةٌ كَالْمَسَبَّاتِ وَقَدْ قَالَ ﷺ لِمَنْ سَأَلَهُ عَنِ الرُّقَى هَلْ تَرُدُّ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ شَيْئًا قَالَ هِيَ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَالْحَاكِمُ وَنَحْوُهُ قَوْلُ عُمَرَ نَفَرُ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ إِلَى قَدَرِ اللَّهِ كَمَا تَقَدَّمَ تَفْصِيلُهُ فِي كِتَابِ الطِّبِّ وَمِثْلُ ذَلِكَ مَشْرُوعِيَّةُ الطِّبِّ وَالتَّدَاوِي وَقَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ النَّذْرُ شَبِيهٌ بِالدَّعَاءِ فَإِنَّهُ لَا يَرُدُّ الْقَدَرَ وَلَكِنَّهُ مِنَ الْقَدَرِ أَيْضًا»**

■ وفي «الأذكار للنووي ت الأرنبوط» (ص ٣٩٧): **«قال الغزالي: فإن قيل: فما فائدة الدعاء مع أن القضاء لا مرد له؟»**

■ **فاعلم أن جملة القضاء: ردّ البلاء بالدعاء** ، فالدعاء سبب لردّ البلاء ووجود الرحمة ، كما أن الترس سبب لدفع السلاح ، والماء سبب لخروج النبات من الأرض ، **فكما أن الترس يدفع السهم فيتدافعان ، فكذلك الدعاء والبلاء** ، وليس من شرط الاعتراف بالقضاء أن لا يحمل السلاح ، وقد قال الله تعالى: **﴿وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾** [النساء: ١٠٢] **فقدّر الله تعالى الأمر، وقدّر سببه»**

○ (المسألة الثالثة) وهي المسألة السابعة عشرة : هل الجنة مقابل العمل (١) ؟

سياق الحديث المتوهم إشكاله وبيان وجه الإشكال.

- **فيهما عن عائشة** - رضي الله عنها -: عن النبي ﷺ قال: (سددوا وقاربوا وأبشروا، فإنه لا يدخل أحدًا الجنة عمله)، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: (ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله بمغفرة ورحمة) " (٢)"
- **وفيها عن أبي هريرة** رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (قاربوا وسددوا، واعلموا أنه لن ينجو أحد منكم بعمله)، قالوا: يا رسول الله ولا أنت؟ قال: (ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل)، متفق عليه. " (٣)"
- **وفي مسلم عن جابر** رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: (لا يدخل أحدًا منكم عمله الجنة ولا يجيره من النار، ولا أنا إلا برحمة من الله)، " (٤)"
- **(صحيح)** . «عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَوْ يُوَاخِذُنِي اللَّهُ وَابْنُ مَرْيَمَ بِمَا جَنَّتْ هَاتَانِ يَغْنِي الْإِجْهَامَ وَالَّتِي تَلِيهَا لَعَذَّبْنَا ثُمَّ لَمْ يَظْلِمْنَا شَيْئًا" (٥)

● بيان وجه الإشكال:

- (١) - معظم ماجاء في هذه المسألة نقلته بتصرف يسير ، وتقديم وتأخير من كتاب «أحاديث العقيدة التي يوهم ظاهرها التعارض في الصحيحين دراسة وترجيح» (ص ٣٦١): للدكتور محمد بن سليمان الديبكي.
- (٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٨ / ٩٨) برقم: (٦٤٦٧) (كتاب الرقاق ، باب القصد والمداومة على العمل) (بهذا اللفظ) ومسلم في "صحيحه" (٨ / ١٤١) برقم: (٢٨١٨) (كتاب صفة القيامة والجنة والنار ، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله) (بمثله).
- (٣) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٨ / ٩٨) برقم: (٦٤٦٣) (كتاب الرقاق ، باب القصد والمداومة على العمل) (بهذا اللفظ) ، و مسلم في "صحيحه" (٨ / ١٣٩) برقم: (٢٨١٦) (كتاب صفة القيامة والجنة والنار ، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله) (بنحوه)
- (٤) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ١٤١) برقم: (٢٨١٧) (كتاب صفة القيامة والجنة والنار ، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله) (بهذا اللفظ)
- (٥) - أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (٢ / ٤٣٢) برقم: (٦٥٧) (كتاب الرقائق ، ذكر الإخبار عن ترك الاتكال على الطاعات وإن كان المرء مجتهدا في إتيانها) (بهذا اللفظ) > قال الأرنبوط في «الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان» (٢ / ٤٣٣): «إسناده صحيح على شرط مسلم، محمد بن إسحاق: هو الحافظ الإمام الثقة شيخ خراسان أبو العباس السراج، وباقي رجال السند ثقات على شرطهما غير عبد الله بن عمر- وهو ابن محمد بن أبان- فمن رجال مسلم. محمد هو ابن سيرين. هشام هو ابن حسان». ... وأخرجه البزار "٣٤٤٨" عن أبي بكر، عن محمد بن عبد الملك بن زنجويه، عن محمد بن يوسف الفريابي، عن سفيان، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، به. بزيادة في أوله، وهي: "لن ينجي أحدًا عمله، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة وفضل، ولو يواخضني أنا وعيسى مما جنى هذين لأوبقنا" وأشار بالسبابة والوسطى. وقال الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها» (٦٠٥ / ٧): «قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ... فذكره. وقال أبو نعيم: "غريب من حديث الفضيل وهشام، تفرد به عنه الحسين بن علي الجعفي". قلت: وهو ثقة من رجال الشيخين، وكذلك من فوقه، فالسند صحيح على شرطهما، فيتعجب من الحاكم كيف لم يورده في "مستدركه"؟! وللحديث طريق أخرى، يرويه محمد بن يوسف الفريابي: ثنا سفيان الثوري عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة به نحوه».

- أن هذه الأحاديث -والتي بلغت مبلغ التواتر - تنص على عدم دخول الجنة بالأعمال (لا يُدخِل أحدًا الجنة عمله)، والقرآن ينص على دخول الجنة بالأعمال كما في قوله تعالى: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٣٢]، وقوله: ﴿وَنُودُوا أَنْ تُلَكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣]،

فكيف نجمع بين هذه الآيات والأحاديث؟

للناس مع هذه الأحاديث ثلاثة مواقف:

- **الموقف الأول:** الجمع بينها وبين الآيات التي تنص على أن دخول الجنة يكون بالأعمال ، وذلك بالعمل بها جميعاً، حيث قالوا: إنه لا تنافي بينها، لأن توارد النفي -الذي في الحديث- والإثبات -الذي في الآية- ليس على محل واحد، **وعلى هذا القول أهل السنة والجماعة ومن وافقهم ، ولكنهم اختلفوا في كيفية الجمع على أقوال، أشهرها:**

- **القول الأول:** أن المنفي في الحديث: (لن ينجو أحد منكم بعمله) هو كون العمل عوضاً وثنماً كافياً للنجاة ودخول الجنة ، إذ لا بد من عفو الله وفضله ورحمته، فالذي نفاه النبي ﷺ **باء المقابلة والعوض**، وكون دخول الجنة بمجرد الأعمال. **وأما المثبت في الآية:** ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٣٢] **فهو: باء السببية ، أي: بسبب أعمالكم** ، فالأعمال سبب لدخول الجنة. وإلى هذا القول ذهب جمع من أهل العلم كابن تيمية، وابن القيم، وابن كثير، وابن أبي العز والوزير والمقرئزي ، والنووي وغيرهم.

- قال ابن القيم: "الباء المقتضية للدخول غير الباء التي نُفي معها الدخول ، **فالمقتضية هي باء السببية** ، الدالة على أن الأعمال سبب للدخول ، مقتضية له كإقتضاء سائر الأسباب لمسبباتها ، والباء التي نُفي بها الدخول هي **باء المعاوضة والمقابلة** التي في نحو قولهم: اشتريت هذا بهذا. فأخبر النبي ﷺ أن دخول الجنة ليس في مقابلة عمل أحد ، وأنه لولا تغمد الله سبحانه لعبده برحمته لما أدخله الجنة ، فليس عمل العبد -وإن تنهى- موجباً بمجرد دخول الجنة ، ولا عوضاً لها ، فإن أعماله وإن وقعت منه على الوجه الذي يحبه الله ويرضاه ، فهي لا تقاوم نعمة الله التي أنعم بها عليه في دار الدنيا ، ولا تعادلها ، بل لو حاسبه لوقعت أعماله كلها في مقابلة اليسير من نعمه ، وتبقى بقية النعم مقتضية لشكرها ، فلو عذبه في هذه الحالة لعذبه وهو غير ظالم له ، ولو رحمه لكانت رحمته خيراً له من عمله".

- **القول الثاني:** أن أصل دخول الجنة لا يكون إلا برحمة الله ، وعلى هذا يحمل الحديث ، وأما التفاوت في المنازل والدرجات في الجنة فيكون بالأعمال، وعلى هذا تحمل الآية. وإلى هذا ذهب ابن بطال وغيره.

- قال ابن بطال: "فإن قال قائل: فإن قوله ﷺ: (لن يدخل أحدكم عمله الجنة) يعارض قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٧٢) [الزخرف: ٧٢]، قيل: ليس كما توهمت، ومعنى الحديث غير معنى الآية، أخبر النبي ﷺ في الحديث أنه لا يستحق أحد دخول الجنة بعمله، وإنما يدخلها العباد برحمة الله، وأخبر الله تعالى في الآية أن الجنة تنال المنازل فيها بالأعمال، ومعلوم أن درجات العباد فيها متباينة على قدر تباين أعمالهم، فمعنى الآية في ارتفاع الدرجات وانخفاضها والنعيم فيها، ومعنى الحديث في الدخول في الجنة والخلود فيها، فلا تعارض بين شيء من ذلك. فإن قيل: فقد قال تعالى في سورة النحل: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٣٢]، فأخبر أن دخول الجنة بالأعمال أيضاً، فالجواب: أن قوله: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ كلام مجمل يبينه الحديث، وتقديره: ادخلوا منازل الجنة وبيوتها بما كنتم تعملون، فالآية مفتقرة إلى بيان الحديث".

○ **القول الثالث:** أن التوفيق للعمل من رحمة الله تعالى، فلولا رحمته لما صلح عمل ولا حصلت طاعة، وعلى هذا فدخول الجنة بالأعمال لا يكون إلا مع رحمة الله تعالى، فالحديث مفسر للآية، وإلى هذا ذهب القاضي عياض وغيره.

- قال رحمه الله: "لا تعارض بين هذا وبين قوله: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ وشبهه من الآيات، لأن الحديث يفسر ما أجملها هنا، وأن معنى ذلك: مع رحمة الله وبرحمته، إذ من رحمة الله توفيقه للعمل، وهدايته للطاعات، وأنه لم يستحقها بعمله، إذ الكل بفضل من الله تعالى".

○ **القول الرابع:** ما ذهب إليه ابن حجر رحمه الله حيث قال: "ويظهر لي في الجمع بين الآية والحديث جواب آخر، وهو أن يحمل الحديث على أن العمل من حيث هو عمل لا يستفيد به العامل دخول الجنة ما لم يكن مقبولا، وإذا كان كذلك فأمر القبول إلى الله تعالى، وإنما يحصل برحمة الله لمن يقبل منه، وعلى هذا، فمعنى قوله: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: تعملونه من العمل المقبول، ولا يضر بعد هذا أن تكون الباء للمصاحبة أو للإلصاق أو المقابلة، ولا يلزم من ذلك أن تكون سببية".

- **الموقف الثاني: ما ذهب إليه القدريّة، وهو: أن الجنة عوض عن العمل وثمن له**، فالعبادات شرعت أثماناً لما يناله العباد من الثواب والنعيم، وذلك بمنزلة استيفاء الأجير أجره، وعلى هذا فدخول الجنة راجع إلى محض الأعمال، واستدلوا بما تقدم من الآيات وما في معناها كقوله تعالى: ﴿وَنُودُوا أَنْ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣] وقوله: ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النمل: ٩٠]، فقالوا: إن الله تعالى -في هذه الآيات- جعل الجنة عوضاً عن الأعمال.

○ **الموقف الثالث: ما ذهبت إليه الجبرية** من أن الأعمال ليس لها ارتباط بالجزاء البتة ، وأنها ليست سببًا في دخول الجنة ، فدخولها راجع إلى محض المشيئة . واستدلوا بما تقدم من الأحاديث التي فيها نفي دخول الجنة بالأعمال.

• الترجيح:

- الذي عليه أهل السنة والجماعة: أن مجرد الأعمال غير كاف في دخول الجنة ، إذ لا بد من رحمة الله تعالى ، فبدونها لا تجب الجنة لأحد ، كما تقدم في الأحاديث ، حيث قال ﷺ: (لا يدخل أحدًا الجنة عمله)، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: (ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله بمغفرة ورحمة) ^(١) . وقد جاء القرآن مصدقًا لمعنى هذه الأحاديث:
- كما في قوله تعالى عن الجنة: ﴿أَعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١].
- وقال تعالى بعد ذكر الجنة: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (٥٦) فَضْلًا مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الدخان: ٥٦، ٥٧].
- وقال جل وعلا: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٧]. وليس في كتاب الله أن العمل يدخل الجنة ، وإنما فيه أن الله هو يدخل الجنة به في بعض الآيات ، وفي بعضها بالعمل وبتكفير الله تعالى للسيئات ، وهي زيادة يجب اعتبارها.
- قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [التغابن: ٩].
- وقال تعالى: ﴿لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الزمر: ٣٥] ، وهذا كثير في كتاب الله تعالى ، ولا دليل على أن التكفير واجب بالعمل ، بل الأدلة ناهضة بخلافه ، كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ [النحل: ٦١] ، وقوله: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ [فاطر: ٤٥].
- قال الإمام البرهاري: "اعلم أنه لا يدخل أحد الجنة إلا برحمة الله ، ولا يعذب الله أحدًا إلا بقدر ذنوبه ، ولو عذب أهل السموات والأرض ، برهم وفاجرهم ، عذبهم غير ظالم لهم".

(١) - سبق تخريجه

- وقال الإمام الصابوني في معرض بيان عقيدة أهل السنة والجماعة: "ويعتقدون ويشهدون أن أحداً لا تجب له الجنة - وإن كان عمله حسناً وطريقه مرضياً - إلا أن يتفضل الله عليه ، فيوجبها له بمنه وفضله ، إذ عمل الخير الذي عمله لم يتيسر له إلا بتيسير الله عز اسمه ، فلو لم ييسره له ، ولو لم يهده لم يهتد له أبداً ، قال الله عز وجل: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ﴾ [النور: ٢١]" كما أن من عقيدة أهل السنة والجماعة أن الأعمال الصالحة أسباب موصلة إلى ثواب الله تعالى وجنته، لكن ذلك لا يتحقق إلا بتوفر الشروط -والتي من أعظمها رحمة الله- وانتفاء الموانع.
- قال ابن تيمية: "مجرد الأسباب لا يوجب حصول المسبب ، فإن المطر إذا نزل وبذر الحب لم يكن ذلك كافياً في حصول النبات ، بل لا بد من ريح مُرَبِّيةٍ بإذن الله ولا بد من صرف الانتفاء عنه ، فلا بد من تمام الشروط وزوال الموانع ، وكل ذلك بقضاء الله وقدره ... وكذلك أمر الآخرة ، ليس بمجرد العمل ينال الإنسان السعادة ، بل هو سبب ولهذا قال النبي ﷺ : (إنه لن يدخل أحدكم الجنة بعمله)، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: (ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته منه وفضل)" (١) .
- وقال المقرئزي: "الأعمال أسباب موصلة إلى الثواب، والأعمال الصالحات من توفيق الله وفضله، وليست قدراً لجزائه وثوابه، بل غايتها إذا وقعت على أكمل الوجوه: أن تكون شكراً على أحد الأجزاء القليلة من نعمه سبحانه ، فلو عذب أهل سمواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم ، ولو رحمهم لكانت رحمته لهم خيراً من أعمالهم".
- وأما ما قيل في الجمع بين حديث: (لا يُدْخِلُ أَحَدًا الْجَنَّةَ عَمَلُهُ)، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: (ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله بمغفرة ورحمة) وما في معناه، وآية: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ وما في معناها، فأحسنها القول الأول، وهو: أن المنفي في الحديث كون الأعمال بمجرد ما توجب دخول الجنة ، وأما المثبت في الآية فهو كون الأعمال سبب في دخول الجنة ، والفرق بين الأمرين ظاهر، وقد جمع النبي ﷺ بينهما في قوله: (سددوا وقاربوا وأبشروا، فإنه لا يُدْخِلُ أَحَدًا الْجَنَّةَ عَمَلُهُ) قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: (ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله بمغفرة ورحمة)، متفق عليه.

- قال ابن الوزير: "اعلم أن أهل السنة لا ينكرون أن الجنة تُدخَلُ بعمل كما ورد في القرآن ، وإنما ينكرون ما ليس في القرآن من كونها تُستَحَقُّ على الله بالعمل استحقاق المبيعات بأثمانها ، بحيث إنه لا فضل للبائع على المشتري.

فمرجع النزاع في أن الباء في قوله تعالى: ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، هل هي باء المعاوضة للشيء بمقدار ثمنه، مثل الثوب بالدرهم، أو هي باء السببية، كقولك: أكرمني الملكُ بسابق معرفة، أو بكلمة طيبة سمعها مني، أو نحو ذلك؟

والقرآن إنما نص على العمل، لا على أن الباء فيه للثمن المساوي، ولو قال أهل السنة: بعدم العمل، لجوّزوا الجنة للمشرّكين فاعرف هذه النكتة".

- وأما الأقوال الأخرى في الجمع فإنها عند التأمل نجد أنها تؤول إلى هذا القول ، كما أن هذا القول لا يخالف ما جاء في بقية الأقوال بل يوافقها ، فالأقوال كلها لا تخالف في كون الأعمال أسباباً موصلة إلى رضوان الله والجنة، وأن تفاوت العباد في المنازل والدرجات في الجنة يكون بحسب الأعمال ، كما أن التوفيق للأعمال الصالحة والهداية لها ، ومن ثم دخول الجنة ، والتفاوت في منازلها ، كل ذلك برحمة الله تعالى وفضله ، وأن مجرد الأعمال -بقطع النظر عن رحمة الله تعالى- لا توجب دخول الجنة، إذ ليست الجنة عوضاً عن الأعمال وثمن لها.

- وإليك كلام النووي، حيث اشتمل على مجمل هذه الأقوال، قال رحمه الله تعالى: "أما قوله تعالى: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ونحوهما من الآيات الدالة على أن الأعمال يُدخل بها الجنة، فلا يعارض هذه الأحاديث ، بل معنى الآيات أن دخول الجنة بسبب الأعمال ، ثم التوفيق للأعمال والهداية للإخلاص فيها ، وقبولها ، برحمة الله تعالى وفضله ، فيصح أنه لم يدخل بمجرد العمل ، وهو مراد الأحاديث ، ويصح أنه دخل بالأعمال ، أي: بسببها، وهي من الرحمة، والله أعلم".

- وأما الموقف الثاني، وهو ما ذهب إليه القدرية من أن الجنة عوض عن العمل وثمن له ، فهو باطل ظاهر البطلان، والأحاديث المتقدمة في نفي دخول الجنة بمجرد الأعمال ترد عليهم. وقد بيّن الله تعالى في عدة آيات من كتابه أن الأنبياء وهم الأنبياء إنما يدخلون الجنة برحمة الله، فإذا كان الأنبياء كذلك فكيف بغيرهم. :

■ قال الله تعالى حكاية عن آدم وحواء عليهم السلام: ﴿وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

- وقال عز وجل حكاية عن نوح: ﴿وَالَّا تَغْفِرَ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [هود: ٤٧].
- وحكى عن إبراهيم قوله: ﴿لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ [الأنعام: ٧٧].
- وأما الموقف الثالث، وهو ما ذهبت إليه الجبرية ، حيث أنكرت كون الأعمال سبباً في دخول الجنة ، فهو باطل أيضاً ، والآيات الدالة على أن دخول الجنة يكون بالأعمال ترد عليهم ، وإذا كان "من عذبه الله من المشركين، فقد عذبه بعمله، فكذلك من أثابه الله من الموحدين، فقد أثابه وأدخله الجنة بعمله".
- **والملاحظ أن كل واحد من الفريقين -القدرية والجبرية- قد تمسك بنوع من النصوص، وأغفل النوع الآخر،** والحق الذي لا مرية فيه، هو القول: بمدلول النصوص كلها ، وعدم طرح شيء منها ، لأنها كلها حق وصدق -والحق لا يتعارض بل يصدق بعضه بعضاً- فيحمل كل نوع من النصوص على وجه لا يخالف النوع الآخر ، وهو ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة، كما تقدم.
- قال ابن تيمية: "**وَمَجَرَّدُ الْأَسْبَابِ لَا يُوجِبُ حُصُولَ الْمُسَبَّبِ** ؛ فَإِنَّ الْمَطَرَ إِذَا نَزَلَ وَبَذَرَ الْحَبُّ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ كَافِيًا فِي حُصُولِ النَّبَاتِ بَلْ لَا بُدَّ مِنْ رِيحٍ مُرَبِّيَةٍ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَا بُدَّ مِنْ صَرْفٍ الْإِنْتِفَاءِ عَنْهُ؛ فَلَا بُدَّ مِنْ تَمَامِ الشُّرُوطِ وَزَوَالِ الْمَوَانِعِ ، وَكُلُّ ذَلِكَ بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ وَكَذَلِكَ الْوَلَدُ لَا يُوَلَّدُ بِمَجَرَّدِ إِنْزَالِ الْمَاءِ فِي الْفَرْجِ بَلْ كَمْ مَنْ أَنْزَلَ وَلَمْ يُوَلَّدْ لَهُ ؛ بَلْ لَا بُدَّ مِنْ أَنَّ اللَّهَ شَاءَ خَلْقَهُ فَتَحَبَّلُ الْمَرْأَةُ وَتُرَبِّيهِ فِي الرَّحِمِ وَسَانِرُمَا يَتِمُّ بِهِ خَلْقُهُ مِنَ الشُّرُوطِ وَزَوَالِ الْمَوَانِعِ.
- وَكَذَلِكَ أَمْرُ الْآخِرَةِ لَيْسَ بِمَجَرَّدِ الْعَمَلِ يَنَالُ الْإِنْسَانُ السَّعَادَةَ بَلْ هِيَ سَبَبٌ وَلِهَذَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ {إِنَّهُ لَنْ يَدْخُلَ أَحَدُكُمْ الْجَنَّةَ بِعَمَلِهِ} قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ} . وَقَدْ قَالَ: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فَهَذِهِ بَاءُ السَّبَبِ أَيُّ: بِسَبَبِ أَعْمَالِكُمْ وَالَّذِي نَفَاهُ النَّبِيُّ ﷺ بَاءُ الْمُقَابَلَةِ كَمَا يُقَالُ: اشْتَرَيْتَ هَذَا بِهَذَا أَيُّ: لَيْسَ الْعَمَلُ عَوَضًا وَثَمَنًا كَافِيًا فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ بَلْ لَا بُدَّ مِنْ عَفْوِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ فَبِعَفْوِهِ يَمْحُو السَّيِّئَاتِ وَبِرَحْمَتِهِ يَأْتِي بِالْخَيْرَاتِ وَبِفَضْلِهِ يُضَاعِفُ الْبَرَكَاتِ.**
- **وَفِي هَذَا الْمَوْضِعِ ضَلَّ طَائِفَتَانِ مِنَ النَّاسِ: " فَرِيقٌ " آمَنُوا بِالْقَدَرِ وَظَنُّوا أَنَّ ذَلِكَ كَافٍ فِي حُصُولِ الْمُقْصُودِ فَأَعْرَضُوا عَنِ الْأَسْبَابِ الشَّرْعِيَّةِ وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ ، وَهَؤُلَاءِ يُوُولُ بِهِمُ الْأَمْرُ إِلَى أَنْ يَكْفُرُوا بِكُتُبِ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَدِينِهِ.**
- **وَفَرِيقٌ أَخَذُوا يَطْلُبُونَ الْجَزَاءَ مِنَ اللَّهِ كَمَا يَطْلُبُهُ الْأَجِيرُ مِنَ الْمُسْتَأْجِرِ ، مُتَكَلِّينَ عَلَى حَوْلِهِمْ وَقُوتِهِمْ وَعَمَلِهِمْ ، وَكَمَا يَطْلُبُهُ الْمَمَالِكُ وَهَؤُلَاءِ جَهَالٌ ضَلَالٌ :**

فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَأْمُرِ الْعِبَادَ بِمَا أَمَرَهُمْ بِهِ حَاجَةً إِلَيْهِ ، وَلَا نَهَاهُمْ عَمَّا نَهَاهُمْ عَنْهُ بُخْلًا بِهِ ، وَلَكِنْ أَمَرَهُمْ بِمَا فِيهِ صَلَاحُهُمْ ، وَنَهَاهُمْ عَمَّا فِيهِ فَسَادُهُمْ وَهُوَ سُبْحَانَهُ كَمَا قَالَ: {يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضُرُّوَنِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي} فَاَلْمَلِكُ إِذَا أَمَرَ مَمْلُوكِيهِ بِأَمْرٍ ، أَمَرَهُمْ لِحَاجَتِهِ إِلَيْهِمْ ، وَهُمْ فَعَلُوهُ بِقُوَّتِهِمُ الَّتِي لَمْ يَخْلُقْهَا لَهُمْ ، فَيُطَالِبُونَ بِجَزَاءِ ذَلِكَ . وَاللَّهُ تَعَالَى غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ فَإِنْ أَحْسَنُوا أَحْسَنُوا لِنَفْسِهِمْ ، وَإِنْ أَسَاءُوا فَلَهَا ، لَهُمْ مَا كَسَبُوا وَعَلَيْهِمْ مَا اكْتَسَبُوا ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلِمَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ . **وَفِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ** عَنْ اللَّهِ تَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: {يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالُمُوا يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا وَلَا أُبَالِي فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَانِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعِمُونِي أَطْعِمْكُمْ يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضُرُّوَنِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي يَا عِبَادِي؛ لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتْكُمْ كَانُوا عَلَى أَتَقَى قَلْبِ رَجُلٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا يَا عِبَادِي؛ لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتْكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ مِنْكُمْ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتْكُمْ اجْتَمَعُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْبَحْرُ أَنْ يُغَمَسَ فِيهِ الْمُخِيطُ غَمَسَةً وَاحِدَةً يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أَحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أَوْفَيْكُمْ إِيَّاهَا فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يُلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ} (١).

■ وَهُوَ سُبْحَانَهُ مَعَ غِنَاهُ عَنِ الْعَالَمِينَ ، خَلَقَهُمْ وَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ رَسُولًا يُبَيِّنُ لَهُمْ مَا يُسْعِدُهُمْ وَمَا يُشْقِيهِمْ ، ثُمَّ إِنَّهُ هَدَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ، فَمَنْ عَلَّمَهُم بِالْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ ، فَخَلَقَهُ بِفَضْلِهِ ، وَإِرْسَالِهِ الرَّسُولَ بِفَضْلِهِ ، وَهَدَايَتِهِ لَهُمْ بِفَضْلِهِ ، وَجَمِيعُ مَا يَنَالُونَ بِهِ الْخَيْرَاتِ مِنْ قُورَاهُمْ وَغَيْرِ قُورَاهُمْ هِيَ بِفَضْلِهِ ، فَكَذَلِكَ الثَّوَابُ وَالْجَزَاءُ هُوَ بِفَضْلِهِ ، وَإِنْ كَانَ أَوْجَبَ ذَلِكَ عَلَى نَفْسِهِ ، كَمَا حَرَّمَ عَلَى نَفْسِهِ الظُّلْمَ ، وَوَعَدَ بِذَلِكَ كَمَا قَالَ: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ، فَهُوَ وَاقِعٌ لَا مَحَالَةَ ، وَاجِبٌ بِحُكْمِ إِجَابِهِ وَوَعْدِهِ «لَإِنَّ الْخَلْقَ لَا يُوجِبُونَ عَلَى اللَّهِ شَيْئًا. أَوْ يُحَرِّمُونَ عَلَيْهِ شَيْئًا ، بَلْ هُمْ أَعْجَزُ مِنْ ذَلِكَ ، وَ أَقَلُّ مِنْ ذَلِكَ. وَكُلُّ نِعْمَةٍ مِنْهُ فَضْلٌ ، وَكُلُّ نِقْمَةٍ مِنْهُ عَدْلٌ» ، كَمَا فِي الْحَدِيثِ الْمُتَقَدِّمِ {إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أَحْصِيهَا لَكُمْ

(١) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ١٦) برقم: (٢٥٧٧) (كتاب البر والصلة والآداب ، باب تحريم الظلم) (بهذا اللفظ) من حديث أبي ذر t

ثُمَّ أَوْفَيْكُمْ إِيَّاهَا فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدُ اللَّهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يُلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ}. **وَفِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ {سَيِّدُ الْإِسْتِغْفَارِ} أَنْ يَقُولَ الْعَبْدُ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأَبُوءُ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ مَنْ قَالَهَا إِذَا أَصْبَحَ مُوقِنًا بِهَا فَمَاتَ مِنْ لَيْلَتِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ}**^(١). فَقَوْلُهُ أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأَبُوءُ بِذَنْبِي ، **اعْتِرَافٌ بِإِنْعَامِ الرَّبِّ ، وَذَنْبِ الْعَبْدِ ،** كَمَا قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: **إِنِّي أَصْبِحُ بَيْنَ نِعْمَةٍ تَنْزِلُ مِنَ اللَّهِ عَلَيَّ ، وَبَيْنَ ذَنْبٍ يَصْعَدُ مِنِّي إِلَى اللَّهِ ، فَأُرِيدُ أَنْ أُحْدِثَ لِلنِّعْمَةِ شُكْرًا ، وَلِلذَنْبِ اسْتِغْفَارًا.** " اهـ من كلام شيخ الإسلام .

• وقال ابن القيم ردًا على الجبرية والقدرية، بعد بيانه للقول الراجح في هذه المسألة "ولا يصح في النصوص والعقول إلا ما ذكرناه من التفصيل ، وبه يتبين أن الحق مع الوسط بين الفرق في جميع المسائل ، لا يُستثنى من ذلك شيء ، فما اختلفت الفرق إلا كان الحق مع الوسط ، وكلٌّ من الطائفتين معه حق وباطل ، فأصاب الجبرية في نفي المعاوضة ، وأخطأوا في نفي السببية ، وأصاب القدرية في إثبات السببية ، وأخطأوا في إثبات المعاوضة ، فإذا ضمنت أحد نفيي الجبرية إلى أحد إثباتي القدرية ، ونفيت باطلهما كنت أسعد بالحق منهما".

• وقال المقرئزي: "وتأمل قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الزخرف: ٧٢]، مع قوله -صلى الله عليه وسلم-: (لن يدخل أحدٌ منكم الجنة بعمله) تجد الآية تدل على أن الجنان بالأعمال، والحديث ينفي دخول الجنة بالأعمال ، ولا تنافي بينهما، لأن توارد النفي والإثبات ليس على محل واحد، فالمنفي بآء الثمنية (المعاوضة)، واستحقاق الجنة بمجرد الأعمال، ردًا على القدرية المجوسية ، التي زعمت أن التفضل بالثواب ابتداءً متضمن لتقدير المنية.

والباء المثبتة التي وردت في القرآن هي بآء السببية، ردًا على القدرية الجبرية، الذين يقولون: لا ارتباط بين الأعمال وجزائها، ولا هي أسباب لها، وإنما غايتها أن تكون أمانة.

والسنة النبوية: هي أن عموم مشيئة الله وقدرته لا تنافي ربط الأسباب بالمسببات، وارتباطها بها. وكل طائفة من أهل الباطل تركت نوعًا من الحق ، فإنها ارتكبت لأجله نوعًا من الباطل، بل أنواعًا، فهدى الله أهل السنة لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه"

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٨ / ٦٧) برقم: (٦٣٠٦) (كتاب الدعوات ، باب أفضل الاستغفار) (بهذا اللفظ) من حديث

○ (المسألة الرابعة) وهي المسألة الثامنة عشرة : إنما الأعمال بالخواتيم.

■ **فيهما عن سهل بن سعد الساعدي** رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : " إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة " ^(١)

■ **وفي لفظ للبخاري عنه** قال: نَظَرَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى رَجُلٍ يُقَاتِلُ الْمُشْرِكِينَ ، وَكَانَ مِنْ أَكْثَرِ الْمُسْلِمِينَ غَنَاءً عَنْهُمْ ، فَقَالَ: مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا فَتَبِعَهُ رَجُلٌ ، فَلَمْ يَزَلْ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى جُرِحَ فَاسْتَعْجَلَ الْمَوْتُ ، فَقَالَ بِدُبابَةٍ سَيْفِهِ فَوَضَعَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ فَتَحَامَلَ عَلَيْهِ حَتَّى خَرَجَ مِنْ بَيْنِ كَتِفَيْهِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: إِنَّ الْعَبْدَ لَيَعْمَلُ فِيمَا يَرَى النَّاسُ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَإِنَّهُ لَمِنْ أَهْلِ النَّارِ ، وَيَعْمَلُ فِيمَا يَرَى النَّاسُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، **وَإِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِخَوَاتِيمِهَا** " ^(٢)

■ **وفي لفظ للبخاري عنه** أن النبي ﷺ قال: " إِنَّ الْعَبْدَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ ، وَإِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، وَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، وَإِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ، **وَإِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِخَوَاتِيمِ** " ^(٣)

■ **في مسلم عن أبي هريرة** رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ « إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ الزَّمْنَ الطَّوِيلَ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ثُمَّ يُخْتَمُ لَهُ عَمَلُهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ الزَّمْنَ الطَّوِيلَ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ ثُمَّ يُخْتَمُ لَهُ عَمَلُهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ » ^(٤)

■ **وفيما عن ابن مسعود** رضي الله عنه " فإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخل الجنة . وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار " ^(٥)

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٣٧ / ٤) برقم: (٢٨٩٨) (كتاب الجهاد والسير ، باب لا يقول فلان شهيد) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (١ / ٧٤) برقم: (١١٢) (كتاب الإيمان ، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه وأن من قتل نفسه بشيء عذب به في النار) (بمثله) .
(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٨ / ١٠٣) برقم: (٦٤٩٣) (كتاب الرقاق ، باب الأعمال بالخواتيم وما يخاف منها) (بهذا اللفظ) .

(٣) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٨ / ١٢٤) برقم: (٦٦٠٧) (كتاب القدر ، باب العمل بالخواتيم) (بهذا اللفظ) .
(٤) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ٤٩) برقم: (٢٦٥١) (كتاب القدر ، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته) (بهذا اللفظ) .

(٥) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٤ / ١١١) برقم: (٣٢٠٨) (كتاب بدء الخلق ، باب ذكر الملائكة) (بمثله) ، (٤ / ١٣٣) برقم: (٣٣٣٢) (كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قول الله تعالى وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة) (بهذا اللفظ) ، (٨ / ٨)

- قال النووي في شرح مسلم (والمراد بهذا الحديث: أن هذا قد يقع في نادر من الناس لا أنه غالب فيهم ، ثم إنه من لطف الله تعالى وسعة رحمته انقلاب الناس من الشر إلى الخير في كثرة ، وأما انقلابهم من الخير إلى الشرف في غاية الدور ونهاية القلة وهو نحو قوله تعالى إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي وَغَلَبَتْ غَضَبِي وَيَدْخُلُ فِي هَذَا مَنْ انْقَلَبَ إِلَى عَمَلِ النَّارِ بِكُفْرٍ أَوْ مَعْصِيَةٍ لَكِنْ يَخْتَلِفَانِ فِي التَّخْلِيدِ وَعَدَمِهِ فَالْكَافِرُ يُخَلَّدُ فِي النَّارِ وَالْعَاصِي الَّذِي مَاتَ مُوَحِّدًا لَا يُخَلَّدُ فِيهَا كَمَا سَبَقَ تَقْرِيرُهُ وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ تَصْرِيحٌ بِإِثْبَاتِ الْقَدَرِ وَأَنَّ التَّوْبَةَ تَهْدِمُ الذُّنُوبَ قَبْلَهَا وَأَنَّ مَنْ مَاتَ عَلَى شَيْءٍ حُكِمَ لَهُ بِهِ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ إِلَّا أَنْ أَصْحَابَ الْمَعَاصِي غَيَّرُوا الْكُفْرَ فِي الْمَشِيئَةِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ)»

(١٢٢) برقم: (٦٥٩٤) (كتاب القدر ، باب في القدر) (بمثله.) ، (٩ / ١٣٥) برقم: (٧٤٥٤) (كتاب التوحيد ، باب قوله تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين) (بمثله.) ومسلم في "صحيحه" (٨ / ٤٤) برقم: (٢٦٤٣) (كتاب القدر ، باب كيفية خلق الأدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته) (بمثله.).

○ **مسألة:** تفسير قوله تعالى [فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ]

● قال ابن كثير في «تفسير ابن كثير - ت السلامة» (٣/ ٤٠٥): عند قوله تعالى: ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿[الأعراف: ٣٠]﴾ قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: وَهَذَا مِنْ أَيْبِنِ الدَّلَالَةِ عَلَى خَطَأٍ مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ لَا يُعَذِّبُ أَحَدًا عَلَى مَعْصِيَةٍ رَكَّبَهَا أَوْ ضَلَالَةٍ اعْتَقَدَهَا ، إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهَا بَعْدَ عِلْمٍ مِنْهُ بِصَوَابٍ وَجْهٍهَا ، فَيَرْكَبُهَا عِنَادًا مِنْهُ لِرَبِّهِ فِيهَا ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ ، لَمْ يَكُنْ بَيْنَ فَرِيقِ الضَّلَالَةِ الَّذِي ضَلَّ وَهُوَ يَحْسَبُ أَنَّهُ هَادٍ ، وَفَرِيقِ الْهُدَى ، فَرْقٌ. وَقَدْ فَرَّقَ اللَّهُ تَعَالَى بَيْنَ أَسْمَائِهِمَا وَأَحْكَامِهِمَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ [الكرامة]

● قال ابن القيم في في شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل - ط المعرفة» (ص ٢٩٢): في تفسير الآية السابقة... فصل: قال شيخنا: "والإجماع والآثار المنقولة عن السلف لا تدل إلا على القول الذي رجحناه وهو أنهم على الفطرة ثم صاروا إلى ما سبق في علم الله فيهم من سعادة وشقاوة ، لا يدل على أنهم حين الولادة لم يكونوا على فطرة سليمة مقتضية للإيمان ومستلزمة له لولا العارض". وروى ابن عبد البر بإسناده عن موسى بن عبيدة : سمعت محمد بن كعب القرظي في قوله: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾ قال: "من ابتداء الله خلقه على الهدى ، صيره إلى الهدى ، وإن عمل بعمل أهل الضلالة ، ومن ابتداء خلقه للضلالة ، صيره إلى الضلالة ، وإن عمل بعمل أهل الهدى . ابتداء خلق إبليس على الضلالة ، وعمل بعمل أهل السعادة مع الملائكة ، ثم رده الله إلى ما ابتداء خلقه عليه من الضلالة" فقال: ﴿وكان من الكافرين﴾ . وابتداء خلق السحرة على الهدى ، وعملوا بعمل أهل الضلالة ، ثم هداهم الله إلى الهدى والسعادة ، وتوفاهم عليها مسلمين".

فهذا المنقول عن محمد بن كعب يبين: أن الذي ابتدأهم عليه هو: ما كتب أنهم صائرون إليه ، وأنهم قد يعملون قبل ذلك غيره ، وأن من ابتدئ على الضلالة أي: كتب أن يموت ضالاً ، فقد يكون قبل ذلك عاملاً بعمل أهل الهدى ، وحينئذ فمن ولد على الفطرة السليمة المقتضية للهدى ، لا يمنع أن يعرض لها ما يغيرها فيصير إلى ما سبق به القدر ، كما في الحديث الصحيح: "أن أحدكم يعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار وأن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينها وبينه إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخل الجنة".

وقال سعيد بن جبير في قوله: ﴿كَمَا بَدَأْكُمْ تَعُودُونَ﴾ قال كما كتب عليكم تكونون" وقال مجاهد: "كَمَا بَدَأْكُمْ تَعُودُونَ شَقِي وَسَعِيد" وقال أيضا: "يَبْعَثُ الْمُسْلِمُ مُسْلِمًا وَالْكَافِرُ كَافِرًا" وقال أبو العالية: "عادوا إلى علمه فيهم فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة" قلت: هذا المعنى صحيح في نفسه ، دل عليه القرآن والسنة ، والآثار السلفية ، وإجماع أهل السنة . وأما كونه هو المراد بالآية ففيه ما فيه . والذي يظهر من الآية أن معناها معنى نظرائها وأمثالها من الآيات التي يحتج الله سبحانه فيها على النشأة الثانية بالأولى ، وعلى المعاد بالمبدأ ، فجاء باحتجاج في غاية الاختصار والبيان فقال كما بدأكم تعودون كقوله: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنٰكُمْ مِّن تَرَابٍ﴾ [الحج: ٥] وقوله: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾ [يس: ٧٨] الآية وقوله: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ [٣٦] أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّيِّ يُمْنٍ﴾ [٣٧] ثُمَّ كَانَ عِلْقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى﴾ [٣٨] فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ [٣٩] أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾ [القيامة: ٣٦-٤٠] ، وقوله: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ [٥] خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ﴾ [٦] يُخْرَجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ [٧] إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾ [الطارق: ٥-٨] أي على رجوع الإنسان حيا بعد موته هذا هو الصواب في معنى الآية.

يبقى أن يقال: فكيف يرتبط هذا بقوله فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلال؟ فيقال: هذا الذي أوجب لأصحاب ذلك القول ما تأولوا به الآية ، ومن تأمل الآية علم أن القول أولى بها ، **وجه الارتباط:** أن الآية تضمنت قواعد الدين علما وعملا واعتقادا ، فأمر سبحانه فيها بالقسط هو الذي هو حقيقة شرعه ودينه ، وهو يتضمن التوحيد فإنه أعَدِلَ العدل ، والعدل في معاملة الخلق ، والعدل في العبادة وهو الاقتصاد في السنة ، ويتضمن الأمر بالإقبال على الله وإقامة عبوديته في ثبوته ، ويتضمن الإخلاص له وهو عبوديته وحده لا شريك له ، فهذا ما فيها من العمل ، ثم أخبر بمبدأهم ومعادهم فتضمن ذلك حدوث الخلق وإعادته فذلك الإيمان بالمبدأ والمعاد ، ثم أخبر عن القدر الذي هو نظام التوحيد فقال: فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة ، فتضمنت الآية الإيمان بالقدر والشرع ، والمبدأ والمعاد ، والأمر بالعدل ، والإخلاص ، ثم ختم الآية بذكر حال من لم يصدق هذا الخبر ، ولم يطع هذا الأمر بأنه قد والى الشيطان دون ربه ، وأنه على ضلال وهو يحسب أنه على هدى والله أعلم»

○ مسألة : قطاع الطرق إلى الله .

- قال ابن القيم في «الفوائد لابن القيم - ط العلمية» (ص ١٥٩): فصل عَظِيم النِّفَع.
- الْجَهَالُ بِاللَّهِ وَأَسْمَاءُهُ وَصِفَاتُهُ الْمُعْطَلُونَ لِحَقَائِقِهَا **يَبْغُضُونَ اللَّهَ إِلَى خَلْقِهِ ، وَيَقْطَعُونَ عَلَيْهِمْ طَرِيقَ** محبته والتودد إِلَيْهِ بِطَاعَتِهِ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ، وَنَحْنُ نَذَكِّرُ مِنْ ذَلِكَ أَمْثَلَةً تَحْتَذِي عَلَيْهَا ، **فَمِنْهَا:**
 - أَنَّهُمْ يَقَرَّرُونَ فِي نَفُوسِ الضُّعَفَاءِ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَا تَنْفَعُ مَعَهُ طَاعَةٌ وَإِنْ طَالَ زَمَانُهَا وَبَالَغَ الْعَبْدُ وَأَتَى بِهَا ظَاهِرَهُ وَبَاطِنَهُ ، وَأَنَّ الْعَبْدَ لَيْسَ عَلَى ثِقَةٍ وَلَا أَمْنٍ مِنْ مَكْرِهِ ، بَلْ شَأْنُهُ سُبْحَانَهُ أَنْ يَأْخُذَ الْمُطِيعَ الْمُتَّقِيَ مِنَ الْمُخْرَابِ إِلَى الْمَاخُورِ ، وَمِنَ التَّوْحِيدِ وَالْمَسْبُوحَةِ إِلَى الشَّرْكِ وَالْمَزْمَارِ ، وَيَقْلِبُ قَلْبَهُ مِنَ الْإِيمَانِ الْخَالِصِ إِلَى الْكُفْرِ ، **وَيُرَوِّونَ فِي ذَلِكَ آثَارَ صَحِيحَةٍ لَمْ يَفْهَمُوهَا ، وَبَاطِلَةٍ لَمْ يَقْلِبْهَا الْمَغْصُومُ ،** وَيَزْعُمُونَ أَنَّ هَذَا حَقِيقَةُ التَّوْحِيدِ ، وَيَتْلُونَ عَلَى ذَلِكَ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣] وَقَوْلُهُ: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩] وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ [الأنفال: ٢٤] وَيَقِيمُونَ إِبْلِيسَ حُجَّةً لَهُمْ عَلَى هَذِهِ الْمَعْرِفَةِ ، وَأَنَّهُ كَانَ طَاوُوسَ الْمَلَائِكَةِ ، وَأَنَّهُ لَمْ يَتْرَكْ فِي السَّمَاءِ رَفْعَةً وَلَا فِي الْأَرْضِ بَقْعَةً إِلَّا وَلَهُ فِيهَا سَجْدَةٌ أَوْ رُكْعَةٌ ، لَكِنْ جَنَى عَلَيْهِ جَانِي الْقَدْرِ ، وَسَطَا عَلَيْهِ الْحُكْمُ ، فَقَلَبَ عَيْنَهُ الطَّيْبَةَ ، وَجَعَلَهَا أَخْبَثَ شَيْءٍ ، **حَتَّى قَالَ بَعْضُ عَارِفِيهِمْ:** أَنْتَكَ يَنْبَغِي أَنْ تَخَافَ اللَّهَ كَمَا تَخَافُ الْأَسَدَ الَّذِي يَثْبُغُ عَلَيْكَ ، بِغَيْرِ جَرَمٍ مِنْكَ وَلَا ذَنْبٍ أَتَيْتَهُ إِلَيْهِ . وَيَحْتَجُونَ بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: "إِنْ أَحَدَكُمْ لِيَعْمَلْ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا" وَيُرَوِّونَ عَنْ بَعْضِ السَّلَفِ: "أَكْبَرُ الْكِبَائِرِ الْأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللَّهِ وَالْقَنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ" . وَذَكَرَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ عَوْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَوْ غَيْرِهِ أَنَّهُ سَمِعَ رَجُلًا يَدْعُو اللَّهَ لَا تُؤْمِنِي مَكْرُكَ ، فَأَنْكَرَ ذَلِكَ وَقَالَ: قُلِ اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي مِمَّنْ يَأْمَنُ مَكْرُكَ .
 - وَبَنُوا ذَلِكَ عَلَى أَصْلِهِمُ الْبَاطِلَ وَهُوَ: **إِنْكَارُ الْحُكْمَةِ وَالتَّغْلِيلِ وَالْأَسْبَابِ ، وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَفْعَلُ لِحُكْمَةٍ ، وَلَا سَبَبٍ ، وَإِنَّمَا يَفْعَلُ بِمَشِيئَةٍ مُجَرَّدَةٍ مِنَ الْحُكْمِ وَالتَّغْلِيلِ وَالسَّبَبِ ، فَلَا يَفْعَلُ لَشَيْءٍ وَلَا بِشَيْءٍ ، وَأَنَّهُ يَجُوزُ عَلَيْهِ أَنْ يَعَذِّبَ أَهْلَ طَاعَتِهِ أَشَدَّ الْعَذَابِ ، وَيَنْعَمَ أَعْدَاءَهُ وَأَهْلَ مَعْصِيَتِهِ بِجَزِيلِ الثَّوَابِ ، وَأَنَّ الْأَمْرَيْنِ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ سَوَاءٌ ، وَلَا يَعْلَمُ امْتِنَاعَ ذَلِكَ إِلَّا بِخَبَرٍ مِنَ الصَّادِقِ أَنَّهُ لَا يَفْعَلُهُ ، فَحِينَئِذٍ يَعْلَمُ امْتِنَاعَهُ لَوْ قُوعَ الْخَبَرِ بِأَنَّهُ لَا يَكُونُ ، لَا لِأَنَّهُ فِي نَفْسِهِ بَاطِلٌ وَظَلَمٌ ، فَإِنَّ الظُّلْمَ فِي نَفْسِهِ مُسْتَحِيلٌ**

، فَإِنَّهُ غَيْرُ مُمَكِّن ، بَلْ هُوَ بِمَنْزِلَةِ جَعْلِ الْجِسْمِ الْوَاحِدِ فِي مَكَانَيْنِ فِي آنٍ وَاحِدٍ ، وَالْجَمْعُ بَيْنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ ، وَجَعَلَ الشَّيْءَ مَوْجُودًا وَمَعْدُومًا مَعًا فِي آنٍ وَاحِدٍ ، فَهَذَا حَقِيقَةُ الظُّلْمِ عِنْدَهُمْ .

■ **فَإِذَا رَجَعَ الْعَامِلُ إِلَى نَفْسِهِ قَالَ :** مَنْ لَا يَسْتَقِرُّ لَهُ أَمْرٌ ، وَلَا يُؤْمِنُ لَهُ مَكْرٌ ، كَيْفَ يُوَثِّقُ بِالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ ؟ وَكَيْفَ يَعُولُ عَلَى طَاعِنِهِ وَاتِّبَاعِ أَوَامِرِهِ ؟ وَلَيْسَ لَنَا سِوَى هَذِهِ الْمَدَّةِ الْيَسِيرَةِ ! فَإِذَا هَجَرْنَا فِيهَا اللَّذَاتِ ، وَتَرَكْنَا الشَّهَوَاتِ وَتَكَلَّفْنَا أَثْقَالَ الْعِبَادَاتِ ، وَكُنَّا مَعَ ذَلِكَ عَلَى غَيْرِثِقَةٍ مِنْهُ أَنْ يَقْلِبَ عَلَيْنَا الْإِيمَانَ كَفْرًا ، وَالتَّوْحِيدَ شُرْكًَا ، وَالطَّاعَةَ مَعْصِيَةً ، وَالْبِرَّ فَجُورًا ، وَيَدِيمَ عَلَيْنَا الْعُقُوبَاتِ ، كُنَّا خَاسِرِينَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، **فَإِذَا اسْتَحْكَمَ هَذَا الْإِعْتِقَادُ فِي قُلُوبِهِمْ ، وَتَخَمَّرَ فِي نَفْسِهِمْ ، صَارُوا إِذَا أَمَرُوا بِالطَّاعَاتِ وَهَجَرُوا اللَّذَاتِ بِمَنْزِلَةِ إِنْسَانٍ جَعَلَ يَقُولُ لَوَلَدِهِ : مَعْلَمُكَ إِنْ كَتَبْتَ وَأَحْسَنْتَ وَتَادَبْتَ وَلَمْ تَعَصِهِ ، رُبَّمَا أَقَامَ لَكَ حِجَّةً وَعَاقِبَكَ ، وَإِنْ كَسَلْتَ وَبَطَلْتَ وَتَعَطَّلْتَ وَتَرَكْتَ مَا أَمَرَكَ بِهِ ، رُبَّمَا قَرَبَكَ وَأَكْرَمَكَ ،** فَيُودِعُ بِهَذَا الْقَوْلِ قَلْبَ الصَّبِيِّ مَا لَا يَثِقُ بَعْدَهُ إِلَى وَعِيدِ الْمُعَلِّمِ عَلَى الْإِسَاءَةِ ، وَلَا وَعْدِهِ عَلَى الْإِحْسَانِ ، وَإِنْ كَبُرَ الصَّبِيُّ وَصَلَحَ لِلْمَعَامَلَاتِ وَالْمَنَاصِبِ قَالَ لَهُ : هَذَا سُلْطَانُ بَلَدِنَا يَأْخُذُ اللَّصَّ مِنَ الْحَبْسِ فَيَجْعَلُهُ وَزِيرًا أَمِيرًا ، وَيَأْخُذُ الْكَيْسَ الْمُحْسِنَ لِيُشْغِلَهُ فَيُخَلِّدَهُ الْحَبْسَ وَيَقْتُلُهُ وَيُصْلِبُهُ ، فَإِذَا قَالَ لَهُ ذَلِكَ أَوْ حَشَهُ سُلْطَانُهُ ، وَجَعَلَهُ عَلَى غَيْرِثِقَةٍ مِنْ وَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ ، وَأَزَالَ مُحِبَّتَهُ مِنْ قَلْبِهِ ، وَجَعَلَهُ يَخَافُهُ مَخَافَةَ الظَّالِمِ الَّذِي يَأْخُذُ الْمُحْسِنَ بِالْعُقُوبَةِ ، وَالْبَرِيءَ بِالْعَذَابِ ، فَأَفْلَسَ هَذَا الْمُسْكِينُ مِنْ اعْتِقَادِ كَوْنِ الْأَعْمَالِ نَافِعَةً أَوْ ضَارَةً ، فَلَا يَفْعَلُ الْخَيْرَ يَسْتَأْنِسُ ، وَلَا يَفْعَلُ الشَّرَّ يَسْتَوْحِشُ .

■ **وَهَلْ فِي التَّنْفِيرِ عَنِ اللَّهِ وَتَبْغِيضِهِ إِلَى عِبَادِهِ أَكْثَرُ مِنْ هَذَا ؟ وَلَوْ اجْتَهَدَ الْمَلَاحِدَةُ عَلَى تَبْغِيضِ الدِّينِ وَالتَّنْفِيرِ عَنِ اللَّهِ لَمَا أَتَوْا بِأَكْثَرٍ مِنْ هَذَا .** وَصَاحِبُ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ يَظُنُّ أَنَّهُ يُقَرِّرُ التَّوْحِيدَ وَالْقَدْرَ ، وَيُرِيدُ عَلَى أَهْلِ الْبُذْعِ وَيَنْصُرُ الدِّينَ ؟! وَلَعَمْرُ اللَّهِ الْعَدُوُّ الْعَاقِلُ أَقْلُ ضَرَرًا مِنَ الصَّدِيقِ الْجَاهِلِ ، وَكَتَبَ اللَّهُ الْمَنْزِلَةَ كُلَّهَا ، وَرُسُلُهُ كُلَّهُمْ شَهَادَةٌ بِضِدِّ ذَلِكَ ، وَلَا سِيمًا الْقُرْآنُ . فَلَوْ سَلَكَ الدَّعَاةُ الْمَسْلُوكَ الَّذِي دَعَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ بِهِ النَّاسَ إِلَيْهِ ، لَصَلَحَ الْعَالَمُ صَالِحًا لَا فَسَادَ مَعَهُ .

■ **فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ أَخْبَرَهُهُوَ الصَّادِقَ الْوَفَى أَنَّهُ : إِنَّمَا يُعَامِلُ النَّاسَ بِكُسْبِهِمْ ، وَيَجَازِيهِمْ بِأَعْمَالِهِمْ ، وَلَا يَخَافُ الْمُحْسِنَ لَدَيْهِ ظُلْمًا وَلَا هُضْمًا ، وَلَا يَخَافُ بِخَسَا وَلَا رَهَقًا ، وَلَا يَضِيْعُ عَمَلُ مُحْسِنٍ أَبَدًا ، وَلَا يَضِيْعُ عَلَى الْعَبْدِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ ، وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهِ أَجْرًا عَظِيمًا ، وَإِنْ كَانَ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ جَازَاهُ بِهَا وَلَا يَضِيْعُهَا عَلَيْهِ ،** وَأَنَّهُ يَجْزِي بِالْحَسَنَةِ مِثْلَهَا وَيَحْبِطُهَا بِالتَّوْبَةِ وَالنَّدَمِ وَالِاسْتِغْفَارِ وَالْحَسَنَاتِ وَالْمَصَائِبِ ، وَيَجْزِي بِالْحَسَنَةِ عَشْرَ أَمْثَالِهَا وَيُضَاعِفُهَا إِلَى سَبْعِمِائَةٍ ضَعْفَ

إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ ، وَهُوَ الَّذِي أَصْلَحَ الْفَاسِدِينَ ، وَأَقْبَلَ بِقُلُوبِ الْمُعْرِضِينَ ، وَتَابَ عَلَى الْمَذْنُبِينَ ، وَهَدَى الضَّالِّينَ ، وَأَنْقَذَ الْهَالِكِينَ ، وَعَلَّمَ الْجَاهِلِينَ ، وَبَصَرَ الْمُتَحِيزِينَ ، وَذَكَرَ الْغَافِلِينَ ، وَأَوَى الشَّارِدِينَ ، **وَإِذَا أَوْقَعَ عِقَابًا أَوْقَعَهُ بَعْدَ شِدَّةِ التَّمَرُّدِ وَالْعَتُوِّ عَلَيْهِ** ، وَدَعَا الْعَبْدَ إِلَى الرُّجُوعِ إِلَى إِلَيْهِ ، وَالْإِقْرَارَ بِرَبُوبِيَّتِهِ وَحَقِّهِ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ ، حَتَّى إِذَا يَأْسَ مِنْ اسْتِجَابَتِهِ وَالْإِقْرَارَ بِرَبُوبِيَّتِهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ ، **أَخَذَهُ بِبَعْضِ كُفْرِهِ وَعَتُوِّهِ وَتَمَرُّدِهِ** ، بِحَيْثُ يَعْذُرُ الْعَبْدُ مِنْ نَفْسِهِ وَيَعْتَرِفُ بِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ لَمْ يَظْلَمْهُ ، وَأَنَّهُ هُوَ الظَّالِمُ لِنَفْسِهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى عَنْ أَهْلِ النَّارِ: ﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك: ١١] وَقَالَ عَمَّنْ أَهْلُكُم فِي الدُّنْيَا أَنَّهُمْ لَمَّا رَأَوْا آيَاتِهِ وَأَحْسَوْا حَصِيدًا بِعَذَابِهِ: ﴿قَالُوا يَوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَتُهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَمِيدِينَ﴾ [الأنبياء: ١٤-١٥] وَقَالَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ الَّتِي أَفْسَدَهَا عَلَيْهِمْ لَمَّا رَأَوْهَا: ﴿قَالُوا سُبْحَنَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ [القلم: ٢٩]

قَالَ الْحَسَنُ: لَقَدْ دَخَلُوا النَّارَ وَإِنْ حَمَدَهُ لَفِي قُلُوبِهِمْ ، مَا وَجَدُوا عَلَيْهِ حِجَّةً وَلَا سَبِيلًا ؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٤٥] فَهَذِهِ الْجُمْلَةُ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ أَيُّ: قُطِعَ دَابِرُهُمْ حَالُ كَوْنِهِ سُبْحَانَهُ مَحْمُودًا عَلَى ذَلِكَ ، فَقُطِعَ دَابِرُهُمْ قُطْعًا مَصَاحِبًا لِحَمْدِهِ ، فَهُوَ قُطِعَ وَإِهْلَاكَ يَحْمَدُ عَلَيْهِ الرَّبُّ تَعَالَى لِكَمَالِ حِكْمَتِهِ وَعَدْلِهِ وَوَضْعِهِ الْعُقُوبَةَ فِي مَوْضِعِهَا الَّذِي لَا يَلِيقُ بِهِ غَيْرَهَا ، فَوْضِعَهَا فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي يَقُولُ مِنْ عِلْمِ الْحَالِ: لَا تَلِيقُ الْعُقُوبَةُ إِلَّا بِهَذَا الْمُحِلِّ ، وَلَا يَلِيقُ بِهِ إِلَّا الْعُقُوبَةُ ؛ وَلِهَذَا قَالَ عَقِيبَ إِخْبَارِهِ عَنِ الْحُكْمِ بَيْنَ عِبَادِهِ ، وَمَصِيرِ أَهْلِ السَّعَادَةِ إِلَى الْجَنَّةِ ، وَأَهْلِ الشَّقَاءِ إِلَى النَّارِ: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الزمر: ٧٥] فَحَذَفَ فَاعِلَ الْقَوْلِ ؛ إِشْعَارًا بِالْعُمُومِ ، وَأَنَّ الْكُونَ كُلَّهُ قَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ؛ لَمَّا شَاهَدُوا مِنْ حِكْمَةِ الْحَقِّ ، وَعَدْلِهِ وَفَضْلِهِ ؛ وَلِهَذَا قَالَ فِي حَقِّ أَهْلِ النَّارِ: ﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر: ٧٢] كَأَنَّ الْكُونَ كُلَّهُ يَقُولُ ذَلِكَ ، حَتَّى تَقُولَهُ أَعْضَاؤُهُمْ وَأَرْوَاحُهُمْ وَأَرْضُهُمْ وَسَمَاؤُهُمْ .

وَهُوَ سُبْحَانَهُ بِخَبَرِ أَنَّهُ إِذَا هَلَكَ أَعْدَاؤُهُ ، أَنْجَى أَوْلِيَائِهِ وَلَا يَعْمَهُمُ بِالْهَلَاكِ بِمَحْضِ الْمَشِئَةِ ، وَلَمَّا سَأَلَهُ نُوحٌ نَجَاةَ ابْنِهِ أَخْبَرَهُ أَنْ يَغْرُقَهُ بِسُوءِ عَمَلِهِ وَكُفْرِهِ ، وَلَمْ يَقُلْ إِنِّي أَغْرُقُهُ بِمَحْضِ مَشِئَتِي وَإِرَادَتِي بِلَا سَبَبٍ وَلَا ذَنْبٍ ، **وَقَدْ ضَمِنَ سُبْحَانَهُ زِيَادَةَ الْهِدَايَةِ لِلْمَجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ** ، وَلَمْ يَخْبُرْ أَنَّهُ يَضِلُّهُمْ وَيَبْطُلُ سَعْيُهُمْ ، **وَكَذَلِكَ ضَمِنَ زِيَادَةَ الْهِدَايَةِ لِلْمُتَّقِينَ** الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ رِضْوَانَهُ ، وَأَخْبَرَهُ أَنْ لَا يَضِلُّ إِلَّا

الْفَاسِقِينَ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ ، وَأَنَّهُ إِنَّمَا يَضِلُّ مِنْ آثَرِ الضَّلَالِ وَاخْتَارَهُ عَلَى الْهَدَى ، فَيَطْبَعُ حِينَئِذٍ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ ، وَأَنَّهُ يَقْلِبُ قَلْبَ مَنْ لَمْ يَرْضَ بِهِدَاةِ إِذَا جَاءَهُ ، وَلَمْ يُؤْمِنْ بِهِ وَدَفَعَهُ وَرَدَّهُ ، فَيَقْلِبُ فُؤَادَهُ وَبَصَرَهُ ؛ **عُقُوبَةُ لَهُ عَلَى رَدِّهِ وَدَفْعِهِ لَمَّا تَحَقَّقَهُ وَعَرَفَهُ** ، وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ لَوْ عَلِمَ فِي تِلْكَ الْمَحَالِ الَّتِي حَكَمَ عَلَيْهَا بِالضَّلَالِ وَالشَّقَاءِ خَيْرًا ، لِأَفْهَمَهَا وَهَدَاها ، وَلَكِنَّهَا لَا تَصْلُحُ لِنِعْمَتِهِ وَلَا تَلِيْقُ بِهَا كِرَامَتِهِ ، وَقَدْ أَزَاحَ سُبْحَانَهُ الْعِلْلَ وَأَقَامَ الْحُجَجَ ، وَمَكَّنَ مِنْ أَسْبَابِ الْهِدَايَةِ ، **وَأَنَّهُ لَا يَضِلُّ إِلَّا الْفَاسِقِينَ وَالظَّالِمِينَ ، وَلَا يَطْبَعُ إِلَّا عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ** ، وَلَا يَرْكُسُ فِي الْفِتْنَةِ إِلَّا الْمُنَافِقِينَ بِكُسْبِهِمْ ، وَأَنَّ الرِّينَ الَّذِي غَطَى بِهِ قُلُوبَ الْكُفَّارِ هُوَ عَيْنُ كُسْبِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ ، كَمَا قَالَ : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [المطففين: ١٤] وَقَالَ عَنْ أَعْدَائِهِ مِنَ الْيَهُودِ : ﴿ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء: ١٥٥] وَأَخْبَرَنَّهُ لَا يَضِلُّ مِنْ هِدَاةٍ حَتَّى يَبْنَى لَهُ مَا يَتَّقِي ، ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [التوبة: ١١٥] ، فَيَخْتَارُ لَشَقْوَتِهِ وَسُوءِ طَبِيعَتِهِ الضَّلَالِ عَلَى الْهَدَى ، وَالْغِي عَلَى الرِّشَادِ ، وَيَكُونُ مَعَ نَفْسِهِ وَشَيْطَانِهِ وَعَدُوْرِهِ عَلَيْهِ .

- **وَأَمَّا الْمَكْرُ الَّذِي وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ ، فَهُوَ مَجَازَاتُهُ لِلْمَاكِرِينَ بِأَوْلِيَائِهِ وَرُسُلِهِ** ، فَيَقَابِلُ مَكْرَهُمُ السَّيِّئَ بِمَكْرِهِ الْحَسَنَ ، فَيَكُونُ الْمَكْرُ مِنْهُمْ أَقْبَحَ شَيْءٍ ، وَمِنْهُ أَحْسَنُ شَيْءٍ ؛ لِأَنَّهُ عَدْلٌ وَمَجَازَاةٌ . وَكَذَلِكَ الْمَخَادَعَةُ مِنْهُ جَزَاءٌ عَلَى مَخَادَعَةِ رُسُلِهِ وَأَوْلِيَائِهِ ، فَلَا أَحْسَنَ مِنْ تِلْكَ الْمَخَادَعَةِ وَالْمَكْرِ .
- **وَأَمَّا كَوْنُ الرَّجُلِ يَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ ؛ فَإِنَّ هَذَا عَمَلُ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِيمَا يَظْهَرُ لِلنَّاسِ** ، وَلَوْ كَانَ عَمَلًا صَالِحًا مَقْبُولًا لِلْجَنَّةِ قَدْ أَحْبَبَهُ اللَّهُ وَرَضِيَهُ لَمْ يُبْطَلْهُ عَلَيْهِ ، وَقَوْلُهُ لَمْ يَبْقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ يَشْكُلُ عَلَى هَذَا التَّأْوِيلِ ؟ فَيُقَالُ : لَمَّا كَانَ الْعَمَلُ بِآخِرِهِ وَخَاتَمَتِهِ ، لَمْ يَصْبِرْ هَذَا الْعَامِلُ عَلَى عَمَلِهِ حَتَّى يَتِمَّ لَهُ ، **بَلْ كَانَ فِيهِ آفَةٌ كَامِنَةٌ ، وَنَكْتَةٌ خَذَلَتْ بِهَا فِي آخِرِ عَمَرِهِ ، فَخَانَتَهُ تِلْكَ الْآفَةُ وَالِدَاهِيَةُ وَالْبَاطِنَةُ فِي وَقْتِ الْحَاجَةِ** ، فَارْجِعْ إِلَى مُوجِبِهَا ، وَعَمَلَتْ عَمَلَهَا ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ غَشٌّ وَآفَةٌ ، لَمْ يَقْلِبْ اللَّهُ إِيْمَانَهُ . وَقَدْ أوردَهُ مَعَ صَدَقِهِ فِيهِ وَإِخْلَاصِهِ بِغَيْرِ سَبَبٍ مِنْهُ يَفْتَضِي إِفْسَادَهُ عَلَيْهِ ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ مِنْ سَائِرِ الْعِبَادِ مَا لَا يُعْلَمُهُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ .

وَأَمَّا شَأْنُ إِبْلِيسَ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَالَ لِلْمَلَائِكَةِ ﴿ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ فَالَرَّبُّ تَعَالَى كَانَ يَعْلَمُ مَا فِي قَلْبِ إِبْلِيسَ مِنَ الْكُفْرِ وَالْكَبْرِ وَالْحَسَدِ ، مَا لَا يُعْلَمُهُ الْمَلَائِكَةُ ، فَلَمَّا أَمَرُوا بِالسُّجُودِ ظَهَرَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ

من الطَّاعَةِ والمحبة والخشية والانقياد ، فبادروا إِلَى الامْتِثَالِ ، وَظَهَرَمَا فِي قلب عدوه من الكبر والغش والحسد ، فَأَبَى واستكبر ، وَكَانَ من الكافرين.

■ **وَأَمَّا خَوْفُ أَوْلِيَائِهِ مِنْ مَكْرِهِ فَحَقٌّ . فَإِنَّهُمْ يَخَافُونَ أَنْ يَخْذِلَهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَخَطَايَاهُمْ** ، فيصيرون إِلَى الشَّقَاءِ ، فخوفهم من ذنوبهم ورجاؤهم لِرَحْمَتِهِ ، وَقَوْلُهُ: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ﴾ إِنَّمَا هُوَ فِي حق الفجار وَالْكَفَّارِ ، وَمَعْنَى الْآيَةِ : فَلَا يَعْصِي وَيَأْمَنُ مُقَابَلَةَ اللَّهِ لَهُ عَلَى مَكْرِ السَّيِّئَاتِ بِمَكْرِهِ بِهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ.

■ وَالَّذِي يَخَافُهُ الْعَارِفُونَ بِاللَّهِ مِنْ مَكْرِهِ أَنْ يُؤَخَّرَ عَنْهُمْ عَذَابُ الْأَفْعَالِ ، فَيَحْصِلَ مِنْهُمْ نَوْعٌ اغْتِرَارٍ فَيَأْنِسُوا بِالذُّنُوبِ فَيَجِئُهُمُ الْعَذَابُ عَلَى غَرَّةٍ وَفْتَرَةٍ.

■ ٢- وَأَمْرٌ آخَرٌ وَهُوَ: أَنْ يَغْفُلُوا عَنْهُ وَيَنْسُوا ذِكْرَهُ ، فَيَتَخَلَّى عَنْهُمْ إِذَا تَخَلَّوْا عَنْ ذِكْرِهِ وَطَاعَتِهِ ، فَيَسْرِعَ إِلَيْهِمُ الْبَلَاءُ وَالْفِتْنَةُ ، فَيَكُونُ مَكْرُهُ بِهِمْ تَخْلِيَهُ عَنْهُمْ .

■ ٣- وَأَمْرٌ آخَرٌ أَنْ يَعْلَمَ مِنْ ذُنُوبِهِمْ وَعِيُوبِهِمْ مَا لَا يَعْلَمُونَهُ مِنْ نَفْسِهِمْ فَيَأْتِيهِمُ الْمَكْرُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ.

● قال الألباني في «موسوعة الألباني في العقيدة» (٩/ ٥٨٤): ... فَإِنَّ عِلْمَ اللَّهِ تَعَالَى لَا يَتَغَيَّرُ وَلَا يَتَبَدَّلُ ؛ تَمَاماً كَمَا هُوَ الشَّأْنُ فِي الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَالطَّالِحَةِ ، وَالسَّعَادَةِ وَالشَّقَاوَةِ ، فَالْآيَاتُ وَالْأَحَادِيثُ الَّتِي تَأْمُرُ بِالْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ ، وَتَنْهَى عَنْ نَقِيضِهِمَا لَا تَكَادُ تَحْصَى ، وَفِي بَعْضِهَا يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ، وَقَدْ ذَكَرَ الْعُلَمَاءُ الْمُحَقِّقُونَ أَنَّ الْبَاءَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ ؛ إِنَّمَا هِيَ بَاءُ السَّبَبِيَّةِ ، فَذَلِكَ كُلُّهُ لَا يَنَافِي مَا سَبَقَ فِي عِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى مِنَ السَّعَادَةِ وَالشَّقَاوَةِ ، بَلْ إِنَّمَا هُمَا أَمْرَانِ مُتَلَازِمَانِ: السَّعَادَةُ مَعَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ ، وَالشَّقَاوَةُ مَعَ الْعَمَلِ الطَّالِحِ. وَهَذَا صَرِيحٌ فِي قَوْلِهِ ﷺ: «إِنْ أَحَدُكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ ، فَيَدْخُلُهَا ، وَإِنْ أَحَدُكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، فَيَدْخُلُهَا». أَخْرَجَهُ الشَّيْخَانُ وَغَيْرُهُمَا ، **فَانْظُرْ كَيْفَ أَنْ نَهَايَةَ الْأَمْرِ كَانَ مَقْرُوناً بِالْعَمَلِ دُخُولَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ** .. وَمَا أَحْسَنَ وَأَجْمَلَ جَوَابَ النَّبِيِّ ﷺ لَمَّا حَدَّثَ أَصْحَابَهُ بِقَوْلِهِ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ وَمَقْعَدُهُ مِنَ الْجَنَّةِ». فَقَالُوا: أَفَلَا نَتَكَلَّى عَلَى كِتَابِنَا وَنَدْعُ الْعَمَلَ؟! فَقَالَ ﷺ: «اعْمَلُوا؛ فَكُلٌّ مَيَسَّرَ لِمَا خُلِقَ لَهُ: أَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ؛ فَيَسِّرَ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ؛ فَيَسِّرَ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ». ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ، وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ، فَسَنِيْسِرْهُ لِلْيُسْرَى﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَسَنِيْسِرْهُ لِلْعُسْرَى﴾ . أَخْرَجَهُ

الشيخان. وجملة القول: أن الله تبارك وتعالى جعل لكل شيء سبباً ، فالعمل الصالح سبب لدخول الجنة ، والعمل السيئ لدخول النار".

● وقال شيخ الإسلام في «درء تعارض العقل والنقل» (٨ / ٤١٠): ...والمقصود هنا تفسير قوله: (كل مولود يولد على الفطرة) وأن من قال بإثبات القدر، وأن الله كتب الشقي والسعيد، لم يمنع ذلك أن يكون ولد على الإسلام ثم تغير بعد ذلك ، كما تولد الهيمية جمعاء ثم تغير بعد ذلك ، فإن الله تعالى يعلم الأشياء على ما هي عليه، فيعلم أنه يولد سليماً ثم يتغير. والآثار المنقولة عن السلف لا تدل إلا على هذا القول الذي رجحناه، وهو أنهم ولدوا على الفطرة ، ثم صاروا إلى ما سبق في علم الله فيهم من سعادة وشقاوة، لا تدل على أنه حين الولادة لم يكن على فطرة سليمة مقتضية للإيمان، مستلزمة له لولا المعارض .

● قال شيخ الإسلام في «مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية - رشيد رضا» (٥ / ١٥٨): ...ونظير هؤلاء الذين أبطلوا الأسباب المقدرة في خلق الله : من أبطل الأسباب المشروعة في أمر الله ، كالذين يظنون أن ما يحصل بالدعاء والأعمال الصالحة ، وغير ذلك من الخيرات ، إن كان مقدراً حصل بدون ذلك ، وإن لم يكن مقدوراً لم يحصل بذلك. وهؤلاء كالذين قالوا للنبي ﷺ أفلا ندع العمل ونتكل على الكتاب؟ قال " اعملوا فكل ميسر لما خلق له ". وفي السنن أنه قيل: يا رسول الله، أرايت أدوية نتداوى بها ، ورقى نسترقى بها، وتقاة نتقيها، هل ترد من قدر الله شيئاً؟ فقال " هي من قدر الله " ^(١) ولهذا قال من قال من العلماء: الالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد، ومحو الأسباب أن تكون أسباباً تغيير في وجوه العقل، والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع»

■ والله سبحانه خلق الأسباب والمسببات، وجعل هذا سبباً لهذا، فإذا قال القائل إن كان هذا مقدوراً حصل بدون السبب والألم يحصل، جوابه أنه مقدور بالسبب وليس مقدوراً بدون السبب، كما قال النبي ﷺ " إن الله خلق للجنة أهلاً خلقهم لها وهم في أصلا بآبائهم، وخلق للنار أهلاً خلقهم لها

(١) - أخرجه ابن حبان في صحيحه (٤٦٥/١٣) برقم (٦١٠٦) (صحيح ابن حبان - كتاب الرقى والتمائم - ذكر البيان بأن استرقاء المرء عند وجود العلل من قدر الله) (بهذا اللفظ) قال الألباني في «صحيح موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان» (٢ / ٢٩): برقم ١١٧١: "حسن لغيره".

وهم في أصلاب آبائهم" (١). وقال ﷺ "اعلموا فكل ميسر لما خلق له". أما من كان من أهل السعادة فسييسر لعمل أهل السعادة. وأما من كان من أهل الشقاوة فسييسر لعمل أهل الشقاوة. (٢)

■ **وفي الصحيحين عن ابن مسعود** ﷺ قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق "إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك فيؤمر بأربع كلمات فيكتب رزقه وعمله وأجله وشقي أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح، فوالذي نفسي بيده إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بين وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها" (٣) فبين ﷺ أن هذا يدخل الجنة بالعمل الذي يعمل به، وهذا يدخل النار بالعمل الذي يعمل به ويختم له به، كما قال ﷺ "إنما الأعمال بالخواتيم" وذلك لأن جميع الحسنات تحبط بالردة، وجميع السيئات تغفر بالتوبة، ونظير ذلك من صام ثم أفطر قبل الغروب أو صلى وأحدث عمداً قبل كمال الصلاة ثم أبطل عمله.

● قال ابن القيم في «مدارج السالكين» (١/ ٢٨٧ ط الكتاب العربي): قالوا: **وَلَاَنَّ صِحَّةَ التَّوْبَةِ مَشْرُوطَةٌ بِاسْتِمْرَارِهَا، وَالْمَوْافَاةِ عَلَيْهَا، وَالْمُعْلَقُ عَلَى الشَّرْطِ يُعَدُّ عِنْدَ عَدَمِ الشَّرْطِ، كَمَا أَنَّ صِحَّةَ الْإِسْلَامِ مَشْرُوطَةٌ بِاسْتِمْرَارِهِ وَالْمَوْافَاةِ عَلَيْهِ**. قالوا: **وَالَتَّوْبَةُ وَاجِبَةٌ وَجُوبًا مُضَيَّقًا مَدَى الْعُمْرِ، فَوْقَهَا مُدَّةُ الْعُمْرِ، إِذْ يَجِبُ عَلَيْهِ اسْتِصْحَابُ حُكْمِهَا فِي مُدَّةِ عُمْرِهِ، فَهِيَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْعُمْرِ كَالْإِمْسَاكِ عَنِ الْمُفْطَرَاتِ فِي صَوْمِ الْيَوْمِ، فَإِذَا أَمْسَكَ مُعْظَمَ النَّهَارِ، ثُمَّ نَقَضَ إِمْسَاكَهُ بِالْمُفْطَرَاتِ بَطَلَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ صِيَامِهِ، وَلَمْ يُعْتَدَ بِهِ، وَكَانَ بِمَنْزِلَةِ مَنْ لَمْ يُمْسِكْ شَيْئًا مِنْ يَوْمِهِ**. قالوا: وَيَدُلُّ عَلَى هَذَا الْحَدِيثُ الصَّحِيحُ، وَهُوَ قَوْلُهُ ﷺ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا» **وَهَذَا أَعَمُّ مِنْ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْعَمَلُ الثَّانِي كُفْرًا مُوجِبًا لِلْخُلُودِ، أَوْ مَعْصِيَةً مُوجِبَةً لِلدُّخُولِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَقُلْ "فَيَرْتَدُّ فَيَفَارِقُ الْإِسْلَامَ" وَإِنَّمَا أَخْبَرَ أَنَّهُ يَعْمَلُ بِعَمَلٍ يُوجِبُ لَهُ النَّارَ،**

(١) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ٥٤) برقم: (٢٦٦٢) (كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين) (بهذا اللفظ)

(٢) - سبق تخريجه.

(٣) - سبق تخريجه.

وَفِي بَعْضِ السُّنَنِ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَعْمَلُ بِطَاعَةِ اللَّهِ سِتِّينَ سَنَةً ، فَإِذَا كَانَ عِنْدَ الْمَوْتِ جَارٍ فِي وَصِيَّتِهِ فَدَخَلَ النَّارَ» فَالْخَاتِمَةُ السَّيِّئَةُ أَعْمُ مِنْ أَنْ تَكُونَ خَاتِمَةً بِكُفْرٍ أَوْ مَعْصِيَةٍ ، وَالْأَعْمَالُ بِالْخَوَاتِيمِ.

تم بحمد الله

الانتهاء من هذه النسخة عصر يوم الأربعاء الموافق للتاسع من شهر محرم من عام ثمان وأربعين وأربعمائة وألف للهجرة النبوية .
والحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات.